

المملكة المغربية
جامعة محمد الخامس

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة: رسائل وأطروحات رقم 51

جُهدُ النَّصِيحِ وَحَظُّ المَنِيحِ من مُساجَلَةِ المَعَرِّي في خُطبةِ الفَصِيحِ

لأبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي
565 هـ - 634 هـ

دراسة وتحقيق

ثُريّا لهي



منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة: رسائل وأطروحات رقم 51

جهد النصيح وحظ المنيح
من مساجلة المعري في خطبة الفصيح

لأبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي
565 هـ ـ 634 هـ

دراسة وتحقيق
ثريا لهي

الكتـــاب جهد النصيح وحظ المنيح من مساجلة المعري في خطبة الفصيح

المؤلـــف أبو الربيع سليمان الكلاعي

المحققـــة ثريا لهي

النـاشـــر منشورات كلية الآداب بالرباط

سلسلـــة رسائل وأطروحات رقم 51

الغـــلاف إعداد عمر أفا

الخطـــوط بلعيد حميدي.

الـطبـــع مطبعة النجاح الجديدة – الدارالبيضاء.

الطبـــعة الأولـى 2001

رقـــم التصنيف الدولي 0334-1113

رقـــم الإيداع القانوني 2001/1431.

ردمـــك 9 - 050 - 59 - 9981 .

طبع هذا الكتاب ضمن
الحساب خارج الميزانية

الإهــداء

إلى التي ذاقت مرارة الحياة لما تيتمت
إلى التي بتعليم البنات آمنت
فسهرت وربت، وصبرت وعلمت
إلى روح أمي
رحمها الله

أصل هذا الكتاب أول أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الأدب الأندلسي تتقدم بها باحثة مغربية من كلية الآداب جامعة محمد الخامس. نوقشت في 4 يونيو **1991** وحصلت الباحثة على شهادة دكتوراه الدولة بميزة حسن جدا. وكانت اللجنة تتكون من :

ــ الدكتور محمد الكتاني رئيسا

ــ الدكتور محمد بنشريفة مقررا

ــ الدكتور عزت حسن عضوا

ــ الدكتور محمد بنشقرون عضوا

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والامتنان إلى أستاذي الكبير الدكتور محمد بن شريفة مثلي الأعلى في العلم والعمل، الذي رافق مسيرة هذا البحث بإشرافه المتواصل من البدء إلى الانتهاء.

جازاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى السيد قيدوم الكلية سعيد بنسعيد العلوي على إدراجه هذا المؤلف ضمن مطبوعات ومنشورات كلية الآداب بالرباط.

وشكر جزيل أتقدم به إلى العاملين بمصلحة النشر بالكلية على ما يبذلونه من جهود في سبيل طبع ونشر هذه المؤلفات. جزاهم الله خيرا.

القسم الأول

الدراســـة

المقدمة

ترجع صلتي بهذا البحث إلى الدراسة التي قمت بها حول «**أبي الربيع سليمان الكلاعي حياته وآثاره**»، والتي كانت موضوعا لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب الأندلسي، حيث أتيح لي التعرف على بعض تآليفه المخطوطة والتي كان من ضمنها «**جهد النصيح**» فاخترت تحقيقه ودراسته كموضوع لأطروحة الدكتوراه. وكان اختياري هذا لأسباب، هي :

1. تحقيق ونشر تراث أندلسي يمثل مرحلة من مراحل النثر الفني في الأندلس في القرن السابع الهجري، كما يمثل آخر ما أنتجته القرائح الأندلسية في مدينة بلنسية قبيل سقوطها نهائيا في أيدي المسيحيين سنة 636هـ، أي بعد سنتين من وفاة المؤلف.
2. موضوع الكتاب : وهو تأليف حول ألفاظ «**الفصيح**» لثعلب، إذ يتيح هذا الموضوع الاطلاع على حركة علمية نشيطة عرفتها هذه المنطقة من العالم الإسلامي أثمرت عدة مؤلفات ما بين شرح ونظم وتأليف.
3. مضمون الكتاب، ويمثل نوعا من الجهاد، جهاد بالقلم في عصر انتشر فيه الجهاد بالسيف في سبيل الله وفي سبيل الإسلام، فعمل العلماء ــ إلى جانب الجهاد بالأرواح ــ على الجهاد بالألسنة، ويمثل هذه الطائفة أبو الربيع ومؤلفاته.
4. قيمة النص الفنية المتعددة الوجوه.
5. كون التأليف يدخل ضمن المؤلفات العلمية ذات الأهداف التعليمية.

يتعرض الكتاب إلى نصيحة المسلم، وتوجيهه الوجهة الصحيحة في سلوك سبل الحياة وحضه على التمسك بأهداب الفضيلة التي يدعو إليها الإسلام، كما ينير أمامه طريق الهداية بتوعيته وتبصرته بعواقب الأمور، وحقيقة الحياة الفانية التي تخلب

لب الإنسان بزخارفها ومباهجها ومفاتنها الزائلة، مخفية وراءها حقيقة الموت والحساب والعقاب، وما ينتظره من حياة أبدية قد تكون جحيما وقد تكون نعيما، لذلك عرض المؤلف لكثير من القضايا : أخلاقية كالصدق والكرم والوفاء والإخلاص والتواضع؛ وعقائدية : كالتوحيد ومجاهدة النفس والابتعاد عن الكفر والإلحاد والإيمان بالله والقضاء والقدر، واحترام الأنبياء والكتب السماوية، والصلاة والزكاة والصوم والحج؛ واجتماعية : كالزواج والطلاق والبيع والشراء؛ وسياسية : كالملك والإمامة، والعلاقة بين الناس؛ وتعليمية : كالنص على دلالة بعض الألفاظ وطريقة كتابتها وأوجه استعمالها في اللسان العربي، وتوجيه الناشئة إلى الأغراض التي يجب أن يتناولها الشعر كالفخر والحماسة والتغني بمكارم الأخلاق كالكرم والشجاعة، والنهي عن سلوك بعض المسالك كالقول في الهجاء والنسيب لما فيه من هتك لأعراض الناس، والمدح لما فيه من الغلو والكذب.

يتوفر الكتاب على مادة لغوية غزيرة إلى جانب المادة الاخبارية، والنصوص المستشهد بها من آيات وأحاديث وأمثال وأشعار مشرقية وأندلسية وأساليب بلاغية متنوعة.

ولما كانت نواة هذا التأليف هي الألفاظ الواردة في «**الفصيح**»، ولما كان هذا الأثر الوحيد الباقي من هذا اللون من التآليف، فإن دراسته استلزمت دراسة الحركة العلمية التي نشأت في الأندلس حول كتاب «**الفصيح**»، ودور هذا الكتاب فيما أنتجته قرائح علمائه من شرح ونظم وتأليف، فارتأيت أن أجعل موضوع الأطروحة ينقسم إلى قسمين، القسم الأول ويتناول الدراسة، والقسم الثاني يتناول تحقيق المتن في «**جهد النصيح**». واخترت هيكل البحث كما يلي :

— المقدمة.

— التمهيد.

— القسم الأول : ينقسم إلى بابين وثلاثة فصول.

— القسم الثاني : تحقيق المتن.

وارتأيت كخطوات لتحقيق المتن أن أتحدث عن النقط الآتية :

1. نسخ المخطوط.
2. وصفه.

3. كيفية تحقيقه.

أولا : نسخ المخطوط :

1. نسخة المكتبة الوطنية بتونس :

وهي نسخة كاملة تقع ضمن مجموع يحمل رقم (15053)، ويحتوي هذا المجموع على ثلاثة مؤلفات :

- المؤلف الأول : «**نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال**» لأبي الربيع سليمان الكلاعي.
- المؤلف الثاني : «**جهد النصيح وحظ المنيح من مساجلة أبي العلاء المعري في خطبة الفصيح**» لأبي الربيع سليمان الكلاعي.
- المؤلف الثالث : «**مظاهرة المسعى الجميل في معارضة ملقى السبيل**» لابن الأبار القضاعي.

2. نسخة دار الكتب بالقاهرة :

تقع هذه النسخة تحت رقم ‹ 18193ز › مخطوطات الدار (223). وكنت أعتقد أن هذه النسخة هي نسخة أبي عبد الله العبدري كما جاء في وصفها في كتاب «**الأعلام**» للزركلي (ج 3 ص 136)، فقد ذكر أنها مؤرخة سنة 629هـ، وعلى أولها إجازة من المؤلف، واتضح بعد الحصول على ميكرو فيلم لهذه النسخة الموجودة حاليا في قسم الوثائق والمخطوطات بالرباط تحت رقم (2293) أنه تصوير طبق الأصل لنسخة المكتبة الوطنية بتونس، وعلى هذا لا توجد اليوم بدار الكتب النسخة التي أشار إليها الزركلي.

3. نسخة استمبول :

أشار إليها البغدادي في «**إيضاح المكنون**» (387/1)، وبعد الاتصال بأصحاب الشأن والرجوع إلى فهارس المخطوطات في تركيا لم يتم العثور على هذه النسخة.

وعلى هذا اعتمدت نسخة تونس أصلا واحدا واعتمدت في التحقيق على :

1) «**الفصيح**» لثعلب تحقيق ودراسة لعاطف مدكور[1].

(1) رسالة لنيل دكتوراه الدولة، طبعة دار المعارف سنة 1984م.

2) **«التلويح في شرح الفصيح»** للهروي[2].
3) **«التصريح بشرح غريب الفصيح»** للتدميري[3].
4) **«شرح الفصيح»** لابن هشام اللخمي[4].
5) **«شرح الفصيح المسمى تحفة المجد الصريح»** لأبي جعفر الفهري اللبلي[5].
6) **«لباب تحفة المجد الصريح» للفهري أبي جعفر، اختصر فيه شرحه الكبير التحفة**[6].

ثانيا : وصف المخطوط :

— يشغل مؤلف **«جهد النصيح»** ضمن المجموع المذكور سابقا 146 صفحة تبدأ من الورقة 69 وتنتهي عند الورقة 142.

— مقاس أوراقها :

— عددها : 73 ورقة، كل ورقة مكونة من صفحتين.

— في كل صفحة 21 سطرا، وفي كل سطر ما بين 8 و12 كلمة.

— كتبت بخط أندلسي جميل واضح، سهل القراءة مع ضبط بعض الكلمات بالشكل، وفصلت الأبواب بعناوين مطابقة في أغلبها لعناوين فصيح ثعلب، وكتبت بخط غليظ مباين لخط المتن، وكذلك كتبت ألفاظ الفصيح الموشح بها في المخطوط، والملاحظ أن الناسخ لم يلتزم بهذا الأمر في كل المخطوط فابتداء من الباب 14 وهو «باب المكسور أوله والمفتوح باختلاف المعنى» يختفي التباين بين ألفاظ الفصيح وغيرها فيصبح الخط واحدا، ووضع في نهاية كل فقرة علامة دالة على الوقف، كما أن الاستشهادات الشعرية وضعت بين علامتين مميزتين وفصلت جملها بين كل سجعة وأخرى بثلاث نقط كفواصل.

---

(2) نشر ضمن كتاب **فصيح** ثعلب والشروح التي عليه، جمع وتعليق : عبد المنعم خفاجي، المطبعة النموذجية، القاهرة 1949م.

(3) مخطوط 3992، خزانة نور عثمانية/ تركيا.

(4) الخزانة الحسنية بالرباط، مخطوط رقم 7539.

(5) توجد فيه نسخة خطية بدار الكتب رقم 20، لغة ش، الجزء الأول، وفيه نسخة بالمكتبة الحمزاوية بالمغرب رقم 131.

(6) مخطوط بقسم الوثائق والمخطوطات بالرباط تحت رقم 100ج.

ــ كتبت هذه النسخة سنة 651هـ لطالبها أبي بكر بن عمر بن عبد الله بن صالح القرشي، وهي منقولة عن نسخة أبي عبد الله العبدري ــ أحد تلامذة المؤلف ــ التي قرأها على المؤلف في شهر رمضان المعظم من سنة 629هـ كما يظهر من إجازة المؤلف التي كتبها بخط يده لتلميذه العبدري، ونقل صاحب النسخة المعتمدة في التحقيق حرفا بحرف وبخط يده نص هذه الإجازة على الورقة الأولى.

ــ يبدو أن هذه النسخة صححت مرتين وذلك من خلال الكلمات والجمل التي صححت على طرة الكتاب. فالتصحيح الأول بيد الناسخ بنفس الخط الذي كتبت به وهو خط أندلسي استدرك فيه بعض الكلمات التي سقطت منه أثناء النسخ فكتبها على طرر الكتاب وأشار إلى موضعها بعلامة ⌐ يمينا، وعلامة ¬ يسارا.

والتصحيح الثاني بخط مشرقي وهو على ضربين : الضرب الأول استدرك فيه المصحح ما فات الناسخ فكتب الكلمات على طرة الكتاب مع الإشارة إلى مكانها بالمد. والضرب الثاني إعادة كتابة بعض الكلمات التي يبدو رسمها غير واضح أو غير مفهوم.

ــ تمتاز هذه النسخة بكونها موثقة بإجازة العبدري لصاحبها بخط يده.

ــ الورقة الأولى من المخطوط رقم 69 كتب فوقها العنوان بخط أندلسي :

«كتاب جهد النصيح وحظ المنيح من مساجلة أبي العلاء المعري في خطبة الفصيح» إنشاء الشيخ الفقيه الأجل الخطيب الإمام المحدث الأوحد العلامة الأحفل أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي رحمه الله وغفر له ولجميع المسلمين».

ــ بعد العنوان كتب بخط مشرقي :

رواية الشيخ الإمام العالم شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن الفقيه أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن عيسى بن محمد بن زياد العبدري سماعا منه.

رواية الفقير إلى رحمة الله تعالى أبي بكر بن عمر بن عبد الله بن صالح القرشي سماعا منه.

ــ تحت هاتين الروايتين كتب صاحب النسخة ــ نقلا حرفيا ــ إجازة المؤلف

في أصل شيخه العبدري :
«شاهدت في أصل الشيخ الفقيه العالم الأمين شمس الدين أبي عبد الله محمد المسمع المذكور ما حكايته بخط المصنف المذكور حرفا بحرف قرأ علي جميعه الفقيه الجليل النبيه الزكي الأصيل أبو عبد الله محمد بن الفقيه الأجل الكاتب أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن عيسى بن محمد بن زياد العبدري حفظه الله وأعانه على طاعته وتقواه فليروه عني بذلك إن شاء الله نفعنا الله وإياه. قاله سليمان بن موسى ابن سالم الكلاعي وكتب بخطه في شهر رمضان المعظم سنة تسع وعشرين وستمائة والحمد لله كثيرا. نقله كذلك كما شاهده على هيأته هذه فقير رحمة ربه أبو بكر بن عمر بن عبد الله بن صالح القرشي في الثامن عشر من شهر ربيع الآخر من سنة إحدى وخمسين وستمائة. والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه. وحسبنا الله ونعم الوكيل»[7].

ـ تحت هذه الإجازة وبخط القرشي نجد «ملحق جميعه وهو صحيح كتبه أبو بكر بن عمر بن عبد الله بن صالح القرشي حامدا مصليا مسلما»[8].

ـ في الصفحة الأخيرة من المخطوط كتب صاحب النسخة طريقة أخذه لهذا التأليف عن شيخه العبدري بخط شرقي جميل وواضح، ونص على نوعية هذا الأخذ كما أثبت مكانه وزمانه موثقا بذلك لهذه النسخة :

«قرأت جميع هذا الكتاب وهو كتاب «**جهد النصيح وحظ المنيح من مساجلة أبي العلاء المعري في خطبة الفصيح**» إنشاء الشيخ الفقيه الأجل الخطيب الإمام المحدث الأوحد العلامة الأحفل أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي رحمه الله على الشيخ الفقيه العالم الفاضل الأوحد البارع الأمين شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الفقيه الأجل الكاتب أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن عيسى بن محمد بن زياد العبدري أدام الله توفيقه وأرشد إلى كل خير طريقه وهو ينظر في أصله الذي منه نقل لي ويعارض به، وصح وثبت بالقاهرة المحروسة بالمدرسة المستجدة الصالحية قدس الله روح منشئها في مجالس آخرها

(7) الورقة 69 **جهد النصيح**.

(8) الورقة 69 **جهد النصيح**.

الثامن عشر من شهر ربيع الآخر من سنة إحدى وخمسين وستمائة، وكانت قراءتي على المسمع المذكور لجميع هذا الكتاب المذكور بحق سماعه لجميعه من المصنف المذكور حسبما ذكر في طبقة سماعه المنقولة من أصله في أول هذا الكتاب وصح وثبت كتبه فقير رحمة ربه أبو بكر بن عمر بن عبد الله بن صالح القرشي في التاريخ المذكور مصلح إلي وهو صحيح والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه، وحسبنا الله ونعم الوكيل»[9].

ـ تحت هذا نجد توقيع العبدري بخطه الأندلسي كتب فيه :
«صح كله وكتبه محمد بن أحمد بن أبي بكر العبدري حامدا لله تعالى ومصليا على نبيه محمد ومسلما تسليما كثيرا»[10].

ـ تمتاز هذه النسخة بكونها كاملة خالية من الخروم، وإن وجدت فيها بعض الكلمات غير واضحة الرسم، وفي الورقة 140 طمس في الجانب الأيسر ببعض الجهد والاعتماد على النص وطبيعته استطعت تكميلها إلا ما كان من بعض الألفاظ تعذر تخمينها.

ثالثا : تحقيق النص :

ـ وردت في التأليف بعض الكلمات التي سقطت أثناء النسخ فاستدركها الناسخ وكتبها على طرة الكتاب وكذلك بعض الكلمات والجمل التي فات الناسخ استدراكها فأثبتها المصحح على جوانب الكتاب فوضعتها في أماكنها من النص، وجعلتها بين معقوفتين [ ] وعليها رقم أشرت في الهامش إلى تصويبها مع إثبات رقم الورقة للاحالة عليها في المخطوط، وكذلك فعلت في رسم بعض الكلمات التي وردت في المتن مكتوبة برسم مخالف.

ـ يعتبر النص المحقق من النصوص الأدبية المتميزة التي تفرض على المحقق الكثير من الدقة والحذر، فمادتها اللغوية متنوعة ومتشعبة تستدعي البحث والتقصي حول أوجه إعرابها وطريقة ضبطها، ثم إن استقصاء المؤلف للأفعال في جميع

---

(9) الورقة 143 جهد النصيح.

(10) نفس المصدر.

صيغها : الماضي والمضارع والأمر، وكذا أوجه الاشتقاقات المختلفة من مصادر وأسماء الفاعلين والمفعولين وأسماء المكان والزمان والهيئة والمرة. كل ذلك حتم علي ضبط النص بالشكل التام وإثبات الحركات المختلفة إذا كان الحرف مما يجوز فيه هذا الاختلاف.

ـ الظاهرة البارزة التي تلفت الانتباه في هذا التأليف طريقة بنائه القائمة على نوع من الإسهاب والشرح وتشعب الكلام وشحنه بالأمثال والأشعار والأحاديث والآيات القرآنية، ولا أكون مغالية إذا قلت إن الآيات كانت تسيل مع قلم المؤلف صريحة أو مضمنة بالإضافة إلى ما ألزم به نفسه في هذا التصنيف إذ أنهى كل باب من أبوابه الثلاثين بآية قرآنية، فخرجت الصريح من هذه الآيات وأشرت إلى أرقامها وسورها في الكتاب العزيز وجعلتها بين مزدوجتين « »، أما المضمنة فوضعت لها أرقاما أشرت في الهامش إلى سورها.

ـ وتأتي الأحاديث النبوية التي تحتل مكانا بارزا في التصنيف ولا غرو في ذلك، فأبو الربيع الكلاعي أكبر حفاظ الحديث في عصره، وأحد أعلام هذا العلم البارزين الذين كانت تشد إليهم الرحلة، فمن الطبيعي أن تظهر ثقافته في العلوم الدينية بصفة عامة وعلوم الحديث بصفة خاصة، فوضعت الأحاديث الواردة في المتن بين 〈 〉.

ـ ثم تأتي الأمثال والتي فرضها موضوع التأليف فرضا كالباب السابع والعشرين (باب ما جرى مثلا أو كالمثل) فوضعتها بعد تمييزها بين قوسين ( ) أشرت في هوامش التحقيق إلى شرح كلماتها ومضامينها وأوجه استعمالها ومضانها في كتب الامثال كمجمع الامثال للميداني، وفصل المقال لأبي عبيد البكري.

ـ أما الاشعار والأراجيز فبلغ عددها 52 بيتا كتبت تحت كل بيت وبين معقوفتين [البحر]. لم يشر المؤلف إلى قائلها إلا في موضعين[11]. وإذا كانت النماذج الشعرية المنتقاة يغلب عليها الطابع الشرقي، فإنها لم تخل من أشعار أندلسية ذات صبغة محلية، فقد استشهد أبو الربيع الكلاعي بأشعار للسميسر وللرصافي الرفاء، وقد حاولت جهد الاستطاعة أن أرد هذه الأشعار إلى قائليها في هوامش

(11) النابغة ص 10، والأعور الشني ص 58.

التحقيق فأصبت بعضها وتعذر علي تخريج بعضها ونسبته لقائليه، وأحيانا يلمح المؤلف إلى أشعار لا يذكرها وإنما يذكر قائلها ويشير إلى موضوعها، فخرجت إشاراتها في الهامش وأوردت الأبيات[12]. كما نجده أحيانا يعمد إلى شطر بيت فيضمنه جمله المسجوعة[13]، فأشرت في الهامش إلى البيت وقائله.

ـ أما الاعلام وأسماء الأماكن والبلدان فالطابع الغالب عليها هو الشهرة، ولذلك لم أحل في هوامش التحقيق إلى التعريف بها عملا بالقول «المعروف لا يعرف»، فاقتصرت على التعريف بما وردت فيه إشارة غامضة تستدعي شرحها وتعريف القارىء بها أو ما ورد فيه الاسم منفردا فأشرت إلى التعريف به دفعا لكل لبس، ووضعت فهرسا بأسماء الاعلام وآخر بأسماء الأماكن والبلدان.

لن أدعي أن هذه الدراسة رائدة في هذا الموضوع، فقد سبقت الإشارة إليه في مؤلفين : الأول «**الدرسات اللغوية في الأندلس**»، إذ خصص مؤلفها رضا عبد الجليل الطيار فصلا للشروح اللغوية ذكر فيها شرح «**الفصيح**»، فعدد منها شرح ابن هشام اللخمي وشرح الفهري، وفصل الحديث عنهما، وذكر شروحا أخرى للفصيح اكتفى بذكر الاعلام، كأبي العباس التدميري، وأبي الحسن البلنسي، وابن صاف اللخمي، وابن عديس القضاعي، وأبي بكر بن طلحة الاشبيلي، وأبي إسحاق الفهري البونسي.

والمؤلف الثاني : الدراسة التي مهد بها الدكتور عاطف مدكور لتحقيقه الفصيح حيث ذكر في الباب الثاني من شروح الفصيح جملة من الشراح الأندلسيين ووقف كسابقه عند شرح ابن هشام اللخمي وشرح الفهري، كما ذكر جملة ممن نظم الفصيح. ولم يشر إطلاقا لمن ألف فيه.

إلا أن هذه الدراسة قد تعتبر أول دراسة متخصصة في مجال الأدب الأندلسي لأنها اهتمت بكل الجوانب التي شملت عناية الأندلسيين بهذا الكتاب ابتداء من انتقاله من المشرق إلى الأندلس وروايته وطرق إسنادها إلى شرحه ونظمه وتأليفه.

كما أنها كشفت عن مخطوطين في شرح الفصيح لم تكشف عنهما أي دراسة

---

(12) كبيت عدي بن زيد العبادي ص 13، وأبيات عمرو بن الاطنابة ص 204.

(13) ص 70 وص 99.

سابقة. **المخطوط الأول** هو **«التصريح بشرح غريب الفصيح»** لأبي العباس التدميري، وكانت الدراسات السابقة تشير فقط إلى اسم الشرح ونسبته لأبي العباس وترجمته لحياته مختصرة، وجاءت هذه الدراسة لتوضح محتوى هذا الشرح بجانب الشروح الأخرى. **والمخطوط الثاني** هو **«لباب تحفة المجد»** وهو شرح مختصر لتحفة الفهري اللبلي، لم تشر إليه الدراسات السابقة.

لم تهمل هذه الدراسة الشروح المفقودة، وإنما حاولت التنقيب ولو عن بعض ملامحها المبثوثة في مصادر أخرى، كشرح : مكي ابن أبي طالب القيسي، وابن السيد البطليوسي وأبي بكر طلحة الاشبيلي.

اعتمدت في هذه الدراسة في الجزء المتعلق بثعلب وكتاب **الفصيح** على الدراسة القيمة للدكتور عاطف مدكور، والتي تقدم بها لنيل أطروحة دكتوراه الدولة ــ حول الفصيح لثعلب دراسة وتحقيق ــ وفيما بقي من هذا العمل كان اعتمادي على كل ما استطعت الوصول إليه، ومن الصعب سرد أسماء المصادر والمراجع التي استعنت بها، ولكن أشير إلى أنواع هذه المصادر منها المخطوطة والمطبوعة، فاستعنت بكتب التراجم الأندلسية منها على الخصوص **كالصلة والتكملة وصلة الصلة والذيل والتكملة وعنوان الدراية والإحاطة»**. وكتب التراجم والفهارس، كفهرسة ابن خير، وبرنامج الرعيني والوادي آشي والتجيبي وابن أبي الربيع الاشبيلي والفهري اللبلي. وكتب الأدب والمنتخبات كالذخيرة ونفح الطيب وأزهار الرياض، والدواوين الشعرية كديوان ابن خفاجة وديوان ابن الزقاق والتطيلي وابن الأبار وحازم القرطاجني وغيرهم. واعتمدت المؤلفات الأندلسية المؤلفة في القرن السابع الهجري كمؤلفات أبي الربيع الكلاعي ومؤلفات ابن الأبار. ورسائل أبي المطرف ابن عميرة ورسائل ابن الجنان. ومن الدراسات الحديثة دراسات الدكتور إحسان عباس والدكتور محمد رضوان الداية، والدكتور محمد بن شريفة، والدكتور ألبير حبيب مطلق، ورضا عبد الجليل الطيار، والدكتور عاطف مدكور. ورجعت إلى العديد من المصادر المشرقية كمؤلفات ابن قتيبة والجاحظ وابن السكيت والثعالبي والمبرد، والدواوين الشعرية الجاهلية والمفضليات والاصمعيات ودواوين الشعراء الإسلاميين والأمويين والعباسيين. وباختصار استعنت بكل ما وصلت إليه يدي من مصادر ومراجع مشرقية وأندلسية في كل ما من شأنه أن يلقي الضوء على جانب من جوانب هذه الدراسة سواء أكانت دراسات قديمة أو حديثة وما ألف

في مجال الأدب الأندلسي من رسائل وأطروحات جامعية، خصصت فهرسا لها في آخر هذه الدراسة.

وأخيرا، هذا عمل قصدت به الكشف عن جانب صغير من جوانب الحياة العلمية في الأندلس وخاصة في شرقه قبيل سقوطه في أيدي المسيحيين، ووفاء لأبي الربيع الكلاعي الذي قضى حياته مجاهدا بالسيف والقلم فأعطى بذلك الصورة المثلى لما كان عليه العالم الأندلسي وسيظل دوما قدوة لكل العلماء العاملين المجاهدين في كل العصور حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وقد توخيت فيه الجد في العمل والصدق في البحث وحسن النية، فإن أصبت فلي أجر المصيب، وإن أخفقت فكفاني حسن النية وإنما الأعمال بالنيات. وأقول ما قاله أبو الربيع قبلي :

«نسأل الله معونة تتسدد بها هذه الألسن، ولا تتردد معها إلا فيما يحسن إنه لا يضيع أجر المحسنين».

التمهيد

عرفت الأندلس ــ وعلى مرور الأيام ــ اهتماما بالغا بالتراث العربي والإسلامي الوارد من الشرق، فكان هذا الشرق منبع الثقافات وأصل الحضارة العربية في الأندلس، وكان طبيعيا أن تستمر علاقة الترابط متينة بين الأندلس والمشرق فكريا وحضاريا وعمرانيا، وتحدثنا كتب التراجم والمنتخبات عن سير حركة التنقل بين شرق العالم الإسلامي وغربه، وترجم المقري في «**النفح**» لعدد هائل من هؤلاء المهاجرة السائرة في الاتجاهين، والتي دعمت العلاقة المتينة القائمة بين المشرق والمغرب، وكان من نتائجها انتقال سيل التراث العربي وصبه في البيئة التعليمة الأندلسية، هذه البيئة التي عرفت في مراحلها الأولى اهتماما شديدا بعدد من المؤلفات والدواوين الشعرية وكتب اللغة والنحو، وعرف علماؤها ولوعا شديدا بكل إنتاج يظهر في المشرق، فعملت رحلات الحج على توطيد هذه العلاقة وتمتين الاتصال بما كان يحمله الحجاج في عودتهم إلى أوطانهم من كتب وأسفار تتيح للأندلسيين الحفاظ على الصلة العلمية بالمشرق، وكانت الكثير من المؤلفات المشرقية تصل في حينها إلى الأندلس وفي حياة مؤلفيها وعلى أيدي مشارقة وافدين على الأندلس كأبي علي القالي وأبي الفضل البغدادي وغيرهما..

والذي يهمنا في هذه الدراسة التعرض إلى الكتب المشرقية التي فرضت نفسها في الأندلس، وأصبحت من المقررات الدراسية فيها وعبر عصورها المختلفة، تكونت بذلك النواة الأساسية للثقافة العربية الأندلسية، وبالرجوع إلى كتب الفهارس والبرامج سنجد أن الغلبة فيها كانت لكتب اللغة والنحو والدواوين الشعرية، فبالإضافة إلى الشعر الجاهلي والذي كان المعين الأول للدراسات في الأندلس، نلاحظ اهتماما بشعر الإسلاميين والأمويين والعباسيين فكان العلماء والمؤدبون يتولون تدريس الأشعار الستة الجاهلية وأشعار مسلم بن الوليد وأبي نواس وبشار وأبي تمام والبحتري وأبي العتاهية وبلغ اهتمامهم أقصاه بشعر المتنبي وأبي العلاء المعري.

وعرفت الحركة التعليمية في بداية مراحلها اهتماما خاصا بكتب النحو واللغة، كالأصول لأبي بكر بن السراج، والجمل للزجاجي، والكافي، والمقنع لأبي النحاس، والإيضاح للفارسي. ومن كتب اللغة : الكامل للمبرد، والنوادر للقالي، ومؤلفات الجاحظ خاصة البيان والتبيين، والألفاظ، وإصلاح المنطق لابن السكيت، ومؤلفات ابن قتيبة خاصة أدب الكاتب، والأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكتب أبي زيد الأنصاري، ومجالس ثعلب وفصيحه. وعرفت هذه المؤلفات حركة ثقافية واسعة ظهرت في كثرة الشروح والتذييلات التي قام بها الأندلسيون. والذي يهمنا منها في هذا المجال كتاب «الفصيح» لثعلب، إذ هو محور هذه الدراسة. فما السر في انتشار هذا الكتاب ولم أكتسب هذه الأهمية البالغة ؟

للجواب على هذا السؤال يمكن إرجاع ذلك لسببين أساسيين :

1 ــ **صغر حجمه** : فقد عرفت المؤلفات اللغوية في القرن الثالث الهجري نوعا من التوسع والتطويل، وألفت فيها كتب تميل إلى الاطناب والاستقصاء والاستطراد، وحشد أقوال وشروح العلماء ورواة اللغة والإتيان بالشواهد، ككتب الفراء، وإصلاح المنطق لابن السكيت، والكامل للمبرد وغيرها.. بينما اقتصر «الفصيح» على إيراد مادته مختصرة موجزة خالية من الشروح إلا في القليل النادر، ومقتصرة على ما كان شائعا في عصر المؤلف وبيئته. فهو كتاب تعليمي وضع للمتعلمين في حجم صغير يسهل عليهم حفظه واستيعابه، وتكون مادته محور الدرس اللغوي والأدبي في مجالس التعليم، يقوم المؤدب بشرح المادة وسرد أقوال العلماء فيها، والإتيان بالشواهد عليها، فيصبح شرح اللفظ الواحد من ألفاظ «الفصيح» مادة تعليمية غنية تتسع فتشمل اللغة والنحو والصرف والشعر والعروض والبلاغة والقرآن والحديث...

2 ــ **مادته** : على صغر حجمه توفر «الفصيح» على مادة لغوية مكثفة عرضت عدة قضايا هامة يمكن إجمالها في : قضايا صرفية، وقضايا صوتية، وقضايا دلالية.

* **القضايا الصرفية** : وهي مباحث في الفعل، خصص لها تسعة أبواب وشملت أوزان الأفعال المختلفة وصيغها في الأزمنة الثلاثة وما كان منها متصرفا أو غير متصرف، ومباحث أخرى في المصادر والأسماء والصفات المذكر منها والمؤنث، وخصص لها تسعة عشر بابا.

- **القضايا الصوتية** : واهتم فيها بالهمزة لأن العامة تميل إلى حذفها تيسيرا للنطق وتخفيفا، وخصص لها بابين : بابا خاصا بالمهموز من الأفعال، وبابا خاصا بالمهموز من الأسماء.
- **القضايا الدلالية** : وتجلت في بعض الألفاظ المعربة الواردة في «الفصيح» والتي اكتسبت مع مرور الزمان رواجا على اللسان العربي حتى أصبحت جزءا من اللغة العربية المستعملة. وتجلت في باب الفرق وهو الباب الأخير وضح فيه الفروق بين أسماء الأعضاء عند الإنسان وعند الحيوان.

هذه المادة كانت هي محور الدرس الأدبي في الأندلس، لذلك لا نعجب لاهتمام الأندلسيين بها رواية استمرت حتى سقوط الأندلس وحافظوا على سندهم في ذلك ونصوا عليه في برامجهم وفهارسهم ومشيخاتهم. ولا نعجب أيضا لكثرة الشروح المؤلفة عليها، فلكل شيخ طريقته في الشرح، وكل منهم يستفيد من شروح سابقيه ويضيف إليها من علمه ومعرفته، فتعددت هذه الشروح وتلونت عبر العصور حتى بلغت ذروتها في القرن السابع الهجري، وظهرت في أكثر الأشكال اتساعا وإحاطة وشمولا واستقصاء وتوثيقا وضبطا على يد أبي جعفر الفهري اللبلي في «**تحفة المجد الصريح**».

ولم يقف اهتمامهم بهذا الكتاب عند هذا الحد، وإنما تعداه إلى مجال النظم، فنظم بعضهم مادة الكتاب في منظومات تعليمية، القصد منها تسهيل الحفظ على المتعلمين. كما اهتم بعض أدبائهم بالتأليف حول هذه المادة، فألف أبو القاسم الكلاعي «**خطبة الفصيح**» وألف أبو الربيع «**جهد النصيح**» وهو موضوع التحقيق والدراسة.

البـاب الاول

كتـاب فصيـح ثعلـب

الفصل الأول

التعريف بثعلب[1] ومؤلفاته

ثعلب[2] هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني ـ بالولاء ـ أبو العباس النحوي المشهور بثعلب، ولد ببغداد سنة 200هـ، ونشأ في أسرة فقيرة ـ انتمت بالولاء إلى بني شيبان من بكر بن وائل ـ واستطاعت هذه الأسرة أن تهيء لثعلب حياة علمية اختلف فيها إلى عدد من كبار العلماء في عصره، فأخذ علوم الأوائل من أشعار وقراءات وأخبار ونوادر ولغة عن :

ـ أبي عبد الله محمد بن زياد الاعرابي (ت 231هـ).

ـ أبي نصر أحمد بن حاتم (ت 231هـ) أخذ عنه علوم الاصمعي.

ـ علي بن المغيرة الأثرم (ت 232هـ) أخذ عنه علوم أبي عبيدة.

ـ عمرو بن إسحاق بن مرار السجستاني (ت 231هـ).

ـ محمد بن سلام الجمحي (ت 232هـ).

ـ الزبير بن بكار (ت 256هـ).

ـ عمر بن شبة (ت 262هـ).

وأخذ علوم الحديث عن :

ـ عبيد الله بن عمر القواريري أخذ عنه مائة ألف حديث[3].

---

(1) انظر مصادر ترجمته في ص 19 «الفصيح» تحقيق ودراسة عاطف مدكور.

(2) أحد النحاة الثعالبة الثلاثة، وثانيهم محمد بن عبد الرحمان النحوي البصري، وثالثهم محمد ابن عبد الله بن أبي بشر الهروي.

(3) إنباه الرواة : 139/1.

وأخذ علوم النحو عن تلامذة الفراء :

ــ أبي عبد الله الطوال (ت 243هـ).

ــ محمد بن قادم (حوالي 51هـ).

ــ سلمة بن عاصم (تلميذا للفراء).

اختلف ثعلب إلى دروسهم وهو في السادسة عشرة من عمره، وفي ذلك يقول : «طلبت العربية واللغة في سنة ست عشرة ومائتين، وابتدأت بالنظر في حدود الفراء وسني ثمان عشرة سنة، وبلغت خمسا وعشرين سنة وما بقي علي مسألة للفراء إلا وأنا أحفظها وأحفظ موضعها من الكتاب، ولم يبق شيء من كتب الفراء في هذا الوقت إلا قد حفظته»(4).

وفي هذه السن المبكرة أصبح ثعلب أستاذا يختلف الناس إلى مجلسه للسماع عليه. «قال المفضل بن سلمة بن عاصم الضبي : رأس أبو العباس أحمد بن يحيى ابن ثعلب النحوي واختلف الناس إليه في سنة خمس وعشرين ومائتين»(5).

روى عنه عدد من العلماء المشاهير كمحمد بن العباس اليزيدي، وعلي بن سليمان الأخفش، وإبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي، وأبو بكر ابن الأنباري، وعبد الرحمان بن الزهري، وأبو عمر الزاهد المشهور بالمطرز والملقب بغلام ثعلب لملازمته له مدة طويلة، ومجموعة أخرى سأذكرها عند الحديث عن رواة الفصيح دفعا للتكرار.

اشتهر ثعلب بالثقة والحجة وقوة الحفظ وصدق اللهجة والمعرفة برواية الشعر القديم حتى كان مرجعا لشيوخه على حداثة سنه، فكان أبو عبد الله الأعرابي إذا شك في شيء يسأله عنه لغزارة حفظه، وعندما تصدر للاقراء كان كثير الرواية عن الكسائي والفراء، ولما كان ثعلب كوفيا وكانت علومه مستمدة من مصادر لم تعرف الفلسفة ولا الجدل ولا المنطق ــ على خلاف ما كان شائعا عند البصريين ــ فقد كان من الصعب عليه أن يعلل ويحاج إذا ما سئل عن ذلك فقيل عنه : «كان ثعلب يدرس كتب الفراء والكسائي درسا فلم يكن يعلم مذهب

---

(4) إنباه الرواة : 139/1.

(5) المصدر نفسه : 142/1.

البصريين ولا مستخرجا للقياس ولا طالبا له، وكان يقول : قال الفراء وقال الكسائي، فإذا سئل عن الحجة والحقيقة لم يأت بشيء»[6] .

ولعل هذا الجانب هو الذي ضخم الفرق بين ثعلب وبين عالم معاصر له هو أبو العباس أحمد بن يزيد النحوي المشهور بالمبرد، زعيم البصريين الذي انتقل إلى بغداد بعد قتل المتوكل، ولزم نفس المسجد الذي كان ثعلب يلقي به دروسه، وكان المبرد حسن المحاضرة كثير الاخبار والرواية والنوادر، محيطا بمذهب البصريين، يعمد في مناقشة دروسه إلى الجدل والقياس، فنشر منهجا جديدا على طلبة العلم في بغداد فشدهم إلى محاضراته بحسن عباراته وفصاحة منطقه وسعة نفسه وحلمه في مواجهة الطلاب والمتناظرين ـــ على عكس ثعلب الذي كان عصبيا ضيق المزاج ـــ[7] فانفض عدد كبير من تلامذة ثعلب من حوله وتحلقوا حول المبرد، فنشأ نوع من الصراع بينهما «فأضحت الخصومة بين الرجلين يغذيها عاملان : عامل التعصب المذهبي إذ كان ثعلب كوفيا وكان المبرد بصريا، وعامل الموجدة الشخصية وقد انحاز إلى ثعلب أنصار وأشياع، وانحاز إلى المبرد أنصار وأشياع، مما جعل بغداد تبدو وكأنها معركة لغوية اشتعلت حرارتها بين ثعلب والمبرد وأنصار كل منهما»[8].

لم تكن هذه المنافسة العلمية لتقطع صلة الزمالة بين الرجلين فقد اجتمعا في مجالس علمية متعددة، وكانا إذا التقيا في الطريق تواقفا وتسالما وتساءلا، وكان المبرد يقول عن ثعلب : «أعلم الكوفيين ثعلب. فذكر له الفراء فقال : لا يعشره»[9].

توفي المبرد سنة 285هـ وعاش ثعلب بعده حتى توفي سنة 291هـ.

مؤلفاته :

خلف ثعلب مؤلفات كثيرة تربو على الأربعين مؤلفا ما بين كتب لغة ونحو

---

(6) القفطي في **إنباه الرواة** : 144/1.

(7) انظر ما حدث له مع يعقوب بن السكيت في **إنباه الرواة** : 148/1.

(8) **الفصيح**، ص 28.

(9) **إنباه الرواة** : 142/1.

وأمثال ودواوين وشروح. وعلى غزارة هذا الإنتاج لم يسلم منه إلا عدد قليل. ومن مؤلفاته :

1. المصون : إنباه الرواة : 150/1.
2. اختلاف النحويين : الفهرسة : 74، إنباه الرواة : 150/1، وفيات الأعيان : 84/1، معجم المؤلفين : 203/2، بغية الوعاة : 396/1.
3. معاني القرآن : الفهرست : 74، إنباه الرواة : 150/1، ابن خلكان: 84/1، بغية الوعاة : 396/1، معجم المؤلفين : 203/2، الاعلام : 252/1، بروكلمان : 213/2.
4. الموفقي[10] في مختصر النحو : الفهرست : 74، إنباه الرواة : 150/1، ابن خلكان : 84/1.
5. ما تلحن فيه العامة : إنباه الرواة : 150/1، وفيات الأعيان : 84، الاعلام : 252/1.
6. القراءات : الفهرست : 74، إنباه الرواة : 150/1، وفيات الأعيان : 84/1، شذرات الذهب : 307/2.
7. معاني الشعر : الفهرست : 74، إنباه الرواة : 138/1، وفيات الأعيان : 84/1، بغية الوعاة : 396/1، معجم المؤلفين : 203/2، الاعلام : 252/1.
8. التصغير : الفهرست : 74، إنباه الرواة : 150/1، وفيات الأعيان : 84/1.
9. ما ينصرف وما لا ينصرف : الفهرست : 74، إنباه الرواة : 151/1، وفيات الأعيان : 84، معجم المؤلفين : 203/2.
10. ما يجري وما لا يجري : الفهرست : 74، إنباه الرواة : 151/1، وفيات الأعيان : 84/1.
11. الشواذ : الفهرست : 74، إنباه الرواة : 151/1، الاعلام : 252/1.
12. الإيمان : إنباه الرواة : 151/1، وفيات الأعيان : 84/1.

---

(10) نسبة إلى الموفق بالله بن المتوكل بن المعتصم أخي الخليفة المعتمد، وكان قد أجرى رزقا سنيا لثعلب، توفي سنة 278هـ.

13. الامثال : الفهرست : 74، إنباه الرواة : 151/1، ابن خلكان : 84/1.
14. استخراج الألفاظ من الأخبار : الفهرست : 74، إنباه الرواة : 151/1، وفيات الأعيان : 84/1.
15. الهجاء : الفهرست : 74، إنباه الرواة : 151/1، وفيات الأعيان : 84/1.
16. الأوسط في النحو : إنباه الرواة : 151/1، الفهرست : 74، ابن خلكان : 84/1.
17. إعراب القرآن : إنباه الرواة : 151/1، ابن خلكان : 84/1، شذرات الذهب : 207/2.
18. المسائل : الفهرست : 74، إنباه الرواة : 151/1، وفيات الأعيان : 84/1، بغية الوعاة : 396/1، معجم المؤلفين : 302/2.
19. تفسير كلام ابنة الخس : الفهرست : 74، إنباه الرواة : 151/1، وفيات الأعيان : 84/1.
20. حد النحو : الفهرست : 74، إنباه الرواة : 151/1، وفيات الأعيان : 84/1.
21. المجالس : الفهرست : 74، إنباه الرواة : 151/1، وفيات الأعيان : 84/1، نشر محققا ومشروحا سنة 1948 بعناية عبد السلام هارون وأعيد نشره في دار المعارف في سلسلة ذخائر العرب سنة 1956.
22. الوقف والابتداء : الفهرست : 74، إنباه الرواة : 138/1، وفيات الأعيان : 84/1، بغية الوعاة : 396/1.
23. الأبيات السائرة : بروكلمان : 213/2.
24. الألفاظ : ابن خلكان : 84/1.
25. غريب الحديث : بروكلمان : 213/2.
26. قواعد الشعر : طبع بالقاهرة بتحقيق رمضان عبد التواب.
27. غريب القرآن : الفهرست : 74.
28. مجاز الكلام وتصاريفه : 393/1، بروكلمان : 213/2.
29. الفصيح : الفهرست : 74، البغية : 396/1، شذرات الذهب : 207/2، بروكلمان : 210/2.

الدواوين التي صنعها :

1. ديوان النابغة الجعدي : الفهرست : 74.
2. ديوان النابغة الذبياني : الفهرست : 74.
3. ديوان الطرماح : الفهرست : 74.
4. ديوان طفيل الغنوي : الفهرست : 74.
5. ديوان عروة بن حزام : توجد منه نسخة[11] مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم : 5077.
6. ديوان الأعشى : طبع بعناية رودلف جاير، ونشر للمرة الأولى سنة 1928م، وأعيد طبعه ونشره سنة 1950م بشرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين.
7. ديوان ابن الدمينة : صنع ثعلب القسم الأول منه، ويضم 55 قطعة وصنع محمد بن حبيب (ت 275هـ) القسم الثاني ويضم 6 مقطوعات، نشر الديوان بشرح وتحقيق أحمد راتب النفاح سنة 1959 بالقاهرة.
8. ديوان أعشى باهلة : الخزانة : 1/9، 91.
9. ديوان رافع بن هريم اليربوعي : الخزانة : 2/278.
10. شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : طبع بالقاهرة 1944م.
11. شرح لامية الشنفري : بروكلمان : 2/213.
12. شرح قصيدة كعب «بانت سعاد» : بروكلمان : 2/213.
13. شرح قصيدة لعمار بن عقيل بن بلال بن جرير : توجد منها نسخة بدار الكتب رقم : 166[12].

---

(11) **الفصيح**، ص 36.

(12) **الفصيح**، ص 37.

الفصـل الثاني

كتاب الفصيح

تـعـريفــه :

يعد «الفصيح» أحد الكتب التي ألفت في القرن الثالث الهجري يهدف تقويم اللسان العربي وتنقية اللغة الفصيحة مما شابها من لحن أو أخطاء. وهو كتاب موجه للمتعلمين، جمع فيه ثعلب الكلمات التي وردت مشوهة أو محرفة عن أصولها على ألسنة الناس أو في كتبهم وأثبتها على صورتها الفصيحة، ويجوز أن يكون للكلمة لغة أو لغتان أو أكثر فيقتصر على ذكر أفصحها، وإذا تساوتا في الفصاحة ذكرهما معا. قال ثعلب في مقدمة تأليفه : «هذا كتاب اختيار فصيح الكلام مما يجري في كلام الناس وكتبهم، فمنه ما فيه واحدة والناس على خلافها فأخبرنا بصواب ذلك، ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك فاخترنا أفصحهن، ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا فلم تكن إحداهما أكثر من الأخرى فأخبرنا بهما»[1].

منـهـجــه :

قسم الكتاب إلى ثلاثين بابا.

من الباب الأول إلى الباب التاسع : **مباحث في الفعل** :

1. باب فَعَلْتُ بفتح العين.
2. باب فَعِلْتُ بكسر العين.
3. باب فعلت بغير ألف.
4. باب فعل بضم الفاء.

---

(1) **الفصيح**، ص 260.

5. باب فعلت وفعلت باختلاف المعنى.
6. باب فعلت وأفعلت باختلاف المعنى.
7. باب أفعل.
8. باب ما يقال بحرف الخفض.
9. باب ما يهمز من الفعل.

الباب العاشر والحادي عشر ؛ **في المصادر** :

10. باب المصادر.
11. باب ما جاء وصفا من المصادر.

من الباب الثاني عشر إلى الباب السادس والعشرين : **في الأسماء والصفات** :

12. باب المفتوح أوله من الأسماء.
13. باب المكسور أوله.
14. باب المكسور أوله والمفتوح باختلاف المعنى.
15. باب المضموم أوله.
16. باب المضموم أوله والمفتوح باختلاف المعنى.
17. باب المكسور أوله والمضموم باختلاف المعنى.
18. باب ما يثقل ويخفف باختلاف المعنى.
19. باب المشدد.
20. باب المخفف.
21. باب المهموز.
22. باب ما يقال للمؤنث بغير هاء.
23. باب ما أدخلت فيه الهاء من وصف المذكر.
24. باب ما يقال للمذكر والمؤنث بالهاء.
25. باب ما الهاء فيه أصلية.
26. باب منه آخر.

الباب السابع والعشرون : خصصه للأمثال.

الباب الثامن والعشرون : ما يقال بلغتين.

الباب التاسع والعشرون : حروف منفردة.

الباب الثلاثون : من الفرق.

محتــواه :

ـــ تناول ثعلب في كتابه قضية الفصيح في اللغة وما يجب على المتعلم إدراكه واستعماله، فتعرض لعدة قضايا تبدو في تضاعيف أبواب الكتاب منها قضايا صوتية[2]، وقضايا دلالية[3]، وقضايا صرفية[4].

ـــ في الأبواب المتعلقة بالأفعال قد يورد الفعل في صيغة الماضي والمضارع، وقد يأتي باسم الفاعل أو بالمصدر منه، إلا أنه لا يلتزم بذلك في كل الأفعال كقوله : «وهلك الرجل وغيره يهلك، وعطس يعطس، ونطح الكبش ينطح، ونبح الكلب ينبح، ونحت ينحت، وجف الثوب وكل شيء رطب يجف، ونكل عن الشيء ينكل، وكللت من الإعياء أكل كلالا وكلولا، وكل بصري كلولا وكلة، وكذلك السيف، وهو كال وفي كله يكل، وسبحت أسبح، وشحب لونه يشحب، وسهم وجهه يسهم إذا تغير، وولغ الكلب في الإناء يلغ ويولغ»[5].

ـــ لم يلتزم بإيراد الفعل في صيغة الماضي والمضارع في كل الأبواب، فمثلا في الباب الثالث وهو «باب فعلت بغير ألف» نلاحظ أنه يدرج مضارع بعض الأفعال ويغفل بعضها الآخر كقوله : «ونبذت النبيذ، ورهنت الرهن، وخصيت الفحل، وبرئت إليك من الخصاء الوجاء، ونعشت الرجل فأنا أنعشه، وحرمت الرجل عطاءه أحرمه».

ـــ يذكر الفعل في الماضي والمضارع ويأتي منه باسم المفعول فقط كباب «فعل بضم الفاء» كقوله : «عنيت بحاجتك بضم أوله، أعني بها، وأنا بها معني، وقد أولعت بالشيء، أولع به وأنا مولع به، وقد بهت الرجل يبهت فهو مبهوت». ثم

---

(2) باب ما يهمز من الفعل، ص 278، باب المهموز من الأسماء، ص 306 من **الفصيح**.

(3) تعرض للألفاظ المعربة وخصص بابا للفرق، ص 321 من **الفصيح**.

(4) كأوزان الأفعال وصيغ المشتقات وأسماء الأفعال وأبنية الأسماء والمذكر والمؤنث.

(5) باب فعلت بفتح العين، **الفصيح**، ص 261.

بعد هذا مباشرة يغفل صيغة المضارع فيأتي بالفعل واسم المفعول منه فقط كقوله : «وقد وُثِئَتْ يده فهي موثوءة، وقد شُغِلْتُ عنك فأنا مَشْغُول، وقد شُهِر في الناس، وقد ذُعِرَ فهو مَذْعُور، وقد طُلَّ دَمُه فهو مَطْلُول : إذا لم يدرك بثأره وأُهْدِرَ فهو مَهْدُور، وقد وُقِصَ الرجل إذا سقط عن دابته فاندقت عنقه فهو مَوْقُوصٌ، وقد وُضِعَ الرجل في البيع يُوضَعُ»(6).

ــ ساق ثعلب في كتابه الكلمات الفصيحة التي كان العامة يلحنون فيها، إلا أنه لم يذكر معها كيف كان الناس ينطقونها إلا في النادر، كقوله : «وهو الحائر لهذا الذي تسميه العامة : الحير، وجمعه حيران وحوران»(7). وقوله : «وهي الأرزبة للتي تقول لها العامة مرزبة»(8). مع العلم أنه أشار في خاتمة تأليفه إلى أنه ألف هذا الكتاب : «على نحو ما ألف الناس ونسبوه إلى ما تلحن فيه العامة»(9)، ومع ذلك فإنه يشير أحيانا إلى أخطاء العامة باستعماله للفظ «لا تقل» أمثلة :

«أَتَانَا بِجِفَانٍ رُذُمٍ وَرَذَمٍ وَلاَ تَقُلْ رِذَمٍ فإنَّه خطأٌ»(10)

«وإذا قيل أُدْنُ فَتَغَدَّ، فقل ما بي تَغَدٍّ، وفي العشاء : مَا بِي تَعَشٍّ، ولا تقل : ما بي غذاء ولا عشاء لأنه الطعام بعينه»(11).

«وتقول : لقيته لَقْيَةً وَلِقَاءَةً وَلُقْيَاناً وَلِقْيَانَةً، ولا تقل : لَقَاةً فإنه خطأٌ»(12).

«وتقول : تلك المرأة ولا يقال : ذيك المرأة فإنه خطأٌ»(13).

«وأطعمنا خُبْزَ مَلَّةٍ وَخُبْزَةً مَلِيلاً، ولا تقل : أطعمنا مَلَّةً لأن المَلَّةَ آلرَّمَادُ

---

(6) الفصيح، ص 269، 270.

(7) نفسه، ص 320.

(8) نفسه، ص 295.

(9) نفسه، ص 323.

(10) نفسه، باب ما يقال بلغتين، ص 314.

(11) نفسه، ص 319.

(12) نفسه، ص 320.

(13) نفسه، ص 316.

وَٱلتُّرَابُ ٱلْحَارُّ»[14].

ـــ الباب السادس والعشرون جعل له عنوانا «باب منه آخر» بعد «باب ما الهاء فيه أصلية». ويتوهم القارىء أن هذا الباب سيأتي فيه ثعلب بأسماء تنتهي بهاء أصلية كسابقه، إلا أن الملاحظ أن المؤلف عرض فيه إلى نوع من المثلثات وبالأخص مادة [غ/م/ر]. وحتى هذه المادة لم يوفها حقها. قال ثعلب :[15]

«تقول في صدره عليه غِمْرٌ : أي حقد، وهو منديل الغَمَرِ. والغُمْرُ من الرجال : الذي لم يجرب الأمور، وهو المُغَمَّرُ أيضا. والغَمْرُ من الماء : الكثير، ومن الرجال : الكثير العطاء، والغُمَرُ : القدح الصغير، والغَمَرات : الشدائد، ورجل مُغَامِر : إذا كان يلقي نفسه في المهالك»[16].

ـــ اهتم بالهمزة فخصص لها بابين : الباب التاسع «باب ما يهمز من الفعل»، والباب الواحد والعشرون «باب المهموز» وخصه بالأسماء المهموزة، ذلك أن العامة اختصارا وتسهيلا للنطق تعمد في غالب الأحيان إلى إهمال الهمزة وإبدالها حرفا لينا : «فالعامة تستثقل الهمزة لأنها أشد الحروف الشديدة فهي كما يقول : «سيبويه» «نبرة في الصدر تخرج باجتهاد». وذلك لأنها صوت ليس بالمجهور ولا بالمهموس وهي أكثر الأصوات الساكنة شدة»[17]. واعتمد ثعلب في النماذج التي ساقها في هذا المجال على حصر بعض الأفعال المهموزة والتي تنطقها العامة لينة، وبين الفرق بين الفعل ذي الحرف المهموز ونفس الفعل ذي الحرف اللين، وأوضح اختلاف المعنى بين الفعلين. أمثلة :

رَقَأَ الدم : انقطع ـــ رَقَى الصبي : جعل له رقية.

---

(14) **نفسه**، ص 318.

(15) **نفسه**، ص 310 «باب منه آخر».

(16) من المعاني التي أغفلها ثعلب في هذه المادة «الغمر بالفتح» : السريع من الخيل، والغَمْر أيضا اسم موضع ذكره الحطيئة في شعره :

أَلاَ كُــلُّ أَرْمَــاحٍ قِصَارٍ أَذِلَّـــةٍ فِدَاءٌ لأَرْمَاحٍ نُصِبْنَ عَلَى ٱلْغَمْــرِ

والغِمْر بالكسر : العداوة. انظر المثلثات لابن السيد البطليوسي تحقيق : صلاح مهدي علي الفرطوسي : 315/2، 320.

(17) **الفصيح**، ص 99.

دَارَأَ : دافع — دَارَى : خاتل.

بَارَأَ : فارق — بَارَى : عارض.

عَبَأَ : صنع — عَبَّى (الجيش) : من التعبئة.

نَكَأَ (الجرح) : قشره قبل أن يبرأ — نَكَى : هزم وغلب (العدو).

في الأسماء المهموزة أورد ثلاثة نماذج :

النموذج الأول : لا يجوز فيه إلا الهمز فقط أمثلة :

شَأْفة — نَأْمَة — تَوْأَم — رُؤْبَة — صِئْبَان.

النموذج الثاني : يجوز فيه الهمز واللين مع اختلاف المعنى : أمثلة :

جَيْئَة : اسم مرة من جاء — جِيَّة : الماء المستنقع.

السُّؤْرُ : ما بقي من الشراب في الإناء.

السُّور : ما يحيط بالمدينة.

النموذج الثالث : ما يجوز فيه الهمز واللين والمعنى واحد :

الأَرَقَان والْيَرَقَان : داء يصيب الزرع والإنسان فيحدث فيهما الاصفرار.

الأَرَنْدَجُ وَالْيَرَنْدَجُ : جلد أسود تصنع من الخفاف.

— أوضح ثعلب الفروق بين أوزان الأفعال فخصص بابا لفعلت وأفعلت باختلاف المعنى، وساق بعض النماذج شارحا لمعنى كل فعل. أمثلة :

شَرَقَت الشمس : إذا طلعت — أَشْرَقَتْ : إذا أضاءت.

عَيِيتُ بالأمر : إذا لم أعرف وجهه — أَعْيَيْتُ من الشيء : تعبت.

هَدَيْت العروس : زففتها إلى زوجها — أَهْدَيْت الرجل : أعطيته هدية.

سَفَرَت المرأة : ألقت خمارها — أَسْفَرَتْ : أضاءت.

صَفَدْت الأسير : شددت وثاقه — أَصْفَدْت الرجل : أعطيته مالا.

لَمَمْتُ : جمعت — أَلْمَمْت : أتيت وزرت.

— وخصص بابا لفعلت وفعلت باختلاف المعنى :

نَقِهْتُ الحديث : فهمته — نَقَهْتُ من المرض : شفيت.

قَرِرْتُ به عينا : سعدت ــ قَرَرْتُ في المكان : مكثت.
مَلِلْتُ من الشيء : ضَجِرْتُ وسئمت ــ مَلَلْتُ الشيء : وضعته في الملة (الرماد الحار).

ــ أغفل المثلثات اللغوية[18] واهتم بالمثنيات، فخصص لها بابين :

أ) باب المضموم أوله والمفتوح باختلاف المعنى :

أمثلة :
[لُحْمَةُ النسب ــ لَحْمَةُ الثوب].
[لُجَّةُ الماء : معظمه ــ لَجَّةُ الناس : أصواتهم].
[الحُمُولَةُ : الاحمال ــ الحَمُولَةُ : الإبل].
[المُقَامَةُ : الإقامة ــ المَقَامَةُ : الجماعة من الناس].
[الخُلَّةُ : المودة، وما كان حلوا من المرعى ــ الخَلَّةُ : الخصلة][19].
[الجُمَّةُ : الشعر الكثير المجتمع على الرأس، والقوم يسألون في الدية ــ جَمَّةُ الماء : اجتماعه].
[شُفْرٌ : جفن العين ــ شَفْرٌ : أحد].

ب) باب المكسور أوله والمضموم باختلاف المعنى :

[الإِمَّةُ : النعمة ــ الأُمَّةُ : العامة][20].
[الخِطْبَةُ : مصدر ــ الخُطْبَةُ : اسم المخطوب به].

---

(18) ذكر نموذجا واحدا في «باب منه آخر» مادة غمر، ص 310.
(19) الخلة من المثلثات اللغوية المختلفة المعاني تأتي بالفتح الخَلَّة ومن معانيها : الفقر والحاجة/ الخمر الفاسدة/ الخصلة تكون في الرجل من خير أو شر/ الطعنة/ الفرجة في الحائط وغيره/ مكانة الإنسان بعد موته/ الرملة اليتيمة/ بنت اللبون/ والخِلَّة بالكسر : ما يخرج من الأسنان عند التخلل/ غمد السيف/ بطانته/ كل جلد منقوش (انظر **المثلثات** لابن السيد : 500/1. والخُلَّة بالضم : ما كان حلوا من المرعى/ الصداقة/ (انظر **المثلثات** لابن السيد البطليوسي : 201/1).
(20) من المثلثات المختلفة المعاني، انظر المثلث لابن السيد : 327/1.

[الرِّحْلَةُ : الارتحال ــ الرُّحْلَةُ : القوة على السفر].
[الصِّفْرُ : الخالي من الآنية وغيرها ــ الصُّفْرُ : النحاس].

ــ تعرض الكتاب لذكر مجموعة من الألفاظ المعربة التي شاع استعمالها وتداولها بين الناس، فاشتهرت في البيئات العربية الخاصة والعامة حتى أصبحت تعد من الفصيح، وتربو في عددها على السبعين، وتعود في أصولها إلى النقل :

ــ عن اليونانية عن الصينية : [أرز] لفظ واحد.
ــ عن الفارسية عن الهندية : [إهليج] لفظ واحد.
ــ عن اليونانية : [قلنسوة، قرقور] خمسة ألفاظ.
ــ عن الأرامية : [طابع، أربون] سبعة عشر لفظا.
ــ عن العبرانية : [دف، إجاص] ثلاثة ألفاظ.
ــ عن اللاتينية : [منديل] لفظ واحد.
ــ عن السريانية : [السموأل] لفظ واحد.
ــ عن الأشورية : [دجلة] لفظ واحد.
ــ عن النبطية : [الأبلة] لفظ واحد.
ــ عن الفارسية : [دهليز، طيلسان] (45 لفظا) خمس وأربعون لفظا.

والغالب على هذه الألفاظ أن جلها منقول عن اللغة الفارسية خاصة في المجال الحضاري «بهرج / حبر / دانق / درهم / دينار / ديوان / ستوق / صندوق / قرقور». وبتصنيف هذه المعربات نجد منها ما يتعلق بأسماء الأماكن والاعلام والأبنية، ومنها ما هو خاص بالحيوان والنبات والمعادن، ومنها ما يطلق على الملابس والأقمشة والآلات.

ــ خصص ثعلب الباب الأخير للفروق اللغوية، وهو باب تناول فيه :

1) الألفاظ التي تطلق على أجزاء الجسم عند الإنسان والحيوان والطير موضحا الفروق[21] بين اسم كل عضو من الأعضاء عند كل نوع من المخلوقات فإذا

---

(21) اهتم العرب قديما بالتأليف في هذا الموضوع، فألف فيه كل من :
1. محمد بن المستنير المشهور بقطرب (ت 206هـ) : ألف «ما خالف فيه الإنسان البهيمة في أسماء الوحوش وصفاتها».

كان الثدي ــ مثلا ــ يطلق على الإنسان، فإن الدلالة الإسمية لهذا العضو تختلف من حيوان لآخر، مثلا :

من ذوات الخف (الإبل) ← الخِلْفُ : جمعه أَخْلاَف.
السباع وذوات الحافر الخيل والبغال والحمير ← آلطُّبْي : جمعه أَطْبَاء.
من ذوات الظلف البقر والغنم ← الضَّرْع : جمعه ضُرُوع.

الشَّفَةُ ← للإنسان.
آلْمِشْفَرُ ← للإبل.
الجَحْفَلَةُ ← للخيل والبغال والحمير.
المِقَمَّةُ وَالمِرَمَّةُ ← للبقر والغنم.
الفِنْطِيسَةُ ← للخنزير.
الخَطْمُ والخُرْطُومُ ← للسباع.
المِنْقَارُ ← للطير غير الصائد.
المِنْسَرُ ← للطير الصائد.

للنعجة والبقرة : [حَنَّتْ / وهي حَانٍ / وبها حِنَاءٌ].
للكلبة : [صَرَفَتْ / وهي صَارِفٌ / وبها صِرَافٌ].
السباع والذئبة : [أَجْعَلَتْ / وهي مُجْعِلٌ].

=

2. أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 209هـ).
3. أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري (ت 214هـ).
4. أبو زياد يزيد بن عبد الملك الكلابي (ت 215هـ).
5. أبو سعيد الأصمعي (ت 214هـ).
6. ابن السكيت (ت 245هـ).
7. أبو حاتم السجستاني (ت 255هـ).
8. ثابت بن أبي ثابت (أواسط ق 3هـ) حققه وعلق عليه الأستاذ محمد الفاسي، مطبوعات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب الرباط في سلسلة «تراثنا اللغوي».
9. أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ).
10. الجاحظ (255هـ)الفرق في اللغة، توجد منه نسخة بمكتبة القرويين بفاس.

3) الموت والهلاك :

للإنسان : مـات	}	ويصلح «مات» في ذلك كله.
للبعيـر : تنبـل		
للـدابـة : نفقت		

4) ما يخرج من بطن الحيوانات قبل أن تأكل :

للإنسان المولود : العِقْيُ.

لذوات الحافر : الرَّدَجُ.

لذوات الخـف : السُّخْتُ.

كان اهتمام ثعلب بهذه المسميات نتيجة لما كانت تحس به العامة في استعمالها العادي واليومي من التحرج في ذكر هذه الأشياء، فكانت تلجأ إلى تعميم الخاص أو توسيع المعنى حتى يشمل عددا كبيرا من أفراد الجنس. وقد أشار أبو الربيع الكلاعي في «جهد النصيح» إلى أن الإنسان قد يتحرج في الحديث عن بعض المناطق الحساسة من جسده فيعمد إلى الكناية عنها، فقال : «وَاسْمَعْ يَا مَنْ أُوتِيَ لَسَناً، أَوْ خُوِّلَ مِنَ ٱلإِبْدَاعِ حَظّاً حَسَناً، فَمَتى اضْطُرِرْتَ إِلَى مُسْتَقْبَحِ ٱلأَلْفَاظِ فَاغْمِضْ قُبْحَهَا بِٱلْكُنَى، وَاقْتَدِ بِٱلْمَسْؤُولِ عَنْ مَوْضِعِ قَرْحَةٍ مِنْ جَسَدِهِ إِذْ قَالَ لِسَائِلِهِ : بَيْنَ ٱلرَّانِفَةِ وَٱلصَّفَنِ، فَأَعْجَبَهُ حُسْنُ مَا كَنَّى»[22].

مـصـادره :

تتعدد المستويات اللغوية في كتاب الفصيح، وإذا كان المعجم اللغوي يشكل المادة الأولى والأساسية فيه، فإن الآيات القرآنية والأحاديث والأمثال وأقوال الرواة والأشعار تكون مادة قوية، خصوصا وثعلب يستند إليها في الاستدلال على الفصيح من الألفاظ والاستعمالات. وإذا كان التأليف في حد ذاته صغير الحجم — حوالي

---

(22) **جهد النصيح**، الصفحة 242.

ثلاثين ورقة ــ فإن الاستشهادات بلغت :

الآيات القرآنية : أربع آيات.
الأحاديث : أربعة أحاديث.
الأمثال : ثلاثة وثلاثون مثلا.
الأشعار : تسعة وثلاثون بيتا.

القرآن : استشهد ثعلب بأربع آيات، اثنتان منهما في معنى الفعل أحس وحس[23]، واثنتان في معنى لفظ أمّة[24]. واعتبر ثعلب لغة القرآن هي اللغة الجيدة التي يعتد بها، فقد ذكر في «باب ما يقال بلغتين» : «وأمليت الكتاب أمليه إملاء، وأمللت أمل إملالا لغتان جيدتان جاء بهما القرآن»[25].

الحديث : استشهد بالحديث في أربعة مواضع :

ــ باب ما يهمز من الفعل : «لا تسبوا الإبل فإن فيها رقوء الدم»[26].
ــ باب من المصادر : «واها للنواحين»[27].
ــ باب المفتوح أوله من الأسماء : «والحرب خدعة»[28].
ــ باب ما جرى مثلا أو كالمثل : «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[29].

الأشعار : احتوى الفصيح على كمية وافرة من الأشعار والأراجيز. والملاحظ على هذه الأشعار أنها لا تقتصر على القديم فقط، فالنماذج التي انتقاها ثعلب

---

(23) **الفصيح**، ص 276.
(24) **الفصيح**، ص 302.
(25) **الفصيح**، ص 317، واللغتان هما : (1) قال تعالى : ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾ (الفرقان : 5). (2) قال تعالى : ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل﴾ (البقرة : 282).
(26) **الفصيح**، ص 278.
(27) **الفصيح**، ص 287.
(28) **الفصيح**، ص 292. وعلق على الحديث بقوله : «هذه أفصح اللغات قال أبو العباس : ذكر لي أنها لغة النبي ﷺ».
(29) **الفصيح**،ص 312. ولم يذكر فيه ما يشير إلى أنه حديث نبوي.

للاستشهاد بها هي لشعراء جاهليين وإسلاميين وأمويين وإن أغفل ذكر أسماء الشعراء واكتفى في جل رواياته بقوله : قال الشاعر / وينشد هذا البيت / قال الراجز / وأنشد / إلا في مواضع معدودة ذكر فيها اسم الشاعر : قال الكميت[30]/ قال زهير بن أبي سلمى[31]/ قال أبو النجم[32]/ قال الأعشى[33]/. وذكر رواية واحدة عن ابن الأعرابي بقوله : أنشدني ابن الأعرابي[34]. فكان ما نسب لقائله أربعة أبيات من مجموع تسعة وثلاثين بيتا هي حصيلة ما أورده ثعلب من أشعار في كتابه.

والملاحظة الجديرة بالذكر هي موقف ثعلب من مسألة الاستشهاد بالشعر القديم، فإذا كان العلماء[35] يصرون على أن الشعراء الذين يحتج بشعرهم هم الجاهليون والمخضرمون، ويرفضون شعر غيرهم من المحدثين، فإن ثعلب لم يقف هذا الموقف المتشدد، فاستشهد بشعر الكميت مرتين رغم أن الأصمعي كان يرفض أن يحتج بشعره بدعوى أنه «جرمقاني من أهل الموصل وليس بحجة». وعلى هذا «فثعلب يتحرر من التشديد الذي كان الأصمعي وأمثاله يأخذون أنفسهم به في رواية اللغة»[36].

الأمثال : اعتمد ثعلب عددا من الأمثال في أبواب كتابه، وإذا كان قد خصص بابا «لما جرى مثلا أو كالمثل»، فإنه لم يقتصر على ما أورده في هذا الباب وإنما نجده يتمثل أمثالا في باقي أبواب الكتاب. وتعتبر الأمثال إلى جانب الشعر والقرآن والحديث المصادر الأساسية للغة العربية، حظي الفصيح منها بثلاثة وثلاثين مثلا.

أقوال الرواة : إذا كان ثعلب زعيم الكوفيين، فإنه لم يكن متعصبا في رواية أقوال العلماء، بل يشهد له «الفصيح» بموقف العالم المحايد الذي يستعرض أقوال

---

(30) **الفصيح**، ص 266.
(31) **نفسه**، ص 273.
(32) **نفسه**، ص 287.
(33) **نفسه**، ص 302.
(34) **نفسه**، ص 295، أنشد بيتا للكميت.
(35) كأبي عمرو بن العلاء وابن الأعرابي والأصمعي.
(36) **الفصيح**، ص 143.

وآراء العلماء : كوفيين كانوا أم بصريين، بل نجده يروي عن عدد من أسماء علماء البصرة أكثر من علماء الكوفة فذكر أقوال :

— يونس بن حبيب والأصمعي وأبي زيد في «باب ما يهمز من الفعل»[37].

— عن أبي عبيدة في «باب حروف منفردة»[38] وجميعهم من البصريين.

وذكر أقوال :

— ابن الأعرابي في «باب ما يهمز من الفعل»[39] و«باب المكسور أوله والمفتوح باختلاف المعنى»[40] و«باب ما جرى مثلا أو كالمثل»[41].

— الفراء في «باب المفتوح أوله من الأسماء»[42] و«باب المهموز»[43] و«باب ما جرى مثلا»[44] و«باب حروب منفردة»[45] وهما من الكوفة.

وقد يجمع بين عالم من الكوفة وعالم من البصرة إذا جمع بينهما رأي في اللغة، فقد ذكر في «باب المهموز من الفعل» : «قال ابن الأعرابي وأبو زيد : كلاهما مهموز»[46].

ورغم أن ثعلبا كان مفتونا بعلم الفراء، فإنه يشير إلى ما خولف فيه إذا كان في قوله وجه خلاف، فذكر في «باب المفتوح أوله من الأسماء» عند ذكر كلمة العربون : «وهو العربون والعربان في قول الفراء، وقد يخالف فيه»[47].

أما النحويين فلم يشر إلى رواياتهم إلا مرة واحدة اكتفى فيها بذكر «وكان

---

(37) نفسه، ص 279.

(38) نفسه، ص 319.

(39) نفسه، ص 279.

(40) نفسه، ص 276.

(41) نفسه، ص 311.

(42) نفسه، ص 390.

(43) نفسه، ص 306.

(44) نفسه، ص 312.

(45) نفسه، ص 321.

(46) نفسه، ص 276.

(47) نفسه، ص 291.

من مضى من النحويين يقول..»(48) دون أن يشير إلى هؤلاء النحويين أبصريين أم كوفيين ؟

قيمتـه :

أحدث «الفصيح» ــ على صغر حجمه ــ ما لم يحدثه كتاب غيره، وأثار ضجة نقدية حوله. وتتحدد قيمة الكتاب فيما احتواه من مادة لغوية تكاد تكون شاملة لما كان يروج في عصر مؤلفه، وما كان شائعا بين الناس على صغر حجمه وسهولة حفظه، ومراعاة ثعلب ألا يوسعه باللغات وغريب الكلام، فكان العلماء يعلمونه تلامذتهم ويقومون على شرح غريبه وتوسيع لغته وبسط قواعده في الشرق الإسلامي وغربه على حد سواء. حتى قيل عنه :

كِتَابُ ٱلْفَصِيحِ كِتَابٌ مَلِيحُ يُقَالُ لِقَارِئِهِ مَا أَبْلَغَهُ
عَلَيْكَ أُخَيَّ بِهِ إِنَّهُ لُبَابُ ٱللُّبَابِ وَصَفْوُ ٱللُّغَه(49)

وأرسل أحمد بن كليب النحوي الأندلسي(50) (ت 426هـ) نسخة من الفصيح هدية كتب فوقها :

هَذَا كِتَابُ ٱلْفَصِيحِ بِكُلِّ لَفْظٍ مَلِيحِ
وَهَبْتُهُ لَكَ طَوْعاً كَمَا وَهَبْتُكَ رُوحِي

وكان محمد بن علي الاستربادي (ت 516هـ) من شدة ولعه وعنايته «بالفصيح» يلقب بالفصيحي، ونلمس في مقدمات الشروح التي ألفت حوله قيمة الكتاب العلمية بين الناس : فابن درستويه يشير في مقدمته إلى أن الناس كانوا يعتقدون «أن من حفظ ألفاظ الفصيح فقد بلغ الغاية من البراعة وجاوز النهاية في التأدب، وأن من لم يحفظه فهو مقصر عن كل غرض»(51).

وابن هشام اللخمي يقول عنه : «وَكِتَابُ ٱلْفَصِيحِ ــ أَعَزَّكَ ٱللَّهُ ــ وَإِنْ صَغُرَ

(48) نفسه، ص 277.

(49) انظر مقدمة شرح ابن هشام اللخمي للفصيح.

(50) ترجمته : بغية الملتمس : 189، تاريخ ابن كثير : 38/12، النجوم الزاهرة : 281/4، إنباه الرواة : 96/1، معجم الأدباء : 116/4.

(51) الفصيح، ص 154.

جَرْمُهُ، وَقَلَّ حَجْمُهُ فَفَائِدَتُهُ كَبِيرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَمَنْفَعَتُهُ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ خَطِيرَةٌ جَسِيمَةٌ»[52].

وذكر أبو القاسم بن حمزة البصري (ت 375هـ) في مقدمة كتابه : «التنبيهات على أغلاط كتاب اختيار فصيح الكلام» : «لَمَّا رَأَيْتُ كِتَابَ اخْتِيَارِ فَصِيحِ ٱلْكَلاَمِ كَثِيرَ ٱلْمَنْفَعَةِ وَرَأَيْتُهُ عَلَى قِلَّةِ عَدَدِ وَرَقِهِ أَنْفَعَ مِنْ أَضْعَافِ عَدَدِهِ وَأَنَّهُ جَمَعَ عَلَى قِلَّةِ لَفْظِهِ مَا لَمْ يَجْمَعْ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْكُتُبِ ٱلْكِبَارِ، رَأَيْتُ أَنَّ أَجْعَلَ لَهُ جُزْءاً مِنْ عِنَايَتِي»[53].

وقال عنه أبو العباس التدميري (ت 555هـ) : «بَيْدَ أَنَّ بِحَارَ ٱللُّغَةِ قد أَصْبَحَتْ عَمِيقَةَ ٱلْقَعْرِ، وَلَكِنَّ كِتَابَ ٱلْفَصِيحِ عَلَى اخْتِصَارِ عِلْمِهِ وَاسْتِصْغَارِ جَرْمِهِ وَحَجْمِهِ قَدْ أَمْسَى مَدْخَلاً إِلَى لُجَجِهَا، وَمَرْكَباً إِلَى مُعْظَمِهَا وَثَبَجِهَا مَعَ أَنَّ ذِكْرَهُ قَدْ أَغَارَ عِنْدَ ٱلأُدَبَاءِ وَأَنْجَدَ بَعْدَمَا صَوَّبَ فِي طَرِيقِ ٱلاِسْتِعْمَالِ وَصَعَّدَ حَتَّى صَارَ مِفْتَاحاً لِبَابِ ٱلأَدَبِ وَمَبْدَأً لِحِفْظِ كَلاَمِ ٱلْعَرَبِ»[54].

التأليف حول الفصيح :

أثار الفصيح حملة تأليف واسعة ما بين شرح ونظم ونقد وتعقيب، ووقف العلماء منه مواقف متباينة يمكن إجمالها فيما يلي :

الفريق الأول : فريق أنكر نسبة الكتاب لثعلب، وادعى أن ثعلبا سطا على مؤلفات غيره، ومن هذا الفريق :[55]

1. هناك من ادعى أن الفصيح هو كتاب «الحلي» لأبي علي الحسن ابن داود الرقي، ذكر هذا ياقوت عندما ترجم له فقال : «أبو علي لا أعرف من أمره إلا

---

(52) مقدمة شرح ابن هشام اللخمي **للفصيح**.

(53) **الفصيح**، ص 212.

(54) الورقة 3 من **التصريح بشرح غريب الفصيح** للتدميري.

(55) أورد الدكتور عاطف مدكور في دراسته عن «**الفصيح**» جملة هذه الآراء وقام بدحضها معتمدا على مادة الكتاب ومنهجية المؤلف، وذكر نماذج من «**إصلاح المنطق**» ومن «**البهي**» وقام بمقارنتها مع «**الفصيح**». (انظر **الفصيح** من ص 44 إلى ص 58).

ما وجدته بخط أبي الحسن علي بن عبيد الله الشمسي اللغوي، حدثنا النيسابوري قال : حدثنا أبو الحسن محمد بن يوسف الناقط قال : حدثنا الناقط قال : حدثنا القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة قال : قال لي أبو أحمد بن محمد بن موسى البردي : سمعت من الحسن بن داود الرقي بسر من رأى سنة ثمان وثلاثين ومائتين كتابه الذي يسميه كتاب «الحلي»، وكان وقت كتبنا عنه قد جاز الثمانين وأخرج إلي أبو أحمد الكتاب، فإذا هو الكتاب الذي سماه أحمد ابن يحيى «**فصيح الكلام**»[56].

2. هناك من عقد مقارنة بين «**الفصيح**» وبين كتاب «**البهى**» للفراء كابن خلكان الذي ذكر في ترجمته للفراء أن كتاب «**البهى**» وهو صغير الحجم وقفت عليه بعد أن كتبت هذه الترجمة ورأيت فيه أكثر الألفاظ التي استعملها أبو العباس ثعلب في كتاب «الفصيح» وهو في حجم «الفصيح»، غير أنه غيره ورتبه على صورة أخرى، وعلى الحقيقة ليس لثعلب في «الفصيح» سوى الترتيب وزيادة يسيرة، وفي كتاب «البهى» أيضا ألفاظ ليست في الفصيح قليلة وليس في الكتابين اختلاف إلا في شيء قليل لا غير»[57].

3. ذكر ابن ناقيا في مقدمة كتابه «**شرح الفصيح**» أن هذا الكتاب «الفصيح» نسبه قوم إلى ابن الأعرابي، وذكر آخرون أن ثعلبا سطا على كتاب ابن السكيت «**إصلاح المنطق**» في قوله : «هذا الكتاب أمللناه (أمليناه) في شرح كتاب الفصيح وإيضاحه وقد أكثر الناس الكلام فيه ونسبه قوم إلى ابن الأعرابي، وذكر بعضهم أنه رآه بخط الخواز يرويه عنه. قال لما صنف يعقوب ابن السكيت كتاب «**الإصلاح**» استعاره أبو العباس ثعلب فنظر فيه فلما أظهر كتابه «الفصيح» قال يعقوب : «جدع كتابي جدع الله أنفه»[58].

---

(56) **معجم الأدباء** : 108/8، 109 طبعة مصر.

(57) **وفيات الأعيان** : 181/6، طبعة دار صادر، تحقيق : د. إحسان عباس.

(58) نقل هذا الكلام حاجي خليفة في كتابه «**كشف الظنون**» : 1273/2 في عرضه لما ألف من شروح حول **الفصيح** مع العلم أنه قطع بصحة نسبة الكتاب إلى ثعلب في أول حديثه عن «**الفصيح**» قال : «**الفصيح** : في اللغة اختلف في مؤلفه فقيل للحسن بن داود الرقي وقيل لابن السكيت، والأصح أنه لأبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب الكوفي النحوي المتوفى سنة 291هـ.

الفريق الثاني : فريق لم ينكر نسبة الكتاب لثعلب، وإنما تعقب أخطاءه وذكر مآخذه عليه ومن هذا الفريق :

1. أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت 311هـ) الذي خطأ ثعلبا في عشرة مواضع[59] في كتابه «**خطأ فصيح ثعلب**»[60].

2. أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه (ت 347هـ) ألف كتابا في «**تصحيح الفصيح**»[61] ليذكر ما أغفله ثعلب ويصحح ما أخطأ فيه بالإضافة إلى تفسير غريبه. قال في مقدمته : «فشرحنا لمن عني بحفظه معاني أبنيته وتصاريف أمثلته، ومقاييس نظائره، وتفسير ما يجب تفسيره من غريبه واختلاف اللغات فيه دون ما لا يتعلق به، وبينا الصواب والخطأ منه، ونبهنا على مواضع السهو والإغفال من مؤلفه لتتم فائدة قارئه وتكثر المنفعة له فيه، ويعرف كثيرا من علل النحو وضروبا من الأبنية في تصاريفها صحيح اللغة ومعتلها، ووجوها من المجازات والحقائق والتشبيهات والاستعارات المؤدية إلى علم كثير من كتاب الله عز وجل وكلام رسول الله ﷺ وسائر مخاطبات بلغاء العرب وشعرائها»[62].

3. علي بن حمزة البصري (ت 375هـ) ألف كتابا أسماه «**التنبيه على ما في الفصيح من الغلط**»[63] والغالب على هذا الكتاب الاختلاف بين المدرستين البصرية والكوفية.

الفريق الثالث : فريق انتصر لثعلب ودافع عنه ومنه :

1. أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت 370هـ) ألف كتابا أسماه

---

(59) انظر هذه المواضع والرد على الزجاج في الدراسة التي أقامها الدكتور عاطف مدكور على **الفصيح** من ص 213 إلى ص 221.

(60) مخطوط بالخزانة التيمورية بدار الكتب (332 لغة).

(61) نسخة مخطوطة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة تحت رقم : 26 لغة. ونسخة أخرى بمكتبة جستر بتي تحت رقم : 4145.

(62) انظر تفصيل المخطوط والرد عليه في **الفصيح** لعاطف مدكور من ص 153 إلى ص 158.

(63) حققه عبد العزيز الميمني مع كتاب «**المنقوص والممدود للفراء**» وتعقبه د. عاطف مدكور في كتاب «**الفصيح**» من ص 222 إلى 241.

«**الانتصار لثعلب**»[64].

2. أحمد بن فارس (ت 295هـ) سمى كتابه أيضا «**الانتصار لثعلب**»[65].

3. أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ت 539هـ) ألف «**الانتصار لثعلب**»[66].

الفريق الرابع : فريق استدرك على ثعلب ما فاته في «الفصيح» منه :

1. محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم أبو عمر الزاهد والمشهور بالمطرز وبغلام ثعلب (ت 345هـ) ألف كتابا استدرك فيه على شيخه ثعلب ما فاته من لغات مرت على ألسنة الناس وسماه «**فائت الفصيح**»[67].

2. أبو الحسن أحمد بن زكريا المشهور بابن فارس (ت 295هـ) ألف كتابه «**تمام فصيح الكلام**»[68] لا ينتقص فيه ثعلبا وإنما يذكر ما فاته من لغات، ويذكر في آخره اعتذاره عن هذا العمل وأنه لم يقصد أن يقلل من قيمة ثعلب لأنه مدين له بعلمه ومعرفته[69].

3. أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي، ألف كتاب «**ذيل الفصيح**»[70] (ت 629هـ).

الفريق الخامس : فريق الشراح، ويمثل هذا الفريق نخبة من كبار علماء الشرق

---

(64) ذكره السيوطي كاملا في كتابه «**الاشباه والنظائر**» : 123/4.

(65) ذكره السيوطي في **بغية الوعاة** : 153، الطبعة الأولى.

(66) منه نسخة الاسكوريال رقم 772، انظر عاطف مدكور في «**الفصيح**» ص 207.

(67) ذكره السيوطي في **بغية الوعاة**، ص 70، الطبعة الأولى، ومنه نسخة مخطوطة بمكتبة حسين حلبي 19، ومنها صورة بمعهد المخطوطات العربية (192 لغة) ونسخة بمكتبة لالي بتركيا منها مكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية (193 لغة) انظر بعض التفاصيل عن هذه النسخ في كتاب عاطف مدكور، ص 201.

(68) نشره المستشرق الانجليزي أج أبري في لندن سنة 1951، ثم حققه د. مصطفى جواد ونشره سنة 1969 في كتاب **رسائل في النحو واللغة** وحققه د. إبراهيم السامرائي ونشره في مجلة «**المجمع العلمي العراقي**»، المجلد 21 سنة 1971 من ص 160 إلى 195.

(69) انظر **الفصيح** لعاطف مدكور، ص 202.

(70) نشره عبد المنعم خفاجي 1945 في «**فصيح ثعلب والشروح التي عليه**» ص 108.

والغرب الإسلاميين الذين انكبوا على تدريسه زمنا، فكان لابد من التعرض لشرح غريبه، وتفسير معانيه، وذكر أوجه استعمالها، والتعرض للقواعد اللغوية، والتفصيل فيها، وتحقيق نسبة الأشعار والأراجيز إلى قائليها، وترجمتهم وذكر نخبة من أشعارهم إذا اقتضى الحال، أو الاقتصار على ذكر الشاهد موصولا قبله أو بعده، أو الإشارة إلى مطلع قصيدته وموضوعها، والتفصيل في تحليل البحور العروضية وذكر عللها وزواحفها، والإشارة إلى الأشخاص والأحداث التاريخية، والتعريف بالأماكن والاعلام الواردة فيه، وعلى هذا تباينت الشروح على الفصيح، فمنها المسهب المطيل، والمختصر الموجز، ومنها ما هو مؤلف لطلبة العلم موجه إليهم والطابع الذي يغلب عليه الوقوف على أقوال علماء اللغة وشرح الغريب وذكر البحور والدراسة العروضية والنحوية. ويمتاز هذا اللون بالميل إلى الاختصار والإيجاز، ومنها ما هو مؤلف هدية لشخصية كبيرة أو بطلب منها، والطابع الذي يغلب عليه الدقة في نسبة الأقوال والأشعار إلى قائليها والتعريف بهم وذكر سند الرواية عنهم، والتعرض لشرح الغريب وذكر الشواهد على هذا الشرح في الآيات القرآنية والأحاديث والأشعار والأمثال، وفي هذا الشرح يجد الشارح مجالا فسيحا لعرض معلوماته وعلومه ومعارفه، وما رواه عن شيوخه ومقدار محفوظه من التراث العربي والإسلامي، إلى جانب عنايته بطريقة عرضه لهذا العمل. ويمتاز هذا اللون بالميل إلى الإطالة والإطناب والاستطراد من لفظ إلى آخر، ومن معنى إلى معنى، ومن موضوع إلى موضوع، ولهذا الأمر نجد لشارح واحد أكثر من شرحين أحدهما طويل مفصل يقصد منه الإحاطة والشمول، وعرض مقدرته الأدبية والعلمية. والثاني تعليمي بحت يقتصر على التوجه إلى الطالب الذي يود معرفة الضروري من العلم ومثال هذا نجد من المشارقة أبا سهل الهروي (ت 433هـ) الذي ألف :

1. «**إسفار كتاب الفصيح**»[71]، ويمثل الشروح الأدبية الكبيرة.
2. «**التلويح في شرح الفصيح**»[72]، ويمثل الشروح التعليمية البسيطة. ومن

---

(71) النسخة الأصلية بخط المؤلف في خزانة الأستاذ عبد القدوس الأنصاري بمكة، ونسخة أخرى في مكتبة شهيد بتركيا رقم 2592، ونسخة في مكتبة طلعة بدار الكتب المصرية رقم (381 لغة) انظر **الفصيح** لعاطف مدكور، ص 171.

(72) طبع عدة طبعات آخرها بتحقيق عبد المنعم خفاجي، ونشر ضمن «**فصيح ثعلب والشروح التي عليه**» القاهرة 1949.

الأندلسيين نجد أبا جعفر الفهري اللبلي (ت 691هـ) الذي ألف كتابين في شرح الفصيح :

1. «**تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح**»[73]، يمثل الشروح الأدبية الكبيرة.

2. «**لباب تحفة المجد[74] الصريح في شرح كتاب الفصيح**»، وهو اختصار مبسط للشرح الكبير.

خطب الفصيح والشروح التي ذكرتها المصادر :

1. شرح الفصيح لأبي العباس المبرد (ت 285هـ).
2. شرح الفصيح لأبي عمر المطرز (ت 345هـ)[75].
3. شرح الفصيح لابن درستويه (ت 347هـ)[76].
4. شرح الفصيح لابن خالويه (ت 370هـ).
5. شرح الفصيح لابن جني (ت 392هـ).
6. شرح الفصيح لأبي هلال العسكري (ت 395هـ).
7. شرح الفصيح لأبي القاسم الزجاجي (ت 415هـ).
8. شرح الفصيح لأبي منصور الجبان (بعد 416هـ)[77].
9. شرح الفصيح لأبي علي المرزوقي (ت 421هـ)[78].
10. شرح الفصيح لأبي منصور الاصبهاني (ت 432هـ).
11. إسفار كتاب الفصيح لأبي سهل الهروي (ت 433هـ).

---

(73) نسخة بدار الكتب رقم (20 لغة ش) وبها الأبواب الأربعة الأولى فقط، ونسخة المكتبة الحمزاوية بالمغرب رقم 131 وبها الأبواب الستة الأولى تقف عند باب فعلت وأفعلت باختلاف المعنى وهو غير تام.

(74) نسخة بمكتب الوثائق والمخطوطات بالرباط رقم 100ج وهي نسخة كاملة.

(75) نقل منه أبو جعفر الفهري نقولا في **تحفة المجد**.

(76) منه نسخة مخطوطة بمكتبة عارف حكمة بالمدينة رقم (26 لغة). ونسخة مكتبة جستر بتي رقم 4145. انظر دراسة لهذا الشرح في «**الفصيح**» لعاطف مدكور، من ص 153 إلى 158.

(77) تحقيق ودراسة عبد الجبار جعفر القزاز، كلية الآداب، جامعة بغداد 1974، رسالة ماجستير.

(78) انظر دراسة حول المخطوط في **الفصيح** لعاطف مدكور ص 167-169.

12. تهذيب كتاب الفصيح لأبي سهل الهروي (ت 433هـ).
13. التلويح في شرح الفصيح[79] لأبي سهل الهروي (433هـ).
14. شرح الفصيح لمكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ).
15. خطبة الفصيح لأبي العلاء المعري (ت 449هـ).
16. تفسير خطبة الفصيح لأبي العلاء المعري.
17. شرح الفصيح[80] لأبي القاسم بن ناقيا (ت 485هـ).
18. شرح الفصيح لابن السيد البطليوسي (ت 521هـ).
19. شرح الفصيح لأبي القاسم الزمخشري (ت 538هـ).
20. خطبة الإصلاح لأبي القاسم الكلاعي (ت 540هـ).
21. شرح غريب الفصيح[81] لأبي العباس التدميري (ت 555هـ).
22. شرح الفصيح[82] لابن هشام اللخمي (ت 577هـ).
23. شرح الفصيح لأبي بكر بن صاف اللخمي الاشبيلي (ت 585هـ).
24. شرح الفصيح لابن المأمون (ت 586هـ).
25. شرح الفصيح لأبي حفص بن الحصار القضاعي البلنسي (ت 596هـ).
26. شرح الفصيح لأبي البقاء العكبري (ت 606هـ).
27. شرح الفصيح لأبي بكر بن طلحة الاشبيلي (ت 618هـ).
28. جهد النصيح لأبي الربيع الكلاعي (ت 634هـ).

---

(79) مطبوع ضمن **«فصيح ثعلب والشروح التي عليه»** تحقيق عبد المنعم خفاجي.

(80) نسختان بمكتبة داوود بالموصل رقم 115، ونسخة بمكتبة مدرسة الجمعيات الوقفية بالموصل رقم 16/231. انظر ملاحظات على هذا الشرح في كتاب **«الفصيح»** لعاطف مدكور ص 175-179.

(81) نسختان إحداهما بنور عثمانية بتركيا رقم : 3992، والثانية بخزانة ابن يوسف بمراكش رقم : 593.

(82) مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط رقم 7539، نسخة تونس الخزانة الاحمدية رقم 3955، قام بتحقيقه مهدي عبيد جاسم، تحت إشراف الدكتور حاتم صالح الضامن، نال به دكتوراه الدولة سنة 1988م، بكلية الآداب ببغداد، طبع الكتاب سنة 1989، دار صدام للمخطوطات. وأشار إلى هذا الشرح كل من رضا عبد الجليل الطيار في كتابه : **«الدراسات اللغوية في الأندلس»** ص 147، وعاطف مدكور في **«الفصيح»** ص 180.

29. التبيين والتنقيح لما ورد من الغريب في كتاب **الفصيح** لإبراهيم بن علي الفهري الشريشي (ت 651هـ).
30. تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح لأبي جعفر الفهري اللبلي (ت 691هـ)[83].
31. لباب تحفة المجد الصريح[84] لأبي جعفر الفهري اللبلي.
32. شرح الفصيح لمؤلف مجهول كتب في القرن السابع[85].
33. شرح الفصيح لأبي بكر بن إدريس بن مالك القرافي القضاعي (ت 707هـ).
34. شرح الفصيح لأبي علي الاستربادي (717هـ).
35. شرح الفصيح لتاج الدين ابن مكتوم (749هـ).
36. شرح الفصيح لأبي علي السكري[86].
37. شرح الفصيح لأبي بكر بن حيان[87].
38. شرح الفصيح لأبي القاسم الاصفهاني[88].
39. شرح الفصيح للعماني[89].
40. شرح الفصيح لأبي الدهان اللغوي[90].

---

(83) نسخة دار الكتب (20 لغة ش) وهي أربعة أبواب فقط، ونسخة المكتبة الحمزاوية بالمغرب رقم 231 وهي غير تامة أيضا الباب السادس.

(84) نسخة قسم الوثائق والمخطوطات بالرباط رقم 100ج وهي تامة.

(85) نسخة المدينة المنورة رقم 507.

(86)(87)(88) ذكرهم عاطف مدكور في **دراسته عن الفصيح**، ص 193.

(89) الحسن بن علي بن سعيد العماني، لم أقف على ترجمته.

(90) أبو الدهان اللغوي، عرفه بهذا الاسم أربعة أعلام هم : الوجيه المبارك بن سعيد بن أبي السعادات الضرير، وناصح الدين سعيد بن المبارك بن علي، وولده يحيى، والحسن بن محمد بن علي ابن رجا. وربما كان المقصود بابن الدهان هنا سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله الإمام ناصح الدين بن الدهان النحوي، من أعيان النحاة المشهورين إستنادا على مؤلفاته المتعددة والتي يغلب عليها طابع الشروح : شرح الإيضاح، شرح اللمع لابن جني، تفسير القرآن، ــ **تفسير الفاتحة ــ تفسير سورة الإخلاص**، شرح بيت من شعر بن رزيك. توفي سنة 569هـ. انظر **بغية الوعاة** : 256.

41. شرح الفصيح للحضرمي[91].
42. موطئة الفصيح في شرح موطأة الفصيح لأبي عبد الله بن الطيب الفاسي (ت 1113هـ).

منظومات الفصيح :

إذا كان الكتاب قد صرفوا هممهم لشرح الفصيح نثرا، فإن الشعراء أيضا أدلوا بدولهم في هذا الموضوع فتناولوا الفصيح، ولكن بطريقة الأراجيز، فنظموا شروحهم نظما، منها :

1. نظم الفصيح لعبد اللطيف البغدادي (ت 629هـ).
2. نظم الفصيح[92] لعبد الحميد بن أبي الحديد المدائني (ت 655هـ).
3. نظم الفصيح لعلي بن المرادي البلنسي (بعد 567هـ).

ذكر له هذا الرجز ابن عبد الملك المراكشي[93]، وذكر أنه رفعه إلى أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن الموحدي، انتهى من تأليفه سنة 567هـ :

فَكَمَّلَ ٱلْمَنْظُومَ فِي شَعْبَانِ   سَنَةَ سَبْعٍ عَدَّ ذِي بَيَانِ
مِنَ السِّنِّينِ بَعْدَهَا سِتِّينَا   مِنْ بَعْدِهَا خَمْسٌ مِنَ ٱلْمِئِينَا[94]

4. نظم الفصيح لشهاب الدين الخويني التبريزي (ت 693هـ).
5. موطأة الفصيح[95] لمالك بن المرحل (ت 699هـ).

---

(91) هو المعروف بابن خروف، وهو علي بن محمد بن خروف الحضرمي، إشبيلي، توفي سنة 619هـ. ذكر الفهري في تحفته تعقبه لشرح شيخه ابن صاف اللخمي، الصفحة 68-69.

(92) أسكوريال 188، ونسخة دار الكتب بالخزانة التيمورية رقم : [461 لغة]، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمد بدوي المختون، ونشر في مجلة «**معهد المخطوطات العربية**» 1979، المجلد 25.
انظر مقدمة النظم وخاتمته في «**الفصيح**» لعاطف مدكور، ص 195.

(93) **الذيل والتكملة** : 404/5.

(94) أشار إلى هذا النظم رضا عبد الجليل الطيار في كتابه : **الدراسات اللغوية في الأندلس**، ص 148.

(95) أشار عاطف مدكور في كتابه «**الفصيح**» إلى مخطوطات الموطأة ونقل منها أبيات المقدمة والخاتمة مع ترجمة قصيرة لمالك بن المرحل، كما أشار إلى نسخ هذه المخطوطة في كل من مصر =

6. أبو بكر القَلُوسي.
7. نظم الفصيح[96] لأبي عبد الله البلياني (ت 764هـ).
8. حلية الفصيح[97] لشمس الدين بن جابر الأندلسي (ت 780هـ).
9. الجامع المهذب في شرح فصيح ثعلب[98] لمؤلف مجهول.

= والعراق، ص 196. وخصها عبد الجليل الطيار في كتابه : **الدراسات اللغوية في الأندلس بدرساة** من ص 142 إلى 146.
وانظر أيضا ما كتبه الدكتور عبد العلي الودغيري عنها في كتابه : «**ابن الطيب الشرقي**»، ص 220-224.

(96) **الإحاطة** : 365/2. ونقل السيوطي في **البغية**، الطبعة الأولى، ص 94 نفس الترجمة. ذكره عاطف مدكور ضمن من نظم **الفصيح**، ص 200، وقال : «ذكر له نظم **الفصيح** السيوطي وقال عنه : ألف نظم **الفصيح** عاريا من الحشو على تقعير فيه». وفات عاطف مدكور أن السيوطي ينقل ترجمة لسان الدين بن الخطيب في **الإحاطة**.

(97) ترجم له السيوطي في **بغية الوعاة** ترجمة مسهبة، وذكر هذا النظم في ص 14. وذكر عاطف مدكور، ص 199 في «**الفصيح**» عددا من مخطوطات هذا النظم في كل من بريطانيا وسوريا ومصر وتاسعودية، وأشار إلى بداية النظم ونهايته. انظر أيضا **تاريخ النقد الأدبي في الأندلس** لرضوان الداية، ص 554.

(98) أشار إلى هذه المخطوطة عاطف مدكور في «**الفصيح**»، ذكر أنها منظومة مودعة بمكتبة المتحف العراقي رقم : 1883، وذكر البيت الأول منها، ص 209.

الفصل الثالث

انتقال «الفصيح» إلى الأندلس

انتقلت رواية الفصيح إلى المثقفين الأندلسيين من طرق متعددة :

• أبو علي القالي الذي روى «الفصيح» عن كل من نفطويه وابن الأنباري وابن المطرز عن المطرز، عن ثعلب. ورواه عن القالي : أبو القاسم بن أبان، وأبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب :

أ) أبو القاسم بن أبان : رواه عنه أبو عمر بن خيرون السهمي. وعنه رواه أبو محمد غانم بن عمر المخزومي، وعنه رواه أبو عبد الله النفزي، وعنه رواه ابن خير.

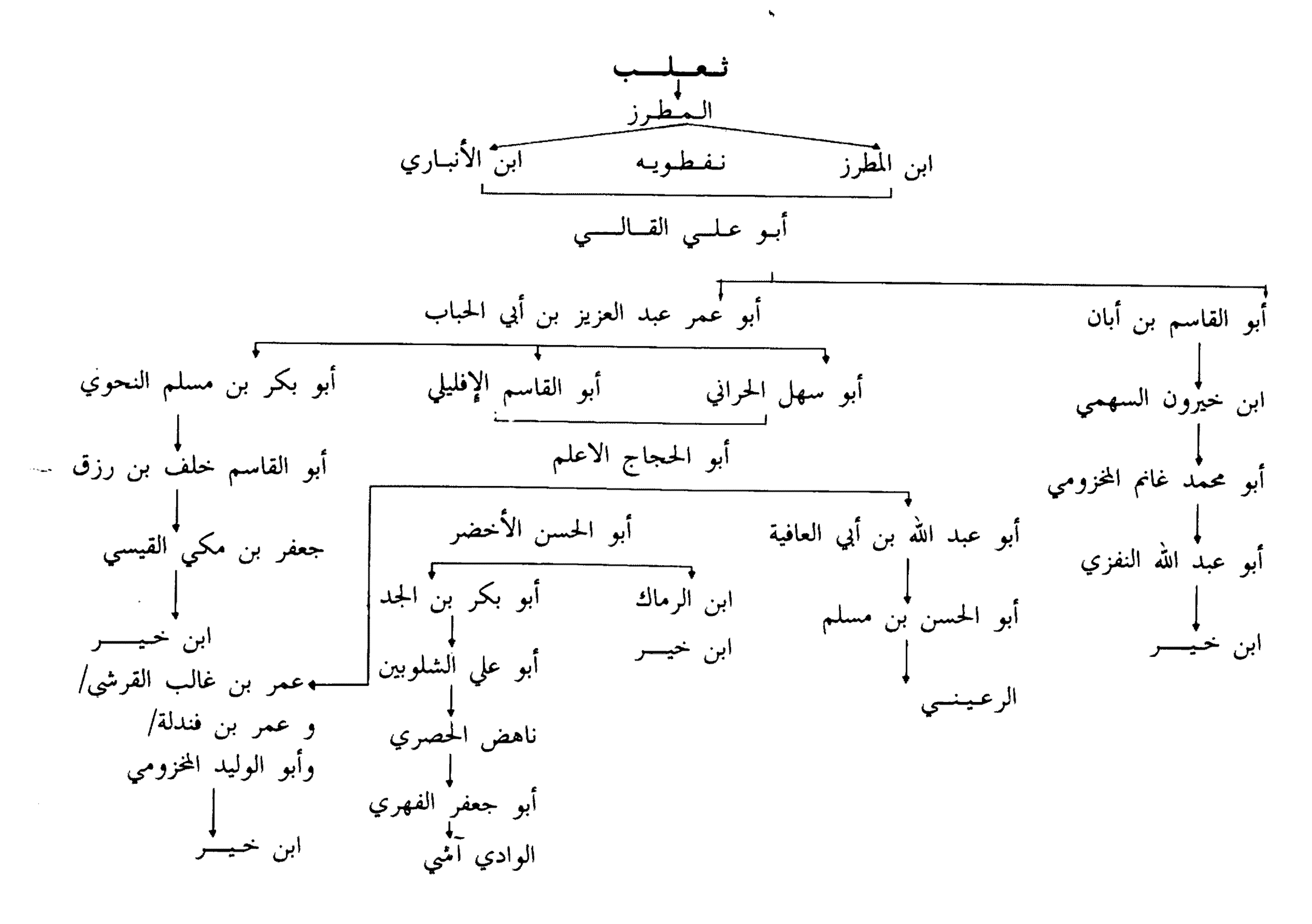
ب) أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب : روى عنه الكتاب ثلاثة من تلامذته هم : أبو سهل الحراني، وأبو القاسم الافليلي وأبو بكر بن مسلم النحوي. فأما الحراني والافليلي فروى عنهما أبو الحجاج الاعلم، وعنه رواه أبو عبد الله بن العافية وأبو الحسن الأخضر، وابن غالب القرشي، وعمر بن فندلة، وأبو الوليد المخزومي. وعن هؤلاء الثلاثة رواه ابن خير، كما رواه عن طريق ابن الرماك عن أبي الحسن الأخضر، ورواه أيضا عن جعفر بن مكي بن أبي طالب عن أبي القاسم خلف بن رزق عن أبي بكر بن مسلم[1].

وعن أبي عبد الله بن العافية رواه أبو الحسن بن مسلم، وعنه رواه الرعيني[2].

---

(1) اعتمدت في تخريج هذه الروايات **فهرسة ابن خير**، ص 336 وما بعدها.

(2) **برنامج شيوخ الرعيني**، ص 22.


ثعلب
المطرز
ابن المطرز
نفطويه
ابن الأنباري
أبو علي القالي
أبو القاسم بن أبان
ابن خيرون السهمي
أبو محمد غانم المخزومي
أبو عبد الله النفزي
ابن خير
أبو عمر عبد العزيز بن أبي الحباب
أبو سهل الحراني
أبو القاسم الإفليلي
أبو بكر بن مسلم النحوي
أبو الحجاج الاعلم
أبو عبد الله بن أبي العافية
أبو الحسن بن مسلم
الرعيني
أبو الحسن الأخضر
ابن الرماك
ابن خير
أبو بكر بن الجد
أبو علي الشلوبين
ناهض الحصري
أبو جعفر الفهري
الوادي آشي
أبو القاسم خلف بن رزق
جعفر بن مكي القيسي
ابن خير
عمر بن غالب القرشي/
و عمر بن فندلة/
وأبو الوليد المخزومي
ابن خير

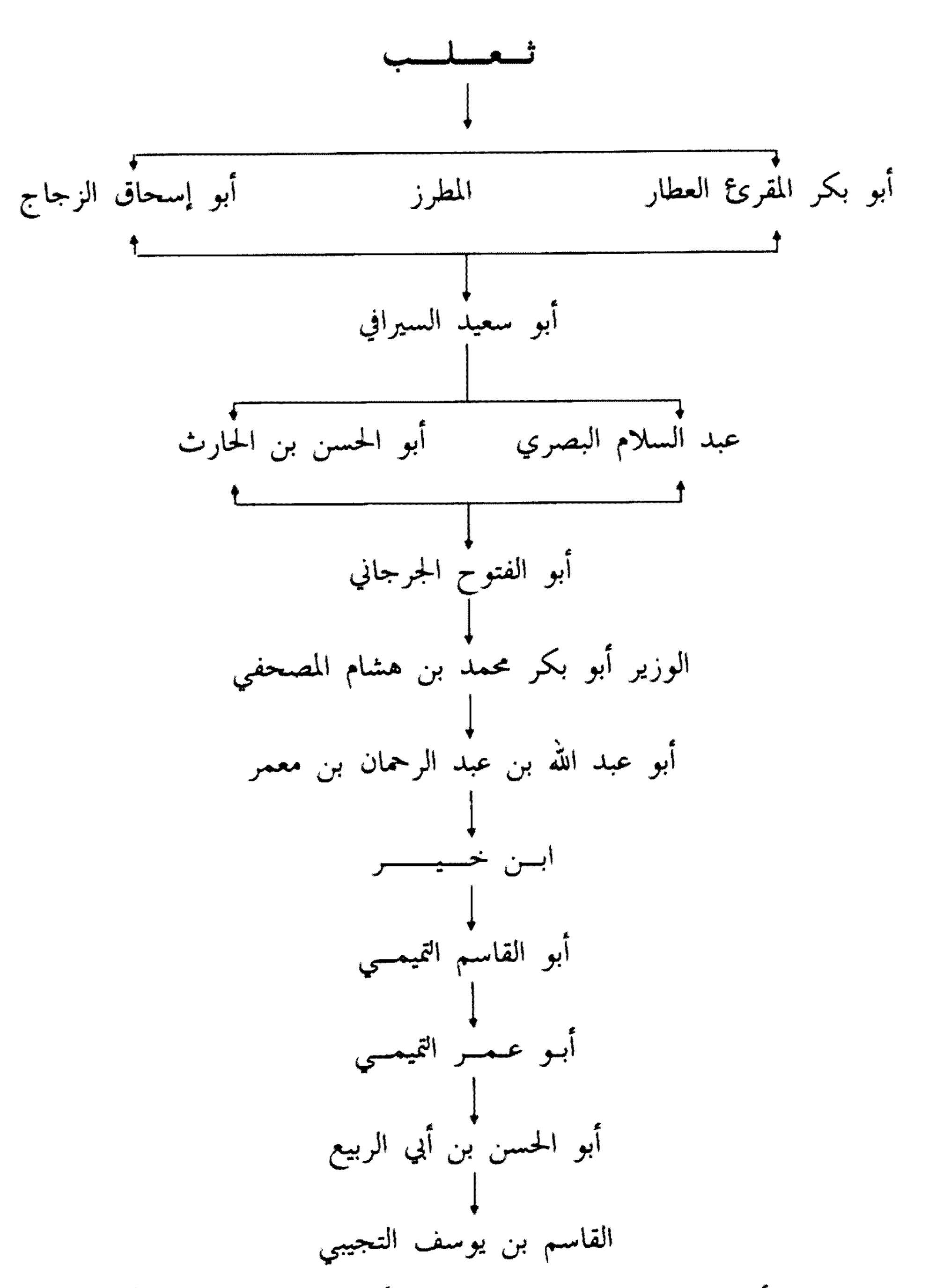
وعن أبي الحسن الأخضر رواه أبو بكر بن الجد، الذي روى عنه أبو علي الشلوبين. وعن الشلوبين رواه ناهض الحصري. وعن ناهض الحصري رواه أبو جعفر الفهري. وعن هذا الأخير رواه الوادي آشي[3].

• رواية أبي الفتوح الجرجاني : الذي رواه عن كل من عبد السلام البصري وأبي الحسن بن الحارث البياري. كلاهما عن أبي سعيد السيرافي. ورواه السيرافي عن أبي بكر المقرئ العطار والمطرز وأبي اسحاق الزجاج، ثلاثتهم عن ثعلب، ونقله أبو الفتوح الجرجاني إلى الأندلس فرواه عنه الوزير أبو بكر بن هشام المصحفي، وعن المصحفي رواه أبو عبد الله بن عبد الرحمان بن معمر، وعنه رواه ابن خير.

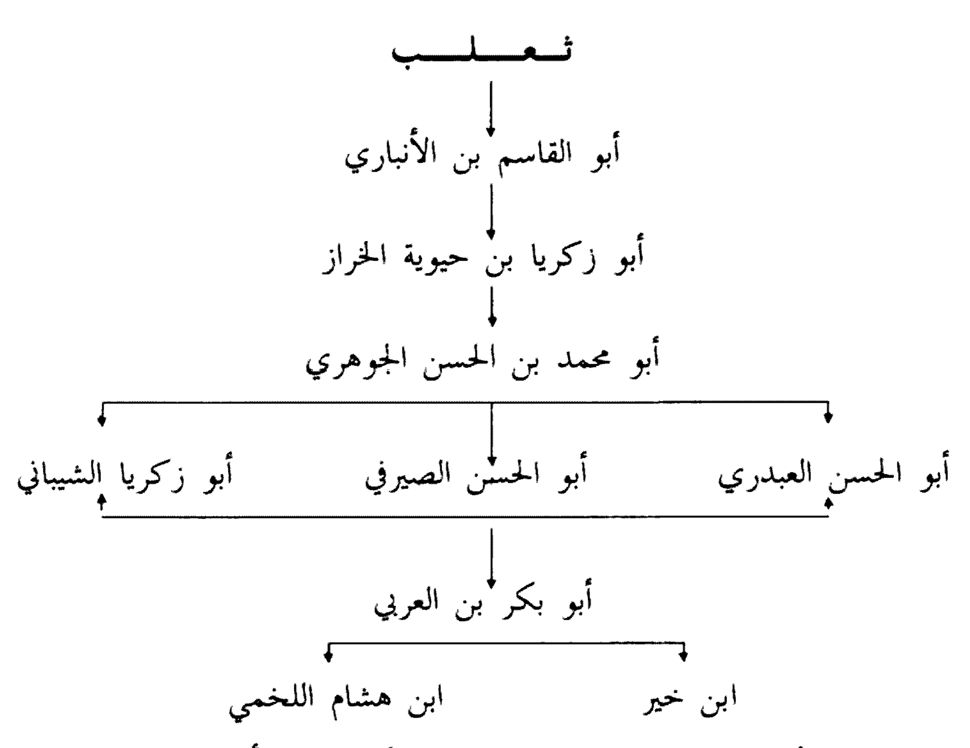
ورواه التجيبي في برنامجه عن أبي الحسين بن أبي الربيع عن أبي عمر التميمي عن أبي القاسم التميمي عن ابن خير بالسند المتقدم.

---

(3) **برنامج الوادي آشي**، ص 310.



• رواية أبي بكر بن العربي عن كل من أبي الحسن الصيرافي وأبي زكريا الشيباني وأبي الحسن العبدري. ورواه ثلاثتهم عن أبي محمد بن الحسن الجوهري عن أبي زكريا بن حيوية الخراز عن أبي القاسم بن الأنباري عن ثعلب. وعن أبي بكر بن العربي رواه ابن خير وابن هشام اللخمي.



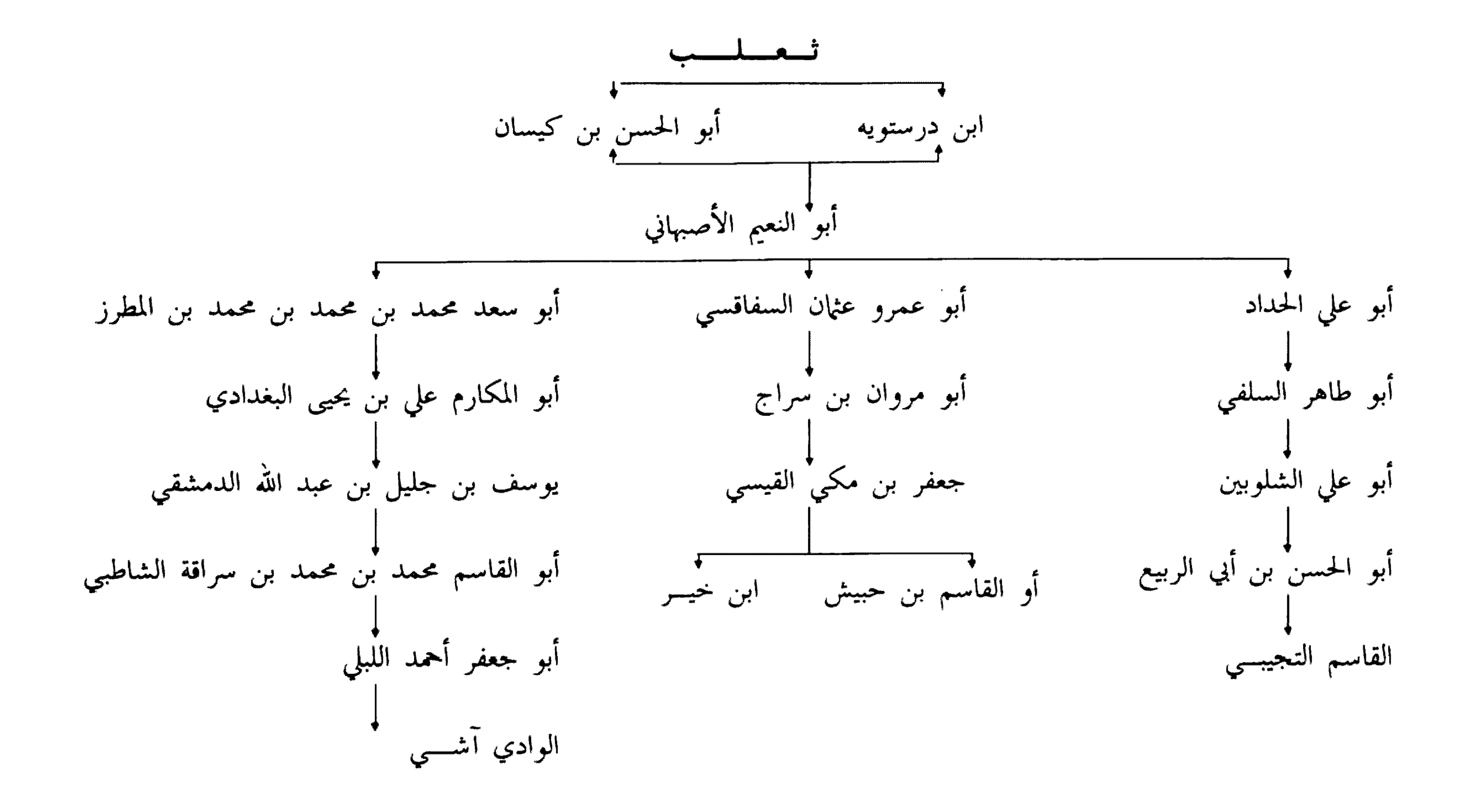
• رواية أبي عمرو عثمان السفاقسي عن أبي نعيم الأصبهاني الذي روى الفصيح عن ابن درستويه وأبي الحسن بن كيسان، وكلاهما رواه عن ثعلب. ورواه من الأندلسيين عن أبي عمرو بن عثمان السفاقسي وأبو مروان بن سراج، وعنه رواه جعفر بن مكي بن أبي طالب القيسي. وعن جعفر رواه ابن خير وأبو القاسم ابن حبيش.

• رواية أبي علي الشلوبين عن أبي طاهر السلفي عن أبي علي الحداد عن أبي نعيم الأصبهاني بالسند المتقدم في رواية أبي عمرو عثمان السفاقسي. وعن الشلوبين رواه أبو الحسين بن أبي الربيع، ورواه عن هذا الأخير القاسم التجيبي[4].

• رواية أبي القاسم محمد بن سراقة الشاطبي عن يوسف بن جليل بن عبد الله الدمشقي عن أبي المكارم علي بن يحيى البغدادي عن أبي سعد محمد بن محمد بن محمد المطرز عن أبي نعيم الأصبهاني بروايته المتقدمة. ورواه عن أبي القاسم بن سراقة الشاطبي أبو جعفر الفهري اللبلي. وعن أبي جعفر رواه الوادي آشي في برنامجه[5].

(4) **برنامج التجيبي**، ص 282.

(5) **برنامج الوادي آشي**، ص 309.


ثعلب
ابن درستويه
أبو الحسن بن كيسان
أبو النعيم الأصبهاني
أبو علي الحداد
أبو طاهر السلفي
أبو علي الشلوبين
أبو الحسن بن أبي الربيع
القاسم التجيبي
أبو عمرو عثمان السفاقسي
أبو مروان بن سراج
جعفر بن مكي القيسي
أو القاسم بن حبيش
ابن خير
أبو سعد محمد بن محمد بن محمد بن المطرز
أبو المكارم علي بن يحيى البغدادي
يوسف بن جليل بن عبد الله الدمشقي
أبو القاسم محمد بن محمد بن سراقة الشاطبي
أبو جعفر أحمد اللبلي
الوادي آشي

الفصـل الرابع

عناية الأندلسيين بكتاب «الفصيح»

رواية، وشرحا، ونظما، وتأليفا

روايـة :

انتشر كتاب الفصيح في حلقات الدرس وأصبح من «الكتب الأساسية التي دخلت الأندلس وكونت بذلك مصادر الفكر الأندلسي»[1]. واستمرت العناية بتدريسه وحفظه حتى القرن الثامن الهجري، إذ ذكر ابن الخطيب في ترجمة أبي عبد الله الشديد أنه كان يحفظ كتاب الفصيح[2].

واهتم العلماء بالكتاب وبسندهم في روايته، فذكر أبو عبيد البكري روايته **«للفصيح»** فقال : «كذلك رويناه في كتاب أحمد بن يحيى الذي سماه **«بفصيح الكلام»**»[3]. وذكره أبو محمد بن عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي (ت 541هـ) بسنده إلى أبي الفتوح الجرجاني[4]. وعدد ابن خير (ت 575هـ) في فهرسته[5] طرق أخذه للكتاب عن شيوخه. وفي القرن السابع نجد أبا الحسن الرعيني (ت 666هـ) يذكر في برنامج شيوخه كتاب الفصيح في عدة مواضع :

أ) في ترجمة أبي بكر محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الملك... بن حزم الأموي قال عنه : «هذا الأستاذ لازمته أعواما قرأت عليه وسمعت أكثر كتب المجلس نحوا

---

(1) **تاريخ النقد الأدبي** لرضوان الداية، ص 59.

(2) **الإحاطة** : 198/3.

(3) **فصل المقال في شرح الأمثال**، ص 235.

(4) **تاريخ النقد الأدبي** للداية، ص 60.

(5) **فهرسة ابن خير**، ص 336 وما بعدها.

وأدبا : **كالجمل والإيضاح والأشعار الستة وأدب الكاتب وإصلاح المنطق وفصيح ثعلب والحماسة والمقامات والأمثال**»[6].

ب) في ترجمة أبي الحكم عبد الرحمان بن برجان قال عنه : «إنما قرأت عليه كتاب «**الفصيح**» تفقها[7].

ج) في ترجمة أبي الحسين بن زرقون قال : «سمعت عليه كتاب الفصيح في أصل الجرجاني»[8].

وروى الكتاب أيضا عن أبي الحسن بن مسلم عن أبي عبد الله بن أبي العافية عن أبي الحجاج الأعلم بسنده[9].

وفي «**برنامج**» ابن أبي الربيع (ت 688هـ) ذكر تلميذه ابن الشاط كتاب الفصيح مرتين :

ــ في ترجمة أحد شيوخ ابن أبي الربيع وهو الأستاذ أبو عمر محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن أبي هارون التميمي الإشبيلي، حيث عرض عليه كتاب الفصيح[10].

ــ في الفصل الثاني في تحرير الأسانيد حيث عرض لعدد من المؤلفات ذاكرا سنده في روايتها، وكان الفصيح من كتب النحو واللغة والأدب، جاء في هذا الفصل : «الفصيح لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب يرويه عن جماعة فيهم ابن خلفون والشلوبين عن أبي عبد الله بن زرقون عن أبي عبد الله الخولاني عن أبي عمر بن عبد البر عن الكاتبين أبي مسلم وأبي الفتح جميعا عن أبي بكر بن الأنباري عن أبي العباس. ويرويه عن الشلوبين أيضا عن أبي الطاهر السلفي عن أبي علي الحداد وغيره عن أبي نعيم الحافظ عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن كيسان عن

---

(6) **برنامج شيوخ الرعيني**، ص 79. وانظر **تاريخ النقد الأدبي**، ص 64.

(7) **المصدر نفسه**، ص 98.

(8) **المصدر نفسه**، ص 32.

(9) **المصدر نفسه**، ص 22.

(10) **برنامج ابن أبي الربيع**، **مجلة معهد المخطوطات العربية**، م I، ج II، ص 252، للدكتور عبد العزيز الأهواني.

أبي العباس»[11].

وفي تراجم **«الذيل والتكملة»** لابن عبد الملك المراكشي نجد رواية الأندلسيين **«للفصيح»** واهتمامهم به في مواضع مختلفة من الكتاب :

أ) في ترجمة أبي الحسن البلوطي قال : «قرأت جميع كتاب سيبويه تفقها على الأستاذ أبي الحسن علي بن محمد الكتامي ابن الضائع، وقرأ عليه غيره من كتب العربية وتأدب به وعرض عليه فصيح ثعلب وغيره»[12].

ب) في ترجمة أبي الحسن بن عبد الله وابن أمية قال : «كتب بخطه الأنيق كثيرا من كتب المبتدئين كالجمل وأشعار الستة والحماسة المازنية وفصيح ثعلب ونحوها»[13].

ج) في ترجمة ابن الأديب قال : «أخذ الكتاب بمضمن تفسير ابن الصيرفي، واستظهره عليه هو وشهاب القضاعي، ورسالة أبي زيد وفصيح ثعلب وغير ذلك»[14].

د) في ترجمة أبي القاسم بن الطيب[15] حيث عدد ما كان يحفظه في صغره من دواوين العلم، وذكر من جملة ما أكمله حفظا كتاب «الفصيح».

وفي **«برنامج»** التجيبي قال : «قرأت جميعه تفقها على العلامة أبي الحسين بن أبي الربيع القرشي رحمه الله تعالى، وعرضت عليه كثيرا منه عن ظهر قلب»[16].

وفي **«الإحاطة»** ترجم لسان الدين بن الخطيب لأبي عبد الله الشديد فقال : «وحفظ كتبا كرسالة أبي محمد بن أبي زيد وشهاب القضاعي وفصيح ثعلب»[17].

---

(11) **المصدر نفسه**، ص 269.

(12) **الذيل والتكملة** : 171/5 (هـ 1).

(13) **نفسه** : 232/5.

(14) **نفسه** : 282/5 (هـ 2).

(15) **نفسه** : 372/6.

(16) **برنامج التجيبي**، ص 282.

(17) **الإحاطة** : 198/3 : رسالة أبي زيد القيرواني (ت 389هـ) من **المتون الفقهية**، وكتاب **الشهاب في الحديث** لأبي عبد الله القضاعي (ت 454).

من خلال هذا العرض لرواية كتاب الفصيح عند الأندلسيين، نلاحظ أن اهتمام العلماء والمتأدبين بهذا الكتاب كان الدافع الأول والأساس لتعدد شروحه وتنوعها، كما كان وسيلة لإدراك علوم ومعارف أخرى كالنحو والعروض وغريب اللغة. وكان طلبة العلم يستفيدون من دراسته في مجالات متعددة، فقد قال الرعيني : «إنما قرأت عليه كتاب الفصيح تفقها فرأيت بحرا في حفظة اللغة لا تكدره الدلاء وقيدت عنه فيه غرائب، وسمعت من لفظه قصائد كثيرة من أشعار العرب»[18].

شــرحــا :

تدخل شروح الفصيح ضمن حركة أدبية ونحوية ولغوية كبيرة عرفتها الحياة الفكرية في الأندلس. «ويظهر أن كل شيخ (مدرس) كان يعني نفسه بشرح ما يقرره على طلبته غير مكتف بما يصنعه غيره من الشراح اللهم إلا إذا كان من الشروح الذائعة لشارح كبير»[19].

«والفصيح» في هذا يشترك مع الكتب الأخرى التي كونت الأسس العلمية في الثقافة الأندلسية، وهي كما وردت في كتب البرامج والفهارس والتراجم : أشعار الستة، **المفضليات، الأصمعيات، حماسة** أبي تمام وشعره، شعر المتنبي، شعر أبي العلاء. ومن المؤلفات النثرية : **المقتضب والكامل** للمبرد، **الجمل** للزجاجي، **كتاب** سيبويه، **الإيضاح** للفارسي، **الألفاظ وإصلاح المنطق** لابن السكيت، **أمثال** أبي عبيد القاسم بن سلام، كتب ابن قتيبة وعلى رأسها **أدب الكاتب**، **الجمهرة والملاحن** لابن دريد، **نوادر** القالي، **المقامات** للحريري، ومؤلفات أبي العلاء المعري النثرية.

اقتضى اعتماد هذه الكتب في مجالس التعليم تعدد الشروح عليها وكذلك الاستدراكات :

فكتاب **«الجمل»** للزجاجي مثلا شرحه عدد كبير من الأندلسيين منهم :

ـ ابن السيد البطليوسي ألف حوله كتابين : **«الحلل في شرح أبيات**

---

(18) **برنامج الرعيني في ترجمة أبي الحكم عبد الرحمن بن برجان**، ص 98.

(19) **النقد الأدبي في الأندلس**، ص 69.

الجمل»[20]**، والخلل في أغاليط الجمل**[21].

أبو العباس التدميري : «شرح شواهد الجمل»[22].

— ابن هشام اللخمي[23] : **«الفصول والجمل في شرح أبيات الجمل»**[24].

— إسحاق بن الحسين[25].

— أحمد بن يوسف الفهري اللبلي[26] : **«وشي الحلل في شرح الجمل»**.

— ابن خروف الأديب[27].

— عبد الله بن محمد العبدري[28].

— محمد بن ميمون[29].

— أبو بكر بن طلحة[30].

— أبو الحسين بن أبي الربيع[31].

الأشعار الستة شرحها :

— الأعلم الشنتمري[32] (ت 476هـ).

---

(20) حققته الأستاذة مهداوي لطيفة في رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بكلية آداب الرباط 1986-1987.

(21) حققه وقدم له سعيد عبد الكريم في رسالة ماجستير من كلية الآداب جامعة بغداد سنة 1975. نشرته وزارة الثقافة والإعلام العراقية سنة 1980. وحققه صلاح البشرتي في أطروحة دكتوراه من كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر سنة 1974.

(22) نقل السيوطي في **المزهر** نقولا منه : 180/1.

(23) **التكملة** : 675/2.

(24) **النقد الأدبي في الأندلس**، ص 150.

(25) **التكملة** : 192/1.

(26) **نفح الطيب** : 407/2-408.

(27) **المصدر نفسه** : 395/3.

(28) **المغرب** : 112/1.

(29) **رايات المبرزين**، ص 46.

(30) **الدراسات اللغوية في الأندلس**، ص 150.

(31) **برنامج التجيبي**، ص 280.

(32) **النقد الأدبي**، ص 122. دراسة حول هذا الكتاب مع الإشارة إلى ما طبع منه.

ـ أبو بكر عاصم البطليوسي[33] (ت 494هـ).
ـ ابن صاف اللخمي[34] (ت 586هـ).
ـ ابن خروف[35] (ت 609هـ).
ـ ابن عصفور[36] (ت 669هـ).

شعر المتنبي شرحه :

ـ أبو القاسم بن محمد بن زكريا الزهري[37].
ـ **ابن الإفليلي**[38] (ت 441هـ).
ـ ابن سيدة المرسي[39] (ت 458هـ).
ـ ابن السيد البطليوسي[40].
ـ ابن بسام النحوي[41] (ت 542هـ).
ـ أبو عبد الله بن أحمد الاستيجي الحميري (ت 639هـ).
ـ ابن عصفور.

كتاب أدب الكاتب شرحه :

ـ ابن السيد البطليوسي : **«الاقتضاب في شرح أدب الكتاب»**[42].
ـ أبو العباس التدميري[43].

---

(33) **المرجع نفسه**، من ص 134 إلى 147.
(34) **الدراسات اللغوية في الأندلس**، ص 183
(35)(36) **الدراسات اللغوية في الأندلس**، من ص 183 إلى 185.
(37) **النقد الأدبي**، ص 73.
(38) **المرجع نفسه** من ص 94 إلى 116.
(39) **المرجع نفسه**، ص 73.
(40) انظر **مقدمة الاقتضاب في شرح أدب الكتاب**، ص 15.
(41) **الدراسات اللغوية في الأندلس**، ص 186.
(42) طبع ونشر في ثلاثة أجزاء بتحقيق : د. مصطفى السقا ود. حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981.
(43) **الدراسات اللغوية في الأندلس**، ص 183.

ـ يزيد بن عبد الجبار القرطبي (ت 562هـ) له «**شرح خطبة أدب الكتاب**»[44].

ـ **عديس** القضاعي (ت 596هـ) ألف : «**الصواب في شرح أدب الكتاب**»[45].

ـ أبو جعفر ابن داوود بن يوسف الغرناطي[46] (ت 597هـ).

ـ أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري اللبلي[47] (ت 691هـ).

ليس القصد من هذا العرض الإحصاء الدقيق لما ألف من شروح حول ما يسمى بكتب المجالس، وإنما الغاية منه إبراز جانب من جهود الأندلسيين في شرح هذه الكتب وتبسيطها للمتعلمين. ويطول بنا الحديث لو استعرضنا كل الشروح الأندلسية، «فهناك شروح على «**الكامل**» للمبرد، و«أمالي» القالي، و«**أدب الكتاب**،» وشرح على الشعراء الجاهليين وبخاصة الشعراء الستة، وعلى «**مقصورة ابن دريد**»، وشعر حبيب وشعر المتنبي، فكانت الشروح شاملة لكثير من نواحي الثقافة والفكر ومتتبعة للنواحي الأدبية بشكل خاص»[48].

أثرت هذه الشروح في تكوين الثقافة الأدبية الأندلسية لأنها من جهة تعكس القيمة العلمية للشارح وتمكنه من استيعاب علوم عصره، كما تعكس جانب الضبط في النقل وتحري الدقة في جمع المادة من مصادرها المختلفة، والتثبت في روايتها بالرجوع في كل حين إلى السند، ومن جهة أخرى تعكس تكوين جانب مهم وواضح من جوانب الدارس الأندلسي، وتعتبر هذه الشروح وسيلة لاكتساب اللغة واستيعاب أوجه استعمالها بالرجوع إلى المصادر الأولى وهي : القرآن والحديث والأشعار الجاهلية، «فقد كان حفظ الأشعار العربية وعلم معانيها وما فيها من خبرة ولغة وأغراض بلاغية وميزات فنية جزءا هاما يقرر على الطلبة في

---

(44) **المرجع نفسه**.

(45) **الذيل والتكملة** : 457/5. وذكر أنه في ثلاثة مجلدات ضخمة. نقل منه الفهري في **تحفة المجد**

(46) **بغية الوعاة**، ص 132، الطبعة الأولى.

(47) **الدراسات اللغوية في الأندلس**، ص 132.

(48) **النقد الأدبي في الأندلس**، ص 71.

حلقات الدرس، ويأخذ الدارس به نفسه من حفظ وفهم ودراسة»[49].

وتكتسي هذه الشروح أهمية بالغة في الدراسات اللغوية إذ أن الشارح يبدأ عمله بشرح اللفظ الغريب وتبيين معانيه وتقصي أوجه استعماله مع الإتيان بالشواهد على ذلك، ذاكرا ما قالته العرب في اشتقاقات اللفظ ودلالة معانيه، وقد يدفعه ذلك إلى الاستطراد من لفظ إلى لفظ، ومن معنى إلى معنى، ومن بيت إلى بيت، الشيء الذي يكسب هذه الشروح مادة لغوية وفيرة، ويكسب الشارح صفة اللغوي حتى غلب هذا الوصف على جل الشراح.

وتكتسي أيضا أهمية في الدراسات البلاغية والنقدية، فقد استغل الشراح هذه الشروح لعرض تذوقهم وطريقة استخلاصهم للقيم الجمالية في النصوص المشروحة، «وكأنهم أيضا مالوا إلى سوق الذوق بالتذوق إلى الدارس عمليا من خلال الجمل والفقرات والأبيات، ونحن لا نعدم ملاحظات بلاغية ونقدية أغلبها تطبيقي»[50].

الأهمية الأخرى التي تكتسيها هذه الشروح هي الصيغة العلمية والتي توازي ما نطلق عليه اليوم في مجال البحث بالتحقيق العلمي للنصوص، فالشارح في تناوله للنص المشروح لا يكتفي بشرح لغته أو الغريب فيه، بل يقف عند شواهده فينسبها إلى قائلها وإذا تعددت نسبة البيت إلى غير واحد ذكر ذلك، وإذا تحقق من نسبته إلى شاعر بعينه ذكر أوجه الروايات المختلفة ثم نسبه إلى قائله معتمدا في ذلك على سنده في رواية البيت إلى منشده الأصلي، بالإضافة إلى تعريفه بالأماكن وبأسماء الاعلام الواردة في المتن وذكر ما يتعلق بها من إشارات وأحداث تاريخية، وإذا صادف مثلا ذكر معناه وفيم قيل ومن قائله وظروف قوله، ولا يقتصر على هذا الجانب فقط، بل يزودنا الشارح ـــ خصوصا من المتأخرين ـــ ببيلوغرافيا للمصادر التي اعتمدها ذاكرا كل مصدر ونسبته إلى صاحبه وما أخذ منه من نقول، وإذا كان كثير من هذه الكتب قد أصبح في عداد المفقود، فإن الباحث من خلال هذا الشرح يستطيع أن يكون فكرة عامة عنها من خلال النقول التي

---

(49) **النقد الأدبي في الأندلس**، ص 72.

(50) **نفس المرجع**، ص 72.

احتفظت بها هذه الشروح، كما أنها تمكنه من معرفة الكتب التي كانت رائجة في كل فترة من الفترات الأدبية والتاريخية.

تبقى الأهمية الأخيرة والبالغة لهذه الشروح، والتي تكمن في فائدتها التعليمية، وإذا كان بعض الدارسين[51] قد قسم هذه الشروح إلى : الشروح التعليمية ـــ الشروح الذوقية الجمالية ـــ الشروح الخاصة ـــ الشروح الأدبية الجامعة اللاحقة بكتب تاريخ الأدب، معتمدا في ذلك على موضوع الشروح من جهة، وطريقة تناول الشارح له من جهة أخرى، فإن الحقيقة التي يجب ألا تغيب عن أنظارنا أن هذه الشروح كيفما كان موضوعها : عاما أو خاصا، شرحا لديوان أو قصيدة، شرحا لكتاب أو لخطبة، فإن الأهمية الأولى والأخيرة التي تكتسيها هذه الشروح تكمن في فائدتها التعليمية التي يستفيد منها طالب العلم كان في بداية مراحله العلمية أو في أطوارها النهائية، بل يستفيد منها أيضا العلماء والأدباء[52]. ولهذا كانت الغاية التعليمية هي الأساس من هذه الشروح.

ومن الشراح الأندلسيين :

1. مكي بن أبي طالب القيسي[53] (437هـ)

حموش بن محمد بن مختار القيسي، يكنى أبا محمد، ولد بالقيروان سنة 355هـ، بدأ تعليمه الأول بالقيروان، فسمع من أبي محمد بن أبي زيد الفقيه، وأبي الحسن القابسي وغيرهما.. رحل إلى مصر سنة 368هـ وهو ابن ثلاث عشرة سنة فدرس بها الأدب والحساب وأكمل استظهار القرآن بعد ذلك سنة 379هـ، ثم كانت رحلته الثانية إلى مصر سنة 377هـ في طريقه إلى الحج، وبمكة سمع من أبي الحسن أحمد بن فراس العبقسي، وأبي الطاهر محمد بن محمد بن جبريل العجيفي، وأبي القاسم السقطي، وأبي الحسن بن زريق البغدادي، وأبي بكر أحمد بن إبراهيم المروزي، وأبي العباس السري. وعاد إلى مصر وأخذ القراءات على أبي الطيب

---

(51) انظر الدراسة القيمة للدكتور محمد رضوان الداية، في كتابه : **تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ـــ حول الشروح العامة**، من ص 69 إلى ص 230.

(52) كأبي جعفر الفهري اللبلي الذي استفاد من جهود سابقيه في كتابه الضخم **تحفة المجد الصريح**.

(53) مصادر ترجمته : **الصلة** : 631/2، **غاية النهاية** : 307/2، **بغية الوعاة** ص 397.

ابن غلبون وابنه طاهر، ولازمه مدة سنتين، ورجع إلى القيروان ولم يكمل بعض القراءات، فعاد إلى مصر مرة أخرى سنة 382هـ فأكمل ما بقي عليه من قراءات، وعاد إلى القيروان فأصبح مقرئا بها إلى سنة 387هـ حيث خرج قاصدا مكة للحج، فمكث بها أربع سنوات متوالية، ثم عاد إلى مصر ومنها إلى القيروان، وكانت رحلته إلى الأندلس في رجب من سنة 393هـ، فجلس للإقراء بمسجد النخلة في مدينة قرطبة، ثم نقله المظفر بن عبد الملك إلى جامع الزاهرة وظل فيه إلى أن انتهت دولة بني عامر، فولاه محمد بن هشام المهدي مسجد الجامع بقرطبة، ثم ولاه جهور الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع بعد وفاة القاضي يونس بن عبد الله، وبقي كذلك إلى أن مات رحمه الله سنة 437هـ.

وصفه معاصروه «بالتبحر في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم والخلق، جيد الدين والعقل، كثير التأليف في علوم القرآن، محسنا لذلك مجودا للقراءات السبع عالما بمعانيها»[54] .

علم خلقا كثيرا، واستفاد الناس منه في القراءات وتجويد القرآن، وذاع صيته، وعظم شأنه في قرطبة.

اشتهر أبو محمد مكي بن أبي طالب بمؤلفاته الكثيرة التي بلغت 77 مؤلفا عددها ابن غالب في كتابه «فرحة الأنفس»[55]، وذكر عددا منها ابن خير في **«فهرسته»** :

1. الهداية إلى بلوغ النهاية : في علم معاني القرآن وتفسيره وأنواع علومه سبعون جزءا[56]. من أجل ما صنف في تفسير القرآن.
2. انتخاب نظم القرآن للجرجاني.
3. التذكرة في القراءات السبع.
4. التنبيه على أصول قراءة نافع بن عبد الرحمان.
5. كتاب المنتخب في اختصار كتاب الحجة للفارسي [الحجة لاختلاف القراء].

(54) **الصلة** لابن بشكوال : 632/2.

(55) **نفح الطيب** للمقري : 179/3.

(56) **فهرسة** ابن خير، ص 44، **والبغية**، ص 397.

6. كتاب مسألة الذبيح.

روى هذه المؤلفات ابن خير عن أبي عبد الله حفيد المؤلف عن أبيه عن جده[57].

7. التبصرة في القراءات السبع[58].
8. جزء فيه تعديل التجزئة بين الأئمة في شرح رمضان في قراءة القرآن في الأشفاع[59].
9. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة[60].
10. غريب القرآن[61].
11. الكشف عن وجوه القراءات السبع[62].
12. مشكل إعراب القرآن[63].
13. ناسخ القرآن ومنسوخه[64].
14. الوقف على كلا[65].
15. فهرسته[66].
16. شرح الفصيح[67].

---

(57) **فهرسة** ابن خير، ص 429.

(58) **المصدر السابق**، ص 28.

(59) **المصدر السابق**، ص 76.

(60) **المصدر السابق**، ص 40.

(61) **المصدر السابق**، ص 67.

(62) **المصدر السابق**، ص 519.

(63) **المصدر السابق**، ص 68.

(64) **المصدر السابق**، ص 51.

(65) **بغية الوعاة**، ص 397.

(66) **فهرسة** ابن خير، ص 429.

(67) **تحفة المجد** لأبي جعفر الفهري اللبلي، **تاج العروس** للزبيدي (رجب) 2 : 504، ط. الكويت، **الفصيح** لعاطف مدكور، ص 173.

شـرح الفصيـح :

إذا كان شرح الفصيح لمكي القيسي يعتبر اليوم في عداد المفقود من الآثار، فإن أبا جعفر الفهري اللبلي احتفظ لنا بنقول منه في كتابه **«تحفة المجد الصريح»** يمكن أن تعطينا فكرة عن نوعية هذا الشرح ومميزاته. وإن كان اعتمادنا على السفر الأول فقط من **«تحفة المجد»**، ولذا فمجمل الملاحظات التالية إنما يقتصر على ما ورد من نقول في هذا السفر :

1. اعتمد أبو جعفر في شرحه على ما جاء في **«شرح مكي»**، فكان كثيرا ما يأتي به كقوله : «قال أبو جعفر معناه أبحث له فعله عن مكي»[68].

ـــ «وقال في مصدر المخفف شَتَمَ شَتْمةً وَمَشْتَمَةً حاكاها مكي في شرحه»[69].

وكذلك أورد **«شرح مكي»** للفظي القضم والخضم محتجا بقوله :

ـــ «وكذا قال مكي في شرحه : قال : إذا كان القضم أكل الشيء بأطراف الأسنان فكأنه أكل الشيء القليل. والخضم أكل الشيء بالفم كله فكأنه أكل الشيء الكثير، وأنشد :

تَبَلَّـغْ بِأَخْـلاَقِ ٱلثِّيَـابِ جَدِيدَهَـا
وَبِٱلْقَضْمِ حَتَّى تَبْلُغَ ٱلْخَضْمَ بِٱلْقَضْمِ»[70]

وكذلك في قوله :

ـــ «وَيُقَالُ لِلْمَصْدَرِ شِرْكٌ وَشِرَكَةٌ ثم يجوز حذف الحركة استخفافا فتقول شَرْكَةٌ وَشِرْكَةٌ ثم يجوز الحركة عن مكي»[71].

ونجده في موضع آخر يحتج **«بشرح مكي»** في الانتصار لثعلب والرد على ابن درستويه عندما ذكر الفعل أجهد فقال :

---

(68) **تحفة المجد**، ص 251.

(69) **المصدر نفسه**، ص 23.

(70) **المصدر نفسه**، ص 92.

(71) **المصدر نفسه**، ص 129.

ــ «قال ابن درستويه وإنما ذكره ثعلب لابن العامة تقول أجهد دابته بالألف وهو خطأ. قال الشيخ أبو جعفر : ليس بخطأ حكى ومكي وابن القطاع وابن جني في شرح شعر المتنبي، وقال الزمخشري في شرحه وكلاهما لغة جيدة فصيحة»[72].

واحتج بشرحه أيضا لتفنيد رأي ابن درستويه عندما أنكر الفعل نخا :

ــ «قال أبو جعفر : قال ابن درستويه : هو مثل زُهِيتَ علينا والنَّخْوَةُ ٱلتَّكَبُّر وَٱلتَّجبُّر، قال : ولَمْ يُسْمَعْ فِعْلُ ٱلْفَاعِلِ مِنَ ٱلنَّخْوَةِ مُسْتَعْمَلاً فِي شَيْءٍ مِنَ ٱلْكَلاَمِ. قال الشيخ أبو جعفر : قَدِ اسْتُعْمِلَ، حَكَى ابْنُ سِيدَة فِي المُحْكَمِ وَمَكِّي أَنَّهُ يُقَالُ نَخَا يَنْخُو وَانْتَخَا»[73].

2. اعتبر شرح مكي في عداد كتب اللغة التي يحتج بها، فأورد ما قاله مع أقوال باقي علماء اللغة، فاحتج بقوله في نهاية عرضه لآراء اللغويين، أمثال يونس في نوادره، وابن فارس في مجمله، والقالي في مقصوره وممدوده، وابن دريد في جمهرته، وابن سيدة في مخصصه، قال أبو جعفر :

ــ «قال يونس في نوادره : يَقُولُ نَاسٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ قَدْ ذَأَى ٱلْعُشْبُ يَذْأَى، فَيَهْمِزُونَ وَبَعْضُهُمْ ذَوَى يَذْوِي وَهُوَ ٱلْكَثِيرُ، وقال ابن[74] فِي كِتَابِهِ ٱلْمُجَمَلِ ذَوَى ٱلْعُودُ يَذْوِي، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ ذَأَى، وَالأُولَى أَجْوَدُ، وَقَالَ ٱلْقَالِي فِي ٱلْمَقْصُورِ وَٱلْمَمْدُودِ : أَجْوَدُ ٱللُّغَاتِ ذَوَى بِفَتْحِ ٱلْعَيْنِ ثُمَّ ذَأَى ثُمَّ ذَوِيَ بِٱلْكَسْرِ، وَقَالَ ابْنُ دُرَيْد فِي ٱلْجَمْهَرَةِ : وَيَقُولُ قَوْمٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ ذَأَ ٱلْعُودُ وَلَيْسَ بِٱللُّغَةِ ٱلْعَالِيَةِ، وَقَالَ ابْنُ سِيدَه فِي ٱلْمُخَصَّصِ فِي بَابِ يَبِسَ ٱلْعُشْبُ : يُقَالُ ذَوَى ٱلْبَقْلُ يَذْوَى ذُوِياً، وَذَأَى يَذْأَى ذَأْياً وَذَوِيَ يَذْوَى، وَٱلْفُصْحَى عِنْدَ ٱلْجَمِيعِ هِيَ ٱلأُولَى مِنْ هَذِهِ ٱللُّغَاتِ يَعْنِي ذَوَى بِٱلْفَتْحِ. وَقَالَ مَكِّي فِي شَرْحِهِ : ذَوَي بِفَتْحِ ٱلْعَيْنِ أَفْصَحُ

---

(72) تحفة المجد، ص 173 كذا بالأصل.

(73) تحفة المجد، ص 195.

(74) كذا بالأصل. وهي من الأخطاء المتكررة في النسخة، ص 47. والمقصود هنا ابن فارس.

مِنْ ذَوِيَ بِٱلْكَسْرِ»[75].

وقد تكرر هذا الاعتبار في مواضع كثيرة من الكتاب :

ـــ في الفعل نقم : «يقال نَقَمْتُ على الرجل ونَقِمْتُ بفتح القاف وكسرها أي أَنْكَرْتُ. حكاه المطرز في شرحه عن الفراء، وحكاه أيضا أبو عبيد في الغريب المصنف ومكي في شرحه وصاحب الواعي وابن القطاع في أفعاله والزمخشري»[76].

ــ في الفعل ظن : «أما الظَّنُّ بالظاء فمصدر ظَنَنْتُ ٱلشَّيْءَ إِذَا شَكَكْتُ وإذا تَيَقَّنْتُ وهو من الأضداد عن مكي وعن كراع في المجرد، وحكاه أيضا ابن سيدة في المخصص عن أبي عبيد»[77].

ـــ في الفعل لج : «ويقال في الماضي أيضا لَجَجْتُ بالفتح عن القزاز وعن يعقوب في فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ له، وعن الزمخشري. والكسر أجود، وعن الجوهري وعن مكي في شرحه»[78].

3. يلتقي شرح مكي مع شرح المطرز في كثير من الجوانب أشار إلى بعضها أبو جعفر :

ـــ «عن المطرز في شرحه وعن مكي في شرحه أيضا»[79].

ـــ «وفي المستقبل لغتان : يَنْطِحُ وَيَنْطُحُ بالكسر والضم عن المطرز في شرحه، وعن مكي في شرحه أيضا»[80].

ـــ «وقد حكى أيضا مكي في شرحه سَبِحْتُ بكسر الباء، وقال هو والمطرز في المصدر سَبْحٌ وَسِبَاحَةٌ»[81].

---

(75) تحفة المجد، ص 47.
(76) المصدر نفسه، ص 59.
(77) المصدر نفسه، ص 117.
(78) المصدر نفسه، ص 121.
(79) المصدر نفسه، ص 22.
(80) المصدر نفسه، ص 70.
(81) المصدر نفسه، ص 76.

4. انفرد شرح الفصيح لمكي القيسي ببعض الإضافات والزيادات التي لم ترد في الشروح الأخرى، فنص أبو جعفر على هذه الناحية في نقوله عن مكي :

ــ «وزاد مكي وَدَمَعَانٌ، وحكاها أيضا اللحياني في نوادره. قال مكي : وقد سموا ماء العين بالمصدر فقالوا جَرَى دَمْعُهُ»(82).

ــ «الغَضُّ وَالغَضِيضُ عن مكي في شرحه»(83).

ــ «ويقال في المصدر ضَنَنْتُ ضَنّاً وضِنَّةً وَمَضَنَّةً عن مكي في شرحه»(84).

ــ «وقال مكي في شرحه : وَوُدُّكَ أيضا كله بمعنى حبيبك»(85).

ــ «وقال مكي في شرحه : معناه مَلأْتُهُ فَزَعاً وهو من قولهم : رَعَبَتِ ٱلسُّيُولُ الوَادِيَ إذا مَلأَتْهُ، مِنْ رَعَبْتُ ٱلإِنَاءَ إِذَا مَلأْتُهَا»(86).

ــ «قال مكي : واسمُ الشَّيْءِ ٱلَّذِي يُرْهَنُ رَهْنٌ كَأَنَّهُ سُمِّيَ بِٱلْمَصْدَرِ»(87).

ــ «ويقال أيضا اشتهر عن مكي وحكى في مصدر شهر شُهْراً وشُهْرَةً»(88).

ــ «لكن حُكِيَ أنه يُقَالُ : قُطِعَ بضم القاف في معنى انقطع. حكاه مكي في شرحه»(89).

ــ «وسَخِينٌ أيضا عن مكي»(90). و«قال مكي : ورَجُلٌ سَخِينُ الْعَيْنِ»(91).

5. انفرد شرح الفصيح لمكي القيسي برواية بعض اللغات التي لم ترد عند

---

(82) المصدر نفسه، ص 17.
(83) المصدر نفسه، ص 103.
(84) المصدر نفسه، ص 116.
(85) المصدر نفسه، ص 124.
(86) المصدر نفسه، ص 141.
(87) المصدر نفسه، ص 156.
(88) المصدر نفسه، ص 179.
(89) المصدر نفسه، ص 206.
(90) المصدر نفسه، ص 216.
(91) المصدر نفسه، ص 214.

غيره من العلماء، الشيء الذي لفت انتباه أبي جعفر الفهري فنص على تلك اللغات في نقوله مشيرا إلى انفراد مكي بروايتها كقوله :

ـ «وفي الماضي لغتان عَطَسَ بالفتح كما حكاه ثعلب وهو الذي حكاه الناس كلهم، وعَطِسَ بالكسر حكاه مكي في شرحه، ولم أر أحدا من اللغويين حكاه سواه»(92).

ـ «وقال مكي في شرحه : وقد يسمى القَلَمُ بُرَايَةً»(93).

6. امتاز شرح الفصيح لمكي بعرضه لمختلف الروايات، مميزا فيه بين الجيد منها والرديء ناصا على ذلك كقوله :

ـ «وحكى أيضا : أكسبته (بالألف). مكي في شرحه وقال : هي لغة رديئة»(94).

7. امتاز شرحه بالإشارة إلى الناحية الدلالية في استعمال اللفظ وذلك في مواضع :

ـ «يقال : غَلَتْ قِدْرُهُ أيْ فَارَ غَضَبُهُ»(95).

ـ «وقال مكي : المَلُّ الْجَمْرُ، ويقال للرماد الحار أيضا المَلُّ، والمَلَّةُ مَوْضِعُ ٱلْخُبْزَةِ ومنه يقال : هو يَتَمَلْمَلُ عَلَى فِرَاشِهِ يَعْنِي إِذَا كَانَ قَلِقاً يَتَضَوَّرُ عَلَيْهِ وَلاَ يَسْتَقِرُّ كَأَنَّهُ عَلَى مَلَّةٍ»(96).

ـ «ويقال في المصدر رَبْطٌ ورِبَاطٌ عن المطرز وعن اليزيدي. وعن مكي في شرحه ومَرْبَط بفتح الباء قال : فأما المَرْبِط بكسر الباء فالموضع الذي يُرْبَطُ فيه، والْمِرْبَط الحبل الذي يُرْبَطُ به. قال : والرَّبْطُ يستعمل في كل شيء، والعرب

(92) المصدر نفسه، ص 68.

(93) اتفق الشراح على أن البراية ما يتساقط من القلم أثناء بريه، تحفة المجد، ص 114.

(94) تحفة المجد، ص 88.

(95) المصدر نفسه، ص 163.

(96) المصدر نفسه، ص 220.

تقول : نِعْمَ الرَّبِيطُ هذا الفَرَسُ»[97].

8. امتاز شرحه ببعض الايجاز متى تناول بالشرح بعض الألفاظ البسيطة المتداولة كما هو الحال بالنسبة لِسَرِطَ :

ـــ «ومعناه بَلَعْتُهُ بِسُرْعَةٍ عن مكي في شرحه»[98].

ـــ وفي لفظ مَسَاس : «وفسره مكي فقال : أيْ لاَ تَمَسَّنِي وَلاَ أَمَسُّكَ أيْ لاَ اخْتِلاَطَ»[99].

9. كان مكي في شرحه يلتفت إلى لحن العامة في عصره في الأندلس فكان يشير إلى ما تخطىء العامة في نطقه وكيفية هذا الخطأ وتصويبه كقوله :

ـــ «وقال مكي في شرحه : وقد أُولِعَتِ ٱلْعَامَّةُ بِذُهِلْتُ بِٱلْكَسْرِ، وَٱلصَّوَابُ ذَهَلْتُ بِفَتْحِهَا»[100].

ـــ «ويقال في الصفة مَاصٌّ وَمَصَّانٌ، وامْرَأَةٌ مَاصَّةٌ وَمَصَّانَةٌ عن مكي في شرحه قال : العامة تقول مَاصَّان»[101].

10. إذا كان شرح مكي أول ما ألف من الشروح الأندلسية على «**الفصيح**»، **فإنه اعتبر عند الأندلسيين من مصادرهم الأساسية، وأصبح معتمد المؤلفين في اللغة، فقد نقل عنه أبو محمد عبد الله الأزدي المحدث الإشبيلي نقولا في كتابه «واعي اللغة»**، وفي «**تحفة المجد**» إشارة إلى هذا النقل، قال أبو جعفر : «وزاد صاحب الواعي ونقلته عن خطه ونِقِمَة بكسر النون والقاف مصدر التي بمعنى العقوبة، وحكى في مصدرها أيضا عن مكي نُقُوما»[102].

---

(97) المصدر نفسه، ص 90.

(98) المصدر نفسه، ص 95.

(99) المصدر نفسه، ص 100.

(100) المصدر نفسه، ص 25.

(101) المصدر نفسه، ص 105.

(102) المصدر نفسه، ص 60.

2. ابن السيد البطليوسي (526هـ)

أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، من الشخصيات الأندلسية البارزة، تعددت المصادر التي ترجمت له، سواء أكانت أندلسية أو مشرقية[103]، وحظي بعناية الأقدمين والمحدثين، فاهتم عدد من الدارسين بتحقيق مؤلفاته[104] والكتابة عن جوانب من شخصيته[105].

تنحدر أسرة ابن السيد من شلب، إذا انتقل منها والده إلى بطليوس وفيها ولد ابن السيد سنة 444هـ، وبها قطع مراحل تعليمه الأولى فدرس على أخيه أبي الحسن علي (ت 480هـ) وعلى ابن اللطينية (ت 466هـ) وعاصم بن أيوب البطليوسي (ت 494هـ)، ثم انتقل إلى قرطبة فأخذ عن عدد من علمائها كأبي سعيد الوراق وأبي الفضل البغدادي وعبد الدائم ابن مرزوق القيرواني وغيرهم..

اتصل في بداية حياته بعدد من أمراء الطوائف، وتجول في عدد من الإمارات، فقصد بني ذي النون بطليطلة، ثم هرب منها بعد نكبة السلطان له[106]. واتصل بابن رزين الذي أكرمه ورفع منزلته. إلا أن الود بينهما لم يدم طويلا فتنكر له السلطان[107]، واضطر ابن السيد إلى الفرار إلى سرقسطة فاتصل بابن ذي النون، ومنها انتقل إلى بلنسية التي حط بها رحاله فاستقر بها إلى أن توفي سنة 521هـ،

---

(103) من هذه المصادر : **القلائد**، ص 194 ــ **الذخيرة** : 890/2/3 ــ **الصلة** : 292/1 ــ **الخريدة** : 160/2 ــ **وفيات الأعيان** : 383/1 ــ **الديباج** : ص 140 ــ **بغية الوعاة** : ص 383 ــ **غاية النهاية** : 449/1 ــ أزهار الرياض : ص 180 ــ **المغرب** : 370/1 ــ **رايات المبرزين** : ص 31.

(104) قدمت حول مؤلفاته ست رسائل جامعية سأشير إليها عند الحديث عن مؤلفاته.

(105) ابن السيد البطليوسي العالم اللغوي، موضوع رسالة ماجستير من كلية الآداب، جامعة بغداد، 1974.

(106) **المثلث** لابن السيد، تحقيق صلاح مهدي الفرطوسي، ص 18، أشار فيه المحقق إلى ما ورد في مقدمة **المثلث** إذ يقول ابن السيد : «وقد كنت صنعت فيه تأليفا آخر مرتبا على نظم الحروف حسب ما فعلته في هذا التصنيف وذلك عام سبعين وأربع مائة وذهب عني في نكبة من قبل السلطان جرت علي وانتهب معظم ما كان بيدي».

(107) ذكر ابن بسام في **الذخيرة** : 895/3/2 : «وكان فر من ابن رزين فرار السرور من نفس الحزين، وخلص من اعتقاله خلوص السيف من صقاله».

ومن المؤكد أنه دخل هذه المدينة بعد أن استنقذها المرابطون من يد القنبيطور بعد سنة 484.

اشتهر ابن السيد بتضلعه في علوم وفنون شتى وبتآليفه الكثيرة والتي شملت اللغة والنحو والفقه والأدب والفلسفة، وتعددت شروحه لأهم الكتب، فشرح «**الفصيح وأدب الكتاب، والجمل، والمقالات الفلسفية وأبيات المعاني، وإصلاح المنطق، وموطأ** مالك، **وشرح الأشعار شعر** المتنبي **وسقط الزند** للمعري والمختار من لزومياته وغيرها..

كما اشتهر بطريقة تعليمه «وكان حسن التعليم جيد التلقين ثقة ضابطا»[108]. فرحل الناس إليه من كل مكان، وأصبحت بلنسية مقصدا لطلاب العلم يرحلون «للقاء الأستاذ العالم إمام النحو والآداب والشارح للحديث والفقه والأصول والأنساب أبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي»[109].

مؤلفاته المطبوعة :

1. المسائل والأجوبة : حققه وقدم له محمد سعيد الحافظ في أطروحة لنيل دكتوراه من كلية آداب جامعة القاهرة 1977.
2. الحدائق في المطالب الفلسفية : تحقيق آسين بلاسيوس، طبعة 1940.
— صححه : محمد زاهد بن الحسن الكوثري، وأشرف عزت العطار على طبعه بالقاهرة سنة 1946م.
3. الاسم والمسمى : حققه أحمد فاروق، ونشره في مجلة مجمع اللغة العربية لدمشق.
4. الاقتضاب في شرح أدب الكتاب : طبع في المطبعة الأدبية ببيروت سنة 1901 بعناية عبد الله البستاني.
— أعيد طبعه بالأوفسيت 1973 بدار الجيل ببيروت.
— حققه د. مصطفى السقا ود. حامد عبد المجيد، وطبعته الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة سنة 1982.

---

(108) **الصلة** : 292/1.

(109) **المطرب** لابن دحية، ص 225.

5. الانتصار ممن عدل عن الاستبصار : تحقيق د. حامد عبد المجيد ومراجعة إبراهيم الأبياري، طبع بالمطبعة الأميرية بمصر 1955.

6. الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم :
ـ طبع بمطبعة الموسوعات بمصر 1319هـ بعناية الشيخ عمر المحمصاني الأزهري.
ـ دار الفكر بدمشق 1974 بتحقيق : د. محمد رضوان الداية.

7. الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل : حققه وقدم له سعيد عبد الكريم لنيل شهادة الماجستير من كلية الآداب جامعة بغداد سنة 1973. نشرته وزارة الثقافة والإعلام العراقية سنة 1980.
ـ حققه أيضا صلاح البشرتي، أطروحة لنيل دكتوراه من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر 1974.

8. شرح سقط الزند : طبعة تبريز سنة 1276هـ.
ـ طبعة دار الكتب / 194 بتحقيق لجنة إحياء آثار أبي العلاء، نشرت هذه الطبعة سنة 1964.

9. شرح المختار من لزوميات أبي العلاء : تحقيق : د. حامد عبد المجيد، مصر سنة 1970.

10. الفرق بين الأحرف الخمسة : تحقيق وتقديم : علي عبد الحسين زوين لنيل ماجستير كلية آداب جامعة القاهرة سنة 1976م.

11. المثلث : تحقيق ودراسة الدكتور صلاح مهدي علي الفرطوسي لنيل دكتوراه، طبعة سنة 1981، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة كتب التراث (111).

آثاره المخطوطة الموجودة :[110]

1. أرجوزة في السماجلة.
2. حكايـــة.

---

(110) ذكر د. صلاح مهدي في مقدمة تحقيقه **للمثلث** هذه المؤلفات، وحدد أماكن وجودها مع ذكر أرقامها، ص 40-42.

3. شرح الخمسة المقالات الفلسفية.
4. طرر على الكامل للمبرد نقل منه البغدادي في خزانة الأدب 366/6 و521.
5. المسائل المنثورة في النحو.
6. الحلل في شرح أبيات الجمل : تحقيق المهداوي لطيفة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية آداب الرباط، سنة 1986-1987.

آثاره المفقودة :

1. أبيات المعاني. أورد منه نقولا البغدادي في خزانة الأدب 446/2.
2. إثبات النبوءات.
3. الأنســاب.
4. التذكرة الأدبية.
5. جزء في علل الحديث.
6. الدوائــر.
7. رسالة كتبها إلى عبد الله بن محمد بن خلصة.
8. شرح أبيات المعاني.
9. شرح إصلاح المنطق.
10. شرح ديوان المتنبي.
11. شرح الفصيح.
12. فهرسة ابن السيد.
13. قصيدة في رثاء ديك.
14. القــراءات.
15. المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس.

شرح الفصيح للبطليوسي :

يعتبر ابن السيد من الشراح الأندلسيين البارزين والمتخصصين في هذا اللون من التأليف ـــ إذا صح التعبير ـــ فمشاركته في الشروح الأدبية واللغوية مشاركة واسعة وقيمة، تظهر فيها ثقافته الموسوعية. وإذا كانت بعض مؤلفاته قد سلمت من الضياع، وحظيت بعناية الدارسين والمحققين، فإن بعضها الآخر يعتبر في عداد المفقود، ومن هذا شرحه للفصيح الذي لا نجد منه اليوم إلا نقولا قليلة جدا في

كتاب المزهر للسيوطي. وعلى ضوء هذه النقول حاولت أن أستخلص بعض الملاحظات البسيطة حول هذا الشرح. وإن كانت هذه الملاحظات ستظل ملاحظات أولية إلى أن يظهر في يوم ما هذا الكتاب أو تظهر مؤلفات أخرى تفيدنا شيئا أكثر عنه.

1 ـــ الناحية النحوية في ثقافة ابن السيد ونلمسها في كل شروحه ومؤلفاته، وتظهر في نقول «**شرح الفصيح**» في مواضع متعددة :

أ) حصر ما جاء من كلام العرب على صيغة فعول من الفعل المعتل الآخر بالواو.

ـــ «قال البطليوسي أيضا في الشرح المذكور والتبريزي في تهذيبه، ليس في الكلام فعول مما لام الفعل منه واو، فيأتي في آخره واو مشددة إلا : عَدُوٌّ، وَفَلُوٌّ، وحَشُوٌّ، ورجل نَهُوٌّ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، وناقة رَغُوٌّ كثير الرغاء»[111].

ب) ما جاء في كلام العرب على صيغة المثنى ولم يرد فيه المفرد ولا الجمع :

ـــ «وقال البطليوسي في «**شرح الفصيح**» : مما استعمل مثنى ولم يفرد : الأنثيان وهما واقعان على خصيتي الإنسان وأذنيه، ولم يقولوا أنثى»[112].

ج) عند الحديث عن الألفاظ التي تأتي منها صيغة المفرد وصيغة الجمع، ولم يعرف عند العرب فيها صيغة للمثنى :

ـــ «قال البطليوسي في شرح الفصيح : من ذلك سواء، يفرد ولا يثنى، وقالوا في الجمع سواسية، وكذا ضبعان للمذكر يجمع ولا يثنى»[113].

د) في شرح القول : الثوب سبع في ثمانية لأن الذراع أنثى والشبر مذكر، ودرع الحديد مؤنثة، ودرع المرأة مذكر»[114].

استند البطليوسي في شرح هذا القول على ما رواه عن شيوخه في رفع اللبس

---

(111) **المزهر** : 107/2.

(112) **نفسه** : 95/2.

(113) **نفسه** : 201/2.

(114) **الفصيح** لعاطف مدكور، ص 318.

عن تأنيث الدرع وتذكيره ما بين الرجل والمرأة فقال :

«كان بعض أشياخنا يقول : إنما ذُكِّرَ دِرْعُ المَرْأَةِ وَأُنِّثَ دِرْعُ ٱلرَّجُلِ لأَنَّ المَرْأَةَ لِبَاسُ ٱلرَّجُلِ وَهِيَ أُنْثَى فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ دِرْعُهُ مُؤَنَّثَةً، وَٱلرَّجُلُ لِبَاسُ ٱلْمَرْأَةِ وَهُوَ مُذَكَّرٌ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ دِرْعُهَا مُذَكَّراً، وَكَانَ يَحْتَجُّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾»[115].

هـ) في الاستشهاد بالشعر على بعض الألفاظ المشددة التي تعاقب فيها حرفان ساكنان، احتج بقول المبرد، قال السيوطي في المزهر :

«قال البطليوسي في شرح الفصيح : قال المبرد : [حَمَّارَةُ ٱلْقَيْظِ مِمَّا لا يجوز أن يحتج عليه ببيت شعر لأن ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وزن الشعر إلا في ضرب منه يقال له المتقارب وذلك قوله :

فَــذَاكَ الْــقَصَاصُ وَكَــانَ التَّقَــا

صُّ فَرْضاً وَحَتْماً عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَا][116]»[117]

2 ــ التمييز بين اللغات والفصل بين الجيد منها والرديء، فقد يأتي في شرحه للكلمة بكل لغاتها ثم يدل في الآخر على نوعيتها جيدة أم رديئة :

ــ «في شرح الفصيح للبطليوسي : الرُّنْزُ لغة في الأُرْز وهي رديئة»[118].

ــ «قال البطليوسي في شرح الفصيح : حكى الزبيدي أنه قال : قَلْنَسْتُ رَأْسِي بِٱلْقَلَنْسُوَةِ، وَتَقَلْنَسْتُ عَلَى مِثَالِ فَعْلَنْتُ وَتَفَعْلَنْتُ : قال ولا نعلم لهذين المثالين نظرا في الكلام»[119].

ــ «وقال البطليوسي في «**شرح الفصيح**» : ليس الألف في الأرقان ونحوه مبدلة من الياء، ولكنهما لغتان، ومما يدل على أن هذه الأحرف لغات ما رواه اللحياني

---

(115) **المزهر** : 222/2.

(116) **الكامل** : 16/1.

(117) **المزهر** : 107/2.

(118) **المصدر نفسه** : 224/1. يلتقي في هذه الملاحظة مع مكي في ص 46.

(119) **المصدر نفسه** : 93/2.

قال : قلت لأعرابي : أتقول مثل حنك الغراب أو مثل حلكه ؟ فقال لا أقول مثل حلكه حكاه القالي. وقال البطليوسي في شرح الفصيح : قال أبو بكر بن دريد : قال أبو حاتم : قلت لأم الهيثم : كيف تقولين أشد سوادا مماذا ؟ قالت من حلك الغراب، قلت : أفتقولينها من حنك الغراب ؟ فقالت : لا أقولها أبدا»[120].

3 ــ من هذه النقول نستشف حرص ابن السيد على التمييز في الاستعمال اللغوي للكلمة بين ما هو عربي أصيل وبين ما هو دخيل مشيرا إلى أصله ومن أي اللغات دخل إلى العربية.

ــ «وقال البطليوسي في شرح الفصيح : لا يوجد في كلام العرب دال بعدها ذال إلا قليلا، ولذلك أبى البصريون أن يقولوا بغداذ بإهمال الدال الأولى وإعجام الثانية، فأما الداذي ففارسي لا حجة فيه»[121].

ــ «وفي شرح الفصيح للبطليوسي : قد اشتقوا من بغداد فعلا فقالوا : تبغدد فلان، قال ابن سيدة : هو مولد»[122].

4 ــ في هذه النقول من شرح ابن السيد إشارة إلى لحن العامة في الأندلس أواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجريين، وعلى قلة هذه النقول وردت فيها إشارتان إلى ما تلحن فيه العامة وتصويب ذلك اللحن :

ــ «قال البطليوسي في شرح الفصيح : المشهور في كلام العرب ماء ملح، ولكن قول العامة مالح لا يعد خطأ وإنما هو لغة قليلة»[123].

ــ «وفيه[124] أيضا : القلنسوة تقول لها العامة الشَّاشِيَّة، وتقول لصانعها الشُّوَّاش، وذلك من توليد العامة»[125].

---

(120) المصدر نفسه : 474/1.

(121) المصدر نفسه : 272/1.

(122) المصدر نفسه : 308/1.

(123) المصدر نفسه : 215/1.

(124) الضمير يعود على شرح الفصيح لابن السيد.

(125) المزهر : 308/1.

5 ـ تصحيح الروايات : فقد ورد في «باب ما جرى مثلا أو كالمثل»، «عند جهينة الخبر اليقين»، وقال ابن الأعرابي «عند جفينة»[126] وذكر ابن السيد البطليوسي في شرحه «الصحيح جهينة»[127].

6 ـ استشهاده بأقوال علماء اللغة الأندلسيين إلى جانب استشهاده بأقوال علماء اللغة من المشارقة وذلك في احتجاجه بقول ابن سيدة :

ـ «اشتقوا من بغداد فعلا فقالوا : تبغدد فلان : قال ابن سيدة هو مولد»[128].

3. أبو العباس[129] التدميري (ت 555هـ)

أحمد بن عبد الجليل[130] بن عبد الله، يكنى أبا جعفر وأبا العباس اشتهر بالتدميري لأن أصله ومولده بها، لم تذكر المصادر تاريخ ولادته وذكر ابن الأبار في المعجم أن التدميري سمع من أبي علي الصدفي بمرسية في سنة 510هـ[131]، ثم انتقل إلى ألمرية فسكن بها وأخذ عن عدد من جلة العلماء كأبي الحجاج بن يسعون وأبي محمد الدبيري وأبي عبد الله محمد بن عمرو أبي الوليد بن الدباغ.

---

(126) **الفصيح**، ص 310.

(127) **المزهر** : 499/1، وهو الاسم الذي ورد في البيتين :

كَصَخْرَةِ إِذْ تُسَائِلُ فِي مَرَاحٍ ... وَأَنْمَارٍ وَعِلْمُهُمَا ظُنُونُ
تُسَائِلُ عَنْ حُصَيْنٍ كُلَّ رَكْبٍ ... وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ ٱلْخَبَرُ ٱلْيَقِينُ

(128) **المزهر** : 308/1.

(129) ترجمته في : **إنباه الرواة** : 54/1 ـ **التكملة** : 65/1 ـ **المعجم في أصحاب الصدفي** : 39 ـ **جذوة الاقتباس** : 69 ـ **بغية الوعاة** : 138 ـ **كشف الظنون** : 508، 604، 1273 ـ **الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام** : 223/1، 224 ـ **الذيل** : 236/1 ـ **الحلل الموشية** : 149 ـ **الاعلام** : 140/1 ـ **معجم المؤلفين** : 260/1 ـ **الأمير أبو الربيع سليمان الموحدي** : 39 ـ **الدراسات اللغوية في الأندلس** : 147، 148 ـ **الفصيح** لعاطف مدكور، ص 180 ـ **الأندلس في عصر الطوائف الثاني** : 249.

(130) ذكر القفطي في **إنباه الرواة** : «أحمد بن عبد الله بن عبد الجليل» وهو وهم منه، إذ أن المصادر التي ترجمت له اتفقت على أن اسم والده عبد الجليل وأن عبد الله اسم جده.

(131) **المعجم** : 39.

برع في عدد من العلوم كالنحو واللغة والأدب، وكان له حظ من قرض الشعر. انتقل من الأندلس إلى العدوة فسكن بجاية وتولى تأديب أبناء محمد بن علي بن حمدون وزير صاحب بجاية العزيز بالله يحيى بن ناصر من ملوك بني حماد، وكانت بين الوزير وبين الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي مراسلات ومكاتبات بشأن فتح هذه المدينة وهو الذي ساعده على فتح أبوابها وتمكينه من دخولها، وهرب ابن حماد إلى قلعتها وحاصره الموحدون حتى استسلم لهم على أمان، فأخذه عبد المومن معه إلى حاضرة مراكش «فأعمره الديار وأقطعه الضياع، وقام هو وبنوه تحت إكرام وبرة إلى أن انقرضوا»[132]. ويبدو أن عبد المومن الموحدي استأدب أبا العباس التدميري لبنيه في مراكش، وظل يشغل هذا المنصب وينتقل بانتقال الخليفة، وكان يحضر معه الغزوات حتى كانت غزوته للمهدية سنة 555هـ فحضر أبو العباس فتحها، وعند عودته منها إلى المغرب وفي مدينة فاس توفي هذا العالم.

أشاد به مترجموه واتفقوا على وصفه كعالم بالعربية واللغات والآداب، متقدم في صناعتها.

مؤلفاته :

1. نظم القرطين وضم أشعار السقطين : جمع فيه أشعار الكامل للمبرد والنوادر لأبي علي البغدادي. ألفه لمحمد بن علي بن حمدون وزير بني الناصر الصنهاجيين[133].
2. التوطئة : تأليف في النحو.
3. شفاء الصدور : في شرح أبيات الجمل للزجاجي. قال عنه ابن الأبار[134] : «كتاب مفيد كبير الحجم كثير الامتاع»[135]. انتهى من تأليفه سنة 538هـ.
4. المختزل : اختصار للشرح : شفاء الصدور.
5. تسديد قواصد الميز في شرح شواهد بن عزيز[136] : وهو شرح شواهد

---

(132) الحلل الموشية : 149.

(133)(134) التكملة : 65/1.

(135) نقل السيوطي في المزهر نقولا منه في ج 1، ص 180.

(136) الذيل والتكملة : 236/1.

كتاب نزهة القلوب في غريب القرآن لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني[137].

6. الفوائد والفرائد.

7. شرح أدب الكتاب.

8. شرح مقصورة ابن دريد[138].

9. التصريح بشرح غريب الفصيح.

التصريح بشرح غريب الفصيح[139] للتدميري :

يوجد من هذا التأليف نسختان مخطوطتان :

ـــ نسخة خزانة ابن يوسف بمراكش ـــ المغرب، رقم : 593.

ـــ نسخة نور عثمانية باسطمبول رقم : 3992 وهي المعتمدة في هذه الدراسة[140]. تتكون من 98 ورقة، في كل ورقة صفحتان، في كل صفحة 17 سطرا. عدد كلمات كل سطر حوالي 10 كلمات. كتبت بخط نسخي مقروء مشكول شكلا جزئيا في نهايتها اسم الناسخ : «كتبه إسحاق بن عبد المومن بن علي بن صالح المغربي الصنهاجي بالقاهرة، وبعدها كلمات مطموسة، خالية من تاريخ النسخ. ويلاحظ أن حرف الكاف غفل في أغلب الحالات من طرفه الأعلى، والألف المقصورة تكتب كالياء بنقطتين مسفولتين، وقد أصاب الطمس بعض الكلمات، وفيها حذف لبعض الكلمات والحروف، كما أن بها أخطاء نحوية متعددة.

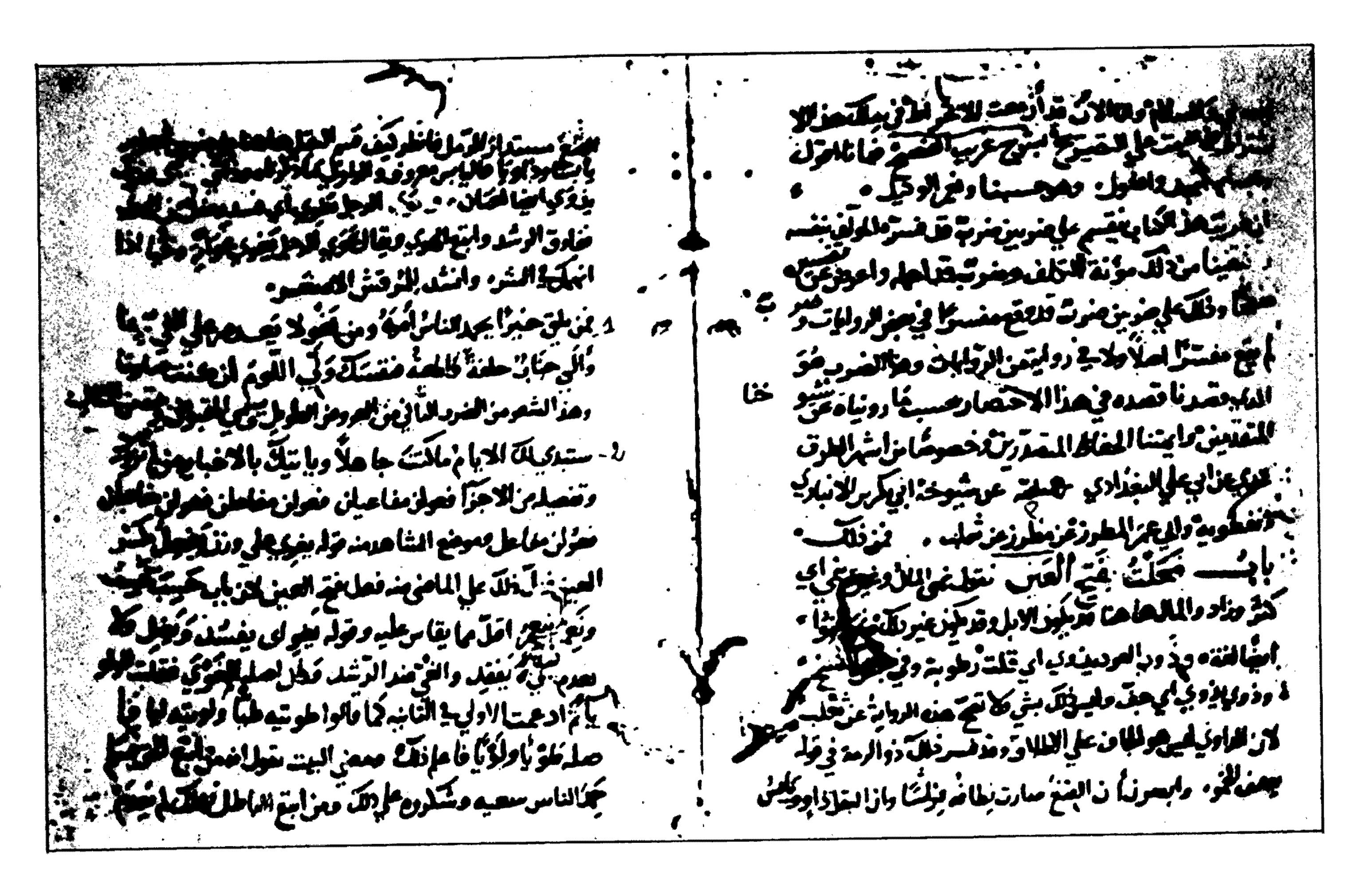
أما الأشعار فكتبت مدورة يكتفي بوضع علامة (¨) في نهاية البيت أو

(137) **الذيل والتكملة** : 236/1.

(138) انفرد بذكر هذا التأليف القفطي في **إنباه الرواة** : 145/1.

(139) أشار إلى هذه المخطوطة صاحب كتاب **الدراسات اللغوية في الأندلس** في القسم الثالث : الشروح وكتب التفسير في الملحق الأول ص 147 وذكر عنوانها «التصريح **لشرح غريب الفصيح**». وذكرها عاطف مدكور ضمن شروح **الفصيح**، ص 180 وسماها **شرح غريب الفصيح** وذكرها ضمن شروح **الفصيح** المفقودة. انظر ص 191. وذكرها الدكتور عبد العلي الودغيري في كتابه **ابن الطيب الشرقي** ص 216.

(140) تفضل بتصويرها لي مشكورا الدكتور عزت حسن.



التصريح بشرح غريب الفصيح

الأبيات، وأحيانا يخل بذلك فيكتب البيت ضمن المتن أو يكتبه ثم يكمل السطر بكتابة المتن دون أن يفصل بين النظم والنثر.

لم يهتم الناسخ بكتابة عناوين الأبواب بشكل بارز و لم يفصل بينها وبين المتن فقد يكمل شرح باب من الأبواب ومع نهاية الشرح يورد عنوان الباب الذي يليه دون أن يفصل بين الأبواب، مثلا : «ما عِجْتُ بكلامه أي ما عَبَأْتُ به، وبعضهم يقول ما عُجْتُ بكلامه بضم العين أي ما ألفت[141] إليه مأخوذ من عَجَتِ الناقة باب فعلت وأفعلت باختلاف المعنى قوله وأحبست فرسا في سبيل الله»[142].

المقدمة :

تبدأ المخطوطة «باسم الله الرحمان الرحيم وبه نستعين، قال أبو العباس أحمد ابن عبد الجليل بن عبد الله التدميري عفا الله عنه».

استفتح المؤلف خطبة كتابه بحمد الله تعالى على ما فضل بهما الإنسان على الحيوان وهما العقل واللسان «الحمد لله الذي فضل الإنسان بمعرفة البرهان على سائر أنواع الحيوان، كما جعل اللسان لما اختص به من البيان مترجما عن عقائد الجنان :

فَلَوْلاَ عُقُولُ ٱلنَّاسِ كَانُوا بَهَائِمَا
وَلَوْلاَ لِسَانُ ٱلْمَرْءِ عُدَّ مِنَ ٱلْبُكْمِ»[143]

ثم صلى على أكرم المرسلين وآله وصحبه، ثم تطرق إلى ضرورة الإحاطة باللغة العربية لكل من هو مسلم، إذ لا يتوصل إلى فهم الشريعة على الوجه الأكمل إلا إذا استطاع فهم معانيها، وإدراك جواهر ألفاظها، قال : «فإِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ صِفَاتُهُ وَأَسْمَاؤُهُ قَدْ تَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِٱلْوُجُودِ بَعْدَ ٱلْعَدَمِ كَمَا تَعَرَّفَ إِلَيْنَا بِنُعُوتِ ٱلأَزَلِيَّةِ وَٱلْقِدَمِ، وَتَطَوَّلَ عَلَيْنَا بِٱلْهِدَايَةِ إِلَى مَعَالِمِ ٱلإِسْلاَمِ، كَمَا بَعَثَ

---

(141) كذا بالأصل، ولعلها التفت.

(142) الورقة 20 من **التصريح بشرح غريب الفصيح**.

(143) **التصريح**، الورقة 3.

إِلَيْنَا رَسُولَهُ مُحَمَّداً عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ وَحَضَّنَا بِوَسَاطَتِهِ عَلَى سُلُوكِ ٱلصِّرَاطِ ٱلْمُسْتَقِيمِ، كَمَا حَضَّنَا عَلَى لِسَانِهِ بِدَلاَئِلِ ٱلآيَاتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ فَقَالَ وَهُوَ أَصْدَقُ ٱلْقَائِلِينَ : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ نَزَّلَهُ عَلَى ٱلرُّوحِ ٱلأَمِينِ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ فَمَا أَقْبَحَ بِٱلْمُتَرَبِّطِ بِقَرَنِ ٱلدِّينِ وَٱلْمُنْخَرِطِ فِي نِظَامِ ٱلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَحَلَّى بِحِلْيَةِ ٱلشَّرِيعَةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ مَعَ (تعذر)[144] عَنْ جَوَاهِرِ ٱللُّغَةِ ٱلْيَعْرُبِيَّةِ أَوْ يَدَّعِي حَقِيقَةَ ٱلإِيمَانِ وَهُوَ جَاهِلٌ بِأَلْفَاظِ ٱلسُّنَّةِ وَٱلْقُرْآنِ :

وَهَلْ هُوَ إِلاَّ كَٱلصَّدَى عِنْدَ رَجْعِهِ
حِكَايَةَ صَوْتِ ٱلنَّفْرِ أَوْ قَوْلِ قَائِلِ

وَمَا أَجْمَلَ بِٱلأَدِيبِ ٱلْكَامِلِ ٱللَّوْذَعِيِّ وَٱلأَرِيبِ ٱلْعَاقِلِ ٱلأَلْمَعِيِّ أَلاَّ يُغْفِلَ حَظَّهُ مِنْ هَذَا ٱلْعِلْمِ أَوْ يَضْرِبَ فِي أَغْرَاضِهِ بِأَوْفَرِ سَهْمٍ مُتَوَصِّلاً بِذَلِكَ إِلَى فَهْمِ حَقِيقَةِ ٱلْخِطَابِ مُسْتَعِيناً بِهِ عَلَى عِلْمِ ٱلسُّنَّةِ وَٱلْكِتَابِ :

فَيَسْطُو بِفَضْلِ ٱلْقَوْلِ فِي كُلِّ مَحْفَلٍ
وَيَخْطُو بِبَاعِ ٱلْعِلْمِ فِي كُلِّ مَجْهَلِ[145]

أشار في المقدمة إلى أمرين : أولهما : انحدار مستوى اللغة في عصره وكيف أصبح طلبها عند طلاب العلم مطلبا صعبا، عمل «الفصيح» على تسهيله وتبسيطه. قال أبو العباس : «بَيْدَ أَنَّ بِحَارَ ٱللُّغَةِ لَعَمْرُ ٱللَّهِ قَدْ أَصْبَحَتْ بَعِيدَةَ ٱلْغَوْرِ عَمِيقَةَ ٱلْقَعْرِ، وَلَكِنَّ كِتَابَ «ٱلْفَصِيحِ» عَلَى ٱخْتِصَارِ عِلْمِهِ وَاسْتِصْغَارِ جَرْمِهِ وَحَجْمِهِ قَدْ أَمْسَى مَدْخَلاً إِلَى لُجَجِهَا وَمَرْكَباً إِلَى مُعْظَمِهَا وَثَبَجِهَا مَعَ أَنَّ ذِكْرَهُ قَدْ أَغَارَ عِنْدَ ٱلأُدَبَاءِ وَأَنْجَدَ بَعْدَمَا صَوَّبَ فِي طَرِيقِ ٱلإِسْتِعْمَالِ وَصَعَّدَ حَتَّى صَارَ مِفْتَاحاً لِبَابِ ٱلأَدَبِ وَمَبْدَأً لِحِفْظِ كَلاَمِ ٱلْعَرَبِ :

وَمَطَالِعُ ٱلْجَوْزَاءِ فِي فَلَكِ ٱلْعُلاَ لاَبُدَّ فِيهِ مِنْ أَوَّلِ ٱلدَّرَجَاتِ»[146]

---

(144) غير واضحة في الأصل.

(145) التصريح، الورقة 3.

(146) المصدر نفسه، الورقة 3.

والأمر الثاني : مدح تأليفه وإطراؤه في قوله : «حَتَّى أَبْرَزْتُهُ مِنْ حِجَالٍ فِي مِثْلِ حُلَلِ آلْبُكُرِ :

تَسْحَبُ لِلْعَلْيَاءِ أَذْيَالَهَا	لَكِنَّهَا تَأْنَفُ أَنْ تُسْتَضَامْ
قَدْرَضِيَتْ بِالصَّوْنِ خِطْباً لَهَا	عَنْ بَذْلِ مَاءِ آلْوَجْهِ عِنْدَ آللِّئَامْ
قَالَتْ وَقَدْ سَامَ آلنَّدَا بَعْضَهَا	دَعْنِي فَمَا هَذَا زَمَانُ آلْكِرَامْ
إِذَا كُنْت يَا مُنْشِيءُ ذَا فَاقَةٍ	فَقِفْ بِبَابِ آللَّهِ لِي وَآلسَّلاَمْ»[147]

منهجيته في هذا الشرح :

1 ــ التزم بشرح الغريب من معاني **«الفصيح»** وألفاظه مضربا عن الإطالة والإسهاب، مقتصرا على الإيجاز والاختصار. قال : «وعن وجوب ما قمت لحفاظه بشرح الغريب من معانيه وألفاظه على حسب ما يقتضيه الاقتصار من الإيجاز والاختصار، ويتضمنه الإضراب عن الإطالة والإسهاب»[148].

2 ــ قسم الغريب أنواعا :

I ــ نوع جاء مفسرا في الكتاب.

II ــ نوع ثاني أغفل ثعلب شرحه، وهذا النوع ينقسم قسمين :

أ) قسم وقع مفسرا ومشروحا في روايات اللغويين.

ب) قسم لم يفسر أصلا في أي رواية من الروايات، وهذا الأخير هو المقصود عند التدميري بشرح غريب الفصيح.

قال أبو العباس : «إن غريب هذا الكتاب ينقسم على ضربين، ضرب قد فسره المؤلف بنفسه فاكتفينا من ذلك مؤونة التكلف، وضرب قد أهمله وأعرض عن تفسيره صفحا، وذلك على ضربين : ضرب قد وقع مفسرا في بعض الروايات، وضرب لم يقع مفسرا أصلا ولا في رواية من الروايات، وهذا الضرب هو الذي قصدنا قصده في هذا الاختصار»[149].

---

(147) المصدر نفسه : 3، 4.

(148) المصدر نفسه : 3.

(149) المصدر نفسه : الورقة 3.

لم يشر أبو العباس في مقدمته إلى جانب هذا إلى أي طريقة سيتبعها في هذا الشرح ولا كيف سيتعامل مع نص «الفصيح» نثره ونظمه، وإنما ترك لنفسه حرية التصرف.

فهل التزم التدميري بما ذكر في المقدمة ؟ وما هي المنهجية الملموسة في هذا التأليف ؟

بدراسة هذا الشرح تتضح بعض الملاحظات أبينها فيما يلي :

أولا : الشرح بالإيجاز : التزم أبو العباس بهذا الشرط في بعض المواضع فقط حيث عرض لشرح اللفظ بما يناسبه من معنى شرحا موجزا كقوله في نمى : «تقول نَمَى المال وغيره يَنْمِي أي كَثُرَ وزادَ المال هنا قد يكون الإبل وقد يكون غير ذلك، ونَمَا يَنْمُو أيضا لغة»(150).

ويتضح هذا الإيجاز بشكل واضح عند عرضه لبعض الأفعال : «كَلَّ بَصَرِي كُلُولاً أَيْ ضَعُفَ عَنِ ٱلإبصَارِ وَٱلرُّؤْيَةِ وكذلك السَّيْفُ إِذَا نَبَا عن الْقَطْعِ وَالتَّأْثِيرِ، وَسَبَحْتُ أَيْ عُمْتُ أَعُومُ، وَالسِّبَاحَةُ وَٱلْعَوْمُ فِي ٱلْمَاءِ، وَٱلسِّبَاحَةُ أَيْضاً ضَرْبٌ مِنَ ٱلْعَوْمِ ٱلسَّرِيعِ مَأْخُوذٌ مِنْ ذَلِكَ، وَشَحُبَ لَوْنُهُ يَشْحُبُ بِٱلضَّمِّ وَٱلْفَتْحِ فِي ٱلْمُضَارِعِ أَيْ تَغَيَّرَ، وَقِيلَ تغير بضمور وَشَحُبَ يَشْحُبُ بِالضَّمِّ فِيهَا أَيْضاً لغة وكذلك سَهَمَ وَجْهُهُ يَسْهُمُ بِٱلضَّمِّ وَالْفَتْحِ في المضارع معناه أيضا تغير وضمر وقيل تغير بعبوس»(151).

ولم يقتصر في مجال الإيجاز على شرحه للأفعال، بل حتى في الأسماء يستعرض ما فيها من لغات وشرح على وجه الاختصار كقوله : «وهو في رَخَاءٍ من العيش أي في رَغَدٍ منه وسَعَةٍ وكأنه مأخوذ من الشيء الرَّخْوِ وهو اللَّيِّنُ ٱلرَّطْبُ، وهو صَدَاقُ المرأة وإن شئت صَدُقَةٌ وَصَدْقَةٌ وزاد غيره صِدَاقُ المرأة بكسر الصاد أيضا وهو معروف، وهو الشَّنْفُ يعني القِرْط الذي يعلق في الأذن وقيل إنما الشنف ما يعلق في أعلى الأذن، وقيل إنما الشَّنْفُ ما يُعَلَّق في أَعْلَى الأُذُنِ، وجمعه شُنُوفٌ،

(150) المصدر نفسه : الورقة 4.

(151) المصدر نفسه : الورقة 7.

والقِرْطُ ما يُعَلَّقُ فِي أَسْفَلِهَا، وجمعه أَقْرَاطٌ، وَالشَّنَفُ بفتح النون البُغْضُ وَالقِلاَ، وَفَصُّ ٱلْخَاتَمِ هو الحَجَرُ ٱلذي يَكُونُ فِيهِ مِنْ يَاقُوتٍ وَغَيْرِهِ وهو معروف، وَفَصُّ الخَاتِمِ بالكسر أيضا لُغَةٌ»[152].

ثانيا : إخلاله بشرط الإيجاز : وذلك في تتبعه لأصل الفعل ومصدره وما حدث فيه من قلب أو إدغام كقوله : «يَغْوِي على وزن يَفْعِل بكسر العين فدل ذلك على الماضي منه فَعَلَ بفتح العين لأن باب حَسِبَ يَحْسِبُ وَنَعِمَ يَنْعَمُ أقل مما يقاس عليه، وقوله يَغْوِ أي يفسد وَيَضِلُّ ولا يُعْدَم....[153] وَٱلْغِيُّ ضِدَّ ٱلرُّشْدِ وَكَأَنَّ أَصْلَهُ ٱلْغَوْيُ فقلبت الواو ياءا ثم أدغمت الأولى في الثانية كما قالوا طَوَيْتُهُ وَلَوَيْتُهُ لَيّاً وأصله طَوْياً وَلَوْياً فاعلم ذلك. ومعنى البيت تقول إنه من اتبع الحق فسلم حمد الناس سعيه وشكروه على ذلك، ومن اتبع الباطل فهلك لم يعدم لذلك لائما ولا فقد عليه دائما كما قال الآخر :

وَٱلنَّـاسُ مَـنْ يَلْـقَ خَيْـراً قَائِلُـونَ لَـهُ
مَـا يَشْتَهِـي وَلأُمِّ ٱلْمُخْطِـيءِ ٱلْهَبَـلُ»[154]

ولا يقف عند هذا الحد، بل ينتقل إلى إعراب البيت كلمة كلمة. وقد يأتي فعل ــ كهرق ــ فيأخذ من اهتمام أبي العباس الشيء الكثير فينساق في تفسير أصْل الفعل وما حدث فيه انسياقا لا يسلم معه من التكرار. يقول أبو العباس : «وَهَرَقْتُ الماء فأنا أُهَرِيقُه أي صببته فأنا أصبه، وإذا أمرت قلت هَرِقْ مَاءَكَ وكذلك أَرَقْتَ ٱلْمَاء فأنا أُرِيقُهُ، وَإِذَا أمرت قلت أَرِقْ مَاءَكَ وهو الأصل، يعني أن الأصل في هَرِقْ مَاءَكَ أَرِقْ مَاءك بالهمز وكذلك هَرَقْتُ الماءَ أصله أَرَقْتُ ٱلْماء والهاء بدل من الهمزة التي تكون في أفعلت، لأن الهاء ألين من الهمزة ومقاربة لها في المخرج، فأبدلت هاهنا كما أبدلت في «هِيَاكَ نَعْبُدُ»، «وَلَهِنَّكَ مِنْ بَرْقٍ عَلَيَّ كَرِيمٍ»، فإن الأصل هاهنا في هرقت أرقت مأخوذ من قولك رَاقَ الماء يَرِيقُ

---

(152) **المصدر نفسه** : الورقة 37.

(153) مقدار كلمتين غير واضحتين، الورقة 4.

(154) **التصريح**، الورقة 4.

رِيقاً إذا انْصَبَّ، وَأَرَقْتُهُ أَنَا إذا صَبَبْتُه، والأصل في أَرَقْتُ قبل الاعتلال أُرْيَقْتُ على مثال أَكْرَمْتُ، فلما اعتلت الياء في الفعل الثلاثي لتحركها وانفتاح ما قبلها وجب من ذلك أن تعتل في الفعل الرباعي»[155].

ولا يكتفي بهذا القدر، وإنما يستعرض قول سيبويه ويأتي بالشواهد الشعرية على هذا الفعل، ويستغرق ذلك منه ثلاث صفحات. ويتكرر مثل هذا كثيرا في تضاعيف شرحه، فالفعل: زَرَرْتُ، استغرق شرحه وعرض مختلف لغاته خمس صفحات[156] ملأها بالمباحث في علم النحو مستقصيا حالات الرفع والفتح والجر.

ثالثا : إخلاله بشرط الشرح : إذا كان أبو العباس التدميري قد شرط على نفسه، إلى جانب الإيجاز، شرح ما لم يتعرض ثعلب لشرحه وإغفال ما شرحه ثعلب، فإنه أخل في متن كتابه بهذا الشرط، إذ تعرض لشرح كثير من الحروف التي شرحها ثعلب، وأغفل بعضها مما لم يشرحه. فمن النوع الأول : «وقد طل دمه فهو مطلول : إذا لم يدرك بثأره»[157]. كذا جاء مشروحا في الفصيح، ومع ذلك نجد أبا العباس يشرحه بنوع من الإسهاب. قال التدميري : «وقد طُلَّ دَمُهُ فهو مَطْلُولٌ أي ذَهَبَ دَمُه باطلا ولم يُؤْخَذْ بِثَأْرِهِ أي لم يُقْتَلِ ٱلْقَاتِلُ ولا وُدِيَ القَتِيلُ، قال أبو زيد : وطُلَّ دَمُهُ يُطَلُّ وَطَلَّهُ ٱللَّهُ ولا يقال طَلَّ دَمُه بفتح الطاء، وقال أبو عبيدة طَلَّ دَمُهُ يَطِلُّ بفتح الماضي وكسر المضارع، وقال أبو عمرو في المضارع من هذا يَطَلُّ بفتح الطاء، وقال أبو عبيدة طَلَّ دَمُهُ وَدَمَهُ بفتح الطاء ورفع الدم ونصبه، وأُطِلَّ دُمُه أيضا على مثل أُفْعِلَ لما لم يسم فاعله»[158].

وجاء في الفصيح : «وهي حُمَةُ ٱلْعَقْرَبِ تعني السُّمَّ»[159] وشرحها التدميري

---

(155) **المصدر نفسه**، من الورقة 10 إلى الورقة 12.

(156) **التصريح**، من الورقة 12 إلى 15.

(157) **الفصيح**، ص 271.

(158) **التصريح**، الورقة 17.

(159) **الفصيح**، ص 306.

فقال : «وهي حُمَةُ ٱلْعَقْرَبِ يَعْنِي السُّمَّ، وقال غيره يَعْنِي شَوْكَتَهَا التي تلسع بها، ويقال لها الأُبَرَة ووزنها فُعْلَة بسكون العين قياسا على نظائرها من غير المحذوف مِثْل كُلْيَةٍ وَمُدْيَةٍ وَزُبْيَةٍ وَرُقْيَةٍ، ومن ذَوَاتِ ٱلْوَاوِ مِثْل عُرْوَةٍ وَرُبْوَةٍ وَرُشْوَةٍ وَرُغْوَةٍ من ذوات الواو. ألا ترى أنهم قالوا حُمَةٌ وَحَمُونٌ وحُمَاتٌ، كما قالوا إِبْرَةٌ وَبُرُونٌ وَبُرَاةٌ، وقالوا بُرىً. قال سيبويه : فكسروها على الأصل، يعني قالوا بَرِي، كما كسروا نظائرها التي لم تحذف نَحْو كُلْيَةٍ وَكُلاً وَزُبْيَةٍ وَزُبىً وكذلك الحُمَةُ من هذا القبيل إلا أنها محذوفة اللام، ولامها ياء وكأنها مأخوذة من حَمِيَتِ النَّارُ تَحْمَى حَمْياً إذا اشتدت حرارتها»[160].

ومن النوع الثاني الذي لم يشرحه ثعلب ومع ذلك أغفله أبو العباس التدميري قوله : «وهو المكارى وهم المكارون»[161] فقد وردت بين «فلان من علية الناس» و«عنب ملاحي» وتصدى التدميري لشرح العبارة الأولى وانتقل مباشرة للتي تليها في قوله : «يقال فلان من علية الناس أي من أعاليهم وأكابرهم وهو جمع (يصل)[162] علي أي شريف رفيع وهو من ذوات الواو لأنه من عَلَوْتُ أَعْلُو عُلُوّاً فكأن أصله عُلْوَة ثم قلبت الواو ياء لمكان كسرة العين لأن الساكن حاجز غير حصين فكأن الكسرة باسرت الواو، قال أبو الفتح : ومثل ذلك فِتْيَةٌ من فَتَوْتُ وصِبْيَةٌ مِنْ صَبَوْتُ، وهو شاذ لا يقاس عليه، وعنب ملاحي لضرب منه طويل الحب»[163].

رابعا : الاستشهادات : وتحتل في كتاب «**التصريح**» مكانة بارزة لتنوع مستوياتها اللغوية والدلالية، فإذا كان الاستشهاد بالقرآن والحديث والأمثال والأشعار شيئا قائما عند كل المؤلفين وشيئا يعتبر موروثا مشتركا في كل المؤلفات، فإن الاستشهاد عند أبي العباس التدميري في تصريحه يمكن رصده على مراتب :

---

(160) **التصريح**، الورقة 61.

(161) **الفصيح**، ص 305 (باب المخفف).

(162) كذا في الأصل، الورقة 60. ولعل صوابها (يطلق) وهي من الأخطاء المتكررة في هذه النسخة.

(163) **المصدر السابق**.

• **القرآن** : فاقت الآيات التي ساقها في تأليفه أربعين آية بثها في ثنايا كتابه، استشهادا على لفظ أو على معنى أو على استعمال وهو عدد كبير إذا قيس بعدد الآيات التي استشهد بها ثعلب في «الفصيح»[164].

• **الحديث** : استشهاده به يبدو ضعيفا، فقد اقتصر على أربعة أحاديث فقط، وحتى ما ورد في «الفصيح» مما أصله من الحديث الشريف مر به مر الكرام و لم يشر إلى أنه ورد في الحديث كقوله : «والعود معروض على الإناء أي ممدود عليه»[165]. وقد يكون هذا راجعا إلى نوعية ثقافته التي تغلب عليها العلوم اللغوية والأدبية، فقد «كان مقدما في صنعة الاعراب ضابطا للغات حافظا للآداب ذا حظ من قرض الشعر»[166].

• **الأمثال** : والمقصود منها ما ساقه التدميري للاستشهاد على شروحه باستثناء ما جاء في أصل «الفصيح» في «باب ما جرى مثلا أو كالمثل» فقد يأتي بشرح الكلمة فتوحي له بالمثل فيسوق المثل شارحا معناه وفيما ضرب له ثم تتداعى الخواطر فيسوق المثل تلو المثل كقوله في حر : «وَحَرَّ المَمْلُوكُ يَحَرُّ بفتح الحاء لا غير أي صار حُرّاً، ويقال في المثل حِرَّةٌ تحتها قِرَّة، فالحِرَّة العطش، والقِرَّة البارد، يضرب مثلا للذي يصيبه العطش في اليوم البارد وللذي يظهر خلاف ما يخفي، ومثل ذلك من المثل هدنة على دخن، وجماعة على إقذاء، ومثله : أَغَنْ صَبُوحٍ تُرَقِّقُ، وهو يُسِرُّ حَسْواً فِي ارْتِغَاء»[167].

• **الأشعار** : ويمكن تقسيمها إلى قسمين :

— نوع ساقه ثعلب في الفصيح فهو من شواهده.

— نوع ساقه التدميري للاستشهاد.

---

(164) أربع آيات، انظر فهرس الآيات، **الفصيح** ص 330.

(165) **التصريح**، الورقة 31. وانظر الحديث في **صحيح مسلم** : 105/6.

(166) **بغية الوعاة**، نقلا عن ابن عبد الملك، ص 138، الطبعة الأولى.

(167) **التصريح**، الورقة 30. وانظر أيضا الورقة 97 في شرحه **اللبن الصريح** : ومنه يقال في المثل «وتحت الرغوة اللبن الصريح».

1) **شواهد الفصيح :**

وضع التدميري لها منهجا خاصا في شرحها يلخص فيما يلي :

أ) الدراسة العروضية : يذكر البحر ونوع عروضه وتسميته ويأتي بمثال له ويذكر تفعيلاته.

ب) يذكر موضع الشاهد منه. شرح اللفظ وتقصي حالاته وأوزانه.

ج) المعنى العام للبيت.

د) الاستشهاد عليه.

هـ) إعرابه كلمة كلمة.

وقد التزم هذا المنهج في شرح جل شواهد «الفصيح».

نموذج : «وأنشد لعبد الله بن قيس الرقيات يصف لبؤة وشبليها :

مَا مَرَّ يَوْمٌ إلاَّ وَعِنْدَهُمَا   لَحْمُ رِجَالٍ أَوْ يُولَغَانِ دَمَا

تُرْضِعُ شِبْلَيْنِ فِي مَغَارِهِمَا   قَدْ نُهِزَا لِلْفِطَامِ أَوْ فُطِمَا

وهذا الشعر من الضرب الأول من العروض المنسرح ويسمى الطري. وبيته في المثال :

إنَّ ابْنَ زَيْدٍ لاَيَزَالُ مُسْتَعْمَلاً   بِالْخَيْرِ يُغْشِي فِي مِصْرِهِ الْعُرْفَا

وتفعيلته من الأجزاء :

مستفعلن مفعولات مفتعل   مستفعلن مفعولات مفتعل

وموضع الشاهد من قوله «يولغان» فدل على أنهم يقولون ولغ الكلب وأولغه صاحبه لازما ومتعديا، فإذا بنوا هذا المتعدي إلى ما لم يسم فاعله قالوا : أولغ الكلب يولغ ويولغان إذا كانا كلبين وتولغ إذا كانت كلابا كثيرة، ومعنى البيت يقول : إن هذين الشبلين تحت خصب ورفاهية لأن أمهما تفترس الرجال وتطعمهما لحومهم أو تولغهما دماء آخرين إشارة إلى اللحم الطري، ففي كل يوم لا يخلو من ذلك. قال امرؤ القيس يصف العقاب وكثرة ما عندها من الصيد :

كَأَنَّ قُلُوبَ ٱلطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً   لَدَى وَكْرِهَا ٱلْعُنَّابُ وَالحَشَفُ ٱلْبَالِي

وأما الإعراب فإن ما هاهنا فيه بمنزلة ليس، ومر يوم جملة من فعل وفاعل

وإلا حرف معناه الإيجاب، ولحم رجال موضوع بالابتداء وعندهما خبر مقدم، والجملة في موضع الحال من اليوم، والواو هاهنا واو الحال والتقدير : ما مر يوم إلا ولحم رجال كائن عندهما : أي ما مر يوم إلا مصادفا عندهما ذلك، والهاء والميم ضمير الشبلين من البيت الأول، وقوله يولغان جملة من فعل وفاعل معطوفة على الجملة الأولى من المبدأ والخبر وموضعهما كموضعهما، وزعم بعضهم أنه على خبر ابتداء محذوف والتقدير عنده أو هما يولغان دما، ودما منصوب على أنه مفعول ثاني ليولغان لأنه بمعنى يسقيان دما. وأنشد الفراء :

شَرُّ قَرِيــنٍ لِقَرِيــنٍ بَعْلَتُــهُ   تُولِـغُ كَلْباً سُؤْرَهُ أَوْ تَكْفُتُــهُ

وقد قيل إنه منصوب على إسقاط الخافض والمفعول الأول هي الألف التي هي ضمير الشبلين في يولغان وقد قامت فيه مقام الفاعل والتقدير أو يولغ الشبلان دما فاعلم ذلك»[168].

2) استشهادات التدميري :

وهي النماذج الشعرية التي اختارها في تأليفه، وهي أنواع :

أ) الأشعار التي يستدل بها كأمثلة على بحور شواهد الفصيح.

ب) أشعار يستشهد بها على معاني الألفاظ، ويغلب عليها الإيجاز، إذ لم يتعقبها بشرح و لم يتتبع فيها حالات الإعراب، فجاءت مختصرة يكتفي فيها أحيانا بقوله : قال الشاعر، كشرحه للفظ الابلة، الذي ذكر من معانيه : «وَالأُبُلَّةُ أيضا قطعة من التمر، قال الشاعر :

فَيَأْكُلُ مَــا رُضَّ مِــنْ زَادِنَــا   وَيَأْبَى ٱلأُبُلَّـةَ لَـمْ تُـرْضَضِ»[169]

ج) أشعار يستشهد بها على معاني أبيات الفصيح، فيأخذ شاهد الفصيح وبعد أن ينتهي من شرحه يأتي بأبيات مستشهدا بها على المعنى كشرحه لبيت القطامي :

إِنَّا مُحَيُّوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا ٱلطَّلَـلُ   وَإِنْ بَلِيتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ ٱلطِّيَلُ

فقد عقب عليه بقوله :

---

(168) **التصريح**، الورقة 7–8.

(169) **التصريح**، الورقة 52.

«ومعنى البيت أنه مر بالديار الخالية ووقف على الرسوم البالية فتذكر بها عصر الشباب وحن من أجلها إلى أيام التصاب فسلم عليها ودعا لها بالسلامة كما قال ذو الرمة :

أَلاَ فَاسْلَمِي يَا دَارَ مَيٍّ عَلَى ٱلْبِلاَ وَلاَزَالَ مُنْهَلاًّ بِجَرْعَائِكِ ٱلْقَطْـرُ

وإنما فعل ذلك شوقا إلى سكناها، وكنى بها عن أهلها وقطانها كما قال الآخر :

أَمُرُّ عَلَى ٱلدِّيَارِ دِيَارِ لَيْلَى أُقَبِّلُ ذَا ٱلْجِدَارَ وَذَا ٱلْجِدَارَا

وَمَا حُبُّ ٱلدِّيَارِ شَغَفْنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ ٱلدِّيَارَا»[170]

د) أبيات يستشهد بها على صيغة فعل من الأفعال، فيورد عددا منها لشعراء مختلفين يحتج بأقوالهم على أحوال وصيغ هذا الفعل وكيف جاءت في كلام العرب كما فعل في الفعل هرق :

«قال النابغة :

فَلاَ لَعَمْرُ ٱلَّذِي قَدْ زُرْتُهُ حِجَجاً وَمَا هُرِيقَ عَلَى ٱلأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

وقال زهير يصف الندماء والخمر :

تَمَشَّى بَيْنَ قَتْلَى قَدْ أُصِيبَتْ نُفُوسُهُمْ وَلَمْ تَهْرَقْ دِمَاءُ

وقال امرؤ القيس :

وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

وقال عمر بن أبي ربيعة :

فَقَعَدْتُ كَٱلْمُهْرِيقِ فَضْلَةَ مَائِهِ فِي يَوْمِ هَاجِرَةٍ لِلَمْعِ سَرَابِ»[171]

وفي هذا المثال دلالة على ثقافة أبي العباس التدميري الأدبية وإلمامه الواسع بالمحفوظ الشعري، فقد بلغت الأشعار المذكورة في المتن أزيد من 213 بيتا منها 40 وردت في «الفصيح» والباقي من استشهادات المؤلف وحظيت المقدمة وحدها ـــ زيادة على ذلك ـــ بثمانية أبيات. وبدراسة هذه الأشعار لفتت انتباهي بعض الملاحظات أجملها فيما يلي :

---

(170) **المصدر نفسه**، الورقة 33.

(171) **التصريح**، الورقة 12.

1 ـــ غلبة الشعر القديم، فكل الأشعار تنتمي إلى الشعراء القدامى، لا نجد فيها شعرا للمحدثين، وكأن أبا العباس التدميري تبع ثعلبا في اعتباره أن آخر الشعراء الذين يصح الاستشهاد بشعرهم هو إبراهيم بن هرمة (ت 170هـ)[172].

2 ـــ لم يلتفت أبو العباس التدميري إلى الموروث الشعري الأندلسي فلم يستشهد في تأليفه ببيت واحد لشاعر أندلسي.

3 ـــ تحقيق نسبة الأشعار بالنسبة لشواهد «**الفصيح**» فينسب البيت لقائله وإذا ورد في نسبته خلاف ذكر ذلك الخلاف وأوجه النسبة كما فعل مع البيتين :

«إِذَا مَا أَتَيْتَ ٱلْحَارِثِيَّاتِ فَانْعَنِي لَهُــنَّ وَخَبِّرْهُــنَّ أَلاَّ تَلاَقِيَــا
وَعَطِّلْ قَلُوصِي فِي ٱلرِّكَابِ فَإِنَّهَا سَتَبْرُدُ أَكْبَاداً وَتُبْكِي بَوَاكِيَـا»

قال التدميري : أنشد لمالك بن الريب، وقيل لعبد يغوث بن وقاص الحارثي». وبعد أن تعرض لعروض البيت وشرحه، عقب عليه بقوله : «ويروى هذا البيت من كتاب «**الأغاني**» على طريقة أخرى منسوبا إلى جعفر بن علبة الحارثي، كما أنشده أبو الفرج الأصبهاني وزعم أن قائله أخذ أسيرا فجعل يندب نفسه ويذكر ذلك ويقول :

إِذَا مَا أَتَيْتَ ٱلْحَارِثِيَّاتِ فَانْعَنِي لَهُــنَّ وَخَبِّرْهُــنَّ إِلاَّ تَلاَقِيَــا
وَقَــوِّدْ قَلُــوصِي بَيْنَهُــنَّ فَإِنَّهَــا سَتَبْرُدُ أَكْبَاداً وَتُبْكِي بَوَاكِيَـا»[173]

4 ـــ ضبط الأشعار وشكلها وتعزيز ذلك برواية سنده، كقوله عندما ذكر بيت زهير :

«ضَحُّوا قَلِيلاً قَفَا كُثْبَان أَسْنُمَةٍ وَمِنْهُــمُ بِٱلْقَسُومِيَّــاتِ مُعْتَــرَكُ

هكذا رواه ابن الأعرابي أَسْنُمَة بفتح الألف وضم النون، أُسْنُمَة بضمهما فيما

(172) أبو اسحاق إبراهيم بن علي القرشي الفهري، ولد سنة 90هـ وتوفي حوالي 170هـ، عاش بالمدينة وكان متشيعا للعلويين.
انظر **الفصيح** لعاطف مدكور، ص 142.

(173) **التصريح**، الورقة 16. وكذلك الورقة 79 في نسخة البيت إلى أكثر من قائل. والبيتان في حماسة أبي تمام منسوبان إلى جعفر بن علبة الحارثي. **الحماسة** : 111.

حكاه أبو إسحاق الزجاج عنهما من طريق موثوق وبالفتح قرأناه في شعر زهير بن أبي سلمى من طريق أبي علي البغدادي رحمه الله عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي»[174].

ومن غير شواهد الفصيح من الأشعار التي ساقها للاستشهاد، فالملاحظ أن أبا العباس التدميري لم يكن يكلف نفسه نسبة كل بيت إلى قائله، ولذلك جاءت بعض الأشعار منسوبة وبعضها الآخر اكتفى فيه بقوله : قال الشاعر، وقال آخر..

5 ــ استشهد بشعر امرىء القيس في ستة عشر موضعا، أحيانا نجده وفي نفس الورقة يستشهد بشعره مرتين[175]، وقد يأتي بشعره في موضعين متعاقبين كقوله في شرح «امْرَأةٌ مِعْطَار» : «أي كثيرة التعطر أي التطيب وضدها المرأة مِتْفَالٌ وهي التي لا تمس طيبا كما قال امرؤ القيس يصف المرأة :

لَطِيفَةُ طَيِّ ٱلْكَشْحِ غَيْرُ مُفَاضَةٍ   إِذَا انْفَتَلَتْ مُرْتَجَّةٌ غَيْرُ مِتْفَالِ

وقيل امرأة معطار أي طيبة الريح بلا عطر ولا مس طيب كما قال امرؤ القيس :

أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً   وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ»[176]

خامسا : أقوال العلماء والسابقين : في الكتاب حشد كبير لأقوال العلماء وشروحهم. فطبيعة الكتاب تستدعي من المؤلف أن يستحضر ما قيل في الموضوع وأن ينسب كل قول إلى قائله، لذلك لا غرو أن يكون «التصريح» مليء بأقوال العلماء أمثال : ابن الأعرابي والأصمعي والكسائي، والفراء، وابن قتيبة، وأبو القاسم الزجاجي، وابن درستويه، وغيرهم من علماء اللغة المشهورين.. بينما يلاحظ اعتماد أبي العباس التدميري في النحو على سيبويه، إذ تعدد ذكره له في مواضع كثيرة، واكتفى في عرضه لوجهة نظر غيره بقوله : «وقوم من النحويين»[177]. إلا أن اعتماده على سيبويه لم يكن يمنعه من أن يستعرض إلى جانب رأيه رأي غيره إذا كان في ذلك خلاف أو وجهة نظر متباينة كقوله في

(174) **التصريح**، الورقة 40.

(175) **التصريح**، الورقة 7.

(176) **نفسه**، الورقة 66.

(177) **نفسه**، الورقة 89.

إعراب لفظ «محيوك» : «إنا محيوك فالكاف في موضع خفض بالإضافة كما تقول في المفرد هذا ضارب زيدا فإذا حذفت التنوين أضفت وخفضت زيدا بالإضافة لأن النون في التثنية والجمع نظير التنوين في الأسماء المفردة وسيبويه يقيس التثنية والجمع هاهنا على المفرد، وأما الأخفش فالكاف عنده في موضع نصب»[178].

ثم إنه يستعرض وجهة نظر المدارس النحوية، كمدرسة البصرة ومدرسة الكوفة إذا ما دعا إلى ذلك الأمر. قال التدميري : «وقال الكوفيون هذا من الشاذ وكان يجب أن يقال شائل لأنه شيء لا يكون إلا للإناث خاصة مثل الحائض والطامث، قال : وهو عند البصريين جائز حسن وذلك أنهم يجوزونه على الفعل فيقولون شالت الناقة تشول فهي شائل»[179].

والملاحظ على التدميري في هذا الجانب أنه يذكر أقوال العلماء دون أن يحدد مصادره في ذلك فهو يكتفي بقوله : «قال أبو يوسف والعامة تقول لها السالحون»[180] دون أن يذكر الكتاب الذي أخذ منه إلا في النادر، وكقوله : «قال أبو محمد بن قتيبة رحمه الله»[181]. وأحيانا يكتفي بذكر اللقب فقط مع العلم أن الكثير من العلماء يشتركون في اللقب الواحد كقوله : «قال أبو الفتح»[182] و«قال أبو محمد»[183]. وقد يشير إلى الكتاب دون أن يذكر اسم المؤلف كقوله : «قال صاحب العين»[184] أو «كذا جعلها صاحب العين»[185].

وإذا كان التدميري قد أغفل الأندلسيين في استشهاداته الشعرية فإنه في اعتماده أقوال العلماء ساق عددا من الأسماء اللامعة الأندلسية منهم : أبو الحجاج

---

(178) نفسه، الورقة 33.

(179) نفسه، الورقة 94.

(180) التصريح، الورقة 89. هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق المشهور بابن السكيت (ت 244هـ) وقد ذكر مرة واحدة في الورقة 8 : «وحكاها أبو يوسف في كتاب الإصلاح».

(181) نفسه، الورقة 77.

(182) نفسه، الورقة 89. هو عثمان بن جني (ت 392هـ).

(183) نفسه، الورقة 97. ويقصد ابن قتيبة.

(184) نفسه، الورقة 12، 94.

(185) نفسه، الورقة 89.

الأعلم[186]، وأبو الحسن بن الأخضر[187]، وأبو جعفر النحاس[188]، وأبو محمد عبد الله بن محمد الزهيري[189]، وأبو بكر بن المليح[190]، وعبد الدائم القيرواني[191]، وأبو بكر الزبيدي[192].

والغريب في الأمر أن يأتي بهذا العدد من أسماء الاعلام ويعتمد مؤلفاتهم وأقوالهم ولا يشير من قريب أو بعيد إلى ما ألف حول «الفصيح» عند سابقيه كشرح مكي بن أبي طالب وشرح ابن السيد فلم ترد في الكتاب كله إشارة إلى هذين التأليفين مع العلم أنه نقل العديد من آراء الشراح المشارقة ونقل الكثير مما ألف حول «الفصيح» سواء لشرحه أو لانتقاده، فذكر أبا إسحاق الزجاج ونقل رده على ثعلب.

قال التدميري : «قال أبو إسحاق الزجاج أخطأ ثعلب هاهنا»[193] وذكر علي ابن حمزة البصري[194]، وابن درستويه[195].

سادسا : توفره على أكثر من رواية للفصيح، رغم أنه ذكر في مقدمة تأليفه روايته للفصيح عن شيوخه من أشهر الطرق عن أبي علي القالي عن شيوخه نفطويه وابن الأنباري والمطرز عن ثعلب، ويتضح من خلال «التصريح» أن أبا العباس التدميري كان يتوفر على روايات متعددة وبين يديه نسخ اختلفت وإلى حد ما بالزيادة أو النقصان. وإذا كان الشرح ينصب على النسخة المعتمدة، فإن التدميري

---

(186) **نفسه**، الورقة 70. قال التدميري : «وزعم أبو الحجاج الأعلم في شرح أبيات الكتاب»، يقصد كتابه : **عيون الذهب في شرح أبيات الكتاب (كتاب سيبويه)**.

(187) **نفسه**، الورقة 71.

(188) **نفسه**، الورقة 94.

(189) **نفسه**، الورقة 70 و76 و95 و90 و63.

(190) **نفسه**، الورقة 41.

(191) **نفسه**، الورقة 78.

(192) **نفسه**، الورقة 66.

(193) **نفسه**، الورقة 94.

(194) **نفسه**، الورقة 84.

(195) **نفسه**، الورقة 90.

كان يشير إلى ما ورد من زيادة في نسخة أخرى كقوله :

«وأنشد في بعض الروايات :

ذِيَادَ ٱلصَّوَادِي عَنْ قِرَى ٱلْمَاءِ بَعْدَمَا   أَتَى بِٱلْفَلاَ سَبْعٌ لَهَا وَثَمَانِي»(196)

أو في نسخ إذا تعددت تلك الروايات كقوله :

«وأنشد في بعض الروايات بيتا يختم به هذا الكتاب :

لَهَا رَدَجٌ فِي بَيْتِهَا تَسْتَعِدُّهُ

إِذَا جَاءَهَا يَوْماً مِنَ ٱلنَّاسِ خَاطِبُ»(197)

وتعددت إشاراته إلى النسخ الأخرى ــ في غالب الأحيان ــ في رواية الأشعار. والملاحظ أن التدميري على قدر توسعه في شرح الشواهد وذكر عروضها وبحورها وإعرابها كلمة كلمة، فإنه يكتفي بذكر البيت المروي في النسخ الأخرى دون أن يشير إلى شرح ألفاظه وذكر قائله، ويكتفي بسرد هذه الزيادة. أما إذا كانت الزيادة في ذكر لفظ أو معنى اسم، فإن الأمر يختلف، إذ أنه يقف عند رواية اللفظ وشرحه أو النظر في شرحه وهل هو صحيح ؟ وينتقد هذه الرواية أو تلك ويصدر حكمه إن كانت تصح عن ثعلب أو لا تصح، ويتضح لنا هذا من خلال النموذجين التاليين :

أ) في لفظ ذوى قال : «ذوى العود يذوي أي قلت رطوبته، وفي بعض النسخ وذوى يذوي أي جف، وليس ذلك بشيء ولا تصح هذه الرواية عن ثعلب لأن الذاوي ليس هو الجاف على الإطلاق وقد فسر ذلك ذو الرمة بقوله يصف الحُمُرَ :

وَأَبْصَرْنَ أَنَّ ٱلقِنْعَ صَارَتْ نِطَافُهُ   فَرَاشاً وَأَنَّ ٱلْبَقْلَ ذَاوٍ وَيَابِسُ»(198)

---

(196) **نفسه**، الورقة 30.

(197) **نفسه**، الورقة 98.

(198) **التصريح**، الورقة 4. رفض التدميري أن تنسب هذه الرواية لثعلب بينما اعتمدها علي بن حمزة البصري في مآخذه على ثعلب فقال : «وقد غلط أبو العباس في قوله : أي جف». انظر **الفصيح**، ص 222، وفيها انتقاد عاطف مدكور لعلي بن حمزة إذ عقب على تفنيد ادعاءاته بقوله : «أما التهمة الثانية فهي ملفقة حقا لأن ثعلبا لم يفسر و لم يشرح، فلا يكون الشرح الذي نسبه أبو القاسم لثعلب إلا من نسج الخيال والرغبة الملحة في التخطئة إن صدقا وإن كذبا. **الفصيح**، ص 223.

ب) في شرح المرجئة قال التدميري بعد أن ساق بعض شروحها :

«... وذكر بعضهم أن المرجئة هم الذين تولوا القطع على أهل الكبائر إذا ماتوا عليها من غير توبة بعذاب أو مغفرة، وقالوا يرجأ أمرهم إلى الله. وزعم قوم أن المرجئة قوم أرجأوا عليا عليه السلام أي أخروه و لم يعدوه رابع الخلفاء بعد موت الرسول ﷺ. وفي بعض النسخ وهم المرجئة خلاف المعتزلة وهذا خطأ»(199).

سابعا : موقفه من ثعلب : قد نجد التدميري ينتقد قول ثعلب ويحتج لانتقاده بالشرح كقوله في شرح «وحطب يبس كأنه خِلْقَة»(200) :

«وقوله كأنه خلقة تجوز منه ألا ترى أنه من المحال أن يكون الحطب يابسا في خلقته لأنه نبات فلابد أن يكون فيه أولا رطوبة ثم لايزال ييبس قليلا قليلا حتى يصل إلى الغاية وهو في تلك الدرجات كلها يسمى حطبا»(201).

وقد يأتي برأي غيره من العلماء ليستدل على ما قد يكون ثعلب أخطأ فيه، فقد أورد رأي أبي الوليد :

قال التدميري : «قال أبو الوليد : والسماني يكون واحدا ويكون جمعا ولا يجوز أن يقال للواحدة سماناة لئلا يجمع بين علامتي تأنيث، وهذا خلاف لثعلب كما ترى»(202).

ثامنا : غلبة الشروح النحوية على الشرح : فإضافة إلى ما يأتي به التدميري من مباحث في الصيغ وأحوال إعرابها في شواهد «الفصيح» يملأ تأليفه بالمباحث النحوية، وذلك في تتبعه لأحوال الأفعال ــ خصوصا المشددة منها والمعتلة ــ، فيذكر أصولها ويتتبع ما يحدث فيها من إعلال أو إبدال أو إدغام حتى تنتهي إلى ما هي عليه، كما فعل مع الفعل «حش علي الصيد»(203) وكذلك في صيغ

---

(199) **التصريح**، الورقة 21.

(200) **الفصيح**، ص 304.

(201) **التصريح**، الورقة 57.

(202) **نفسه**، الورقة 61.

(203) **نفسه**، الورقة 15.

المشتقات كأسماء الفاعلين[204]، والمفعولين، وأسماء المكان والزمان، والمرة، والهيئة، وقد استغرق هذا الاهتمام بالمباحث النحوية جانبا هاما من التأليف حتى كاد يطغى على الجانب اللغوي والأدبي فيه.

تاسعا : **معرفته العلمية والطبية** : انتشرت في تضاعيف الكتاب شروح علمية يغلب عليها الطابع الطبي، كشرحه للفعل «فلج» : «فلج الرجل من الفالج وهو داء يصيب الإنسان عند امتلاء بطون الدماغ من بعض الرطوبات فيبطل منه الحس وحركات الأعضاء، ويبقى العليل كالميت لا يعقل»[205].

وكذلك في تحديد مفهوم «النسا» وتعريفه يلاحظ الصيغة العلمية التي تطغى على هذا التحديد : «وعرق النسا خطأ عند الجميع أو الأكثر لأن النسا هو العرق بعينه وهو عرق مستبطن الفخذ يمر بالساق والعرقوب حتى ينتهي إلى الرسغ»[206].

وأيضا يستدل بما قاله الأطباء على صحة الشرح، كتعقيبه على شرح ابن خالويه للفظ الذروح، قال التدميري : «قال ابن خالويه وهو سم من السموم وكذا قال الأطباء»[207].

عاشرا : الاطلاع الواسع على الألفاظ الفارسية، ويظهر اطلاعه على ما دخل إلى اللغة العربية من أصول فارسية اطلاعا واسعا، إذ لا يمر به لفظ أو اسم أو صيغة إلا ذكر أصلها الفارسي وتركيبها في هذه اللغة، فإذا كان التدميري غير مطلع على اللغة الفارسية أصلا، فإنه مطلع على ما ألف في علوم العربية من الدخيل والمعرب، إذ يقف على الألفاظ ويشير إلى أصولها، وينقل روايات شيوخه في ذلك :

ـ «المُهْرَقُ الصحيفة وأصله بالفارسية مُهْرَةٌ»[208].

---

(204) نفسه، الورقة 57 و59.
(205) نفسه، الورقة 18.
(206) نفسه، الورقة 36.
(207) نفسه، الورقة 41.
(208) نفسه، الورقة 45.

ـــ في شرح كلمة : بأجا واحدا. قال : «وإنما هذه كلمة فارسية يؤتى بها على آخر أسماء الطبيخ كما يؤتى باللوز في العربية في أوائلها، فيقولون سكباج وزارباج وزيدباج الذي في آخره، فهو بمنزلة ياء النسب التي في أواخر الأسماء العربية ومعناه اللوزي. فمعنى سكباج الخَلِيَّة أو لون الخَلِّ لأن من شأنهم تقديم المضاف إليه على المضاف، ومعنى زارباج الرُّمَّانِيَة أو لون الرُّمَّان، وزيرباج الكَمُّونِيَّة أو لون الكَمُّون وكذلك سائر هذه الأسماء»[209].

ـــ قال التدميري : «والأرندج واليرندج ضرب من الجلود السود وأصله بالفارسية ررده»[210].

ـــ «وكان الأصمعي لا يقول بغداد وينهى عن ذلك فيقول مدينة السلام لأنه سمع في الحديث أن بغ اسم صنم، وداد عطية بالفارسية، فكأنها عطية الصنم لأن العجم تقدم المضاف[211] على المضاف. وزعم بعضهم أن بغ هاهنا بمعنى بستان وذاد بمعنى رجل، فكأنها بستان الرجل، والله أعلم»[212].

4. ابن هشام اللخمي (ت 577هـ)

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم بن خلف اللخمي ولد بإشبيلية وبها توفي سنة 577هـ، وبها تلقى تعليمه على عدد من العلماء بأبي بكر بن العربي. برز في فنون من العلوم كالآداب والنحو واللغة والتاريخ. واتفق المؤرخون على وصفه بالأستاذية[213]. وذكر ابن عبد الملك في ترجمته لأبي عبد الله بن غاز السبتي أنه «قرأ وسمع كثيرا على الوزير أبي عبد الله محمد بن هشام اللغوي النحوي السبتي صاحب شرح الفصيح وغيره»[214].

---

(209) **نفسه**، الورقة 62.

(210) **نفسه**، الورقة 65.

(211) كذا وردت في المخطوط، وهي من جملة الأخطاء الناتجة عن سهو الكلمات والحروف، والصحيح المضاف إليه، الورقة 77.

(212) **المصدر نفسه**.

(213) **التكملة** : 675/2 ـــ **المطرب** : 183 ـــ **بغية الوعاة** : 20/1 ـــ **الوافي بالوفيات** : 13102 ـــ **الذيل والتكملة** : 70/6.

(214) **الذيل والتكملة** : 504/8.

أقام ابن هشام بمدينة سبتة زمنا طويلا يدرس ما كان ينتحله من علوم، ومن أبرز تلامذه أبو الحسن بن أحمد الخولاني، وأبو عبد الله ابن عبد الله الكناني، وابن العابد بن غاز السبتي، وأبو علي حسن بن محمد الجذامي، وأبو عمر يوسف بن عبد الله الغافقي.

كان له بسبتة صيت شهير وجرت مناظرات بينه وبين معاصريه أبانت عن جانب هام من شخصيته وأخلاقه وليونة جانبه منها المناظرة التي دارت بينه وبين أبي بكر بن الخدب في بعض المسائل النحوية من كتاب سيبويه، ظهر فيها شفوف ابن هشام وتفوقه.

مؤلفاته :

ذكرت له المصادر عددا من المؤلفات، منها :

— شرح مقصورة ابن دريد[215].
— إصلاح ما وقع في أبيات سيبويه وفي شرحها للأعلم من الوهم والخلل.
— تقويم اللسان.
— الفصول والجمل في شرح أبيات الجمل، الخزانة للبغدادي 122/6.
— شرح الفصيح لثعلب.
— شرح قصيدة الحريري في الظاء.
— شرح قصيدة الهاشمي في ترحيل النيرين.

شرح الفصيح :[216]

وصف المخطوط : يقع المخطوط المعتمد تحت رقم 1944 بالخزانة الحسنية بالرباط، ويحتوي على 128 صفحة، تبدأ الأولى بقوله : «بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. قال الفقيه الإمام النحوي اللغوي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم بن خلف اللخمي رضي الله عنه».

(215) سماها ابن هشام **الفوائد المحصورة في شرح المقصورة**، حققها محمد الحاج خلف في رسالة لنيل ديلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس بالرباط سنة 87.

(216) انظر ما قاله رضا عبد الجليل الطيار عن هذا المؤلف في كتابه **الدراسات اللغوية في الأندلس**، من ص 120 إلى ص 130.

وتنتهي في الصفحة 128 بقوله : «انتهى الشرح بكماله والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما». وهي خالية من تاريخ النسخ، كتب بخط مغربي مقروء، وكتبت عناوين الأبواب بمداد أحمر.

المقدمة : ذكر فيها المؤلف سبب التأليف، غايته منه، منهجيته.

أ) **سبب التأليف** : يذكر ابن هشام أنه ألف هذا الكتاب استجابة لرغبة شخص طلب منه ذلك بعد أن اطلع على ما ألف حول هذا الموضوع من شروح ولم يجد فيها ما يشفي الغليل لقصورها عن إيضاح الشرح خصوصا للمبتدئين.

قال ابن هشام : «سألتني وفقني الله وإياك لمنهاجه القويم وصراطه المستقيم أن أشرح لك ما وقع في كتاب الفصيح من الألفاظ المشكلة والمعاني المقفلة، وأنبهك على ما يبدو من الهفوات والسقطات، على ما اتصل بي في أصح الروايات، وذكرت أن أكثر من تقدم إلى شرحه لم يشفوا عليلا ولا بردوا غليلا، ولا استوفوا غرضا، ولا ميزوا من جوهر عرضا، وإنما فسروا من كل بعضا، وذكروا من فيض غيضا، وتركوا ما كان إيضاحه واجبا عليهم وفرضا، لاسيما للمبتدىء الذي يخبط في الجهالة خبط عشواء، وتنبهم عليه أكثر الأشياء، وليس عندي من الأداة، إلا القلم والدواة».

ب) **غايته من التأليف** : استجاب ابن هشام لطلب الشرح، فشرح الكتاب، وغايته الطمع في ثواب الله والرغبة في إحراز فضله، قال في ذلك : «فأجبتك إلى ذلك رجاء ثواب الله وغفرانه، وابتغاء فضله وريحانه».

ج) **منهجيته** : ذكر المؤلف أنه لم يترك حرفا إلا شرحه ولا معنى إلا أوضحه، وقبل أن يعرض خطبته في هذا الشرح اشتكى من عدم اكتراث بعض الناس بالعلم والأدب، وأورد أشعارا لبعض الشعراء يذكرون فيها كساد سوق الأدب. قال ابن هشام : «... وإنْ قَلَّ ٱلْمُنْصِفُ، وَكَثُرَ ٱلْمُتَعَسِّفُ، وَصَارَ ٱلأَدَبُ عاراً عَلَى صَاحِبِهِ، وَنَقْصاً لِطَالِبِهِ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ هَذَا ٱلْوَقْتِ، يَنْسِبُ حَامِلَهُ إِلَى ٱلشَّقَاءِ وَٱلْمَقْتِ :

أَشْقَى لِجِدِّكَ أَنْ تَكُونَ أَدِيبَا ... أَوْ أَنْ يَرَى فِيكَ ٱلْوَرَى تَهْذِيبَا
مَا زِلْتَ مُسْتَوْفِياً فَفِعْلَكَ ... عَرِّجْ وَإِنْ أَخْطَأْتَ كُنْتَ مُصِيبَا

كَٱلنَّقْشِ لَيْسَ يَتِمُّ مَعْنَى نَقْشِهِ   حَتَّى يَكُونَ بِنَاؤُهُ مَقْلُوبَا

وقال غيره أيضا في هذا المعنى جاريا على ذلك المغنى :

وَإِذَا انْتَهَيْتُ إِلَى ٱلْعُلُومِ وَجَدْتُهَا   شَيْئاً تُعَدُّ بِهِ عَلَيَّ ذُنُوبُ
وَغَضَارَةُ ٱلأَيَّامِ تَأْبَى أَنْ يُرَى   فِيهَا لأَبْنَاءِ ٱلذَّكَاءِ نَصِيبُ
وَلِذَلِكَ مَنْ صَحِبَ ٱللَّيَالِي طَالِباً   جِدّاً وَفَهْماً فَاتَهُ ٱلْمَطْلُوبُ

وهذا كله على الحقيقة غرور، وأقوال زور، فالعلم أحسن ما به تزين، وقيمة كل امرىء ما يحسن».

ثم نبه على قيمة «الفصيح» على صغر حجمه في قوله : «وكتاب الفصيح أعزك الله وإن صغر جرمه، وقل حجمه، ففائدته كبيرة عظيمة، ومنفعته عند أهل العلم خطيرة جسيمة، ومما يقوي الرغبة في مطالعته، ويحث على لزوم قراءته ودراسته، ما يروى عن أبي الحسن علي بن سليمان ابن الفضل الأخفش رحمه الله أنه قال : أقمت أربعين سنة أغلط العلماء من كتاب الفصيح. هذا قوله والزمن مغمور بفضائل العلماء، ومعمور الأرجاء بمحاسن الأدباء، لم تعف رسومه، ولا خوت نجومه. وقال بعض الشعراء ينبه في شعره على جلالة قدره وعظم خطره :

كِتَابُ ٱلْفَصِيحِ كِتَاب مَلِيح   يُقَال لقارئه مَا أَبْلَغَه
عَلَيك أُخَيَّ بِه إِنَّه   لُبَابُ اللُّبَابِ وَصَفْوُ ٱللُّغَه»

ثم يعود إلى ذكر خطبته في الشرح في قوله : «وها أنا أبدأ بشرح أبوابه، وذكر المهم من معانيه وإعرابه، على طريق الإيجاز والاختصار، ومجانبة الإكثار، ومن الله أسأل العصمة والتوفيق فهو الهادي إلى سواء الصراط لا رب غيره».

وهكذا يلتزم الشارح بذكر المهم من المعاني معتمدا في ذلك على الإيجاز والاختصار ومجانبة الإكثار. فهل توفق ابن هشام في التزامه بما شرط في مقدمته ؟

بقراءة الشرح، تتضح لنا عدة ملاحظات نجملها فيما يلي :

1 ــ طريقته في الشرح :

أ) **الإيجاز** : إذا كان ابن هشام قد اشترط على نفسه الإيجاز في الشرح فإنه وفى بشرطه، ولكن في بعض المواضع فقط حيث جاء الشرح فعلا موجزا اقتصر

فيه على ذكر معنى اللفظ، وصيغته في المضارع، أو ذكر الاسم، أو المصدر، كقوله : «دَمَعَتْ عيني : سال دَمْعُها. وقالوا : دَمِعَتْ. رَعَفْت : سال الدم من أنفي، والرُّعَاف : انبعاث الدم من الأنف، والفعل الدم وجُعِلَ للرجل على الاتساع. وقالوا : رَعُفَ. عَثَرْتُ : سَقَطْتُ، والعِثَارُ السقوط، ويقال في المستقبل : يَعْثِرُ وَيَعْثُرُ. نَفَرَ : أَسْرَعَ، ويقال في المستقبل : يَنْفِرُ وَيَنْفُرُ»[217].

ب) **الاطناب والاستطراد** : وهما السمتان الغالبتان على هذا الشرح سواء فيما تعلق بالشواهد الشعرية أو بالشروح النحوية، ففي الأولى ينسب البيت ويذكر سبب تسمية الشاعر والقصيدة التي قيل فيها ويوصل الشاهد بالبيت قبله ويقوم بإعرابه كقوله :

«البيت الذي استشهد به يروى للمرقش الأصغر وسمي مرقشا لأنه كان يزين شعره، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك، من قصيدة يقولها في قصة طويلة جرت بينه وبين عمرو بن جناب بن عوف بن مالك صاحبه وفاطمة بنت المنذر، وقبله :

وَآلَى جَنَابٌ حَلْفَةً فَأَطَعْتَهُ   فَنَفْسَكَ وَلِّ ٱللَّوْمَ إِنْ كُنْتَ لاَئِمَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْمَرْءَ يَجْذِمُ كَفَّهُ   وَيَجْشَمُ مِنْ لَوْمِ ٱلصَّدِيقِ ٱلْمَجَاشِمَا

فمن يلق...»[218].

ثم يقف على الشاهد «يغو» ويطيل الحديث فيه مستطردا إلى الأفعال التي على وزن فَعَلَ يَفْعِلُ[219].

وإذا تتبعنا ابن هشام في شرحه للشواهد نجده لا يلتزم بمنهجية موحدة، بل تختلف طريقة شرحه من شاهد لآخر، إذ يكتفي حينا بذكر اسم الشاعر، ويوصل البيت بما قبله كقوله : «والبيت الذي استشهد به للشماخ واسمه معقل بن ضرار، وبعده :

---

(217) شرح ابن هشام : ص 5 و10.

(218) ص 4.

(219) انظر الصفحات : 7، 8، 9.

يَسُدُّ بِـــهِ نَـــوَائِبَ تَعْتَرِيـــهِ عَلَى ٱلأَيَّامِ كَٱلنَّهْلِ ٱلشُّرُوعُ»[220]

وحينا آخر يأتي بالبيت فيذكر معناه فقط[221]، وقد لا يذكر البيت ويكتفي بقوله : «والبيت الذي استشهد به قيل لقيس بن زهير»[222].

أما الشروح النحوية فيظهر فيها بوضوح النفس النحوي الطويل، وهي شروح فيها الكثير من التحليل والتفصيل والشمولية والإحاطة بكل الأوجه النحوية والقواعد الصرفية، ويعتبر بحق هذا الشرح مادة نحوية بالغة الأهمية، ليس للمادة الأولى في حد ذاتها، ولكن للطريقة التي اتبعها الشارح في استقصاء استعمالات العرب للأسماء والمصادر والأفعال. ونورد هنا نماذج تظهر جانبا من هذه الشروح النحوية الغنية :

• قال ابن هشام : «وفَعَال استعملته العرب على ثمانية أقسام : يكون اسما مفردا كقَذَال، ويكون صفة كجَبَان، ويكون مصدرا كذَهَاب، ويكون جمعا كسَحَاب، وهو في هذه الأقسام الأربعة مصروف، ويكون اسما للفعل كَنَزَال وَتَرَاك، عُدِلَ عن فعل الأمر وهو انْزِلْ واتْرُكْ فَبُنِيَ، ويكون معدولا عن المصدر كجَمَادِ وفَجَار، وإنما عُدِلَ للمبالغة كما عُدِلَ اسم الفعل، ويكون صفة غالبة يختص بباب النداء كلَكَاع وغَدَار، وأصله يا لَكِيعَة ويا غَادِرَة عُدِلَ عن بناء صيغة المبالغة وإنما بُنِيَ هذا الضرب الذي قبله من المعدول عن المصدر كما بُنِيَ اسم الفعل لأن الصفة والمصدر في الدلالة على الفعل بمنزلة اسم الفعل، وقد أشبه هذان الضربان اسم الفعل لفظا وتقديرا فبُنِيَا كبنائه وبُنِيَا على حركة لالتقاء الساكنين وخُصَّا بالكسر لأن هذا الضرب يختص معناه بالمؤنث والكسر من علامة التأنيث والذي يدل على كونه للمؤنث قول الشاعر :

وَلَنِعْمَ حَشْوُ ٱلـدِّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيتْ نَزَالِ وَلُجَّ فِي ٱلذُّعْـرِ

فألحق الفعل علامة التأنيث. والقسم الثاني من أقسام فَعَال أن يكون اسما علما للمؤنث أو ما سمي به وذلك مثل قَطَام وحَذَام ورَقَاش، وهذا الضرب فيه خلاف.

---

(220) ص 16.

(221) ص 97.

(222) ص 64.

أما أهل الحجاز فيستعملونه مبنيا على حاله في حال رفعه ونصبه وجره، وبنو تميم يجرون هذا بوجوه الإعراب غير أنهم لا يصرفونه، فإذا كان هذا النوع آخره راء كحَضَار اسم كوكب، فإن الكل قد أجمعوا على بنائه. وفُعَلٌ أيضا يستعمل في الكلام على ثمانية أقسام فيكون اسم جنس كنُغَرٍ وصُرَدٍ، ويكون صفة كحُطَمٍ ولُبَدٍ، ويكون مصدرا كهُدىً وتُقىً، ويكون جمعا كغُرَفٍ وظُلَمٍ، وهذه الأقسام الأربعة مصروفة، ويكون معدولا عن فاعل كعُمَرَ وزُفَرَ وزُحَلَ، ويكون معدولا عن فَعَالَى كجُمَعَ وكُتَعَ وبُضَعَ في قول بعضهم، وفي قول غيره أنه معدول عن فُعْلٍ الذي بوزن حُمْر، ويكون معدولا عن الألف واللام كأُخَر. وهذه الأقسام مصروفة للتعريف والعدل، والقسم الثامن مما عدل في النداء على جهة المبالغة في الغَدْرِ والخُبْثِ وكان أصله يا فَاعِلُ فعُدِلَ إلى فُعَلٍ كما ذكرناه فقالوا : يا لُكَعُ ويا غُدَر ويا خُبَث ويا فُسَق، وقد مر تفسير ذلك»[223].

• قال ابن هشام : «الشاهد فيه قوله «يغو» فأتى بالمستقبل لأنه قد علم أن كل فعل أتى مستقبله على يَفْعِل بكسر العين فإن ماضيه على فَعَلَ بفتح العين إلا ما شد وأتى على فَعِلَ يَفْعِلُ، وذلك أربعة وعشرون فعلا منها خمسة أفعال صحاح والباقي معتلة»[224]. ثم يسرد الشارح هذه الأفعال متتبعا كل فعل منها في الماضي والمضارع ذاكرا ما يحدث فيها من تغيير وأقوال العلماء في ذلك كقول سيبويه والمبرد وابن جني وكراع وغيرهم..

ج) **الإلتفات إلى لحن العامة** : ذكر ابن هشام في مادة شرحه بعض الكلمات التي اختلفت العامة في الأندلس في نطقها وذلك في مواضع مختلفة :

قال ابن هشام : «وهو الزئبق الذي تقول له العامة الزَّوقُ، والصواب الزَّاوُوقُ»[225]، «وهو الجِصُّ وهو الذي تقول له العامة الجِبْسُ»[226]، «الجَوْزُ

---

(223) ص 116 و117. وانظر أيضا ص 19.

(224) ص 4. وانظر أيضا ص 17.

(225) ص 42.

(226) **نفس الصفحة**.

المُرُّ واحدتها بَقَّةٌ، وكذلك تسميها العامة»[227]، «وقيل وَزَّة كما تنطق العامة»[228]، «الإجَّاصُ وحكي إنْجَاصٌ كما تنطق به العامة»[229].

II ــ شـواهــده :

ساق ابن هشام في شرحه للفصيح مادة غزيرة من الاستشهادات فاقت من حيث النوع والكم مادة «الفصيح» نفسه، فاعتمد على القرآن والحديث وأقوال العلماء وأشعار الشعراء.

أ) **القرآن** : أول ما يستشهد به المؤلف في شرحه، إلا أن الملاحظ عليه في سوقه للآيات أنه قد يكتفي بالآية الواحدة مستشهدا بها في موضع واحد، وقد يأتي بآيات قرآنية متتالية في موضع آخر نتيجة لتعقبه لحال الفعل في حال الالتزام والتعدية فيأتي بنصوص قرآنية يستشهد بها على أحوال هذا الفعل كقوله وهو يشرح «هديت القوم الطريق دللتهم عليه» إذ قال الشارح : «هذا يتعدى إلى مفعولين أحدهما بحرف الجر فالقوم هم المفعول الأول والطريق المفعول الثاني على إسقاط حرف الجر والمجرور، قال تعالى : ﴿إهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي إلى الصراط، وقال في المتعدي بإلى من غير إسقاط : ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ وقال : ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ ٱلصِّرَاطِ﴾ وقد يتعدى أيضا إلى الثاني باللام نحو قوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ وقوله : ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾. فهذا الفعل يتعدى بإلى ومرة بالام وهو بمنزلة أوحى، قال تعالى : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّمْلِ﴾ فعداه بإلى وقال : ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ فعداه باللام، فأما قوله : ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾ فصراطا مفعول بفعل مضمر دل عليه يهديهم والتقدير يُعَرِّفُهُمْ صراطا مستقيما﴾»[230].

---

(227) نفس الصفحة.

(228) ص 44. وانظر أيضا الصفحات : (65 الاجاص : الانجاص) (اترنج : الترنج) (ص 67 وز : كما تنطق به العامة).

(229) ص 65.

(230) الصفحة 19. وانظر أيضا ص 79.

ب) **الحديث** : استشهد بالحديث الشريف في ستة عشر موضعا[231] ولم يكتف بإيراد الأحاديث المروية عن الرسول ﷺ، وإنما أورد أحاديث رويت عن عائشة وعن عمر بن الخطاب، وعن عمر بن عبد العزيز وغيرهم..

ج) **أقوال العلماء** : اعتمد المؤلف على عدد من المؤلفات، وساق عددا من أقوال العلماء مشارقة وأندلسيين، ولم تكن له منهجية محددة في اعتماده على ذلك، إذ نجده يروي عن عدد من الاعلام دون أن يشير إلى مؤلفاتهم التي استقى منها مادته، وأحيانا أخرى يذكر المؤلف وينص على الكتاب الذي ينقل منه. فمن النوع الأول وهو الغالب على شرحه : كراع / الكسائي / ابن قتيبة / سيبويه / ابن درستويه / أبو علي الفارسي / علي بن حمزة / أبو إسحاق الزجاج / السيرافي / الأخفش / المبرد / ابن الأعرابي / ابن قتيبة / أبو إسحاق بن السري / أبو علي القالي / أبو حنيفة / أبو حاتم / ابن دريد / أبو عمر السجستاني / الخليل بن أحمد / اللحياني / ابن خالويه.

ومن الصنف الثاني : علي بن حمزة في التنبيه على ما في «**الفصيح**» من الغلط[232]/ ابن السكيت، ويذكر كتابه : «**وحكى يعقوب في الإصلاح**»[233] ومرة يذكر كتابه فقط كقوله : «**وحكى صاحب الإصلاح**»[234]، ومرة يكتفي بقوله : «**حكى أبو يوسف يعقوب بن السكيت**»[235]/ وأبو زيد الأنصاري في «**نوارده**»[236]/ والمطرز في كتابه «**الياقوتة**»[237]/ وأبا عبيد في «**الغريب المصنف**»[238]/ وصاعد في «**الفصوص**»[239]/ والحريري في «**درة الغواص**»[240]/

---

(231) انظر الصفحة 9 و25.

(232) ص 49.

(233) ص 41.

(234) ص 25.

(235) ص 101.

(236) ص 80.

(237) ص 26.

(238) ص 30.

(239) ص 44.

(240) ص 104.

وأبو حنيفة في «**كتاب النبات**»[241]/ وما حكاه يعقوب في «**القلب والابدال**»[242]/ وابن الانباري في كتاب «**الأضداد**»[243]/ وأبو عثمان بكر بن محمد المازني في كتابه الذي جمع فيه لحن العامة[244].

ومن الأندلسيين نقل عن أبي مروان عبد الملك بن سراج و لم يذكر مصدره، وكذا عن أبي عبد الله بن أبي العافية، وعن ابن السيد البطليوسي[245]. ونقل عن الزبيدي وذكر كتابه في لحن العامة[246]، وابن سيده وكتابه المحكم[247].

د) **الأشعار** : استشهد بأقوال عدد من الشعراء كالمتلمس (ص 10) وكذا الطرماح (ص 23) والأعشى (ص 23) ودعبل (ص 95) والنابغة (ص 96) والخنساء (ص 34) والمخبل السعدي (ص 98) وجميل بن معمر (ص 113) والفرزدق (ص 35) وذو الرمة (ص 108) وابن أبي ربيعة (ص 112) وزهير (ص 35) وامرىء القيس (ص 35) وعدي بن زيد (ص 113) وفروة ابن مسيك (ص 35) وجرير (ص 113) وحميد بن ثور الهلالي (ص 116).

وقد يكتفي بإيراد الشاهد الشعري دون ذكر اسم الشاعر[248]. و لم يذكر من الأندلسيين إلا ابن زيدون، وأبا بكر محمد بن السري السراج الذين استشهد بشعرهما[249].

III ـــ انتقاده لثعلب :

من مآخذه على ثعلب في مادة الفصيح :

---

(241) ص 111.

(242) ص 123.

(243) ص 121.

(244) ص 127.

(245) ابن السراج، ص 16 و55 وغيرها. بن أبي العافية ص 16 و20 وغيرها، ابن السيد، ص 24.

(246) ص 25.

(247) ص 111.

(248) ص 12.

(249) ص 104.

أ) في مادة نمى قال ابن هشام : «نمى المال يعني زاد، وقالوا في المستقبل ينمو، وهما لغتان فصيحتان وكان حقه أن يذكرهما كما شرط ولم يأت إلا بينمي فقط»[250].

ب) في مادة «ذوى العود ذبل ولا يقال جف... وهما لغتان أيضا فصيحتان ولم يخبر بهما»[251].

ج) عرج الرجل يعرج إذا صارَ أعرج، قال الشارح : «كان حقه ألا يذكر هذا الفعل لأنه من المقيس»[252].

د) «أهديت الهدية أرسلتها وأهديت إلى البيت هَدْياً أرسلت الإبل وغيرها إلى البيت ليأكلها المساكين، وتوهم أبو العباس أن الهَدْيَ والهَدِيَّ مصدران مخالفان لمصدر أَهْدَيْتُ الهَدِيَّةَ وليس كذلك»[253].

هـ) باب ما يقال للمؤنث بغير هاء : قال ابن هشام : «كان حقه أن يقول : باب ما يقال للمؤنث بغير تاء ولكنه أتى بالباب على مذهب الكوفيين لأن الهاء عندهم أصل والتاء فرع، ومذهب البصريين أن التاء أصل والهاء فرع وهو الصحيح»[254].

IV — **انتصاره لثعلب :**

لم تكن هذه المآخذ لتحول بين الشارح وبين الانتصار لثعلب إذا ما اتضح له صحة قوله، ومن هذا انتصاره لثعلب ورده على أبي إسحاق الزجاج فيما انتقد فيه ثعلبا، فقد أخذ عليه في ضم الهاء من «هُنْ» وقال إنما الكلام «إِذَا عَزَّ أُخُوكَ فَهِنْ» بكسر الهاء، ورد ابن هشام على الزجاج مدافعا عن ثعلب بقوله : «أما انكار أبي اسحاق هُنّ بضم الهاء، فهكذا رواه أبو عبيد في الأمثال و لم يذكر غيره وفسره

(250) ص 3.
(251) ص 4.
(252) ص 16.
(253) ص 18. وانظر أيضا ص 17.
(254) ص 74. وانظر ملاحظات حول الموضوع في كتاب «**الدراسات اللغوية في الأندلس**» ص 122 وما بعدها.

على الضم ومن ثم نقله أبو العباس ثعلب»[255].

ويظهر تقدير ابن هشام لكتاب الفصيح في مقدمة شرحه عندما أشاد بهذا الكتاب على صغر حجمه، وكذا عندما أشاد بثعلب والمبرد فقال : «وكان هو ومحمد بن يزيد عالمين فقد ختم بهما تاريخ الأدباء وكانا كما قال بعض الشعراء :

أَيَا طَالِبَ ٱلْعِلْمِ لاَ تَجْهَلَنْ ... وَلُذْ بِٱلْمُبَرِّدِ أَوْ ثَعْلَبِ

تَجِدْ عِنْدَ هَذَيْنِ عِلْمَ ٱلْوَرَى ... وَلاَ تَكُ كَٱلْجَمَلِ ٱلأَجْرَبِ

عُلُومُ ٱلْخَلاَئِقِ مَقْرُونَةٌ ... بِهَذَيْنِ فِي ٱلشَّرْقِ وَٱلْمَغْرِبِ»[256]

5. أبو بكر بن صاف اللخمي[257] (512-585هـ)

محمد بن خلف بن محمد بن عبد الله بن صاف[258] اللخمي، يكنى أبا بكر، إشبيلي، درس على أبي الحسن شريح بن محمد وعنه أخذ القراءات، وأخذ علوم العربية على أبي القاسم بن الرماك، ودرس على عدد من علماء وقته كأبي بكر بن مسعود الخشني وأجاز له عدد آخر من كبار علماء الأندلس، تتلمذ على يديه أعلام كبار أمثال أبي بكر بن طلحة الإشبيلي، وأبي علي الشلوبين، وأبي الحسن ابن جابر بن الدباج وغيرهم كثير.. ذكر ابن الأبار أنه «حدث عنه جماعة من شيوخنا وغيرهم..»[259] جلس للاقراء بمدينة إشبيلية زمنا طويلا «نحوا من

---

(255) ص 81.

(256) ص 3.

(257) من مصادر ترجمته : **التكملة** : 538/2 ــ **الذيل** : 188/6 ــ **بغية الوعاة** : 45، الطبعة الأولى ــ **الوافي بالوفيات** : 46/3 ــ **الدراسات اللغوية في الأندلس** : 149 ــ **الفصيح** لعاطف مدكور، ص 184.

(258) ذكر السيوطي في **بغية الوعاة** «صياف»، وأشار إلى قول الصفدي «صاف» بقوله : «وذكر الصفدي هكذا محمد بن خلف بن محمد بن عبد الله بن صاف وهذا خطأ قلد فيه أبا العباس بن فرحون نبه عليه ابن الزبير في الصلة : **بغية الوعاة** : 40. وانفرد السيوطي بهذه الإشارة، بينما ذكر عدد من الأندلسيين أن اسمه «صاف» كابن الأبار في **التكملة**» والمترجم به شيخ شيوخه وكذلك ذكره ابن عبد الملك نقلا عن أبي القاسم بن فرقد وهو عاصره وكذلك سماه أبو محمد بن حوط الله وهو تلميذه، وكذلك ورد اسمه في **تحفة المجد** للفهري اللبلي وهو شيخ شيخه أبي علي الشلوبين.

(259) **التكملة** : 254/1.

خمسين سنة»، واختلف في تاريخ وفاته فقال ابن الأبار : توفي سنة 585هـ، وقال ابن فرقد : سنة 586هـ.

وصفه السيوطي نقلا عن ابن الزبير أنه «كان منقبضا عن أهل الدنيا مقبلا على حاله وما يعنيه». ووصفه ابن عبد الملك فقال : «كان كبير المقرئين بإشبيلية المتقدم عليهم في إتقان التجويد والتبريز في حسن الأداء مع حظ صالح من النحو والأدب واللغة وقرض الشعر والدين المتين والفضل التام، وحسن الهيئة والانقباض عن أهل الدنيا والاقبال على ما يعنيه»[260].

من مؤلفاته :

1 ــ شرح في الأشعار الستة.
2 ــ شرح الفصيح.
3 ــ كتاب في ألفات الوصل والقطع.
4 ــ مسائل في آيات من القرآن.
5 ــ أجوبة لأهل طنجة في سؤالاتهم المقرئين والنحويين من أهل إشبيلية.

شرح الفصيح :

ذكر هذا الكتاب الدكتور رضا عبد الجليل الطيار في كتابه «**الدراسات اللغوية في الأندلس**»[261]، كما ذكره الدكتور عاطف مدكور[262] في الدراسة التي قدم بها لتحقيق «فصيح ثعلب» ضمن شروح الفصيح.

ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الأندلسية التي اعتمد عليها أبو جعفر الفهري اللبلي في كتابه «**تحفة المجد**»، وإن لم يذكره ضمن أسماء المؤلفات في مقدمته كما سيظهر لنا عند الحديث عن «التحفة» إلا أنه ذكر هذا الشرح في موضع واحد[263] وذلك في شرحه لقول ثعلب «ونطَحَ الكبش يَنْطَحُ»، إذ أورد شرح

(260) **الذيل والتكملة** : 6/188-189.
(261) ص 149.
(262) **الفصيح**، ص 184.
(263) بالنسبة للسفر الأول الموجود من المخطوط، ويتضمن الأبواب الخمسة وجزءا من الباب السادس.

أبي بكر بن صاف في هذه المادة فقال : «قال الأستاذ أبو بكر بن صاف في شرحه لهذا الكتاب النطح مخصوص بالكباش»[264]. واستعرض بعد ذلك أقوال الأندلسيين كأبي الحسن بن خروف الذي خطأ هذا الشرح، ورد الشلوبين عليه.

«قال الشيخ أبو جعفر : وكان الأستاذ أبو الحسن بن خروف يخطئه في ذلك ويقول : قوله النطح مخصوص بالكباش خطأ لأنه قد استعمل في غير الكباش. حكى ابن قتيبة : نَطَحَ ٱلْكَبْشُ والثَّوْرُ، وحكى اللغويون : نَطَحَ شُجَاعٌ قِرْنَهُ. قال : فكيف يقول إنه مخصوص بالكباش. فكان الأستاذ أبو علي شيخنا وقت القراءة عليه يعتذر عن ابن صاف شيخه ويقول : يمكن أنه يريد أن النطح أكثر ما يوجد في الكباش وهي كثيرة الولوع به جدا وليس غيرها يولع به مثلها، ويريد أن الكباش تختص به ولا يوجد في غيرها. هذا ما أراده وكيف لا يريده والنطح شهير الاستعمال في الحروب، يقال : نطَحَ الشُّجَاعُ قِرْنَهُ فَصَرَعَهُ»[265].

ولم يكتف الفهري بهذا، بل عقب على قول شيخه بما أكد صحة تعليله معتمدا على قول ابن درستويه في الموضوع.

6. ابن عديس القضاعي[266] (ت 596هـ)

عمر بن محمد بن أحمد بن[267] عديس القضاعي البلنسي، كنيته أبو حفص، واشتهر بأبي حفص بن الحصار، تتلمذ على ابن السيد البطليوسي واختص به ولازمه، ثم تجول في بلاد الأندلس للأخذ عن علمائها وكذلك تجول بإفريقية والمغرب، أقرأ بعدد من العواصم كبلنسية وإشبيلية وتونس وفيها «عكف على

---

(264) **تحفة المجد**، ص 68-69.

(265) **تحفة المجد**، ص 69.

(266) من مصادر ترجمته : **التكملة** : 656/2 (ط. كوديرا) ــ **استدراكات بالنثيا والاركون** : 437 ــ **الذيل والتكملة** : 457/5 ــ **بغية الوعاة** : 363/2 ــ **الدراسات اللغوية في الأندلس** : 77، 78، 151 ــ **الفصيح** لعاطف مدكور : 180 ــ **مثلث** قطرب : 13 ــ **مثلث** ابن السيد : 59/1. اختلف في تاريخ وفاته، ذكر ابن عبد الملك في الذيل أنه توفي سنة 596هـ، بينما ذكر السيوطي أن وفاته كانت سنة 570هـ.

(267) أضاف السيوطي بعد أحمد ــ بن علي ــ ص 363.

الإفادة والتصنيف إلى أن توفي بها سنة 596هـ»[268].

كان أحد أئمة اللغة والأدب والنحو، وله فيها مصنفات، وصفه ابن عبد الملك فقال : «كان إماما في العربية مستبحرا في حفظها ذاكرا للتواريخ والآداب، نحويا يقظا ماهرا، وله في اللغات والآداب مصنفات مفيدة بأن فيها إدراكه وحضور ذكره واستقلاله بما تعاطاه من ذلك»[269].

من مؤلفاته :

1 ــ الباهر في المثلث مضافا إليه المثنيات. قال عنه ابن عبد الملك : «وقفت عليه بخطه في ثلاث مجلدات متوسطة إلى الكبر أقرب».

2 ــ شرح الفصيح في مقدار الباهر.

3 ــ الصواب في شرح أدب الكتاب، في ثلاثة مجلدات ضخمة، وهذا الكتاب اعتمد عليه الفهري أبو جعفر اللبلي في شرحه للفصيح فنقل منه نقولا في «**التحفة**» وذكره في جملة المصادر التي عدد أسماءها في مقدمة تأليفه[270].

ويلاحظ على هذه المؤلفات طابع الضخامة، كما يلاحظ أن ابن عديس اشترك مع شيخه ابن السيد في المواضيع التي ألف فيها، فابن السيد له تأليف في المثلث[271] وفي شرح الفصيح وفي أدب الكاتب. ولعل ابن عديس استفاد من تآليف شيخه وأضاف إليها بعض الإضافات والزيادات.

7. أبو بكر[272] بن طلحة الإشبيلي (545-618هـ)

محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الملك بن أحمد بن خلف بن الأسعد بن

(268) **الذيل والتكملة** : 457/2/5.

(269) **المصدر نفسه**.

(270) **تحفة المجد**، ص 6.

(271) حققه وقدم له بالدراسة الدكتور صلاح مهدي علي الفرطوسي في أطروحة دكتوراه الدولة، طبع ونشر دار الرشيد للنشر سنة 1981.

(272) مصادر ترجمته : **التكملة** : 319/1 ــ **برنامج الرعيني** : 79 ــ **الذيل والتكملة** : 235/6 ــ **المغرب** : 258/1 ــ **الدراسات اللغوية في الأندلس** : 149 ــ **الفصيح**، تحقيق عاطف مدكور : 186.

حزم الأموي، ولد بيابرة سنة 545هـ، انتقل به والده إلى إشبيلية فسكنها، تتلمذ وتأدب بأبي بكر بن صاف وعدد من علماء عصره، غلبت عليه علوم العربية وآدابها، أقرأ بإشبيلية، وكان أستاذ حاضرتها غير مدافع، تصدر لإقراء كتب المجلس. من أبرز تلامذته أبو الحسن الرعيني، وأبو علي الشلوبين، وأبو مروان الباجي القاضي، قال عنه الرعيني : «هذا الأستاذ لازمته أعواما، قرأت عليه وسمعت أكثر كتب المجلس نحوا وأدبا **كالجمل، والإيضاح، والأشعار الستة، وأدب الكاتب، وإصلاح المنطق، وفصيح ثعلب، والحماسة، والمقامات، والأمثال،** وسمعت عليه كثيرا من **كتاب سيبويه** ومن **الكامل وشعر حبيب** و«**نوادر أبي علي**» على طريقة التفقه والتعلم، وأجاز لي جميع ما يحمله وهو كان أستاذ إشبيلية المشار إليه المفضل على سواه بالعدالة وحسن السمت وجودة التعليم ووقار المجلس»[273].

توفي بإشبيلية سنة 618هـ، وله مؤلفات قال عنها ابن عبد الملك : «مصنفاته في النحو مشهورة معروفة الفضل جمة الفوائد»[274] منها :

1 ــ «**شرح الجمل**» : ذكر الرعيني أنه سمعه عليه وقال عنه : «من أحسن الموضوعات وأنبلها».

2 ــ «**شرح الفصيح**» : ذكره اللبلي في التحفة ونقل منه نقولا.

شرح الفصيح :

يعتبر هذا الكتاب اليوم في عداد المفقود، إلا أن «**تحفة المجد**»[275] الصريح احتفظت بنقول منه وهي على قلتها يمكن أن نجمل ملاحظاتنا عليها فيما يلي :

1 ــ ما انفرد أبو بكر بن طلحة بذكره :

أ) «قال الشيخ أبو جعفر قد حكى أبو طلحة الإشبيلي أنه يقال سَرِطْتُهُ بالكسر وسَرَّطْتُه بالفتح وتشديد الراء»[276].

---

(273) **برنامج الرعيني**، ص 79.

(274) **الذيل والتكملة** : 236/6.

(275) الموجود منه بين يدي وهو السفر الأول ويشمل الأبواب الستة الأولى.

(276) **نفسه**، ص 96.

ب) «قال الشيخ أبو جعفر : قد حكى ابن طلحة الإشبيلي في شرحه أنه يقال سَفَفْتُ وسَفِفْتُ بالكسر والفتح»[277].

ج) «قال الشيخ أبو جعفر قال ابن الأعرابي في نوادره : العرب تقول : رَعَبْتُ ٱلرَّجُلَ ولا يقال أُرْعَبْتُهُ، وحكى ابن طلحة الإشبيلي : أُرْعَبْتُهُ بالألف»[278].

د) «قال الشيخ أبو جعفر : أما أُصَدْتُهُ بالألف فلا أذكره الآن ولكن يقال اصْطَدْتُهُ وَتَصَيَّدْتُهُ، حكى ذلك ابن طلحة في شرحه»[279].

2 ــ تصحيحه لبعض الأخطاء :

ــ «قال الشيخ أبو جعفر : لَقَمْتُ بالفتح ليس بخطأ، حكى ابن طلحة الإشبيلي في شرحه : لَقَمْتُ بالفتح»[280].

3 ــ ما تبع فيه غيره من الشراح :

أ) «قال الشيخ أبو جعفر : اختلف اللغويون في معنى زَكِنْتُ على أقوال وإن كان ابن طلحة الإشبيلي قد قال في شرحه أنه بمعنى ظَنَنْتُ وَتَوَهَّمْتُ، وأنكر أن يكون بمعنى عَلِمْتُ، وتبع في ذلك ابن درستويه»[281].

4 ــ مآخذه على ثعلب :

أ) «وَعَسِيتُ بكسر السين أيضا فصيحة و لم يذكرها ثعلب»[282].

ب) «قال الشيخ أبو جعفر : وغلط ثعلبا أيضا الأستاذ أبو بكر بن طلحة الإشبيلي فقال : إن «**الفصيح**» زُرُّهُ بالضم ثم زُرَّهُ بالفتح وأما زُرِّهِ

(277) **نفسه**، ص 106.

(278) **نفسه**، ص 142.

(279) **نفسه**، ص 174.

(280) **نفسه**، ص 97.

(281) **نفسه**، ص 107.

(282) **نفسه**، ص 13.

بالكسر فقليلة وبابها الشعر»[283].

5 ـــ ما وهم فيه أبو بكر بن طلحة :

ـــ «قال الشيخ أبو جعفر : وكذا قال ابن هشام في شرحه ورأيته بخطه وكذا قال ابن طلحة في شرحه أيضا واليزيدي أوقعهم في هذا الوهم أنهم رأوا الهَدْيَ والهَدِيَّ قد جاءا مع الفعل الذي هو أهديت فاعتقدوا أنهما مصدران»[284].

8. إبراهيم[285] بن علي الفهري الشريشي (573-651هـ)

«التبيين والتنقيح لما ورد من الغريب في كتاب الفصيح»[286] :

أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي الفهري البونسي نسبة إلى قرية بونس التي ولد بها سنة 573هـ، درس بشريش، وروى عن أبي الحسن بن هشام، وأبي عمرو بن غياث، وأبي العباس بن مومن الشريشي شارح مقامات الحريري. تولى التعليم والتدريس، وأخذ عليه جملة من الأعلام منهم محمد بن إبراهيم بن يربوع الكلبي السبتي شيخ ابن جابر الوادي آشي[287]. توفي سنة 651هـ.

من مؤلفاته :

1 ـــ كتاب **التعريف والإعلام في رجال ابن هشام**.

2 ـــ كتاب **كنز الكتاب** : في نسختين : كبرى وصغرى.

3 ـــ **التبيين والتنقيح لما ورد من الغريب في كتاب الفصيح**.

---

(283) **نفسه**، ص 152.

(284) **نفسه**، ص 253.

(285) مصادر ترجمته : **التكملة** : 172/1 (ط. القاهرة) ـــ **الدراسات اللغوية في الأندلس** : 150 ـــ **الفصيح** لعاطف مدكور : 186.

(286) ذكر هذا الكتاب السيوطي في **المزهر** : 201/1 ـــ خليفة في **كشف الظنون** : 1273 ـــ الزركلي في **الأعلام** : 45/1 ـــ **معجم المصنفين** : 276/3 ـــ كحالة في **معجم المؤلفين** : 63/9.

(287) **برنامج الوادي آشي** : 124.

9 ـ أبو جعفر[288] الفهري اللبلي (613-691هـ)

أبو جعفر أحمد بن يوسف بن يعقوب بن علي الفهري اللبلي نسبة إلى مدينة لبلة التي ولد بها سنة 613هـ، وبها درس على يد أبي زكريا يحيى بن عبد الكريم الفندولابي، وبإشبيلية على أبي علي الشلوبين وأبي الحسن الدباج، ثم انتقل إلى سبتة فدرس على أبي عبد الله محمد بن عبد الله الأزدي، وأبي القاسم عبد الرحمان بن رحمون ومحمد بن محمد العنسي وغيرهم.. وانتقل إلى بجاية فأخذ عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن السراج، وبتونس عن أبي العباس أحمد بن علي الحميري البلاطي الأندلسي، وبمدينة الإسكندرية على شرف الدين بن أبي الفضل المرسي، وبمصر عن شرف الدين عبد الله بن يحيى الفهري ابن التلمساني وجماعة، وبمدينة القاهرة سمع من أبي عبد الله بن محمد بن لب بن خيرة، وعز الدين بن عبد السلام وغيرهما.. وبدمشق عن الحسن بن إبراهيم بن الحسن الاربلي وعبد الحميد الخسروشاهي، ثم حج وعاد إلى تونس حيث استقر فيها واشتغل بإقراء العربية والآداب إلى أن توفي سنة 691هـ[289].

تتلمذ عليه جم غفير أبرزهم : أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي، وابن رشيد السبتي، وابن جابر الوادي آشي.

مؤلفاته :

1 ـ تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح[290].

قال محققا فهرسته بعد ذكر هذا الكتاب : «ذكرته الكتب التي ترجمت لصاحبه

---

(288) من مصادر ترجمته : **بغية الوعاة** : 176 (ط. الأولى) ـ **عنوان الدراية** : 345 ـ **برنامج الوادي آشي** : 53 ـ **درة الحجال** لابن القاضي : 38/1 ـ **شجرة النور الزكية** : 198 ـ **نفح الطيب** : 208/2 ـ **الأعلام** : 260/1 ـ **الدرسات اللغوية في الأندلس** : 131-141 ـ عاطف مدكور : 187-191.

(289) انظر **فهرسة اللبلي**، تحقيق ياسين يوسف عياش وعواد عبد ربه أبو زينة، طبعة دار الغرب الإسلامي.

(290) نشر مقدمة هذا الكتاب الأستاذ الميمني في مجلة **المجمع العلمي العربي**، ج 4، المجلد 35، من الجزء الموجود منه في دار الكتب وعنوانه : السفر الأول من **تحفة المجد الصريح**، وهو الأبواب الأربعة الأولى وقال : «وذلك قرابة خمس الكتاب» مع العلم أن الكتاب يشتمل على ثلاثين بابا بعدد أبواب **الفصيح**. وعقب الأستاذ محمد بن الطاهر عاشور في نفس المجلة، المجلد 37، ص 199-206 وتساءل إن كان الكتاب هو **تحفة المجد** أو اختصاره.

غير أن ابن فرحون سماه «لباب تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح. وقال ابن القاضي إنه في مجلد، وفي كشف الظنون قال ابن الحنائي : وهو كتاب لم تكتحل عين الزمان بمثله في تحقيقه وغزارة فوائده، ومنه يعلم فضل الرجل الذي ألفه وبراعته»[291].

وفات المحققين أن المؤلف ألف كتابين في الموضوع :

— **الأول** : **«تحفة المجد الصريح»** وهو شرح كبير في عدة مجلدات وهو الذي قصده ابن الحنائي بقوله : «وهو كتاب لم تكتحل عين الزمان بمثله».

— **والثاني** : **«لباب تحفة المجد الصريح»** وهو اختصار للشرح الأول وهو الذي ذكره ابن فرحون ووصفه ابن القاضي أنه في مجلد واحد.

وسأتناول الكتابين بالتفصيل في هذه الدراسة.

2 — بغية الآمال في النطق بجميع مستقبلات الأفعال.

3 — وشي الحلل في شرح أبيات الجمل.

4 — رفع التلبيس عن حقيقة التجنيس.

5 — العقيدة الفهرية في الاعتقادات السنية.

6 — الإعلام بحدود قواعد الكلام.

7 — تأليف في الاذكار : تسبيح مرجز.

8 — فهرسته.

9 — الكرم والصفح والغفران والعفو.

10 — مشيخته[292].

---

(291) **فهرسة اللبلي**، ص 10.

(292) **المشيخة** هذه هي التي حققت ونشرت باسم «**فهرسة اللبلي**»، وقد خلط المحققان بينها وبين الفهرسة، إذ ذكر الوادي آشي في برنامج شيوخه، ص 54 عندما عدد مؤلفات الفهري أن له فهرسة ومشيخة. وحتى لا يختلط الأمر ذكر مضمون المشيخة وهو ما أخذه الفهري عن شيوخه في علم الأصول، فهو يترجم لشيوخه في هذا العلم وشيوخهم. والغريب أن محققي المشيخة لم يرجعا إلى برنامج الوادي آشي، وهو تلميذ الفهري، وقد ضم الكتاب معلومات قيمة عن الفهري ومؤلفاته، مع العلم أنه طبع ونشر سنة 1980 قبل ثمان سنوات من تحقيقهما.



تحفة المجد الصريح

11 ـــ شرح أدب الكاتب[292] مكرر.

«تحفة المجد الصريح» :

وصف المخطوط : يوجد المخطوط[293] بخزانة الزاوية الحمزاوية تحت رقم : 131. ويوجد منه بقسم الوثائق والمخطوطات بالرباط ميكروفيلم للسفر الأول يبدأ في الصفحة الأولى بالعنوان.

السفر الأول من تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح.

تأليف الشيخ النحوي اللغوي العالم الزاهد أبي جعفر ابن الشيخ المرحوم أبي الحجاج يوسف الفهري اللبلي غفر الله له.

يشتمل المخطوط على 266 صفحة، كل صفحة تتكون من 19 سطرا. كتب بخط مغربي جميل، وكتبت العناوين بخط عريض.

يحتوي هذا السفر على :

المقدمة.

الباب الأول : باب فعلت بفتح العين.

الباب الثاني : باب فعلت بكسر العين.

الباب الثالث : باب فعلت بغير ألف.

الباب الرابع : باب فعلت بضم الفاء.

الباب الخامس : باب فعلت وفعلت باختلاف المعنى.

الباب السادس : باب فعلت وأفعلت باختلاف المعنى.

وهذا الباب غير تام إذ أن الأوراق تنتهي عند الفعل دِنْتُ وَأُدَنْتُ.

أول شيء لفت نظري في هذا السفر ـــ باستثناء المقدمة ـــ هو الاضطراب الكبير في ترتيب صفحاته، فالنص حسب الترقيم الموضوع على كل صفحة يجعل قراءته عسيرة لأن القارئ يشعر بأن الصفحات لا تكمل بعضها بعضا، وإنما يشعر

---

(292) مكرر أورد منه نقولا البغدادي في **خزانة الأدب**، 101/6.

(293) توجد منه نسخة بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم (20 لغة ش) السفر الأول، تعرض للحديث عن هذا السفر رضا عبد الجليل الطيار في كتابه **«الدراسات اللغوية في الأندلس»** من ص 133 إلى ص 141. وعاطف مدكور في **«الفصيح»** من ص 187 إلى ص 191.

بالانتقال من فعل إلى فعل بل من باب إلى باب. ويظهر أن الترقيم الموجود حاليا شيء طارئ على هذا السفر لم يوضع إلا مؤخرا، وبعد أن اضطربت أوراقه فحادت الكثير من الصفحات عن مكانها الأصلي، ولذا كانت أول عملية واجهتني هي إعادة ترتيب هذه الأوراق، ولم تكن عملية سهلة، فقد استغرق مني ذلك جهدا ووقتا خصوصا وأن المخطوط يفتقر إلى بعض تقنيات الكتابة التي تساعد على تنظيم الصفحات كوضع أول كلمة من الصفحة الثانية تحت آخر كلمة من الصفحة الأولى. وهذه بعض الصفحات التي اضطربت أرقامها :

الصفحة 11 تحمل رقم 223.	الصفحة 24 تحمل رقم 59.
الصفحة 12 تحمل رقم 224.	الصفحة 188 تحمل رقم 24.
الصفحة 13 تحمل رقم 225.	الصفحة 189 تحمل رقم 227.
الصفحة 14 تحمل رقم 226.	الصفحة 190 تحمل رقم 230.
الصفحة 15 تحمل رقم 47.	الصفحة 202 تحمل رقم 242.
الصفحة 23 تحمل رقم 26.	الصفحة 203 تحمل رقم 213.

وهذه النسخة مصححة بيد الناسخ إذ كتب على هوامشها بعض التصويبات الناتجة عن سهو الناسخ أثناء الكتابة، إلا أن الملاحظ ــ وإن صححت ــ أن بها كثيرا من الأخطاء الناتجة عن النقل كقوله : «ويقال في المصد دفع»[294] ولم يكتب راء المصدر، وكقوله : «قال ابن في كتابه الجمل»[295]، ولم يذكر الاسم، وقوله : «وأخذ ابن هشام على ثعلب في كونه وحكى ابن القطاع»[296] ولم يذكر ما أخذه ابن هشام.

يشتمل هذا السفر على 266 صفحة، تشغل المقدمة 7 صفحات ويشغل الشرح 259 صفحة. ولنا أن نتصور ضخامة هذا العمل[297] إذا كانت أبوابه الستة فقط تشغل هذا العدد من الصفحات.

---

(294) **التحفة**، ص 14.

(295) **نفسه**، ص 47.

(296) **نفسه**، ص 72.

(297) وصف رضا عبد الجليل الطيار في كتابه : **الدراسات اللغوية في الأندلس**، ص 133 النسخة الموجودة في دار الكتب فقال : «وتضم هذه القطعة من الكتاب شرح الأبواب =

إلى جانب ذلك سقطت من الشرح ورقات في «باب فَعِلْت وفَعَلْت باختلاف المعنى» وهي المتعلقة بشرح «ولَبِسْتُ الثَّوْبَ أَلْبِسُهُ لُبْساً، وَلَبَسْتُ عَلَيْهِمُ ٱلأَمْرَ أَلْبَسُه لَبْساً، وَلَسَبْتُ ٱلْعَسَلَ ونحوه : إذا لعقته أَلْسُبُه، وَلَسَبَتْهُ ٱلْعَقْرَبُ تَلْسُبُهُ لَسْباً فيهما جميعا، وأَسِيتُ على الشيء إذا حَزِنْتُ عليه آسَى أَسىً وأَسَوْتُ ٱلْجُرْحَ وغَيْرَه إذا أَصْلَحْتُه، وآسُوهُ أَسْواً، وحَلاَ ٱلشَّيْءُ فِي فَمِي يَحْلُو وحَلِيَ بِعَيْنِي، وعَرِجَ يَعْرَجُ إذا غمز من شيء أصابه فإذا صعد في درج أو سلم قلت عَرَجَ يَعْرُجُ»[298].

مقدمة الكتاب :

وتشمل : الاستفتاح — سبب تأليف الكتاب — منهجه — مصادره.

1 — **الاستفتاح** : بدأ أبو جعفر الفهري مقدمته بحمد الخالق المجيد الذي خلق الإنسان وعلمه الأسماء كلها، ذاكرا فضل الله على آدم حين خلقه في أحسن تقويم وشرفه على الملائكة في التعليم، فعلمه الأسماء ومنها انتشرت اللغات التي شرف الله من بينها اللغة العربية، فأنزل بها القرآن على سيدنا محمد ﷺ. قال أبو جعفر :

«الحمد لله المنفرد بالوجود الواجب، المنزه عن الند المشابه والضد المناصب، المتعالي عما اتصفت به الحوادث من الآفات والمعايب، الذي خلق آدم فأتقن خلقه من الطين اللازب، وصوره بيده وأحسن التقويم مخصوصا بأكرم الخيم وأشرف المناقب..» إلى أن يقول :

«.. إلى أن بعث الله سيدنا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين ﷺ بالقرآن العربي المبين فاعتلى قدر هذا اللسان بأعلى المراتب، ووجب لذلك تعلم اللغات العربية إذ بها يفهم الكتاب والسنة، ويستبين في تفسير مجملاته وإيضاح مشكلاته

= الأربعة فقط من أبواب **الفصيح** الثلاثين وهو ينتهي بمادة «وانقطع الرجل فهو منقطع به» ويدلنا هذا على مدى ضخامة حجم هذا الكتاب، وتقطع هذه القطعة من الكتاب في 168 صفحة أي 48 ورقة».

(298) انظر **الفصيح**، ص 271 و272.

السنن اللاحب»[299].

2 ــ **سبب تأليفه** : ألف أبو جعفر هذا الكتاب استجابة لطلب الوزير أبي بكر بن أبي الحسن بن غالب الذي حضر دروس أبي جعفر الفهري واستمع إليه وهو يقرئ كتاب «الفصيح» ويقوم بتفسير غريبه وشرح معانيه والدفاع عن ثعلب فيما نسب إليه من سهو فيه. قال أبو جعفر :

«وبعد فإن الوزير الأجل القائد الأعلى الأمجد الأحسب الأرفع الأكمل العماد الأشرف الأطول ذا الشيم الجميلة والفضائل الجزيلة والهمة السامية إلى نيل كل منقبة وإحراز كل فضيلة أبو بكر بن الوزير الجليل الماجد المرفع الأعلى الاحق كان بكل فضيلة الأولى المبارك المقدس المرحوم أبي الحسن بن غالب وصل الله سعوده وحفظ على المعالي والمآثر جهوده أشار علي إشارة النصيح بشرح كتاب الفصيح حين استحسن ما شاهده من تفسيري لغريبه وشرحي لمعانيه، واستصوب تنبيهي عند الإقراء[300] على سهو من نسب السهو لمؤلفه فيه، فأجبته إلى ما سأل، وبادرت إلى أمره الممتثل».

3 ــ **منهاجه** : عمد المؤلف إلى شرح الكتاب شرح استيفاء واستيعاب فكان يقف على شواهد أبياته وعلى معانيها وأوجه إعرابها، واستدرك على مادة الكتاب بما رآه مذيلا لكلامه ومكملا لفائدته، ثم انتصر لثعلب من خصومه وقام بالرد على متعقبيه، وهو في كل هذا قد التزم ترتيب الكلام ترتيبا محددا، يبدأ بمدلول اللفظ ثم معقوله ومسموعه ومقوله، أما الأفعال فكان يأتي بلغاتها وأنواع مصادرها ومشتقاتها كاسم الفاعل والمفعول والمصدر. قال أبو جعفر موضحا منهاجه :

«فشرحت الكتاب شرح استيفاء واستيعاب وتكلمت على شواهد أبياته بما عن في معانيها من إغراب وفي ألفاظها من إعراب، واستدركت ما يجب استدراكه مذيلا لكلامه، وقاصدا لاكمال ما تحصل الفائدة به وإتمامه، وانتصرت له حيث

---

(299) **المقدمة**، ص 3.

(300) عقب عاطف مدكور على هذه **المقدمة** بقوله : «ويتضح من هذا الكلام الذي سقناه أن المؤلف كان قد عمل قبل كتابه هذا كتابا آخر في **شرح الفصيح** كما ذكر السيوطي وخليفة، وإن كان قد سقط من يد الزمن» (انظر **الفصيح**، ص 188). وهذا رأي ناتج عن قراءة سريعة لهذه **المقدمة** وإلا فإن المؤلف أبا جعفر يشير بصراحة إلى أن هذه الشخصية حضرت دروسه بدليل استعماله : «استصوب تنبيهي عند الاقراء» وهو لفظ صريح وواضح.

أمكنني الانتصار ورددت على من تعقب عليه ردا يرتضى بحكم الانصاف ويختار، ورتبت الكلام فيه أولا على مدلول اللفظ ومعقوله ومسموعه ومقوله وإن كان فعلا أتيت بلغاته وأنواع مصادره واسم فاعله ومفعوله، وربما أتيت بالمرادف والمشترك وسلكت من التعليل في بعض المواضع واضح المسالك»[301].

4 ــ **مصادره** : أشار أبو جعفر اللبلي في مقدمته هذه إلى المصادر التي اعتمدها في وضع هذا الشرح وهي مصادر كثيرة ومتعددة ومنها ما لم يذكرها في المقدمة ولكنه ذكرها في تضاعيف تأليفه.

والمصادر المذكورة في المقدمة هي :

1. السماء والعالم لأبي عبد الله محمد بن أبان بن سيد القرطبي.
2. موعب اللغة لأبي غالب بن أبي غالب المعروف بالتياني.
3. جامع اللغة لأبي عبد الله محمد بن جعفر المعروف بابن القزاز.
4. واعِي اللغة لأبي محمد عبد الله الأزدي المحدث الإشبيلي.
5. المخصص والمحكم والعويص، وشرح الغريب المصنف لأبي الحسن علي بن سيدة.
6. الصحاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري.
7. المبرز لأبي عبد الله محمد بن يونس الحجازي.
8. الجمرة لابن دريد.
9. المجمل لابن فارس.
10. مختصر العين للزبيدي.
11. تهذيب أبنية الأفعال لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطاع.
12. الأفعال لأبي بكر بن القوطية.
13. الأفعال لابن طريف.
14. المنظم لكراع.
15. المجرد لكراع.
17. الإصلاح ليعقوب بن السكيت.

---

(301) **تحفة المجد**، ص 4.

18. الألفاظ ليعقوب بن السكيت.
19. الفرق والمبنى ليعقوب بن السكيت.
20. فعلت وأفعلت ليعقوب بن السكيت.
21. اليواقيت للمطرز.
22. غريب أسماء الشعراء للمطرز.
23. الفصوص لصاعد البغدادي.
24. الغريب لأبي عبيد.
25. الزاهر لابن الأنباري.
26. كتاب ليس لابن خالويه.
27. كتاب أطرغش لابن خالويه.
28. كتاب أبنية الأفعال لابن خالويه.
29. كتاب الافن لابن خالويه.
30. كتاب الوحوش لهشام الكرنبائي.
31. أخبار صعاليك العرب لأبي الحسن الأخفش.
32. الإبدال لعبد الواحد بن علي اللغوي.
33. المصادر والنوادر لأم البهلول الفقعسية.
34. المصادر للفراء.
35. فعل وأفعل لأبي عبيدة معمر بن المثنى.
36. الفاخر لأبي طالب المفضل بن سلمة.
37. الألفاظ لأبي نصر البصري.
38. المحتسب لأبي الفتح عثمان بن جني.
39. شرح شعر المتنبي لابن جني.
40. فصل المقال في شرح الأمثال لأبي عبيد البكري.
41. معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري.
42. شرح الأمثال لابن أغلب المرسي.
43. حلى العلى لعبد الدائم القيرواني.
44. لحن العامة للزبيدي.
45. المعاقبات لابن الأعرابي.

46. الألفاظ لابن الأعرابي.
47. الألفاظ لأبي حاتم السجستاني.
48. الأضداد لأبي بكر بن الأنباري.
49. إصلاح المنطق لأبي علي أحمد بن جعفر الدينوري.
50. المقصور والممدود لابن ولاد.
51. المقصور والممدود لأبي علي القالي.
52. خلق الإنسان لثابت.
53. خلق الإنسان لأبي حاتم.
54. خلق الإنسان للأصمعي.
55. الفرق لثابت.
56. الفرق لأبي حاتم.
57. التذكير والتأنيث لأبي حاتم.
58. الحشرات لأبي حاتم.
59. الغرائز لأبي زيد الأنصاري.
60. حلية وحمالة لأبي زيد الأنصاري.
61. الهمز لأبي زيد الأنصاري.
62. فعلت وأفعلت لأبي زيد الأنصاري.
63. فعلت وأفعلت لأبي إسحاق الزجاج.
64. فعلت وأفعلت لأبي علي القالي.
65. المثلث لأبي محمد بن السيد البطليوسي.
66. شرح الكامل لأبي محمد بن السيد البطليوسي.
67. شرح أدب الكتاب لأبي محمد بن السيد البطليوسي.
68. المثلث لأبي عبد الله القزاز.
69. الصواب لابن عديس.
70. شرح ابن عليم.
71. الاشتقاق لابن النحاس.
72. البهي للفراء.
73. الأزمنة لقطرب.

74. فعلت وأفعلت للثعالبي.
75. النوادر للثعالبي.
76. النوادر لأبي عبد الله بن الأعرابي.
77. النوادر لأبي الحسن اللحياني.
78. النوادر ليونس.
79. النوادر لأبي زيد.
80. النوادر لثعلب.
81. النوادر لأبي مسحل.
82. النوادر لأبي موسى الحامض.
83. النوادر لأبي محمد اليزيدي.
84. غريب الهروي.
85. غريب العتبي.
86. شرح الفصيح لابن درستويه.
87. شرح الفصيح لابن خالويه.
88. شرح الفصيح للمطرز.
89. شرح الفصيح لمكي القيسي.
90. شرح الفصيح للتدميري.
91. شرح الفصيح لابن هشام السبتي.
92. شرح الفصيح للزمخشري.
93. شرح الفصيح لابن الدهان اللغوي.
94. شرح الفصيح للعماني.
95. شرح الفصيح للمرزوقي.
96. شرح الفصيح لابن طلحة الإشبيلي.

ولا يعتبر هذا العدد[302] هو ما اقتصر عليه أبو جعفر، بل إنه رجع إلى عدة مؤلفات أخرى ذكرها في تضاعيف شرحه وإن لم ينص عليها في مقدمته. وقد

(302) عدد رضا عبد الجليل الطيار في كتابه «**الدراسات اللغوية في الأندلس**» (ص 135) الكتب التي استقى منها أبو جعفر مادته، قال : «وذكر بعد ذلك الكتب التي أخذ منها مادته فذكر منها أسماء واحد وتسعين كتابا فضلا عن ستة من **شروح الفصيح**» وهو إحصاء غير دقيق.

أشار إلى هذا في قوله : «وغير ذلك مما يطول إيراده ويوجد في أثناء الكتاب نقله عن قائله وإسناده»[303].

ومن المؤلفات التي اعتمدها ولم يذكرها[304] في مقدمته :

1. الأفعال لأبي القاسم السعدي.
2. كتاب اللحن للعتبي.
3. شرح المقامات لأبي ظفر.
4. مجالس ثعلب.
5. طبقات النحويين للزبيدي.
6. الجامع للفراء.
7. المعاني للزجاج.
8. اللحن لأبي حاتم.
9. أدب الكتاب لابن قتيبة.
10. اللحن لأبي الفتح المراغي.
11. تقويم المفسد لأبي حاتم.
12. مختصر الجمهرة لابن التياني.
13. شرح الفصيح للأستاذ أبي بكر بن صاف.
14. البارع لأبي علي القالي.
15. مختصر إصلاح المنطق لابن المغربي.
16. الخصائص لابن جني.
17. الأدب لابن قتيبة.
18. الاشتقاق لابن النحاس.
19. كتاب سيبويه للأخفش.
20. صفات النساء للنضر بن شميل.

---

(303) **التحفة**، ص 7.

(304) ذكر رضا عبد الجليل الطيار أنه أحصى هذه الكتب فوجدها 34 كتابا ثم عدد أسماءها، وقد وهم في ذلك لأنه ذكر العديد من الأسماء التي نص عليها أبو جعفر في مقدمته. انظر الدراسات اللغوية في الأندلس، ص 135.

21. الإصلاح للدينوري.
22. كتاب الشيء للفراء.
23. الأمالي لثعلب.
24. العيادة للصولي.
25. الدلائل لقاسم.
26. المنبي للفراء.

ا ــ طريقته في الشرح :

1. تتبع أحوال الفعل : يذكر أبو جعفر الفهري الفعل ويشرح معناه ثم يذكر إن كانت له لغة ثانية، ثم مضارعه وما فيه من لغات ويورد لكل لغة شاهدا شعريا إذا أمكنه ذلك كقوله في شرح [نمى] : «قوله : نمى المال، قال الشيخ أبو جعفر رضي الله عنه : أي زاد وكثر، قاله غير واحد. وفي نمى لغة ثانية يقال نَمُوَ على وزن ظَرُفَ، حكاه صاحب الواعي ومن خطه، وحكاه أيضا أبو القاسم السعدي في أفعاله. وفي مضارع نمى بفتح العين لغتان : يَنْمِي على وزن يَرْمِي كما ذكره ثعلب، ويَنْمُو على وزن يَدْعُو. قال الشاعر في ينمي : «والشيء تحقره وقد ينمي» وقال الشاعر في ينمي أيضا :

مَـازَالَ يَنْمِـي عَـدُّهُ صَاعِـداً مُنْـذُ لَـدُنْ فَارَقَـهُ ٱلْحَـالُ

وأنشد اللحياني في نوادره عن الكسائي في ينمو :

يَا حُبَّ لَيْلَى لاَ تَفْتُرْ وَازْدَدِ وَانْمُ كَمَا يَنْمُو ٱلْخُضَابُ فِي ٱلْيَدِ»[305]

ثم ينتقل الفهري بعد هذا الشرح إلى عرض مآخذ الشراح على ثعلب فيذكر أقوالهم ثم يعقب عليها معتمدا على ما قاله أئمة اللغة وثقاتهم، فينسب كل قول إلى قائله والكتاب الذي ورد فيه محتجا موثقا أقواله. قال أبو جعفر : «وأخذ ابن هشام السبتي على ثعلب في كونه ذكر ينمي فقط ولم يذكر معها ينمو، قال : وهما لغتان فصيحتان فكان حقه أن يذكرهما، قال الشيخ أبو جعفر : ما قاله ابن هشام من أنهما لغتان فصيحتان غلط، وإنما اللغة الفصيحة ينمي فقط وهي التي ذكرها ثعلب بدليل ما نقله الأئمة الثقاة الاثبات. قال الجوهري في كتابه

(305) **التحفة**، ص 9.

الصحاح : نمى المال وغيره ينمي وربما قالوا ينمو. قال الكسائيّ : ولم أسمعه بالواو إلا من أخوين من بني سليم ثم سألت عنه بني سليم فلم يعرفوه بالواو. قال الشيخ أبو جعفر : وحكى هذا أيضا أبو عبيد في المصنف عن الكسائيّ»[306].

ثم ينتقل الفهري إلى ذكر مصادر الفعل ويتعقبها في كتب اللغة ويذكر ما حدث فيها من قلب وإدغام.

2. **الاستطراد** : وهو على نوعين : استطراد بسيط وسرعان ما يخرج منه إلى الموضوع كقوله : «وإن كان بعض اللغويين فرق بين ينمي وينمو فقال : ينمي للمال وينمو بالواو لغير المال كما فرقوا بين يَزْبِدُ بالكسر ويَزْبُدُ بالضم فقالوا : زَبَدَ يَزْبِدُ بكسر المستقبل إذا أعطاه، وزَبَدَ يَزْبُدُ بضم المستقبل إذا أطعمه الزبد»[307]؛ واستطراد طويل قد يستغرق منه الصفحة بكاملها كشرحه لكلمة المال وما يعني العرب باستعمالهم لهذا اللفظ، فاستعرض أقوال ابن سيدة في كتابه العويص، والمطرز في كتابه الياقوت، والقالي في أماليه، وابن السيد وغيره..[308] ثم يستطرد مرة أخرى لمعاني الفعل نمى المال ومرادفاته : «يقال نمى المال وصفا وعفا ووفى وخبى وأخبى بهمز وبغير همز..»[309].

3. **المرادفات** : لا يغفل الفهري ذكر مرادفات للفعل إذا ما توفرت هذه المرادفات، بل يسوقها مستقصيا كما فعل في الفعل غثت «يقال غَثَتْ نَفْسُهُ وَنَفِسَتْ وَخَبُثَتْ وَصَاقَتْ وَتَبَقَّرَتْ وَتَمَدَّرَتْ وَتَرَمَّضَتْ وَتَعَرَّبَتْ وَتَمَقَّسَتْ كله بمعنى واحد»[310].

وفي الفعل أودى قال : «ويقال نزل به حِمَامُه أي موته، قال : ويقال سَاقَ وَنَزَعَ وَحَشْرَجَ، وَكَرَّ، وَشَقَّ بَصَرُهُ. وحكى ابن الأعرابي في نوادره أنه يقال :

---

(306) **نفسه**، ص 10.

(307) **نفسه**، ص 223.

(308) **التحفة**، ص 224.

(309) **نفس المصدر**.

(310) **نفسه**، ص 87.

نَاقَ ٱلرَّجُلُ يَنُوقُ وَرَاقَ يَرِيقُ وَفَاقَ يَفِيقُ وَكَذًّا وَسَاقَ وَغَرَّ وَغَرْغَرَ إِذَا جَادَ بنفسه»[311]. وقد تكرر إيراده للمرادفات في أغلب الأفعال[312].

4. شرحه للشواهد : يذكر شاهد «الفصيح» فينسب البيت إلى قائله «وقوله : وينشد هذا البيت :

مَـا مَـرَّ يَـوْمٌ إِلاَّ وَعِنْدَهُمَـا لَحْـمُ رِجَالٍ أَوْ يُولَغَانِ دَمَـا

قال الشيخ أبو جعفر : البيت لابن قيس الرقيات ذكره غير واحد»[313]. ثم يدقق في اسم الشاعر ولقبه و لم لقب به. قال الفهري : «ونقلت من خط التدميري إنما سمي قيس الرقيات لأنه قال :

(رقية لا رقية لا رقية أيها الرجل) قال وكما قيل لأنه شبب بجماعة نساء كل واحدة منهن يقال لها رقية وقيل غير ذلك»[314]. ثم يذكر الخلاف في نسبة البيت إذا نسب لغير قائل : «ونسب البيت الجوهري في الصحاح لأبي زبيد، وقال العماني هو لابن هرمة، ونسبه الزمخشري في شرحه لمروان بن أبي حفصة»[315]. ثم يعود لشرح البيت ويتعقب ما ورد في مختلف رواياته من اختلاف في ألفاظه فيعددها ناسبا كل قول إلى قائله ومصدره في ذلك، ثم يعود إلى اللفظ الشاهد فيستقصي أحواله في الماضي والمضارع وفي حالة الإلزام والتعدية، ثم يتقصى أحوال إعراب البيت من جميع وجوهه»[316].

وإذا كان أبو جعفر قد ألزم نفسه بهذا مع شواهد «الفصيح»، فإنه أغفله فيما ساق من شواهد في تأليفه، إذ نجده لا يهتم بعزو كل بيت إلى قائله، وكثيرا ما يكتفي بقوله : «وقال آخر». كما يلاحظ عليه أنه يحشد الشاهد تلو الآخر للاستدلال على صحة ما أورد من شرح كقوله : «قال عنترة بن شداد : (أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ ٱلْهَيْثَمِ).

(311) **نفسه**، ص 67.

(312) انظر نماذج، ص 77 و86، 180.

(313) **التحفة**، ص 81.

(314) **نفس المصدر**.

(315) **نفسه**، ص 81.

(316) استغرق ذلك الصفحات : 81، 82، 83.

والإقواء والإقفار سواء. وقال آخر :

فَقَــدَّمَتِ ٱلأَدِيــمَ لِرَاهِشَيْــهِ وَأَلْفَــى قَوْلَهَــا كَذِبــاً وَمَيْنــاً

والكذب والمين سواء. وقال آخر :

قَدْ رَابَنِي مِنْكِ يَا أَسْمَا إِعْرَاضُ فَدَامَ مِنْكُمْ لَنَا مَقْتٌ وَإِبْغَـاضُ

والمقت والإبغاض واحد. وقال آخر :

أَلاَ حَبَّذَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدُ وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا ٱلنَّأْيُ وَٱلْبُعْدُ

والنأي هو البعد إلى غير ذلك من الأبيات وهي كثيرة جدا»[317].

واستشهاداته تتعدد وتتنوع ما بين آيات قرآنية وأحاديث وأشعار، ويلاحظ غلبة الشعر في هذا الجانب، وترجع كثرتها إلى اعتماد أبي جعفر على جهود سابقيه من الشراح وأئمة اللغة ونقله عنهم، ولذلك بلغت الأبيات الشعرية في الباب الأول فقط (باب فعلت بفتح العين) تسعة وثلاثين بيتا باستثناء أربعة أبيات من شواهد الفصيح، واستشهد بالقرآن أربع مرات[318]، وبالحديث مرة واحدة[319].

5. **اهتمامه بالشروح النحوية** : لا يقتصر في هذا المجال بما يورد من أوجه إعراب شواهد «الفصيح»، وإنما يتعقب في الأفعال أوجه الصرف والاشتقاق وأحوال التعدية والالزام والقلب والإدغام، ويتعرض لبعض الأبنية بذكر أوجه الإعراب فيها وما يجوز فيه الرفع أو النصب أو أحدهما كقوله في شرح «نشدتك الله» : «قال الشيخ أبو جعفر : واسم الله تعالى في قوله نشدتك الله ينصب على وجهين : إما على اسقاط حرف الجر كأنه قال : سألتك بالله على ما فسرناه قبل من معنى نشدتك، وإما أن يكون منصوبا بنشدتك من غير إسقاط حرف الجر كأنه قال : ذكرتك الله فتعدى نشدتك إلى اسم الله تعالى من غير واسطة كما يتعدى ذكرتك، وقد حكينا قبل عن ثعلب أن معنى نشدتك ذكرتك فينتصب على هذا»[320].

---

(317) **التحفة** ص 226.

(318) **نفسه**، ص 49 و54 و57 و58.

(319) **نفسه**، ص 59.

(320) **نفسه**، ص 159. وانظر نماذج ص 83 و130 و153 وغيرها.

6. **رده على الشراح الأندلسيين** : اعتمد أبو جعفر في شرحه هذا على تتبع بعض الشروح الأندلسية متعقبا فيها الشراح بالنقد كما فعل مع التدميري وابن هشام في شرحهما للفعل ذوى، فساق أقوالهما أولا ثم عقب عليها. قال : «وقوله ذوى العود يذوي، قال الشيخ أبو جعفر : أي ذبل. حكاه كراع في منظمه وغيره، وقال ابن هشام : ومن خطه ولا يقال جف، قال الشيخ أبو جعفر وثبت في بعض النسخ أي جف، ومعني جف يبس، وسيأتي تفسيره إن شاء الله تعالى فقال أبو العباس التدميري في شرحه الكتاب : ليس ذلك بشيء ولا تصح هذه الرواية عن ثعلب لأن الذاوي ليس الجاف على الاطلاق. قال : وقد فسر ذلك ذو الرمة فقال :

وَأَبْصَرْنَ أَنَّ القِنْعَ صَارَتْ نِطَافُهُ   فَرَاشاً وَأَنَّ ٱلْبَقْلَ ذَاوٍ وَيَـابِسُ

قال : فانظر كيف قسم البقل هاهنا على ضربين، فجعل منه يابسا وذاويا فاليابس معروف والذاوي الذي ذبل وقلت رطوبته. قال الشيخ أبو جعفر : وهذا الذي قال التدميري وابن هشام من أنه لا يقال ذوى بمعنى يبس فاسد بدليل ما حكاه أئمة اللغة»[321]. ثم يورد أبو جعفر ما قال أئمة اللغة كيعقوب في أصلاحه، وابن فارس في مجمله والقالي في مقصوره وممدوده وغيرهم..[322].

ومن الأندلسيين أيضا أخذ على ابن طلحة الإشبيلي[323] وعلى ابن سيده المرسي[324]، وأخذ على أبي إسحاق ابن ملكون[325] وعلى أبي علي الشلوبين[326].

7. **دفاعه عن ثعلب** : تدخل ردود أبي جعفر على شرح الأندلسيين في باب دفاعه عن ثعلب والانتصار له، إذ ذكر في مقدمة كتابه : «وانتصرت له حيث أمكنني الانتصار، ورددت على من تعقب عليه ردا يرتضى بحكم الانصاف

(321) **التحفة** ص 225.
(322) انظر الصفحات 9 و10 و47 و72 من **التحفة**.
(323) **نفسه**، ص 14.
(324) **نفسه**، ص 79.
(325) **نفسه**، ص 151.
(326) انظر ما كتبه رضا عبد الجليل الطيار في **الدرسات اللغوية في الأندلس**، ص 139-140.

ويختار»[327].

وقد ينتصر لثعلب في شيء خالفه فيه النحويون كقوله : «هذا الذي ذكره الأستاذ أبو إسحاق هو الذي ينص عليه النحويون في كتبهم لكن ما ذكره ثعلب ليس بخطأ، حكى سيبويه أن بعض العرب يفتح ويكسر ويضم مع اتصال الضمير بالفعل فصح ما قاله ثعلب وبطل ما اعترض به الأستاذ أبو إسحاق»[328].

ويظهر من خلال الشرح موقف أبي جعفر المدافع عن ثعلب[329]، إذ يورد أقوال العلماء الذين أخذوا على ثعلب أو خطأوه، ويرد عليهم بتفنيد مآخذهم معتمدا في كل ذلك على سوق أقوال أئمة اللغة[330] ذاكرا القول وقائله والمؤلف الذي ذكره فيه موثقا لحججه بما لا يترك مجالا للأخذ والرد.

8. انتقاده لثعلب : رغم الموقف العام المناصر الذي وقفه أبو جعفر من ثعلب وفصيحه، فإنه في تضاعيف تحفته أشار إلى اعتراضه على ثعلب في بعض المواقف منها ما ذكره في مادة «هرقت» معقبا على ثعلب بقوله : «كان حقه أن لا يذكر هرقت إلا في باب أفعلت ولا يذكره في باب فعلت، لكنه راعى كما قدمناه لفظه فإنه ثلاثي»[331] .

وما اعترض عليه أيضا من «باب فعلت بغير ألف» فقال : «كان حق المصنف أن يذكر مكان هذا الباب باب فعل بضم العين ولا يهمله ليتم له بذلك ذكر جميع أبنية الأفعال الثلاثة المبينة للفاعل لأنها ثلاثة أبنية للإخبار عن الفاعل وهي فعل بفتح العين وفعل بكسر العين وفعل بالضم لأن العامة تغلط في هذا المثال المضموم العين فتنطق به على غير وجهه كما تغلط في المفتوح العين والمكسور العين. ثم يذكر بعد هذه الأبنية الثلاثة المثال المبني للمجهول في الثلاثي أيضا وهو الباب الذي صدر بيان فعل بضم الفاء فكذا كان حق المصنف أن يفعل»[332].

---

(327) **التحفة**، ص 4.

(328) **نفسه**، ص 52.

(329) **الدراسات اللغوية في الأندلس**، ص 138.

(330) **الفصيح** لعاطف مدكور، ص 191.

(331) **التحفة**، ص 146.

(332) **التحفة**، ص 133. وانظر أيضا انتقاده لثعلب، ص 17 وص 114.

II ـ قيمة الكتاب :

احتفظ الكتاب بثروة أدبية ولغوية كبيرة تتمثل في عدد المؤلفات التي اعتمد عليها أبو جعفر والنقول التي أوردها، وقد ضاع الكثير من هذه المؤلفات و لم يبق منها إلا هذه النقول التي اعتمد عليها أبو جعفر فحفظ بذلك جوانب من هذا التراث الضائع، واعتمد بعض الدارسين من المعاصرين في دراساتهم على هذه النقول في إماطة اللثام عن بعض الحقائق، فاعتمد عاطف مذكور في دراسته «للفصيح» على «**تحفة المجد**» فيما نقل من كتاب «**البهي**» للفراء فقال : «وإذا كان «بهي» الفراء لم نعثر عليه، فقد عثر عليه أبو جعفر الفهري وعده من مصادر كتابه «**تحفة المجد الصريح**» ويعلن ذلك في خطبته ثم هو بعد ذلك يضمن كتابه ثلاثة نقول عن الفراء في كتاب «البهي» وهو بهذا هيأ لنا عقد مقارنة بين «الفصيح» و«البهي» فحسم نهائيا ذلك الخلاف»[333].

وضاعت بعض شروح الأندلسيين و لم نعلم عنها شيئا إلا ما نقل أبو جعفر في تحفته كشرح مكي بن أبي طالب وشرح ابن صاف اللخمي وشرح ابن طلحة الإشبيلي.

وعلى وفرة المؤلفات التي نقل عنها، فإن أبا جعفر كان يسند كل قول إلى قائله، ويذكر الكتاب الذي ينقل عنه، ويورد ما اتفق فيه العلماء وما اختلفوا فيه موثقا نقوله بذكر مصادرها وأسماء مؤلفيها. «وهذه فضيلة للرجل، فهو لم يدّع شيئا ليس له وإن كان ذلك يدل على إحاطته وشموله. على أن كثيرا من الكتب التي نقل عنها قد تسربت من بين أصابع الأيام، فكان صنيعه هذا خير عون للباحثين على معرفة ما احتوته هذه الكتب وحسم النزاع الذي نشب حول بعضها واختلاف العلماء في نسبتها إلى أصحابها كما رأينا في اختلافهم في نسبة «الفصيح» نفسه، فكان حائرا بين ثعلب والفراء حتى عثرنا في «**تحفة المجد الصريح**» على الهداية وحسم الأمور»[334].

وتزيد هذه المؤلفات المعتمدة كتاب «التحفة» قيمة علمية كبرى كون بعضها بخط المؤلف، وهذا شيء كان أبو جعفر ينص عليه من حين لآخر كقوله : «كذا

(333) **الفصيح**، ص 47.

(334) **الفصيح**، ص 189.

رأيته بخط الآمدي نَمَّاهُ بالتشديد ورأيته بخط أبي الفضل ابن الفرات نَمَاهُ بالتخفيف، وقوله : وذوى العود يذوي، قال الشيخ أبو جعفر : أي ذبل، حكاه كراع في منظمه وغيره وقال ابن هشام ومن خطه»[335].

وكذا نص على نقله من كتاب واعي اللغة لأبي محمد عبد الله الأزدي المحدث الإشبيلي بخط يده[336]، ومن كتاب الصواب لابن عديس[337].

وأكثر أبو جعفر في نقوله عن الأندلسيين كانوا من ذوي المؤلفات اللغوية أو لم يكونوا، كنقوله عن شيخه أبي علي الشلوبين[338]، وعن أبي إسحاق ابن ملكون[339]، ولم يذكر كيفية نقله عنه.

وتكتسي «التحفة» أهمية عظمى ليس فقط من حيث حجم الشرح ووفرة مادته اللغوية والأدبية والنحوية، بل لكونها ثمرة جهود عدد من العلماء وعلى مر حقب من الزمان تدوول فيها الفصيح بالشرح والتحليل، فجاءت تجمع خيوط هذه الشروح وتطعمها بما ألف في اللغة من مباحث منذ القديم وحتى عصر المؤلف القرن السابع الهجري، ولذا كان طبيعيا أن يظهر هذا الشرح في هذا الحجم الضخم وبهذا الاستقصاء والاستيعاب، وأن ينال إعجاب الناس ويحظى عندهم، قال عنه ابن جابر الوادي آشي : «تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح لشيخنا الأستاذ أبي جعفر أحمد اللبلي الذي أفاد به وأجاد وأتى فيه بما أضرب به غيره وحاد، وذكر أنه جمعه من تواليف عدة ذكرها في أوله ربما ما يعلم بعضها ولا لمن هي منسوبة إلا منه»[340].

وقال عنه ابن الحناني : «وهو كتاب لم تكتحل عين الزمان بمثله في تحقيقه

---

(335) **التحفة**، ص 225.

(336) **نفسه**، ص 9.

(337) **نفسه**، ص 77.

(338) **نفسه**، ص 69.

(339) **التحفة**، ص 151. ابن ملكون أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن منذر بن سعيد بن ملكون الحضرمي (ت 584هـ) وهو شيخ أبي علي الشلوبين.

(340) **برنامج الوادي آشي**، ص 310.

«غزارة فوائده ومنه يعلم فضل الرجل الذي ألفه وبراعته»[341].

لباب تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح :

وصف المخطوط :

يشتمل المخطوط على 245 صفحة مسطرتها 18 × 15.

تتراوح سطور الصفحة الواحدة ما بين 17 إلى 21 سطرا.

في كل سطر ما بين 11 إلى 14 كلمة.

كتبت بخط أندلسي وانتسخت سنة 1057هـ.

المقدمـة :

ذكر أبو جعفر اللبلي في هذه المقدمة الأسباب التي اضطرته إلى تأليف هذا الاختصار، فقد أشير عليه أن يضع ملخصا بسيطا يستطيع المبتدئ الرجوع إليه، وإن لم يذكر الشخص الذي أشار عليه بذلك ولعله نفس الشخص الذي أشار عليه بشرح الفصيح، وهو الوزير أبو بكر بن أبي غالب الحسن بن غالب، وفي هذا يقول أبو جعفر : «وبعد فإني لما شرحت كتاب الفصيح واستوفيت الكلام فيه على النادر والفصيح فربما طال على من أراد الوقوف على حقائقه والاجتناء من حدائقه بإضافة كل قول إلى قائله وإحالته على ناقله أشير علي بأن أجرده من التعليل والإسناد وألخصه عن الاكثار والزيادات تقريبا لحفاظه وتيسيرا لدرك معانيه وألفاظه، فهذبته غاية التهذيب، وقربته غاية التقريب، فصار صغير الحجم، قليل الجرم، كثير العلم جامعا للفوائد ناظما للفرائد باهرا على تصانيف العلماء»[342].

واختار المؤلف لهذا الاختصار اسما يطابق ما وضع له فسماه لباب «**تحفة المجد**» «ليكون لفظه مطابقا لمعناه واسمه مترجما من فحواه»[343].

وقد حاول المؤلف أن يهذب شرحه بالإعراض مطلقا عن الرجوع إلى أقوال العلماء وتقصيها في مضانها ومقارنة بعضها ببعض. ويمكن أن نجمل ملاحظاتنا

---

(341) **كشف الظنون**، ص 1273.

(342) ص 13.

(343) ص 14.

على هذا الشرح فيما يلي :

ـ التزم الاختصار فعرض فقط لأحوال الفعل التي يجب الوقوف عليها دون أن يورد أقوال العلماء في ذلك، فجرد عرضه للأفعال من كل زيادة أو إسناد، ومع ذلك نلاحظ بعض الإطناب في هذا الجانب يتجلى في تقصيه للفعل في مختلف الأزمنة وأحوال شكله، ومشتقاته من مصدر وإسم الفاعل وإسم المفعول وإسم المرة والهيئة والصفة، الشيء الذي طبع هذا الجانب بشيء من التطويل.

ـ في شرحه لبعض الأفعال لم يلتزم بالتلخيص الذي شرطه على نفسه في مقدمته وإنما مال إلى استعراض مرادفات الفعل فأوردها متتالية كما فعل في شرحه لمعنى «هلك»[344].

ـ حذف جانبا هاما من استشهاداته في الشرح واقتصر على التقليل منها كاستشهاده ببعض الآيات[345] والأحاديث[346] التي اكتفى فيها بإيراد الحديث دون ذكر سنده ورواته ومصادره، أما استشهاداته الشعرية فقد ألغاها و لم يأت بها إلا في النادر[347] كشرحه للإكفاء والإقواء حيث اضطر أن يسوق أبياتا يوضح فيها الفرق بين المعنيين.

ـ في شرحه لشواهد الفصيح لم يتبع طريقة معينة، فقد يشرح البيت مكتفيا بمعناه العام ويكتفي بذكر موضع الشاهد منه ونسبة البيت إلى قائله كشرحه للبيت :

ما مر يوم إلا وعندهما ... لحم رجال أو يولغان دما

«البيت لابن قيس الرقيات، وقيل لمروان بن أبي حفصة، وقيل لابن هرمة، وقيل لابن أبي زبيد يصف فيه شبلي أسد، وقيل يصف لبؤة ترضع شبلين في مغارهما قد نهزا للفطام أو فطما، وقيل يصف ابنين له يشبههما بشبلين كأنهما من شجاعتهما وفتكهما بالرجال لا يمر يوم إلا وعندهما لحم رجال»[348].

(344) ص 22.

(345) ص 37 و43.

(346) ص 73.

(347) ص 77 و78.

(348) ص 25.

وقد يورد البيت ولا يأتي بشرحه، وإنما يكتفي بالإشارة إلى قائله وموضع الشاهد منه كقوله :

وعَطِّلْ قَلُوصِي فِي ٱلرِّكَابِ فَإِنَّهَا   سَتَبْرُدُ أَكْبَاداً وَتُبْكِي بَوَاكِيَا

هو لمالك بن الريب، وقيل لجعفر بن علبة الحارثي. وموضع الشاهد فيه ستبرد بفتح التاء وضم الراء»[349].

وقد يضرب صفحا عن شرح البيت (من شواهد الفصيح) أو الإشارة إليه كبيت قعنب بن ضمرة المشهور بابن أم صاحب الغطفاني :

وَلَنْ يُرَاجِعَ قَلْبِي حُبُّهُمْ أَبَداً   زَكِنْتُ مِنْ بُغْضِهِمْ مِثْلَ ٱلَّذِي زَكِنُوا

فاكتفى بشرح الفعل زكن ولم يشر إلى البيت بشيء[350].

وكذا بيت الكميت[351]، وبيت الشماخ بن ضرار الغطفاني[352].

نظما :

1. علي بن المرادي البلنسي (ق 6)

علي بن محمد المرادي[353] ولد ببلنسية ودرس بها وكان مقرئا مجودا تصدر للاقراء وتدريس العربية والآداب ثم انتقل إلى المغرب، ولعله سكن مدينة مراكش وقام بتأديب أبناء عبد المومن بن علي إذ إليهم رفع مؤلفاته ومنها :

1 — رجز في رسم هجاء المصحف، انتهى من تأليفه سنة 563هـ ورفعه إلى الأمير أبي علي الحسن بن عبد المومن قال في آخره :

أَكْمَلْتُهُ فِي ٱلنِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَا   فَظَهَرَ ٱلْفَضْلُ بِهِ وَبَانَا
عَامَ ثَلاَثَةٍ إِلَى سِتِّينَا   مِنْ بَعْدِهَا خَمْسٌ مِنَ ٱلْمِئِينَا

---

(349) ص 41.

(350) ص 30.

(351) ص 35.

(352) ص 59، البيت في مختارات شعراء العرب لابن الشجري.

(353) ترجمته في : **التكملة بالنثيا والاركون** : 218 — **الذيل والتكملة** : 403/5 — **الدراسات اللغوية في الأندلس**، ص 148.

2 ــ رجز في فصيح ثعلب انتهى من تأليفه سنة 567هـ ورفعه إلى أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن ذكر في آخره تاريخ نظمه :

فَكَمَّلَ ٱلْمَنْظُومَ فِي شَعْبَانِ ... سَنَةَ سَبْعٍ عَدَّ ذِي بَيَانِ
مِنَ ٱلسِّنِينِ بَعْدَهَا سِتِّينَا ... مِنْ بَعْدِهَا خَمْسٌ مِنَ ٱلْمِئِينَا

2. مالك بن المرحل (604-699هـ)

أبو الحكم مالك بن عبد الرحمان بن علي بن الفرج المالقي المشهور بابن المرحل. ولد بمدينة مالقة سنة 604 وبها نشأ وتعلم وتولى خطة القضاء بجهات غرناطة وعاش طويلا بمدينة سبتة حتى نسب إليها[354]، وكانت وفاته بمدينة فاس سنة 699هـ.

اشتهر مالك بن المرحل بالشعر وغلب عليه، «فكلفت به ألسنة الخاصة والعامة وصار رأس مال المسمعين والمغنيين، وهجير الصادرين والواردين، ووسيلة المكدين وطراز أوراد المؤذنين ومطلبة الطبالين»[355]. واشتهر أيضا بنظمه لكثير من المؤلفات[356] منها :

1 ــ الواضحة في الفرائض.
2 ــ أرجوزة في العروض.
3 ــ أرجوزة في النحو.
4 ــ أرجوزة في القراءات «التبيين والتبصير في نظم التيسير».
5 ــ نظم في غريب القرآن لابن عزيز.
6 ــ نظم «المنخل» لأبي القاسم بن المغربي.

---

(354) قال عنه ابن عبد الملك : «مالك بن المرحل المالقي» **الذيل** : 331/1 ونقل عنه ابن الخطيب في **الإحاطة** : 304/2، والمقري في **نفح الطيب** : 453/7 «مالك بن المرحل المالقي ثم السبتي». وعبد الله كنون ترجم له في **النبوغ** : 225/1 وقال عنه : «مالك بن المرحل السبتي».

(355) انظر **الذيل والتكملة** : 29/8.

(356) لم أتعرض لذكر كل مؤلفاته ودواوينه واقتصرت فقط على جانب المنظومات.

7 ــ «الموطأة» في نظم الفصيح[357].

موطأ الفصيح[358] :

بدأ مالك نظمه هذا بمقدمة وضح فيها منهجه وغايته من هذا النظم أوجزها فيما يلي :

1 ــ بدأ المنظومة بحمد الله وشكره والصلاة على رسوله الكريم.

2 ــ ذكر غايته من هذا النظم وأشار إلى أنه عمل تطوعي تلقائي جرى في خاطره دون أن يأمره أو ينتدبه أحد إليه :

وَبَعْدَ هَذَا فَجَرَى فِي خَاطِرِي   مِنْ غَيْرِ رَأْيِ نَادِبٍ أَوْ آمِرِ

أَنْ أَنْظِمَ ٱلْفَصِيحَ فِي سُلُوكِ   فِـي رَجَـزٍ مُهَـذَّبٍ مَسْبُـوكِ

3 ــ الموطأة ليست نظما للفصيح فقط وإنما هي أيضا في شرح ما لابد من شرحه :

وَبَعْضَ مَا لاَبُدَّ مِنْ تَفْسِيرِهِ   وَشَرْحِهِ وَٱلْقَوْلُ فِـي تَقْدِيـرِهِ

مِنْ غَيْرِ أَنْ أَعْدُو ذَاكَ ٱلْمَعْنَى   وَٱللَّفْـظَ إِلاَّ لاِضْطِـرَارٍ عَنَـا

فَٱلْمَـرْءُ قَـدْ تَنْتَابُـهُ ٱلضَّرُورَة   فَتُصْبِحُ ٱلنَّفْسُ بِهَا مَقْصُورَة

4 ــ ذكر غايته من هذا النظم وهي الرجاء في الأجر الجزيل من المولى الكريم، ورغبة في طلب الشهرة بين الناس وتخليد ذكره :

رَجَوْتُ مِنْهُ مِنْ إِلٰهِي ٱلأَجْـرَا   وَٱلشُّكْـرَ مِـنْ عِبَادِهِ وَٱلذِّكْـرَا

5 ــ ذكر سبب تسميتها بالموطأة :

هَـذَّبَ فِيهَـا قَوْلَـهُ وَوَطَّـأَه   لأَجْـلِ ذَا لَقَّبَهَـا ٱلْمُوَطَّـأَة

---

(357) ذكر الدكتور عبد العلي الودغيري طبعات **الموطأة** في كتابه عن ابن الطيب الشرقي، ص 219.

(358) ذكر هذه المنظومة وعرف بها وبموضوعها : رضا عبد الجليل الطيار في كتابه : **«الدروسات اللغوية في الأندلس»**، من ص 142 إلى 146، والدكتور عاطف مدكور في كتاب **«الفصيح»**، ص 196. وأفرد لها الدكتور عبد العلي الودغيري في دراسته عن ابن الطيب الشرقي من ص 224 إلى ص 227.

6 ـــ أعقبت هذه الموطأة شرحين :

أولهما : «الموطئة في شرح الموطأة» لابن الطيب الشرقي[359].

وثانيهما : شرح لأبي حفص حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي الفاسي[360] (1232هـ).

3. أبو بكر القللوسي (607-707)

محمد بن محمد بن إدريس القضاعي، من أهل إسطبونة ـــ جنوب غرب مالقة ـــ ترجم له لسان الدين ابن الخطيب في الإحاطة وقال عنه : «كان رحمه الله إماما في العربية والعروض والقوافي موصوفا بذلك»[361]. من شيوخه : أبو القاسم بن الحصار الضرير السبتي، وأبو الحسن بن أبي الربيع[362] وأبو جعفر ابن الزبير بغرناطة، اشتهر بنظمه للعديد من المؤلفات منها :

1 ـــ رجز في الفرائض.

2 ـــ نظم في العروض والقوافي.

3 ـــ كتاب الدرة المأسونة في محاسن اسطبونة.

4 ـــ تأليف في ترحيل الشمس سوسطات الفجر ومعرفة الأوقات.

5 ـــ أرجوزة في شرح ملاحن ابن دريد.

6 ـــ أرجوزة في شرح كتاب «الفصيح».

7 ـــ كتاب في الخواص.

تولى عدة مناصب ببلده إسطبونة منها الخطابة والتدريس «وكان بقطره علما من أعلام الفضل والإيثار والمشاركة»[363] توفي ببلده سنة 707هـ.

---

(359) انظر **الدراسات اللغوية في الأندلس**، ص 146، و**«الفصيح»** لعاطف المذكور ص 197، وانظر الدراسة القيمة عليها للدكتور عبد العلي الودغيري «ابن الطيب الشرقي ـــ حلقة من تاريخ الفكر اللغوي بالمغرب» من ص 227 إلى ص 246.

(360) ابن الطيب الشرقي، ص 219.

(361) **الإحاطة** : 75/3.

(362) أخذ عليه ولازمه، ولعل هذا ما دفع إسماعيل الخطيب في كتابه : **الحركة العلمية في سبتة في القرن السابع إلى اعتباره أديبا سبتيا**. انظر ص 253.

(363) **الإحاطة** : 76/3.

4. أبو عبد الله البلياني (ت 764هـ)

محمد بن محمد بن جعفر بن مشتمل الأسلمي المري أبو عبد الله البلياني[364]، تولى عقد الشروط بألمرية والخطابة بمرشانة، واشتهر بالعفة والنبل، وتولى الإقراء والتدريس للنحو والأدب، توفي سنة 764هـ. من مؤلفاته :

1 ــ رجز في علم الكلام.
2 ــ رجز في ألفاظ «الفصيح».
3 ــ إصلاح النية في المسألة الطاعونية.

5. ابن جابر الأندلسي (ت 780هـ)

محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي[365] الهواري المالكي أبو عبد الله الضرير، ولد بألمرية سنة 698هـ. درس ببلاده ثم انتقل إلى المشرق صحبة رفيقه أبي جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني، فطافا بمصر والشام، وسكن حلب ثم عاد إلى الأندلس فأقام بألبيرة إلى أن توفي سنة 780هـ. من مؤلفاته :

1 ــ شرح الألفية لابن مالك.
2 ــ نظم الفصيح.
3 ــ نظم كفاية المتحفظ.
4 ــ الحلة السيرا في مدح خير الورى.
5 ــ شرح ألفية ابن معطي.

تأليفاً :

1. أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي (بعد 542هـ)

تعريفه :

أبو القاسم محمد بن عبد الغفور بن محمد بن عبد الغفور الكلاعي أحد أبناء

---

(364) ترجمته في : **بغية الوعاة** : 94 ــ **الإحاطة** : 365/2.

(365) ترجمته في : **الوافي بالوفيات** : 157/2 ــ **النجوم الزاهرة** : 122/11 ــ **بغية الوعاة** : 14/1 ــ **نفح الطيب** : 29/2 ــ **النقد الأدبي للداية** : 554 ــ **الفصيح**، تحقيق عاطف مدكور، ص 199.

القرن السادس الهجري، نشأ في أسرة عرفت باتصالها بالبلاطات فكان أبوه[366] كاتبا ووزيرا في دولة المرابطين، وكان جده أبو القاسم وزيرا للمعتمد، وتولى أبو القاسم الحفيد ـــ وهو المقصود بهذه الدراسة ـــ الكتابة لعلي بن يوسف بن تاشفين. ذكر ابن الأبار في ترجمته[367] أن أصل سلفه من غرب الأندلس واستوطنوا إشبيلية، تلقى تعليمه على والده أبي محمد فأخذ عنه الآداب، وأخذ علوم العربية عن ابن أبي العافية، والفقه عن أبي القاسم الزنجاني، صحب أبا الحسن علي بن بسام الشنتريني وطبقته من الأدباء، لم تذكر المصادر التي ترجمت له تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته، ولكن من المؤكد أنه كان حيا سنة 542هـ، وهي السنة التي توفي فيها ابن بسام إذ يذكر أبو القاسم الكلاعي ما يثبت هذا في كتابه **«إحكام صنعة الكلام»** وهو يتحدث عن أبي منصور الثعالبي ومؤلفاته قال : «وأخبرني الوزير الفقيه أبو بكر بن العربي أنه سقط إليه من تواليفه أحد وعشرون تأليفا لم يسمها لي أبو الحسن المذكور ثم وجدت بعد موته تسميتها بخط يده»[368].

مؤلفاتــه :

1 ـــ إحكام صنعة الكلام[369].

2 ـــ الانتصار لأبي الطيب المتنبي[370].

3 ـــ ثمرة الأدب : عارض به سقط الزند لأبي العلاء المعري.

4 ـــ الساجعة والغربيب : عارض بها الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري.

5 ـــ السجع السلطاني : عارض به السجع السلطان لأبي العلاء المعري.

6 ـــ خطبة الفصيح : عارض بها خطبة الفصيح لأبي العلاء المعري.

7 ـــ خطبة الاصلاح : مشتملة على كتاب «المنخل» لأبي القاسم بن

---

(366) ترجم له ابن بسام في **الذخيرة** : 235/2.

(367) **التكملة** : 187/1.

(368) **إحكام صنعة الكلام** : 232.

(369) تحقيق محمد رضوان الداية، نشرته وزارة الثقافة، بيروت، 1966.

(370) ذكره في كتابه : **إحكام صنعة الكلام**، ص 187.

المغربي[371].

خطبة الفصيح :

يدخل هذا التأليف في جملة المؤلفات التي عارض بها أبو القاسم الكلاعي أبا العلاء المعري، ويعتبر كتابه «**إحكام صنعة الكلام**» ــ الأثر الوحيد الذي وصل إلينا من مؤلفاته ــ المرجع في الاستدلال على هذه المؤلفات حيث ساق المؤلف جزءا من مقدمة خطبة الفصيح التي ذكر في أولها : «الشَّبَابُ بَحْرٌ سَفِينُهُ ٱلتَّقْوَى، لاَ الفُسْحَةُ بِٱلْبَقْوَى، فَقَدْ يُثْمِرُ ٱلصِّغَرُ، مَا يَجْتَنِيهِ ٱلْكِبَرُ، كَٱلْقَتَادَةِ أَوَّلُهَا خُضْرَةٌ نَضِيرَة، فَإِذَا أَخَذَتْ بِٱلْجُفُوفِ، قَابَلَتْكَ بِٱلْذَعِ مِنَ ٱلسُّيُوفِ، وَلَمَّا غَمَرَنِي بِضَوْجِهِ مُزْبِدُ مَوْجِهِ، وَنَادَيْتُ بَعْضَ ٱلأَنَاسِي، فَأَسْلَمَنِي كَٱلْحُوتِ ٱلْمَنْسِي، تَذَكَّرْتُ قَوْلَه سُبْحَانَه : ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فَنَزَّهْتُ كَلِمِي عَنْ تَقْرِيضِ ٱلْمَخْلُوقِ، وَطَيَّبْتُهُ مِنْ تَمْجِيدِ ٱلْخَالِقِ، بِأَرِجٍ خَلُوقِ، وَجَعَلْتُهُ فِي أَوْفَى خَفَارَة، وَرَجَوْتُهُ لِمَا دَرَجَ كَفَّارَة»[372].

ويبدو من هذه الأسطر القلائل موضوع الخطبة وهو الزهد، كما تبدو الغاية من هذا التأليف وهي أن ينزه الكاتب تأليفه عن مدح المخلوقات وتخصيصه لمدح الخالق تقربا منه وتوبة وكفارة.

---

(371) ألف أبو القاسم بن المغربي كتاب «**المنخل**» وهو عبارة عن تجريد كتاب «**إصلاح المنطق**» لابن السكيت من التكرار والاشعار.

(372) **إحكام صنعة الكلام**، ص 28.

البـاب الثانـي

عصر أبي الربيع سليمـان الكلاعي

الفصل الأول

2. أبو الربيع سليمان الكلاعي

حياته :

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن أحمد بن عبد السلام الحميري الكلاعي[1]، ولد بقاعدة مرسية سنة 565هـ، وانتقلت أسرته إلى بلنسية فاستقرت بها سنة 567هـ، وبهذه المدينة نشأ وتعلم فأخذ من علمائها ورحل للقاء كبار المشايخ والعلماء بالأندلس والمغرب، واستغرقت رحلته العلمية سنوات طويلة من عمره طاف فيها على أشهر العلماء وجاب البلدان طلبا للعلم قبل أن يتصدر للاقراء والتعليم، ومن أبرز شيوخه بالأندلس :

بلنسية : أبو عبد الله بن حميد[2]، وأبو عبد الله بن نوح الغافقي[3]، وأبو الخطاب بن واجب[4].

شاطبة : ابن عفيون[5]، أبو بكر بن مغاور[6]، وجعفر بن لب اليحصبي[7]، وأبو بكر بن مفوز[8].

---

(1) مصادر ترجمته : انظر : أبو الربيع الكلاعي : حياته وآثاره. من ض 1 ← 3.

(2) **الذيل والتكملة** : 150/6.

(3) **التكملة** : 297/1.

(4) **رحلة ابن رشد** : 20/1، **وبرنامج الوادي آشي** : 283.

(5) **التكملة** : 253/1، طبعة مجريط.

(6) **المعجم** : 236.

(7) **التكملة** : 640/2 مجريط.

(8) **التكملة** : 410/1 مجريط.

لريـة : أبو عبد الله بن عياد[9].

دانيـة : أبو بكر الداني[10].

ريـة : أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى القضاعي[11].

مربيطر : أبو عبد الله بن الخباز[12].

مرسية : أبو القاسم بن حبيش[13]. اختص به ولازمه حتى توفي سنة 584هـ وأخذ عنه علوم الحديث والعربية، أبو رجال بن غلبون[14]، وأبو بكر بن أبي جمرة[15].

غرناطة : عبد المنعم بن الفرس[16]، أبو جعفر بن الحصار[17].

إشبيلية : عبد الله بن خلف التجيبي[18]، أبو عبد الله بن زرقون[19]، أبو بكر ابن الجد[20]، ابن مضاء القرطبي[21]، أبو حفص السلمي الأغماتي[22].

مالقـة : أبو الحجاج البلوي[23].

---

(9) التكملة : 288/1.

(10) الذيل والتكملة : 547/5.

(11) المسلسلات في الأحاديث والانشدات : 2.

(12) التكملة : 268/1.

(13) التكملة : 1619/2.

(14) التكملة : 144/1.

(15) التكملة : 276/1.

(16) التكملة : 1814/1.

(17) برنامج الوادي آشي : 216.

(18) التكملة : 1488/2.

(19) رحلة ابن رشيد : 16/6.

(20) الإحاطة : 302/4.

(21) التكملة : 84/1.

(22) الذيل والتكملة : 18/3/2.

(23) رحلة ابن رشيد : 95/6.

قرطبة : أبو الوليد بن رشد[24]، وأبو العباس بن الحجاج القرطبي[25]، المعروف بالمجريطي.

ومن شيوخه بالمغرب :

سبتة : عبد الله بن محمد بن ذي النون الحجري[26].

الرباط : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن خلف الحافظ المعروف بابن الفخار[27].

مراكش : أبو بكر بن عتيق بن علي بن الحسن الصنهاجي المعروف بالفصيح[28]، وابن مسعود العبدري[29].

فاس : ابن دافال الوردميشي[30]، علي بن عتيق بن مومن[31]، أبو الحسن بن يوسف الهواري[32].

ومن المشارقة :

الإسكندرية : «لقيه وناوله من أهل الإسكندرية أبو الطاهر بن عوف، وأبو عبد الله الحضرمي، وأبو القاسم بن مخلوف بن علي بن جارة وجماعة»[33].

دمشق : أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمان بن عبد المنعم القيسي المعروف

---

(24) **التكملة** : 269/1.
(25) **الإحاطة** : 301/4.
(26) **التكملة** : 14/6/2.
(27) **المسلسلات** : 22.
(28) **رحلة ابن رشيد** : 67/6.
(29) **التكملة** : 94/1.
(30) **التكملة** : 2346/2.
(31) **الذيل والتكملة** : 261/5.
(32) **جذوة الاقتباس** : 180.
(33) **الذيل والتكملة** : 84/4.

بالأصبهاني[34].

تعددت أسماء الأعلام في مشيخة أبي الربيع الكلاعي، إذ لم يترك عالما كان بعصره أو أدركه بزمانه إلا رحل إليه وأخذ وروى عنه ما ألف من كتب، أو دواوين، وما روى وأنشد من أشعار، حتى قال عنه ابن الأبار : «في شيوخه كثرة»، وقد أحصيت في كتابي[35] عنه ثلاثا وثمانين شيخا ممن أسعفتني به المصادر التي توفرت أثناء البحث.

ثقافته :

تعتبر ثقافة أبي الربيع ثقافة موسوعية شملت ميادين مختلفة من فنون القول، ويظهر ذلك من خلال مصنفاته المتعددة، التي تعكس هذه الثقافة وتكشف عن جوانب هامة يمكن تحديدها في مجالات ثلاثة : الحديث، والتاريخ، والأدب.

ففي علم الحديث اعتبر أبو الربيع الكلاعي محدث الأندلس في عصره، واشتهر كأكبر حافظ للحديث، بصير بصناعته، عارف بطرق إسناده ورجاله، محيط بمختلف رواياته، معتني بنقد صحيحه وضعيفه. قال عنه تلميذه ابن الأبار : «كان إماما في صناعة الحديث بصيرا به حافلا عارفا بالجرح والتعديل، ذاكرا للمواليد والوفيات، يتقدم أهل زمانه في ذلك»[36]. وقال عنه الرعيني : «عالم بصناعة الحديث، متقدم في نقادها، مبرز في المعرفة بطرق إسنادها»[37]. وقال عنه ابن عبد الملك : «كان بقية أهل العلم بصقع الأندلس الشرقي حافظا للحديث، مبرزا في نقده، تام المعرفة بطرقه، ضابطا لأحكام أسانيده، ذاكرا لرجاله وتواريخ طبقاتهم»[38].

خلف مؤلفات عديدة تتراوح في موضوعاتها ما بين تأليف في الحديث أو في رجالاته أو في نقده سأتعرض لها عند الحديث والتعريف بمؤلفاته.

---

(34) **التكملة** : 2071/2.

(35) **أبو الربيع حياته وآثاره** : 76.

(36) **التكملة** : 708، والزيادات، مجريط ص 540.

(37) **برنامج شيوخ الرعيني** : 66.

(38) **الذيل والتكملة** : 85/4.

أما التاريخ فاهتم به أبو الربيع اهتمامه بعلم الحديث، إذ لا يستغني محدث من المحدثين عن المعرفة بأصول هذا العلم دون الاعتماد على التاريخ والاهتمام بمصادره وبالكتب التي ألفت فيه. ولذا كان جانب المؤرخ واضحا وبارزا عنده، ولم تكن عنايته تنحصر في التاريخ القديم فقط لعلاقته بعلم الحديث وبالسيرة النبوية التي ألف فيها كتابه «**الاكتفا**» الذي فاق، واشتهر في الآفاق، بل امتدت عنايته بهذا العلم حتى شملت معاصريه ومن أدركه بزمانه، فكان معتنيا بتقييد أسماء الرجال وتواريخ الميلاد والوفيات. قال عنه ابن الأبار مشيرا إلى هذه العناية : «كان ذاكرا للمواليد والوفيات يتقدم أهل زمانه في ذلك وفي حفظ أسماء الرجال خصوصا من تأخر زمانه وعاصره»[39]. كما كان مهتما بتراجم أعلام الأندلس وتراجم شيوخه وشيوخ شيوخه، وله في ذلك مصنفات وتقييدات صحاح اعتمدها المؤرخون فيما بعد كابن الأبار الذي ذكر في ترجمته لأبي الربيع كيف ساعده على تأليف كتابه «**التكملة**» بما أمده به من تقييدات، فقال : «ولما تعرف غرضي على هذا التأليف، حضني عليه، وندبني إليه، وأمدني من تقييداته الصحاح، وحكاياته المستظرفة بما شحنته من فوائد، وكنت قد أفهمته في أول اشتغالي به عزمي عنه، وسألته إعفائي منه، ورغبت إليه في أن يتولاه، ليكسوه رائق حلاه، فأبى من إعفائي منه، وأنكر ألا أتحلى به دون أكفائي»[40].

أما في مجال الأدب، فجمع أبو الربيع بين الخطابة والنثر والشعر، فكان يتقلد منصب الخطابة على الصعيد الرسمي في المسجد الجامع ببلنسية، وجمع نحوا من ثمانين خطبة من خطبه في الجمعة والأعياد في ديوان سماه «**جني الرطب في سني الخطب**» كما كان المتحدث عن الملوك في مجالسهم وهو منصب لا يتولاه إلا خطيب فصيح بليغ، تتوفر فيه ملكة اللغة وسحر البيان والقدرة على التمثل بالشعر والأمثال واللعب بأطراف الكلام، وهي صفات توفرت لأبي الربيع فكان «فصيحا مفوها مدركا حسن السرد والمساق لما يقوله»[41]. وكان «علم الأعلام، واللعوب في جده بأطراف الكلام»[42].

---

(39) **التكملة** : 1991/2 مجريط.

(40) **التكملة** : 1991/2.

(41) **نفس المصدر**.

(42) **تحفة القادم** : 139.

وإلى جانب الخطابة الرسمية، كان يتولى الخطابة على الصعيد الشعبي وذلك في فترات الجهاد إذا أحس تخاذلا من جيوش المسلمين، فكان يتصدر للخطابة مقويا للعزائم، ومستنهضا للهمم، شهد له بذلك تلميذه أبو المطرف بن عميرة وقد خاض معه معارك متعددة، كان المسلمون يخوضونها من أجل إبقاء الإسلام بالأندلس فوصفه في احداها وقد كاد المسلمون ينكشفون للعدو «فقام والله مقاما، شجع الرعديد وقرب البعيد»[43].

تولى أبو الربيع ــ إلى جانب الخطابة ــ منصب الكتابة في ديوان الإنشاء[44]، ولم يكن ليتولى هذا المنصب إذا لم يبلغ الغاية في تجويد الرسائل، وإذا لم يتوفر على جانب كبير من بلاغة الأسلوب، وقد نص كل من ترجم له على هذا الجانب فوصفوه «بالإتقان والضبط مع الاستبصار في الأدب والاشتهار بالبلاغة، فردا في إنشاء الرسائل»[45].

ترك أبو الربيع عدة مؤلفات تشهد له بالبلاغة والفصاحة وعلو كعبه في مجال التأليف، وقدرته الفائقة على التصرف في فنون الكلام «إلى براعة الآداب وحفالتها والإجادة لإيجازها وإطالتها»[46]. وحاكى في مؤلفاته هذه عددا من النماذج الأدبية واللغوية لكبار الأدباء والعلماء **«كالملاحن»** لابن دريد، و**«المبهج»** للثعالبي **والأمثال»** «لأبي عبيد القاسم بن سلام،» و**«خطبة الفصيح»** و**«ملقى السبيل»** لأبي العلاء المعري وغيرها.. وهيأ من تلامذته جيلا من كبار كتاب الأندلس، فتخرج على يديه ابن الأبار القضاعي الذي شهد لشيخه بمزية دفعه نحو هذا الاتجاه فقال عنه : «شيخي الذي أورثني هذه الصناعة، ورضي اتخاذها لي بضاعة، وضمن ألا إضاقة ولا إضاعة، جاعلا قول ابن أبي الخصال شاهدا في الاعتلاق بها والاتصال : (من جمع بلاغة وخطا، لم يخش في دولة الأفاضل حطا). فاسترجعت حصاته، وأقبلت عليها قابلا وصاته، غير مستبدل بها خطة ولا مستبوئ دونها

---

(43) **رسائل أبي المطرف بن عميرة المخزومي** : 196.

(44) **تذكرة الحفاظ** : 3 و 1417/4.

(45) **التكملة** : 708/2.

(46) **رسائل أبي المطرف بن عميرة**، الورقة : 67.

خطة، كيلا أنقض ما أبرم، وارتبط خلاف ما استكرم»[47].

كما تخرج على يده أبو المطرف بن عميرة المخزومي، وابن الغماز القضاعي البلنسي، وأبو عبد الله بن الجنان، وابن مسدي، وأبو الحسن بن شلبون، وغيرهم ممن تولى خطبة الكتابة والوزارة سواء بالأندلس أو بإفريقية والمغرب.

أما الشعر، فمن المرجح أن شاعرية أبي الربيع تفتقت في سن مبكرة، فبدأ شاعرا قبل أن يكون كاتبا ومؤلفا، واستند في هذا الترجيح إلى ما ورد في «**الإحاطة**» لابن الخطيب الذي أرخ سنة 587هـ لقصيدة كتبها أبو الربيع إلى أبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي عقب انفصاله عن بلنسية ومطلعها :

أَحِنُّ إِلَى نَجْدٍ وَمَنْ حَلَّ فِي نَجْدِ
وَمَاذَا ٱلَّذِي يُغْنِي حَنِينِيَ أَوْ يُجْدِي[48]

وهي إشارة إن دلت على شيء فإنما تدل على أن أبا الربيع وهو في الثانية والعشرين من عمره كان قد بلغ مرحلة من قرض الشعر، وَكَانَ ينشد قصائده ويكاتب بها كبار شعراء عصره، كما كان هؤلاء يراسلونه شعرا، كابن مرج الكحل[49]، وأبي محمد بن عمار البكري الذي «كان بينه وبين الخطيب أبي الربيع مكاتبات»[50]، وعبد الله بن مطروح التجيبي[51]. كما كانت له مراسلات مع تلامذته كابن الأبار القضاعي[52]، وأبي المطرف بن عميرة الذي ذكر في إحدى رسائله قائلا : «وبيني وبينه مخاطبات ومجاوبات من نظم ونثر ذهب عني محفوظها ومكتوبها بتقلب الأحوال وطول التجوال»[53].

وكان أبو الربيع راوية للأشعار، حملت ورويت عنه دواوين مختلفة لشعراء

---

(47) **إعتاب الكتاب** : 249.

(48) **الإحاطة** : 297/4. وانظر قصيدة أبي بحر التي رد بها على أبي الربيع في **زاد المسافر** : 28.

(49) **برنامج شيوخ الرعيني** : 66.

(50) **تحفة القادم** : 105.

(51) **نفح الطيب** : 8/4.

(52) **تحفة القادم** : 142.

(53) **رسائل أبي المطرف** : 67.

أندلسيين أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : ابن شرف[54]، وابن عبدون[55]، وابن المنخل[56]، وابن أبي الخصال[57]، وابن جبير[58]، وابن خفاجة[59]، وأبا سفيان التجيبي[60]، وأبا بكر بن مغاور[61]، وأبا بحر صفوان ابن إدريس[62]، وابن مرج الكحل[63].

ألف أبو الربيع في الشعر مؤلفات ثلاثة :

1 ــ ديوان شعره.

2 ــ الصحف المنشرة في القطع المعشرة.

3 ــ نتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم.

واشتهر من شعره قصائد كرائيته التي ختم بها ديوانه «نتيجة الحب الصميم» والتي قال عنها ابن رشيد : «قصيد طويل حسن، مد فيه الباع، وأطال الرسن وذكر فيه المثال الكريم ومدح فيه المصطفى ذا الخلق العظيم، وذكر فيه جماعة من أهل السوابق من الأول والذرية المطهرين والزوجات الطاهرات رضي الله عنهم أجمعين وأعلقنا من حبهم بالحبل المتين»[64]. وقال عنها العبدري : «وهي أزيد من مائة بيت من غر القصائد وأجزلها لفظا ومعنى»[65]. ومن هذه القصيدة :

يَا مَنْ لِصَبٍّ يَرَى أَشْجَانَهُ ٱلنَّظَرُ مَهْمَا تَبَدَّى لَهُ مِنْ حُبِّهِ أَثَـرُ
يَفِي لَهُ ٱلصَّبْرَ عِنْدَ ٱلنَّائِبَاتِ فَإِنْ يَلُحْ لَهُ أَثَرٌ لَمْ يَبْقَ مُصْطَبَـرُ

---

(54) التكملة : 273/1 مجريط.

(55) تحفة القادم : 119.

(56) التكملة : 214/1 مجريط.

(57) برنامج الوادي آشي : 225.

(58) التكملة : 289/1.

(59) المصدر نفسه : 70.

(60) المعجم : 179.

(61) تحفة القادم : 15.

(62) المصدر نفسه : 83.

(63) التكملة : 344/1.

(64) ملء العيبة : 23/6.

(65) رحلة العبدري : 242.

وَذَاكَ غَيْرُ ذَمِيمٍ مِنْ مَوَاقِفِهِ   إِذَا تَعَقَّبَهُ ٱلتَّنْقِيحُ وَٱلنَّظَرُ
[البسيط]

كما اشتهرت لاميته شهرة واسعة :

خَوَاطِرُ ذِي ٱلْبَلْوَى عَوَامِرُ بِٱلْجَوَى   فَفِي كُلِّ حَالٍ يَعْتَرِيهِ خَبَالُ
مَتَى يَدْعُ دَاعٍ بِاسْمِ مَحْبُوبِهِ هَفَا   فَيَهْتَاجُ بَلْبَالٌ وَيَكْسِفُ بَالُ
وَإِنْ يَرَ مِنْ آثَارِهِ أَثَراً هَمَتْ   لَهُ مِنْ غُرُوبِ ٱلْمُقْلَتَيْنِ سِجَالُ[66]
[الطويل]

وعارضها عدد من الشعراء كابن الآبار بقصيدته :

سَجَامٌ لَعَمْرِي أَدْمُعٌ وَسِجَالُ   لأَنْ عَزَّ مِنْ نَعْلِ ٱلرَّسُولِ مِثَالُ[67]

كما خمسها أبو عبد الله بن فرج السبتي[68] :

«خَبَالٌ عَرَى مَا إِنْ جَنَاهُ سِوَى ٱلنَّوَى
نَوَى مَنْ نَوَى مِنْ كَشْفِ بَلْوَايَ مَا نَوَى
فَيَا مُنْكِراً مَا قَدْ عَرَانِي فِي ٱلْهَوَى
خَوَاطِرُ ذِي ٱلْبَلْوَى عَوَامِرُ بِٱلْجَوَى   فَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَعْتَرِيهِ خَبَالُ»[69]

والملاحظ أن أبا الربيع يربأ بشعره أن يتناول بعض الأغراض كالمدح والهجاء، لذلك لا نجد لهذين الغرضين أثرا فيما نقل إلينا من شعره مع العلم أنه كان على صلة وثيقة بأمراء عصره وبحياة البلاطات والقصور وهو «كان المتكلم عن الملوك في مجالسهم والمنبئ عنهم لما يريدونه على المنبر في المحافل»[70].

ولعل رفض أبي الربيع لهذين الغرضين يقترن عنده بنزعته الزهدية ونظرته

---

(66) **فتح المتعال في مدح النعال** : 27.

(67) **أزهار الرياض** : 224/3.

(68) عارض ابن فرج السبتي رائية أبي الربيع بقصيدة مطلعها :

تَبَدَّتْ لَنَا وَالشَّوْقُ يَقْدَحُ زَنْدَهُ   بِقَلْبِ شَجٍ لاَ وَجْدَ يُشْبِهُ وَجْدَهُ

انظر أزهار الرياض : 248/3-261.

(69) **أزهار الرياض** : 226/3.

(70) **التكملة** : 1991، والزيادات : 54.

الدينية والأخلاقية، اللتين صحبتاه منذ شبابه المبكر، وكانتا ديدنه في الحياة ومنهجه، فكان وهو في السابعة والعشرين من عمره يتمثل ببيتي ابن المنخل الشلبي[71] :

مَضَتْ لِي سَبْعٌ بَعْدَ عِشْرِينَ حَجَّةً ... وَلِي حَرَكَاتٌ بَعْدَهَا وَسُكُونُ
فَيَالَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَوْ أَيْنَ أَوْ مَتَى ... يَكُونُ ٱلَّذِي لاَبُدَّ أَنْ سَيَكُونُ[72]

وإذا رفض أبو الربيع الهجاء فلأنه غرض يبحث في نقائص الناس، ويستمد معينه من مثالبهم وإهانة أعراضهم، وكما جاء في الحديث الشريف : «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[73]. ولذا فأبو الربيع يرى أن «أَرْبَى ٱلرِّبَا شَتْمُ ٱلأَعْرَاضِ، وَأَشَدَّ ٱلشَّتْمِ ٱلْهِجَاءُ، فَلاَ تَضُمُّكَ تِلْكَ ٱلْهَيْجَاءُ، وَٱلرَّاوِيَةُ أَحَدُ ٱلشَّاتِمَيْنِ، فَكُنْ عَمَّا يَخُوضُ ٱلنَّاسُ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ أَخْرَسَ ٱللِّسَانِ مَسْدُودَ ٱلْمَسْمَعَيْنِ»[74].

وإذا رفض المدح فلأنه يهدر للإنسان كرامته، ويريقه ماء وجهه في سبيل الحصول على عطية أو منحة قد ينالها وقد لا ينالها، مع العلم أن الله تعالى وحده هو المانح وهو المعطي، فلم يصرف الإنسان شكره عن الخالق ويوجهه للمخلوق، ومن أجل هذا المبدأ نصح أبو الربيع الشعراء والكتاب وكل «مَنْ أُوتِيَ فِي تَنْسِيقِ ٱلْكَلاَمِ بَاعًا، وَأَنِسَ مِنْ نَفْسِهِ فِي ٱلنَّظْمِ أَوِ ٱلنَّثْرِ انْطِبَاعاً، أَنْ يَغْتَنِمَ لَهُ فِي سُوقِ ٱلدُّنْيَا نَفَاقاً، فَيَسْتَجْلِبَ بِهِ مِنْ غَيْرِ خَزَائِنِ رَبِّهِ رِزْقاً وَاتِّفَاقًا، فَيَجْعَلُ شُكْرَهُ مَوْلاَهُ، عَمَّا أَوْلاَهُ، مِنْ إِبْدَاعٍ وَإِحْسَانٍ، التَّعَرُّضَ بِنَتَائِجِ إِحْسَانِهِ لِلإِنْسَانِ، أَفَهَذَا جَزَاءُ ٱلْمُحْسِنِينَ، وَحَقُّ مَنْ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ مِنَ ٱلْخُرْسِ إِذْ جَعَلَهُ مِنَ ٱللَّسِنِينَ، وَلَعَمْرِي لَقَدْ رَخُصَ سِعْرُ ٱلْهِمَّةِ، عَلَى مَنْ كَانَ ٱلشِّعْرُ لَهُ رَأْسَ ٱلذِّمَّةِ، إِذَا أَنْفَقَهُ فِي ابْتِغَاءِ ٱلنَّفَقَةِ، وَأَطْلَقَهُ فِي مَسْرَحِ ٱلْغُلْوَاءِ ٱلْمُوبِقَةِ»[75].

---

(71) **التكملة** : 214/1، والشطر الأول : «مضت لي ست بعد سبعين حجة».
(72) **الإحاطة** : 299/1.
(73) **صحيح مسلم** : 11/8.
(74) **نكتة الأمثال**، الورقة : 14.
(75) **جهد النصيح لأبي الربيع** : 120.

وفـاتــه :

قضى أبو الربيع حياة حافلة ملأها بطلب العلم وإفادته للناس، والجهاد في سبيل الله، فكان نموذجا للعلماء العاملين بالقول والفعل، وكانت سيرته قدوة تقتدى، وكان سلوكه منهجا يحتدى، فكان يخرج للجهاد ويخرج معه تلامذته كأبي المطرف ابن عميرة الذي احتفظ لنا في رسائله بوصف لبعض المعارك التي خاضها مع شيخه، فوصف بسالته واسترخاصه لنفسه في سبيل الذوذ عن حمى الإسلام بالديار الأندلسية، وتطوعه في كل موقف، وتقدمه للصفوف يشجع الناس على القتال و«كَانَ يُبَاشِرُ بِنَفْسِهِ مَوَاقِعَ القِتَالِ، وَيُقْدِمُ إِذَا خَامَ أَشِدَّاءُ الرِّجَالِ، فَلَعَهْدِي بِهِ فِي أَحَدِ اَلمَحَافِلِ الشَّهِيرَةِ المَنَعَةِ يَتَقَدَّمُ حَتَّى نَقُولَ سَئِمَ السَّلاَمَة، وَلاَ نُكْذِبُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَشْجَعُ مِنْ أَسَامَة، وَكَانَ اَلعَدُوُّ الكَافِرُ اَسْتَوْلَى عَلَى هَذَا اَلْمَعْقِلِ غَدْراً، وَجَاءَ أَهْلُهُ يَنْدُبُونَهُ لِمُعَالَجَتِهِ وَيُسَهِّلُونَ طَرِيقَ مُحَاوَلَتِهِ، فَلَمَّا اطَّلَعْنَا عَلَيْهِ وَجَدْنَاهُ أَصْعَبَ عَلَى اَلمُتَنَاوِلِ مِنْ نَعامِ الذِّو، وَأَعْقَابِ الجَوِّ، فَنَدِمْنَا أَيَّةَ سَاعَةِ مَنْدَم، وَصِرْنَا بَيْنَ مُتَأَخِّر وَمُتَقَدِّم، فَقَامَ وَاللهِ مَقَاماً شَجَّعَ الرِّعْدِيدَ، وَقَرَّبَ البَعِيدَ وَوَلِيَ القِتَالَ بِنَفْسِهِ وَالحَجَرُ يَهْوِي إِلَيْهِ، يَقَعُ حَوَالَيْه حَتَّى فَتَحَ اَللهُ عَلَى اَلمُسْلِمِينَ وَاَسْتُرِدَّ ذَلِكَ الحِصْن»[76].

ويظهر أن حب الجهاد كان متأصلا عند أبي الربيع منذ شبابه، شهد غزوة الأرك متطوعا سنة 591هـ، وأبلى فيها بلاء حسنا[77]، واستمر على ذلك طوال حياته حتى كانت نهايته في موقعة أنيشة بضواحي بلنسية ضحى يوم الخميس 20 ذي الحجة سنة 634هـ، فاستشهد مقبلا غير مدبر «ويوم استشهاده ـــ رحمه الله ـــ رأى الخلل في الناس فاستنزل من الصف، وبرز أمام الزحف، ورغب المسلمين في الصبر وقد انكشفوا وناشدهم الله أن يقفوا فما وقفوا، وهناك صدع صابرا محتسبا، وفقد الناس منه معقلا أشبا، فأظلم بعد ذلك الأفق، وأوحشت تلك الطرق»[78]. ورثاه ابن الأبار بقصيدة طويلة تحدث فيها عن هذه المعركة التي استشهد فيها «جماعة من علماء بلنسية وفضلائها وصلحائها، وفقد نحو سبعين

---

(76) **رسائل أبي المطرف بن عميرة**، الورقة : 67.

(77) **بيوتات فاس** : 61.

(78) **رسائل أبي المطرف**، الورقة : 196.

من أهل الصف الأول بجامعها الأعظم»[79].

أَلِمَّا بِأَشْلاَءِ ٱلْعُلاَ وَٱلْمَكَارِمِ ... تُقَدُّ بِأَطْرَافِ ٱلْقَنَاءِ وَٱلصَّوَارِمِ

كما رثاه أبو الحسن بن شلبون بقصيدة مطلعها :

خَطْبُ ٱلْخُطُوبِ دَهَا ٱلْعَلاَءَ مُصَابُهُ ... فَارْبَأْ بِدَمْعِكَ أَنْ تَقِلَّ مَصَابُهُ[80]

ورثاه أبو المطرف بن عميرة بقصيدة مطلعها :

أَلاَ مُسْعِدٌ أَوْ أَلاَ صَاحِبُ ... لِذِي نَصَبٍ هَمُّهُ نَاصِبُ[81]

مؤلفاته :

خلف مؤلفات عديدة في الحديث والفقه والتاريخ والأدب :

أ) **الحديث :**

1. **«مصباح الظلم من حديث رسول الله ﷺ»** : سار فيه على نهج الشهاب للقضاعي، وموضوعه يتناول ما يدعو به المسلم إذا اشتد به الكرب أو وقع في شدة. في كراسة كبيرة.
2. **«الأربعون حديثا»** : اختار فيها أربعين حديثا عن أربعين شيخا لأربعين من الصحابة في أربعين معنى (في جزء).
3. **«الأربعون السباعية»** : خرج فيها أربعين حديثا من أحاديث أبي الطاهر السلفي (في جزء).
4. **«سباعيات أبي علي الصدفي»** : جمع فيها الأحاديث التي رواها أبو علي الصدفي، وكان بينه وبين الرسول فيها سبعة رجال. وهو تأليف ضخم يقع في ثلاثة أجزاء.
5. **«مصافحة أبي علي الصدفي للإمامين»** : جمع فيها الأحاديث التي وقعت فيها للإمام الصدفي مصافحة البخاري ومسلم (في جزء).

---

(79) **الذيل والتكملة** : 89/4.

(80) **تحفة القادم** : 152.

(81) **رسائل أبي المطرف بن عميرة** : 196.

6. «**مصافحة أبي بكر بن العربي للإمامين**» : كتاب رد فيه على كتاب أبي بكر ابن العربي «الأحاديث السباعية» وهي عبارة عن ستة أحاديث ذكر فيها ابن العربي مصافحته للإمامين مسلم والبخاري، وتعقب أبو الربيع هذا المؤلف بالنقد، مبرزا الأحاديث التي وقعت فيها المصافحة لأبي بكر بن العربي، والأحاديث التي وهم فيها، ثم أضاف إلى ذلك تخريج أحاديث أخرى وقعت فيها مصافحة أبي بكر بن العربي للإمامين (في جزء).

7. «**حلية الأمالي في الموافقات العوالي** :» من المؤلفات الضخمة في علم الحديث وعلو الاسناد (في أربعة أجزاء).

8. «**تحفة الرواد في العوالي البدلية الإسناد**» : (في أربعة أجزاء).

9. «**المسلسلات من الأحاديث والآثار والإنشادات** :» ويشمل هذا التأليف ثلاثة مواضيع : الأول، في الحديث المسلسل، ويضم ثلاثة وثلاثين حديثا، والثاني عبارة عن فوائد ورقائق وأخبار، والثالث «**إنشادات**» شعرية في الزهد وعلم الحديث. (توجد نسخة مخطوطة من هذا المؤلف بخزانة شهيد باشا باستمبول تحت رقم : 562، وعليها إجازة بخط يد أبي الربيع الكلاعي، مؤرخة في أواخر جمادى الأخيرة من سنة ثلاثين وستمائة)[82].

ب) في الفقــه :

10. «**مجاز فتيا اللحن للاحن الممتحن**» : وهو كما وصفه أبو الربيع نفسه : «يشتمل على مائة مسألة ملغزة على نحو ما ذكر الحريري وغيره من فتيا فقيه العرب»[83] (في جزء).

ج) في التاريخ والسيرة والتراجم :

11. «**الاكتفا بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ ومغازي الثلاثة الخلفاء** :» (في أربعة أجزاء). تضمن سيرة الرسول ومغازيه، وكذا الخلفاء الثلاثة : أبو بكر وعمر وعثمان. طبع جزء من هذا الكتاب بتحقيق : هنري ماسة،

---

(82) المسلسلات : 1.

(83) برنامج الرعيني : 66.

بالجزائر سنة 1931م. وحققه الدكتور مصطفى عبد الواحد، ونشر منه الجزء الأول والثاني، طبعة القاهرة سنة 1970م.

12. «**ميدان السابقين وحلبة الصادقين المصدقين** :» قال عنه أبو الربيع : «في ذكر الصحابة الأكرمين ومن في عدادهم بإدراك العهد الكريم من أكابر التابعين رضي الله عنهم أجمعين مشى منه نحو ثلثيه وإن أذن الله في تمامه فسيكون أكبر من كتاب أبي عمرو في الصحابة، يزيد عليه في الحجم نحو الربع وفي عدد الصحابة من الزيادة عليه نحو مما ذكره»[84]. (توفي أبو الربيع قبل إتمام هذا الكتاب فأكمله أبو العباس أحمد بن محمد بن ميمون الأشعري المالقي (ت 682هـ)[85].

13. «**المعجم فيمن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة رضي الله عنهم** :» (في جزء كبير).

14. «**الإعلام بأخبار البخاري الإمام ومن بلغت روايته عنه من الإغفال والإعلام** :» (في أربعة أجزاء)، ذكر فيه أخبار الإمام البخاري وأخبار رواته، أكمل تصنيفه سنة 629هـ[86].

15. «**المعجم في مشيخة أبي القاسم بن حبيش** :» ترجم فيه لشيوخ أستاذه أبي القاسم عبد الرحمان بن حبيش (ت 584هـ) وهو تأليف في ثلاثة أجزاء.

16. «**برنامج شيوخه** :» اعتمد عليه كل من ابن الأبار في التكملة، وابن القاضي في جذوة الاقتباس.

17. «**برنامج مروياته** :» ذكر فيه الكتب والدواوين التي رواها[87].

---

(84) **برنامج الرعيني** : 66.
(85) **رحلة ابن رشيد** : 411/2.
(86) **برنامج الرعيني** : 66.
(87) **برنامج الوادي آشي** : 320.

د) في الأدب :

* **الشـعـــر :**

18. «**ديوانه : سفير**»[88].

19. «**الصحف المنشرة في القطع المعشرة :**» ديوان في الزهد، يشتمل على قصائد معشرة على حروف المعجم. قال عنه ابن عبد الملك : «وهي تسمية قلقة موحشة»[89] (في جزء واحد).

20. «**نتيجة الحب الصميم :**» ديوان زاوج فيه بين النثر والنظم، وورد في المصادر تحت عنوان : «**نتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم**»، وموضوعه النعل الكريم، وقد تعقب ابن رشيد هذه التسمية بقوله : «ورحم الله أبا الربيع لو قال : النثير والنظيم لكان أنسب للقرينة الأولى»[90]. والظاهر أن الديوان هو «نتيجة الحب الصميم في النظم في النعل الكريم» كما ورد في برنامج الوادي آشي[91]، إذ لا يعقل أن يقع أبو الربيع — وهو بليغ الأندلس — في مثل هذا وقد احتفل بعناوين مؤلفاته فاختار لها ما يدل على مضمونها وإن أطال فيها.

21. «**مفاوضة القلب العليل ومنابذة الأمل الطويل بطريقة أبي العلاء المعري في ملقى السبيل :**» كما يبدو من العنوان تأليف سار فيه على غرار المعري في ملقى السبيل، إذ ألفه على حروف المعجم بادئا بفقر نثرية تعقبها أبيات شعرية، تدور كلها حول موضوع الزهد، أورد منها العبدري في رحلته أبياتا من حرف الكاف[92]، كما أورد منها ابن رشيد في رحلته حروف : الراء والفاء واللام ألف[93].

---

(88) **الذيل والتكملة** : 87/4.
(89) **المصدر نفسه**.
(90) **ملء العيبة** : 22/6.
(91) **البرنامج** : 297.
(92) **رحلة العبدري** : 242.
(93) **رحلة ابن رشيد** : 18/6.

* النـثـــر :

22. «**نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال**» : تأليف في موضوع الزهد موشح بما جاء في كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام. توجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بالمكتبة الأحمدية بتونس أول من أشار إلى هذا المؤلف الدكتور محمد بن شريفة في كتابه القيم : «**أمثال العوام**»[94] وفي دراستي عن أبي الربيع أفردت فصلا للتعريف بهذا المؤلف[95].

23. «**الامتثال لمثال المبهج**» : وهو تأليف في ابتداء الحكم واختراع الأمثال، سار فيه على نهج كتاب «**المبهج**» للثعالبي ويضم هذا المؤلف نوعا من الأمثال «كان الكتاب يستخرجونها من بنات أفكارهم، ويصوغونها في فقر مسجوعة مضاهاة للأمثال المروية السائرة، وكانت تدرج في كتب الأمثال وإن لم تظفر بالسيرورة التي هي طابع المثل ومحكه الصادق»[96].

24. «**جهد النصيح وحظ المنيح من مساجلة أبي العلاء المعري في خطبة الفصيح**،» وهو موضوع هذه الدراسة.

25. «**جني الرطب في سني الخطب**» : جمع فيه خطبه في الجمع والأعياد وهي نحو من ثمانين خطبة.

26. «**ديوان رسائله**» : قال عنه ابن عبد الملك : «سفر متوسط»[97].

---

(94) **أمثال العوام** : 889/1.

(95) **أبو الربيع حياته وآثاره**، من ص 108 إلى ص 136.

(96) **أمثال العوام** : 95/1.

(97) **الذيل** : 87/4.

الفصـل الثاني

بعض الظواهر المتصلة بعصره

1 ـــ تيـار الزهـد :

يعتبر أبو الربيع نموذجا للعالم الزاهد الذي أفاد عصره بعلمه وعمله، إذ الزهد عنده علم وعمل، مظهر وسلوك، يقوم على محاسبة النفس محاسبة عسيرة ناقدة لتهذيبها وتصفيتها من الشوائب الدنيوية. وتتجلى محاسبة النفس عنده في إلزامها بأحكام الله الواردة في شريعته السمحاء، فلا يصدر عملا إلا إذا فكر فيه مليا إلى أي حد ينطبق هذا العمل على ما أمر الله به من معروف، ويبتعد عما نهى عنه من منكر، ثم يحاسب نواياه إذا كانت حسنة صادقة أطال شكر الله وحمده، وإن كانت سيئة مذنبة ألزمها بالتوبة النصوح والاستغفار لله والرجوع إلى طريق الحق والاحتماء به، ثم إن الزهد عنده لا يقوم على رفض نعم الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، بقدر ما يدعو إلى حسن التصرف في هذه النعم، بالصدقة والمواساة وتحمل مؤونة الفقراء والمساكين، وصرفها في وجه الخير، والجهاد في سبيل الله، وبقدر ما يدعو الإنسان إلى التأمل في هذه الحياة الفانية، وأخذ العبرة من السابقين، والاقتداء بالخيرين منهم والصالحين، والتأسي بالتاريخ، واتخاذ العظة من سيرة رسول الله ﷺ، وسيرة صحابته الأكرمين والتابعين، وتقديم النصيحة للمسلمين، وحثهم على سلوك الطريق السوي، رفقا بهم مما ينتظرهم من حساب عسير.

ومن أجل هذه المبادىء الإسلامية، ألف معظم مؤلفاته، وألزم نفسه فيها بتمجيد الخالق ونصيحة المسلم وتوجيهه، وارتبط الزهد عنده بالحياة المعاشة، والأوضاع الاجتماعية، ورؤيته للناس يتكالبون على متاع الدنيا، ويتقاتلون من أجل الإمارة والملك. وإذا كان أبو الربيع قد عاصر في فترة حياته الأولى استقرار الدولة الموحدية، ونعم بالأمن والطمأنينة اللذين كانا يسودان ربوع الأندلس والمغرب،

وأدرك ذلك عن كثب أثناء طلبه للعلم وتنقله بين مدن العدوتين، فإنه أيضا أدرك ضعف هذه الدولة في الأندلس، وعاصر الفتن والانقسامات التي شهدتها المنطقة، ولمس عن قرب فوضى الحياة السياسية التي كانت تعصف بأرواح الناس. وتتقاسمهم بين دويلات وطوائف، بالإضافة إلى ضغط الأرغونيين المستمر على شرق الأندلس، خصوصا بلنسية التي سبق لها أن عرفت إثر سقوطها في يد السيد القنبيطور في القرن الخامس الهجري فجيعة كبرى هزت نفوس الناس، لما حاق بها من فساد وتخريب وضياع في الأموال والأنفس، فأدرك أهل المنطقة خطر المد المسيحي المحدق بهم، فاتجهوا إلى الجهاد تحت تأثير الوازع الديني أملا في استرداد هذه المنطقة. واستطاع المرابطون بدخولهم إلى الأندلس القضاء على هذا الاحتلال الصليبي، وأعادوا دولة الإسلام إلى شرق الأندلس، ونشروا دعوتهم القائمة على الزهد والتقشف، وانعكست سياستهم الجهادية على نفوس بعض الشعراء[1] في هذه الفترة فأشادوا بهذه الدولة. وأعقبتها دولة الموحدين الذين جاهدوا بسيوفهم لتوحيد بلاد الأندلس والمغرب، واستمروا في المحافظة على روح الجهاد وشيوعها بين الناس. ورغبة في هذا الجهاد، برز تيار الزهد قويا واضحا باعثه الأساسي باعث ديني محض تجلى بالخصوص عند العلماء، إذ هم قدوة العامة في كل شيء، وما أبو الربيع الكلاعي إلا حلقة في سلسلة العلماء الزهاد الذين شهدهم أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع الهجريين، يعملون على نشر العلم أيام السلم، ويتطوعون للجهاد إذا ما استصرخهم صارخ، أو انتدبهم ضعيف. وقد كثر عدد هؤلاء الزهاد والعباد حتى ألفت فيهم المؤلفات مثل «**كتاب أخبار الزهاد والعباد**»[2] لابن عفيون الغافقي الشاطبي (توفي بعد 584هـ)، وكتاب «**أنوار الأفكار فيمن حل جزيرة الأندلس من الزهاد الأبرار**»[3] ابتدأ تأليفه أبو العباس ابن الصقر الأنصاري الخزرجي (ت 589هـ) وأكمله من بعده ابنه أبو عبد الله، وكتاب «**التبيين عن مناقب من عرف قبره بقرطبة من الصحابة والتابعين**

---

(1) انظر نماذج من ديوان ابن خفاجة، ومن ديوان الأعمى التطيلي.

(2) **التكملة** : 254/1.

(3) **الذيل والتكملة** : 227/1.

والعلماء والصالحين» لابن الطيلسان[4] (ت 642هـ). غير ما وَرَدَ في كتب تراجم العلماء والأعلام من ذكر هؤلاء، واقتصر في هذا المجال على ذكر من له علاقة بأبي الربيع كشيوخه وبعض معاصريه ممن عرف بالزهد أو خلف فيه إنتاجا شعريا أو نثريا، منهم :

ـ أبو عبد الله بن ذي النون الحجري (ت 591هـ) الذي قضى حياة حافلة بالعمل الصالح وبالورع والتقوى والفضل والعدالة، استسقى الناس بجنازته وتوسلوا به وهو على شفير قبره[5].

ـ أبو جعفر الحصار (ت 598هـ) عرف بالصلاح والزهد والورع وكان «يتعيش مما يعود عليه في عمل مراوح الحلفاء وما يشبهها، كثير التلاوة للقرآن والبكاء عندها والخشوع فيها»[6].

ـ أبو الحجاج البلوي المشهور بابن الشيخ[7] (ت 604هـ) قال عنه ابن الأبار : «كان منقطع القرين في الزهادة والعبادة، مجهدا في العمل يشار إليه بإجابة الدعوة». قضى حياته بين العلم والعمل، فبنى المساجد وحفر الآبار وخرج للجهاد فغزا في بلاد الشام مع صلاح الدين، وفي بلاد المغرب مع المنصور الموحدي. خلف نثرا ونظما مال فيه إلى لزوم ما لا يلزم[8].

ـ أبو زكريا الأصبهاني (ت 608هـ) تجول في بلاد المسلمين مشتغلا بالوعظ حتى وصل بلاد الأندلس «ووعظ بها مدة بغرناطة وبالشرق[9] فنفع الله به المسلمين وتاب على يديه جملة كبيرة من المسرفين المذنبين ورجعوا إلى الله رجوع الخائفين وكان وعظه يأخذ بمجامع القلوب»[10].

---

(4) **المصدر نفسه** : 566/5.

(5) **التكملة** : 1416/2.

(6) **الذيل والتكملة** : 305/1.

(7) **التكملة** : 2089/2.

(8) أورد منه ابن عبد الملك نماذج في ترجمته لأبي محمد بن الأصم : 83/5 إلى 93.

(9) المقصود به شرق الأندلس.

(10) **الذيل والتكملة** : 562/8.

ـ أبو عمر بن عات الشاطبي (ت 609هـ) الذي عاش حياته «على سنن السلف الصالح في الانقباض ونزارة الكلام ومتانة الدين وأكل الجشب ولباس الخشن ولزوم التقشف والتقلل من الدنيا والزهد فيها والمثابرة على كثير من أفعال البر كالآذان والإقامة وبذل المعروف والتوسيع بالصدقات على الضعفاء والمساكين»[11].

ـ ومحمد بن أحمد بن جبير الكناني البلنسي (ت 614هـ) وهو الرحالة المشهور، كان شاعرا مبدعا بلغ الغاية في «صياغة القريض وصناعة الكتابة ونال بها دنيا عريضة ثم رفضها وزهد فيها»[12]. وترك ديوان شعر في الزهد والمواعظ والحكم.

ـ محمد بن علي بن هذيل البلنسي (ت 614هـ) «كان من أهل الصلاح والورع، شديد الانقباض عن الناس، مقتصرا على باديته، معروفا بالعبادة والزهادة»[13].

ـ محمد بن عبد الله بن قاسم الأنصاري البلنسي (ت 640هـ) الذي عرف بالزهد والتصوف وألف في ذلك مؤلفات منها كتابه المسمى : «**نسيم الصبا**» وهو في الوعظ، أنشأه على غرار «**صبا نجد**» لابن الجوزي، وكتابه «**بغية النفوس الزكية في الخطب الوعظية**»[14].

ـ أبو القاسم الطرسوني المرسي الذي كان عالما أديبا فاضلا سوي الأخلاق، ذاع صيته بمرسية، وتوفي مستشهدا سنة 622هـ.

له أشعار زهدية منها قوله[15] :

زَهِدْتُ فِي ٱلْخَلْقِ طُرّاً بَعْدَ تَجْرِبَةٍ ... وَمَا عَلَيَّ بِزُهْدِي فِيهِـمُ دَرَكُ

إِنِّي لأَعْجَبُ مِنْ قَوْمٍ يَقُودُهُمُ ... حِرْصاً إِلَى بَرِّهِ مِلْكاً لِمَنْ مَلَكُوا

---

(11) **الذيل والتكملة** : 562/1.

(12) **التكملة** : 313/1.

(13) **التكملة** : 315/1.

(14) **المصدر نفسه** : 354/1.

(15) **بغية الوعاة** : 157.

أَوْ أَنْ يُذَلُّوا لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ   وَفِي خَزَائِنِ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ اشْتَرَكُوا
أَمَا وَحَقِّكَ لَوْ دَانُوا بِمَعْرِفَـةٍ   لَقَدْ أَصَابُوا بِهَا ٱلْمَرْغُوبَ لَوْ سَلَكُوا
مَنْ ذَا تُمَدُّ إِلَيْهِ ٱلْيَدُ فِي طَلَبٍ   بِمَا عَلَيْهَا وَأَنْتَ ٱلْمَالِكُ ٱلْمَلِكُ

ــ إبراهيم بن غالب الأنصاري المرسي (ت 635هـ)[16] الذي عاش زاهدا منقبضا عن الناس صرورة.

ومن هذه المدينة ــ مرسية ــ اشتهر عدد كبير من العلماء والزهاد والمتصوفين، كأبي الحسن بن علي بن الحرالي[17] (ت 637هـ) نزيل بجاية، ومحيي الدين بن عربي[18] (ت 638هـ) وابن سبعين[19] (ت 669هـ)، وأبي العباس المرسي[20] (ت 686هـ) نزيل الإسكندرية.

ويظهر أن مرسية هذه عرفت حركة علمية كبيرة، إذ استقر بها وتخرج منها عدد من العلماء[21] الأعلام، وأصبحت في القرن السابع الهجري «مركزا للدراسات الصوفية والفلسفية بالأندلس»[22].

من الصعب جدا حصر المؤلفات الزهدية التي ألفت في هذه الفترة، إذ أن الأمر يستلزم دراسة خاصة، ولكن أشير فقط إلى بعض ما ألف في هذا المجال نظما ونثرا، وإلى المواضيع التي تطرق إليها هذا الإنتاج. ويظهر أن الطابع العام لهذه المؤلفات اتخذ شكلين : الشعر : وغلبت عليه الأرجوزة والمعشرات، والنثر : وغلبت عليه الخطب الجهادية، والمقامات الوعظية. وشاع إلى جانب ذلك لون جديد من الكتابة يمزج فيه المؤلف بين الفقر النثرية المسجوعة وبين الأبيات الشعرية التي تنتهي بنفس حرف السجعة في قافيتها مع الالتزام بصياغة تلك الفقرات على

---

(16) **التكملة** : لابن الأبار 144/1، تحقيق الدكتور عبد السلام اهراس
(17) **عنوان الدراية** : 85.
(18) **نفح الطيب** : 161/2.
(19) **نفسه** : 196/2.
(20) **نفسه** : 190/2.
(21) انظر **التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب** للدكتور محمد مفتاح.
(22) أبو المطرف بن عميرة : 79. وقد فصل فيها أستاذنا الجليل الدكتور محمد بن شريفة الحديث في العلوم القديمة ومن تعاطاها من مشاهير رجالات الأندلس بمدينة مرسية.

حروف المعجم، وكان المقال المحتذى لهذا الشكل الأدبي هو «ملقى السبيل» لأبي العلاء المعري والتي عارضها عدد من الأدباء[23] في شرق الأندلس كأبي الربيع الكلاعي وتلميذه ابن الأبار وابن هارون القرطبي[24].

ويبدو أن كثيرا من المؤلفين — في هذا العصر — تناولوا في انتاجاتهم «الموضوعات الدينية والزهدية، وقد كانت «**ملقى السبيل** للمعري، **وصبا نجد** لابن الجوزي، **وخطب ابن نباتة الجهادية، ومقامات الزمخشري الوعظية، والفتح القسي** للعماد الأصفهاني نماذج محببة لدى الكثيرين من كتاب هذا العصر الذي عارضوها ونحوا منحاها»[25].

من الموضوعات الدينية التي تناولتها إنتاجات هذه الفترة :

1. النبويات : وتشمل المواضيع التي تتناول الحديث عن النبي ﷺ، كذكر صفاته وشمائله التي ألف فيها محمد بن عتيق التجيبي الشقوري[26] (ت 654هـ) أرجوزتين، أولاهما : «**مطالع الأنوار ونفحات الأزهار في شمائل النبي المختار**»، وثانيتهما : «**صوب الغمام ونفحات الكمال في شمائل النبي المختار**»[27]. وذكر معجزاته التي ألف فيها ابن دحية الكلبي[28] (633هـ) «**الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات**». كما ألف في «**شرح أسماء النبي**» و«**المستوفى من أسماء المصطفى**». وفي مولده ألف «**التنوير في مولد السراج المنير**» و«**نهاية السول في خصائص الرسول**».

---

(23) عارضها ابن أبي الخصال الغافقي (ت 545هـ) مخطوط الإسكوريال : 519، وأبو القاسم السهيلي (ت 581هـ). **الإحاطة** : 479/3 وسماها حلية النبيل، وأبو العباس الاقليشي (ت 551هـ) **الذيل** : 545/1، وأبو القاسم عامر بن هشام الأزدي (ت 623هـ) **برنامج شيوخ الرعيني** : 197.

(24) ذكرت ابن هارون وإنما كان قرطبيا لا ينتمي إلى شرق الأندلس لأن معارضته في الحقيقة عارض بها شيخه أبا الربيع الكلاعي كما يبدو واضحا من اسمها : مقارضة الأجر الجزيل ومراوضة الصبر الجميل في معارضة مفاوضة القلب العليل. **برنامج الوادي آشي** : 299.

(25) أبو المطرف بن عميرة : 180.

(26) **التكملة** : 362/1.

(27) **ديوان ابن الصباغ الجذامي**، تقديم وتحقيق نور الهدى الكتاني : 59.

(28) انظر مقدمة كتاب **المطرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي (هـ،و،ر،ح).

وألف في النبويات أيضا عبد الله التجيبي المرسي (ت 610هـ)، الذي ألف في فضل الصلاة على النبي أربعين حديثا[29]، وألف أيضا عددا من المؤلفات في الزهديات منها : أربعون حديثا في الوعظ، وأربعون حديثا في الفقر وفضله، وأربعون حديثا في الحب في الله، وله كتاب الترغيب في الجهاد، وكتاب المواعظ والرقائق.

2. **المديح النبوي** : عم المديح حتى شمل شعر أغلب الشعراء والعلماء، وأبرز ما ظهر في هذا المديح فن المعشرات، وهي قصائد تتكون من عشر أبيات، وتنتظم حروف الهجاء، ومن أشهرها[30] : معشرات أبي الربيع «الصحف المنشرة في القطع المعشرة» ومعشرات ابن عربي (ت 638هـ)، والمعشرات العروضية في مدح خير البرية لأبي القاسم التجيبي المرسي ومنه أيضا المخمسات التي أبدع فيها العديد من الشعراء وفضلوها على غيرها من العشرينيات والوتريات والمعشرات كابن فرج السبتي الذي فضل هذا النمط الشعري فعارض به عددا من قصائد المديح النبوي وقال عنه : «آثرت التخميس على التعشير ليكون أسرع لحفاظها وأبرع للفظها، وأيضا فوجود خمس من القوافي في نظم لزومي أو نثر أهون على الفكر من وجود عشر، هذا وإن كان اللسان العربي فصيحا لا يضيق، ولا يكاد يخرج عنه لسان كل فريق لكن ليس من شرح المطالعة أن يحفظ الغريب من الكلام كل من طالعه، والله سبحانه أسأله أن يجعلها في القربات التي تنفع، والوسائل التي تشفع، والتمائم التي تذود كل سوء في الدارين وتدفع، وصلى الله على الشفيع المشفع، وسلم تسليما، من آفة الانفصال سليما»[31].

وممن حاز السبق في هذا المضمار تلميذ أبي الربيع : أبو عبد الله بن الجنان المرسي (ت 650هـ) صاحب المخمسات البديعة في المدائح النبوية التي ذاعت

---

(29) **التكملة** : 304/1.

(30) من أشهر المعشرات في الشعر الأندلسي معشرات أبي العباس الإقليشي (**التكملة** : 60/1) ومعشرات محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري (**التكملة** : 229/1) ومعشرات أبي زيد الفزازي (تة 621هـ) (**الإحاطة** : 518/3) ومعشرات ابن قسوم الإشبيلي (ت 638هـ) (**التكملة** : 753/2).

(31) **أزهار الرياض** : 228/3.

واشتهرت ونسج على منوالها العديد من الشعراء[32] خاصة مخمسته :

اللَّــهُ زَادَ مُحَمَّــداً تَكْــرِيماً

وَحَبَاهُ فَضْلاً مِنْ لَدُنْه عَظِيمَـا

وَاخْتَصَّهُ فِي ٱلْمُرْسَلِينَ كَرِيمَـا

ذَا رَأْفَـةٍ بِٱلْمُؤْمِنِيـنَ رَحِيمَـا صَلُّوا عَلَيْـهِ وَسَلِّمُـوا تَسْلِيمَـا[33]

3. **الرسائل** : التي تبعث إلى الجناب النبوي كالرسالة البديعية التي بعث بها علي بن أحمد الغساني[34] (609هـ) ورسالة أبي عبد الله بن الجنان[35]، ورسالة أبي الحسن الجياني[36] (663هـ).

4. **الحجازيات** : وهي القصائد التي يتناول فيها أصحابها شوقهم إلى الديار المقدسة، فيذكرون أسماء الأماكن بالحجاز وحنينهم إلى زيارتها وزيارة قبر الرسول، ومنها قصائد ابن الجنان[37] وابن الآبار القضاعي[38] وأبي الحسن الجياني[39]، وديوان ابن الصباغ الجذامي[40].

5. **النعل النبوي** : وهي قصائد قيلت في تمثال نعل النبي ﷺ تبركا برؤيته. وقد حظي هذا النعل بعناية خاصة عند علماء الأندلس، فكانوا يتعاقبون على احتذائه والاحتفاظ به تبركا، ومنهم أبو بكر بن العربي، وأبو القاسم بن بشكوال، وأبو جعفر أحمد بن علي الأوسي، وأبو القاسم بن الطيلسان، وابن سعد الخير،

---

(32) انظر **نفح الطيب** : 7 من ص 445 إلى 469.

(33) **المصدر نفسه** : 432/7.

(34) **الذيل والتكملة** : 178/5.

(35) **النفح** : 422/7.

(36) **الذيل والتكملة** : 288/5.

(37) **الإحاطة** : 351/2.

(38) **أزهار الرياض** : 225/3.

(39) **الذيل والتكملة** : 293/5.

(40) تحقيق وتقديم : نور الهدى الكتاني، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية آداب الرباط، 1985.

وأبو الربيع الكلاعي، وابن الأبار، وأبو الحسن الرعيني، وغيرهم[41].. وقد أنشد جلهم في مدح هذا النعل النبوي أشعارا تتراوح بين دواوين[42] وقصائد[43] وأبيات[44].

2 ـــ ظاهرة النضج الفكري والتميز الإقليمي لشرق الأندلس :

شهد شرق الأندلس في القرنين السادس والسابع الهجريين نهضة علمية عظيمة، تجلت في بروز عدد من كبار العلماء وفحول الشعراء، فتوجهت أنظار طلاب العلم إليه من كل أقطار الأندلس والمغرب، وازدهرت الحركة العلمية وانتشرت مجالس العلماء، و لم تعد مقتصرة على حلقات الدرس في المساجد، وإنما أصبح الطلاب يقصدون المشايخ في بيوتهم[45] للأخذ عنهم، ونشطت حركة التأليف وعمت جميع العلوم والفنون، وبرزت أعلام أندلسية يشار إليها بالبنان، وبلغ الفكر الأندلسي أعلى مراحل عطائه في هذه المنطقة، ولعل قراءة سريعة في كتب التراجم التي اهتمت بترجمة أعلام هذه الفترة من تاريخ الأندلس تنبئنا عن هذا الازدهار العلمي حتى ليكاد يخيل للقارىء ـــ من كثرة أسماء الأعلام بشرق الأندلس ـــ[46] أن كل سكان المنطقة كانوا علماء، وموثقين، وشيوخا، ومقرئين، ومعلمين، وأدباء، وشعراء، وكتابا. ويعود الفضل في ازدهار هذه الحركة العلمية إلى عوامل يمكن إجمالها فيما يلي :

---

(41) انظر **الذيل والتكملة** : 327/1.

(42) من الدواوين : ديوان أبي الربيع **نتيجة الحب الصميم في النظم في النعل الكريم**، وديوان أبي اسحاق إبراهيم بن الحاج النميري وديوان أبي فرج السبتي : **القطع المخمسة في مدح النعال المقدسة**.

(43) انظر فتح المتعال في مدح النعال للمقري، والمجموعة النبهانية في المدائح النبوية.

(44) أنظر أبيات ابن سعد الخير في **الذيل والتكملة** : 188/5، وأبيات أبي أمية بن عفير في **المصدر نفسه** : 189/5، وأبيات أبي الحسن الرعيني في **الذيل** : 330/1، وابن الأبار : **أزهار الرياض** : 224/3، وأبيات ابن برطلة المجموعة النبهانية : 402/3، وابن رشيد الفهري (**أزهار الرياض** : 266/3)، وابن جابر الوادي آشي (**نفس المصدر** : 272).

(45) **رحلة ابن رشيد** : 24/6، وانظر **الذيل والتكملة** : 150/6.

(46) يطلق شرق الأندلس على بلنسية وعملها : الرصافة، المنصف، بطرنه، بنه، متيطة، شقر، مربيطر، شاطبة، يانبه، ذانية، بكيران، بيران. ومرسية وعملها : منتانة، كتندة، يكّه، بلبانة، ألش، لقنت، لورقة، برزز، أريولة، الحرلة، وكذلك مدينة سالم وقرطاجنة.

عوامل طبيعية : وأقصد بها طبيعة البلد وطبيعة السكان. أما طبيعة البلد فلا يماري أحد في جمالها وغنائها، وقد تغنى الشعراء بروعة منتزهاتها، وخلدوا في ذلك أشعارا، ويكفي هذه المنطقة فخرا أنها أخرجت أشهر شعراء وصف الطبيعة في الأندلس كابن الزقاق وابن خفاجة. وأما طبيعة السكان فترجع إلى عوامل نفسية كتأنقهم في الملبس والمسكن، وعنايتهم بالحدائق والمنتزهات، وحبهم للجمال يترصدونه في كل ما تقع عليه العين، وعوامل عقلية كحبهم للعلم وتعطشهم للنهل من معينه، مع ذكاء وقاد وقريحة جيدة(47)، وميلهم إلى الرحلة طلبا للعلم، إذ كانوا لا يقتصرون على علماء المنطقة، بل يرحلون إلى أقصى المشرق والمغرب سعيا وراء الرواية والأخذ(48).

ولعل عامل الطبيعة هذا هو الذي رغب بعض العلماء في الاستقرار ببلنسية، واتخاذها دار مقام وتأليف وتعليم. وأبرزهم عالم الأندلس الذي جمع بين فنون مختلفة ومعارف متنوعة : ابن السيد البطليوسي، إذ بهذه المدينة استقرت إقامته وبها ألف العديد من مؤلفاته التي أغنت الثقافة العربية بالأندلس، وأبرزت وجها من وجوهها المشرقة، وبها خلف مدرسته العلمية التي تعاقب عليها تلامذته(49) ومن بعدهم تلامذتهم. كما استقر بها أيضا أبو عبد الله الواهب مولى الزبيدي(50) والشاعر ابن عطية المحاربي(51).

ومن جملة المميزات التي امتازت بها طبيعة سكان الإقليم حبهم الشديد لمدتهم وارتباطهم بها وتفضيلها على ما سواها من أقطار الأندلس، وهذا ابن جبير رغم رحلاته وأسفاره المتعددة، يفضل شرق الأندلس على غربه :

لاَ يَسْتَوِي شَرْقُ ٱلْبِلاَدِ وَغَرْبِهَا   ٱلشَّرْقُ حَازَ ٱلْفَضْلَ بِاسْتِحْقَاقِ

---

(47) **التكملة** : 397/1 في ترجمة ميمون بن جبارة الفرداوي الذي تولى قضاء بلنسية فكان الناس يجتمعون للأخذ عنه فوصفهم «بثقوب الأذهان وجودة القريحة».

(48) انظر **الذيل** : 47 في ترجمة أبي الوليد بن الحاج.

(49) **تحفة القادم** : 51 : أبو الحسن بن سعد الخير الأنصاري البلنسي، له كتاب **الحلل في شرح الجمل** ابتدأه من حيث انتهى البطليوسي.

(50) **التكملة** : 248/1.

(51) **الذيل والتكملة** : /16655.

فَانْظُرْ لِحُسْنِ ٱلشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا بَيْضَاءَ تَسْحَبُ بُـرْدَةَ ٱلإِشْرَاقِ
وَانْظُرْ لَهَا عِنْدَ ٱلْغُرُوبِ كَئِيبَةً صَفْرَاءَ تَعْقُبُ ظُلْمَةَ ٱلآفَـاقِ
وَكَفَى بِيَوْمِ طُلُوعِهَا مِنْ غَرْبِهَا أَنْ تُؤْذِنَ ٱلدُّنْيَا بِوَشْكِ فِرَاقِ[52]

ومن ميزاته أيضا انجاب عدد هائل من كبار الشعراء في الأندلس[53] من أشهرهم :

ابن الزقاق البلنسي (529هـ).
أبو إسحاق بن خفاجة (533هـ).
ابن سهل اليكي (560هـ).
ابن سعد الخير البلنسي (571هـ).
الرصافي الرفاء (572هـ).
أبو بكر بن مغاور (587هـ).
أبو رجال بن غلبون (589هـ).
أبو بحر صفوان التجيبي (598هـ).
أبو الحسين بن جبير (614هـ).
ابن حزمون المرسي (بعد 614هـ).
ابن حريق المخزومي (622هـ).
الرفاء المرسي (633هـ).
ابن مرج الكحل (634هـ).
ابن شلبون (639هـ).
أبو عبد الله بن الجنان (650هـ).
ابن الأبار القضاعي (658هـ).
حازم القرطاجني (684هـ).

ومن ميزات هذا الإقليم أيضا أن شعراءه يجمعون إلى جانب الشعر لونا آخر من ألوان المعرفة، فمنهم العلماء والفقهاء والمحدثون، ونبغ منهم أطباء كأبي بكر السلاوي الواعظ (563هـ)، وأبي القاسم بن اندراس المرسي (674هـ)،

---

(52) **عنوان الدراية** : 80.
(53) ألف فيهم ابن الأبار كتابه : **«إيماض البرق في أدباء المشرق»**.

والمتحققين بعلوم الأوائل كأبي الحجاج بن طلموس (620هـ)، وعزيز بن خطاب المرسي (636هـ).

وجمع الكتاب منهم بين أساليب الكتابة العلمية وألوان البديع، كما جمعوا بين الشعر والنثر، وهذا ما أضفى ميزة خاصة على علماء وأدباء وكتاب بلنسية، وأول من لاحظ هذه الميزة هو الغبريني في كتابه «**عنوان الدراية**» وهو يترجم لأبي المطرف بن عميرة المخزومي ويعلل الأسباب التي توفرت له حتى تقدم في كتابته إذ قال : «والذي أوجب تقدم الفقيه أبي المطرف في كتابته، إنما هو الرجل من أهل بلنسية من أهل العلم، فكتابته علمية أدبية، وكتابة غيره مقتصرة على نوع من الأدب، فكتابته جامعة بين كتابة العلماء والأدباء وكتابة غيره مقتصرة على نوع الأدباء، وهذا المعنى هو الذي تميز به عمن عداه، وسبق من سواه»[54].

وأشار أيضا إلى النواحي الكمالية عند كتاب شرق الأندلس إذ وصلوا إلى مرتبة الإعجاز في الفصاحة والبلاغة، وتفننوا في ألوان النظم والنثر وذلك في ترجمته لأبي عبد الله الجنان إذ قال عنه : «وهو في الكتابة من نظراء أبي مطرف المخزومي، وكثيرا ما كانا يتراسلان بما يعجز عنه الكثير من الفصحاء ولا يصل إليه إلا القليل من البلغاء، ونظمه حسن، وأي نوع انتقلت إليه من فرعي أدبه قلت إنه أحسن»[55].

3 ــ الثقافة الموسوعية :

من أبرز الظواهر التي يلحظها الدارس في هذه الفترة من تاريخ الأندلس، شمولية المعرفة التي اتسم بها رجال العلم، فقد اتسعت الثقافة فشملت جوانب معرفية متعددة، ولم نعد نستطيع أن نفرق بين الكاتب والشاعر، وبين العالم والطبيب، وبين المحدث والمؤرخ، إذ استطاعت ثقافة العصر الموسوعية أن تنتج لنا أعلاما تعددت جوانبهم الثقافية، فأصبحت تكتب وتؤلف في فنون متنوعة وعلوم شتى نثرا ونظما على حد سواء، وحملت تراجم الأعلام بعض سمات هذه الثقافة الموسوعية في إشارات وتلميحات، كما احتفظت كتب البرامج والفهارس بألوان

---

(54) **عنوان الدراية** : 300.

(55) **المصدر نفسه** : 349.

الثقافة العامة والدينية التي كونت الأساس لثقافة العلماء. ومصادر هذه الثقافة، وإن كانت بالدرجة الأولى تعتمد على علوم القرآن وعلوم الحديث التي بلغت أوجها في هذه الفترة، إلا أنها أيضا اهتمت بمعارف متعددة وبأهمية لا تقل عن أهمية العناية بالحديث والآثار، من هذه المعارف : التاريخ، والأدب واللغة، وعلوم الأوائل من فلسفة وطب.

تظهر هذه الثقافة الموسوعية فيما انتج من مؤلفات، إذ نلاحظ أن المؤلف يشحن كتابته بالإشارات التاريخية وذكر الأمثال العربية والأقوال المأثورة، ويرصعها بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأشعار الشعراء القدامى منهم والمحدثين، الشيء الذي يجعل دارس هذه المؤلفات يقف أمام معارف متنوعة وعلوم شتى، ورصيد لغوي وفيض بلاغي، رغم الأساليب النثرية التي اعتمدت على الإغراق في السجع، والميل إلى الصناعة اللفظية بكل لوازمها من جناس وطباق ومحسنات بديعية، والتزام الكتابة في لون معين، وإنشاء رسائل على نمط خاص كرسائل ابن الجنان وابن عميرة والرعيني[56]، هذه الرسائل التي أغربوا فيها بالتزام حرف معين في جميع كلماتها، أو التزام حرفين يتعاقبان في جميع ألفاظها، وإن كانت هذه الألوان من الكتابة كما يرى بعض الدارسين «واضحة التكلف، ظاهرة التصنع، ثقيلة الظل، لا يستطيع القارىء الإتيان عليها إلا بعد جهد جهيد»[57]، إلا أنها تبقى مرآة يعكس فيها صاحبها ثقافته الموسوعية وإحاطته بالعلوم، ويتباهى فيها بقدرته على التحكم في صياغة أساليبه، وطواعية اللغة له. فالقادر على هذا اللون الصعب من الكتابة لا يعجز عن السهل منها، وإنما هو شكل تميز به هؤلاء الأدباء في عصرهم عن غيرهم، وظلت رسائلهم نماذج تحتذى من قبل الكتاب حتى عصور متأخرة[58].

ويظهر أن ما ألف في هذا العصر يدل على هذه الثقافة العامة والتي يمكن تحديد

---

(56) انظر **الذيل والتكملة** : 176/1 و327/5. وانظر كتاب «**أبو المطرف بن عميرة**» للدكتور محمد بن شريفة : 218.

(57) **أبو المطرف بن عميرة** : 218.

(58) **المصدر نفسه** : 220.

مجالاتها في : علوم القرآن والحديث واللغة وآدابها والتاريخ والسير، والفلسفة والطب والأدوية.

ففي علوم القرآن والحديث، اشترك فيها هذا العصر مع العصور السابقة من حيث اهتمام العلماء بالقرآن والتفسير والقراءات والإعجاز والتأليف حول الحديث ومؤلفاته ونقد رجاله. وظهرت «الأربعون حديثا» كشكل بارز في التأليف في الحديث، إذ لا تخلو ترجمة متحدث عن ذكر الأربعين حديثا من تأليفه، وإن نوعوا في مواضيعها[59].

أما اللغة والآداب فنشطت حولها حركة التأليف، وبرزت بشكل واضح مجموعة من المؤلفات في الأعلام، مثل «**زاد المسافر**» لأبي بحر صفوان ابن إدريس التجيبي، ترجم فيه لعدد من شعراء القرن السادس الهجري، ومؤلف ابن الأبار «**تحفة القادم**» أكمل فيه تراجم شعراء القرن السابع الهجري، وكتابه «**إيماض البرق في أدباء الشرق**» خصصه لأدباء شرق الأندلس، وسنفرد لهذا الجانب حديثا خاصا في هذه الدراسة[60]. وكثرت الدواوين الشعرية بكثرة الشعراء، منها ما وصل إلينا[61]، ومنها ما درس مع الأيام فلم يصلنا منه إلا نقول في كتب التراجم والبرامج والمنتخبات، وتطورت الدراسات اللغوية فلم تعد تحفل بشرح الكتب اللغوية ومتونها «**كالفصيح**» لثعلب، وكتاب «**الجمل**»، وأدب «**الكاتب**» وغيرها من الكتب التي نشطت حولها العديد من الشروح الأدبية واللغوية في القرنين الخامس والسادس الهجريين، واشتغلت بالتأليف حول هذه المتون اللغوية وصياغتها في أساليب أدبية عالية تكون نماذج للمتأدبين، وتهدف إلى خلق جيل من الكتاب والمترسلين وتعتبر مؤلفات أبي الربيع الأدبية من هذا النوع[62]. كما ظهرت

---

(59) انظر من كتب البرامج : **برنامج الوادي آشي** : 510 و511 و512. وانظر **برنامج التجيبي** : 295 و296.

(60) تحت عنوان : ظاهرة المجاميع المؤلفة في الأعلام.

(61) كديوان : ابن خفاجة. تحقيق السيد غازي / ديوان ابن الزقاق. تحقيق عفيفة محمود ديواني/ ديوان الرصافي الرفاء. تحقيق إحسان عباس/ ديوان ابن الأبار القضاعي. تحقيق الدكتور الهراس/ ديوان حازم القرطاجني. تحقيق عثمان الكعاك.

(62) كمؤلفه : «نكتة الأمثال» ألفه موشحا بأمثال أبي عبيد القاسم بن سلام، وألف **جهد النصيح** موشحا بألفاظ **الفصيح** لثعلب.

مؤلفات في علم البلاغة ككتاب أبي المطرف بن عميرة المخزومي : «**التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات**»[63]، وكتاب أبي إسحاق الأنصاري الجزري : «التنبيه على ما زخرف من التمويه في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن»[64]، وكتاب حازم القرطاجني : «**منهاج البلغاء وسراج الأدباء**».

وظهرت في السير والتاريخ مؤلفات عديدة منها ما تناول حياة الرسول وغزواته ككتاب أبي القاسم بن حبيش : «**المغازي**»، وكتاب ابن دحية : «**التنوير في مولد السراج المنير**»، وكتاب أبي الربيع : «**الاكتفا**». ومنها ما تناول آل البيت كمؤلف أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان التجيبي اللقنتي (610هـ) : «**مناقب السبطين الحسن والحسين**»، وألف ابن الأبار القضاعي : «**معادن اللجين في مراثي الحسين**» و«**درر السمط في خبر السبط**».

أما الفلسفة والطب والأدوية فظهر فيها أعلام من شرق الأندلس، جمعوا إلى جانب علوم الحديث واللغة والآداب وقرض الشعر، ممارسة الطب وصناعة الأدوية وتدريس الفلسفة، منهم :

1) أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن جرج الذهبي (601هـ) بلنسي جمع بين الفلسفة والعلم والطب والنحو واللغة والقراءات والفقه ونظر في علوم الأوائل فبرع فيها[65].

2) أبو الحجاج يوسف بن طلموس الشقري (620هـ) الذي تتلمذ على طبيب الأندلس ابن رشد، وكان طبيبا في دولة الموحدين[66].

3) أبو بكر عزيز بن خطاب (636هـ) المرسي، كان «متبحرا في المعارف على تشعب فنونها متحققا بكثير مما كان ينتحله منها إلى بيان في الخطابة وبلاغة في النظم والنثر»[67]، وكان يدرس الطب[68].

---

(63) **أبو المطرف** : 260.

(64) **نفس المرجع**.

(65) **بغية الوعاة** : 159. وانظر **الذيل والتكملة** : 279/1.

(66) **أبو المطرف** : 80.

(67) **الذيل والتكملة** : 144/5. تتلمذ على أبي الربيع الكلاعي وروى عنه.

(68) **أبو المطرف** : 78.

4) أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي المعروف بابن أندراس المرسي (674هـ)، «تبسط للطب طبيبا باحثا جيدا، وله معرفة بعلم العربية وله شركة في أصول الدين جيدة، ويشارك مع هذا في فنون غير هذه مشاركة حسنة، وكانت له حدة ذهن وجودة فكر، تبسط لإقراء الطب والعربية، وكان حاذقا في عربيته»(69). له رجز ونظم فيه بعض الأدوية.

5) أبو الحسن علي بن هلال الحضرمي البلنسي (678هـ)، «أخذ العدد عن أبي عبد الله البلالي، والهندسة عن أبي محمد الخولاني الجميل، والطب عن أبي العباس البطبط، وكان عدديا ماهرا، مهندسا حاذقا، طبيبا بارعا فائقا في ذلك كله موفق العلاج، سديد الرأي في تعرف العلاج ومداواته، متعرضا لذلك مقصودا فيه»(70).

6) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن عبد الله الخزرجي الشاطبي (691هـ)، «كان له علم بالعربية وأصول الفقه، وله مشاركة في أصول الدين وقوانين الطب»(71).

لا نهدف من هذا العرض إلى الوقوف على الأعلام وتعدادهم، بقدر ما نهدف إلى إظهار جانب من جوانب هذه الثقافة الموسوعية التي كانت سمة بارزة في شرق الأندلس، وفي عصر أبي الربيع الكلاعي، والتي استرعت انتباه الدارسين في وقتنا الحالي، فأشاروا إليها في حديثهم عن بعض أعلام هذا العصر، كالدكتور عز الدين موسى الذي لاحظ في معرض حديثه عن ابن الأبار «تعدد مصادره وتنوعها من قرآن وتفسير وحديث ومجاميعه، وفقه وكتب أصوله وفروعه، وأدب ودواوين نثره وشعره، وكتب أمثال فضلا عن الأقوال المأثورة والخطب المتنوعة المبتوثة في بطون تصانيف شتى»(72).

---

(69) **عنوان الدراية** : 75.

(70) **الذيل والتكملة** : 419/5.

(71) **عنوان الدراية** : 119.

(72) **مقدمة درر السمط في خبر السبط** : 55 :

«ولفهم هذا النوع من التأليف في الثقافة الموسوعية، كانت تؤلف الكتب الشارحة ككتاب سعيد بن مسعود الماغوسي المراكشي (ت 1016هـ) : «نظم الفرائد الغرر في سلك فصول =

وعلى العموم، شهد شرق الأندلس في القرن السادس وبداية القرن السابع الهجريين ـ وقبيل سقوطه في أيدي المسيحيين ـ نهضة علمية عظيمة، و«وازدهارا في اللغة وآدابها، والقرآن وعلومه، والحديث وروايته، والفقه وأصوله وفروعه، والفلسفة، والعلوم التطبيقية والتاريخ والجغرافيا والرحلات والتصوف، وكان لرجال مشرق الأندلس وبلنسية خاصة القدم المعلى في الإنتاج الثقافي»[73].

4 ـ ظاهرة المجاميع المؤلفة في الأعلام :

عرف هذا العصر الذي نحن بصدد دراسته حركة نشيطة في تأليف المجاميع المؤلفة في أعلام الأندلس وتاريخها وفي برنامج العلماء وفهارس مروياتهم، وكذا في فن الرحلة، ولئن كان جزء منها قد طوته يد الزمان فلم يصل إلينا، فإن جزءا هاما منها انتقل إلينا وحقق وطبع ونشر، فاستفاد منه الدارسون في معرفة الملامح العامة للثقافة الأندلسية. وإذا كانت كتب التراجم قد كشفت عن العدد الهائل من أسماء العلماء والأدباء، فإن كتب الفهارس والبرامج قد سلطت الأضواء على ما كان يروج من كتب ومؤلفات تعتبر من مقومات الثقافة العربية في الأندلس. لذا «أصبح الحرص على كتابة البرامج والفهارس لونا من التأليف اهتم به الأندلسيون وشغفوا به حتى كادت تصح نسبته إليهم على الرغم من أن له أصوله ونظائره في المشرق، وجذوره في كتب الحديث وروايته. وقد برز هذا الاهتمام بين الأندلسيين واتضح في القرنين السادس والسابع الهجريين بشكل جلي وفي تراجم علماء هذه الحقبة إشارات عديدة إلى كتب البرامج والفهارس والمعاجم التي جمعوها»[74].

ومن أشهر هذه المؤلفات :

1. الفهرسة : لأبي بكر بن خير الفاسي (المعروف بالإشبيلي) (575هـ)[75].

= الدرر» حاول فيه أن يحل إشارات الدرر وتلميحاته، واستعان في تأليفه بخمسمائة كتاب، وقد ألفه بأمر من المنصور الذهبي. انظر **المصدر السابق**.

(73) **درر السمط في خبر السبط** : 19.

(74) **الدراسات اللغوية في الأندلس** : 27.

(75) حققه فرنسيسكو قديره زيد بن وجليان رباة طرغوه، طبعة المثنى، بغداد 1963.

2. كتاب الصلة : لابن بشكوال (587)[76].

3. تاريخ المن بالإمامة : لابن صاحب الصلاة أبي مروان عبد الملك بن محمد بن أحمد الأندلسي (594هـ)[77].

4. بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس : لابن عميرة أحمد بن يحيى بن أحمد الضبي الأندلسي (599هـ)[78].

5. الاكمال والاعلام في جلة الاعلام بمجالس الاعلام من أهل مالقة الكرام : ابتدأ تأليفه ابن عسكر[79] محمد بن علي المالقي.

6. برنامج شيوخ الرعيني (666هـ)[80].

7. رايات المبرزين وغايات المميزين : لابن سعيد الغرناطي (673هـ)[81].

8. الغصون اليانعة[82] لابن سعيد الغرناطي.

9. المغرب في حلى المغرب[83] : لابن سعيد الغرناطي.

10. اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى[84] : لابن سعيد الغرناطي.

11. المرقص والمطرب[85].

12. برنامج ابن أبي الربيع الإشبيلي (688هـ)[86].

ساهم شرق الأندلس في هذا المجال مساهمة فعالة تشهد بها المؤلفات التي وصلتنا

---

(76) طبعة سلسلة تراثنا، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(77) حققه الدكتور عبد الهادي التازي، دار الأندلس 1964.

(78) طبعة مدريد 1884.

(79) نسخة بخزانة الأستاذ المنوني، ذكرها في كتابه **«فهرس المخطوطات»** : 52.

(80) حققه إبراهيم شبوح، طبعة دمشق 1962.

(81) حققها غرسية غوميس، طبعة مدريد 1942.

(82) تحقيق إبراهيم الأبياري، نشر دار المعارف مصر (**ذخائر العرب**).

(83) طبعة دار المعارف بمصر، حققه د. شوقي ضيف، طبعة 1953.

(84) حققه إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية، القاهرة 1959.

(85) طبعة الجزائر 1949.

(86) **كتب برامج العلماء** للدكتور عبد العزيز الأهواني، مجلة **«معهد المخطوطات العربية»** م 1950/1، ج 120/2، من ص 252 إلى 271.

عن هذا العصر، أو وصلتنا أسماؤها فقط أو نقول عنها مبثوثة في كتب التراجم والمنتخبات، وهي متنوعة في التاريخ والتراجم والرحلات أذكر منها في هذه الدراسة :

1. مشاهير الموشحين بالأندلس : لابن سعد الخير الأنصاري البلنسي[87] (571هـ).
2. المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب[88] : لأبي يحيى بن عيسى بن حزم الغافقي الجياني البلنسي (575هـ).
3. المقتضب على صلة ابن بشكوال : لأبي القاسم بن حبيش[89] (584هـ).
4. مجموع في الألقاب[90] : لأبي القاسم بن حبيش.
5. أخبار الزهاد والعباد[91] لابن عفيون الشاطبي (بعد 584هـ).
6. زاد المسافر : لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي[92] (598هـ).
7. تأليف في أدباء الأندلس : صفوان بن إدريس التجيبي المرسي[93].
8. الاعلام بالعلماء الاعلام من بني أبي جمرة لابن أبي جمرة المرسي[94] (599).
9. الانباء بأبناء بني خطاب[95] من بني أبي جمرة لابن أبي جمرة المرسي.
10. تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار : رحلة ابن جبير البلنسي[96] (614).

---

(87) **الذيل والتكملة** : 188/5.

(88) **التكملة** : 2112، **المغرب في حلى المغرب** : 88/2، **نفح الطيب** : 379/2.

(89) **التكملة** : 574.

(90) **المصدر نفسه**.

(91) **نفسه** : 254/1 طبعة مجريط.

(92) تحقيق عبد القادر محداد، دار الرائد العربي، لبنان 1980.

(93) **تحفة القادم** : 82.

(94) **التكملة** : 278/1، طبعة مجريط.

(95) **المصدر نفسه**.

(96) دار بيروت ودار صادر 1964.

11. المطرب عن أشعار أهل المغرب لابن دحية[97] (633هـ).
12. المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي : لابن الأبار القضاعي البلنسي[98] (658هـ).
13. التكملة[99] : لابن الأبار.
14. الحلة السيراء[100] : لابن الأبار.
15. تحفة القادم : لابن الأبار[101].
16. اعتاب الكتاب[102] : لابن الأبار.
17. إيماض البرق في أدباء الشرق[103] : لابن الأبار.
18. المقتضب من تاريخ المريدين : لابن عميرة المخزومي البلنسي[104] (658هـ).
19. تأليف في كائنة ميورقة وتغلب العدو عليها[105] : لابن عميرة المخزومي.

إن هذه المجاميع المؤلفة في الاعلام والتاريخ غيض من فيض، ولو رجعنا إلى كتب التراجم لاستقصاء ما ألفه الأندلسيون من برامج وفهارس لوجدنا من المؤلفات ما يعادل أسماء الرجال أو يفوقها. والملفت للنظر أن أكثر ما وصلنا من هذه المؤلفات وما طبع منها ونشر ينتمي إلى القرنين السادس والسابع الهجريين، كما أن شرق الأندلس نال منها حظ الأسد.

---

(97) حققه إبراهيم الأبياري ود. حامد عبد المجيد ود. أحمد أحمد بدوي، طبعة بيروت.
(98) طبعة مجريط 1885.
(99) طبعة مدريد بعناية كوديرا 1888، طبعة القاهرة 1955، والزيادات طبعة الجزائر.
(100) تحقيق حسن مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر بالقاهرة 1963، تحقيق أمين الطباع.
(101) تحقيق إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية بالقاهرة 1957.
(102) تحقيق الدكتور صالح الأشتر، طبعة دمشق 1961.
(103) ذكره في كتابه : **الحلة السيراء** : 235 و264 و269 تحقيق : حسين مؤنس، طبعة القاهرة سنة 1963.
(104) **أبو المطرف** : 293.
(105) **نفسه** : 287.

5 ـــ توظيف الأدب توظيفا تربويا :

وظف أبو الربيع مؤلفاته الأدبية توظيفا تربويا وتعليميا وتوجيها، وقصد منها إلى إحداث فائدة عند المتعلمين متعددة الجوانب، منها ما يتعلق بالجانب اللغوي، ومنها ما يتعلق بالجانب الأخلاقي.

ففي الجانب اللغوي، اهتم بوضع تآليف تهدف إلى تصحيح الاستعمال اللغوي للكلمات وضبطها، بالشكل التام والصحيح، وإيراد مختلف المترادفات والأضداد والمثنيات والمثلثات مع استعمالها في أساليب عربية فصيحة، وصياغتها في قوالب متعددة، وتقديمها للمتعلم داخل إطار تأليفي متكامل وإنشاء محكم، فألف نكتة الأمثال استعمل فيها الأمثال العربية التي وردت في كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام استعمالا أدبيا عاليا لتكون نماذج للترسل العربي. وألف جهد النصيح موشحا بألفاظ «الفصيح» ومستدركا عليه العديد من الأفعال والألفاظ والاستعمالات، وقدم ذلك في صياغة بلاغية راقية، وألف مجاز فتيا اللحن للاحن الممتحن، تطرق فيه إلى أساليب الملاحن التي تعلم المتأدبين لونا من فنون القول العربي الذي يدل لفظه على معنيين : معنى ظاهر قريب يقصد به التعمية، ومعنى باطن خفي يقصد به التورية، وألف المبهج ابتدع فيه الحكم، واخترع الأمثال على غرار الأمثال العربية السائرة.

أما الجانب الأخلاقي في هذه المؤلفات فيتجلى في حث الناس على قيم أخلاقية عالية منبعها التعاليم الإسلامية، فعالج المعاملات في البيع والشراء، وفي حياة الأفراد داخل الأسرة والمجتمع، وفي السياسة مع الملوك والأمراء، وقواد الجيوش والكتاب والعلماء، والقضاة وعامة الناس، وفي التربية والتعليم في مجالس تعليم الصغار والنشء، ولم يغفل صغيرة ولا كبيرة في هذه المعاملات إلا وعالجها بنوع من الحكمة والواقعية.

وإلى جانب المعاملات، اهتمت مؤلفاته بالسلوك الفردي والجماعي، سلوك الإنسان مع نفسه ومع أخيه الإنسان، واهتم بالنواحي النفسية وأرشد إلى أقوم السبل وأهداها إلى الطريق المستقيم، مستعملا في ذلك جملة من الأسس التي استمدها من كتاب الله العزيز وحديث رسوله، وأشعار القدامى وأمثالهم وأخبارهم، فتعددت جوانب الاستشهادات في مؤلفاته، وكثرت أمثلته من الحياة اليومية المعاشة.

ويبدو أن هذه الوجهة التعليمية التي اتجه إليها أبو الربيع في تآليفه لها علاقة وطيدة بعصره والمنطقة الشرقية من بلاد الأندلس، بل بالأندلس كلها، ويرجع ذلك إلى اللغة المستعملة عند الأندلسيين إذ لم يكن العامة يتعاملون فيما بينهم باللغة العربية الفصحى، وإنما كانت لهم لهجة عامية طاغية على أساليب القول في الحياة اليومية ظهرت واضحة في الموشحات والأزجال[106] وأمثال العوام[107]. ولم تكن «اللغة العربية التي يزعم المؤرخون أنها عمت الأندلس سريعا وتداولتها الشعوب هناك قد عمت بالفعل مختلف الطبقات وتداولتها جميع الفئات الشعبية، فأمست لسان الوجدان، وترجمان القلب والفكر عند سائر العناصر التي كان يتكون منها المجتمع الأندلسي في أبعد مراميه وأوسع حدوده. ولئن صح هذا الزعم فليست اللغة المعنية الشائعة على هذا الشكل هي اللغة الفصحى، لغة الأدب والشعر الرسمية، وإنما هي لغة عامية إقليمية كانت حصيلة تفاعل طويل المدى بين لغة الفاتحين ولغات السكان الأصليين. وأثر هذه العامية الأندلسية وطابعها في المفردات والتراكيب وأوزان الشعر بادي في الموشحات وفي غيرها من مستحدثات الشعر والأزجال العامية في الأندلس. وأما ما يؤثر عن الأندلسيين من قصائد الشعر الأصولي الاتباعي فقد كان من نتاج القرائح العربية هناك، وبتأثير من أصولية المشرق الشعرية ومن مؤشرات البنية الجغرافية الجديدة في آن واحد»[108].

ويرى الدكتور محمد بن شريفة أن العامية الأندلسية نشأت : «في ظروف تاريخية لا نكاد نعرف من أمرها شيئا ذا بال مثلها في ذلك مثل سائر اللهجات العربية، وهي على كل حال ثمرة انتشار العربية في بيئات جديدة متعددة العناصر واللغات ونتيجة اختلاط العرب الفاتحين بغيرهم من العجم والبربر ومظهر لما يطرأ على العربية عادة من التبديل والتغيير حتى يتكلم بها غير أهلها»[109].

---

(106) ديوان ابن قزمان د.ف. كرينطي، المعهد الإسباني العربي، مدريد 1980.

(107) **أمثال العوام** للزجالي، تحقيق : د. محمد بن شريفة، فاس 1975.

(108) **الشعر والبيئة في الأندلس** : د. ميشال عاصي، بيروت 2970.

(109) **أمثال العوام** للزجالي : 274/1. وانظر العرض الذي قدمه لبعض القواعد العامة في اللهجة الأندلسية : كالتنوين المفتوح، والإمالة وحذف همزة المضارعة، وحذف الياء من حرف الجر في، وزيادة الكاف في الفعل المضارع، والمساواة بين المذكر والمؤنث في فعل الأمر، =

اهتم علماء الأندلس بهذه العامية اهتماما بليغا، فألف الزبيدي كتابه **«لحن العوام»**[110] وألف ابن مكي الصقلي (501هـ) **«تثقيف اللسان وتلقيح الجنان»**[111] وألف ابن هشام اللخمي[112] **«المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان»**.

6 ـ تأثير أبي الربيع في معاصريه وفيمن جاءوا بعده :

أثر أبو الربيع تأثيرا بليغا في معاصريه، وحظي باحترام شيوخه وتلامذته على السواء، واستطاع أن يكون مجموعة من كتاب الأندلس المشهورين الذين برزوا كأعلام كبار جمعوا بين فنون النثر والنظم، وخلفوا مؤلفات عديدة في ألوان من الكتابة مختلفة، فألفوا في الحديث وفي التاريخ وفي اللغة وآدابها، وتركوا دواوين للأشعار وللرسائل التي ظلت فيما بعد نماذج للترسل العالي، وأثروا تأثيرا بليغا في جل من جاء بعدهم، وكان لهم الفضل فيما بعد في خلق طبقة من كبار الأدباء والمترسلين في الأندلس في القرون المتأخرة من تاريخ هذه المنطقة.

وأول من أشار إلى هذا التأثير البليغ الدكتور محمد بن شريفة في كتابه عن أبي المطرف بن عميرة إذ قال في معرض حديثه عن هذه الشخصية : «إن ابن عميرة وأمثاله من كتاب هذا العصر هم الذين مهدوا لظهور الكتاب الذين أتوا من بعدهم كابن الخطيب وغيره.. وكانوا القدوة المباشرة والنموذج الحي لهؤلاء، وآية ذلك أن رسائل ابن عميرة جمعت قبيل عصر ابن الخطيب بقليل على يد أحد المعجبين بأدبه وهو الأديب الإشبيلي الأصل ابن هانىء السبتي، وهذا يدلنا على اهتمام كتاب عصره بهذه الرسائل، وأنها كانت لديهم نموذجا يحتذى، والواقع أن الذي يدرس رسائل الكتاب الذين أتوا بعد ابن عميرة في القرن الثامن الهجري سواء في المغرب أو في الأندلس كابن هانىء المذكور والشريف الغرناطي وابن

= وإطالة الحركات، والحذف والترخيم، وحذف نون المثنى، وقلب إبدال بعض الحروف، وغلبة التصغير على الاستعمال... إلخ. من ص 281 إلى ص 298 من الجزء الأول.

(110) قام بتحقيقه ونشره : الدكتور رمضان عبد التواب، طبعة القاهرة، 1944، وانظر أيضا الحركة اللغوية بالأندلس لألبير حبيب مطلق، ص : 45.

(111) حققه ونشره الدكتور عبد العزيز مطر، القاهرة 1966.

(112) انظر **الدراسات اللغوية في الأندلس** لرضا عبد الجليل الطيار : 86.

شبرين وابن الخطيب وعبد المهيمن الحضرمي وغيرهم من مترسلي ذلك العصر يجد تأثير ابن عميرة قويا واضحا في رسائلهم، بل إن ظلال هذا التأثير قد امتدت حتى عصر السعديين، إذ نلمسها في رسائل عبد العزيز الفشتالي»[113].

وكانت لرسائل هذه الطبقة من الكتاب شهرة خاصة لما وصلوا إليه من بلاغة في القول، وقدرة على الصياغة الأدبية، والتحكم في أساليبها، وإخضاع الرسائل إلى حرف معين يلتزم به الكاتب كرسالة أبي عبد الله ابن الجنان التي بعث بها إلى أبي عبد الله بن عابد والتي التزم فيها حرف العين «فشاعت هذه الرسالة بالأندلس، وتنوقلت شرقا وغربا»[114].

وكان لمؤلفات أبي الربيع تأثير بليغ عند تلامذته ومعاصريه، فهذا أبو محمد بن هارون السماتي[115] ألف **«مقارضة الأجر الجزيل ومراوضة الصبر الجميل»** معارضا بها تأليف أبي الربيع **«مفاوضة القلب العليل ومنابذة الأمل الطويل بطريقة أبي العلاء المعري في ملقى السبيل»**. والظاهر أن هذه الرسالة كان لها تأثير خاص عند تلامذة أبي الربيع، فعارضها ابن الأبار القضاعي بـ«مظاهرة المسعى الجميل ومحاذرة المرعى الوبيل»[116]، وكان أبو القاسم أحمد بن حزب الله الأنصاري البلنسي يقوم بتدريسها ــ أي مفاوضة القلب العليل ــ بمدينة سبتة[117]. وفي مدينة تونس كان القاضي أبو العباس ابن الغماز يدرسها أيضا[118]، إلى جانب مؤلفات شيخه أبي الربيع **«كنتيجة الحب الصميم»** و**«الامتثال لمثال المبهج»**[119] وكتاب **«الاكتفاء»** و«مصباح الظلـم»[120]. وبالقاهرة أيضا انتقلت مؤلفاته على يد تلميذه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر عيسى بن محمد بن زياد العبدري، وكانت تدرس وتنسخ منها **«نكتة الأمثال»**

---

(113) **أبو المطرف** : 219.

(114) **الذيل والتكملة** : 330/5.

(115) **برنامج الوادي آشي** : 299.

(116) نسخة المكتبة الأحمدية بتونس، رقم : 15053.

(117) **برنامج التجيبي** : 259.

(118) **برنامج الوادي آشي** : 297.

(119) **المصدر نفسه**.

(120) **المصدر نفسه** : 223.

و**«جهد النصيح»**[121]، وظلت بعض مؤلفاته حتى عصور متأخرة محط عناية العلماء والكتاب ككتاب **«الاكتفاء»** الذي أعقب ثلاثة مؤلفات :

1. مغاني الوفاء لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام البناني (1132هـ)، وهو شرح على كتاب **«الاكتفاء»**.
2. حاشية على الكلاعي لأحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني الأندلسي (1146هـ)، وهي الحاشية التي أشار إليها محمد بن الطيب القادري الحسني في كتابه **«الإكليل والتاج»**[122] في ترجمة الغساني، وأشار إليها صاحب كتاب **«فتح المتان في شرح قصيدة ابن الونان»**[123].
3. **«تحفة الظرفاء في جمع ما في الاكتفاء من الرسائل النبوية والصحابة والخلفاء»**[124] لمحمد بن أحمد بن الحسن اليحمدي، يرجع تاريخ تأليفها إلى سنة 1164هـ.

كما نجد نقولا من هذا الكتاب في مؤلفات متأخرة كمؤلف **«اقتطاف الأزهار من حدائق الأفكار»**[125] الذي ألفه مولاي عبد السلام بن مولاي سليمان العلوي سنة 1198هـ.

أدرك الدارسون المعاصرون تأثير أبي الربيع في دراساتهم لتلامذته كالدكتور صالح الأشتر الذي يقول في حديثه عن ابن الأبار : «ويمكننا أن نعد أبا الربيع بن سالم في طليعة شيوخ ابن الأبار، فقد لزمه قرابة عشرين عاما، وأبو الربيع أكبر محدث في عصره، وأشهر علماء الأندلس في زمانه، وهو الذي علم ابن الأبار صناعة الكتابة وأورثه إياها»[126]. وذكر محقق **«درر السمط في خبر السبط»** أن أبا الربيع كان «أكبر شيوخه وأكثرهم تأثيرا في حياته». وأشار إلى بعض جوانب تأثره بشيخه في قوله : «احتذى ابن الأبار شيخه أبا الربيع في أشعار مدح النبي

---

(121) المخطوط رقم : 15053، المكتبة الأحمدية بتونس.

(122) مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط، رقم : 1897.

(123) **مقدمة الاكتفاء**، تحقيق : هنري ماسيه، ص 46.

(124) **تحفة الظرفاء**، قسم الوثائق والمخطوطات بالرباط رقم : 4165.

(125) وردت فيه نقول من الاكتفاء في ص : 23، 24، 129، 273، 390، 397، 452.

(126) **إعتاب الكتاب** : 9.

ﷺ وجاراه في إحدى قصائده النبوية وزنا وقافية ورويا»[127]. وأشار إلى هذا التأثير أيضا الدكتور محمد بن شريفة في حديثه عن أبي المطرف بن عميرة وشيوخه قائلا : «وقد تأثر ابن عميرة بهؤلاء الشيوخ جميعا، ولكن الأثر الأكبر كان لأبي الربيع الكلاعي في الشطر الأول»[128].

7 ــ هجرة الثقافة الأندلسية إلى شمال افريقيا :

عرف الأندلسيون هذا النوع من الهجرة منذ دخول المرابطين وتبعية الأندلس لحكمهم، فقد انتقل عدد من العلماء إلى حضرة مراكش لتأديب أبناء الأمراء، وعرفت هذه الظاهرة على عهد الموحدين نوعا من التوسع، فقد «غدت العلاقة بين الأندلس والمغرب في هذا العهد أمتن وأوثق مما كانت عليه من قبل، ودخل المغرب ــ ضمن من دخل ــ عدد من علماء اللغة والنحو الأندلسيين للاتصال بالبلاط الموحدي وإقامة علاقات وثيقة به، وتدريس أولاد الخلفاء ــ وهناك مؤلفات أهديت إليهم ــ أو التدريس هناك عموما»[129]. وقد حفلت كتب التراجم بأسماء هؤلاء الأعلام، وحملت إلينا نبذا عن حياتهم ونشاطاتهم الثقافية وانتاجاتهم الفكرية.

ليست هذه الهجرة الفردية هي ما أقصد إليه في هذا الموضوع، وإنما أقصد إلى الهجرة الجماعية لعلماء الأندلس وأدبائها، خاصة ما شهده شرق الأندلس بعد سقوط بلنسية سنة 636هـ من رحيل عدد من سكانه بأسرهم وعائلاتهم إلى بر العدوة للاستقرار بإحدى مدنه، وأول مدينة كانت تصل إليها وفود اللاجئين هي :

1) سبتة[130] : نظرا لأنها أول ميناء يقابل البحر من الأندلس إلى المغرب

(127) **درر السمط في خبر السبط** : 50.

(128) **أبو المطرف** : 80.

(129) **الدراسات اللغوية في الأندلس** : 26.

(130) انظر اتجاهات أدبية وحضارية، كتاب **الامتاع**، لابن الدراج السبتي، دراسة وإعداد الدكتور محمد بن شقرون، ص/ج.
ألف حول هذه المدينة وازدهار الحركة العلمية بها كتاب «**الحركة العلمية في مدينة سبتة خلال القرن السابع**» لاسماعيل الخطيب، منشورات جمعية البعث الإسلامي، تطوان/المغرب. رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا من دار الحديث الحسنية بالرباط.

ولأن بها واليا بلنسيا هو أبو علي بن خلاص الذي قصده أهل مدينته والتجأوا إليه لعطفه عليهم وبره بهم، وترحيبه بأدبائهم وعلمائهم واستعمالهم في المناصب، و«تكونت حوله حاشية تتألف من بعض الشعراء والكتاب الأندلسيين مثل الشاعر الإشبيلي المشهور ابن سهل الذي أصبح شاعر دولته، وكانت حضرته زمنا مقصد بعض الأعلام كأبي الحسن الرعيني الذي كتب عنه مدة قبل أن ينتقل إلى بلاط الموحدين في مراكش، وأبي عبد الله بن الجنان، وأبي الحسن العشبي، وأبي الحسن ابن زنون الذي صنف له كتابا في مشاهير الخيل، كما لجأ إليه بسبتة بعض الرؤساء الأندلسيين الذين غلبوا على أمرهم وسلبوا ملكهم في الأندلس كابن الرميمي الذي كان وزيرا لابن هود ثم أميرا لالمرية وحين غلبه ابن الأحمر عليها أوى إلى سبتة بأهله وحاشيته حيث أنزله ابن خلاص في بساتين بنيونش»[131].

كان طبيعيا بعد هذا أن تشهد هذه المدينة ازدحاما كبيرا بسبب توالي وفود اللاجئين عليها من الأندلس خاصة من : بلنسية وشقر وشاطبة وغيرها من المدن الشرقية التي سقطت في أيدي المسيحيين، كما كان طبيعيا أن تشهد سبتة غلاء الأسعار بعد انتشار المجاعة الكبرى التي اجتاحتها سنة 637هـ مما «جعل الوالي البلنسي المذكور يهتم بأحوال هذه الجالية من أهل بلده ويسعى لدى الخليفة الموحدي الرشيد بقصد إبلاغه ما أصابهم من الجلاء وتوابعه»[132].

2) مراكش : ثاني مدينة توجهت إليها وفود اللاجئين الأندلسيين، إذ عمل أمراء الموحدين على إيواء المهاجرين، وتوظيف الأدباء منهم والعلماء، فقلدوهم مناصب القضاء والكتابة، و«توافد على مدينة مراكش بسبب إجلاء المسلمين عن حواضر الأندلس عدد كبير من أهل العلم والأدب المتشوفين إلى المناصب والطامعين في التقرب إلى السلطان والحظوة عنده، وقد تجمع منهم في عهد الرشيد الموحدي ــ وسنوات حكمه سنوات عجاف ــ عدد ضاقت بهم الحضرة، فأسند إلى بعضهم أشغالا في الأقاليم، وانتقل بعضهم إلى الحفصيين في تونس كابن عميرة المخزومي وحازم القرطاجني، وقنع آخرون بعيش الكفاف في بلاط الرشيد، والقول

(131) **أبو المطرف بن عميرة** : 137.

(132) **المرجع نفسه** : 119.

في مناسبات تافهة»[133].

ولم تكن عناية الخليفة الموحدي مقتصرة على العلماء والأدباء بل عمت عنايته كل النازحين من شرق الأندلس، فأصدر ظهيرا باقطاع مدينة رباط الفتح لهذه الجالية، وكان لأبي المطرف بن عميرة شرف تحرير هذا الظهير، إذ كان كاتبا للخليفة الرشيد في هذه الفترة (سنة 637هـ)[134].

3) **الرباط** : شهدت هذه المدينة ـــ بعد ظهير الخليفة الموحدي ـــ تقاطر الأندلسيين عليها واستقرارهم بها، فأنشأوا بها الدور، وتعاطوا للفلاحة والزراعة وولى الخليفة على قضاء هذه المدينة ومدينة سلا أبا المطرف بن عميرة المخزومي، الذي كان نفاعا لأهل الأندلس بماله وجاهه فأصبح «ملجأ يأوي إليه الوافدون ممن نكبوا بالجلاء أو لزمهم دين من جراء افتكاك أنفسهم أو ذويهم من الأسر، فكان يتعهدهم برعايته وينفعهم بجاهه ويستوصي بهم أصدقاءه من ذوي النفوذ في الحضرة المراكشية وغيرها»[135].

كما شهدت هذه المدينة ـــ وفي هذه الفترة ـــ نشاطا أدبيا كبيرا تجلى في عدد المراسلات والمخاطبات الشعرية والنثرية التي كان الأدباء الأندلسيين يتبادلونها فيما بينهم وبين إخوانهم في باقي أقطار المغرب والأندلس، وقد أشار ابن عميرة في رسائله إلى ازدهار الإنتاج الأدبي في هذا العهد كرسالته إلى ابن مفوز التي يقول فيها : «والأشعار في هذا الوقت كثيرة، والرسائل في كل فن شهيرة، والوقت لا يسع تقييد ما أردت أن تقف عليه منها، ولعل ذلك يكون والدار صقب والمزار كثب»[136].

4) **بجاية** : أصبحت هذه المدينة بعد هجرة الأندلسيين إليها مركزا من أهم المراكز الثقافية، فقد تعددت مجالس العلماء بها، وقصدها مستوطنا عدد كبير من علماء وأدباء شرق الأندلس، و«أصبحت هذه المدينة بعد سقوط أكثر القواعد

---

(133) **أمثال العوام** : 40.

(134) **أبو المطرف** : 122.

(135) **نفسه** : 127.

(136) **نفسه** : 128.

الأندلسية في يد المسيحيين تموج بالمهاجرين الأندلسيين الذين توافدوا عليها من مختلف الجهات وأصبحوا يكونون فيها العنصر الثاني بعد الافريقيين، وقد كان وجود هذه الجماعة الأندلسية في بجاية من عوامل ازدهارها العلمي في هذا العصر»[137]، وهذا أمر طبيعي إذ استوطنها عدد من العلماء الأندلسيين الكبار منهم من أقام بها إلى أن توفي كأبي بكر بن محرز البلنسي، وأبي عبد الله ابن الجنان. ومنهم من استوطنها مدة ثم رحل عنها إلى تونس وغيرها من الأمصار كابن الأبار القضاعي، وأبي العباس ابن الغماز البلنسي، وأبي المطرف بن عميرة، وابن برطلة المرسي. وعمل جميعهم على خلق مجالس علمية ساهمت في ازدهار الحركة الفكرية في هذه المدينة في القرن السابع الهجري، فألف أبو العباس الغبريني كتابه «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية» ترجم فيه للعديد من الأندلسيين والمستقرين أو المارين بهذه المدينة. ويلاحظ أن أكثرهم وأشهرهم كانوا ينتمون إلى شرق الأندلس، ولم تكن مجالسهم العلمية قاصرة على حلقات الدرس بالمساجد، بل كثيرا ما كانوا يعقدونها في بيوتاتهم. ولعل أبرز بيت ساهم في خلق هذه الحركة العلمية هو بيت أبي بكر بن محرز الزهري إذ «كان رأس الجماعة الأندلسية ببجاية، كل كان يأتي إلى منزله، وعنده مجتمعهم، أبو عبد الله بن الأبار وأبو المطرف بن عميرة وأبو بكر بن سيد الناس وأبو عبد الله بن الجنان وغيرهم.. كان هو شيخ الجماعة وكبيرهم»[138].

5) تونس : تعتبر هذه المدينة نهاية المطاف لأغلبية المهاجرين الأندلسيين ــ وإن كان بعضهم قد انتقل إلى مصر أو إلى مكة ــ[139] إلا أن أغلبيتهم استقرت أخيرا بهذه المدينة، واختارت الإقامة بها. ولعل ذلك راجع لعدة أسباب منها :

أ) السعي وراء المناصب العالية في الدولة، والعمل للحصول على الجاه والرفعة في بلاط الحفصيين، إذ كانت هذه الدولة في بداية ازدهارها وقوتها وغنائها، وكان

---

(137) **نفسه** : 147.

(138) **عنوان الدراية** : 287.

(139) كانتقال أبي عبد الله بن زياد العبدري إلى القاهرة، وأبي بكر بن مسدى إلى مكة.

الأندلسيون يحصلون فيها على مناصب الكتابة والقضاء، ويحظون عند أمرائها بالإعزاز والتكريم.

ب) الرعاية التي كان الحفصيون يحيطون بها هؤلاء المهاجرين الأندلسيين كرعايتهم لبني مرذنيش الذين استوطنوا مدينة تونس وكانوا أمراء على بلنسية، وبني الرميمي الذين كانوا أمراء ألمرية، ورعايتهم لغيرهم من المهاجرين، وإتاحة فرص العمل لهم سواء في بلاطاتهم أو في الأقاليم.

ج) العلاقة القديمة والوطيدة بين الحفصيين وبين الأندلسيين، إذ سبق للأمراء الحفصيين أن تولوا مناصب الإمارة بالأندلس على عهد الدولة الموحدية، وكان لشرق الأندلس المبادرة في إرسال بيعته إلى الدولة الحفصية على عهد زيان بن مرذنيش[140].

د) الدور الذي لعبه أبو المطرف بن عميرة في إيواء المهاجرين وتوطينهم، فقد تمكن «بفضل نفوذه في البلاد ومكانته الرفيعة عند السلطان وصلاته المتينة برجال الدولة من أن ينفع بجاهه كثيرا من مواطنيه الأندلسيين ويساعدهم في الحصول على مناصب بدواوين الدولة ووظائفها»[141].

وقد عرفت تونس ازدهارا أدبيا واقتصاديا كبيرا بفضل هؤلاء المهاجرين من الأندلسيين، «فقد كان عدد من نزلها من الأندلسيين عظيما وكان الكثيرون منهم سلائل أسر عريقة، لها في تاريخ الأندلس السياسي والعلمي أثر بعيد»[142]، وهم الذين تولوا نشر الثقافة الأندلسية، وساهموا في تعميم ألوان الحضارة بها، وكانت لهم مشاركة فعالة في كل أوجه النشاط العلمي والاقتصادي، «فقد أدخلوا إليها أساليب زراعية جديدة وأسهموا بقسط وافر في تدعيم الحياة الإدارية، وشاركوا مشاركة فعالة في نشر الحركة العلمية والأدبية»[143]. وحرص أغلبهم — ممن تولوا المناصب الإدارية في الدولة — على الابتعاد عن الخوض في المغامرات

---

(140) أبو المطرف بن عميرة : 142.

(141) المرجع نفسه : 155.

(142) الحلة السيراء : 40.

(143) أبو المطرف : 154.

السياسية واتجهوا إلى الاهتمام بالعلم والقضاء[144].

إن تأثير هذه الجالية الأندلسية يظهر بجلاء ووضوح فيما ألف من مؤلفات في القرن الثامن الهجري، إذ تعكس هذه المؤلفات الوجه المشرق للازدهار الفكري والحضاري الذي عم هذه المدينة، كما أنها تبرز جوانب الثقافة العربية الأندلسية التي سادت في هذه الفترة والتي كان لتلامذة أبي الربيع فيها دور هام، منهم : ابن الأبار القضاعي، وأبو المطرف بن عميرة، وأبو الحسن بن مفوز الشاطبي، وأبو العباس بن الغماز، وغيرهم.. وأبرز المؤلفات التي وصلتنا عن هذه الفترة، والتي نقلت إلينا أوجه هذا النشاط، وعرفتنا على هذه النهضة العلمية هي كتب الرحلات وكتب البرامج.

فمن كتب الرحلات : رحلة العبدري، ورحلة ابن رشيد السبتي، ومن كتب البرامج : برنامج الوادي آشي، وبرنامج التجيبي، وكلها كشفت النقاب عن المؤلفات الأندلسية في القرن السابع الهجري، والتي كانت محط العناية والدراسة، وأسهمت في خلق عدد من الأدباء والعلماء الذين حملوا لواء المعرفة في هذا الجانب من العالم الإسلامي، واستطاعوا أن يحافظوا على جذوة العلم متأججة بما كانوا يمدونها به من دراسات ومؤلفات في مختلف ألوان الثقافة العربية.

(144) الحلة السيراء : 41.

الباب الثالث

دراسة كتاب «جهد النصيح»

الفصل الأول
منهجية المؤلف في الكتاب

1 ـ المقدمة :

بدأها بالحمد والشكر على نعمه المتعددة، سائلا أن يهبه الوسائل التي تتيح له تمجيد الخالق، وقد عددها في : الفراغ الذي يسمح للفكر أن يسبح في تمجيد الله، واللسان الذي يكون مبادرا متأهبا للتعبير متى دعي إلى ذلك، والقلب المملوء إيمانا، والمعرفة بقدر عارفة الإسلام. ثم انتقل إلى الصلاة على الرسول النموذج الأعلى للفصاحة العربية والسلام على آله وصحبه.

ثم انتقل إلى عرض موضوع الكتاب ومنهجه، فذكر أن الموضوع الأساس لجهد النصيح هو تمجيد الله وإسداء النصيحة الواجبة على المسلم لأخيه المسلم بقوله : «أَمَّا بَعْدُ، فَخَيْرُ مَا أَجَالَ ٱلْمَرْءُ فِيهِ أَقْلاَمَه وَاسْتَجْلَى ٱلْخَاطِرُ بِمُزَاوَلَتِه ظَلاَمَه، وَاسْتَعْمَلَ ٱلْمُتَكَلِّمُ فِيهِ كَلاَمَه وَظِيفَةُ تَمْجِيدٍ لِلَّهِ يُؤَدِّيهَا، وَنَصِيحَةُ إِرْشَادٍ وَتَسْدِيدٍ إِلَى أَخِيهِ ٱلْمُسْلِمِ يُهْدِيهَا، وَإِذَا تَهَيَّأَ لَهُ بِذَلِكَ بَعْضُ ٱلْوَفَاءِ، وَبَلَغَ بِهِ ٱلسَّعْيُ حَيْثُ يُخِيلُ مُقَارَبَةَ الِاكْتِفَاءِ، فَنِعْمَةٌ لِلَّهِ وَحْدَهُ عَلَيْهِ بِهَا ٱلْمَنُّ، وَوَسِيلَةٌ عَسَى أَنْ يَصْدُقَ بِقَبُولِهَا فِي كَرَمِهِ ٱلظَّنُّ»[1].

أما منهجه، فقد اختار لهذا التأليف حر الكلام، موشحا له بالألفاظ الواردة في كتاب الفصيح لثعلب، جاريا على نهج أبي العلاء المعري في **خطبة الفصيح** فقال : «وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرْتَقِيَ وَاثِقاً بِعَوْنِهِ إِلَى هَذَا ٱلْمَقَامِ، وَأَنْتَقِيَ فِي هَذِهِ ٱلسَّبِيلِ مَا أَمْكَنَنِي مِنْ حُرِّ ٱلْكَلاَمِ، مُوَشَّحاً بِالأَلْفَاظِ ٱلَّتِي اشْتَمَلَ عَلَيْهَا كِتَابُ **ٱلْفَصِيحِ**، مُسَاجِلاً فِي ذَلِكَ لأَبِي ٱلْعَلاَءِ ٱلتَّنُوخِيِّ وَلَكِنْ بِسَهْمِ ٱلْمَنِيحِ»[2].

(1) **جهد النصيح** : 6.

(2) **نفسه** : 6.

ثم اختار عنوانا للكتاب مترجما عن فحواه «وَقَدْ سَمَّيْتُهُ تَكْمِيلاً لِمَبْنَاه، وَتَعْيِيناً بِعُنْوَانِهِ لِمَعْنَاه، كِتَابَ **جُهْدِ ٱلنَّصِيحِ** وَحَظِّ ٱلْمَنِيحِ مِنْ مُسَاجَلَةِ ٱلْمَعَرِّي فِي خُطْبَةِ ٱلْفَصِيحِ، وَإِنَّهُ لَسِجَالٌ لِلنَّظَرِ ٱلسَّدِيدِ بِتَوْهِينِ تَعَاطِيهِ حُكْمٌ وَإِسْجَالٌ، وَإِلاَّ فَأَبُو العلاء أبو ٱلْعَلاَءِ وَمَنْ لِمُسَاجِلِهِ بِسَهْمِ ٱلْمَنِيحِ أَوِ ٱلْغِلاَءِ :

وَٱبْنُ ٱللَّبُونِ إِذَا مَا لُزَّ فِي قَرَنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ ٱلْبُزْلِ ٱلْقَنَاعِيسِ»[3]

ثم انتقل المؤلف لذكر الدوافع التي دفعته إلى هذا التأليف، وتتلخص في شيئين : أولهما الفراغ الذي يعيشه ويحب قطعه بما يعود عليه من نفع عند الله، وثانيهما قوة بلاغته وإحساسه بهذه القدرة، وعرضها على المتعلمين للاستفادة منها. كما عرض منهجه في التأليف، إذ يتطلب الموضوع أن يتشعب الكلام إلى مواضيع فرعية قد يعتقد البعض أنها خارجة عن موضوع التأليف، وقد يميل إلى الإطالة التي يتطلبها التأليف، إذ الألفاظ الواردة في «الفصيح» لثعلب متبددة المعاني، ولذلك فالمؤلف مضطر إلى التشعب في الكلام لاستيفاء هذه الألفاظ ونظمها في تأليف متناسق ومتكامل، وهو بهذا التوضيح يقطع الطريق على كل متعقب ومنتقد.

وينهي مقدمته بالدعاء : «نَسْأَلُ ٱللَّهَ مَعُونَةً تَتَسَدَّدُ بِهَا هَذِهِ ٱلأَلْسُنُ، وَلاَ تَتَرَدَّدُ مَعَهَا إِلاَّ فِيمَا يَحْسُنُ، إِنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ»[4].

2 ــ الموضـوع :

سار أبو الربيع في تأليفه على نفس الأبواب الواردة في «الفصيح» لثعلب مع اختلاف بسيط[5]، والتزم بنفس ترتيبها، وهي واحد وثلاثون بابا :

1) باب فعلت بفتح العين.
2) باب فعلت بكسر العين.
3) باب فعلت بغير ألف.
4) باب فعل بضم الفاء.

---

(3) **المصدر نفسه.**

(4) **نفسه** : 3.

(5) في **الفصيح** ثلاثون بابا، بينما في **جهد النصيح** باب زائد بين باب المصدر وباب ما جاء وصفا من المصادر، ص 71 و81 و109.

5) باب فعلت وفعلت باختلاف المعنى.
6) باب فعلت وأفعلت باختلاف المعنى.
7) باب أفعل.
8) باب ما يقال بحرف الخفض.
9) باب ما يهمز من الفعل.
10) باب من المصادر.
11) باب منه.
12) باب ما جاء وصفا من المصادر.
13) باب المفتوح أوله من الأسماء.
14) باب المكسور أوله من الأسماء.
15) باب المكسور أوله والمفتوح باختلاف المعنى.
16) باب المضموم أوله.
17) باب المضموم أوله والمفتوح باختلاف المعنى.
18) باب المكسور أوله والمضموم باختلاف المعنى.
19) باب ما يثقل ويخفف باختلاف المعنى.
20) باب المشدد.
21) باب المخفف.
22) باب المهموز.
23) باب ما يقال للمؤنث بغير هاء.
24) باب ما أدخلت فيه الهاء من وصف المذكر.
25) باب ما يقال للمذكر والمؤنث بالهاء.
26) باب ما الهاء فيه أصلية.
27) باب.
28) باب ما جرى مثلا أو كالمثل.
29) باب ما يقال بلغتين.
30) باب حروف منفردة.
31) باب من الفرق.

التزم في نهاية كل باب بذكر آية قرآنية. أما ألفاظ الفصيح الموشح بها في

الكتاب فقد التزم بكتابتها بخط مغاير غليظ[6].

وأباح المؤلف لنفسه حرية التصرف في ذكر ألفاظ «الفصيح» وذلك بالتقديم والتأخير، و لم يلتزم بنفس الترتيب الذي وضعه ثعلب، فذكر مثلا : «عَسِيتُ» قبل «فَسَدَ»[7] و«نَحتَ» قبل «نَطَحَ»[8] ونَشَدْتُكَ ٱللَّهَ» قبل «حُسْ عَلَيَّ ٱلصَّيِّدَ»[9].

ويلاحظ أنه لم يذكر في آخر الباب الأول بعد ربط «ومَحَلَ الشيء يَمْحُلُ وَنَحَلَ جِسْمُه يَنْحُلُ»[10]. و لم يذكر قبله البيت المنسوب لأبي الأسود الدؤلي :

وَلاَ أَقُولُ لِقِدْرِ ٱلْقَوْمِ قَدْ غَلِيَتْ   وَلاَ أَقُولُ لِبَابِ ٱلدَّارِ مَغْلُـوقُ

كما لم يذكر «وَشَغَلَنِي عَنْكَ أَمْرٌ يَشْغَلُنِي» بعد «حَزَنَنِي ٱلأَمْرُ يَحْزُنُنِي»[11].

استعمل «ٱلْجَوْرَب» و«الكَوْسَج» بعد «أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ أَو فَرَقِ ٱلصُّبْحِ»[12].

وأتان رخل، فرس، ملحفة[13]. بينما وردت في الفصيح : ملحفة قبل أتان رخل، فرس[14].

وفي «باب ما جرى مثلا أو كالمثل» ذكر «عِنْدَ جُهَيْنَة» قبل «إِذَا عَزَّ أَخُوكَ»[15]، واستعمل «الطِّبِّيخ» بعد «ٱلْقِعْدَة»[16]، و«لِحْيَةٌ دَهِينٌ» قبل «كَفٌّ

---

(6) يظهر أن الناسخ لم يلتزم ذلك في كل المخطوط، فجاءت الألفاظ في بعض الأحيان مكتوبة بهذا الشرط وفي أحيان أخرى خالية منه.

(7) **جهد النصيح** : 275.

(8) **نفسه** : 279.

(9) **نفسه** : 292.

(10) **نفسه** : 11. وانظر **الفصيح** : 262.

(11) **نفسه** : 293.

(12) **نفسه** : 374.

(13) **نفسه** : 428.

(14) **الفصيح** : 308.

(15) **جهد النصيح** : 195، **والفصيح** : 437.

(16) **نفسه** : 41 ، **والفصيح** : 295.

خَضِيبٌ، وَعَيْنٌ كَحِيلٌ»[17].

أحيانا يضطر للتقديم والتأخير للتفريق بين معنيين جاءا على صيغة واحدة كالفعل «عام» بمعنى سبح و«عام» بمعنى اشتهى اللبن[18].

و لم يقتصر على إيراد ألفاظ الفصيح، وإنما استقرأ كل استعمالات[19] الفعل وحركاته عند جمهور اللغويين، مما يدل دلالة قاطعة على أن أبا الربيع ـــ وهو يؤلف خطبته ـــ كان يعتمد كمراجع عددا ضخما من المؤلفات اللغوية.

يدور موضوع التأليف كله حول الزهد بالمفهوم الإسلامي الصحيح فهو ليس رفضا للحياة الدنيا بقدر ما هو استغلال لهذه الحياة الفانية بما يضمن الجنة في الحياة الآخرة، ويتخذ شكل النصيحة التي أوجبها الإسلام على كل مسلم، وعمت هذه النصيحة حتى شملت كل جوانب الحياة الإنسانية الأسرية والإدارية والتجارية، و لم يغفل المؤلف كبيرة ولا صغيرة في الحياة إلا أشار إليها، وبين أخطاءها وصوابها، وأرشد إلى أقوم السبل إليها، مستمدا معينه من تجاربه الشخصية في هذه الحياة، موضحا الأخطاء البشرية التي تصدر من الإنسان في كل زمان ومكان، وقد اعتمد في إرشاده إلى الطريق القويم على ما جاء في كتاب الله العزيز، مستعينا في رسم معالمه بسيرة خير الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ ومعطيا المثل بآله وصحبه ـــ على جميعهم السلام ـــ.

3 ـــ الخاتمة :

لخص فيها نظرته إلى الحياة الدنيوية الفانية، فقبح كل ما يربط الإنسان بها من مال وبنين، وطموح وتقاعس، وجد ولهو، و لم يجد ما يعزز به رأيه فيها خيرا من كلام الله تعالى : ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فَتَرَاهُ مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾[20].

---

(17) **جهد النصيح** : 182، **والفصيح** : 427.

(18) **نفسه** : 43 ، **والفصيح** : 310.

(19) سَخُنَ بالفتح والضم والكسر، ص 308.

(20) **جهد النصيح** : 476.

الفصل الثاني

الدراسة

1 ـ الخصائص الموضوعية :

اهتم أبو الربيع في تأليفه هذا بعدة مواضيع تتصل بحياة الإنسان وسلوكه داخل مجتمعه، فوقف عند العديد من القضايا التي تمس جوهر الحياة الدنيا وكيف يمكن للإنسان أن يستغلها استغلالا حسنا يضمن به آخرة مرضية، ويحقق به سعادة دنيوية وأبدية. ويمكن التعرض لها وإجمالها فيما يلي :

1) النصيحة :

ألح على موضوع النصيحة، فجعل عنوان تأليفه : «جهد النصيح» كما أشار في مقدمته إلى أن الغاية من تأليفه هذا «نصيحة إرشاد وتسديد إلى أخيه المسلم يهديها». لذلك برزت النصيحة واضحة في مخاطبته للقارىء، كقوله : «المؤمن من يصبح على النصيحة للمؤمنين ويمسي، وحسبي أن حملتك على ما أحمل عليه نفسي»[1]. ولا يكتفي بإسداء النصح للآخرين، بل يود العمل بها، ويرشد الإنسان إلى قبولها، ويرجو لو وجد ناصحا له يسلك به طريق السداد، ويهديه إلى الرشاد، كقوله : «أَرِ نَصِيحَكَ ٱلْقَبُولَ، وَأْجْزِهِ عَمَّا أَوْلاَكَهُ ٱلْجَمِيلَ، فَبِوُدِّي لَوْ وَجَدْتُ مَنْ يَسْلُكُ بِي هَذِهِ ٱلسَّبِيلَ، أَمَا وَٱللَّهِ لَوْ ظَفِرْتُ بِنُصَحَاءَ يُؤَدُّونَ إِلَيَّ حَقَّ ٱلنَّصِيحَةِ وَيُعَالِجُونَ عِلَلَ تَقْصِيرِي وَتَفْرِيطِي بِنَتَائِجِ آرَائِهِمِ ٱلصَّحِيحَةِ لَقَلَبْتُ ٱلْقَوْمَ بِشُكْرٍ طَوِيلِ ٱلذَّيْلِ وَلَطَلَبْتُ إِلَيْهِمْ أَنْ يَمِيلُوا عَلَيَّ بِمِثْلِهِ كُلَّ ٱلْمَيْلِ وَلأَعْدَدْتُ لَهُمْ بِذَلِكَ أَعْظَمَ ٱلْحَقِّ، وَعَدَدْتُهُ أَكْرَمَ ٱلنَّيْلِ، وَمَنْ أَعْظَمُ مِنَّةً مِمَّنْ هَدَاكَ إِلَى

(1) جهد النصيح : 290.

ٱلصَّوَاب، وَأَدَّاكَ إِلَى ٱلسَّلَامَةِ وَٱلثَّوَاب، وَأَرْشَدَكَ وَقَدْ قَلَبْتَ ثَوْبَكَ حَيْرَة، وَمَا بِكَ قَلْبُ ٱلأَثْوَاب وَإِنَّمَا هُوَ ذُهُولٌ عَرَا وَسَدَرٌ أَدَّاكَ إِلَى مَا جَرَى، فَإِنْ أَيْقَظَكَ نُصْحٌ مِنْ قَرِيبٍ أَرِيب أَوْ حَبِيبٍ لَبِيب فَبِٱلْحَرَى»[2].

ويعجب لم تقدم إليه النصيحة فيعرض عنها بوجهه مشيحا : «زَوَى ٱلرَّجُل عَنِّي وَجْهَهُ مُعْرِضًا، لأَنْ غَدَوْتُ لَهُ بِٱلنُّصْحِ مُتَعَرِّضًا، يَا عَجَباً لَهُ يَزْوِيهِ، أَتُرَاهُ يَجْهَلُ مَا أَنْوِيهِ، وَإِنَّ زَيَّ ٱلْوَجْهِ لِلنَّصِيحِ لَمَئِنَّةٌ مِنْ إِثَارِ ٱلْقَبِيحِ»[3].

ويؤكد على أهمية النصيحة في أكثر من موضع[4] إذ جعلها وسيلته في التقرب إلى الله، فداوم على إسدائها للمسلمين، وإرشادهم إلى طريق الخير حتى أصبح هذا دينه وديدنه، كما كرر بعض الأقوال عن فضيلة النصح كقوله : «وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ ٱلأَجْرِ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ تَبِعَه»[5].

2) الأخـلاقيـات :

تعرض في هذا التأليف إلى كل الجوانب الأخلاقية في حياة الإنسان، فأعلى من شأن محامدها كالصدق، والإيمان، والإخلاص، والكرم، والإيثار، وغيرها.. ونهى عن مذماتها كالغدر، والبغي، والرياء، والكفر، والبخل، وأغلظ فيها القول للقارىء وبين مناحي ذمها :

فالغدر : شجب به أن يصدر من مؤمن في حق أخيه المؤمن، وأغلظ في ذلك القول، ووعد الغادر بأقصى العقوبات إن لم يتب إلى الله ويستغفر لذنبه، وذلك في قوله : «خَلِّ سَبِيلَ مَنْ غَدَرَ، فَلَبِئْسَ مَا أَوْرَدَ وَأَصْدَرَ، أَيَغْدِرُ ٱلْمُؤْمِنُ بِأَخِيهِ ٱلْمُؤْمِنِ، وَيَأْتِيهِ بِسُوءِ تَوَخِّيهِ مِنَ ٱلْمَأْمَنِ، كَأَنْ لَمْ يَعْلَمِ ٱلْغَادِرُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَيْهِ قَادِرٌ، أَمَا وَٱللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَعْمَدْ إِلَى ٱلتَّوْبَةِ وَٱلإِسْتِغْفَارِ كَمَا عَمَدَ فِي ذِمَّتِهِ إِلَى ٱلإِخْفَارِ،

(2) جهد النصيح : 290.

(3) جهد النصيح : 294.

(4) انظر الصفحات : 326 و327 و387-419-439.

(5) انظر الصفحة : 326 و419.

لَيَبْأَسَنَّ أَيَّ بُؤْسٍ، وَلَيَلْبَسَنَّ مِنَ ٱلثَّنَاءِ ٱلْمُعَجَّلِ وَٱلْجَزَاءِ ٱلْمُؤَجَّلِ شَرَّ لَبُوسٍ، وَلَيَهْلِكَنَّ مَا هَلَكَ ٱلْغَادِرُونَ، وَلَيَرِدَنَّ عَلَى مُقْتَضَى قَوْلِ ٱلصَّادِقِ ٱلْحَقِّ إِنَّا لَقَادِرُون»[6] .

الرياء : من الصفات التي كرهها المؤلف، ودعا المؤمن إلى تركها ونبذها في قوله : «غِظْتَنِي يَا صَاحِبَ ٱلرِّيَاءِ، فَاسْتَحِي مِنْ عَالَمِ سَرِيرَتِكَ حَقَّ ٱلْحَيَاءِ، لَوْ حُكِّمْتُ نَفَيْتُكَ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ ٱللَّهِ، مَا أَنْفِيكَ إِلاَّ لِتَسْتَبِينَ مَا لَحِقَكَ مِنَ ٱلإِشْتِبَاه»[7].

البخل : ذمه ذما شنيعا، ودعا على البخيل والمقتر والممسك واعتبره صفة من صفات الأراذل، ونزه المؤمن عن ذلك «مَا أَوْلَى يَدَ ٱلْمُمْسِكِ أَنْ تَشَلَّ، كِفَاءَ مَا احْتَجَنَ مِنْ مَالِ ٱللَّهِ وَغَلَّ»[8]. واقترن حديثه عن البخل بحديثه عن الكرم، فحض عليه وحث همم المؤمنين على العطاء إذ «الكَرَمُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ٱللَّهِ سُبْحَانَه، فَإِذَا خَصَّ بِهَا عَبْداً مِنْ عِبَادِهِ فَقَدْ حَسَّنَهُ بِذَلِكَ وَزَانَهُ»[9]. وضرب أمثالا لأنواع الكرم، وساق نماذج من كرام الإسلام[10]، وعدد كرم الله على عباده ونعمه التي لا تعد ولا تحصى.

الحسد : نهى عنه واعتبره داء فتاكا يصيب قلب الرجل فيأتي عليه، فعلى المؤمن أن يبعد هذا الداء عنه، ويأمره بقوله : «وَسِّعْ صَدْرَكَ لِمَنْ يَبْغِي عَلَيْكَ وَيَحْسُدُ، فَكَفَى بِٱلْبَغْيِ اعْتِدَاءَ، وَكَفَى بِٱلْحَسَادَةِ لَوْ عَقَلَ صَاحِبُهَا دَاءَ»[11].

التآخي والعداوة : نهى المؤلف عن العداوة وشجب بها ودعا إلى التآخي والتآزر في قوله : «صِلْ إِخْوَانَكَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ ٱلْبِرَّ وَٱلصِّلَةَ يَزِيدَانِ فِي ٱلأَعْمَارِ،

(6) **جهد النصيح** : 278.
(7) **جهد النصيح** : 294.
(8) **نفسه** : 285.
(9) **نفسه** : 285.
(10) انظر حديثه عن أبي الدحداح في **جهد النصيح** : 457.
(11) **المصدر نفسه** : 275.

وَيَذُودَانِ عَنْ مَصَارِعِ ٱلْبَوَارِ، وَيُفِيدَانِ مُؤْثِرَهُمَا كُلَّ ٱلإِيثَارِ، بِكَرَمِ ٱلثَّنَاءِ وَأَفْضَلِ ٱلآثَارِ، وَلاَ يَحْمِلَنَّكَ تِيهُ ٱلشَّبَابِ ٱلْمُقْتَبَلِ، عَلَى أَنْ تَقُولَ لِمُسْلِمٍ لاَ أُكَلِّمُكَ إِلَى عَشْرٍ مِنْ ذِي قَبْلٍ، إِلاَّ أَنْ تُفَارِقَ حَبِيباً إِلَى هَذَا ٱلْمِقْدَارِ، فَتَقُولَهَا مُتَفَجِّعاً لِمَا دَارَتْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهِ دَوَائِرُ ٱلأَقْدَارِ، وَعَلَى سَبِيلِ ٱلاِسْتِطَالَةِ لِمَسَافَةِ بَيْنِهِ وَٱلاِسْتِكْثَارِ، فَهَذَا عَسَى إِذَا أُنْطِقَ بِهِ ٱللِّسَانُ مُضْمَرُ ٱلأَسَى، وَأَمَّا إِرْسَالُ هَذَا ٱلْكَلاَمِ بِقَصْدِ ٱلْقَطِيعَةِ لِقَسِيمِكَ فِي ٱلإِسْلاَمِ فَمَجْلَبَةٌ للآثَامِ، وَمُخَالَفَةٌ لِلْقَائِلِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ ٱلصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ (لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ) فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»[12].

المدح والهجاء : أما المدح فرفض أبو الربيع أن يكون موجها لغير ذات الله، إذ هو المخصوص الوحيد بالمدح، إذ ما عطاء العبيد إلا لعطائه، وما منحهم وهباتهم إلا ما أمر به العلي القدير، فلماذا يترك المرء شكر مولاه على ما أولاه وأعطاه، ويتجه بشكره إلى عبيده، لذا وجه الخطاب إلى الشعراء والكتاب أن ينزهوا كلمهم عن تقريض المخلوقات، ودعاهم إلى تمجيد الخالق في قوله : «وَلْيَحْذَرْ مَنْ أُوتِيَ مِنْ تَنْمِيقِ ٱلْكَلاَمِ بَاعَا، وَأَنِسَ مِنْ نَفْسِهِ فِي ٱلنَّظْمِ أَوِ ٱلنَّثْرِ انْطِبَاعَا، أَنْ يَغْتَنِمَ لَهُ فِي سُوقِ ٱلدُّنْيَا نَفَاقَا، فَيَسْتَجْلِبَ مِنْ غَيْرِ خَزَائِنِ رَبِّهِ رِزْقاً وَاتِّفَاقاً، فَيَجْعَلَ شُكْرَ مَوْلاَهُ عَمَّا أَوْلاَهُ مِنْ إِبْدَاعٍ وَإِحْسَانِ ٱلتَّعَرُّضَ بِنَتَائِجِ إِحْسَانِهِ لإِنْسَانٍ، أَفَهَذَا جَزَاءُ ٱلْمُحْسِنِينَ، وَحَقُّ مَنْ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ مِنَ ٱلْخُرْسِ إِذْ جَعَلَهُ مِنَ ٱللَّسِنِينَ، وَلَعَمْرِي لَقَدْ رَخُصَ سِعْرُ ٱلْهِمَّةِ عَلَى مَنْ كَانَ ٱلشِّعْرُ لَهُ رَأْسُ ٱلذِّمَّةِ، إِذَا أَنْفَقَهُ ٱبْتِغَاءَ ٱلنَّفَقَةِ، وَأَطْلَقَهُ فِي مَسْرَحِ ٱلْغُلُوَاءِ ٱلْمُوبِقَةِ»[13].

ودعا الشعراء إلى تخليد مكارم الأخلاق، والحث عليها، وقصر الشعر للتذكير بالخلال الحميدة، وود لو سلك الشعراء كلهم سبيل عمرو بن الاطنابة في أبياته الشهيرة[14].

---

(12) **جهد النصيح** : 374.

(13) **نفسه**.

(14) انظر ص 439 والهامش فيه هذه الأبيات.

أما الهجاء فرفضه رفضا مطلقا لأن مادته تستوحي قوتها من هتك أعراض الناس، والتشهير بهم، وإلحاق العيوب بشرفهم.

3) السلــــوك :

اهتم بتوضيح النهج السوي الذي على المؤمن أن يسلكه سواء أكان رجلا أو امرأة أبا أو ابنا، أخا أو صديقا، معلما أو متعلما. كما وضح بعض إشكاليات العلاقة في الزواج والطلاق، وفي البيع والشراء وغيرها.. مما يمس حياة الإنسان اليومية المعاشة. واهتم بالرجل ورفض أن ينظر إليه أو يقيم حسب كمال جسمه، وضخامة قامته، ومدى جماله : «فَجَمَالُ ٱلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فِعْلُهُ جَمِيلا، لاَ أَنْ يَكُونَ جِسْمُهُ جَلِيلاً»[15]. وجمال فعله هو الذي يتحكم في سلوكه، فكابن عليه أن يكون بارا بوالديه[16]، وكزوج عليه أن يتحلى بحسن الخلق والسماحة[17]، وكأخ أكد عليه حق الأخوة الواجب عليه «إِنَّمَا هُوَ أُخُوكَ حَقُّهُ وَاجِبٌ عَلَيْكَ، فَانْظُرْ إِلَيْهِ بِٱلْعَيْنِ ٱلَّتِي تُحِبُّ أَنْ يَنْظُرَ بِهَا إِلَيْكَ»[18]، وكصديق يجب أن يكون جليس خير ناصحا مرشدا : «إِنَّ ٱلْجَلِيسَ ٱلصَّالِحَ يُبَيِّنُ لَكَ ٱلْمَصَالِحَ، وَجَلِيسُ ٱلسُّوءِ يَطْمِسُ لَكَ بِٱلظُّلْمَةِ وَجْهَ ٱلضَّوْءِ، فَٱلأَوَّلُ فِيمَا يُفِيدُكَ مِنْ مَقَاصِدِ ٱلنُّسْكِ صَيْدَلاَنِيٌّ يُحْذِيكَ ٱلْمِسْكَ أَوْ عَرْفَ المِسْكِ، وَٱلثَّانِي فِيمَا يُعَذِّرُ عَلَيْكَ مِنْ مَآخِذِ ٱلسَّدَادِ حَدَّاد، إِنْ لَمْ يُحْرِقْكَ بِشَرَرِهِ، أَتَاكَ دُخَانُهُ بِسِرِّ ضَرَرِه»[19]، وكمعلم فقد وجه إليه النصيحة في مهمته التربوية، فبين له أحسن الطرق المتوخية في تعليم الصبيان فقال : «وَيَا مُعَلِّمَ ٱلْخَيْرِ إِنْ صَرَفْتَ ٱلصِّبْيَانَ مُبَكِّرا، لَمْ تَعْدَمْ مِنْ آبَائِهِمْ مُنْكِرا لأَنَّهُمْ يُشغِّبُونَ ٱلسَّاحَةَ وَيَتَعَوَّدُونَ ٱلرَّاحَةَ، وَاعْتِيَادُهَا يُورِثُ سُوءَ ٱلْمَلَكَاتِ وَيُورِطُ رَاكِبِيهَا فِي ٱلْهَلَكَاتِ، وَإِنْ صَرَفْتَهُمْ مُظْلِما، كُنْتَ لِنُفُوسِهِمْ مُؤْلِما وَلَمْ تَفْقِدْ مِنْ

---

(15) جهد النصيح : 353.

(16) نفسه : 285.

(17) نفسه : 393.

(18) نفسه : 458.

(19) نفسه : 439.

أَذْكِيَائِهِمْ مُتَظَلِّما، وَإِنَّ حِفْظَ ٱلْجَمَامِ لِنِعْمَ ٱلْمَعُونَةُ عَلَى قَبُولِ ٱلإِفْهَام، وَأَعْدَلُ ٱلْمَآخِذِ فِيهِمْ تَأْخِيرُهُمْ عَلَى قَدَر، وَإِجْمَامُهُم لِلْغَدِ ٱلْمُنْتَظَر، فَاصْرِفْهُمْ هَكَذَا صَرَفَ ٱللَّهُ عَنْكَ ٱلأَذَى»[20]، وكقائد للجيوش وجهه إلى الطريقة المثلى لعمله في قوله : «أَيُّهَا ٱلْعَارِضُ عَلَى ٱلأَمِير إِنْ عَرَضْتَ كِتَابَ مَظْلُوم فَاجْهَدْ لَهُ وَاسْأَلْ أَمِيرَكَ عَدْلَه، وَإِنْ عَرَضْتَ ٱلْجُنْدَ عَلَيْهِ فَانْفَعْهُمْ مَا اسْتَطَعْتَ لَدَيْه، فَإِنَّهُمْ رِدْءُ ٱلإِسْلاَم وَحُمَاةُ ٱلسُّرُوجِ مِنْ شَفَقِ ٱلصُّبْحِ وَغَسَقِ ٱلظَّلاَم»[21]، وكأمير أوصاه بالعدل أولا، وثانيا بفرض الولاء والطاعة، وثالثا بالمحافظة على حقوق الله والعباد، إذ أن منصب الإمارة أخطر المناصب، «إِنَّ ٱلإِمَارَةَ شَأْنُهَا شَدِيد، وَعَقَبَتُهَا كَؤُود، وَالعَدْلُ فِيهَا أَمَارَةٌ غِبُّهَا مَحْمُود، فَلْيَكُنْ عَلَيْكَ فِي إِمْرَتِكَ لِلْعَدْلِ إِمْرَةٌ مُطَاعَةٌ، وَحَذَارِ وَفَّقَكَ ٱللَّهُ حَذَارِ مِنْ أَنْ تَكُونَ مِنْكَ لِبَضَائِعِهِ إِضَاعَةٌ، فَيُوشِكُ إِنْ فَعَلْتَ أَنْ تَرَى جُزْءَ ٱلْبِضْعَةِ مِنْ جَسَدِكَ ٱلْبَضُّ ٱلْغَضُّ وَقَدْ عَادَ بِضْعَةَ عَشَرَ أَوْ أَكْثَرَ بِأَلِيمِ ٱلرَّضِّ»[22].

أما المرأة فاهتم بها اهتماما كبيرا، وعرض للحديث عنها في أماكن متفرقة من كتابه كعنصر لا يقوم المجتمع الإنساني بدونه، وتعرض للحديث عنها وهي وليدة، وزوجة، وأيم. وتحدث عن أحوالها وهي منجبة، أو عاقر، حرة أو مملوكة. كما لم يفته أن يعرض لصفاتها الجسمية والخلقية، فكيف يرى المرأة وهي فتاة جارية ؟ يقول أبو الربيع : «رُبَّمَا وَهَبَكَ جَارِيَةً تُنْفِقُ جِرَاءَهَا فِي خَفَرٍ وَصَوْن، وَتُحْرِقُ نُظَرَاءَهَا بِمَا يَجْعَلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُنَّ مِنْ بَوْن»[23]. أما كزوجة فقد تكون محظوظة في زواجها، فتنعم بحياة أسرية مستقرة، وقد تكون على عكس ذلك، وليس للحسن أو عدمه دخل فيما قد تناله الزوجة من حب زوجها، إذ «رُبَّ حَسْنَاءَ طَالِق،

---

(20) جهد النصيح : 290.
(21) نفسه : 352.
(22) نفسه : 395.
(23) نفسه : 342.

وَشَرْهَاءَ لَيْسَ زَوْجُهَا لَهَا بِمُفَارِقٍ»[24]. وذكر أحوال الزوجة وهي منجبة أو عاقر، فإذا أنجبت غلاما ازدادت من قلب زوجها اعتلاقا، وإذا أنجبت جارية كرهها وتركها : «رُبَّ امْرَأَةٍ طُلِّقَتْ أَنْ جَاءَتْ بِجَارِيَةٍ لَمَّا طُلِقَتْ، وَإِنَّ رَبَّنَا ٱلْحَلِيمَ ٱلشَّكُورَ هُوَ ٱلَّذِي يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ ٱلذُّكُورَ، وَلَكِنَّ ٱلْجَاهِلَ يَسُوءُ مِنْهُ ٱلْخُلُقُ، وَإِذَا تَمَخَّضَ عَنْ أُنْثَى ٱلطَّلْقُ، وَلَوْ وَلَدَتْ مَكَانَ ٱلْجَارِيَةِ غُلاَماً لاَزْدَادَتْ مِنْ قَلْبِهِ عَلاَقَةً، وَطَلُقَ لَهَا وَجْهُهُ ثَلاَثَةً، وَلَطَلَقَ لَهَا يَدَهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ بِمَا يَمْلأُ ٱلْبَيْتَ»[25]. ويستغرب من أحوال المرأة في هذه الحياة وحبها للخلف، وقصور نظرها في حكمة الله سبحانه في خلقه للولود والعاقر، إذ لا تدري في أي الحالتين تكون سعادتها. «عُقِمَتِ ٱلْمَرْأَةُ فَضَجِرَتْ، وَعَقُرَتِ ٱلنَّاكِحُ فَوَدَّتْ أَنَّهَا عُقِرَتْ، يَا عَجَبَا لِلْعَقِيمِ تَتَشَوَّفُ إِلَى حَالَةِ ٱلسَّقِيمِ، وَيَا وَيْحَ ٱلْعَاقِرِ لَعَلَّ فِي ٱلْعُقْرِ سَدَاداً لِلْمَفَاقِرِ، وَلَعَلَّهَا إِنْ نَفَسَتْ غُلاَماً اسْتَقْبَلَتْ بِهِ أَنْكَاداً وَآلاَماً، أَوْ يَكُونُ ٱلْمَنْفُوسُ جَارِيَةً فَتَغْدُو ٱلأَقْدَارُ فِيهَا بِغَيْرِ مَأْمُولِهَا جَارِيَةً، وَٱلرِّضَا بِقَضَاءِ ٱللَّهِ أَوْلَى مَا اهْتَدَتْ بِهِ ٱلنُّفُوسُ ٱلْمُتَحَيِّرَةُ، وَرَجَعَتْ إِلَيْهِ ٱلنُّفَسَاءُ ٱلْمُتَخَيِّرَةُ»[26]. وقد تصاب المرأة في زوجها فتفقده، وتصبح أيما، فيرى المؤلف على هذه الايم أن تلزم جانب العفاف، والله كفيل أن يقيها مصاعب الحياة : «إِنَّ ٱلأَيِّمَ إِذَا أَمَّتْ جَنَابَ ٱلْعَفَافِ لِتُخَيِّمَ خَلِيقَةٌ بِأَنْ يَكْنُفَهَا ٱللَّهُ مِنْ ذُلِّ ٱلأَيْمَةِ وَيَقِيَهَا زَمَانَ ٱلْجَدْبِ مِنَ ٱلْعَيْمَةِ، فَتُصْبِحُ عَلَى وَهَنِ ٱلأَيُومِ غَنِيَّةً عَنِ ٱلْقَيِّمِ بِٱلْقَيُّومِ»[27]. وإذا قدر على المرأة أن أصيبت في سبي، وبيعت في سوق النخاسة، فعلى النخاس أن يتلطف في بيعها لمن يستأنس فيه مكارم الأخلاق ليكون رفيقا بها خاصة إذا كانت الجارية ذات جمال خارق : «يَا عَارِضَ ٱلرَّقِيقِ إِذَا عَرَضْتَ ٱلْجَارِيَةَ ذَاتَ ٱلْجَمَالِ ٱلرَّائِعِ، وَٱلْمَنْظَرِ ٱلأَنِيقِ فَرَغِّبْ فِيهَا مَنْ آنَسْتَ مِنْهُ خِلاَلَ ٱلتَّوْفِيقِ، وَلَعَلَّ ٱللَّهَ يَصُونُ

(24) جهد النصيح : 346.
(25) نفسه : 347.
(26) نفسه : 299.
(27) نفسه : 343.

جَمَالَهَا عَنِ ٱبْتِذَالٍ وَيُعَرِّفُهَا وَإِيَّاهُ قُرَّةَ ٱلْعَيْنِ فِي حَالٍ وَمَآلٍ»[28].

ويؤكد أبو الربيع في كل أقواله عن المرأة على الجانب الأخلاقي المتمثل في العفاف، إذ يعتبر جمال المرأة الحقيقي هو جمال الخلق، لأن جمال الشكل عرضة للتغيير : «رُبَّ ذَاتِ مُحَيّاً جَمِيلٍ أُصِيبَتْ فِي صَفْحَتِهِ ٱلْقَمَرِيَّةِ بِثُؤْلُولٍ فَانْصَرَفَتْ عَنْهَا ٱلْعُيُونُ مَهَانَةً، وَقَدْ كَانَتْ تُقَيِّدُ ٱلطَّرْفَ وَٱلْقَلْبَ صَبَابَةً وَضَنَانَةً»[29]. أما الأخلاق فدائمة، ولذا ينصح كل مقبل على الزواج أن يشترط في زوجته ــ أولا وأخيرا ــ الحصانة «فَيَا مُسْتَرْشِدِي فِي ٱلنِّكَاحِ، لاَ تَعْدِلْ بِٱلْحُرَّةِ ٱلْحَصَانِ، فَٱلْحَصَانَةُ أَزْيَنُ عَلَى ٱلنِّسْوَانِ، أَمَا وَٱللَّهِ لَصِفَةُ ٱلْحُصْنِ آكَدُ فِيهِنَّ عِنْدَ ٱلدَّيِّنِ الفَطِنِ مِنْ صِفَةِ ٱلْحُسْنِ، وَمَاذَا يُجْدِي جَمَالُهَا ٱلرَّائِقُ، إِذَا سَاءَتْ مِنْهَا ٱلطَّرَائِق»[30]. وفي معرض الزواج يتحدث عن ركن هام من أركانه هو الصداق، فيطلب من الناس ألا يغالوا في المهور : «وَإِذَا مَهَرْتَ ٱلْمَرْأَةَ فَلاَ تَجْعَلْ مَهْرَهَا كَبِيرا فَٱلسَّرَفُ لاَ يُفِيدُكَ مَعُونَةً، وَأَعْظَمُ ٱلنِّسَاءِ بَرَكَةً أَقَلُّهُنَّ مؤُونَة»[31]. ويشترط على المسلم أن يوفي صداقه بما يرضي الله وشريعته السمحاء، إلا أن تتخلى المرأة عن شيء منه عن طيب خاطر، فالشريعة تبيح ذلك، إلا أن أبا الربيع يأبى إلا أن يفي الرجل بالصداق إذ يعتبر ذلك من عظم الهمم : «إِذَا أَصْدَقْتَ ٱلْمَرْأَةَ فَوَفِّ صَدَاقَهَا وَوَازِ بِهِ اسْتِحْقَاقَهَا، فَإِنْ بَرِئْتَ بِهِ إِلَيْهَا أَخْلَصَكَ ذَلِكَ وَأَبْرَأَكَ، وَإِنْ طَابَتْ لَكَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلْهُ هَنَأَكَ يَا هَذَا وَمَرَأَكَ، وَإِنْ أَنِفْتَ مِنْ قَبُولِ هِبَتِهَا وَأَبَيْتَ إِلاَّ إِعْطَاءَ ذَهَبِيَّتِهَا فَأَنْتَ بِرَأْيِكَ أَمْلَك، وَيَحْسُنُ بِذِي ٱلْهِمَّةِ هَذَا ٱلْمَسْلَك»[32].

ويطالعنا المؤلف في ثنايا تأليفه برأي جريء ــ بالقياس إلى عصره وثقافته الدينية ــ وذلك فيما يتعلق بتعدد الزوجات، فهو يقف موقفا خاصا من هذا

(28) جهد النصيح : 353.

(29) نفسه : 402.

(30) نفسه : 335.

(31) نفسه : 291.

(32) نفسه : 319.

التعدد، بل يذهب بعيدا إلى درجة تمنّى تحريمه، لما يلحق بالرجل أساسا من تعب، ولما يسبب للأسرة من انقسام، قال، وبلهجة الآمر : «قُلْ لِلْمُسْتَكْثِرِينَ مِنَ ٱلنِّسْوَةِ، لَكَ فِيمَنْ تَقَلَّلَ مِنْهُنَّ أُحْسَنُ ٱلإِسْوَة، بِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ يَحْصُلُ لِلْمَرْءِ ٱلاعْتِصَام، وَيَسْهُلُ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ تُرْضِهِ ٱلاِنْفِكَاكَ مِنْ عُقْدَتِهَا وَٱلاِنْفِصَام، وَأَمَّا امْرَأَتَانِ فَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ٱلْمِحَنِ ٱلْمِتَان، فَلَيْتَهُمَا مُحَرَّمَتَان»(33).

4) الاخبـــار :

يحفل التأليف بتجارب إنسانية متعددة، ويحكي أخبارا عن الأمم السابقة والملوك والأفراد والحوادث التي يأخذ منها الإنسان العبرة الدينية أو الدنيوية، فذكر الجاهلية وجهلهم بحقيقة التوحيد وانسياقهم وراء عبادة الأصنام : «إِنِّي أَنْصَحُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِيِين الَّذِينَ كَانُوا يَأْكُلُونَ مَمْقُوتَ السُّحْتِ، وَيَتَعَامَلُونَ بِٱلْعُدْوَانِ ٱلْبَحْتِ، وَيَتَّخِذُونَ آلِهَتَهُمْ بِٱلصَّنْعَةِ وَٱلنَّحْت، فَلاَ تَعْجَبْ لِمَا نَحَتَ ٱلنَّاحِتُون وَاعْجَبْ لَهُمْ يَعْبُدُونَ مَا يَنْحِتُون»(34). وذكر حروب الأوس والخزرج، وكيف جاء الإسلام فآخى بين الحيين بعد حروب طاحنة، وعداوة قديمة، ومسح بتسامحه على القلوب : «يَا عَجَباً لِلْحَيَّيْن تَسَاوَرُوا بِالرِّمَاحِ وَتَلاَعَبُوا بِٱلأَرْوَاح، فَأَجْلَوْا عَنْ أَوْتَارٍ عُقُودُهَا مُبْرَمَة، وَحُقُودُهَا مُحْتَدِمَة، وَآلَى كُلُّ فَرِيقٍ لاَ آلَى لِشَمْلِ ٱلآخَرِ فِي تَضْرِيعٍ وَتَفْرِيق، فَكَسَرَتِ ٱلأَيَّامُ تِلْكَ ٱلشِّرَةِ، وَأَمِنَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ٱلْغِرَّة، وَسَفَرَ بَيْنَهُمْ سَفِيرُ ٱلنَّدَم فَنَادَى «لاَ تَسُبُّوا الإِبِلَ فَإِنَّهَا فِيهَا رُقُوُّ الدَّم» فَلَبَّوْا دَعْوَتَهُ بِٱلْقَبُول، وَاسْتَحَالَ لَبَناً دَمُ ٱلْقَتِيل، فَأَلَّفَ ٱللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ ٱلنِّفَار، وَتَكَفَّلَتِ ٱلدِّيَةُ بِإِنْصَالِ تِلْكَ ٱلأَسِنَّةِ وَٱلشِّفَار، فَعَادَ ٱلْحَيُّ جَمِيعًا، وَقَرَّتْ تِلْكَ ٱلْعُيُونُ بَعْدَ أَنْ سَخُنَتْ بِمَاءِ ٱلأَكْبَادِ دُمُوعا»(35). وأشار إلى فناء عاد بالريح الدبور لما أرسلها الله عليهم، قائلا : «وَأَمَّا الدَّبُور فَرُبَّمَا دَبَرَتْ لإِيعَاد، كَمَا جَرَى لِقَوْمِ عَاد، لَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ تَنَادُوا مِنْ أَنْدِيَتِهِمْ، أَنْ هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا، وَمَخِيلَةٌ بِٱلسُّقْيَا

(33) جهد النصيح : 441.

(34) نفسه : 278.

(35) نفسه : 327.

تُبَشِّرُنَا، بَلْ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ مَعْشَرَ ٱلأَشْقِيَاءِ، رِيحٌ تُدَمِّرُ بِأَمْرِ رَبِّهَا كُلَّ ٱلأَشْيَاءِ فَأَصْبَحُوا تَمُجُّ ٱلْعَيْنُ أَمَاكِنَهُمْ وَلاَ تَرَى إلاَّ مَسَاكِنَهُمْ»[36].

وتعرض لذكر بعض الملوك المتجبرين كالنمروذ متسائلا عن فنائه «وَإِلاَّ فَسَلْ نُمْرُوذاً مَاذَا كَانَ سَبَبُ حَتْفِه، وَهَلْ تَوَصَّلَتْ إِلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْفِه عَلَى رَغْمِ أَنْفِه»[37]. وذكر كسرى وعظمة ملكه وصور مآله في الآخرة : «إِنَّ كِسْرَى وَإِنْ حَمَلَ ٱلتَّاج، وَتَجَلَّلَ ٱلدِّيبَاج، لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ يَوَدُّ فِيهِ لَوْ كَانَ لاَبِسَ مِعْوَزٍ، وَمُمَارِسَ عَيْشٍ إِنَّمَا هُوَ سَدَادٌ مِنْ عَوَز»[38]. وقارن بين مكانة هرمز ومكانة عمر بن الخطاب في قوله : «وَقَدْ جِئْتُكَ بِفَصِّ ٱلْخَاتَمِ وَفَصْلِ ٱلْخِطَاب، فَأَيُّمَا أَفْضَلُ عِنْدَكَ قُلَنْسِيَّةُ هُرْمُزَ أَوْ قُلَنْسِيَّةُ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ، إِنَّ ٱلشَّرَفَ لَيْسَ فِي لآلِيءَ تُنْتَظَم، وَإِنَّمَا ٱلشَّرَفُ أَنْ يُمَجِّدَ ٱلْعَبْدُ بِطَاعَةِ ٱللَّهِ وَيُعَظِّم»[39]. ولم ينس أن يضرب لنا أمثالا من التاريخ لأشخاص شهروا بمواقف معينة وحوادث معلومة، فذكر مبادرة بني جحش بن رئاب للهجرة في سبيل الله[40]، وتصدق أبي الدحداح «بِحَائِطٍ فِيهِ سِتُّمِائَةِ نَخْلَةٍ قَدِ اكْتَمَلْنَ فِي ٱلصَّلاَح»[41]. وأعطى مثلا ــ على حسن الصبر على الاستشهاد في سبيل الله ــ ذا الجناحين جعفر بن أبي طالب الذي «دَعَتْهُ إِلَى مُؤْتَةَ دَوَاعِي ٱلْحَيْن، فَفَازَ بِمَوْتَةٍ أَفَادَتْهُ حَيَاةً طَيِّبَة، وَأَحْضَرَتْهُ نَفَائِسَ ٱلرَّحْمَةِ وَٱلرِّضْوَانِ وَمَا عَنْ مِثْلِهِ مُتَغَيِّبَة»[42].

5) الاعتـبـار :

دعا الناس إلى أخذ العبرة من النموذج الأعلى والأمثل للبشر وهو سيدنا محمد

---

(36) جهد النصيح : 288.
(37) نفسه : 383.
(38) نفسه : 382.
(39) نفسه : 440.
(40) نفسه : 420.
(41) نفسه : 457.
(42) نفسه : 405.

ﷺ، فهو المثل الذي يجب على كل فرد أن يتشبه به في أعماله وأخلاقه، والسير على سننه وهديه : «فَلاَ فَخْرَ إِلاَّ بِمَا كَانَ أَجْرَى عَلَى سَنَنِ ٱلْمُصْطَفَى ٱلْمُخْتَار، وَلاَ خَيْرَ بِخَيْرٍ يُؤَدِّي بِمُؤْثِرِهِ إِلَى ٱلنَّارِ، فَحَذَارِ عِبَادَ ٱللَّهِ مِنْ تَنَكُّبِ سُبُلِ ٱللَّه، وَتَعَدِّي حُدُودِ ٱللَّهِ حَذَارِ»[43].

وإذا كان ــ هو المصطفى المختار ــ قد أدى حق العبودية لله الجبار، فكيف بالمسلم العادي، أفلا يحق له أن يتبع الرسول في تواضعه أمام خالقه وأداء حق طاعته، إذ «مِنَ المَقَاصِدِ ٱلْمَفْقُودَةِ إِهْمَالُ حَقِّ ٱلْعُبُودِيَّةِ، فَفَارِقْ ذَلِكَ ٱلْفَرِيق، وَلاَ تَسْلُكَنَّ تِلْكَ ٱلطَّرِيق، فَقَدْ قَالَ مَنْ أَتَانَا ٱللَّهُ بِهِ هُدىً وَنُورَا، أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُورَا، وَلَمَّا خُيِّرَ سَلَكَ سَبِيلاً قَصْدا، فَقَالَ بَلْ نَبِيّاً عَبْدا، فَهَلْ تَجِدُ لِهَذَا ٱلْمَجْدِ نِدّاً، أَوْ تَقْدِرُ أَنْ تَتَجَاوَزَ فَوْقَ هَذَا ٱلْحَدِّ حَدّا»[44]. ولا يترك المؤلف موضعا يتحدث فيه عن التواضع ويحث فيه المسلم عليه إلا جاء بذكر الرسول وما كان عليه من تواضع، واضعا بذلك النموذج الأعلى أمام هذا الإنسان ليقتدي به ويستنير بهديه، ويتخذه أسوة. يقول ناصحا : «لاَ تَسْتَقِلَّ مَعْرُوفاً فَرَبُّكَ يُكْثِرُ قَلِيلَهُ وَيُرَبِّيهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَه، وَٱلْتَمِسْ أَبَداً مِنَ ٱلْعَمَلِ أَنْفَعَه، وَتَوَاضَعْ لِلَّهِ فَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَه، وَإِيَّاكَ وَخُلُقَ ٱلاِسْتِنْكَاف، مِنْ رُكُوبِ ٱلإِكَاف، فَقَدْ رَكِبَ الوِكَافَ خَيْرُ البَشَرِ وَفِيهِ أَكْرَمُ إِسوَةٍ فِي اطِّرَاحِ ٱلزَّهْوِ وَٱلأَشَر»[45].

6) الاتــعــاظ :

ساق بعض أخباره التاريخية لجعلها عبرة لمن يعتبر من الناس، وعظة يتعظون بها في هذه الحياة الفانية، فضرب مثلا بالفرس وعظمة ملكهم وكيف آلت إلى فناء، وتبذلت عزتهم ذلة. يقول : «كَمْ إِسْوَارٍ مِنْ أَسَاوِرَةِ ٱلْفُرْسِ أُولِي ٱلْمَجْدِ ٱلْخَطِيبِ وَٱلأَلْسِنَةِ ٱلْخُرْس، امْتَطَوا السُّرُوجَ يُغْشِي وَمِيضُهَا عَيْنَ ٱلشَّمْسِ،

(43) جهد النصيح : 447.
(44) جهد النصيح : 342.
(45) جهد النصيح : 385.

وَاسْتَشْعَرُوا مِنْ لَيِّنِ ٱللِّبَاسِ مَا لاَ يَكَادُ يُوجَدُ بِٱللَّمْسِ، فَسَرَتْ إِلَيْهِمُ ٱلْخُطُوبُ بَيْنَ ٱلْجَهْرِ وَٱلْهَمْسِ، فَصَدَّتْهُمْ عَنِ ٱلْوِرْدِ والخِمْسِ، وَعَاقَهُمُ ٱلْهَوْلُ عَنِ ٱلْكَفْرِ وَٱلرَّمْسِ، وَأَتَتْ عَلَى مُلْكِهِمُ ٱلْقَدِيمِ قُدْرَةُ ٱلْمَلَكُوتِ وَٱلْقُدْسِ، فَأَصْبَحَتْ مَنَازِلُهُمْ كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِٱلأَمْسِ، جَشَّمَتْهُمْ عِزَّةُ ٱلإِسْلاَمِ أَذَلَّ تَجَشُّمٍ، وَنَقَلَتْ سِوَارَ كِسْرَى إِلَى زَنْدِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، فَاعْتَبِرْ لِمَا تَأْتِي بِهِ ٱلأَقْدَارُ، وَاعْتَبِرْ فَرُبَّمَا نَفَعَكَ ٱلاِعْتِبَارُ»[46].

7) الوعد والوعيد :

رسم للمسلم طريق الهدى والمسلك التي يجب عليه اتباعها للوصول إلى الغاية التي يرجوها من هذه الحياة وهي الفوز بالجنة، فعدد الأعمال التي تساعد على إدراكها عبادة كانت : كالصلاة والحج والصوم والجهاد والزكاة، أو إنسانية : كالبر والصدقة والحث على فعل الخير، والتسامح. ووعد المجدّين في سلوك هذا السبيل بالجنة التي أعدت للمتقين، ولم يجد أفضل من آيات الله يصور فيها حالهم «أولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهُم في الغرفَات آمنون»[47]. ووجه في نفس الوقت وعيده لمن حاد عن الطريق المستقيم، وذكر الناس بما ينتظرهم من موت وحساب وعقاب وجزاء، رجالا ونساءا، فالموت «نَازِلٌ بِرَغْمِ ٱلأَنْفِ، عَلَى ذِي ٱلتَّاجِ وذَاتِ ٱلشَّنْفِ، وَهُوَ غَايَةُ ٱلْمُرْقِلِينَ وَأَوَّلُ مَنَازِلِ ٱلْمُنْتَقِلِينَ، لاَ يُنْجِي ٱلْمُتَوَّجَ مِنْهُ تَاجُهُ، وَلاَ بَيْنَ ٱلْمُشَنَّفَةِ وَبَيْنَهُ بَابٌ يَمْنَعُهَا إِرْتَاجُه، وَٱلشَّأْنُ كُلُّهُ فِيمَا بَعْدُ مِنْ هَوْلٍ تَرُوعُ أَمْوَاجُه، وَبَحْرٍ تَغُولُ ٱلسَّابِحِينَ أَثْبَاجُه، فَهَالِكٌ بِعَمَلِه فِي ٱلْهَوَالِكِ وَنَاجٍ بِمَا أَزْلَفَهُ مِنْ سَدِيدِ ٱلْمَنَاحِي وَحَمِيدِ ٱلْمَسَالِكِ»[48]. وللتأكيد على ما ينتظرهم، يسوق الآية القرآنية يصور بها مآل الحائدين عن سبيل الهدى. قال تعالى : ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق،

---

(46) جهد النصيح : 385.

(47) جهد النصيح : 390.

(48) جهد النصيح : 368.

وكنتم عن آياته تستكبرون﴾[49]، وهذا موقف لا محيد للإنسان عنه إذ لابد لكل واحد أن يذوق غصص الموت وأن يواجه الحساب والعقاب : «هَلْ لَكَ مَحِيدٌ عَنْ يَوْمِ ٱلْقِصَاصِ، فَأَعِدَّ لِلنَّجَاةِ مِنْ نَارٍ يَذُوبُ صَالِيهَا ذَوْبَ ٱلرَّصَاصِ»[50]. ولا يفوته أن يذكر المتمادي في التكالب على ملذات العيش وليس المهاد بما ينتظره إذا أغفل حق خالقه وأهمله، ويوجه إليه الخطاب متسائلا : «فَهَلْ تَجِدُ مَنْفَعَةً لِذَلِكَ ٱلصَّفِيفِ وَٱلْقَدِيرِ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلاَئِكَةُ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْقَدِيرِ، أَوْ هَلْ تَدْفَعُ عَنْهُ وَثَارَةُ ٱلشَّكِيرِ مَضَاضَةَ ٱلْوَقْعِ مِنْ إِرْزَبَّةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ»[51].

8) انتقاده لبعض المعتقدات :

انتقد بعض المظاهر التي لحظها في مجتمعه، والتي تعود إلى بعض المعتقدات الخاطئة، ونصح المسلم برفضها وعدم الاعتقاد فيها، كظاهرة التثاؤب وتأول الناس لعدواها، فقال : «أَوْمَأْتُ إِلَيْكَ فَافْهَمِ ٱلإِمَاءَ مَا عُذْرُكَ وَقَدْ رَقَمْتُ لَكَ ٱلْمَاءَ، إِنْ تَثَاءَبَ صَاحِبُكَ فَلاَ تُصَدِّقْ فِي دَعْوَى ٱلْعَدْوَى ٱلثُّؤَبَا»[52]، وقد لا يكتفي بالنهي عن الشيء وإنما يحلل ويعلل الأسباب التي تدعوه إلى رفض هذا الاعتقاد أو ذاك معتمدا على شروح دقيقة أقرب إلى العلمية منها إلى مجرد التخمين، ومن هذا القبيل رفضه لما تأوله الناس عن مسألة العطاس. يقول : «يَا عَجَباً لِلنُّفُوسِ عَطَسَ ٱلْعَاطِسُ ثِنْتَيْنِ فَقَالُوا : مَا أَحْسَنَ هَاتَيْنِ، فَإِنْ يَعْطِسْ وَاحِدَة تَأَوَّلُوهَا سَلاَمَةً حَاصِلَة، وَعَلاَمَةً بِٱلنَّجَاةِ شَاهِدَة، فَهُمْ مُتَرَدِّدُونَ بِبِضَاعَةِ رَأْيِهِمِ ٱلْمُزْجَاة، بَيْنَ ٱلنَّجَاحِ وَٱلنَّجَاة، وَرُبَّمَا جَعَلُوا ٱلْوَاحِدَةَ فِي بَابِ ٱلْمَطَالِبِ، عُنْوَانَ ٱلْحِرْمَانِ فِي ٱلْغَالِب، يَتَعَلَّلُونَ وَيَتَأَوَّلُونَ وَيَتَكَذَّبُونَ عَلَى أَقْدَارِ ٱللَّهِ وَيَتَقَوَّلُونَ، وَٱلْقَدَرُ مِنْ تَعَلُّلِهِمْ يَعْجَب، وَٱلأَيَّامُ بِإِبْطَالِ تَأَوُّلِهِمْ وَتَكْذِيبِ تَقَوُّلِهِمْ تَجِيءُ وَتَذْهَب، وَكُلُّ ذَلِكَ مَا لَهُ فِي قَضَاءِ ٱللَّهِ تَأْثِير، وَسِيَّانِ فِي حَاجَتِكَ بُكُورٌ قَبْلَ ٱلْعُطَاسِ أَوْ تَأْخِير، وَيَا

---

(49) **جهد النصيح** : 381.

(50) **نفسه** : 368.

(51) **نفسه** : 386.

(52) **نفسه** : 330.

لَيْتَ شِعْرِي مَا ٱلْجَامِعُ بَيْنَ فَضْلِ أَذىً يَدْفَعُهُ بِحِكْمَةِ ٱللَّهِ ٱلدِّمَاغ، وَبَيْنَ ٱلدَّلاَلَةِ عَلَى أَمْرٍ يَعْتَاضُ مِنْهُ ٱلتَّمَكُّنُ أَوْ يَسْهُلَ إِلَيْهِ ٱلْبَلاَغُ، وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَهُ عَلَى ذَلِكَ دَلِيلاً، وَاللهُ أَهْدِيَ سَبِيلا وَأَقْوَمُ قيلا، وَإِنَّمَا هِيَ بَقَايَا آثَارِ الجَهَلَةِ الأَوَّلِين، وَإِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ»[53].

وإذا كانت هذه المعتقدات لا تمس جوهر العقيدة الإسلامية ولا تدخل في مجال الشك في قدرة الخالق، فإن بعضها قد ذهب بعيدا ومن أجل هذا نصح المؤلف بعدم السكوت عليها والرد على القائلين بها كقوله عن العنين : «إِنْ وَلَدَتْ إِمْرَأَةُ ٱلعِنِّينِ فَقَالُوا مَا لِلْوِلاَدَةِ وَٱلتَّعْنِين، فَقُلْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً فَلاَ تُنْكِرُوا أَنْ تُخَصَّ ٱلْعِنِّينَةُ مِنْ هَذَا بِوَصْفٍ يُعْقِبُ بُنُوَّةً، وَهَبْكَ أَنَّ ٱلْعِنِّينَةَ بَائِنَةٌ فَمَا مِنْ نُفَسَةٍ بِكَائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ إِلاَّ وَهِيَ كَائِنَة، وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ، وَبِيَدِهِ سُبْحَانَهُ ٱلإِيجَادُ وَٱلإِنْشَاء»[54].

9) الفرائض والعبادات :

نبه المسلم حتى لا يغتر في دنياه ويكتفي بأداء الفروض الدينية أداءا سطحيا، معتقدا أنه أدى ما عليه من حقوق الخالق، لذا نبهه إلى مراعاة أداء هذه الحقوق على وجهها الأكمل ودعاه إلى التأمل في قوله : «وَٱللَّهِ لاَبُدَّ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمُغْتَرُّ بِٱلإِقَامَةِ مِنَ ٱلتَّرْحَال فَمَا أَعْدَدْتَ لِهَذِهِ ٱلْحَال، أَتَقُولُ أَدَّيْتُ مِنْ صَلاَتِي ٱلْفَرْضَ فَهَلْ أَنْتَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ قَبُولِ صَلاَتِكَ أَمْ تَقُولُ زَكَّيْتُ ٱلْعَيْنَ وَٱلْعَرْضَ، فَهَلْ حَصَلَ لَكَ ٱلْيَقِينُ بِضَمِّ ذَلِكَ إِلَى دِيوَانِ حَسَنَاتِك، أَمْ تَقُولُ صُمْتُ شَهْرَ ٱلصَّبْرِ مِرَارا فَمَنْ أَنْبَأَكَ أَنَّ ٱللَّهَ رَضِيَ مِنْكَ فِي ذَلِكَ إِعْلاَناً وَإِسْرَارا، أَمْ تَقُولُ حَجَجْتُ ٱلْبَيْتَ ٱلْعَتِيقَ ٱلْبَرَّ فَهَلِ اتَّخَذْتَ عِنْدَ ٱللَّهِ عَهْداً أَنَّ حَجَّكَ قَدْ بُرَّ، فَلَوْ عَلِمْتَ أَنْ قَدْ وَقَعَ مِنْكَ بِٱلْحَجِّ إِجْزَاءٌ لآنَسَكَ أَنَّ ٱلْحَجَّ ٱلْمَبْرُورَ لَيْسَ لَهُ غَيْرُ ٱلْجَنَّةِ جَزَاء»[55].

---

(53) جهد النصيح : 278.

(54) نفسه : 343.

(55) نفسه : 302.

وكرر نصيحته للمسلم بالحضّ على إقامة الصلاة في وقتها وعدم ارجائها، «الصَّلاَةُ هِيَ أُمُّ ٱلأَعْمَالِ ٱلصَّالِحَات وَرَأْسُ ٱلْمَتَاجِرِ ٱلرَّابِحَات، وَأُسُّ البَرَكَاتِ ٱلْغَادِيَاتِ وَٱلرَّائِحَات. وَقَدْ أَعْجَلَتْكَ فِي أَدَائِهَا وَعَجِلَتْكَ فِي تَجْهِيزِ هَذِهِ ٱلْفَوَائِدِ إِلَيْكَ وَإِهْدَائِهَا»[56]. ووضح بعض الجوانب التي تلزم المسلم في حجه كالإحرام والهدي في قوله : «إِذَا أَهْدَيْتَ هَدْياً إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْحَرَامِ فَلاَ يَلْزَمُكَ ٱلتَّلَبُّسُ بِٱلإِحْرَامِ، وَلَيْسَ بِتَوْجِيهِ ٱلْهَدِيِّ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُحْرِمَ وَأَنْتَ مُقِيمٌ فِي ٱلنَّدِيِّ، نَعَمْ إِذَا أَمَّمْتَ بِهَدْيِكَ ٱلْبَيْتَ لَزِمَكَ ٱلإِحْرَامُ وَإِنْ أَبَيْتَ»[57]. وحث على الأعمال الصالحة التي تقرب من الجنة كالجهاد والصدقة، فنصح المسلم بالجهاد محتسبا في سبيل الله لا مكتسبا : «أَيُّهَا ٱلْمُقْدِمُ أَمُحْتَسِبٌ أَمْ مُكْتَسِب، إِنْ نَوَيْتَ الاِحْتِسَابَ رَبِحَتْ تِجَارَتُكَ، وَإِنْ أَرَدْتَ الاِكْتِسَابَ فَمَا لَكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ إِلاَّ نَفَلُك وَإِجَارَتُك، وَهَبْكَ نَكَيْتَ ٱلْعَدُو، وَوَاصَلْتَ ٱلرَّوَاحَ بِٱلْغُدُوِّ، فَإِنَّمَا لَكَ مَا نَوَيْتَ، رَشَدْتَ فِي ذَلِكَ أَوْ غَوَيْت»[58]. هذا إذا استطاع الجهاد بنفسه وإلا فليبذل جزاءه بما يقرب إليه كإحباسه فرسا في سبيل الله : «وَلَوْ أَحْبَسْتَ فَرَساً فِي سَبِيلِ ٱلْجِهَاد لَكَانَ أَوْلَى بِحَسَبِ ٱلاِسْتِعْدَادِ، وَكَمْ فَرَسٍ مُحْبَسٍ فِي ذَلِكَ يَأْمَنُ مُمْتَطِيهِ ٱلْمَهَالِك، وَتَعُودُ عَوَائِدُ ٱلذُّخْرِ ٱلنَّفِيسِ عَلَى ٱلْمُحْبِسِ مِنْ ذَلِكَ ٱلْحَبِيس»[59].

وحث على الصدقة لما لها من أثر في تآلف المسلمين وتآخيهم : «وَلِلصَّدَقَةِ فِي حُصُولِهَا تَأْثِير، وَثَوَابُ ٱللَّهِ بِإِزَاءِ قَلِيلِهَا كَثِير، فَتَعَرَّضْ بِجَزِيلِهَا لِكَرَمِهِ ٱلْمُسْعِف، وَأَكْثِرْ لِلضُّعَفَاءِ تُضْعِف، إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُضْعِفِينَ»[60].

ولا يفوته أن يعدد نعم الله على عبيده متى حافظوا على هذه الأعمال وأدوها حق أدائها : «اِعْلَمْ أَنَّهُ مَا أَقَامَ ٱلنَّاسُ حُقُوقَ خَالِقِهِمْ ٱلْكَرِيم، وَشَكَرُوا إِنْعَامَ رَازِقِهِمْ

---

(56) جهد النصيح : 320.

(57) نفسه : 311، وانظر أيضا ص 293.

(58) نفسه : 329.

(59) نفسه : 311.

(60) نفسه : 380.

ٱلرَّؤُوفِ ٱلرَّحِيمِ، إلاَّ دَرَّتِ ٱلأَمْطَار، وَمُدَّتِ ٱلأَنْهَار، وَأَمَدَّ ٱللَّهُ جُيُوشَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِمَدَدٍ مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ مُسَوَّمِين يَفُلُّونَ الحَدَّ وَيَصْدُقُونَ الجِدَّ، وَمَا انْدَمَلَ لَهُمْ جُرْحٌ فِي ٱلأَعْدَاءِ وَلاَ أَمَدَّ، فَغُلِبَ ٱلْعَدُوُّ فِي أَدْنَى ٱلأَرْضِ وَأَنْآهَا، وَلَمْ يَصِلِ ٱلأَمَلُ فِي فَضْلِ ٱللَّهِ غَايَةً إلاَّ تَجَاوَزَهَا إِحْسَانُهُ سُبْحَانَهُ وَشَاءَهَا»(61).

2 ـــ الخصائص الأسلوبية :

ذكر المؤلف في مقدمته أن دوافعه لهذا التأليف «قطع الفراغ بما يوهم حسن المساغ، ودعوى في البلاغة لعل فيها للمنصفين والمستوصفين بعض البلاغ»(62). والقارىء لهذا النص يعجب كيف توفق المؤلف في إنشاء تأليف متكامل المواضيع، بليغ الأسلوب حول ألفاظ «**الفصيح**» رغم تبدد معانيها وتباعدها، وكيف استطاع بقدرته الإبداعية التنسيق بين كلمات لا رابط بينها، فنظمها في سلك تعبيري واحد متناسق المعاني، وأخضعها لمساق لغوي متكامل في أسلوب بلاغي ولو نظرنا إلى هذه الألفاظ على حدة [ضحكة ـــ هزأة ـــ ثؤلول ـــ بهلول ـــ زنبور](63) لما وجدنا رابطا يربط بينها، لكن المؤلف استطاع أن يضعها في تأليفه هذا ويجعلها في إطار تعبيري سليم، لا نشعر فيه بتباعد معانيها(64)، واختار لها من فنون البلاغة ألوانا، كالسجع، والجناس، والطباق، والمقابلة، والاستعارة، والكناية، والتشبيه.

1) السجـــع :

التزم المؤلف الأسلوب المسجوع على طريقة المؤلفين في الأندلس وإن كان الطابع العام له هو القائم على سجعتين. إلا أننا نجده أحيانا يختار ثلاث سجعات كقوله : «وَلَوِ ائْتَمَرْنَا لَهُ حَقَّ ٱلائْتِمَار، وَشَكَرْنَا إِنْعَامَهُ ٱلْمُرْبِيَ عَلَى عَدَدِ ٱلرِّمَالِ

---

(61) **جهد النصيح** : 320.

(62) **نفسه** : 273.

(63) **فصيح ثعلب** : 300.

(64) **جهد النصيح** : 402.

وَٱلْقِطَار، لأَمْطَرَنَا بِٱللَّيْلِ وَأَطْلَعَ عَلَيْنَا ٱلشَّمْسَ بِٱلنَّهَارِ»(65). وأحيانا أخرى يختار لجمله أربع سجعات كقوله : «فَعَنْ قَرِيبٍ تَرْفُضُهُمُ ٱلْبِقَاع، وَتَلْفُظُهُمُ ٱلأَصْقَاع، وَتَقْذِفُهُمُ ٱلْهِضَابُ وَٱلتِّلاَع، فَبَشِّرْهُمْ مِنَ ٱلْعَذَابِ بِمَا لاَ يُسْتَطَاع»(66). وقد تطول فقره المسجوعة فتنتظم خمس أو سبع سجعات كقوله : «وَإِذَا رَعَدَتِ ٱلسَّمَاءُ وَبَرَقَت، وَحَمَلَتِ ٱلْمُزْنَ فَوَدَقَت، وَوَعَدَتِ ٱلْمَخَايِلُ فَصَدَقَت، وَسَحَّتْ عَزَالِي ٱلسُّحُبِ وَغَدَقَت، فَأَضَاءَتِ ٱلأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَأَشْرَقَت»(67). وقوله : «وَدِرْهَمُكَ أَيُّهَا ٱلْمُنَافِقُ زَائِف، وَتَحَكُّمُكَ أَيُّهَا ٱلْمَائِقُ حَائِف، وَقَلْبُكَ مَسَّهُ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ طَائِف، وَلِلَّهِ فِي أَمْرِهِ لَطَائِف، لاَ أَمَانَ لَكَ أَيُّهَا ٱلْخَائِف، وَقَدْ ضَاقَتْ عَنْ جُرْمِكَ ٱلصَّحَائِف، فَبِحَقٍّ مَّا يَعَافُكَ ٱلْعَائِف»(68).

والملاحظ على هذه الألوان من السجع أنه كلما تعددت السجعات إلا وقصرت الجمل، وكلما قلت السجعات إلا وطالت الجمل، كما يلاحظ أيضا أن المؤلف لم يحاول دائما أن يساوي بين جمله، فجاءت أحيانا فقرة أطول من أخرى، مما أخل بتوازن الفقرات كقوله : «فَلْيُعِدَّ لِلدَّارِ ٱلَّتِي هَذَا دِهْلِيزُهَا، وَلْيَقْتَدِ بِٱلْفِرْقَةِ ٱلَّتِي إِذَا جَنَّ عَلَيْهَا ٱللَّيْلُ ضَاهَى أَزِيزَ ٱلْمِرْجَلِ وَحَنِينَ ٱلْبَازِلِ مِنَ ٱلإِبِلِ حَنِينُ صُدُورِهِمْ وَأَزِيزُهَا»(69). وعلى العكس من هذا حرص على مراعاة الاعراب في السجع إلا في النادر القليل كقوله : «أَمَا يَسْتَحِي ذُو ٱلْبِطْنَةِ ٱلْعَاوِيَةِ أَنْ يُرَى بَطِيناً وَغُلاَمُهُ ضَاوِي وَجَارِيَتُهُ ضَاوِيَة، أَيْنَ حَظُّ ٱلنَّفْسِ، بَلْ أَيْنَ لَحْظُ ٱلإِيثَارِ ٱلَّذِي هُوَ أَعْلَى وَأَنْفَسُ»(70).

---

(65) **جهد النصيح** : 310. وانظر أيضا ص 287.

(66) **جهد النصيح** : 421.

(67) **نفسه** : 289، وانظر أيضا ص 440.

(68) **نفسه** : 445.

(69) **نفسه** : 388.

(70) **نفسه** : 414.

2) الجنـــاس :

لا تخلو منه صفحة من صفحات هذا التأليف، وتعقب أشكاله يستدعي منا تعقبه جملة جملة، وسنكتفي في هذه الدراسة بالإشارة إلى لونيه التام وغير التام في نماذج متفرقة من الكتاب، وإن كان الغالب على اختيار المؤلف هو اللون الثاني، نحو قوله : «عَسَيْتَ يَا هَذَا أَنْ تُفْلِحَ إِذَا فَسَدَ ٱلنَّاس، فَسَعَيْتَ فِي أَنْ تَصْلُحَ وَتُصْلِحَ»[71]. وفي قوله : «وَإِنَّ ذَا ٱلْعِزَّةِ وَٱلْجَبَرُوتِ لَمْ يَرْضَ بِإِسْرَافِ ٱلْجَبْرِيَّةِ فِي ٱلْقُدْرَةِ وَالْمَلَكُوت، فَكَيْفَ يَسُوغُهُ لِعَبْدٍ فِي عَبْدٍ عَلَى تَعَمُّلٍ وَعَمْدٍ، يَتَعَرَّضُ لِقَوْمٍ فِيهِمْ جَبَرِيَّةٌ فَيَقُولُ لَهُمْ أَنْتُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ وَخِلاَلُكُمْ مِنْ كُلِّ ذَيْمٍ بَرِيَّة»[72]. فجانس بين الجَبْرية بسكون الباء والجَبَرية بفتحها، وبين عبد وعمد باختلاف حرف وبين البرية وبرية. ومنه أيضا قوله : «أَصْبَحُوا وَمَا بِدِيَارِهِمْ أَرِمٌ وَلاَ مِنْ آثَارِهِمْ إِرَمٌ»[73].

أما اللون الثاني فهو الجناس التام، فجاء قليلا وفي مواضع متفرقة، ومنه قوله : «ثُمَّ تُغْلَقُ عَنْكَ جَنَّتُهُ، وَكَمْ جَنَّةٍ مُفَتَّحَةٍ لَكَ فِي أُولاَكَ وَتُسَلِّمُكَ جُنَّتُهُ فَأَيُّ جُنَّةٍ تَعْصِمُكَ إِذَا أَسْلَمَكَ مَوْلاَك»[74]. فجاء بالجنة الأولى بفتح الجيم يقصد بها جنة عدن التي وعد الله بها المؤمنين، والجنة الثانية الحديقة. والجنة بضم الجيم وقصد بها الوقاية، والثانية وقصد بها السلاح.

ومن هذا النوع أيضا قوله : «وَرُبَّمَا عَرَضَ مَا يَعُوقُ فَتَعَطَّلَ ٱلصَّبُوحُ وَٱلْغَبُوق، فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ ضَرِيبُ ٱللِّقَاح، وَلاَ أَجْدَى عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُنْتَمِياً إِلَى ٱلْحَيِّ

---

(71) **جهد النصيح** : 275. وهو المعروف بتجنيس المضارعة انظر العمدة 325/1 المنزع ص 485.

(72) **نفسه** : 375.

(73) **نفسه** : 393، وانظر أيضا ص 396 بين إمارة وأمارة، وثفال وثفال، وص 405 بين لجة ولجة، ومَوات ومُوات.

(74) **نفسه** : 394. ويسمى هذا النوع المتماثل أو المستوفى رفع الحجب المستورة ص 42 وسماه السجلماسي تجنيس المماثلة ص 482 والعمدة 321/1.

ٱللِّقَاح»[75]. ومنه أيضا قوله : «قَدَحُكَ نُضَار، وَلَيْلُكَ بِفَضْلِ نِعْمَتِهِ نَهَار، وَهَلْ بَعْدَ قَدَحِ ٱلنُّضَارِ فِي ٱلتَّرْفِيه مَدىً يَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ ٱلْمُسْرِفُ أَوْ يَطْمَعُ فِيهِ»[76]. فذكر النضار بمعنى الذهب، والنضار بمعنى ضرب من الشجر تصنع منه الأقداح. ولا يكتفي بهذه الألوان، وإنما يمزج في استعمال واحد بين اللونين كقوله : «وَرَأى السَّعَادَةَ بِعَيْنِ ٱلْيَقِينِ فَٱبْتَدَرَهَا عَالِماً أَنَّ مَا يُعِينُ بِهِ ٱلْجُمَّةَ ٱلسَّائِلَة أَنْفَعُ لَهُ فِي ٱلْمَآلِ مِمَّا يُلِينُ به الجَمَّةَ ٱلطَّائِلَة، وَمُعِدّاً لِلنَّوَائِبِ ٱلَّتِي لاَ طَاقَةَ لأَحَدٍ بِجَمَّتِهَا ٱلسَّائِلَة»[77]. فاستعمل الجمة بضم الجيم بمعنى القوم، والجمة بفتح الجيم بمعنى ما اجتمع من الشعر على الرأس، والجمة الثالثة ما اجتمع من الماء، وجاء بالسائلة الأولى كصيغة لاسم الفاعل من الفعل : سأل الدية، والسائلة الثانية من الفعل : سال الماء يسيل.

3) الاقتبــاس :

يظهر فيه تأثر أبي الربيع بالقرآن واضحا من خلال الآيات التي استشهد بها، إذ فاق عددها ستا وخمسين آية، جعل من بعضها خواتم لأبواب الكتاب، والبعض الآخر وضعه داخل المتن[78]. وطغى أسلوب القرآن على أساليبه، فجاءت بعض صيغه مصبوبة في قوالب الآيات منها قوله : «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ زَرِدَ ٱلْمَأْكَل، فَإِذَا طُلِبَ بِشُكْرِ ٱلْمُوَكِّلِ نَكَل»[79]. وقوله : «أَفَرَأَيْتَ إِنْ غَصِصْتُ بِشَرْبَتِي مَنِ ٱلَّذِي يَدْفَعُ عَنِّي ضَرَرَ مَا بِهِ أَغَصُّ»[80]. وقوله : «فسيماهم في وجوههم من أثر النفاق»[81].

---

(75) نفسه : 396 و397.
(76) نفسه : 406.
(77) جهد النصيح : 406، وانظر أيضا : 404 وجاء فيها : لحمة ولحمة بضم اللام وفتحها.
(78) نفسه : 333، 337، 342، 345، 344، 346، 347.
(79) نفسه : 283.
(80) نفسه.
(81) نفسه : 421.

واقتبس من الحديث واستشهد به على أضرب : ضرب صرح فيه بذكر الرسول كقوله : «وَأَمَّا إِرْسَالُ هَذَا ٱلْكَلاَمِ بِقَصْدِ ٱلْقَطِيعَةِ لِقَسِيمِكَ فِي ٱلإِسْلاَمِ فَمَجْلَبَةٌ لِلآثَامِ، وَمُخَالَفَةٌ لِلْقَائِلِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ ٱلصَّلاَةِ وَٱلسَّلاَمِ : لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ»[82]. وضرب ساق فيه الحديث ضمن سياق الكلام ولم يصرح بقائله عليه أفضل الصلاة والسلام كقوله : «إِذَا مَلَلْتَ الخُبْزَ فِي ٱلنَّارِ فَاذْكُرْ مَآلَ ٱلْعُصَاةِ ٱلْمُعَذَّبِينَ وَٱلْكُفَّار، وَتَذَكَّرْ إِذْ تَمُلُّهُ وَسْطَ ٱلْمُضْطَرَمِ أَنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ ٱلَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّم»[83]. وضرب ثالث ساقه بعد أن تصرف فيه بالزيادة والنقصان كقوله : «نَهْلِكُ وَفِينَا ٱلصَّالِحُونَ إِذَا كَثُرَ ٱلْخَبَث، وَلاَ يَكُونُ مِنْ قُدْرَةِ ٱللَّهِ ٱلْعَبَث»[84].

واستشهد بالأشعار ولم ينسبها إلى قائليها إلا مرتين : عند استشهاده ببيت النابغة[85]، وببيتي الأعور الشني[86]. أما باقي شواهده الشعرية فقد أدرجها ضمن المتن أحيانا يذكر «قال الشاعر»[87]، وفي غالب الأحيان يهمل ذلك. وتنوعت اختياراته الشعرية، فاستشهد بأشعار القدامى والمحدثين كطرفة بن العبد[88]، والمرقش الأصغر[89]، والنمر بن ثولب[90]، ومالك بن الريب[91]، ودكين بن سعيد الدارمي[92]، والكميت بن زيد الأسدي[93]، وجرير[94]، وابن

(82) **نفسه** : 374، وانظر أيضا : 309.

(83) **جهد النصيح** : 308. وانظر أيضا : 327 و390.

(84) **نفسه** : 330.

(85) **نفسه** : 279.

(86) **نفسه** : 322.

(87) **نفسه** : 289.

(88) **جهد النصيح** : 361.

(89) **نفسه** : 375.

(90) **نفسه** : 299.

(91) **نفسه** : 295.

(92) **نفسه** : 420.

(93) **نفسه** : 291.

(94) **نفسه** : 273.

الرومي[95]، وأبو العتاهية[96]، والمتنبي[97]، الذي تكرر استشهاده بشعره.

واستشهد بأشعار الأندلسيين كالسميسر[98] والرصافي والرفاء[99]، ونثر أشعارا لبعض الشعراء وأدرجها في متنه كبيت امرىء القيس :

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا   بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ

في قوله : «إِنَّ ٱلثُّرَيَا وَإِنْ شُدَّتْ بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ فِي مَصَامِهَا فَلاَبُدَّ مِنَ انْفِصَامِهَا، وَلاَ مَطْمَعَ فِي نَجَاتِهَا مِنَ ٱلاِنْتِثَارِ وَاعْتِصَامِهَا»[100].

وبيت أبي ذؤيب الهذلي :

إِذَا ٱلْمَنِيَّـةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَـا   أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لاَ تَنْفَـعُ

في قوله : «كَذَلِكَ المَنِيَّةُ إِذَا أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا، تَعَرَّفَتِ ٱلتَّمَائِمُ خِذْلاَنَ ٱلْعَوَائِدِ وَإِخْفَارَهَا»[101].

وبيت المتنبي :

فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ حَمَاهَا مِنَ ٱلظُّبَا   لَمَـى شَفَتَيْهَـا وَٱلثُّدِيُّ ٱلنَّوَاهِـدُ

في قوله : «غَابَ عَنْ نَصْرِهَا الشَّاهِدُ وَحَمَاهَا مِنَ ٱلظُّبَا لَمَى شَفَتَيْهَا وَٱلثُّدِيُّ ٱلنَّوَاهِدُ»[102].

وبيت أبي العلاء المعري :

خَفِّفِ الوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الأَرْ   ضِ إِلاَّ مِـنْ هَـذِهِ الأَجْسَادِ

---

(95) نفسه : 357.

(96) نفسه : 472.

(97) نفسه : 340 و388 و391.

(98) جهد النصيح : 378.

(99) نفسه : 376.

(100) نفسه : 371.

(101) نفسه : 465.

(102) نفسه : 340.

في قوله : «يَا مُمْتَطِينَ ٱلرَّوَاحِلَ فِي ٱلأَسْفَار، رِفْقاً بِهِنَّ فِي ٱلْقِفَار، سُومُوهُنَّ ٱلْبُطْءَ لِيُخَفِّفْنَ ٱلْوَطْء، فَلَعَلَّ أَدِيمَ ٱلأَرْضِ مِنْ هَذِهِ ٱلْجُسُوم، وَلاَ نُكْرَ أَنْ يُصَادِفَ وَقْعُ ٱلْمَنْسِمِ مَوْضِعَ المَبْسَمِ مِنَ ٱلْوَجْهِ الوَسِيم»(103).

وبيتي ابن المنخل الشلبي :

مَضَتْ لِي سِتٌّ بَعْدَ سَبْعِينَ حَجَّةٍ ... وَلِي حَرَكَاتٌ بَعْدَهَا وَسُكُـونُ

فَيَالَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ أَوْ كَيْفَ أَوْ مَتَى ... يَكُونُ ٱلَّذِي لاَبُدَّ أَنْ سَيَكُـونُ

وذلك في قوله : «يَا لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَدِبُّ فِي حَرَكَاتِي ٱلسُّكُون، وَمَتَى يَكُونُ ٱلَّذِي لاَبُدَّ أَنْ سَيَكُون»(104).

أما الأمثال ــ وإن كان من أبواب الكتاب «باب ما جرى مثلا أو كالمثل» ــ فإن المؤلف كان يقتبس منها ويضع ضمن تعابيره ومن حين لآخر أمثالا سائرة من الأمثال العربية المعروفة، ولا غرو في ذلك فأبو الربيع عني بهذه الأمثال عناية خاصة، وله فيها تآليف منها : «نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال» وكتابه «الامتثال لمثال المبهج في ابتداع الحكم واختراع الأمثال»، وقد أشار إلى نبوغه في صياغة الأمثال والتفنن فيها بقوله : «مَا الَّذِي غَرَّكَ بِي أَيُّهَا ٱلْجَاهِلُ بِقَدْرِه ــ وَلَمْ يَهْلِكِ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَه ــ وَالذَّاهِلُ عَنْ نَتَائِجِ أَدَبِي وَقَدْ مُدَّ مِنْهَا فِي هَذَا ٱلْمَسْطُورِ مَا أَشْجَى نَفْسَه وَأَوْغَرَ صَدْرَه، أَمَا كَانَ فِيمَا سَبَقَ لِي مِنَ ٱلإِحْسَان مَا يَشْغَلُكَ عَنِ ٱلاِسْتِقْصَارِ بِٱلاِسْتِحْسَان، وَلاَ صَرَفَكَ عَنِ ٱلتَّفْنِيدِ مَا وَقَرَ سَمْعَكَ فِي هَذَا ٱلتَّقْيِيد مِنْ مُسْتَمْلَحِ ٱلاِنْتِزَاعِ وَٱلتَّوْلِيد، أَفَهَذِهِ ٱلأَمْثَالُ بَيْنَ مَا طَوَى مِنْهَا المُضِيُّ وَمَا يَنْشُرُهُ ٱلاِسْتِقْبَالُ هِيَ ٱلَّتِي حَمَلَتْ بِي سَادِراً عَنِ ٱلرُّقِيِّ إِلَيْهَا وَأَعْجَزَتْ عَنِّي قَادِراً أَنْ يَتَسَوَّرَ عَلَيْهَا، أَوَلاَ تَرَاهَا يَا أَجْهَلَ ٱلْجُهَّالِ وَقَدْ ضَمَّهَا نِظَامُ ٱلاِسْتِعْمَالِ، فَمُتْ بِغَيْظِكَ كَمَدَا أَوْ عِشْ كَمَا أَنْتَ إِلَى غَيْرِ مَدَى، فَإِنَّكَ لاَ تَفْهَمُ هَذَا أَبَدَا، إِنَّمَا أَتَصَرَّفُ تَصَرُّفَ ٱلْمُوَفَّقِ وَٱلْعَبُ كَيْفَ شِئْتُ بِأَطْرَافِ ٱلْكَلاَمِ المُشَقَّقِ، وَأَنْتَ

(103) نفسه : 465.

(104) جهد النصيح : 294.

عَلَى طِيبِ الحَدِيثِ شَاهِد وَفِي نَيْلِ مِثْلِهِ جَاهِد، وَمَنْ لَكَ بالصناب والمُرَقَّقِ وَلَعَلَّ هَذِهِ ٱلْمَآخِذَ المُتَغَايِرَةَ يَا مَنْ حُرِمَ ٱلْفِطْنَةَ ٱلْحَاضِرَةَ عَلَى حَدِّ البَلاَغَةِ أُجْرَى وَبِمُطَابَقَتِهِ إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ سِحْراً أُخْرَى»[105].

بعد هذا القول الصريح، ندرك أن الأمثال الواردة في «**جهد النصيح**» إنما هي قطرة من بحر، وتظهر في ثنايا التأليف من حين لآخر، كقوله : «فَارْجِعْ إِلَى ٱللَّهِ وَلَوْ بِجُرَيْعَةِ ذَقَنِكَ، وَتُبْ إِلَيْهِ مِنْ ظُنُونِكَ ٱلسَّيِّئَةِ وَظِنَنِك»[106]، وقوله : «فَإِنَّ شَيْطَانَ النَّظَرِ مَرِيد، وَعَذَابَ ٱللَّحْظِ شَدِيد، فَسِرْ سَيْرَ ٱلنَّافِر، وَلاَ تَمُدَّ عَيْنَيْكَ إِلَى ٱلسَّافِر»[107].

بالإضافة إلى ما سبق، اقتبس المؤلف بعض الأقوال المأثورة كقولة عمر بن عبد العزيز : «إِذَا اسْتَأْثَرَ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ فَالْهَ عَنْه»[108]، ومن حديث ابن مسعود قوله : «الشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ ٱلْجُنُون»[109]، وقولة عمر بن الخطاب : «اخْشَوْشِنُوا وَتَمَعْدَدُوا»[110].

4) الطـبـــاق :

من ألوان البديع التي تزين بها هذا التأليف وأظهر فيها المؤلف قدرته الإبداعية في إيراد المعاني، واللعب بأطراف الكلام. إلا أنه لم يلتزمه في كل صفحات التأليف، فقد ترد بعض الصفحات خالية منه تماما، وقد يمزج في فقرة واحدة بين ألوان من البديع كقوله في «باب فعلت بغير ألف» : «تَبَارَكَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلرِّيَاح، فَأَغْدَى بِهَا مَا شَاءَ وَأَرَاح، فَإِنْ شَمَلَتِ ٱلشَّمَال، صَلُحَ بِهَا أَوْ فَسَدَ فِي

---

(105) **نكتة الأمثال**، الورقة : 52.

(106) **جهد النصيح** : 303.

(107) **نفسه** : 312. وانظر أيضا الصفحات : 318، 338، 345، 359، 382، 387، 412، 413، 414.

(108) **نفسه** : 326.

(109) **نفسه** : 351.

(110) **نفسه** : 388.

بَعْضِ ٱلأَرْجَاءِ المَآل، وَإِنْ جَنَبَتِ ٱلْجَنُوبُ اقْتَرَنَ بِهَا مِنْ نَائِبِ ٱلْخَيْرِ أَوِ ٱلشَّرِّ مَا قَدَّر، وَمَتَى صَبَتِ ٱلصَّبَا جَدَّدَتْ لِقَوْمٍ أُنْساً وَلآخَرِينَ وَصَبَا»[111]. فطابق بين أغدى وأراح، وبين صلح وفسد، وبين الخير والشر، وبين أنسا ووصبا.

وقد يرد الطباق في صفحة واحدة[112] في فقرات متوالية كقوله :

«كَمْ نَعَسْتُ بَيْنَ ٱلْقَوْمِ مَا أَنْعُسُ إِلاَّ لِسَهَرِي فِيمَا يُطَرِّقُ إِلَيَّ مُمِضَّ ٱللَّوْم، وَٱللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى ٱلنَّاعِسِ وَٱلْيَقْظَان، وَعَالِمٌ بِٱلْمُبَادِرِ إِلَى طَاعَتِه وَٱلْكَسْلاَن».

و«لَوْلاَ خُطُوبٌ تَعْلُو بِي وَتَسْفُل».

و«وأَرْضَيْتُ ٱلشَّيْطَانَ وَرَبِّي أَسْخَطْتُ».

و«خَمَدَتْ نَارُ الشَّبَابِ، وَلَمْ تَخْمَدْ إِلاَّ لأَمْرٍ مُنْتَاب»[113].

فطابق بين : نعست/ ما أنعس، الناعس/ اليقظان، المبادر/ الكسلان، تعلو/ تسفل، أرضيت/ أسخطت، الغامض/ الغابط، المصاعد/ المهابط، المصاعب/ سهل، خمدت/ لم تخمد.

ويأتي الطباق عنده أحيانا في جمل قصيرة تتخذ طابع الحكمة كقوله : «خَلِّ سَبِيلَ مَنْ غَدَر، فَلَبِئْسَ مَا أَوْرَدَ وَأَصْدَر»[114] و«يَنْبَسِطُ الشَّرُّ وَيَنْقَبِض وَيَعُسُّ الكَلْبُ وَيَرْبِض»[115]، و«كَلٌّ بَصَرُهُ... وَمَا كَلَّ سَيْفُ حِرْصِه!!»[116].

5) المقابلة :

من المحسنات المعنوية التي ظهرت في هذا التأليف، واستعملها أبو الربيع في

---

(111) نفسه : 288، انظر رفع الحجب المستورة ص 50، والمنزع البديع 370 والعمدة 2/ ص 5.

(112) جهد النصيح : 276.

(113) نفسه : 277.

(114) نفسه : 278.

(115) نفسه : 281.

(116) نفسه : 279. وانظر أيضا : 358.

بعض المواقف التي تستدعي منه أن يقابل بين ضدين وقد وردت على ثلاثة أضرب :

ضرب جاءت جمله اسمية قصيرة محددة كقوله : «فَإِنَّمَا هِيَ جَنَّةُ ٱلنَّاكِلِ، أَوْ نَارٌ مُسَعَّرَةٌ لِلآكِلِ»(117).

ضرب جاءت جملة فعلية كقوله : «يَفْرَحُونَ أَنْ يَكْثُرَ مِنْهُمُ ٱلأَعْدَادُ، وَلاَ يُبَالُونَ أَنْ يُقَصِّرَ عَنْهُمْ لِلآخِرَةِ ٱلإِعْدَادُ»(118).

ضرب جمله شرطية كقوله : «لَئِنْ رَكِبْتَ سَنَنَ ٱلاِسْتِقَامَةِ، لَتَعُدَّنَّ حَسَنَ الرِّكْبَةِ، وَلَئِنْ تَنَكَّبْتَ سَنَنَ ٱلسَّلاَمَةِ لَيُؤَدِّيَنَّكَ سَيْرُكَ إِلَى ٱلنَّكْبَةِ»(119).

6) الاستعارة :

طغت على تأليفه بشكل ملحوظ، واستعمل منها ألوانا تساعده في إحداث تأثير قوي في نفوس سامعيه من جهة، ومن جهة أخرى فهي مجال فسيح لإظهار براعته وإبداعه في تجويد الكلام، فإذا أراد أن يحدث القارىء عن الدنيا، وزيفها شبهها بالعروس ثم فصل الحديث عنها، واستعمل ضمير المؤنث الغائب في الدلالة عليها، كقوله : «ٱلدُّنْيَا عَرُوسٌ تَفْرِكُ قَرِينَهَا، وَتُهْلِكُ خَدِينَهَا، وَتَجْعَلُ دَيْنَ مُصَافِيهَا دِينَهَا، وَمَا دِينُهَا إلاَّ ظُلْمٌ عَبْقَرِيّ، وَغُدْرٌ لاَ يُفْرَى لَهُ فَرِيّ، وَهَا أَنَا قَدْ جَلَوْتُ ٱلْعَرُوسَ فَكَيْفَ تَرَوْنَ جِلْوَتَهَا، وَكَشَفْتُ لَكُمْ عَنْ حَقِيقَةِ ٱلصِّفَةِ بِٱلْمَآخِذِ ٱلْمُنْصِفَة، فَهَلْ تَسْتَحْسِنُونَ خَلْوَتَهَا، وَجَلَوْتُ سَيْفَ ٱلصَّرَامَةِ صَارِما لِمَنْ كَانَ عَلَى مُصَارَعَتِهَا عَازِماً»(120).

---

(117) **نفسه** : 359. وانظر العمدة 2/ ص 15 ورفع الحجب المستورة : 694 إلى 696 والمنزع : ص 344.

(118) **جهد النصيح** : 360.

(119) **نفسه** : 389.

(120) **نفسه** : 337. إلى قوله: مكر وخب؛ انظر **العمدة** : 1/ص 268؛ **رفع الحجب المستورة** : ص 64 والمنزع : ص 235.

ومن مليح استعمالاته في هذا المجال :

«سَبَحْتُ فِي بَحْرِ ٱلْخَطَايَا سَبْحاً طَوِيلاً»[121].

«وَلَغَ كَلْبُ ٱلنَّمِيمَةِ فِي إِنَاءِ ٱلْمَوَدَّات»[122].

«فَتَطَامَنْ لِقِدْرِ ٱلْقَدَرِ حِينَ تَغْلِي»[123].

«يَا وَيْحَ ٱلشَّيْخِ كُلَّ بَصَرُهُ بَعْدَ ٱلنُّفُودِ، وَمَا كُلَّ سَيْفُ جِرْصِهِ المَشْحُودِ».

«فَشَبَّ بِأَحَدِ ٱلْفَرِيقَيْنِ جَوَاد، وَقَدْ دَنَا مِنْ سَوَادٍ سَوَاد»[124].

«نَلْهُو وَنَلْعَبُ وَغِرْبَانُ ٱلْمَنِيَّةِ بِنَا تَنْعَب»[125].

«سَيْفُ ٱلْمَنَايَا ضَارِبٌ أَمَامَكَ وَخَلْفَك، فَكَيْفَ تَأْمَنُ حَتْفَك»[126].

«فُلاَنٌ يَتَنَدَّى عَلَى أَصْحَابِه، وَيُسَاجِلُ هَاطِلاَتِ ٱلسُّحُبِ بِسَحَابِه»[127].

7) الكـنـايـة :

فضل المؤلف اللجوء إليها لتغطية الكلمات المستقبحة، وترك الألفاظ المستهجنة وتعويضها بما لا ينفر منه السمع، ولا يخدش الحياء، لذا وجه الكلام إلى كل من أوتي من علم العربية حظا أن يلجأ إلى الكناية اللفظية متى أحس بالحرج أو الضيق في استعماله للفظ من الألفاظ وذلك في قوله : «وَاسْمَعْ يَا مَنْ أُوتِيَ لَسَناً، وَخُوِّلَ مِنَ ٱلإِبْدَاعِ حَظّاً حَسَناً، مَتَى اضْطُرِرْتَ إِلَى مُسْتَقْبَحِ ٱلأَلْفَاظِ فَأَغْمِضْ قُبْحَهَا بِٱلْكُنَا»[128]. ولم يقتصر استعماله على الكناية اللفظية على هذا الوجه فقط، بل

---

(121) نفسه : 279.

(122) نفسه : 280.

(123) نفسه : 280.

(124) جهد النصيح : 351.

(125) نفسه : 406.

(126) نفسه : 448.

(127) نفسه : 461.

(128) نفسه : 469. انظر المنزع البديع، ص 265.

نجده يلجأ إلى استعمالها لتزيين اللفظ ككنايته عن المرأة في أماكن متفرقة من الكتاب بتعابير مختلفة في قوله : «الْمَوْتُ نَازِلٌ بِرَغْمِ الأَنْفِ عَلَى ذِي التَّاجِ وَذَاتِ ٱلشَّنْف»[129]، وفي قوله : «يَأْتِي مِنْ أَمْرِ رَبِّكَ عَلَى ٱلْمِرْطِ نَحْوُ ٱلَّذِي يَأْتِي عَلَى رَبَّةِ ٱلْقِرْطِ»[130]، وكناية عن النساء قوله : «تَمَعْدَدُوا وَاخْشَوْشَنُوا مَعْشَرَ ٱلرِّجَال، وَدَعُوا ٱلْمُدْهُنَةَ وَٱلْمُكْحُلَة لِرَبَّاتِ ٱلْحِجَالِ»[131]، وفي قوله : «فَالْبَسِ ٱلْمَعْرُوفَ مِنَ ٱللِّبَاسِ، وَخَلِّ مَا يَشِفُّ مِنَ ٱلثِّيَاب لِلنَّاعِمَاتِ ٱلأَجْسَام، ٱلْمُنْبَهِرَاتِ ٱلأَنْفَاسِ، فَلَعَلَّهُنَّ فِي إِيثَارِ ٱلشُّفُوفِ أَعْذَر، وَٱللَّهُ ٱلْكَفِيلُ بِرِقَابَةِ مَا يُحْذَر»[132]. كما استعمل الكناية بالمحسوس للدلالة على المعقول وشرحها في قوله : «مَا أَقَلَّ ٱلْيَوْمَ ٱلطَّلْقَ فِي ٱلأَيَّامِ، وَأَعْدَمَ ٱللَّيْلَةَ ٱلطَّلْقَةَ فِي لَيَالِي ٱلْعَامِ، وَأَقَلَّ مِنْهُمَا ٱلْمُنْجِدُ عَلَى خَيْرٍ مِنَ ٱلأَقْوَامِ، وَمَا أُرِيدُ بِطَلاَقَةِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِلاَّ سَجَاحَةَ ٱلْمَدَار وَإِقْشَاعَ سُحُبِ ٱلنَّوَائِبِ عَنْ جَوِّ ٱلإِيرَادِ وَٱلإِصْدَار، وَأَمَّا سُكُونُ ٱلْهَوَاء وَصَفَاءُ دِيبَاجَةِ ٱلسَّمَاء، وَارْتِفَاعُ أَلَمِي ٱلْحَرِّ وَٱلْبَرْدِ عَلَى ٱلسَّوَاء، فَقَدْ يُوجَدُ هَذَا كَثِيرا، فَسُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً»[133].

وكنى عن حزن الفتيات عند فقدهن لعزيز بقوله : «كَمْ حَلَّ بِجِزْعِ ٱلْوَادِي عَاطِشٌ فَعَاقَهُ عَنِ ٱلْوُرُودِ أَجَلٌ بَاطِشٌ، نَزَعَ إِلَى ٱلْمَاءِ فَعَالَجَهُ ٱلنَّزْعُ وَوَاصَلَتْهُ ٱلْمَنِيَّةُ فَتَقَطَّعَ مِنْ أَجْيَادِ فَتَيَاتِهِ ٱلْجَزْعُ، كُشِفَ الشُّفُّ عَنْهُنَّ وَكَانَ لَهُنَّ شِفٌّ عَلَى ٱلنَّظَائِرِ فَهُنَّ»[134].

8) التشبيه :

لجأ إليه المؤلف لتوضيح بعض المعاني وجعلها قريبة من ذهن القارىء، واستعمل

---

(129) نفهس : 368.

(130) نفسه : 458.

(131) نفسه : 388.

(132) جهد النصيح : 350.

(133) نفسه : 347.

(134) نفسه : 392.

فيه أدوات التشبيه : الكاف، وكأن، ومثل. واستعمله أحيانا للتخويف كقوله : «إِنَّمَا شُبُوبُ ٱلْحَرْبِ كَشُبُوبِ ٱلنَّارِ، يَشُبُّهَا قَوْمٌ فَيَنْجُوْنَ، وَيَصْلَى بِشَبِّهَا قَوْمٌ آخَرون»[135]، وأحيانا للتحذير كقوله : «إِحْذَرْ أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ كَحَلْقَةِ ٱلْحَدِيدِ لاَ يُذِيبُهَا إِلاَّ ٱلنَّار»[136]، أو للتقبيح كقوله : «حَدَدْتَ عَلَى صَاحِبِكَ أَيُّهَا ٱلْغَضْبَان فَكَأَنَّمَا تَنَاوَلَتْ جِسْمَكَ ٱلْقُضْبَان»[137]. أو للتحقير كقوله : «مَثَلُ ٱلَّذِي لاَ يُؤَالِف، مَثَلُ ٱلدَّابَّةِ ٱلَّتِي لاَ تُرَادِف»[138]. أو للاستهزاء والسخرية كقوله : «وَلَمْ يَزَلْ مُعْتَاداً عَلَى مَرِّ ٱلدُّهُورِ أَنْ يُرَى أَبُو ٱلذَّكَرِ طَلْقَ ٱلْوَجْهِ كَأَنَّمَا بُشِّرَ بِأَنَّ ابْنَهُ غُلاَمٌ عَلِيم»[139].

وكما شبه بالجمل النثرية، شبه أيضا بأبيات شعرية كقوله : «لَكِنِّي وَإِلَى ٱللَّهِ المَصِير، بِعَيْبِ نَفْسِي بَصِير، أُرُوضُهَا فَلاَ تَرْتَاضُ وَأَرُومُهَا لِتَعْتَاضَ مِنْ سُوءِ حَالِهَا بِٱلإِعْدَادِ لِارْتِحَالِهَا فَلاَ تَعْتَاض، فَكَأَنِّي بِمَا يَعْنِينِي مِنْ مُعَانَاةِ صَلاَحِهَا وَيُعْيِينِي مِنْ مُدَانَاةِ اسْتِصْلاَحِهَا :

أَسُوقُ عَيْـراً مَائِـلَ ٱلْجِهَـازِ صَعْبـاً يُنَزِّينِي عَلَى أَوْفَـازِ»[140]

وقد يلجأ إلى تشبيه التمثيل ليوضح الصورة أكثر، ويبين قصده منها كقوله : «إِنَّ الجَلِيسَ الصَّالِحَ يُبَيِّنُ لَكَ المَصَالِح، وَجَلِيسَ السُّوءِ يَطْمِسُ لَكَ بِالظُّلْمَةِ وَجْهَ ٱلضَّوْءِ، فَٱلأَوَّل فِيمَا يُفِيدُكَ مِنْ مَقَاصِدِ ٱلنُّسْكِ، صَيْدَلاَنِي يُحْذِيكَ المِسْكَ أَوْ عَرْفَ المِسْكِ، وَالثَّانِي فِيمَا يُعَذِّرُ عَلَيْكَ مِنْ مَآخِذِ ٱلسَّدَادِ حَدَّاد، إِنْ لَمْ يُحْرِقْكَ بِشَرَرِه، أَتَاكَ دُخَانُهُ بِسِيرِ ضَرَرِه»[141].

---

(135) نفسه : 351.

(136) نفسه : 450.

(137) نفسه : 355.

(138) جهد النصيح : 460.

(139) نفسه : 347.

(140) نفسه : 443.

(141) نفسه : 439.

3 ـ الأساليب الإنشائية :

تنوعت أساليب الإنشاء في هذا التأليف، واستعمل المؤلف منها ما كان طلبيا كالأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء، وما كان غير طلبي كصيغ التعجب والمدح والذم والقسم وأفعال الرجاء.

1) الأمر والنهي :

وصيغهما طاغية على التأليف، وإن اتجهت في أغلبها إلى الارشاد كقوله : «فَفَكِّرْ دَائِباً فِي انْقِرَاضِ العُمُر، وَاذْكُرِ ٱلأَمْرَ أَبداً بِٱلأَمْر، وَإِذَا لَمَسْتَ تَرْقُوتَكَ فَاذْكُرْ بُلُوغَ ٱلنَّفْسِ التَّرَاقِي وَعَدَمَهَا فِي تِلْكَ ٱلْحَالِ الأَوَاقِي، وَاسْتِشْعَارَهَا ٱلْيَقِينَ بِأَنَّهَا لاَ تَجِدُ إِلاَّ ٱلْكَرِيمَ ٱلْبَاقِي، وَقَدِّمْ لِذَلِكَ الهَوْلِ مَا اسْتَطَعْتَهُ مِنْ صَالِحِ ٱلْعَمَلِ وَمَعْرُوفِ ٱلْقَوْل»[142]. والدعاء كقوله : «ٱللَّهُمَّ فَاجْعَلْ أَيَّامَنَا وَلَيَالِيَنَا بِرِضَاكَ قَرَّةً وَلاَ تَعْدِمْنَا أُنساً بِغُفْرَانِكَ وَمَسَرَّة»[143]. والتهديد في قوله : «هُوَ الْمَوْتُ فَالْقِ يَداً وَٱلْجَزَاءَ فَارْتَقِبْ عَنْ كُلِّ خِيَانَةٍ قَوَداً»[144].

2) الاستفهام :

واستعمله المؤلف فيما خرج عن معناه الحقيقي، إذ لم يكن ينتظر منه جوابا، بقدر ما كان يقصد إلى المعاني التي تدرك من سياق الكلام كالتهكم في قوله : «وَكَمْ سِقْيِ أَرْضِكَ أَيُّهَا ٱلإِنْسَان، لَعَلَّكَ تَظُنُّ أَنَّهُ يَضِيرُهَا تَمُوزُ أَوْ يَنْفَعُهَا نِيسَان»[145]. أو معنى الاستبعاد في قوله : «أَيْنَ أَنْتَ مِنْ أَدَبِ خَاتِمِ ٱلأَنْبِيَاء، وَإِرْشَادِهِ إِلَى حِفْظِ المَاء، بِعُودٍ يَكُونُ مَعْرُوضاً عَلَى ٱلإِنَاء»[146]، والتهويل في قوله : «فَهَلْ تَجِدُ مَنْفَعَةً لِذَاكَ الصَّفِيفِ وَٱلْقَدِيرِ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلاَئِكَةُ صَفّاً

---

(142) **جهد النصيح** : 376. وانظر أيضا نموذجا آخر في ص : 381.

(143) **نفسه** : 348. وانظر أيضا ص 355 و385.

(144) **نفسه** : 381.

(145) **نفسه** : 383.

(146) **نفسه** : 354.

بَيْنَ يَدَيِ ٱلْعَزِيزِ القَدِيرِ، أَوْ هَلْ تَدْفَعُ عَنْكَ وَثَارَةُ ٱلشَّكِيرِ مَضَاضَةَ ٱلْوَقْعِ مِنْ إِرْزَبَّةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ»[147]. والتحقير في قوله : «وَهَلْ يَعْتَدُّ مُعْطِي القِبَةِ بِكَرَمٍ، أَوْ مَاذَا غَنَاؤُهَا عَنْ مَسَاكِينَ أُولِي قَرَمٍ»[148]. والتمني في قوله : «فَهَلْ مِنْ ثَنِيَّةٍ أَسْتَدْرِكُ فِيهَا مَا أَفَتُّ، وَأَمْحُو مِنْ نُدُوبِ ٱلذُّنُوبِ مَا ٱسْتَفَدْتُ، وَٱللَّهِ لَئِنْ أُخِّرْتُ لأُنْفِذَنَّ فِي مُقْتَضَيَاتِ ٱلإِنَابَةِ بَاقِيَ الإِنَاءِ، وَلأَجْعَلَنَّ ٱلتَّوْبَةَ لَبِنَةَ التَّمَامِ فِي هَذَا ٱلْبِنَاءِ»[149]. والتكثير في قوله : «كَمْ مُودٍ بِأَنْ قِيلَ لَهُ أَطْعَمْ فَطَعِمَ، أَوِ اِشْرَبْ فَشَرِبَ، طَاوَعَ فِي ذَلِكَ أَجَلَهُ المُقْتَرِبَ»[150]. واستعمل في هذا الباب من أدوات الاستفهام : الهمزة[151]، هل، أيما[152]، كم، من[153]، أين، متى[154]، ما[155]، أنى[156]، كيف[157].

3) التــرجـــي :

استعمل في ألفاظه «لعل» في قوله : «لَعَلَّ كَرَمَ العَفُوِّ الغَفُورِ يَتَغَمَّدُ مَا عَدَا كُفْرَ ٱلْكَفُورِ»[158]، واستعمل «عسى» في قوله : «وَعَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَأْخُذَ بِنَوَاصِينَا عَنْ مَهَاوِي الهَوَى، فَكَمْ حَطَبْنَا فِي حَبْلِهِ وَأَنِسْنَا بِخَبْلِهِ»[159].

---

(147) نفسه : 386. وانظر أيضا : 370.
(148) نفسه : 380.
(149) نفسه : 381.
(150) نفسه : 455.
(151) نفسه : 278.
(152) نفسه : 361.
(153) نفسه : 283.
(154) نفسه : 292.
(155) نفسه : 302.
(156) نفسه : 304.
(157) نفسه : 307.
(158) نفسه : 289.
(159) نفسه : 293.

والملفت للنظر هو استعمال المؤلف للفظ «عسى» في وسط الجملة في قوله: «فَهَذَا عَسَى إِذَا أُنْطِقَ بِهِ ٱللِّسَانَ مُضْمَرُ الأَسَى»[160]، وفي آخر الجملة في قوله: «فَلَيْسَ إِلاَّ ٱلْجِدُّ فِي ٱلطَّلَبِ وَحُسْنُ ٱلإِعْدَادِ لِلْمُنْقَلَبِ وَتَطْهِيرُ ٱلْقَلْبِ مِنْ مَذْمُومِ ٱلتَّقَلُّبِ، فَجِدَّ يَا هَذَا عَسَى، وَلاَ تَسِرْ فِي طُرُقِ ٱلصَّلاَحِ سَيْرَ مَنْ يَشْكُو عِرْقَ ٱلنَّسَا»[161].

واستعمل «ليت» للترجي مع العلم أن ليت تستعمل للتمني، وإنما استعملها كذلك لغرض بلاغي هو إبراز أن المرجو بعيد مناله وكأنه أصبح في عداد المستحيل كقوله: «فَلَيْتَكَ وُبِتَتْ يَدُكَ أَوْ خَرِسَ لِسَانُكَ، فَهُوَ ٱلَّذِي يُؤَيِّدُكَ، وَأَمَّا ٱلْيَدُ ٱلْمَوْتُوءَةُ فَقَدْ تَظْهَرُ مَعَهَا سَرَائِرُكَ ٱلْمَخْبُوءَةُ، إِلاَّ أَنْ يَجْتَمِعَ عَلَيْكَ ٱلأَمْرَانِ، فَلاَ يَنْطِقُ ٱلْفَمُ وَلاَ تَخُطُّ ٱلْيَدَانِ، أَوْ لَيْتَكَ آنَ عَدَمُكَ وَأَصَابَكَ سَهْمٌ عَائِرٌ فَطُلَّ دَمُكَ»[162].

4) التمنـي:

واستعمل فيه ليت كقوله: «لَيْتَ الزَّمَانَ فِي ٱلشُّغْلِ مُشَاطِرِي»[163]، واستعمل فيه «هل» لغرض بلاغي هو إبراز أن ما يتمناه لعنايته به وتشوقه إليه قد يكون في صورة الممكن القريب حصوله كقوله: «وُقِصَ ٱلرَّجُلُ فِي سَبِيلِ ٱلإِيمَانِ، فَهَلاَّ وُقِصَ ٱلْمُتَرَدِّدُ فِي سَبِيلِ ٱلشَّيْطَانِ، وَلَكِنَّهُ ٱلْقَدَرُ لاَ يَحُولُ عَمَّا جَرَى بِهِ ٱلْقَلَمُ»[164]. وفي قوله: «رَقِيتُ فِي سُلَّمِ ٱلْعُمُرِ صُعُدا، كَأَنِّي أَعِيشُ أَبَدا، أَرْقَى ثُمَّ أَسْفُل، وَإِلَى سِكَّةِ ٱلْمَوْتِ تُشْرَعُ ٱلسُّبُل، فَهَلْ لِي إِلَى ٱلْمَلإِ ٱلأَعْلَى رُقِيّ، إِنْ حُرِمْتُ ذَاكَ فَأَنَا شَقِيّ»[165].

---

(160) نفسه: 373.

(161) نفسه: 368.

(162) جهد النصيح: 297.

(163) نفسه: 357.

(164) نفسه: 298.

(165) نفسه: 328.

5) النـــداء :

من معانيه المستعملة في هذا التأليف :

ـ **الزجر** : نحو قوله : «أَيُّهَا ٱلتَّائِهُ فِي بَيْدَاءِ ٱلْغَفَلاَت، هَلْ فَقِهْتَ عَنِ ٱلأَيَّامِ أَحَادِيثَهَا ٱلْمُخْتَلِفَات»[166]، وكذا في قوله : «فَذَرْ هَذَا يَا هَذَا وَدَعْهُ، وَازْجُرْ لِسَانَكَ عَنْ هَذِهِ ٱلْمَآخِذِ وَارْدَعْهُ»[167]. وقد يستعمل لفظ «ويح» كقوله : «يَا وَيْحَ العَاقِرِ، لَعَلَّ فِي ٱلْعُقْرِ سَدَاداً لِلْفَاقِرِ»[168].

ـ **التحسر** : وذلك في قوله : «قَضَى ٱللَّهُ أَنْ يُعْظِمَ ثَوَابَ ذَلِكَ ٱلْمَوْقُوص وَحَكَمَ بِنَقْصِ هَذَا ٱلْبَائِسِ فَيَا غَبْنَ ٱلْمَنْقُوص»[169]. وأيضا قوله : «لَهَفِي شُدِهْتُ بِأَمْرِ ٱلنَّاسِ عَنْ نَفْسِي، وَذَكَرْتُ رَمْسَ غَيْرِي وَنَسِيتُ رَمْسِي، يَا يَوْمِي هَلْ مِنْ حِيلَةٍ فِي رَدِّ أَمْسِي، أَيُغْنِي أَنْ أُفْنِيَ بِٱلْعَضِّ مِنْ نَدَمٍ خَمْسِي»[170].

4 ـ أنـواع الجملـة :

تتراوح الجمل في هذا التأليف بين الطول والقصر، أحيانا تأتي جمل ذات فواصل قصيرة اسمية مقتصرة على المبتدإ والخبر، وقد يكون معها ناسخ، أو فعلية مكونة من فعل وفاعل ومفعول كقوله : «فَالمَمْلُوكُ اليَوْمَ يَحَرُّ، وَٱلْمَالِكُ غَداً يُسَرُّ، وَإِنْ كَانَ إِعْتَاقُ ٱلْعَبْدِ بِغَيْرِ هَذَا ٱلْقَصْدِ، فَٱلْعَبْدُ يُحْرِزُ مُرَادَه، وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِعْلاَنَ ٱلْمُعْتِقِ وَإِسْرَارَه، وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِين. قُلْ لِمَنْ حَاوَلَ بِٱلْبَاطِلِ أَنْ يَعِزَّ، إِنَّكَ لَمْ تُصِبِ ٱلْمَحَزَّ، أَنْتَ ٱلذَّلِيلُ وَإِنْ رَغَمْتَ، فَقَدْ نَقَضَ عَلَيْكَ ٱلذُّلُّ مَا أَبْرَمْتَ»[171].

---

(166) نفسه : 305.

(167) نفسه : 367.

(168) نفسه : 299.

(169) جهد النصيح : 298.

(170) نفسه : 302.

(171) نفسه : 348.

وأحيانا أخرى تأتي جملة طويلة مشتملة على جمل اعتراضية، القصد منها التوضيح كقوله : «إِنَّمَا أَنْتَ مَعَ ٱلْحَدَثِ ٱلرَّازِي، وَالقَدَرِ ٱلنَّازِي، كَلُحْمَةِ ٱلصَّقْرِ أَوِ ٱلْبَازِي ــ إِنْ أَنْشَبَ فِيكَ مَخَالِبَه، ضَعُفْتَ عَنْ أَنْ تُغَالِبَه»[172]. أو الشرح كقوله : «لَقَدْ حَكَّ مِنَ ٱلأَمْرِ فِي صَدْرِي أَنِّي كُلَّ يَوْمٍ يُذْهَبُ بِي، وَمَا أَدْرِي فَمَا لِي أَشُحُّ مَعَ هَذَا بِمَالِي، وَمَا شَأْنِي أَبْخَلُ وَلاَ أَبْذُلُ مَجْهُودِي مَتَى مَرَرْتُ عَلَى رَجُلٍ يَسْأَلُ، وَقَدْ أَوْرَثَنِي ٱلْكِتَابُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْيَقِين، بِأَنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِين»[173]، أو بيان الحال فيأتي بجمل حالية اعتراضية كقوله : «كَمْ عَمِرَ فِي نَادِيهِ عَامِرٍ ــ أَرْضُهُ نَدِيَّة، وَنَفْسُهُ عَلَى سَنَنِ ٱلْهَوَى مُسْتَوِيَة، وَمَذْهَبُهُ مُزَاحِيّ وَعِنَبُهُ مُلاَحِي ــ فَأَرْسَلَ ٱلدَّهْرُ عَلَى صَفْوِهِ بَعْضَ شَآبِيبِه، وَرَمَاهُ بِقُلاَعَةٍ مِنْ نَوَائِبِه»[174].

إلى جانب ذلك، لم يلتزم بترتيب عناصر الجملة الفعلية في كل عمله، بل عمد إلى تقديم المفعول به على الفاعل في أغلب الحالات وذلك إما لابرازه، وإما للخضوع إلى ما يفرضه السجع كقوله : «شَمِلَ الأَرَاذِلَ البُخْلُ»[175] و«وَدَجَ دَابَّتَهُ ٱلْمُسَافِرُ» و«جَهَدَ دَابَّتَهُ ٱلرَّاكِبُ»[176].

تعددت الضمائر ــ وإن غلب المخاطب عليها ــ فجاءت ضمائر المتكلم والغائب والمفرد والجمع، وقد يجمع بين المتكلم والمخاطب في مجال واحد مع استعمال ضمير الغائب أيضا كقوله : «أَكْنَنْتُ سِرِّي خَوْفَ غَائِلَةِ ٱلإِعْلاَن، أَيْنَ ٱلَّذِي يَحْفَظُ السِّرَّ مِنَ ٱلْخِلاَّن، لاَ نُكْرَ وَأَنَا بِهِ أَسْمَع، أَنَّ ٱلَّذِي يُسْتَوْدَعُهُ أَشْهَرُ لَهُ وَأَفْضَح، وَإِذَا أَكْنَنْتُ السِّرَّ بَدْءاً وَكَتَمْتُ مَنْ غَدَوْتُ لَهُ مِنَ ٱلْعِيَالِ رِدْءاً، فَعَسَى أَنْ تَجِدَ مِنْ سَلاَمَةِ ٱلْمَوَارِدِ وَٱلْمَصَادِر، مَا لاَ يُوجَدُ ٱلْيَوْمَ إِلاَّ فِي ٱلنَّادِر، دَاءٌ

(172) نفسه : 404.
(173) نفسه : 460.
(174) جهد النصيح : 416.
(175) نفسه : 285.
(176) نفسه : 296.

ٱلنَّاسِ عَيَاء، لَيْتَ شِرَارَهُمْ أَمْوَاتٌ لاَ أَحْيَاء»[177].

وقد ينتقل من المفرد المخاطب إلى الجمع المتكلم كقوله : «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْه، وَمَرِّغْ وَجْهَكَ فِي ٱلرَّغَامِ لِوَجْهِهِ ٱلْكَرِيمِ وَعَفِّرْه، عَسَاهُ يَمْحُو عَنْكَ مَا اكْتَتَبْتَه، وَيُعْتِبُكَ بِكَرَمِهِ إِذَا اسْتَعْتَبْتَه، وَشَرْطُ ٱلإِسْتِيفَاءِ، حَمْلٌ عَلَى هَذَا ٱلْجَفَاءِ. نَسْأَلُ ٱللَّهَ بِهَذِهِ ٱلْعَثْرَةِ حُسْنَ ٱلإِقَالَةِ وَنَسْتَوْهِبُهُ سُبْحَانَهُ جَمِيلَ ٱلتَّجَاوُزِ عَنْ طُغْيَانِ ٱلْقَلَمِ فِي هَذِهِ ٱلْمَقَالَةِ»[178].

وقد يجمع في لهجة المخاطب بين المفرد والجمع كقوله : «إِذَا مَلَّتَ ٱلْخُبْزَ فِي ٱلنَّارِ، فَاذْكُرْ مَآلَ ٱلْعُصَاةِ ٱلْمُذْنِبِينَ وَٱلْكُفَّارِ، وَتَذَكَّرْ إِذْ تَمُلُّهُ وَسْطَ ٱلْمُضْطَرَمِ أَنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ ٱلَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»[179].

5 ــ الأسلوب القصصي :

تلونت أساليب التأليف وتعددت، فهي سهلة بسيطة إذا أراد المؤلف إظهار الذلة والخضوع للمعبود وفي مجال الجمل الدعائية، وهي قوية عنيفة إذا كانت في مجال التهديد والوعيد والزجر، والنهي عن ارتكاب المعاصي وعن تعدي حقوق الخالق، يطغى عليها في العموم أسلوب الخطابة، وتتأثر بأسلوب القرآن وصيغه، إلا أن الملاحظ على هذا التأليف أنه لا يخلو من أسلوب قصصي ممتع يعتمد على رسم أشخاص، وذكر أحاديث، وإجراء حوار، ووصف للحركة، كوصفه للإنسان الذي «أَذِنَتِ ٱلأَقْدَارُ بِعَطَبِه وَعَاقَتْهُ ٱلشِّدَّةُ عَنْ أَرَبِه»[180]، فإذا بأهله يتحدثون عن مصابه، وإذا بالجيران يأتون لمواساتهم والتخفيف عن آلامهم، ثم تشتد الوطأة على المريض، فيتساءل الناس عن حاله حتى إذا علموا أنه «قَدْ حَالَ ٱلْجَرِيضُ دُونَ ٱلْقَرِيضِ» اختلفت أحوالهم فمنهم الفزع الذي «امتقع لونه» ومنهم

---

(177) نفسه : 317.

(178) نفسه : 442.

(179) جهد النصيح : 308.

(180) نفسه : 300.

العالم بأمر الله يسأله حسن العون، ثم يتوفى المصاب فينشغل الناس بتجهيزه ودفنه، ثم يعودون بعد ذلك إلى ما كانوا عليه في هذه الحياة «يُجْرُونَ خُيُولَ ٱللَّهْوِ فِي مَلاَعِبِهِم، وَيَجُرُّونَ ذُيُولَ ٱلزَّهْوِ فِي مَسَاحِبِهِم» كأنهم لم يفقدوا عزيزا عليهم، وتمر الأيام والشهور «وَلَمْ يَبْقَ لِهَذَا الْفَقِيد فِي إِسْرَارٍ مِنْ وَلِيِّهِ وَلاَ إِعْلاَنٍ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَقُولَ إِذَا مَرَّ بِقَبْرِهِ هَذَا قَبْرُ فُلاَن»[181].

وقد لا يكتفي بالسرد القصصي وإنما يعمد إلى رسم نفسية أبطاله وإجراء الحوار على ألسنتهم، كقصة الرجل الذي تزوج من امرأتين وذلك في قوله : «وَقَدْ تَكُونُ ٱلْمَرْأَةُ ٱلْوَاحِدَةُ غُلاًّ، فَكَيْفَ بِاثْنَتَيْن تَتَبَارَيَانِ حَسَداً وَغِلاًّ، إِنْ أَتَاهُمَا طَوَالَ ٱلدَّهْرِ بِجِفَانٍ رُذُمٍ تَسِيل، قَالَتِ ٱلأُولَى : مَا كُنْتُ لأَظْفَرَ بِهَا مِنْكَ لَوْلاَ هَذِهِ وَخَدُّهَا ٱلأَسِيل، وَقَالَتِ ٱلأُخْرَى : بَلْ رَغْبَهُ فِيكِ بِحَقِّ ٱلْقِدَمِ أَتَانَا بِهَذِهِ ٱلْجِفَانِ ٱلرُّذَمِ ، فَلاَ يَطِيبُ لَهُ بَيْنَهُمَا عَيْش، وَلاَ يُغِبُّه بَيْنَهُمَا سَفَهٌ وَطَيْش، إِنَّمَا ٱلنِّسَاءُ حَبَائِلُ ٱلشَّيْطَان، فَانْتَبِذْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنْ تِلْكَ ٱلأَشْطَان، وَإِلاًّ فَلَيْلُكَ وَٱللهِ لَيْلُ ٱلتِّمَامِ ، وَٱلْمَوْلُودُ مِنْهُمَا لاَ يَسُرُّكَ لِتَمَامٍ كَانَ أَوْ لِغَيْرِ تَمَام، وَرُبَّمَا اتَّفَقَتَا عَلَى ٱلتَّنْدِيدِ بِهِ وَٱلْوُقُوعِ فِيهِ، فَأَنْشَدَتْ إِحْدَاهُمَا تَعْنِيهِ بِمَا تُغَنِّيه :

كَـأَنَّ خُصَيَيْـهِ مِـنَ ٱلتَّدَلْـدُلِ ظَرْفُ عَجُوزٍ فِيهِ ثِنْتَا حَنْظَـلِ

فَتُجِيبُهَا ٱلأُخْرَى تُهِيجُهَا وَتُرِيهَا أَنْ قَدْ وَقَعَ صَغْوُهَا إِلَيْهِ وَتَعْرِيجُهَا :

لَسْتُ أُبَالِي أَنْ أَكُونَ مُحْمِقَة إِذَا رَأَيْتُ خُصْيَـةً مُعَلَّقَــة»[182]

6 ــ قضايا لغوية :

من القضايا اللغوية التي عالجها كتاب «الفصيح» قضية المثنيات المختلفة المعاني، إذ وضع لها ثلاثة أبواب :

1) باب المكسور أوله والمفتوح.

2) باب المضموم أوله والمفتوح.

---

(181) نفسه : 301.

(182) جهد النصيح : 441.

3) باب المكسور أوله والمضموم.

ولم يفرد بابا للمثلثات وإن أدرج بعضها ضمن مواد هذه الأبواب[183]، واقتصر في ذكر بعضها على وجهين (الفتح والضم، أو الكسر والضم، أو الكسر والفتح) دون أن يذكر مثلثها[184]، مع العلم أن هذه المثلثات كانت شغلا شاغلا لعلماء اللغة، وألفت فيها المؤلفات كمثلث قطرب[185] (206هـ) الذي يعتبر أول من ألف في هذا اللون من اللغة، وتبعه في ذلك خلق كثير[186]، منهم من الأندلسيين ابن السيد البطليوسي الذي ألف كتابه المثلث، وعبد الملك بن يزيد ابن مروان القرطبي الذي ألف «**بحر الدرر وروض الفكر**» وهو تأليف في المثلث على حروف المعجم[187] وابن عديس القضاعي الذي ألف كتابه «**الباهر في المثلث**» مضافا إليه المثنيات في ثلاثة مجلدات متوسطة إلى الكبر أقرب»[188]، ومحي الدين أبو بكر بن العربي الذي وضع كتابا حول المثلثات الواردة في القراءات[189].

اهتم أبو الربيع ببعض هذه المثلثات في تأليفه، ونظمها في جمل توضح اختلاف معانيها بتباين حركاتها (الفتح والضم والكسر) وإن كان هذا الاهتمام أقل بكثير من اهتمامه بالمثنيات نظرا لالتزامه بالألفاظ الواردة في الفصيح. من هذه المثلثات :

الحَلْمُ : الثقب في الجلد[190].
الحِلْمُ : العفو والصفح.
الحُلْمُ : الرؤية في المنام.

---

(183) مثل (الجنة) ذكرها في باب المكسور أوله والمفتوح، **الفصيح** : 297.

(184) مثل (اللحا) **الفصيح** : 297 و(الخرق) **الفصيح** : 298.

(185) طبع ونشر بتحقيق الدكتور رضا السويسي، الدار العربية للكتاب.

(186) انظر مقدمة كتاب **المثلث** لابن السيد من ص 58 إلى 62.

(187) **الذيل والتكملة** : 53/5.

(188) **نفسه** : 458/5.

(189) **نفسه** : 494/6.

(190) **جهد النصيح** : 345.

الغَمْـر : الماء الغزير[191].
الغِمْـر : الحقد.
الغُمْـر : الجاهل، الذي لم يجرب الأمور.

اللَّحا : عذلك المرء[192].
اللِّحا : جمع لحية.
اللُّحا : قشرة العود.

أَمَّـة : شجة رأس[193].
إِمَّـة : نعمـة.
أُمَّـة : مفرد أم.

العَـرْض : عكس الطول[194].
العِـرْض : الشـرف.
العُـرْض : النـاحيـة.

الجَنَّـة : الحديقـة[195].
الجِنَّـة : جمع جن.
الجُنَّـة : الوقايـة.

المثنيات : وهي مادة جد وفيرة، ارتأيت استخراجها ووضع شروحها فيما يلي :

الشَّبَاب : من شب الفتى وكبر ونما[196].
الشِّبَاب : من شب الفرس إذا وضع رجليه على الأرض.

---

(191) نفسه : 430.
(192) نفسه : 394.
(193) جهد النصيح : 408
(194) نفسه : 353.
(195) نفسه : 394.
(196) نفسه : 352/351.

البَكْــر : الفتى من الابل والشاب من الإنس[197].
البِكْــر : أول الأولاد.

الجَــزْع : قلادة من الخرز[198].
الجِــزْع : الجانب.

الخَيْــط : خيط الكتان[199].
الخِيــط : القطعة من النعام.

الحَبْــر : رجل الدين اليهودي، جمعه أحبار[200].
الحِبْــر : المــداد.

الشَّكْــل : الهيــأة[201].
الشُّكْــل : الدل والدلال.

القَسْــم : مصدر قسم[202].
القِسْــم : .النصيب

السَّــرْب : الطريــق[203].
السُّــرْب : القطيـع.

الصَّــدْق : الصلــب[204].
الصِّــدْق : عكس الكذب.

---

(197) نفسه : 391.
(198) نفسه : 392.
(199) جهد النصيح : 392.
(200) نفسه.
(201) نفسه : 393.
(202) نفسه : 392.
(203) نفسه.
(204) نفسه.

الشَّف : الفضل[205].
الشِّف : الستر الرقيق.

المَسْك : الجلد[206].
المِسْك : الطيب.

الحَمْل : حبل المرأة[207].
الحِمْل : ما يحمل من ثقل.

أَرِم : أحد[208].
إِرَم : علم من حجارة تعلم بها الطريق.

الوَقْر : ثقل السمع[209].
الوِقْر : الحمل كان على الظهر أو غيره.

القَرْن : مائة عام[210].
القِرْن : المثل والند.

الجَدّ : الحظ[211].
الجِدّ : أب الأب أو الأم.

النَّعْمَة : التنعم[212].
النِّعْمَة : جمعها نعم : ما أنعم الله به.

---

(205) نفس المصدر.
(206) نفسه.
(207) نفسه.
(208) نفسه : 393.
(209) نفسه.
(209) نفسه.
(210) نفسه.
(211) نفسه.
(212) نفسه.

الفَـــلُّ : المنهزمون[213].
الفِـــلّ : الأرض القاحلة لا نبات فيها.

الحَمَالـة : غرم الدية[214].
الحِمَالـة : ما يحمل به السيف على الكتب.

عَـلاَقـة : حــب[215].
عِـلاَقـة : شراك في مقبض السوط يتعلق منه.

أَمَـــارة : عـلامــة[216].
إمَـــارة : رئـاســة.

البَضْـعَـة : القطعة من اللحم[217].
البِضْـعَـة : ما يستعمل مع العدد ـــ بضع.

عَـــوَج : كل ما يرى منتصبا قائما[218].
عِـــوَج : كل ما لا يرى ولا يسمع.

الثَّـفَـــال : البعير البطيء[219].
الثِّـفَـــال : قطعة الجلد توضع تحت الرحى.

اللَّـقَـــاح : مصدر لقحت الأنثى لقاحا[220].
اللِّـقَـــاح : جمع لقحة.

---

(213) نفسه.
(214) نفسه : 395.
(215) نفسه.
(216) نفسه : 396.
(217) جهد النصيح : 417.
(218) نفسه.
(219) نفسه : 396.
(220) نفسه.

العَـــذْل : القيمة[221].
العِـــذْل : المثـــل.

لَـخْـمَـة : خيوط السدى[222].
لُـخْـمَـة : قرابة النسب ــ صيد البازي.

الخَـلَّـة : ابنة المخاض من الإبل[223].
الخُـلَّـة : المـــودة.

اللَّـجَّـة : الأصوات والجلبة[224].
اللُّـجَّـة : معظم الماء.

الحَمُولَة : الدابـة[225].
الحُمُولَة : مفرد أحمال.

الـــدَّفّ : الجنـــب[226].
الـــدُّفّ : آلـة الطرب.

الجَـمَّـة : ما اجتمع من الشعر فوق الرأس[227].
الجُـمَّـة : القوم يسألون في الدية.

مَـــوَات : فناء كل شيء غير الحيوان[228].
مُـــوَات : وباء يؤدي إلى كثرة الموت.

---

(221) **نفسه** : 397.
(222) **نفسه** : 404.
(223) **نفسه** : 406.
(224) **نفسه** : 405.
(225) **نفسه**.
(226) **جهد النصيح** : 406.
(227) **نفسه**.
(228) **نفسه** : 407.

شَفْـــر : أحـــد[229].
شُفْـــر : هدب العين.

عَقِـــب : ما بقي من الشيء[230].
عُقْـــب : نهاية الشيء.

رِحْلَـــة : القوة على السفر[231].
رُحْلَـــة : الارتحـــال.

حِبْيَـــة : من الاحتباء[232].
حَبْـــوَة : عطيـــة.

صِفْـــر : خـــالـــي[233].
صُفْـــر : نحـــاس.

جِمَـــام : مـــلء[234].
جُمَـــام : مـــلء.

خِلْـــف : جمعها أخلاف : وهي ضروع الناقة[235].
خَلْـــف : إخـــلاف.

عِـــلاَوة : الرأس ــ ما يعلق على البعير بعد حمله[236].
عُـــلاَوَة : فـــوق.

---

(229) نفسه.
(230) نفسه : 407.
(231) نفسه : 408.
(232) نفسه : 409.
(233) نفسه.
(234) نفسه : 410.
(235) نفسه.
(236) نفسه.

ومن الألفاظ المتفقة الحروف، المختلفة المعاني [المشترك] :

حبس : سجن.	حبس : منع من التصرف[237].
سفر : ظهر.	سفرت : أظهرت محاسنها[238].
أسفر : أبيض.	أسفر : لاح[239].
رقي : وضع رقية على الصبي.	رقي : صعد السلم[240].
وجب : دق (القلب).	وجبت : (الشمس) غابت[241].
وجد : حزن. وجد : عثر.	وجد : اغتنى[242].
نفق : راج.	نفق : (البعير) مات[243].
جلوت : زينت.	جلوت : صقلت[244].
أشرع : فتح.	أشرع : سدد (الرمح)[245].
شرع : سن شريعة.	شرع : ورد[246].

7 ـ الغاية التعليمية من هذا التأليف :

تظهر الغاية التعليمية من وضع هذا التأليف في حرص أبي الربيع على تقديم نموذج لاستعمال اللفظ بمدلوله الأصلي في إطار تعبيري بلاغي يكون مثالا للمتأدبين والكتاب. ولذا نلحظ بعض الإشارات الواردة في المتن تفي بهذه الصبغة التعليمية، وهي إما خاصة بالشرح أو خاصة باستعمال اللفظ والنطق به. وقد ألح المؤلف على ضرورة معرفة مجاري الألفاظ في أصل اللسان العربي، خصوصا

(237) جهد النصيح : 312.
(238) نفسه : 312.
(239) نفسه.
(240) نفسه : 328.
(241) نفسه : 334.
(242) نفسه : 332.
(343) نفسه : 336.
(244) نفسه : 338.
(245) نفسه : 362.
(246) نفسه.

للمتعلمين المؤمنين، إذ بإتقانهم للغة يستطيعون إدراك وفهم السنة والكتاب، وصرح بهذا الرأي في قوله : «إنَّ ٱللَّهَ جَعَلَ نَبِيَّنَا عَرَبِيّاً وَكِتَابَنَا عَرَبِيّاً وَلِسَانَنَا عَرَبِيّاً، فَكَٱلضَّرُورِي بِحَسَبِ هَذَا ٱلإِنْسَان إِذَا كَانَ مِمَّنْ زَيَّنَهُ ٱللَّهُ بِٱلْعِلْمِ وَشَرَّفَهُ بِٱلإِيمَان، أَنْ يَعْلَمَ كَيْفَ مَجَارِي هَذِهِ ٱلأَلْفَاظِ فِي أَصْلِ ٱللِّسَان، فَبِعِلْمِهَا نَرْفَعُ فِي كَثِيرٍ مِنَ ٱلْقَضَايَا عَارِضَ ٱلإِرْتِيَاب، وَنَفْهَمُ مُقْتَضَيَاتِ ٱلسُّنَّةِ وَالكِتَاب، وَإِنَّمَا ٱلْجَهْلُ كُلُّ ٱلْجَهْلِ أَنْ يُطْلَبَ عِلْمٌ مِثْلُ هَذَا لِنَفْسِه، وَيُتَّخَذَ عِلْماً بِرَأْسِه، فَيَفْنَى ٱلزَّمَانُ فِي مُحَاوَلَةِ هَذَيَانِه، وَيُضْرَبَ عَنْ أَثَرِ ٱلْحَقِّ وَعِيَانِه»[247].

كما أشار إلى ضرورة التعرف على استعمال الحركات : الفتح والرفع والكسر — للابتعاد باللفظ عن أي لبس أو تغيير في معناه قد لا يوصلنا إلى الدلالة الحقيقية للفظ، خصوصا واللغة العربية فيها الكثير من الألفاظ التي تكتب بنفس الرسم، ولكنها تعطي معاني مختلفة إذا تغيرت حركاتها، وأتى على هذا بنموذج في قوله : «وَيَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ ذَلِكَ لِمَ كَسَرُوا حِمَالَةَ السَّيْف، وَفَتَحُوا حَمَالَةَ الدِّيَة، وَهَلْ لِذَلِكَ عِنْدَهُمْ عِلَّةٌ قَاصِرَة أَوْ مُتَعَدِّيَة، أَلاَ لاَ ذَا وَلاَ ذَاكَ وَلَكِنِ ٱلْقَيُّومُ ٱلَّذِي لاَ يُمَارِسُ كَمَالَهُ ٱلنَّوْمُ وَلاَ السِّنَة، يُطْلِقُ كَيْفَ شَاءَ الأَلْسِنَة فَطَوْراً بِمُتَّفَق فَيَقَعُ الاِشْتِرَاكُ، وَطَوْراً بِمُخْتَلِف فَتَحْصُلُ التَّفْرِقَةُ التِي يُؤْمَنُ مَعَهَا الاِشْتِبَاهُ وَالاِرْتِبَاكُ»[248].

وعمد إلى ذكر بعض الشروح وإدراجها ضمن المتن كقوله :

«الهَمُّ ٱلَّذِي قَيَّدَهُ ٱلْهَرَمُ واعْتَقَل»[249].

«الْفَقَاقَةُ الَّذِي لاَ يَفقَهُ المَاضِيَ مِنَ ٱلْمُسْتَقْبَل»[250].

«الصَّرُورَةُ ٱلَّذِي لَمْ يَحُجَّ مِنَ ٱلرِّجَال»[251].

---

(247) جهد النصيح : 389.

(248) نفسه : 395.

(249) نفسه : 417.

(250) جهد النصيح : 426.

(251) نفسه : 428.

«الْغُمْرُ ٱلَّذِي لَمْ يُجَرِّبِ ٱلأُمُورَ وَلاَ عَرَفَ مَأْتَاهَا»[252].

وأشار إلى كيفية استعمال بعض الألفاظ والنطق بها في معرض تركيبه لها، مبرزا وموضحا معانيها، وطرق استعمالها إذا كانت مما يجوز فيه وجهان أو معنيان[253]، كتوضيح لفظ «الشهريز» وكيف أنه يقال بالسين والشين[254]، ولفظ «ذرآني» «الذي تخفف وتثقل راؤه»[255]، وكذلك في قوله : «إنفحة الجدي من هذا القبيل فابدلها رطبة ومجففة وقلها مثقلة ومخففة»[256].

وقد يؤكد على صيغ صرفية معينة كتأكيده على الفعل «زر» : «ولا تهمل تأكيدي في زَرِّهِ، فَزُرَّهُ، وَزُرُّهُ، وزُرِّهِ، كل قد قيل وقد يخفف قصد التأكيد الثقيل»[257].

كما يلفت النظر إلى بعض المشتقات من الأفعال والتي لم تستعمل العرب منها صيغة الماضي ولا صيغة اسم الفاعل كالفعل «وذر» والفعل «ودع»، فإنه لا يستعمل منه إلا المضارع والأمر، وذلك في قوله : «ازْجُرْ لِسَانَكَ عَنْ هَذِهِ ٱلْمَآخِذِ وَازْدَعْه، وَلاَ تَعْتَلَّ مُخَادِعاً بِأَنَّهُ لاَ يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ وَذَرْتُ وَلاَ وَدَعْت، وَمَا أَنَا وَاذِراً وَلاَ وَادِعاً، فَإِنِّي إِنَّمَا أَطْلُبُكَ أَنْ تَصْدَعَ بِٱلْمَعْنَى، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ بِٱللَّفْظِ صَادِعا، وَلَكَ فِي ٱلتَّرْكِ وَمَا اشْتُقَّ مِنْهُ مَنْدُوحَةٌ عَنِ ٱللَّفْظِ ٱلَّذِي رُسِمَ لَكَ أَنْ تَحِيدَ عَنْهُ، فَقُلْ لِي تَرَكْتُ وَأَنَا تَارِكٌ، وَنَهَجْتَ لِي مَسْلَكاً فَأَنَا لَهُ سَالِكٌ»[258].

واهتم أيضا بالمصطلح، ويعني به المؤلف ما اصطلح العرب على تسميته، كإطلاقهم لفظ «ماعزة» على الظبية، ولفظ «البقرة» على «النعجة» في قوله : «وَإِنْ

---

(252) نفسه : 430.

(253) انظر ص 348 عندما فصل الحديث عن (القر).

(254) نفسه : 388.

(255) نفسه : 419.

(256) نفسه : 385.

(257) نفسه : 292.

(258) جهد النصيح : 367.

بَعَثَ خَاطِراً إِلَى تَمَامِ ٱلتَّعْلِيمِ بَاعِثُ ٱلارْتِيَاحِ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ ٱلْوَحْشِيَّةَ كَٱلنَّعْجَةِ وَٱلظَّبْيَةَ كَٱلْمَاعِزَةِ فِي هَذَا ٱلإِصْطِلاَحِ»[259]. وفي قوله عن الاصطلاح والقياس : «إِنَّ كَلاَمَ العَرَبِ عَجْزَاء والقِيَاسُ ٱلْيَاء»[260].

امتلأ هذا التأليف بتجارب إنسانية كثيرة جاءت نتيجة حياة حافلة قضاها أبو الربيع مجاهدا بالسيف والقلم، فسجل زبدة خبرته بالحياة والناس، ونقل إلينا ما استفاده من الأيام مشاهدة وتلقينا خلال ستين سنة من حياته، فالمؤلف هذا مما ألفه أبو الربيع في العشر سنوات الأواخر من حياته، وفي طيه ما يعزز هذا الرأي إذ قال : «مَا أَكَلْتُ أَكْلاً فَلَذَّ لِي مُنْذُ اعْتَبَرْتُ آخِرِي وَأَوَّلِي، وَلاَ ذُقْتُ غموضاً فَهَدَأَتْ عَلَيْهِ ٱلْعَيْن، مُنْذُ طَالَعَنِي مِنْ مُرْتَبَأِ ٱلسِّتِّينَ ٱلْحَيْن»[261]. ويشير في موضع آخر إلى هذه الستين في قوله : «وَمَنْ سَالَ عَلَيْهِ سَيْلُ ٱلسِّتِّينَ مِنْ نُقَطِ ٱلإِنَاء، فَقَدْ حَصَلَ فِي دِهْلِيزِ ٱلْفَنَاء»[262].

واختار أبو الربيع لابراز هذه الخبرة، ولاظهار هذه التجارب، إطار النصيحة، التي أسداها للمسلم في كل زمان ومكان، وآثرها لكل مؤمن عبر السنين والأعوام. واليوم ـــ وعلى بعد الشقة بيننا وبينه ـــ يصلنا هذا الكتاب، ويصلنا معه حديثه وما آثرنا به وقد صدقت فراسته عندما قال : «آثَرْتُ لَكَ هَذَا ٱلْحَدِيثَ وَلاَ أَزَالُ آثُره، فَاسْمَعْ مِنِّي حَقّاً، وَلَوْ أَثْرتَ ٱلتُّرابَ وَقَدْ أَدَارَ ٱللَّهُ عَلَى رِمَّتِي ٱلأَحْقَابَ، لَمَا وَجَدْتَ حِينَ تُثِيرُهُ إِلاَّ نُصْحاً لَكَ وَصِدْقَا»[263].

الخاتمة :

كشفت هذه الدراسة عن جانب من جوانب النشاط العلمي في الأندلس، وهو اهتمام الأندلسيين بكتاب **«الفصيح»** لثعلب، هذا الكتاب الذي كان ضمن

---

(259) **نفسه** : 468.

(260) **نفسه** : 378.

(261) **نفسه** : 371.

(262) **نفسه** : 388.

(263) **نفسه** : 320.

الكتب المقررة في برامج التعليم عند الأندلسيين، ونشطت حوله حركة تأليف واسعة ـــ وعبر العصور التاريخية لهذه المنطقة من العالم الإسلامي ـــ تمخضت عن ألوان من الانتاجات الأدبية اتخذت أشكالا ثلاثة : الشرح، والنظم، والتأليف. واشترك في ذلك عدد من كبار علماء الأندلس وأبرز أعلامها، وظهر أول الأعمال حوله في القرن الخامس الهجري على يد مكي بن أبي طالب القيسي، ثم قويت حركة التأليف حول هذا الكتاب فبلغت ذروتها في القرن السادس، وأفرزت خمسة شروح لكبار أعلام هذا القرن وهم : ابن السيد البطليوسي، وأبو العباس التدميري، وابن هشام اللخمي، وابن صاف اللخمي، وابن عديس القضاعي. ولم يصلنا منها إلا شرحان اثنان شرح التدميري المسمى «**التصريح بشرح غريب الفصيح**» وهو شرح كامل، والثاني شرح ابن هشام اللخمي وهو أيضا شرح كامل. ولم تهمل هذه الدراسة ما ضاع من هذا التراث القيم، وإنما حاولت إعطاء نظرة عنه، ولو جزئية، وتعقبته في مصادر أخرى كالمزهر للسيوطي الذي أورد نقولا من شرح ابن السيد البطليوسي، «**وتحفة المجد الصريح**» للبلي الفهري الذي أورد نقولا من شروح سابقيه. كما ظهر في هذا القرن «**نظم على الفصيح**» لعلي ابن المرادي البلنسي، وتأليف «**خطبة الفصيح**» لأبي القاسم الكلاعي، فكانت حصيلة الإنتاج الفكري حول هذا الكتاب «الفصيح» سبعة مؤلفات.

وفي القرن السابع الهجري ظهرت ثلاثة شروح : شرح أبي بكر بن طلحة الإشبيلي، وشرح إبراهيم بن علي الفهري، وشرح أبي جعفر الفهري اللبلي، وخطبة «جهد النصيح» لأبي الربيع الكلاعي. فكان مجموع الإنتاج في هذا القرن أربعة مؤلفات سلم منها : جزء من تحفة المجد الصريح للفهري اللبلي، وخطبة أبي الربيع «جهد النصيح» وهي محور التحقيق والدراسة في هذا العمل. كما عرف في هذا القرن نظمان للفصيح : نظم مالك بن المرحل، ونظم أبي بكر القللوسي.

لم تغفل هذه الدراسة الإشارة إلى ما نظم من الفصيح في القرن الثامن الهجري، كنظم أبي عبد الله البلياني، ونظم ابن جابر الأندلسي على اعتبار أن تاريخ مولدهما يرجع إلى القرن السابع الهجري.

وكشفت هذه الدراسة أيضا عن أعلام من الأندلس عرفوا بقوة تكوينهم اللغوي والأدبي، وتمكنهم من ألوان الثقافة العربية والإسلامية وكلهم كانوا شيوخا

ومؤدبين، يحملون على عواتقهم مسؤولية تثقيف النشء وتعليمه الأساليب العربية السليمة، والعمل على خلق ملكة الذوق عنده وتمثله لمختلف أشكال الثقافة العربية من دواوين وأشعار وكتب في اللغة والأمثال. وأظهرت شروحهم ميلهم إلى التوثيق والتثبت في الرواية، والضبط في نسبة الأقوال والأشعار إلى قائليها، وظهرت ميزة هذه الشروح في شكلين :

ـ شروح تعليمية موجهة إلى المتعلمين تكتفي بشرح الألفاظ وطرق استعمالها، وشرح الأشعار ونسبتها إلى قائليها مع بيان بحورها، وتميل أغلبها إلى الاختصار والإيجاز.

ـ شروح أدبية موجهة إلى شخصيات بارزة في الدولة، القصد منها إظهار قدرة الشارح وإمكاناته العلمية، والتي تتجلى في استقرائه لأقوال العلماء ومناقشتها، ومقابلة بعضها ببعض، ونسبة كل رأي إلى قائله، والنص على المؤلفات التي استقى منها الشارح مادته، وكذا إظهار محفوظه الشعري، إذ لا يكتفي بشاهد واحد، وإنما تتعاقب شواهده تباعا بالإضافة إلى تعزيز أقواله بنصوص قرآنية وأحاديث نبوية، فجاءت هذه الشروح مطولة وموسعة.

واهتمت هذه الدراسة أيضا بإزالة النقاب عن حركة علمية واسعة شهدها جزء من بلاد الأندلس، ألا وهو شرقه، الذي أمد التراث الأندلسي بسيل زاخر من الأدباء والعلماء، ورفد نهر المعرفة بالعديد من المؤلفات المتنوعة، والتي غطت فروع الثقافة العربية والإسلامية، فظهرت مؤلفات في التاريخ والسيرة، وكتب التراجم والأعلام، والحديث ورجاله ونقده، وفي اللغة وعلوم العربية، والدواوين الشعرية، وأبرزت بشكل خاص ميزات الشرق على غيره من جهات الأندلس بما توفر لدى رجاله من ميزات طبيعية، فالرجل من شرق الأندلس يجمع بين طرفي النظم والنثر، وبين علوم العربية وعلوم القرآن والحديث، وبين التاريخ والبلاغة، فكانت سمة الموسوعية هي سمة أدبائه.

كما امتاز القرن السابع الهجري بالذات بوفرة الإنتاج وتعدد ألوان المؤلفات التي ماتزال إلى يومنا الحالي تشهد لهذه المنطقة بالازدهار الفكري رغم اضطراب الأحوال السياسية، وانشغال الناس بالجهاد ومقاومة المد المسيحي. وظل الأدب العربي فيما بعد مدينا لهذا القرن ورجاله بما بعثوه من حركة علمية واسعة انتشرت

على طول الشمال الإفريقي، وكونت مراكز علمية أذكت شعلة الدرس والبحث والتأليف في مدن متعددة كسبتة وبجاية وتونس، وامتدت حتى مصر والشام وبلاد الحجاز.

أظهرت هذه الدراسة أيضا أن «جهد النصيح» هو النموذج الوحيد للخطب والرسائل التي ألفت موشحة بألفاظ **«الفصيح»** الباقي من غابر الأزمان. فخطبة أبي العلاء المعري حول «الفصيح» في عداد المفقود من الآثار اليوم، وكذا معارضة أبي القاسم الكلاعي، ولم يسلم من هذه النماذج إلا هذا الكتاب الذي حقق ووضعت حوله هذه الدراسة.

يمثل هذا التأليف القسم الخامس من أنواع المؤلفات في الأندلس حسب ترتيب ابن حزم لها في رسالته في فضل الأندلس وذكر رجالها، إذ اعتبر أنواع التأليف سبعة حصرها في قوله : «وإنما ذكرنا التآليف المستحقة للذكر والتي تدخل تحت الأقسام السبعة التي لا يؤلف عاقل عالم إلا في أحدها وهي : إما شيء لم يسبق إليه يخترعه، أو شيء ناقص يتمه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيء متفرق يجمعه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مؤلفه يصلحه. وأما التآليف المقصرة عن مراتب غيرها فلم نلفت إلى ذكرها، وهي عندنا من تأليف أهل بلدنا أكثر من أن نحيط بعلمها».

وتظهر من خلال «جهد النصيح» النزعة الزهدية التي اشتدت ظاهرتها في القرنين السادس والسابع الهجريين، ونشطت حولها حركة التأليف. ويعتبر أبو الربيع من كبار المؤلفين فيها، إذ أغلب مؤلفاته تدور حول هذا الموضوع، **كمفاوضة القلب العليل، ونكتة الأمثال، وجهد النصيح، وديوان الصحف المنشرة في القطع المعشرة وديوان نتيجة الحب الصميم**، بالإضافة إلى ديوان خطبه.

وتعتبر هذه الرسالة نموذجا من نماذج النثر الفني الأندلسي في القرن السابع الهجري، وهو نثر يعتمد على السجع دون الاغراق فيه، كما يعتمد على العديد من ألوان المحسنات البديعية والبيانية دون الاغراق فيها، ويبتعد عن الاستطراد وعن الأساليب النثرية التي عرفها هذا القرن على يد عدد من المترسلين — من تلامذة أبي الربيع — كابن الأبار وأبي المطرف بن عميرة، وأبي عبد الله بن الجنان، الذين أغرقوا النثر في كثير من الصنعة، وشحنوه بكثير من القضايا النحوية والصرفية،

والإشارات التاريخية، والتلميحات، والتضمينات بالأمثال والأشعار، حتى أصبحت مؤلفاتهم في حاجة إلى شروح توضح ما غمض منها، وتبين إشاراتها.

وختاما، هذه ثمرة من ثمرات جهود رجل عرف بجهاده بالسيف والقلم، أتاح لها الزمان اليوم أن تنشر، فتنشر معها العلم والمعرفة، وتظهر جانبا مما كان عليه علماء الأندلس من عناية باللغة العربية وعلومها، إذ هي الوسيلة لفهم الكتاب والسنة. وصدق رب العالمين في قوله : ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين، وإنه لفي زبر الأولين﴾.
صدق الله العظيم

القسم الثاني

المتـــــن

بسم الله الرحمن الرحيم   صلى الله على سيدنا محمد وآله

أخبرنا الشيخ الفقيه الأجل الخطيب الإمام المحدث
الأوحد العلامة الأفضل أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم
الكلاعي قراءة عليه في شهر رمضان المعظم سنة تسع ......

ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء
الحمد لله الذي وهب لي على الكبر فكرًا مستشرفًا إلى العبر، وخاطرًا
فيما يوليه أو يذره على مزية الشكر وحسن المختبر، أحمده سبحانه
على نعمه التي أفاض علينا منها أكثر من نصفها من الجبر، وأكثر من الرمل
والحصى والشجر، وأستوهبه توالي امتنانه فراغًا يفسح للتمهيد
مسرح الفكر، ولسانًا إذا أمنت به إلى تشبيه وتحبير، تأنق وبرز
وقلبًا متى اقتضى انبعاث الجد إلى عز مورده العذب أثر قبل الورد
الصدر، ومعرفة بقدر عارفة الإسلام الذي أظهره على الدين كله
فظهر وبهر ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون
ثم الصلاة على سيدنا محمد رسوله الذي ابتعثه بأسعد المقاصد
والأنحاء وأيده بجوامع الكلم فقصرت عنه فصاحة الفصحاء وأمده منه
بالنور الذي لا يلحق متطاول إبانته، ولا يمحو باهر آياته عارض الإمحاء
صلى الله عليه وعلى عترته الغر الصرحاء، وأهل بيته المحرزين شرف الانتماء
وسائر صحابته المنتجبين بمناصحة النصيحة أكرم الأنحاء، صلاة تؤمننا
من الثواب الأجزل في اليوم الأعرض الأطول مخوف البرحاء
أما بعد فخير ما أبلى المرء فيه أقلامه، واستعمل الخاطر
... وأشغل المتكلم فيه كلامه، وظيفة تحميد الله يؤديها

كتاب مفر النصيح ومحجة النصيح

او العلا العرق من خطبة النصيح [illegible]

الاجل الكتيب الاعلم المحدث الاوحد العلامة الاجل ابي الربيع سليمن بن

موسى الكلاعي رحمه الله وغفر له ولجميع المسلمين

روايه الشيخ الامام العالم شمس الدين ابي عبد الله محمد بن الفقيه ابي العباس احمد بن ابي بكر

ابن محمد بن زياد العبدري سماعا منه

روايـــــــــه الفقير الي رحمه الله تعالى ابو بكر محمد بن

ابن صالح القرشي سماعا منه

شاهدت في اصل الشيخ الفقيه العالم الاوحد شمس الدين ابي عبد الله محمد المسمى

ما حكايته بخط المصنف المذكور حرفا بحرف ۝ قرأ

الفقيه الجليل النبيه الزكي الاصيل ابو عبد الله محمد بن الفقيه الاجل

ابي العباس احمد بن ابي بكر بن عيسى بن محمد بن زياد العبدري [illegible]

على طاعته وتقواه فليروه عني ذلك ان شاء الله نفعنا الله [illegible]

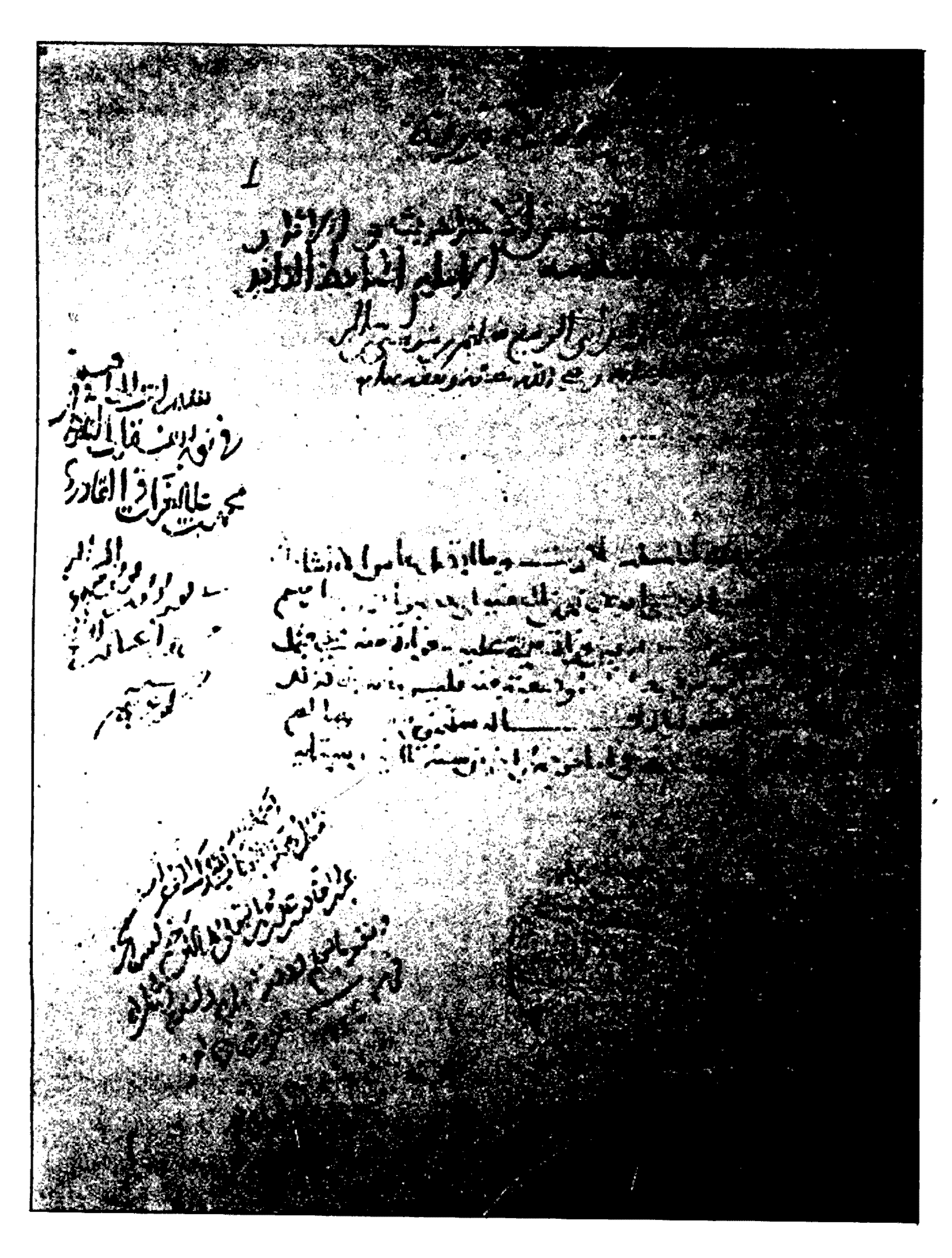
سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي وكتب بخطه في شهر [illegible]

المعظم من سنة تسع وعشرين وستمائة [illegible]

نقلته كذلك كما شاهدته [illegible]

القرشي في الثاني عشر من [illegible]

[illegible]



إجازة بخط أبي الربيع الكلاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

أخبرنا الشيخ الفقيه الأجل الخطيب الإمام المحدث الأوحد والعلامة الأحفل أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي قراءة عليه في شهر رمضان المعظم سنة تسع وعشرين وستمائة :

رَبَّنا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ، وَمَا يَخْفَى عَلَى ٱللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي ٱلسَّمَاءِ. ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ فِكْراً مُسْتَشْرِفاً لِلْعِبَرِ، وَحِرْصاً فِيمَا يُولِيهِ أَوْ يَزْوِيهِ[1] عَلَى مَزِيَّةِ ٱلشُّكْرِ وَحُسْنِ المُصْطَبَرِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى نِعَمِهِ ٱلَّتِي أَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْهَا آنَقَ مِنْ فَضْفَاضِ ٱلْحِبَرِ[2]، وَأَكْثَرَ مِنَ ٱلرَّمْلِ وَٱلْحَصَى وَالشَّجَرِ، وَأَسْتَوْهِبُهُ تَبَارَكَ ٱسْمُهُ فَرَاغاً يَفْسَحُ بِتَمْجِيدِهِ مَسْرَحَ ٱلْفِكَرِ، وَلِسَاناً إِذَا أَهَبْتُ بِهِ إِلَى تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ تَأَهَّبَ وَبَدَرَ، وَقَلْباً مَتَى اقْتُضِيَ انْبِعَاثُ ٱلْجِدِّ إِلَى غَيْرِ مَوْرِدِهِ العِدِّ آثَرَ قَبْلَ الْوِرْدِ الصَّدَرَ، وَمَعْرِفَةً بِقَدْرِ عَارِفَةِ ٱلإِسْلاَمِ ٱلَّذِي أَظْهَرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ. فَظَهَرَ وَبَهَرَ، ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ. ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ ٱلَّذِي ٱبْتَعَثَهُ بِأَسْعَدِ ٱلْمَقَاصِدِ وَٱلأَنْحَاءِ، وَأَيَّدَهُ بِجَوَامِعِ ٱلْكَلِمِ فَقَصَّرَتْ عَنْهُ فَصَاحَةُ ٱلْفُصَحَاءِ، وَأَمَدَّهُ مِنْهُ بِالنُّورِ ٱلَّذِي لاَ يَلْحَقُ مُتَظَاهِرَ آيَاتِهِ، وَلاَ يَمْحَقُ بَاهِرَ إِيَاتِهِ[3] عَارِضُ ٱلإِمِّحَاءِ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى عِتْرَتِهِ ٱلْغُرِّ ٱلصُّرَحَاءِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ ٱلْمُحْرِزِينَ شَرَفَ ٱلْبَطْحَاءِ، وَسَائِرِ صَحَابَتِهِ ٱلْمُنْتَحِينَ مَقَاصِدَهُ ٱلْمُنْجِيَةَ أَكْرَمَ ٱلإِنْتِحَاءِ، صَلاَةً تُؤَمِّنُنَا فِي ٱلْمَوْقِفِ ٱلأَهْوَلِ، وَٱلْيَوْمِ ٱلأَعْرَضِ ٱلأَطْوَلِ، مَخُوفَ ٱلْبُرَحَاءِ[4].

---

(1) يزويه : يصرفه ويقبضه.

(2) الحبر : مفردها حبرة بكسر الحاء وفتحها، وفتح الباء والراء وهي نوع من البرود اليمانية.

(3) إياة : هالة الضوء المحيطة بالشمس.

(4) البرحاء : الشدة والشقاء.

أَمَّا بَعْدُ، فَخَيْرُ مَا أَجَالَ ٱلْمَرْءُ فِيهِ أَقْلاَمَهُ، وَاسْتَجْلَى ٱلْخَاطِرُ بِمُزَاوَلَتِهِ ظَلاَمَهُ، وَاسْتَعْمَلَ ٱلْمُتَكَلِّمُ فِيهِ كَلاَمَهُ، وَظِيفَةُ تَمْجِيدٍ لِلَّهِ يُؤَدِّيهَا، وَنَصِيحَةُ إِرْشَادٍ وَتَسْدِيدٍ إِلَى أَخِيهِ ٱلْمُسْلِمِ يُهْدِيهَا، وَإِذَا تَهَيَّأَ لَهُ بِذَلِكَ بَعْضُ ٱلْوَفَاءِ، وَبَلَغَ بِهِ ٱلسَّعْيُ إِلَى حَيْثُ يُخِيلُ مُقَارَبَةَ ٱلإِكْتِفَاءِ. فَنِعْمَةٌ لِلَّهِ وَحْدِهِ عَلَيْهِ بِهَا ٱلْمَنُّ، وَوَسِيلَةٌ عَسَى أَنْ يَصْدُقَ بِقَبُولِهَا فِي كَرَمِهِ ٱلظَّنُّ. وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرْتَقِيَ وَاثِقاً بِعَوْنِهِ إِلَى هَذَا ٱلْمَقَامِ، وَأَنْتَقِيَ فِي هَذِهِ ٱلسَّبِيلِ مَا أَمْكَنَنِي مِنْ حُرِّ ٱلْكَلاَمِ، مُوَشِّحاً لَهُ بِالأَلْفَاظِ ٱلَّتِي اشْتَمَلَ عَلَيْهَا كِتَابُ ٱلْفَصِيحِ، مُسَاجِلاً فِي ذَلِكَ لأَبِي ٱلْعَلاَءِ ٱلتَّنُوخِيِّ وَلَكِنْ بِسَهْمِ ٱلْمَنِيحِ[5].

وَقَدْ سَمَّيْتُهُ تَكْمِيلاً لِمَبْنَاهُ، وَتَعْيِيناً بِعُنْوَانِهِ لِمَعْنَاهُ: «كِتَابَ جُهْدِ ٱلنَّصِيحِ وَحَظِّ ٱلْمَنِيحِ مِنْ مُسَاجَلَةِ ٱلْمَعَرِّي فِي خُطْبَةِ ٱلْفَصِيحِ». وَإِنَّهُ لَسِجَالٌ لِلنَّظَرِ ٱلسَّدِيدِ بِتَوْهِينِ تَعَاطِيهِ حُكْمٌ وَإِسْجَالٌ، وَإِلاَّ فَأَبُو ٱلْعَلاَءِ أَبُو ٱلْعَلاَءِ وَمَنْ لِمُسَاجِلِهِ بِسَهْمِ ٱلْمَنِيحِ أَوِ ٱلْغِلاَءِ[6]:

وَابْنُ ٱللَّبُونِ إِذَا مَا لُزَّ فِي قَرَنٍ ... لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ ٱلْبُزْلِ ٱلْقَنَاعِيسِ[7]

[البسيط]

وَلَوْ لَمْ يُقَيَّدْ إِلاَّ مَا يَحْسُنُ بِهِ ٱلإِعْتِنَاءُ وَيَتَأَكَّدُ ٱلتَّحْصِيلُ لَهُ وَٱلإِقْتِنَاءُ، لَقَلَّتْ حَاجَةُ ٱلنَّاسِ ٱلْيَوْمَ إِلَى ٱلْقَرَاطِيسِ وَلَكِنَّهُ قَطْعٌ لِزَمَانِ ٱلْفَرَاغِ، بِمَا يُوهِمُ حُسْنَ ٱلْمَسَاغِ، وَدَعْوَى فِي ٱلْبَلاَغَةِ لَعَلَّ فِيهَا لِلْمُنْصِفِينَ وَٱلْمُسْتَوْصِفِينَ بَعْضَ ٱلْبَلاَغِ، وَسَيَتَشَعَّبُ بِي ٱلْكَلاَمُ إِلَى شُعَبٍ، قَدْ يَظُنُّهَا ٱلنَّاظِرُ أَوِ ٱلسَّامِعُ خَارِجَةً عَمَّا ذَهَبْتُ

---

(5) المنيح: ثامن قداح المسير، وقيل هو الذي لا نصيب له.

(6) الغلاء: بكسر الغين ومد اللام من غاليته مغالاة وغلاء إذا راميته وعند ابن سيدة: «سهم الغلاء محدود: السهم الذي يقدر به مدى الأميال والفراسخ والأراضي التي يستبق إليها.

(7) اللبون: الصغير من الإبل ــ لز: ربط ــ قرن: حلبل ــ البزل: جمع بازل: البعير القوي ــ القناعيس: جمع قنعاس: الشديد.
والبيت لجرير في هجاء عمر بن لجأ (ديوان جرير: 323).
وفي اللسان [لز] و[قعس]. وهو من الشواهد النحوية في باب ال. انظر كتاب سيبويه: 265/1، والمغني اللبيب، الشاهد 75.

إِلَيْهِ مِنْ مَذْهَبٍ، وَٱلإِطَالَةُ لِذَلِكَ مُقْتَضِيَةٌ، وَمَا كُلُّ ٱلْمَقَاصِدِ لِكُلِّ ٱلنَّاسِ مُرْضِيَةٌ، وَتَبَدُّدُ مَعَانِي ٱلأَلْفَاظِ ٱلَّتِي تَضَمَّنَهَا ٱلْفَصِيحُ، وَقُصِدَ بِهَا ٱلتَّوْشِيحُ، مِمَّا يَعْذِرُ ٱلظُّنُونَ وَٱلأَوْهَامَ، وَيَضْطَرُّ إِلَى ٱلتَّشَعُّبِ ٱلْكَلاَمَ، إِلاَّ أَنَّ ٱلْمَرْجِعَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ بِحُكْمٍ سَابِقٍ ٱلْمُعَوَّلِ إِلَى ٱلْقَصْدِ ٱلأَوَّلِ، حَسْبَمَا يَقِفُ عَلَيْهِ مَنِ ٱسْتَبْطَنَ حُسْنَ ٱلظَّنِّ وَاسْتَظْهَرَ بِحُسْنِ ٱلْمُتَأَوَّلِ. نَسْأَلُ ٱللَّهَ مَعُونَةً تَتَسَدَّدُ بِهَا هَذِهِ ٱلأَلْسُنُ، وَلاَ تَتَرَدَّدُ مَعَهَا إِلاَّ فِيمَا يَحْسُنُ، إِنَّهُ ﴿لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[8].

---

(8) الآية 120 من سورة التوبة.

1 ـ بَابُ فَعَلْتُ بِفَتْحِ ٱلْعَيْنِ

جَلَّ جَلاَلُ رَبِّنَا ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ، عَنْ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى غَيْرِ قُدْرَتِهِ شَيْءٌ مِنَ ٱلتَّقْدِيرِ، أَوْ يَشِذَّ عَنْ مُحِيطِ عِلْمِهِ وَمُسْتَوْلَى إِدْرَاكِهِ خَبِيُّ ٱلنَّقِيرِ[1]، أَوْ خَفِيُّ ٱلْقِطْمِيرِ[2]، فَأَسْتَوْهِبُهُ تَبَارَكَ اسْمُهُ سَدَادَ ٱلْعَمَلِ وَٱلْقَوْلِ، وَأَبْرَأُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ مِنَ ٱلْقُوَّةِ وَٱلْحَوْلِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ عَزَّ وَجْهُهُ غَافِرُ ٱلذَّنْبِ، وَقَابِلُ ٱلتَّوْبِ، شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ، ذِي ٱلطَّوْلِ لاَ إِلاَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ[3]. وَإِذَا نَمَى فِي يَدَيْكَ ٱلْمَالُ، فَاشْكُرْ مَنْ لَهُ ٱلإِحْسَانُ وَٱلإِجْمَالُ، فَمَا بِسِوَى فَضْلِ ٱللَّهِ يَنْمِي ٱلنَّامِي، وَلاَ بِغَيْرِ وِقَايَتِهِ يَخْلُصُ رَاكِبُ ٱلْمَوَامِي[4] لاَ تَقُلْ ذَوَى ٱلْعُودُ فَإِنَّمَا يَذْوِي وَيَنْضَرُ بِقُدْرَةِ ٱلَّذِي يُبْدِئُ وَيُعِيدُ. وَإِذَا غَوَى ٱلرَّجُلُ فَإِنَّمَا يَغْوِي بِمَا سَبَقَ لَهُ بِهِ ٱلْكِتَابُ، فَلْيَسْتَثْبِتِ ٱلْمُؤْمِنُ، وَلْيَسْتَيْقِنِ ٱلْمُرْتَابُ. كُلٌّ إِلَى قَدَرِ ٱللَّهِ مَنْسُوبٌ، وَفِي آثَارِ عَامِلِهِ ــ خَيْراً كَانَ أَوْ شَرّاً ــ مَحْسُوبٌ :

فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ ٱلنَّاسُ أَمْرَهُ   وَمَنْ يَغْوِ لاَ يَعْدَمْ عَلَى ٱلْغَيِّ[5] لاَئِمَا

[الطويـل]

عَسَيْتَ يَا هَذَا أَنْ تُفْلِحَ إِذَا فَسَدَ ٱلنَّاسُ فَسَعَيْتَ فِي أَنْ تَصْلُحَ وَتُصْلِحَ لاَ تُبَالِ بِمَنْ يَفْسُدُ، وَوَسِّعْ صَدْرَكَ لِمَنْ يَبْغِي عَلَيْكَ وَيَحْسُدُ، فَكَفَى بِٱلْبَغْيِ اعْتِدَاءً،

---

(1) النقير : النكتة التي في ظهر النواة.

(2) القطمير : القشرة الدقيقة بين النواة والتمر.

(3) إشارة إلى الآية : 3 من سورة غافر. وهي : ﴿حم. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير﴾.

(4) الموامي : ج. موماة : وهي المفازة التي لا ماء بها ولا أنيس.

(5) البيت من قصيدة المرقش الأصغر التي مطلعها :

أَلاَ يَا اسْلَمِي لاَ صَرْمَ لِي ٱلْيَوْمَ فَاطِمَا   وَلاَ أَبَداً مَا دَامَ وَصْلُكِ دَائِمَا

انظر المفضليات، ص 247، تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون.

وَكَفَى بِالْحَسَادَةِ لَوْ عَقَلَ صَاحِبُهَا دَاءً. دَمَعَتْ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ عَيْنُ ٱلْمُنِيبِ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَيْنٍ لاَ تَدْمَعُ، وَتَوَجَّهَتْ دَعَوَاتُ ٱلْمُضْطَرِّينَ إِلَى ٱلسَّمِيعِ ٱلْمُجِيبِ وَٱلْعِيَاذُ بِوَجْهِهِ ٱلْكَرِيمِ مِنْ دُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ. فَٱبْكِ مَا حَمَلَتْ عَيْنُكَ ٱلْمَاءَ، وَاضْرَعْ أَبَداً إِلَى ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ وَٱلسَّمَاءَ، فَكَثِيراً مَا يَرْحَمُ ٱلضَّارِعِينَ إِلَيْهِ وَيُمَهِّدُ جَنَابَ كِفَايَتِهِ لِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ. رَعَفْتُ[6] لِكَثْرَةِ ٱلدَّمِ، فَعَرَفْتُ عُقْبَى ٱلنَّدَمِ، حِينَ أَقْدَمْتُ بِبِطْنَةِ غَبِيٍّ جَاحِدٍ، وَأَكَلْتُ فِي أَكْثَرَ مِنْ مِعًى[7] وَاحِدٍ، وَلَوْ أَنِّي أَرْعُفُ[8] بِطَعْنَةِ آكِلٍ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ، مُحْتَسِباً سُقُوطِي مُجَدَّلاً فِي سَبِيلِهِ عَلَى ٱلدَّقْعَاءِ[9]، لَعَثَرْتُ[10] عَلَى كَنْزٍ مِنَ ٱلثَّوَابِ، وَلَوَدِدْتُ لِفَضْلِ مَا إِلَيْهِ رُدِدْتُ أَنْ أُعْثَرَ[11] فِي مَيْدَانِ ٱلشَّهَادَةِ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَحْقَابٍ. نَفَرَ طَائِرُ ٱلْقَلْبِ عَنِ ٱلإِسْتِئْنَاسِ لِمَا يَسْتَبْطِنُهُ مِنَ ٱلأَدْنَاسِ، أَفَلاَ يَنْفِرُ عَنِ ٱلْقَبِيحِ فَيَبُوءَ بِٱلتَّجْرِ ٱلرَّبِيحِ. لَوْ عَلِمَ ٱلشَّاتِمُ مَاذَا قَدَّمَ لَمَا شَتَمَ، لَتَمَنَّى قَبْلَ أَنْ يَشْتِمَ ٱلْهَتَمَ[12]. فَاخْزُنْ لِسَانَكَ عَنِ ٱلأَعْرَاضِ، وَاعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ مَا تُعَامَلُ بِهِ هَذِهِ ٱلدَّارُ وَأَهْلُوهَا سُنَّةُ ٱلإِعْرَاضِ. وَلَئِنْ وَهَنَ ٱلرَّجُلُ بِبَعْضِ لَوَازِمِ هَذِهِ ٱلأَغْرَاضِ فَلأَنْ يَكُونَ يَهِنُ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُرَى يَبْتَذِلُ نَفْسَهُ فِي مُصَافَاةِ ٱلشِّرَارِ وَيَمْتَهِنُ. كَمْ نَعَسْتُ بَيْنَ ٱلْقَوْمِ، مَا أَنْعُسُ إِلاَّ لِسَهَرِي فِي مَا يُطَرِّقُ إِلَيَّ مُمِضَّ ٱللَّوْمِ. وَٱللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى ٱلنَّاعِسِ وَٱلْيَقْظَانِ، وَعَالِمٌ بِٱلْمُبَادِرِ إِلَى طَاعَتِهِ وَٱلْكَسْلاَنِ. رُبَّ لاَغِبٍ[13] إِنَّمَا لَغَبَ تَرَفاً، فَأَصْبَحَ لِلسَّغَبِ مُتَعَرِّفاً، فَدَعْهُ يَلْعَبُ مَا شَاءَ وَيُعَاقِبُ ٱلصَّحْوَ وَٱلإِنْتِشَاءَ، فَلاَبُدَّ مِنْ سُكْرٍ لاَ يَجِدُ

---

(6) رعفت : بفتح العين، نزل الدم من أنفي.

(7) معى : مفرد أمعاء. وفيه إشارة إلى الحديث النبوي : «المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء».
انظر صحيح مسلم : 133/6.

(8) أرعف : بضم العين : اتقدم. انظر تحفة المجد الصريح، ص 18.

(9) الدقعاء : التراب.

(10) عثر : اطلع على الشيء.

(11) أعثر : أسقط على وجهي.

(12) الهتم : انكسار الثنايا من الأسنان من أصولها.

(13) لاغب : تعب من الفعل. لغب بمعنى تعب.

لِخُمَارِهِ عِلاَجاً، وَلاَ يَرْجُو لِظُلْمَتِهِ ٱلْمُبْهَمَةِ انْفِرَاجاً ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[14].

ذَهَلْتُ وَٱللَّهِ عَنِ ٱلسَّدَادِ، وَغَفَلْتُ عَنْ وَظِيفَةِ ٱلاِسْتِعْدَادِ، وَمَا كُنْتُ أَذْهَلُ لَوْ لَمْ أَكُنْ أَجْهَلُ، وَلاَ كُنْتُ أَغْفُلُ، لَوْلاَ خُطُوبٌ تَعْلُو بِي وَتَسْفُلُ، وَهَا أَنَا لِوَجْهِ رَبِّي ٱلْحَمْدُ أَغْبِطُ ٱلَّذِينَ نَهَضَ بِهِمْ فِي خِدْمَتِهِ ٱلْجِدُّ، وَكَمْ غَمَطْتُ[15] مَنْ غَبَطْتُ، وَأَرْضَيْتُ ٱلشَّيْطَانَ وَرَبِّي أَسْخَطْتُ، وَشَتَّانَ بَيْنَ ٱلْغَامِطِ وَٱلْغَابِطِ، وَأَيْنَ ٱلْمَصَاعِدُ ٱلْمَصَاعِبُ مِنْ سَهْلِ ٱلْمَهَابِطِ.

خَمَدَتْ نَارُ ٱلشَّبَابِ وَلَمْ تَخْمَدْ إِلاَّ لأَمْرٍ مُنْتَابٍ، فَأَوْقِدْ نَارَ ٱلْعَزْمِ بِبِقَاعِ ٱلْحَزْمِ، وَأَمْسِكْ عَنِ ٱلشَّهَوَاتِ فَعُظْمُ[16] الشِّفَاءِ فِي ٱلأَزْمِ[17]، وَلاَ تَعْجِزْ فَمَنْ عَجَزَا اسْتَدْنَى وَعِيدَ ٱلْمُؤَاخَذَةِ وَاسْتَنْجَزَ، وَلاَ يَنْتَهِزُ ٱلْفُرَصَ إِلاَّ مَنْ جَدَّ وَحَرَصَ، وَلَنْ أَسْتَعْجِلَ بِأَنْ أَحْرِصَ قَدَراً وَلاَ أَسْتَقْدِمَ بِهِ مُؤَخَّراً، وَلَكِنْ، ٱلْجِدُّ أَحْمَدُ أَثَراً وَأَسْعَدُ مُدَّخَراً. إِذَا نَقِمْتَ[18] عَلَى رَجُلٍ حَالاً فَٱحْذَرْ أَنْ يَنْقَمَ عَلَيْكَ نَظَائِرَ لَهَا وَأَمْثَالاً، فَشَرُّ مَا نُسِبَ ٱلْمَرْءُ إِلَيْهِ ٱلإِنْكَارُ لِمَا طَوَى عَلَى مِثْلِهِ حُضْنَيْهِ، وَضَمَّ عَلَى مَا يُشْبِهُهُ ثَوْبَيْهِ :

لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ[19]

[الكامل]

---

(14) سورة الحج : 2.

(15) غمطت : احتقرت.

(16) عظم : بضم العين والظاء : جل الشيء وأكثره.

(17) الأزم : الامساك.

(18) نقمت على رجل حالا : أنكرتها عليه.

(19) نسب البيت للمتوكل الليثي، ونسب أيضا لأبي الأسود الدولي ولسابق البربري وللأخطل والطرماح وحسان. وذكر البيت في **حماسة البحتري**، ص 174، **والأغاني** : 156/12، وهو من الشواهد النحوية على الواو الداخلة على المضارع المنصوب لعطفه على اسم صريح أو مؤول. انظر سيبويه : 424/1، وابن عقيل : 126/2، **ومغني اللبيب**، ص 472.

خَلِّ سَبِيلَ مَنْ غَدَرَ، فَلَبِئْسَ مَا أَوْرَدَ وَأَصْدَرَ، أَيَغْدِرُ ٱلْمُؤْمِنُ بِأَخِيهِ ٱلْمُؤْمِنِ وَيَأْتِيهِ بِسُوءٍ تَوَخِّيهِ مِنَ ٱلْمَأْمَنِ، كَأَنْ لَمْ يَعْلَمِ ٱلْغَادِرُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَيْهِ قَادِرٌ، أَمَا وَٱللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَعْمِدْ إِلَى ٱلتَّوْبَةِ وَٱلإِسْتِغْفَارِ، كَمَا عَمَدَ فِي ذِمَّتِهِ إِلَى ٱلإِخْفَارِ، لَيَبْأَسَنَّ أَيَّ بُؤْسٍ، وَلَيَلْبَسَنَّ مِنَ ٱلشَّنَّادِ ٱلْمُعَجَّلِ وَٱلْجَزَاءِ ٱلْمُؤَجَّلِ شَرَّ لَبُوسٍ، وَلَيَهْلِكَنَّ كَمَا هَلَكَ ٱلْغَادِرُونَ، وَلَيَرِدَنَّ عَلَى مُقْتَضَى قَوْلِ ٱلصَّادِقِ ٱلْحَقِّ : ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾[20]. يَا عَجَباً لِلنُّفُوسِ عَطَسَ ٱلْعَاطِسُ ثِنْتَيْنِ، فَقَالُوا مَا أَحْسَنَ هَاتَيْنِ، فَإِنْ يَعْطِسْ وَاحِدَةً، تَأَوَّلُوهَا سَلاَمَةً حَاصِلَةً وَعَلاَمَةً بِٱلنَّجَاةِ شَاهِدَةً، فَهُمْ مُتَرَدِّدُونَ بِبِضَاعَةِ رَأْيِهِمِ ٱلْمُزْجَاةِ بَيْنَ ٱلنَّجَاحِ وَٱلنَّجَاةِ، وَرُبَّمَا جَعَلُوا ٱلْوَاحِدَةَ فِي بَابِ ٱلْمَطَالِبِ عُنْوَانَ ٱلْحِرْمَانِ فِي ٱلْغَالِبِ يَتَعَلَّلُونَ وَيَتَأَوَّلُونَ وَيَتَكَذَّبُونَ[21] عَلَى أَقْدَارِ ٱللَّهِ وَيَتَقَوَّلُونَ، وَٱلْقَدَرُ مِنْ تَعَلُّلِهِمْ يَعْجَبُ، وَٱلأَيَّامُ بِإِبْطَالِ تَأَوُّلِهِمْ وَتَكْذِيبِ تَقَوُّلِهِمْ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَا لَهُ فِي قَضَاءِ ٱللَّهِ تَأْثِيرٌ. وَسِيَّانِ فِي حَاجَتِكَ بُكُورٌ قَبْلَ ٱلْعُطَاسِ[22] أَوْ تَأْخِيرٌ، وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا ٱلْجَامِعُ بَيْنَ فَضْلِ أَذىً يَدْفَعُهُ بِحِكْمَةِ ٱللَّهِ ٱلدِّمَاغُ، وَبَيْنَ ٱلدَّلاَلَةِ عَلَى أَمْرٍ يَعْتَاضُ مِنْهُ ٱلتَّمَكُّنُ أَوْ يَسْهُلُ إِلَيْهِ ٱلْبَلاَغُ، وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَهُ عَلَى ذَلِكَ دَلِيلاً، وَٱللَّهُ أَهْدَى سَبِيلاً وَأَقْوَمُ قِيلاً، وَإِنَّمَا هِيَ بَقَايَا آثَارِ ٱلْجَهَلَةِ ٱلأَوَّلِينَ، وَإِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ ٱلَّذِينَ كَانُوا يَأْكُلُونَ مَمْقُوتَ ٱلسُّحْتِ[23] وَيَتَعَامَلُونَ بِٱلْعُدْوَانِ ٱلْبَحْتِ، وَيَتَّخِذُونَ آلِهَتَهُمْ بِٱلصَّنْعَةِ وَٱلنَّحْتِ. فَلاَ تَعْجَبْ لِمَا نَحَتَ ٱلنَّاحِتُونَ، وَاعْجَبْ لَهُمْ يَعْبُدُونَ مَا يَنْحِتُونَ فَمَا كَبْشٌ نَطَحَ بِأَجْهَلَ مِمَّنْ جَأَرَ[24] بِٱلرَّغْبَةِ إِلَى مَنْحُوتِهِ وَصَدَحَ، وَلاَ نُكْرَ أَنْ يَكُونَ ٱلْكَبْشُ يَنْطِحُ كَمَا لاَ يُنْكَرُ أَنْ يَكُونَ ٱلْكَلْبُ يَنْبَحُ، وَإِنَّمَا ٱلْمُنْكَرُ

---

(20) الآية 40 من سورة المعراج. وانظر أيضا : ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون﴾. الآية 19 من سورة المؤمنين. ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾ الآية 96 من سورة المؤمنين.

(21) تكذب : إذا تكلف الكذب.

(22) العطاس : الصبح.

(23) السحت : ما خبث وحرم من المكاسب.

(24) جأر : رفع صوته تضرعا واستغاثة.

ٱلشَّنِيعُ ٱلْمُسْتَقْبَحُ أَنْ يَنْحِتَ ٱلْجَاهِلُ عُوداً ثُمَّ يَتَّخِذَهُ مَعْبُوداً، مَا سَمِعْتُ كَٱلْيَوْمِ جَهْلاً أَمْتَنَ، وَلاَ آنَسْتُ مِنَ ٱلْقَوْمِ رَأْياً أَنْتَنَ. فَيَا أَيُّهَا ٱلْجَاهِلُونَ إِنَّ ٱللَّهَ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ، وَيَا أَيُّهَا ٱلْغَافِلُونَ قَدْ جَدَّ بِكُمُ ٱلْعُمُرُ وَبَانَ لَكُمُ ٱلأَمْرُ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ.

جَفَّ ثَوْبُ نَضَارَتِكَ مِنْ مَاءِ ٱلشَّبَابِ وَكُلُّ رَطْبٍ يَجِفُّ عِنْدَ دُنُوِّ ٱلإِنْصِرَامِ وَٱلإِنْقِلاَبِ، فَهَلاَّ نَكَلَ[25] عَنِ ٱلذَّنْبِ مُرْتَكِبُهُ قَبْلَ أَنْ يَعْرَى مِنْ نَاعِمِ ٱلْعَيْشِ مَنْكِبُهُ فَلاَ يُجْدِيهِ حِينَئِذٍ أَنْ يَنْكُلَ وَلاَ يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَنْ يَسْتَأْنِفَ ٱلتَّسْلِيمَ وَٱلتَّوَكُّلَ، وَلَرُبَّمَا أَجْدَاهُ، وَلَكِنْ بَعْدَ ٱلتَّوَرُّطِ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ، وَبَعْدَ أَنْ كَلَّتْ بِهِ مَطِيَّةُ ٱلأَمَلِ وَإِنَّمَا تَكِلُّ بِمَا تَحَمَّلَتْ مِنْ قَبِيحِ ٱلْعَمَلِ وَمَا كَانَتْ لِيَلْحَقَهَا ٱلْكَلاَلُ لَوْلاَ ٱلإِضَاعَةُ ٱلسَّابِقَةُ وَٱلإِهْمَالُ. يَا وَيْحَ ٱلشَّيْخِ كَلَّ بَصَرُهُ[26] بَعْدَ ٱلنُّفُوذِ، وَمَا كَلَّ[27] سَيْفُ حِرْصِهِ ٱلْمَشْحُوذِ، وَلاَبُدَّ يَوْماً أَنْ تَجْمَعَهُمَا ٱلْكِلَّةُ وَتَعُمَّهُمَا ٱلْعِلَّةُ فَيَكِلُّ ٱلسَّيْفُ ذُو ٱلأَثْرِ، كَمَا يَكِلُّ نَافِذُ ٱلْبَصَرِ وَإِنِ ٱشْتَرَكَا فِي ٱلْكُلُولِ فَقَدْ يَنْفَرِدُ ٱلصَّارِمُ بِٱلْفُلُولِ تَظَلُّ فِي حَدِّهِ قَوَادِحَ، وَيَعْتَدُّهَا ٱلْعَاصِي بِهِ مَصَادِحَ، لَهَا جَالَ ٱلشُّجَاعُ فِي ٱلْحَرْبِ جَوْلَه، وَفِيهَا أَرْسَلَ زِيَادٌ[28] قَوْلَه :

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ ٱلْكَتَائِبِ[29]

[الطويـل]

سَبَحْتُ فِي بَحْرِ ٱلْخَطَايَا سَبْحاً طَوِيلاً، وَأَصْبَحْتُ تُنَكِّلُنِي خُطُوبُ ٱلأَيَّامِ تَنْكِيلاً، وَإِلَى كَمْ أَسْبَحُ فِي هَذَا ٱلْبَحْرِ ٱلزَّاخِرِ، أَمَا آنَ لِي أَنْ أُعِدَّ لِلْيَوْمِ ٱلآخِرِ، أَيِّ يَوْمٍ، مَا ذَكَرْتُهُ إِلاَّ شَحَبَ لَوْنِي وَحَقُّهُ أَنْ يَشْحُبَ وَأَرْسَلْتُ مِنْ عَيْنَيَّ مَا يَحْكِي هَطَّالُهُ ٱلسُّحُبَ، وَسَهَمَ وَجْهِي وَمَا لَهُ لاَ يَسْهُمُ وَقَدِ ٱسْتَقْبَلَنِي مِنْ وَجْهِ

---

(25) نكل عن الشيء : تأخر عنه وامتنع منه هيبة له وجبنا.

(26) كل بصره : ضعف.

(27) كل السيف : إذا لم يقطع.

(28) زياد بن معاوية الذبياني أبو أمامة : اسم الشاعر النابغة.

(29) البيت للنابغة الذبياني، الديوان : 15، وهو من الشواهد النحوية على أن «غير» قد تأتي بمعنى «لكن». انظر سيبويه : 367/1، ومغني اللبيب : 155.

ٱلأَمَلِ ٱلتَّجَهُّمُ، وَأَنْكَرْتُ أَهْلَ وُدِّي بِسِعَايَةِ ٱلْعُدَاةِ، وَوَلَغَ[30] كَلْبُ ٱلنَّمِيمَةِ فِي إِنَاءِ ٱلْمَوَدَّاتِ. وَهَبِ ٱلْكَلْبَ يَلَغُ فَمَا لَهُ يُولَغُ[31] وَيُبَلِّغُ مِنْ إِنْجَاحِ سِعَايَتِهِ مَا يُبَلَّغُ. فُقِدَ ٱلإِخْوَانُ، وَفَسَدَ ٱلأَوَانُ، وَعُدِمَ ٱلْحُرُّ ٱلْمِعْوَانُ، وَخَلاَ مِنْ أَهْلِ ٱلصَّفَاءِ وَٱلثِّقَةِ ٱلدِّيوَانُ، وَنَهَضَ ٱلزَّمَانُ بِٱلْوَغْدِ وَهَشَّ لَهُ، وَغَدَتْ لُحُومُ ٱلأَحْرَارِ بِمَنَاسِرِ ٱلأَشْرَارِ مُنْتَشَلَه، وَدِمَاءُ ٱلأَعْرَاضِ عَلَى بَسِيطِ ٱلإِسْتِبَاحَةِ وَٱلإِقْتِرَاضِ مُرْسَلَه، وَنَاشِئَةُ ٱلزَّمَانِ بِهَذِهِ ٱلْمَطَاعِمِ ٱلْمُسَرْبَلَةِ مُتَعَلِّلَه، وَٱلْحَسُودُ وَٱلْكَاشِحُ كِلاَهُمَا تَسْتَحِقُّ هَذِهِ ٱلْمَقَاصِدُ ٱلْقَوَادِحُ مِقْوَلَه، فَانْظُرْ إِلَيْهِمَا لاَ هَنَّأَهُمَا هَذَا ٱلأَكْلُ وَلاَ أَخْطَأَهُمَا ٱلثُّكْلُ وَالوَلَه :

مَـا مَـرَّ يَـوْمٌ إِلاَّ وَعِنْدَهُمَـا لَحْمُ رِجَالٍ أَوْ يُولَغَانِ دَمَـا[32]

[المنسرح]

إِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَفْزَعُ وَٱلْمَصِيرُ، فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَى وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ. فَإِنْ أَسَنَ[33] مَاءٌ فَعِنْدَ ٱللَّهِ مِيَاهٌ لاَ تَأْسُنُ، وَإِنْ أَجِنَ[34] مَوْرِدٌ فَمَوَارِدُ ٱلإِحْسَانِ وَٱللُّطْفِ مِنْ فَضْلِ رَبِّكَ لاَ تَأْجُنُ، وَإِنَّمَا ٱلنَّفْسُ غَثَتْ[35] وَمَا تَغْثِي إِلاَّ لِطَوَارِئَ حَدَثَتْ، وَلاَبُدَّ لِلْقِدْرِ إِذَا غَلَتْ أَنْ تَسْكُنَ بَعْدَمَا جَاشَتْ وَاعْتَلَتْ، فَتَطَامَنْ لِقِدْرِ ٱلْقَدَرِ حِينَ تَغْلِي، وَثِقْ

---

(30) ولغ الكلب : إذا أدخل لسانه في الإناء ليشرب.

(31) إذا أولغه صاحبه.

(32) نسب هذا البيت لأكثر من شاعر، فقد نسبه الجوهري في الصحاح لأبي زبيد الطائي وهو في مجموع شعره : 149، وقبله :

مُـرْضِعُ شِبْلَيْـنِ فِـي مَغَارِهِمَـا قَـدْ نَهَـزَا لِلْفِطَـامِ أَوْ فَطِمَـا

مَـا مَـرَّ يَـوْمٌ إِلاَّ وَعِنْدَهُمَـا لَحْـمُ رِجَـالٍ أَوْ يُولَغَـانِ دَمَـا

(اللسان : ولغ)

ونسب لعبيد الله بن قيس الرقيات وهو في ديوانه : 154 :

يَعُـولُ شِبْلَيْـنِ عِنْـدَ مُطْرِقَـةٍ قَـدْ نَاهَـزَا لِلْفِطَـامِ أَوْ فُطِمَـا

لَـمْ يَـأْتِ يَـوْمٌ إِلاَّ وَعِنْدَهُمَـا لَحْمُ رِجَالٍ أَوْ يَـا لَغَـانِ دَمَـا

(33) أسن الماء : إذا تغير لونه وطعمه وريحه.

(34) أجن : بمعنى أسن.

(35) غثت : إذا جاشت قبل القيء

بِرَبِّكَ فَهُوَ ٱلَّذِي يُمِيطُ عِنْدَ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَيُجْلِي، وَاصْبِرْ لِعَوَارِضِ ٱلْخُطُوبِ فَالصَّبْرُ خَيْرُ مَا كَسَبَ ٱلْكَاسِبُ وَبِفَضْلِ ٱللَّهِ تَطِيبُ ٱلْمَكَاسِبُ، فَلْيَنْظُرِ امْرُؤٌ مَاذَا يَكْسِبُ وَلْيَرْتَقِبِ ٱلْجَزَاءَ عَمَّا يَحْتَسِبُ، يَنْبَسِطُ ٱلشَّرُّ وَيَنْقَبِضُ، وَيَعُسُّ ٱلْكَلْبُ وَيَرْبِضُ، فَخَلِّهِ حَجْرَةً[36] إِذَا رَبَضَ، وَأَوْلِهِ حَجَراً إِذَا تَعَرَّضَ، وَارْجِعْ إِلَى ٱلصَّبْرِ تَرْبِطْ عَلَى أَعْلاَقِهِ[37]، فَسَيَغْتَبِطُ رَأْيُكَ بِعَاقِبَةِ تَمَسُّكِهِ بِهِ وَاعْتِلاَقِهِ، وَلَعَلَّ مَنْ رَبَطَ ٱلْعَزْمَ عَلَى خِلاَفِهِ، لاَ يَحْظَى إِلاَّ بِخِذْلاَنِ ٱلأَمَلِ وَإِخْلاَفِهِ، وَانْتِشَارِ ٱلرَّأْيِ وَٱخْتِلاَفِهِ، وَٱلْعَاقِبَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ. ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[38].

---

(36) حجرة : ناحية، جمعها حجر كجمرة وجمر، ومنها المثل القائل : فلان يرعى وسطا. ويربض حجرة، ويضرب للرجل يعيش وسط قوم ماداموا في خير وإذا أصابهم شر تركهم وربض ناحية منعزلاً.

(37) أعلاق : جمع علق وهو حبل البئر.

(38) الآية 34 من سورة فصلت.

2 ـ بَابُ فَعِلْتُ بِكَسْرِ ٱلْعَيْنِ

سُبْحَانَ مَنْ غَدَا مِنْ كُلِّ عَظِيمٍ أَعْظَمَ، وَمَنْ نَظَمَتْ حِكْمَتُهُ ٱلْبَالِغَةُ ٱلْوُجُودَ فَانْتَظَمَ، وَشَمَلَتْ نِعْمَتُهُ ٱلسَّابِغَةُ ٱلْقَرِيبَ وَٱلْبَعِيدَ فَتَجَلَّلَ ٱلْكُلُّ ٱلنِّعَمَ، وَتَوَجَّهَتْ إِرَادَتُهُ ٱلسَّابِقَةُ إِلَى ٱلنَّهَارِ فَأَنَارَ، وَإِلَى ٱللَّيْلِ فَأَظْلَمَ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ تَشْهَدُ آثَارُهَا ٱلصَّادِقَةُ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ ٱلأُمَمَ، ثُمَّ مَلأَ لَهَا سِجَالَ ٱلأَرْزَاقِ [مِنْ خَزَائِنِ ٱلإِرْفَاقِ][1] فَأَتْأَقَ[2] وَأَفْعَمَ، وَفَهَّمَ مِنْهُمْ حَقَائِقَ ٱلأَشْيَاءِ مَنْ أُذِنَ لَهُ أَنْ يَفْهَمَ، وَيَسَّرَ جَمِيعَهُمْ إِلَى خَاصِّ ٱلْمَرَاشِدِ وَنَافِعِ ٱلْمَقَاصِدِ وَٱلْهِمَمِ، فَعَلَّمَ بِهِدَايَتِهِ نَوْعَ ٱلإِنْسَانِ مَا لَمْ يَعْلَمْ، وَاسْتَعْمَلَ سَائِرَ ٱلْحَيَوَانِ بِمُقْتَضَى مَشِيئَتِهِ ٱلَّتِي سَبَقَ بِهَا ٱلأَزَلُ وَتَقَدَّمَ، فَادَّخَرَتِ ٱلنَّحْلُ مَشُورَهَا[3] لِتَطْعَمَ، وَقَضِمَتِ ٱلدَّابَّةُ شَعِيرَهَا، وَلَوْلاَ قُدْرَتُهُ مَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَقْضِمَ، وَهَلْ قَضِمَتْ نَارُ[4] عَدِيٍّ مَا قَضِمَتْهُ مِنْ غَارٍ[5] وَهِنْدِيٍّ[6] إِلاَّ بِقَدَرٍ مَكْتُوبٍ وَحِكْمَةٍ تَحَمَّلَتْ مَا يُعْيِي ٱلأَذْهَانَ مِنْ إِتْقَانٍ وَتَرْتِيبٍ، ٱللَّهُمَّ فَزِدْنَا فِي حِكْمَتِكَ بَصِيرَةً وَلاَ تَجْعَلْنَا مِمَّنْ يُهْمِلُ مِنْ شَعَائِرِ خِدْمَتِكَ شَعِيرَةً فَإِذَا بَلَعَ لَيِّنَ ٱلطَّعَامِ، تَوَلَّى شُكْرَ سِوَاكَ عَنْ ذَلِكَ ٱلإِنْعَامِ، وَمَا كَانَ يَبْلَعُ، لَوْ أَنَّ قُدْرَتَكَ تَمْنَعُ، وَاهاً لَهُ سَرِطَ

---

(1) تكملة من طرة الكتاب، الورقة 72.

(2) أتأق : ملأ.

(3) مشورها : ما استخرجته من العسل.

(4) عدي : هو الشاعر الجاهلي عدي بن زيد العبادي. وقد أشار أبو الربيع في قوله هذا إلى بيت عدي :

رُبَّ نَـــارٍ بِتُّ أَرْمُقُهَـــا ... تَـقْضِمُ ٱلْهِنْــدِيَّ وَٱلْغَـــارَا

الشعر والشعراء، ص 156، اللسان [غور].

(5) الغار : نبات طيب الريح على الوقود.

(6) الهندي : العود الذي يستعمل في البخور وفي صناعة العطور.

ٱلطَّيِّبَاتِ مِنْ رِزْقِكَ وَأَهْمَلَ ٱلْوَاجِبَاتِ مِنْ حَقِّكَ، وَنَسَبَ عَوَارِفَكَ إِلَى خَلْقِكَ، وَنَسِيَ مَا يَتَعَاهَدُهُ حِينَ يَسْرَطُهَا مِنْ إِحْسَانِكَ وَرِفْقِكَ، وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ زَرِدَ ٱلْمَأْكَلَ فَإِذَا طُلِبَ بِشُكْرِ ٱلْمُوَكِّلِ نَكَلَ. أَفَأَمِنَ أَنْ تَأْتِيَهُ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ يَصْرَدُ[7] لَهَا قَبْلَ أَنْ يَزْرَدَ، وَيُمْضِيَ عَلَيْهِ ٱلْقَدَرُ فِيهَا مَصْقُولَهُ ٱلْفَرْدَ[8]. لَقِمَ فَلاَ هَنَاهُ مَا يَلْقَمُ، وَأَشِرَ[9] لِرَاتِبِ الصِّحَّةِ فَسَيَرَى حِينَ يَسْقَمُ. مَا جَرَعْتُ ٱلْمَاءَ إِلاَّ ذَكَرْتُ حِينَ أَجْرَعُهُ كَرَمَ ٱلْمَوْلَى ٱلَّذِي بِهِ طَابَ وِرْدُهُ وَعَذُبَ مَشْرَعُهُ. أَفَرَأَيْتَ إِنْ غَصِصْتُ بِشَرْبَتِي مَنِ ٱلَّذِي يَدْفَعُ عَنِّي ضَرَرَ مَا بِهِ أَغَصُّ، أَوْ مَصِصْتُ مَلْذُوذاً هَلْ غَيْرُ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِهِ أَمَصُّ، أَوْ مَسِسْتُ جِسْماً فَهَلْ يُصَدِّقُ إِذَا وُفِّقَ ٱلْحِسُّ أَنَّ غَيْرَهُ أَوْجَدَ مَا أَمَسُّ، أَوْ شَمِمْتُ طِيباً أَسِوَاهُ طَيَّبَ مَا أَشَمُّ. فَلْيَرْغَمِ ٱلْجَاحِدُ وَلَوْ أَنَّ أَنْفَهُ أَشَمُّ، مَا أُبَالِي بِمُنَابِذِي وَقَدْ عَضِضْتُ عَلَى ٱلْحَقِّ بِنَاجِذِي، وَإِذَا كُنْتُ عَلَى ٱلصَّوَابِ أَعَضُّ، فَحَظُّهُ ٱلنَّقْصُ. هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ. سَفِفْتُ ٱلدَّوَاءَ لأَقْمَعَ ٱلأَدْوَاءَ[10] وَٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِي شَاءَ لِي حِينَ أَسَفُّهُ ٱلْخَيْبَةَ أَوِ ٱلشِّفَاءَ، هَذَا ٱلَّذِي زَكِنْتُ[11] مِنَ ٱلْخَالِقِ وَٱلْخَلْقِ وَقَامَ لِي عَلَيْهِ مِنَ ٱلْوُجُودِ بُرْهَانُ ٱلْحَقِّ، فَبُعْداً لِلَّذِينَ يُخَالِفُونَ مَا أَزْكَنُ وَيَخُوضُونَ فِي آيَاتِ ٱللَّهِ بِمَا لاَ يَحْسُنُ، لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ أَهْجُرَهُمْ مَا بَقِيتُ، وَأَزْجُرَهُمْ كَمَا يُزْجَرُ ٱلْكَلْبُ ٱلْمَمْقُوتُ، وَأُبَرِّحَ بِهِمْ حَيْثُ ظَعَنُوا، وَأَطْعُنَ عَلَيْهِمْ أَضْعَافَ مَا فِي ٱلْقُدْرَةِ طَعَنُوا :

وَلَنْ يُرَاجِعَ قَلْبِي وُدَّهُمْ[12] أَبَداً
زَكِنْتُ مِنْ بُغْضِهِمْ مِثْلَ ٱلَّذِي زَكِنُوا[13]

[البسيط]

---

(7) يصرد : يبرد، والصرد : شدة البرد.

(8) الفرد : الذي لا مثيل ولا نظير له.

(9) أشر : مدح وبضر.

(10) الادواء : جمع داء.

(11) زكنت : علمت.

(12) فوق الكلمة كتب : حبهم، للإشارة إلى أن البيت يروى بهما معا الورقة : 74.

(13) روى ابن السيد هذا البيت في الاقتضاب : 16/3 : =

وَإِذَا عُصِمَ ٱلسُّلْطَانُ مِنْ أَنْ يُلاَبِسَهُ ٱلشَّيْطَانُ فَلْيَنْهَكْهُمْ عُقُوبَةً[14] وَلْيَتَّبِعْ مُدْبِرَهُمْ حَتَّى يُلْقِيَ ٱلْحَقِيبَةَ، وَمَنْ نَهِكَهُ[15] مِنْهُمُ ٱلْمَرَضُ فَزَادَهُ ٱللَّهُ مَرَضاً، وَصَيَّرَهُ بِأَدْنَى مَسِّهِ حَرَضاً[16]، وَلاَ جَعَلَ لَهُ لِرَحْمَتِهِ مُتَعَرَّضاً، وَقَدْ يَنْهَكُ ٱلْمُؤْمِنَ ٱلْمَرَضُ، وَلَكِنَّهُ لِرَحْمَةِ ٱللَّهِ يَتَعَرَّضُ، فَإِذَا بَرِئْتَ مِنْ مَرَضِكَ وَوَجَدْتَ يُسْراً فِي مُحَاوَلَةِ غَرَضِكَ، فَٱلْبَارِئُ هُوَ ٱلْمُبْرِئُ وَٱلْمُمْرِضُ هُوَ ٱلْمُمَرِّضُ، مَا كَانَ لِيَبْرَأَ ٱلْمَرِيضُ لَوْلاَ لَطَفُهُ ٱلطَّوِيلُ ٱلْعَرِيضُ، فَإِنْ يَحْمَدْ غَيْرَهُ إِذَا بَرَأَ فَبِئْسَتِ ٱلسَّاحَةُ تَبَوَّأَ، وَكَثِيراً مَا يَفْعَلُ ذَلِكَ ٱلْمَرْءُ إِذَا حَصَلَ لَهُ ٱلْبُرْءُ، يَنْسَى لَطَفَ مَوْلاَهُ، وَيَنْسُبُ عَائِدَةَ كَرَمِهِ إِلَى سِوَاهُ، شِرْكاً لاَ يُلْقِي لَهُ بَالاً، وَشَكّاً لاَ يَأْلُوهُ[17] خَبَالاً، بَرِئْتُ مِنْ هَذَا إِنْ أَرْضَاهُ كَمَا بَرِئَ ٱلْغَرِيمُ[18] مِنَ ٱلدَّيْنِ إِذَا قَضَاهُ، وَلَبَرَاءَتِي وَٱللَّهِ مِنْهُ آكَدُ مِنْ بَرَاءَتِي مِنَ ٱلدَّيْنِ وَأَنَا مَطْلُوبٌ عَنْهُ[19]. فَلاَ بَرَيْتُ ٱلْقَلَمَ لأُلْقِيَ إِلَيْهِ فِي ٱلْمُخَاطَبَةِ ٱلسَّلَمَ[20]، وَمَا لِي فِي مِثْلِهَا أُبْرِيهِ، وَبَرْيُهُ لِذَلِكَ ضَلاَلٌ جَدَّ بِي فِي

= ولـن يراجـع قلبـي حبهم أبــدا   زكنت منهم على مثل الذي زكنوا

والبيت منسوب لقعنب بن ضمرة المعروف بابن أم صاحب الغطفاني، وهو من شعراء الدولة الأموية، عاش أيام الوليد بن عبد الملك. والبيت من قصيدة في هجاء أناس من قومه كانوا يناصبونه العداء، ومطلعها :

بَانَتْ سُلَيْمَى فَأَمْسَتْ دُونَهَا عَدَنُ   وَغُلِّقَتْ عِنْدَهَا مِنْ قَلْبِكَ الرُّهُنُ

والبيت موصولا قبله وبعده :

وَقَدْ عَلِمْتُ عَلَى أَنِّي أُعَايِشُهُمْ   لاَ تَبْرَحُ ٱلدَّهْرَ فِيمَا بَيْنَنَا إِحَنُ

وَلَنْ يُرَاجِعَ قَلْبِي حُبُّهُمْ أَبَداً   زَكِنْتُ مِنْ سَيْرِهِمْ مِثْلَ ٱلَّذِي زَكِنُوا

مِثْلُ ٱلْعَصَافِيرِ أَحْلاَماً وَمَقْدِرَةً   لَوْ يُوزَنُونَ بِزِفِّ الرِّيشِ مَا وَزَنُوا

البيت في **حماسة البحتري** : 14، الاصلاح : 254، الالفاظ : 547، أدب الكاتب : 20 و288، اللسان (زكن).

(14) أنهكه السلطان عقوبة : إذا بالغ فيها.

(15) نهكه المرض : إذا نقص جسمه منه.

(16) الحرض : الذي لا يرجى خيره ولا يخاف شره.

(17) يألوه : يبطئه.

(18) الغريم : المدين.

(19) مطلوب عنه : غير مطالب به.

(20) السلم : السلام.

تَبَارِيهِ[21]. ضَنِنْتُ بِٱلْمَالِ حِينَ زَادَ خَالِقِي فِي ٱلإِجْمَالِ[22]، كَأَنَّ ٱلْفَقْرَ قَدْ أَفِدَ[23]، أَوْ كَأَنَّ ٱلْمَالَ قَدْ نَفِدَ، وَمَا كُنْتُ أَضَنُّ لَوْ لَمْ يَسُؤْ مِنِّي ٱلظَّنُّ، فَقُلْ لِلْبَاخِلِينَ بِٱلإِنْفَاقِ طَوَاعِيَةً لِخَبِيئَةِ نِفَاقٍ، مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ ٱللَّهِ بَاقٍ. شَمِلَ ٱلأَرَاذِلَ ٱلْبُخْلُ، وَكَثِيراً مَا يَعُمُّهُمْ أَمْرُهُ وَيَشْمَلُ، وَذَلِكَ هُوَ ٱللاَّئِقُ بِمَا أَوْجَبَتْهُ لَهُمُ ٱلْخَلاَئِقُ، إِنَّمَا ٱلْكَرَمُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَإِذَا خَصَّ بِهَا عَبْداً مِنْ عِبَادِهِ فَقَدْ حَسَّنَهُ بِذَلِكَ وَزَانَهُ، وَإِذَا دَهِمَتِ ٱلْخَوَاطِرَ خَيْلُ ٱلإِمْسَاكِ، أَمِنَتْ عَادِيَتَهَا قُلُوبُ ٱلنُّسَّاكِ، كَيْفَ تَدْهَمُ قُلُوباً لَمْ يَزَلْ جُودُهَا لِلْبُخْلِ غَلُوباً، وَمَا أَوْلَى يَدَ ٱلْمُمْسِكِ أَنْ تَشَلَّ[24] كِفَاءَ مَا ٱحْتَجَنَ[25] مِنْ مَالِ ٱللَّهِ وَغَلَّ. فَلاَ تَشْلَلْ يَدُ ٱلْبَاذِلِ لِمَوْجُودِهِ، إِذَا شَلَّتْ يَدُ ٱلْبَاخِلِ بِمَا خَوَّلَهُ بَارِئُهُ. مِنْ فَضْلِ جُودِهِ. تَبّاً لَهُ خَطِفَ إِحْسَانَهُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ بَخِلَ بِهِ عَنْ إِمَائِهِ وَأَعْبُدِهِ[26]، فَبُؤْسَى لَهُ حِينَ يَخْطِفُهُ ثُمَّ لاَ يَثْنِيهِ لِبَذْلِهِ كَرَمٌ وَلاَ يَعْطِفُهُ. وَدِدْتُ وَٱللَّهِ أَنَّ ذَاكَ لَمْ يَكُنْ وَوَدِدْتُ كُلَّ ٱلْوُدِّ مَنْ لَمْ يَأْوِ إِلَى هَذِهِ ٱلْمَذَمَّةِ وَلَمْ يَسْكُنْ، وَمَا أَوَدُّ فِي ٱلْوَجْهَيْنِ إِلاَّ ٱلأَوْلَى، إِنَّ يَدَ ٱلْمُمْسِكِ لَهِيَ بِٱلْحَقِيقَةِ ٱلسُّفْلَى، فَإِنْ لَجِجْتَ[27] فِي ٱلتَّعَصُّبِ لِهَذَا ٱلرَّأْيِ ٱلْقَائِلِ فَأَنْتَ تَلَجُّ مُطِيلاً فِي غَيْرِ طَائِلٍ، وَإِنْ صَرَّحْتَ فِيهِ بِٱلْخَطَإِ، وَعَجَّلْتَ بِعَيْبِ رَاكِبِ هَذَا ٱلْمَرْكَبِ ٱلْمُسْتَبْطَإِ، فَصَدَقْتَ يَا هَذَا وَبَرِرْتَ[28]، وَأَبْهَجْتَ وَلِيَّكَ بِمَا قُلْتَهُ وَسَرَرْتَ، وَإِنْ أَضَفْتَ إِلَى هَذَا أَنْ بَرِرْتَ[29] وَالِدَكَ فَقَدِ اسْتَصْفَيْتَ مَوَارِدَكَ وَشَدَدْتَ بِطَرِيفِكَ تَالِدَكَ، قُلْتَ قَوْلاً سَدِيداً، وَأَدَّيْتَ حَقّاً لَمْ

(21) ثباريه : خسرانه وهلاكه.
(22) الاجمال : مصدر أجمل القوم إذا كثرت جمالهم. والمعنى هنا حين زاد خالقي في خيراته.
(23) أفد : عجل وأسرع.
(24) تشل : تصاب بالشلل.
(25) احتجن : احتجان المال : جمعه واصلاحه وضم ما انتشر منه، واحتجن مال غيره : اقتطعه وسرقه.
(26) أعبده : جمع عبد وهو المملوك ويكون الجمع عبدا وعبيدا.
(27) لجحت : تماديت وصممت على رأيك.
(28) صدقت وبررت : أطعت ومضيت على الصدق في حديثك ويمينك.
(29) بررت والدك : أطعته، من البر.

يَأْلُهُ ٱلْحَقُّ تَأْكِيداً، فَلاَ لَقِيَ ٱلْبَارُّ مَنْ يُضَادُّهُ وَيُضَارُّ، وَلاَ وُكِسَتْ تِجَارَةُ ٱلْبِرِّ فِي بَضَائِعِ ٱلتَّقْوَى وَٱلْبِرِّ. شَرَكْتُكَ فِي هَذَا ٱلْقَصْدِ ٱلْجَمِيلِ، وَلَنْ أُشْرِكَ أَحَداً فِي مَنْعِيِّ ٱلْمَذْهَبِ وَمَذْمُومَ ٱلْقِيلِ وَقَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْمُنْكَرَ مُنْكَراً، وَٱلْمَعْرُوفَ مَعْرُوفاً وَجَعَلَ ٱلْمَقَاصِدَ وَٱلْمَآخِذَ ضُرُوباً وَصُنُوفاً، فَمَأْخَذٌ يَحْسُنُ فِيهِ ٱلشِّرْكُ وَآخَرُ لاَ يَحْسُنُ فِيهِ إِلاَّ ٱلتَّرْكُ، وَٱلْعَاقِلُ مَنْ أَخَذَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ، وَتَبَيَّنَ ٱلصَّوَابَ فَلَمْ يَعْدُهُ لَمَّا تَبَيَّنَهُ. سُبْحَانَ مَنْ غَذَّى ٱلْجَنِينَ فِي ظُلُمَاتِ ٱلأَحْشَاءِ نَجِيعاً[30] [نَجُوعاً][31]، فَلَمَّا فَارَقَ مَكَانَهُ ٱلْكَنِينَ رَضِعَهُ دَرّاً فِي ٱلأَعْضَاءِ نَجِيعاً[32] فَحَمَاهُ عَطَشاً وَجُوعاً. عَجَباً لَهُ كَيْفَ يَرْضَعُ سَاعَةَ يُوضَعُ مِنَ ٱلَّذِي هَدَاهُ ٱلسَّبِيلَ وَمَا عَرَفَهَا، وَكَيْفَ رَئِمَتْهُ[33] ٱلأُمُّ وَمَا أَلِفَتْهُ قَبْلُ وَلاَ أَلِفَهَا غَيْرَ أَنَّ ٱلَّذِي صَوَّرَهُ فِي أَحْنَائِهَا هُوَ ٱلَّذِي صَرَفَ إِلَى ٱللُّطْفِ بِهِ وَجْهَ اعْتِنَائِهَا، وَقَصَرَ عَلَى خِدْمَتِهِ أَجْزَاءَ أَنَائِهَا، وَرُبَّمَا فَرِكَتْ[34] وَالِدَهُ فَتَعَجَّلَتْ بِفِرْكِهِ صَفْوَ إِنَائِهَا، وَمَعَ أَنَّهَا تَفْرَكُهُ فَلاَ تَدَعُ وَلَدَهَا وَلاَ تَتْرُكُهُ، إِلاَّ نَوَادِرَ لَيْسَ بِهِنَّ اعْتِبَارٌ، وَلاَ يَحْسُنُ عَنْ بَعْضِهِنَّ إِخْبَارٌ، وَقَدْ تَتْبَعُ نَفْسُ ٱلْمَفْرُوكِ فَارِكاً فَيَعَضُّ يَدَيْهِ أَنْ كَانَ لَهَا تَارِكاً، جَشِمَ فِي ذَلِكَ مَا لَمْ يُقَدِّرْ أَنَّهُ يَجْشَمُهُ، وَنَقَضَ عَقْداً قَدْ كَانَ فِي يَدِهِ مُبْرَمُهُ :

فَأَصْبَحَ مِنْ لَيْلَى ٱلْغَدَاةَ كَنَاظِرٍ مَعَ ٱلصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ[35]

[الطويـل]

ثُمَّ سُبْحَانَ مَنْ أَتْقَنَ ٱلأَشْيَاءَ، وَأَحْكَمَ ٱلإِبْدَاعَ وَٱلإِنْشَاءَ، وَخَلَقَ ٱلأَزْوَاجَ كُلَّهَا

---

(30) نجيعا : دما.

(31) نجوعا : تكملة من طرة الكتاب، الورقة : 75، مصدر نجع الطعام : إذا هنأ أكله ونماه.

(32) نجيعا : مريئا.

(33) رئمته : عطفت عليه ولزمته.

(34) فركت : كرهت.

(35) البيت لقيس بن الملوح. انظر الديوان، ص 95. والكامل للمبرد 199. انظر اللسان : [غرب].

وَقَدَّرَ بَقَاءَهَا مَا شَاءَ [بِمَا شَاءَ][36]. فَسَلِ ٱلطَّائِرَ حِينَ سَفِدَ[37]، هَلْ قَصَدَ أَنْ يُصْلِحَ أَوْ يُفْسِدَ، أَوْ هَلْ يَصِحُّ مِنْهُ حِينَ يَسْفَدُ أَنْ يَكُونَ يَقْصِدُ، أَلاَ إِنَّمَا سَخَّرَتْهُ ٱلْقُدْرَةُ كَرْهاً أَوْ طَوْعاً لِتُبْقِيَ مَا اطَّرَدَتِ ٱلْمَشِيئَةُ ٱلسَّابِقَةُ نَوْعاً. فَإِذَا أَتَى عَلَى ٱلْكَوْنِ بِإِذْنِ رَبِّكَ ٱلْفَسَادُ بَطَلَ ٱلسَّافِدُ وَتَعَطَّلَ ٱلسِّفَادُ، وَإِذَا فَجِئَ أَمْرُ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لاَبُدَّ أَنْ يَفْجَأَ [بِمَا اقْتَضَاهُ][38] كُلَّ مُنْسِلٍ وَوَجَأَ[39]، وَكَانَ إِلَى ٱلْمَلِكِ ٱلْحَقِّ ٱلْمَرْجِعُ وَكَانَ وَحْدَهُ هُوَ ٱلْمَلْجَأُ، ﴿فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[40].

---

(36) تكملة من طرة الكتاب، الورقة : 75.

(37) سفد : جامع أنثاه.

(38) غير واضحة في الأصل، الورقة : 75.

(39) وجأ : ضرب.

(40) الآية 82 من سورة يس.

3 ـــ بَابُ فَعَلْتُ بِغَيْرِ أَلِفٍ

تَبَارَكَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلرِّيَاحَ، فَأَغْدَى بِهَا مَا شَاءَ وَأَرَاحَ، فَإِنْ شَمَلَتِ ٱلشَّمَالُ[1] صَلُحَ بِهَا أَوْ فَسَدَ فِي بَعْضِ ٱلأَرْجَاءِ ٱلْمَآلُ، وَإِنْ جَنَبَتِ ٱلْجَنُوبُ[2] اقْتَرَنَ بِهَا مِنْ نَائِبِ ٱلْخَيْرِ أَوِ ٱلشَّرِّ مَا قَدَّرَ، وَمَتَى صَبَتِ ٱلصَّبَا[3] جَدَّدَتْ لِقَوْمٍ أُنْساً وَلآخَرِينَ وَصَباً[4]، وَأَمَّا ٱلدَّبُورُ[5] فَرُبَّمَا دَبَرَتْ مُوقِعَةً لإِيعَادٍ كَمَا جَرَى لِقَوْمِ عَادٍ رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ، تَنَادَوْا مِنْ أَنْدِيَتِهِمْ أَنْ هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا وَمَخِيلَةٌ بِٱلسُّقْيَا تُبَشِّرُنَا، بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ مَعْشَرَ ٱلأَشْقِيَاءِ، رِيحٌ تُدَمِّرُ بِأَمْرِ رَبِّهَا كُلَّ ٱلأَشْيَاءِ، فَأَصْبَحُوا تَمُجُّ ٱلْعَيْنُ أَمَاكِنَهُمْ وَلاَ تَرَى إِلاَّ مَسَاكِنَهُمْ، وَكَذَلِكَ يَجْزِي رَبُّنَا ٱلْمُجْرِمِينَ[6].

إِنْ خَسَأْتُ[7] كَلْبِي فَخَسَأَ، فَمَا أَصْنَعُ بِقَلْبِي ٱلَّذِي أَخَّرَ إِنَابَتَهُ وَأَنْسَأَ فَلَوْ فَلَجْتُ[8] عَلَيْهِ خَصْماً لَدَفَعْتُ عَنِّي وَعَنْهُ وَصْماً، وَسَدَدْتُ مِنَ ٱلْفَسَادِ

---

(1) الشمال : ريح تهب من الشام وهي ريح باردة.

(2) الجنوب : ريح تهب من يمين القبلة وهي ريح حارة.

(3) الصبا : ريح تستقبل البيت وقيل لأنها تحن إليه.

(4) الوصب : الوَجَعُ والمرض.

(5) الدبور : ريح تأتي من دبر الكعبة وفيها قال الرسول ﷺ : «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» صحيح مسلم : 27/5.

(6) أشار أبو الربيع إلى قول الله تعالى : ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ سورة الاحقاق 22-24.

(7) خسأت الكلب : طردته وأبعدته.

(8) فلجت عليه : غلبته بالحجة وظهرت عليه.

خُصْماً[9]، لاَ بَلْ هُوَ وَحْدَهُ ٱلْخُصْمُ ٱلَّذِي يَتَسَرَّبُ مِنْهُ ٱلْوَصْمُ وَفِيهِ ٱلْخِصَامُ وَهُوَ ٱلْخَصْمُ، وَلَكِنَّ ٱلْحَكَمَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ، وَلَعَلَّ هَذِهِ ٱلْقُلُوبَ بَعْدَ ٱلْقَسْوَةِ أَنْ تَلِينَ.

مَذَى[10] الْغَزِلُ لِذِكْرَى خَطَرَتْ، مِنْ غَزَالَةٍ إِلَيْهَا نَظَرَ أَوْ إِلَيْهِ نَظَرَتْ، فَأَعْقَبَتْ قَطَرَاتٍ بِحُكْمِ ٱللَّذَّةِ قَطَرَتْ، فَهَلاَّ قَمَعَ ٱلذِّكْرَى فَلَمْ يَكُنْ يَمْذِي حَيْثُ وَاقَعَ نُكْراً، وَلَعَلَّ ذَلِكَ فِي مَحَلِّ ٱلْحِلِّ، فَلْنَنْفُضِ ٱلْيَدَيْنِ مِنْ عِتَابِهِ وَنُخَلِّ، أَوْ لَعَلَّ كَرَمَ ٱلْعَفُوِّ ٱلْغَفُورِ يَتَغَمَّدُ مَا عَدَا كُفْرَ ٱلْكَفُورِ. رَعَبْتُ بِمَا قُلْتُ ٱلرَّجُلَ أَرْعَبُهُ عَسَى أَنْ يَوْجَلَ فَيُنَزِّهَ خَاطِرَهُ عَنْ أَمْثَالِ هَذِهِ ٱلْخَطَرَاتِ وَيَغُضَّ بَصَرَهُ عَنِ ٱلنَّاظِرَاتِ وَٱلنَّظَرَاتِ، وَإِذَا رَعَدَتِ ٱلسَّمَاءُ وَبَرَقَتْ حَمَلَتِ ٱلْمُزْنَ فَوَدَقَتْ[11] وَوَعَدَتِ ٱلْمَخَائِلُ فَصَدَقَتْ، وَسَحَّتْ عَزَالِي[12] السُّحُبِ وَغَدَقَتْ فَأَضَاءَتِ ٱلأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَأَشْرَقَتْ، وَأَتَاكَ ٱلْخِصْبُ يُونِقُ مِنْهُ ٱلْجَمَالُ، وَيَرْبِضُ عَلَيْهِ بِأَفْنِيَةِ ٱلْبُيُوتِ ٱلْمَالُ فَتَتَضَاعَفُ مِنْهُ ٱلأَعْيَانُ[13]، وَلاَ يَعْزُبُ[14] بِهَا ٱلرُّعْيَانُ، وَلاَ أَثَرَ لِلرَّعْدِ وَٱلْبَرْقِ وَإِنَّمَا ٱلأَثَرُ لِلْمَلِكِ ٱلْحَقِّ، فَإِذَا خَوَّلَكَ تَوْفِيقَهُ ٱلْمُسْعِدَ فَلاَ تُبَالِ بِمَنْ أَرْعَدَ، وَإِنْ بَرَقَ لَكَ وَرَعَدَ، فَمَا مُبَالاَتُكَ بِمَنْ أَرْعَدَ وَأَبْرَقَ إِذَا ٱللَّهُ وَقَى وَوَفَّقَ، فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرَكَ، وَالْتَزِمْ مَا حَضَّكَ عَلَيْهِ وَذَبَرَكَ[15]، فَإِنْ لَجَّ عَلَيْكَ فِي إِرْعَادِهِ وَإِبْرَاقِهِ الرَّاعِدِ فَاسْتَقْبِلْ مَصَالَ سَطْوَتِهِ بِمَا قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

---

(9) الخصم، بضم الخاء : الجانب.

(10) مذى : إذا خرج من ذكره المذي، وهو ماء رقيق يخرج منه عند ملاعبة النساء.

(11) ودقت : قطرت.

(12) عزالي : جمع عزلاء وهي مصب الماء من الراوية والقربة. ويقال : أرسلت السماء عزاليها أي كثر مطرها.

(13) الاعيان : جمع عين بمعنى الذهب.

(14) يعزب : يبعد بها في المرعى.

(15) ذبرك : بالذال المعجمة فقهك وأفهمك.

أَرْعِدْ وَأَبْرِقْ يَا يَزِيـ ـدُ فَمَا وَعِيدُكَ لِي بِضَائِرْ[16]

[مجزوء الكامل]

هَرَقْتُ[17] مَاءَ ٱلْمَوَدَّةِ مِنْ أُنَاسٍ لَعَلِّي لِذِكْرِهِمْ نَاسٍ، مَا أُهَرِيقُهُ إِلاَّ لِمَا أَحْتَمِلُ مِنْ أُنَاسٍ، وَإِذَا شَاهَدْتَ [الإِنَاءَ][18] لِلنَّجَاسَةِ مُحْتَمِلاً، فَهَرِقْ مَاءَكَ مُبْتَغِياً بِهِ بَدَلاً، وَلاَ تَقُلْ إِنْ أَرَقْتُ ٱلْمَاءَ فَمَنْ لِي بِمَا يُنْقِي ٱلأَدْرَانَ[19] وَيُرْوِي ٱلظَّمَأَ وَٱلظِّمَاءَ، أَنَا وَٱللَّهِ أُرِيقُهُ فَأُرِقْهُ وَاسْتَرْزِقِ ٱللَّهَ سِوَاهُ، فَكَذَلِكَ فَاسْتَرْزِقْهُ، وَٱلْمُؤْمِنُ مَنْ يُصْبِحُ عَلَى ٱلنَّصِيحَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُمْسِي، وَحَسْبِي أَنْ حَمَلْتُكَ عَلَى مَا أَحْمِلُ عَلَيْهِ نَفْسِي. وَيَا مُعَلِّمَ ٱلْخَيْرِ إِنْ صَرَفْتَ ٱلصِّبْيَانَ مُبْكِراً لَمْ تَعْدَمْ مِنْ آبَائِهِمْ مُنْكِراً، لأَنَّهُمْ يُشَغِّبُونَ[20] ٱلسَّاحَةَ وَيَتَعَوَّدُونَ ٱلرَّاحَةَ، وَاعْتِيَادُهَا يُورِثُ سُوءَ ٱلْمَلَكَاتِ وَيُورِطُ رَاكِبِيهَا فِي ٱلْهَلَكَاتِ، وَإِنْ صَرَفْتَهُمْ مُظْلِماً[21]، كُنْتَ لِنُفُوسِهِمْ مُؤْلِماً، وَلَمْ تَفْقِدْ مِنْ أَذْكِيَائِهِمْ مُتَظَلِّماً، وَإِنَّ حِفْظَ ٱلْجَمَامِ لَنِعْمَ ٱلْمَعُونَةُ عَلَى قَبُولِ ٱلإِفْهَامِ، وَأَعْدَلُ ٱلْمَآخِذِ فِيهِمْ تَأْخِيرُهُمْ عَلَى قَدَرٍ وَإِجْمَامُهُمْ لِلْغَدِ ٱلْمُنْتَظَرِ، فَاصْرِفْهُمْ هَكَذَا صَرَفَ ٱللَّهُ عَنْكَ ٱلأَذَى. وَأَرِ نَصِيحَكَ ٱلْقَبُولَ، وَاجْزِهِ عَمَّا أَوْلاَكَهُ ٱلْجَمِيلَ فَبِوُدِّي لَوْ وَجَدْتُ مَنْ يَسْلُكُ بِي هَذِهِ ٱلسَّبِيلَ، أَمَا وَٱللَّهِ لَوْ ظَفِرْتُ بِنُصَحَاءَ يُؤَدُّونَ إِلَيَّ حَقَّ ٱلنَّصِيحَةِ وَيُعَالِجُونَ عِلَلَ تَقْصِيرِي وَتَفْرِيطِي بِنَتَائِجِ آرَائِهِمُ ٱلصَّحِيحَةِ لَقَلَبْتُ[22] ٱلْقَوْمَ بِشُكْرٍ طَوِيلِ ٱلذَّيْلِ، وَلَطَلَبْتُ إِلَيْهِمْ أَنْ

---

(16) البيت للكميت ابن زيد الأسدي (60هـ-126هـ) وهو من قصيدة في هجاء خالد بن عبد الله القسري وابنه يزيد.
اللسان [رعد]، **الاصلاح** : 193 و226، **أدب الكاتب** : 289، **الأمالي** : 96/1، **الكامل** : 188/2.

(17) هرقت الماء : إذا صببته ودفقته.

(18) تصويب من الطرة، الورقة : 76.

(19) الأدران : جمع درن وهو الوسخ.

(20) يشغبون : يهيجون الفتنة والخصام والشر.

(21) مظلما : بعد حلول الظلام.

(22) قلبت القوم : صرفتهم.

يَمِيلُوا عَلَيَّ بِمِثْلِهِ كُلَّ ٱلْمَيْلِ، وَلاَعْتَدَدْتُ لَهُمْ بِذَلِكَ أَعْظَمَ ٱلْحَقِّ وَعَدَدْتُهُ أَكْرَمَ ٱلنَّيْلِ. وَمَنْ أَعْظَمُ مِنَّةً مِمَّنْ هَدَاكَ إِلَى ٱلصَّوَابِ، وَأَدَّاكَ إِلَى ٱلسَّلاَمَةِ وَٱلثَّوَابِ وَأَرْشَدَكَ وَقَدْ قَلَبْتَ ثَوْبَكَ حَيْرَةً، وَمَا بِكَ قَلْبُ ٱلأَثْوَابِ وَإِنَّمَا هُوَ ذُهُولُ عَرَا[23] وَسَدَرٌ[24] أَدَّاكَ إِلَى مَا جَرَى، فَإِنْ أَيْقَظَكَ نُصْحٌ مِنْ قَرِيبٍ أَرِيبٍ[25] أَوْ حَبِيبٍ لَبِيبٍ فَبِٱلْحَرَى[26].

كَمْ وَقَفْتُ[27] دَابَّتِي عَلَى رُبُوعِ ٱلأَحْبَابِ، وَقَدْ جَدَّ بِعَمَرَتِهَا[28] حَدُّ ٱلذَّهَابِ وَانْتَهَبَتِ ٱلأَيَّامُ حُسْنَهَا أَقْبَحَ ٱلإِنْتِهَابِ، فَرَجَعْتُ عَنْهَا بِعَبْرَةٍ هَامِيَةٍ وَعِبْرَةٍ إِلَى ٱلإِنَابَةِ [بِي][29] مُتَرَامِيَةٍ، فَلَوْ وَثِقْتُ بِتَأْثِيرِ ٱلإِعْتِبَارِ لأَكْثَرْتُ أَنْ أَقِفَهَا فِي ٱلدِّيَارِ وَلَكِنَّهَا عُقُودٌ مُنْحَلَّةٌ، وَسُحُبٌ حَتَّى يَأْذَنَ ٱللَّهُ مُضْمَحِلَّةٌ، فَقِفْ دَابَّتَكَ بِأَرْجَائِهَا عَسَاكَ تُصَادِفُ سَاعَةً تُظْفِرُ ٱلنَّفْسَ مِنَ ٱلْهِدَايَةِ بِرَجَائِهَا، فَمَا ظَفِرَتْ يَدَاكَ بِأَنْفَسَ مِنْ جَوْهَرِ ٱلْعِنَايَةِ وَلاَ أَعْلَفْتَ دَابَّتَكَ لأَكْرَمَ مِنْ هَذِهِ ٱلْغَايَةِ.

إِذَا وَقَفْتَ[30] لِلْمَسَاكِينِ وَقْفاً فَأَمْضِهِ لاَ تَشْتَرِطْ فِيهِ صَرْفاً[31]، فَلَيْسَ مِنَ ٱلْكَرَمِ وَمَذَاهِبِهِ أَنْ يَعُودَ ٱلْحُرُّ فِي مَوَاهِبِهِ. فَقَدِّرِ ٱلأُمُورَ فِي صُدُورِهَا تَقْدِيراً، وَإِذَا مَهَرْتَ ٱلْمَرْأَةَ فَلاَ تَجْعَلْ مَهْرَهَا كَبِيراً فَٱلسَّرَفُ[32] لاَ يُفِيدُ [كَ][33] مَعُونَةً وَ«أَعْظَمُ ٱلنِّسَاءِ بَرَكَةً أَقَلُّهُنَّ مَؤُونَةً»[34].

---

(23) عرا : غشي.

(24) سدر : دوار وتحير البصر.

(25) الاريب : الداهية البصير بالأمور.

(26) الحري : الخليق.

(27) وقفت دابتي : منعتها من السير.

(28) عمرة الربوع : أهلها الذين يعمرونها بالسكنى فيها مفردها : عامر.

(29) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 77.

(30) وقفت للمساكين : تصدقت عليهم بشيء ومنعت بيعه.

(31) الصرف : رد الشيء عن وجهه.

(32) السرف : مجاوزة القصد، الإسراف.

(33) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 77.

(34) حديث شريف، انظر ابن حنبل : 82/6، 145.

لَوْ زَرَرْتُ قَمِيصِي عَلَى أَفْعَى جَارِيَةٍ لَكَانَ أَوْلَى مِنْ [أَنْ][35] أَزُرَّهُ عَلَى رَذِيلَةٍ مُتَوَارِيَةٍ فَازْرُرْ عَلَيْكَ بِخَيْرِ قَمِيصِكَ وَطَهِّرْ غَيْبَكَ لِلنَّاسِ تَجِدِ ٱلْمَوَدَّةَ مِنْهُمْ قَمِيصَكَ، وَلاَ تُهْمِلْ تَأْكِيدِي فِي زَرِّهِ، فَزَرَّهُ وَزَرُّهُ وَزُرُّهُ وَزُرِّهِ، كُلٌّ قَدْ قِيلَ وَقَدْ يُخَفِّفُ قَصْدُ ٱلتَّأْكِيدِ ٱلثَّقِيلُ. إِنَّ عُمُرَكَ أَيُّهَا ٱلْمُغْتَرُّ لَقَصِيرٌ، وَإِنَّ نَاقِدَكَ يَا مَنْ عَنِ ٱلْجَادَّةِ يَزْوَرُّ لَبَصِيرٌ، فَهَلْ يُغْنِي عَنْكَ إِذَا بَلَغَ ٱلْعُمُرُ حَدَّهُ، أَنْ تَقُولَ يَا رَبِّ مُدَّهُ، وَكَمْ نُودِيتَ مِنْ عِنْدِهِ : اِفْسَحْ أَجَلَكَ بِٱلصَّالِحَاتِ وَمُدَّهُ. فَصَمِمْتَ عَنِ ٱلْمُنَادِي، وَشَغَلَكَ ٱلزَّهْوُ فِي صَدْرِ ٱلنَّادِي، فَاخْرُجْ رَاغِماً عَنْ مَكَانٍ ضَيَّعْتَ فِيهِ مَا خُوِّلْتَ مِنْ فُرَصِ إِمْكَانٍ إِلَى حَيِّزٍ لاَ يَجِدُ ٱلْمَرْءُ فِيهِ إِلاَّ مَا قَدَّمَ وَلاَ يُجْدِي عَلَيْهِ يَوْمَ ذَاكَ أَنْ يَتَنَدَّمَ، فَيَا لَهُ مِنْ يَوْمِهِ إِنْ لَمْ يَعْطِفْ عَلَيْهِ الكَرِيمُ ٱلَّذِي لَمْ يَزَلْ خَيْراً لَهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَقَوْمِهِ، وَيَا بَرْحَ[36] غَيِّهِ إِنْ أَخْطَأَتْهُ رَحْمَةُ مَنْ هُوَ [أَرَقُّ][37] عَلَيْهِ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ.

نَشَدْتُكَ ٱللَّهَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَقَالِيدُ ٱلْقُلُوبِ وَبِفَيْضِ رَحْمَتِهِ يَنْقَى دَرَنُ ٱلْحُوبِ[38]، أَنْ تُنَكِّبَ عَنْ مَذَامِّ ٱلأَخْلاَقِ، وَتَعْتَلِقَ بِأَسْبَابِ ٱلصَّلاَحِ أَوْثَقَ ٱلإِعْتِلاَقِ. أَنَا أَنْشُدُكَ وَٱللَّهُ يُرْشِدُكَ، وَأُحَرِّضُكَ جُهْدِي وَٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِي يُبَيِّنُ ٱلسَّبِيلَ وَيَهْدِي، فَسَلْهُ يُجِبْكَ، وَرُضْ نَفْسَكَ فِي خِدْمَتِهِ تُعْجِبْكَ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ إِسْعَادُهُ إِيَّاكَ قَرِيباً، فَتَزْدَادَ رَغْبَةً فِي ٱلْخَيْرِ وَتَرْغِيباً، فَمَتَى أُنَادِيكَ حُشْ عَلَيَّ[39] صَيْدَ ٱلْخَيْرَاتِ أَشْكُرْهُ مِنْ أَيَادِيكَ، فَكَمْ حَاشَ عَلَيَّ سِوَاكَ صَيْدَ ٱلشَّهَوَاتِ فِي فَلَوَاتِ ٱلْخَلَوَاتِ وَٱللَّهُ ٱلْكَفِيلُ بِسِتْرِ ٱلْهَفَوَاتِ.

نَذَرْتُ لِلَّهِ نَذْراً لاَ نَبَذْتُ[40] ٱلنَّبِيذَ وَلَوْ أَوْجَدَتْنِي ٱلرُّخَصُ ٱلْجَلِيَّةُ

(35) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 77.

(36) يا برح : البرح بفتح الباء وسكون الراء : الشر والعذاب.

(37) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 77.

(38) الحوب : الحزن والغم والهم والبلاء.

(39) حش علي الصيد : تقال للشخص إذا أمرته أن يطرد لك الصيد لتأخذه.

(40) نبذت النبيذ : اتخذته وعملته.

وَٱلتَّرجِيحَاتُ ٱلْكُوفِيَةُ فِيهِ عُذراً. مَا لِي وَٱلرَّعْيِ حَوْلَ حِمًى قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ نَوْعَهُ مُحَرَّماً، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَحَمَلَتْنَا صَرَاحَةُ ٱلْعَقْلِ ٱلأَصِيلِ عَلَى تَرْكِ مَا هُنَالِكَ، ٱلْدَّخِلُ عَلَيْهِ غَائِلَةَ ٱلْفَسَادِ وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مِنَنِ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْعِبَادِ، ﴿إِنِّي إِذَنْ لَفِي ضَلاَلٍ مبِينٍ﴾[41]، وَعَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَأْخُذَ بِنَوَاصِينَا عَنْ مَهَاوِي ٱلْهَوَى، فَكَمْ حَطَبْنَا [فِي][42] حَبْلِهِ، وَأَنِسْنَا بِخَبْلِهِ[43]، وَعَامَلْنَاهُ سُبْحَانَهُ بِمُقْتَضَاهُ فَتَنَكَّبْنَا حَمْدَهُ وَرِضَاهُ. أَسْتَغْفِرُ ٱللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فَكَمْ جَرَيْتُ فِي مَيْدَانِهِ طَلَقاً، وَرَهَنْتُ ٱلرَّهْنَ فَمَا خِفْتُ لَهُ غَلَقاً[44]، وَذَلِكَ أَنَّ ٱلَّذِي اِرْتَهَنَ ٱلرَّهْنَ مَطَلْتُهُ لَمَّا اسْتَشْعَرْتُ مِنْهُ ٱلْوَهَنَ، وَلَوْ آنَسْتُ مِنْهُ قُوَّةً وَأَنَفَةً لَمَا شَغَلَنِي عَنْهُ أَمْرٌ يَشْغَلُنِي عَنْ تَعْجِيلِ ٱلنَّصَفَةِ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُهُ عَفِيفاً فَمَطَلْتُ، وَوَجَدْتُهُ ضَعِيفاً فَاسْتَطَلْتُ، وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلأَعِفَّاءِ، وَمُتَوَلِّي إِنْصَافَ ٱلضُّعَفَاءِ. وَقَدْ خَصَيْتُ ٱلْفَحْلَ وَبَرِئْتُ إِلَى مُبْتَاعِهِ مِنَ ٱلْخِصَاءِ، فَنَقَصْتُ مَا تَمَّمَهُ ٱلْخَلاَّقُ ٱلْكَفِيلُ لِمَا نَسِيتُ مِنْ ذُنُوبِي بِالإِحْصَاءِ، وَنَعَشْتُ[45] رَجُلاً وَحَرَمْتُ ٱلْعَطَاءَ رَجُلاً، أَدْخَلْتُ عَلَى هَذَا غَمّاً وَعَلَى ذَاكَ جَذَلاً، وَهَبْنِي أَنْعَشُ ٱلأَوَّلَ أَحْتَسِبُ إِنْفَاقَهُ، فَلِمَ أَحْرِمُ ٱلثَّانِيَ اسْتِحْقَاقَهُ، وَإِنَّمَا خَبْطُ عَشْوَاءَ وَخَلْطُ ٱلْقَلْبِ مَا أَحْسَنَ فِيهِ بِمَا أَسَاءَ، وَلَعَلَّنَا بَعْدُ نَؤُولُ مَآلَ ٱلْمُصْلِحِينَ.

يَا هَذَا إِنْ حَلَلْتَ مِنَ ٱلإِحْرَامِ فَلاَ تَسْتَعْجِلَنَّ مَحْظُورَ ٱلْحَرَامِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَحْزُنُ قَلْبَ ٱلتَّقِيِّ، فَإِنْ حَزَنَكَ وَإِلاَّ فَخَفْ عَاقِبَةَ ٱلشَّقِيِّ، وَلأَنْ يُودِيَ ٱلْمَرْءُ صَرِيعاً لِلْجَنْبِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْنَسَ بِٱلذَّنْبِ، لاَ تَحْرِمْ مَرِيضَكَ مَا يَشْتَهِيهِ فَإِنْ شَفَاهُ شَيْءٌ فَٱللَّهُ يَشْفِيهِ :

عَجِبْتُ لِمَنْ يَرْجُو لِبُرْءِ شَكَاتِهِ   سِوَى رَبِّهِ يَا مَا أَضَلَّ وَمَا أَغْوَى[46]

---

(41) الآية 24 من سورة يس.

(42) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 77.

(43) الخبل، بسكون الباء : الفساد.

(44) غلق الرهن : ضد الفك.

(45) نعشت الرجل : إذا أغنيته بعد فقر أو نصرته بعد ظلم.

(46) البيتان ربما كانا لأبي الربيع.

أأَرْجُو امْرَءاً مِثْلِي لإبْرَاءِ عِلَّتِي وَأَمْرِي إِلَى رَبِّي وَأَتْرُكُهُ لَغْـوَا

[الطويـل]

غَاظَنِي مِنْ بَعْضِ ٱلنَّاسِ ٱلتَّصَنُّعُ ٱلْمُهْلِكُ، كَمَا يَغِيظُنِي تَشَبُّعُ(47) الْمُتَشَبِّعِ(48) مِنْهُمْ بِمَا لاَ يَمْلِكُ. غِظْتَنِي يَا صَاحِبَ الرِّيَاءِ فَاسْتَحْيِ مِنْ عَالِمِ سَرِيرَتِكَ حَقَّ الْحَيَاءِ، لَوْ حُكِّمْتُ نَفَيْتُكَ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، مَا أَنْفِيكَ إِلاَّ لِتَسْتَبِينَ مَا لَحِقَكَ مِنَ الإِشْتِبَاهِ، وَإِنْ نَفَيْتُ رَدِيءَ الْمَتَاعِ فَإِنَّمَا أَنْفِيهِ لِسُوءِ ٱلإِمْتَاعِ وَالتَّقْصِيرِ عَنْ وَجْهِ الإِنْتِفَاعِ وَالنَّفْيُ لِبَعْضِ الجُنَاةِ صَوَابٌ، وَعَسَى أَنْ يُعْقِبَهُ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ إِيثَارٌ لِلْخَيْرِ وَإِيجَابٌ، وَالأَيَّامُ كُلُّهَا شَيْءٌ عُجَابٌ. زَوَى الرَّجُلُ عَنِّي وَجْهَهُ مُعْرِضاً لأَنْ غَدَوْتُ لَهُ بِالنُّصْحِ مُتَعَرِّضاً، يَا عَجَباً لَهُ يَزْوِيهِ، أَتُرَاهُ يَجْهَلُ مَا أَنْوِيهِ، وَإِنَّ زَيَّ الْوَجْهِ لِلنَّصِيحِ لَمَئِنَّةٌ(49) مِنْ إِيثَارِ القَبِيحِ، بِأَمْثَالِ هَؤُلاَءِ سَخِنَتْ عَيْنِي فَاعْذِرْنِي إِذَا بَرَدْتُهَا(50)، وبِتَوَهُّمِ مَقَاصِدِهِمِ الخَبِيثَةِ صَرِىءَ ذِهْنِي فَكَيْفَ لَوْ سَرَدْتُهَا، أَبْرُدُ عَيْنِي بِالبَرُوردِ لِتُشْفَى كَمَا يَشْتَفِي الصَّدْيَانُ بِالوُرُودِ، فَلَوْ أَمِنْتُ يَوْمَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ خَوْفِي، لَبَرَدَ الْمَاءُ حَرَارَةَ جَوْفِي، وَإِنْ كَانَ الآنَ فِي ظَاهِرِ الأَمْرِ يَبْرُدُهَا :

فَفِي فُؤَادِ الشَّجِيِّ نَـارُ أَسًى أَحَـرُّ نَـارِ الجَحِيـمِ أَبْرَدُهَــا

[البسيط]

---

(47) التشبع : التزين بالباطل من المظاهر.

(48) المتشبع بما لا يملك : إشارة للحديث : «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور». يطلق على الرجل الذي يعمد إلى كمين يصل بهما كمين آخرين ليوهم الناس أنه يلبس ثوبين وهو في الحقيقة لا يلبس إلا ثوبا واحد.
انظر الحديد في صحيح مسلم : 169/6.

(49) لمئنة : علامة.

(50) بردتها : كحلتها بالبرود.

يَالَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَدِبُّ فِي حَرَكَاتِي السُّكُونُ، ومَتَى يِكُونُ الَّذِي لاَبُدَّ أَنْ سَيَكُونَ[51]، وَهَلْ بَيْنَ الأَحِبَّةِ يَكُونُ مُنْقَطَعُ الأَنْفَاسِ لَمْ فِي الْغُرْبَةِ فَأَقُولُ لِمَنْ حَضَرَنِي مِنَ آلنَّاسِ :

إِذَا مَا أَتَيْتَ آلْحَارِثِيَّاتِ فَانْعَنِي لَهُنَّ وَخَبِّرْهُنَّ أَنْ لاَ تَلاَقِيَا[52]
وَعَطِّلْ قُلُوصِي فِي آلرِّكَابِ فَإِنَّهَا سَتَبْرُدُ أَكْبَاداً وَتُبْكِي بَوَاكِيَا

[الطويـل]

وَإِذَا لَقِيتَ آلأَتْرَابَ فَقُلْ لَهُمْ أَنَا هِلْتُ عَلَيْهِ آلتُّرَابَ وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَكَ عَلَى آلأَحْبَابِ أُهِيلُهُ، وَيُسَاوِرُ جِلْدِي آلْعَظَائِمُ فَلاَ تَهُولُهُ، وَلاَبُدَّ لَكَ مِنْ يَوْمٍ كَيَوْمِي، وَمُخْبِرٍ يُخْبِرُ عَنْكَ قَوْمَكَ كَمَا تُخْبِرُ عَنِّي قَوْمِي، فَمِنْ قَائِلٍ لِلنَّاعِي فَضَّ آللَّهُ فَاهُ، وَمِنْ شَامِتٍ أَبْرَأَ حَيْنِي دَاءَ غِلِّهِ وَشَفَاهُ، كَأَنَّهُ لِفَضْلِي مُتَقَلِّدٌ، أَوْ كَأَنَّهُ بَعْدِي

---

(51) نثر أبو الربيع بيتي ابن المنخل الشلبي وهو شاعر أندلسي توفي سنة 560هـ.

مَضَتْ لِي سِتٌّ بَعْدَ سَبْعِينَ حَجَّةً وَلِي حَرَكَاتٌ بَعْدَهَا وَسُكُونُ
فَيَالَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ أَوْ كَيْفَ أَوْ مَتَى يَكُونُ آلَّذِي لاَبُدَّ أَنْ سَيَكُونُ

انظر زاد المسافر، ص 130، والتكملة : 124/1.

(52) البيتان ينسبان لمالك ابن الريب في **الفصيح**، ص 268، وفي التلويح، ص 13، وفي التصريح، الورقة : 16 لأبي العباس التدميري : وأنشد لمالك بن الريب المازني وقيل لعبد يغوث بن وقاص الحارثي، ويروى البيت في كتاب الأغاني على طريقة أخرى منسوبا إلى جعفر بن علبة الحارثي. وذكر اللبلي في تحفة المجد الصريح أنهما ينسبان لمالك بن الريب، وقيل لجعفر ابن علبة الحارثي وقيل لعبد يغوث بن وقاص الحارثي، ص 167. ولكل من مالك وعبد يغوث قصيدة على نفس البحر والروي والقافية، وإن كان عبد يغوث شاعرا جاهليا أسر يوم الكلاب عند تميم الرباب وكانوا يطالبونه بدم رجل منهم فعلم أنه مقتول فقال في هذه القصيدة :

أَلاَ لاَ تَلُومَانِي كَفَى آللَّوْمَ مَا بِيَا فَمَا لَكُمَا فِي آللَّوْمِ خَيْرٌ وَلاَ لِيَا

والقصيدة خالية من البيتين. انظر المفضليات، ص 155-156، ذيل الأمالي : 132/3، الاقتضاب : 88/3.

أما مالك بن الريب فشاعر عاش في عهد الدولة الأموية وكان على عهد علي بن معاوية لصا قاطع طريق ثم صحب سعيد ابن عثمان بن عفان في غزوته إلى خراسان وفيها توفي. ومطلع قصيدته :

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِجَنْبِ آلْغَضَى أُزْجِي آلْقِلاَصَ آلنَّوَاجِيَا

وفيها يقول :

فَيَا صَاحِبَا إِمَّا عَرَضْت فَبَلِّغاً بَنِي مَازِنٍ وَآلرَّيْبِ أَنْ لاَ تَلاَقِيَا
وَعَرِّ قُلُوصِي فِي آلرِّكَابِ فَإِنَّهَا سَتُفْلِقُ أَكْبَاداً وَتُبْكِي بَوَاكِيَا

الأمالي : 137/3-138، الشعر والشعراء، ص 270، الجمهرة، ص 289. وفي حماسة أبي تمام ص 111 ينسبان إلى جعفر بن علبة الحارثي.

مُخَلَّدٌ :

فَقُلْ لِلَّذِي يَبْقَى خِلاَفَ ٱلَّذِي مَضَى   تَأَهَّبْ لأُخْرَى مِثْلِهَا فَكَأَنْ قَدِ[53]

[الطويـل]

وَبَعْدُ فَلاَ يَفْضُضِ ٱللَّهُ فاكَ، أَيُّهَا ٱلْخَبِيرُ، فَلاَبُدَّ أَنْ تَضُمَّ جَمِيعَنَا ٱلْقُبُورُ وَإِلَى مَوْلاَنَا ٱلْحَقِّ ٱلْمَرَدُّ وَٱلْمَصِيرُ، ذَاكَ سَفَرٌ لاَ تَحْتَاجُ أَنْ تَدِجَ[54] فِيهِ دَابَّتَكَ إِذَا وَدَجَ دَابَّتَهُ ٱلْمُسَافِرُ، وَلاَ أَنْ تَتِدَ[55] لَهَا وَتِداً يَقِرُّ عَلَيْهِ ٱلنَّافِرُ، فَإِنْ أَنْفَذْتَ فِي سَفَرِ ٱلْحَيَاةِ مَقْصَدَكَ، فَدِجْ دَابَّتَكَ وَتِدْ وَتِدَكَ، وَإِنْ كُنْتَ فِي سَفَرِ ٱلآخِرَةِ مُعْتَمِلاً، فَاعْمَلْ غَيْرَ ٱلْوَدْجِ وَٱلْوَتْدِ عَمَلاً، لاَ حَاجَةَ بِكَ إِلَى ٱلْوَدِّ[56]، وَإِنَّمَا حَاجَتُكَ إِلَى ٱلتَّشْمِيرِ وَٱلْجِدِّ، وَلاَ مَنْفَعَةَ لَكَ فِي ٱلْوَدْجِ تُجْرِي بِهَا دَماً، وَإِنَّمَا مَنْفَعَتُكَ فِي عَمَلٍ تَجِدُهُ مُقَدَّماً. وَإِذَا جَهَدَ دَابَّتَهُ ٱلرَّاكِبُ يَسْتَعْجِلُ ٱلأَمَلَ، فَاجْهَدْ نَفْسَكَ رَجَاءَ أَنْ يَتَقَبَّلَ ٱللَّهُ مِنْكَ هَذَا ٱلْعَمَلَ، وَإِذَا فَرَضْتَ لِلرَّجُلِ[57] فِي ٱلْعَطَاءِ فَالْحَظْ فِيمَا تَفْرِضُ لَهُ حَالَهُ فِي ٱلتَّقَدُّمِ وَٱلإِبْطَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مَالُ ٱللَّهِ فَمَنِ اجْتَهَدَ فَانْطِقْ بِالإِكْثَارِ لَهُ ٱلْمَشْهَدَ، وَمَنْ أَنِفَ أَنْ يَجْتَهِدَ فَأَوْلِهِ ٱلْحَظَّ ٱلأَزْهَدَ.

وَإِذَا صِدْتَ صَيْداً فَلاَبَأْسَ أَنْ تَكِيدَ لَهُ كَيْداً، فَقَدْ أَحَلَّ ٱللَّهُ صَيْدَ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ، وَأَغْنَاكَ بِإِفَادَتِهِ ٱلْجَوَارِحَ مِنْ سَهْمٍ أَوْ شَهْمٍ عَنِ ٱلذَّبْحِ وَٱلنَّحْرِ، وَتَذَكَّرْ حِينَ تَصِيدُ أَنَّكَ بِصَدَدِ ٱلْمَصَادِ، وَأَنَّ سِهَامَ ٱلْمَنَايَا لَكَ بِٱلْمِرْصَادِ، وَلاَبُدَّ يَوْماً أَنْ تُصْمِيَ تِلْكَ ٱلسِّهَامُ وَتَمْضِيَ تِلْكَ ٱلأَحْكَامُ وَيَأْتِي عَلَى كُلِّ حَيٍّ ٱلْحِمَامُ، وَإِنْ أُنْسِئَتِ ٱلآجَالُ وَتَرَاخَتِ ٱلأَيَّامُ، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾[58].

(53) البيت لعبيد بن الأبرص من قصيدة مطلعها : الديوان ص 68

لِمَنْ دِمْنَةٌ أَقْوَتْ بِحَرَّةِ ضَرْغَدِ   تَلُوحُ كَعُنْوَانِ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُجَدَّدِ

الديوان ص 68

(54) ودج الدابة يدجها : إذا فصدها.

(55) تتد لها : تدق لها وتدا.

(56) الود : بفتح الواو : الوتد في لغة أهل نجد.

(57) فرضت : جعلت للرجل عطاء يأخذه في وقت معلوم.

(58) الآية 32 من سورة الأعراف.

4 ـــ بَابُ فَعُلَ بِضَمِّ ٱلْفَاءِ

عُنِيتُ بِحَاجَتِي ٱلدُّنْيَوِيَّةِ تَنَكُّباً لِلْمَقَاصِدِ ٱلسَّوِيَّةِ، أُعْنَى[1] بِمَا يَعْنَى[2] وَأَتَعَنَّى[3] فِي مَا يُلْحِقُ بِيَ أَفْنَا[4]. وَأَحْسِبُنِي لَوْ لَمْ أَكُنْ دَنِيّاً لَمَا كُنْتُ بِالدُّنْيَا وَحَوَائِجِهَا مَعْنِيَا، وَلاَ أُولِعْتُ بِدَارٍ شَرُّهَا لِلْمُطْمَئِنِّ إِلَيْهَا ذُو بِدَارٍ، وَكَانَ حَقِّي لَوْ وُفِّقْتُ أَنْ أُولَعَ بِالْغَايَةِ ٱلَّتِي عَنْهَا صُدِقْتُ[5]، تِلْكَ ٱلَّتِي بُهِتَ ٱلْمُتَفَكِّرُ فِيهَا وَمَا لَهُ لاَ يُبْهَتُ، وَبُغِتَ بِهَا ٱلْغَافِلُ عَنْهَا فَكَيْفَ نَجَاةُ مَنْ يُبْغَتُ، فَيَا صَادِفِي[6] عَنْهَا بِتَضْلِيلِهِ، وَرَائِمَ[7] تَحَرُّفِي بِمُزَخْرَفِ قِيلِهِ عَنْ سَنَنِ ٱلتَّوْفِيقِ وَسَبِيلِهِ. شُغِلْتُ عَنْكَ أَيُّهَا ٱلإِنْسَانُ، وَشُهِرَ فِي ٱلنَّاسِ شَأْنُكَ فَمَا لَكَ عِنْدِي إِلاَّ ٱلْبَغْضَاءُ وَٱلشَّنَآنُ، فَلَيْتَكَ وُثِئَتْ[8] يَدُكَ أَوْ خَرِسَ لِسَانُكَ فَهُوَ ٱلَّذِي يُؤَيِّدُكَ، وَأَمَّا ٱلْيَدُ ٱلْمَوْثُوءَةُ فَقَدْ تَظْهَرُ مَعَهَا سَرَائِرُكَ ٱلْمَخْبُوءَةُ، إِلاَّ أَنْ يَجْتَمِعَ عَلَيْكَ ٱلأَمْرَانِ فَلاَ يَنْطِقُ ٱلْفَمُ وَلاَ تَخُطُّ ٱلْيَدَانِ، أَوْ لَيْتَكَ آنَ عَدَمُكَ وَأُصَابَكَ سَهْمٌ عَائِرٌ[9] فَطُلَّ دَمُكَ، فَأَوْلَى دَمٍ مَطْلُولٍ دَمُ مَنْ لاَ يَنِي فِي تَعْذِيلٍ وَتَضْلِيلٍ، وَأَحَقُّ دَمٍ أُهْدِرَ دَمُ مَنْ يَرَى أَلاَّ يُورِدَ فِي خَيْرٍ وَلاَ يُصْدِرَ. وَرُبَّ كَلِمَةٍ وَافَقَهَا قَدَرٌ فَأَصْبَحَ دَمٌ وَهُوَ مُهْدَرٌ.

---

(1) أعنى : اهتم وشغل.

(2) يعنى : ينجع.

(3) اتعنى : من العناء بمعنى التعب.

(4) الأفن : الضعف.

(5) صدقت : حُدِّثت عنها حديث الصدق.

(6) صادفي : اسم فاعل من صدف إذا عدل وأعرض.

(7) رائم : قاصد.

(8) وثئت : أصاب العظم صدع دون الكسر.

(9) سهم عائر : كل ما أعل العين فعقر.

وُقِصَ[10] ٱلرَّجُلُ فِي سَبِيلِ ٱلإِيمَانِ، فَهَلاَّ وُقِصَ ٱلْمُتَرَدِّدُ فِي سَبِيلِ ٱلشَّيْطَانِ وَلَكِنَّهُ ٱلْقَدَرُ لاَ يَحُولُ عَمَّا جَرَى بِهِ ٱلْقَلَمُ وَلاَ يَتَغَيَّرُ. قَضَى ٱللَّهُ أَنْ يُعْظِمَ ثَوَابَ ذَلِكَ ٱلْمَوْقُوصِ، وَحَكَمَ بِنَقْصِ هَذَا ٱلْبَائِسِ فَيَا غَبْنَ ٱلْمَنْقُوصِ، وَبِقَدَرٍ وُضِعَ[11] ٱلرَّجُلُ فِي ٱلْبَيْعِ، وَظَفِرَ آخَرُ فِي زَرْعِهِ بِٱلرَّيْعِ. وَلاَ تَخَلْ أَنَّهُ لاَ يُوضَعُ ٱلأَكْيَسُ، بَلْ كَمَا وُكِسَ[12] ٱلأَبْلَهُ فَكَذَلِكَ ٱلأَلَبُّ يُوكَسُ، وَكَمْ غُبِنَ فِي صَفْقَتِهِ ٱلْيَقِظُ، وَسَلِمَ مِنَ ٱلْغَبْنِ مَنْ لاَ يَتَحَفَّظُ وَبِإِذْنِ رَبِّكَ غُبِنَ ٱلْحَازِمُ رَأْيَهُ، وَوُقِيَ ٱلْغَبَنَ عَيِيٌّ لاَ يُدْرِكُ إِدْرَاكَهُ، وَلاَ يَعِي وَعْيَهُ.

أُزِلَ[13] ٱلْحَيُّ ٱلْحِلاَلُ[14]، فَهُزِلَ فِيهِمُ ٱلسَّيِّدُ ٱلْمِفْضَالُ، يُهْزَلُ ٱلرَّجُلُ كَمَا تُهْزَلُ ٱلدَّابَّةُ فَتُثْنِي بِكَرَمِهِ ٱلأَلْسِنَةُ ٱلسَّابَّةُ، أَهْزَلَهُ أَنْ قَسَّمَ جِسْمَهُ فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ، فَبَاءَ بِمَدْحَةٍ عَظِيمَةٍ وَرُتْبَةٍ أَثِيرَةٍ، وَهَانَ عَلَى ٱلْكَرِيمِ أَنْ هُزِلَ جِسْمُهُ إِذَا سَمِنَ اِسْمُهُ، وَرَاقَ فِي حَلَبَةِ ٱلأَكْرَمِينَ وَسْمُهُ، يُسَرُّ أَنْ حُلِبَتْ نَاقَتُهُ وَشَاتُهُ، وَيُصَرِّي[15] أَخْلاَفَهَا لِيَجِدَهَا مَوْفُورَةً غُشَاتُهُ[16]، وَأَشَدُّ مَا يَكُونُ مَسْرُوراً [حِينَ][17] تُحْلَبُ لَبَناً كَثِيراً لِيَعْظُمَ لِلْغَاشِينَ ٱلْمُرْتَفَقُ وَيَعُمَّ ٱلْمَسَاكِينَ ٱلْمُصْطَبَحُ وَٱلْمُغْتَبَقُ، ذَاكَ ٱلَّذِي يُبَارَكُ لَهُ فِي ٱلرِّسْلِ[18] وَٱلنَّسْلِ، وَلاَ يَدْرُسُ ذِكْرُهُ ٱلْجَمِيلَ سِنَّ ٱلْحِسْلِ[19]، فَإِنْ نُكِبَ هَذَا فَكُلُّ فَقِيرٍ مَنْكُوبٌ، وَكُلُّ دَمْعٍ بِحَقِّهِ عَلَيْهِ

(10) وقص الرجل : إذا سقط عن الدابة فاندق عنقه.

(11) وضع الرجل : خسر في رأسماله.

(12) وكس : خسر في تجارته وقل رأس ماله.

(13) أزل : أصابه قحط وشدة.

(14) الحلال، بكسر الحاء : القوم.

(15) يصري : يشد على الناقة الصدار وهو خيط يشد فوق الخلف لئلا يرضعها ولدها.

(16) غشاته : من يغشاه وينتابه من الزوار.

(17) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 80.

(18) الرسل : ما تدره الناقة من لبن.

(19) الحسل : ولد الضب، سن الحسل : يعني أبدا، لأن أسنان الحسل لا تسقط أبدا حتى يموت.

مَسْكُوبٌ، ٱلْمُصِيبَةُ فِيهِ عَامَّةٌ، وَكُلُّ بَعِيدٍ لَهُ أَهْلٌ وَحَابَّةٌ[20] :

فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ وَلَكِنَّـهُ بُنْيَـانُ قَـوْمٍ تَهَدَّمَـا[21]

[الطويـل]

لَقَدْ جَدَّ بِٱلسَّفْرِ[22] جِدُّ ٱلتَّأْثِيرِ فِي ٱلْوَفْرِ، لاَ يَسْتَطِيعُونَ إِلاَّ ٱلإِنْفَاقَ وَلاَ يُمْكِنُهُمْ أَنْ يُفَارِقُوا فِي ٱلْمَفَازَةِ ٱلرِّفَاقَ، فَإِذَا رُهِصَتْ[23] دَابَّةُ أَحَدِهِمْ فَمِنَ ٱلْعَوِيصِ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنِ ٱلرَّكْبِ لأَجْلِ هَذِهِ ٱلرَّهِيصِ، فَيُضْطَرَّ إِلَى ٱلإِعْتِيَاضِ مِنَ ٱلَّتِي ضَلَّتْ مَرْهُوصَةً فَتُصْبِحُ جِدَّتُهُ مَنْقُوصَةً، وَبِيَدِ ٱللَّهِ خَزَائِنُ ٱلإِرْفَاقِ[24]، وَٱلْخَلَفُ عِنْدَهُ مَقْرُونٌ بِٱلإِنْفَاقِ، فَرُبَّمَا نُتِجَتْ[25] خِلاَفُهُ ٱلنَّاقَةُ فَتَتَضَاعَفُ حِينَ تُنْتَجُ ٱلإِغْتِبَاقَةُ[26]، نَتَجَهَا أَهْلُهَا لَيْلاً فَأَجْزَلَ ٱلصَّبَاحُ لِجِيرَانِهَا نَيْلاً، وَٱلْكَرِيمُ مِتْلاَفٌ مِخْلاَفٌ، وَبِقُدْرَةِ ٱللَّهِ جَفَّتْ وَحَشَكَتْ[27] أَخْلاَفٌ.

عُقِمَتِ ٱلْمَرْأَةُ فَضَجِرَتْ، وَعَقُرَتِ ٱلنَّاكِحُ فَوَدَّتْ أَنَّهَا عُقِرَتْ، يَا عَجَباً لِلْعَقِيمِ تَتَشَوَّفُ إِلَى حَالَةِ ٱلسَّقِيمِ، وَيَا وَيْحَ ٱلْعَاقِرِ لَعَلَّ فِي ٱلْعُقْرِ سَدَاداً لِلْمَفَاقِرِ، وَلَعَلَّهَا إِنْ نُفِسَتْ[28] غُلاَماً، اِسْتَقْبَلَتْ بِهِ أَنْكَاداً وَآلاَماً، أَوْ يَكُونُ ٱلْمَنْفُوسُ جَارِيَةً فَتَغْدُو ٱلأَقْدَارُ فِيهَا بِغَيْرِ مَأْمُولِهَا جَارِيَةً، وَٱلرِّضَا بِقَضَاءِ ٱللَّهِ أَوْلَى مَا ٱهْتَدَتْ بِهِ ٱلنُّفُوسُ ٱلْمُتَحَيِّرَةُ، وَرَجَعَتْ إِلَيْهِ ٱلنُّفَسَاءُ ٱلْمُتَخَيِّرَةُ، وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ

---

(20) حابة : محبون.

(21) البيت للشاعر النمر بن تولب انظر الشعر والشعراء 227.

(22) السفر : رجل سفر وقوم سفر بمعنى مسافر ومسافرون.

(23) رهصت الدابة : إذا وطئت حجرا وصار في بطن حافرها قيح.

(24) الإرفاق : اللطف واللين.

(25) نتجت : قِيمَ عليها حتى ولدت بضم النون إذا لم تسم الفاعل، وبفتح النون إذا سميت الفاعل كقوله : نتجها أهلها.

(26) الإغتباقة : اللبن الذي يحلب بعد المغرب.

(27) حشكت : امتلأت لبنا.

(28) نفست : وضعت، ولدت.

مَا [كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ][29] :

وَمَا ٱلدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ يُؤَمَّلَ عِنْدَهُ   سُرُورٌ وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى ٱلنَّسْلِ[30]

[الطويـل]

زُهِيتَ عَلَيْنَا أَيُّهَا ٱلْمُعْتَدُّ بِٱلصِّحَّةِ وَٱلشَّبَابِ وَجَهِلْتَ مَا بِهِ دُهِيتَ مِنْ تَقَاضِي ٱلأَيَّامِ وَذَهَابِ ٱلأَحْبَابِ، فَلَوِ اعْتَبَرْتَ ٱلَّذِي بِهِ دُهِيتَ لَمَا زُهِيتَ[31]، وَلَوْ عَلِمْتَ غَائِلَةَ مَا بِهِ انْتُحِيتَ لَمَا نُخِيتَ[32]، فَكَمْ مَزْهُوٌّ لُقِيَ[33] بِأَيْسَرِ شَيْءٍ لَقِيَ وَكَمْ مَنْخُوٌّ صَدْرَ لَيْلَتِهِ فَلِجَ[34] قَبْلَ أَنْ يَسْتَبِينَ لَهُ ٱلصُّبْحُ وَيَنْبَلِجَ فَأَصْبَحَ عَنِ ٱلْعَافِيَةِ مَخْلُوجاً وَغَدَا وَرَاحَ مَلْقُوّاً مَفْلُوجاً، فَمَنْ ذَا يُعَالِجُهُ إِذَا اسْتَحْكَمَ فَالِجُهُ، وَيَا لِعَاجِلِ شِقْوَتِهِ وَقَدْ يَئِسَ مِنْ بُرْءٍ لَقْوَتِهِ، وَوَدَّ ٱلْبَائِسُ لَوْ بَقِيَ كَذَلِكَ وَهَيْهَاتَ لاَبُدَّ يَوْماً أَنْ يَكُونَ ٱلْهَالِكَ، وَحَسْبُهُ أَنْ يُكَابِدَ البِرَحِينَ[35] وَيُزَجِّيَ[36] بِآلاَمِهِ بَعْدَ ٱلْحِينِ ٱلْحِينَ، حَتَّى إِذَا أَذِنَتِ ٱلأَقْدَارُ بِعَطَبِهِ، وَعَاقَتْهُ ٱلشِّدَّةُ عَنْ أَرَبِهِ، قَالَ أَوْلِيَاهُ قَدْ دِيرَ بِفُلاَنٍ أَوْ أُدِيرَ[37] بِهِ وَمَا نَرَاهُ إِلاَّ لِمَا بِهِ ذَاهِباً، وَمُلاَقِياً ٱلَّتِي لَمْ يَزَلْ لَهَا رَاهِباً، وَطَفِقَ ٱلْجِيرَةُ يُؤَنِّسُونَ بِحَسَنِ ٱلْقَوْلِ، وَيَعِدُونَ بِعَائِدَةِ ذِي ٱلْقُوَّةِ

---

(29) تكملة من طرة الكتاب، الورقة : 80.

(30) البيت للمتنبي، وروايته هي :

وَمَا ٱلدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ تُؤَمَّلَ عِنْـدَهُ   حَيَاةٌ وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى ٱلـنَّسْلِ

الديوان بشرح العكبري : 52/3، وبشرح العلامة الأوحدي، ص 414، وبشرح عبد الرحمان البرقوقي : 220/3. والبيت في قصيدة في رثاء ابن سيف الدولة، والبيت في يتيمة الدهر : 265/1.

(31) زهيت : تكبرت.

(32) نخيت : أصابتك نخوة.

(33) لقي : أصابته اللقوة بفتح اللام وسكون القاف، وهي ما يصيب شدق الإنسان فيلتوي إلى جهة العنق.

(34) فلج : أصيب بالفالج.

(35) البِرَحِين : الشدائد والدواهي.

(36) يُزَجِّي : يسوق ويدفع.

(37) دير به وأدير به : أن يصيب الإنسان حيرة في رأسه واسم الداء الدوار.

وَٱلْحَوْلِ، وَيَقُولُونَ كَمْ مَدُورٍ بِهِ أَفْرَقَ[38]، وَمَا كُلُّ مُدَارٍ بِهِ أَوْدَى فَلاَ تُطَاوِعُوا ٱلشَّفَقَ[39]، فَأَتَاهُمْ عَلَى تَفِيئَةِ[40] هَذِهِ ٱلتَّسْلِيَةِ، أَنَّ حَالَهُ مُؤْذِنَةٌ بِقُرْبِ ٱلْغَسْلِ وَٱلتَّصْلِيَةِ، فَانْطَلَقُوا مُسْتَبِقِينَ، وَتَبَادَرُوا مُشْفِقِينَ [يَسْأَلُونَ][41] مَنْ لَقُوا عَلَى طَرِيقِهِمْ مِنْ فَرِيقِهِمْ فَقِيلَ لَهُمْ قَدْ أُغْمِيَ عَلَى ٱلْمَرِيضِ فَهَا هُوَ مُغْمًى عَلَيْهِ، وَقَدْ غُشِيَ عَلَيْهِ مِرَاراً وَمَا أَقْرَبَ ٱلْمَغْشِيَّ عَلَيْهِ أَنْ تَغْشَاهُ ٱلْمَنَايَا فَتَأْخُذَ عَلَى يَدَيْهِ، ثُمَّ آسْتَمَرُّوا فِي سَبِيلِهِمْ يَتَخَافَتُونَ بِعَوِيلِهِمْ وَيَسْتَطْلِعُونَ طِلْعَ ٱلْمَرِيضِ حِينَ أُخْبِرُوا أَنْ قَدْ [حَالَ ٱلْجَرِيضُ دُونَ ٱلْقَرِيضِ][42]، فَوَرِعٌ[43] امْتُقِعَ مِنْهُ ٱللَّوْنُ وَمُضْطَلِعٌ[44] قَالَ بِٱللَّهِ عَلَى عَارِضِ ٱلرَّزَايَا ٱلْعَوْنُ :

خُلِقْنَا رِجَالاً لِلتَّصَبُّرِ وَٱلأَسَى   وَتِلْكَ ٱلْغَوَانِي لِلْبُكَا وَٱلْمَآتِمِ

[الطويل]

ثُمَّ اشْتَغَلُوا بِتَجْهِيزِ صَاحِبِهِمْ، وَعَادُوا بَعْدُ يُجْرُونَ خُيُولَ ٱللَّهْوِ فِي مَلاَعِبِهِمْ، وَيَجُرُّونَ ذُيُولَ ٱلزَّهْوِ فِي مَسَاحِبِهِمْ، كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا لَهُ قَوْماً، أَوْ كَأَنْ لَمْ يَغْنَ[45] مَعَهُمْ يَوْمَا، وَرُكِضَتْ[46] بَعْدَهُ ٱلصَّافِنَاتُ ٱلْجِيَادُ، وَأُكِلَتِ ٱلطَّيِّبَاتُ، فَلَمْ يُفْقَدْ مِنْ لَذَّتِهَا ٱلْمُعْتَادُ، وَأَشْرَقَتِ ٱلشَّمْسُ وَأُهِلَّ ٱلْهِلاَلُ، فَرَاقَ ٱلأَبْصَارَ ذَلِكَ ٱلإِسْتِهْلاَلُ، وَلَمْ يَبْقَ لِهَذَا ٱلْفَقِيدِ فِي إِسْرَارٍ مِنْ وَلِيِّهِ وَلاَ إِعْلاَنٍ، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَقُولَ إِذَا مَرَّ بِقَبْرِهِ هَذَا قَبْرُ فُلاَنٍ، وَلْيَحْذَرِ ٱلْعَاقِلُ مَتَى اسْتُهِلَّ ٱلْهِلاَلُ أَوْ غُمَّ،

(38) أفرق : برأ من مرضه وشفي منه.

(39) الشفق : الخوف.

(40) تفيئة : على أثر.

(41) في الأصل يسلون، الورقة : 80.

(42) الجريض : غصص الموت. القريض : قيل الشعر، وقيل الجرة : وهي ما يفيض به البعير من كرشه ليقرضه بأسنانه في عملية الاجترار. والقولة مثل يضرب لكل أمر كان مقدورا عليه فحيل دونه وأول من قاله عبيد بن الأبرص.

(43) الورع : الجبان، الضعيف الذي لا غناء عنده.

(44) كذا في الأصل مضطلع بمعنى عالم بالأمر، الورقة : 81.

(45) لم يغن : لم يصب غنى.

(46) ركضت : بضم الراء وكسر الكاف إذا حركها صاحبها وضربها برجليه لتسرع في العدو.

وَكُسِفَتِ ٱلشَّمْسُ نُورَهَا أَوْ كَمُلَ وَتَمَّ، أَنْ يَنْسُبَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَحْيَائِهِ أَوْ أَمْوَاتِهِ، فَإِنَّمَا ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ لاَ يَكْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ[47].

لَهْفِي شُدِهْتُ[48] بِأَمْرِ ٱلنَّاسِ عَنْ نَفْسِي، وَذَكَرْتُ رَمْسَ[49] غَيْرِي وَنَسِيتُ رَمْسِي، يَا يَوْمِي هَلْ مِنْ حِيلَةٍ فِي رَدِّ أَمْسِي، أَيُغْنِي أَنْ أُفْنِيَ بِٱلْعَضِّ مِنْ نَدَمٍ خَمْسِي[50]، قَدْ أَصْبَحْتُ فَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُمْسِي، وَهَا أَنَا حَتَّى ٱلسَّاعَةِ مَشْدُوهٌ بِٱلْمُحَالِ. وَٱللَّهِ لاَبُدَّ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمُغْتَرُّ بِٱلإِقَامَةِ مِنَ ٱلتَّرْحَالِ، فَمَا أَعْدَدْتَ لِهَذِهِ ٱلْحَالِ، أَتَقُولُ أَدَّيْتُ مِنْ صَلاَتِي ٱلْفَرْضَ فَهَلْ أَنْتَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ قَبُولِ صَلاَتِكَ، أَمْ تَقُولُ زَكَّيْتُ ٱلْعَيْنَ[51] وَٱلْعَرْضَ[52] فَهَلْ حَصَلَ لَكَ ٱلْيَقِينُ بِضَمِّ ذَلِكَ إِلَى دِيوَانِ حَسَنَاتِكَ أَمْ تَقُولُ صُمْتُ شَهْرَ ٱلصَّبْرِ مِرَاراً، فَمَنْ أَنْبَأَكَ أَنَّ ٱللَّهَ رَضِيَ مِنْكَ فِي ذَلِكَ إِعْلاَناً وَإِسْرَاراً، أَمْ تَقُولُ حَجَجْتُ ٱلْبَيْتَ ٱلْعَتِيقَ ٱلْبَرَّ فَهَلِ اتَّخَذْتَ عِنْدَ ٱللَّهِ عَهْداً أَنَّ حَجَّكَ قَدْ بُرَّ، فَلَوْ عَلِمْتَ أَنْ قَدْ وَقَعَ مِنْكَ بِٱلْحَجِّ إِجْزَاءٌ[53] لآنَسَكَ أَنَّ ٱلْحَجَّ ٱلْمَبْرُورَ لَيْسَ لَهُ غَيْرُ ٱلْجَنَّةِ جَزَاءٌ، ثُلِجَ[54] فُؤَادُكَ أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ وَٱلْمَثْلُوجُ فِي قَيْدِ ٱلْحَيْرَةِ يَحْجُلُ، فَٱلْقَنْ عَنِّي أُسَلِّكَ بِأَنَّ وَسِيلَةَ ٱلإِيمَانِ لاَ تَضِيعُ عِنْدَ ٱلرَّحْمَانِ وَأَنَّ ٱلْفَوْزَ لِمَنْ مَاتَ عَلَيْهَا تَحْتَ أَكْرَمِ ذِمَّةٍ وَأَبَرِّ ضَمَانٍ، فَهَلْ ثَلِجَ[55] صَدْرُكَ بِهَذَا ٱلْخَبَرِ، وَقَوَّى مِنْكَ وَهْنَ ٱلْمُصْطَبَرِ، وَمَا نَفِسْتُ[56] عَلَيْكَ

---

(47) الحديث انظر صحيح مسلم : 27/3.

(48) شدهت : شغلت.

(49) رمس : قبر.

(50) خمسي : أصابع يدي الخمسة.

(51) العين : الذهب.

(52) العرض : المتاع.

(53) إجزاء : إغناء.

(54) ثلج : بضم الثاء إذا أصاب الفؤاد بلادة ورجل مثلوج رجل بليد.

(55) ثلج : بفتح الثاء : سُرَّ.

(56) نفست : بخلت عليك به لنفاسته.

بِهَذَا ٱلْخَبَرِ ٱلْيَقِينِ وَلاَ كُنْتُ لأَنْفَسَ بِهِ وَلَوْ أَنِّي فِي حَالِ ٱلتَّلْقِينِ، فَإِنْ رَضِيتَ فِي تَمَكُّنِ ٱلثِّقَةِ بِهِ قَلْبَكَ ٱلْمُرْتَبِكَ، وَإِلاَّ فَأَخْشَى أَنْ تَكُونَ قَدِ ٱنْقَطِعَ[57] بِكَ، فَارْجِعْ إِلَى ٱللَّهِ وَلَوْ بِجُرَيْعَةِ ذَقَنِكَ[58] وَتُبْ إِلَيْهِ مِنْ ظُنُونِكَ ٱلسَّيِّئَةِ وَظِنَنِكَ[59]، فَإِنَّهُ يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ[60]، وَيَعْفُو عَنِ ٱلْكَبَائِرِ مِمَّنْ لَمْ يَحْتَقِرِ ٱلصَّغَائِرَ وَيَسْتَصْغِرْ. لِتُغْنَ بِحَاجَتِكَ مِنِ ٱسْتِرْحَامِهِ، وَلْتُوضَعْ فِي تِجَارَتِكَ إِنْ عَاقَتْكَ عَنْهُ ٱلْمُمَاكَسَةُ[61] فِي غُثَاءِ ٱلْمَالِ وَحُطَامِهِ، فَإِنْ أَنَسْتَ رَوْحاً مِنْ رِضْوَانِهِ وَأَنِسْتَ بِمَأْمُولِ عَطْفِهِ وَإِحْسَانِهِ فَلْيُفْرِخِ ٱلْوَجَلُ، وَلْتُزْهَ عَلَيْنَا بِحَقِّكَ يَا رَجُلُ، بَلَّغَكَ ٱللَّهُ ذَلِكَ ٱلْمَبْلَغَ، وَسَوَّغَكَ مِنْ رَحْمَتِهِ مَا تُحِبُّ أَنْ تَتَسَوَّغَ، وَجَعَلَنَا وَإِيَّاكَ مِمَّنْ أَحْسَنَ بِهِ ٱلظَّنَّ، وَاعْتَقَدَ رَجَاءَهُ ٱلْوِقَايَةَ مِنْ عَذَابِهِ وَٱلْمِجَنَّ، وَحَشَرَنَا أَجْمَعِينَ فِي زُمْرَةِ أَوْلِيَائِهِ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿ٱلَّذِينَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[62].

---

(57) انقطع بالرجل : إذا فني زاده وراحلته.

(58) بجريعة ذقنك : قرب الموت منك كقرب الجريعة من الذقن وهو من أمثال العرب يضرب لمن أفلت بعدما أشرف على الهلاك.

(59) الظنن : جمع ظنة وهي التهمة.

(60) يغرغر : يتردد.

(61) المماكسة : انتقاص الثمن واستحطاطه والمنابذة بين المتبايعين.

(62) الآية 262 من سورة البقرة.
وتكررت هذه الآية كثيرا في سور القرآن مثل الآية 48 من سورة الأنعام.

5 ـــ بَابُ فَعِلْتُ وَفَعَلْتُ بِاخْتِلاَفِ ٱلْمَعْنَى

أَيُّهَا ٱلتَّائِهُ فِي بَيْدَاءِ ٱلْغَفَلاَتِ، هَلْ فَقِهْتَ عَنِ ٱلأَيَّامِ أَحَادِيثَهَا ٱلْمُخْتَلِفَاتِ، فَسِهَامُهَا إِلَيْكَ مُفَوَّقَةٌ[1]، وَمُخْتَلِفَاتُهَا عَلَى إِزْعَاجِكَ مُتَّفِقَةٌ، فَأَرْعِهَا سَمْعاً وَاعِياً، وَوَكِّلْ بِهَا طَرْفاً مُرَاعِياً، فَقَدْ أَطَالَتْ لَكَ وَأَوْجَزَتْ وَأَبَانَتْ عَلَيْكَ وَٱلْغَزَتْ، وَأَرَاكَ بِمَعْزِلٍ عَنِ ٱلْفَهْمِ، وَبِمَنْزِلٍ لاَ يُخْطِئُكَ فِيهِ صَائِبُ ٱلسَّهْمِ، غَرَّكَ أَنْ مَرِضْتَ فَنَقَهْتَ[2]، فَهَلاَّ فِي أَحْكَامِ ٱلأَيَّامِ [تَفَقَّهْتَ][3] حَتَّى تَعْلَمَ إِنْ كُنْتَ تَفْقَهُ أَنَّكَ إِلَى أَمَدٍ تَنْقَهُ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَيْكَ يَوْمٌ لاَ تُعَبِّرُ عَنْهُ فِي غَدِهِ بِأَمْسِ، لَنْ تَرَى بَعْدَهُ أَبَداً مُحَيَّا ٱلشَّمْسِ. قَرِرْتَ بِعَاجِلِ عِيشَتِكَ عَيْناً، وَأَمِنْتَ أَنَّ ٱلْمَنَايَا تَقْتَضِيكَ دَيْناً، لاَ تَجِدُ حَيْثاً[4] يُجِيرُكَ مِنْهُ وَلاَ أَيْناً[5]، فَحَيْثُ قَرَرْتَ[6] أَدْرَكَتْكَ، وَكَيْفَمَا دُرْتَ أَهْلَكَتْكَ، فَأَنَّى تَقَرُّ[7] عَلَى هَذَا عَيْنُ لَبِيبٍ، أَوْ يَقِرُّ ٱلْمَرْءُ فِي مَنْزِلٍ إِلَيْهِ حَبِيبٍ.

يَا عَجَباً لِلإِنْسَانِ قَنِعَ مِنْ دُنْيَاهُ بِٱلْهَذَيَانِ، وَإِنَّ ٱلْقَنَاعَةَ بِٱلزُّورِ لآيَةُ ٱلْعَقْلِ

---

(1) مفوقة : مصوبة ومسددة.

(2) نقهت : شفيت من الداء.

(3) تصحيح من الهامش، الورقة : 82.

(4) حيثا : مكانا.

(5) الأين : الحين. آن بمعنى حان.

(6) قررت : سكنت.

(7) تقرعينا : ذهب سهرها ونامت سرورا.

ٱلْمَنْزُورِ[8]، وَلَيْتَهُ بِبُلْغَةِ ٱلْعَيْشِ فِيهَا يَقْنَعُ[9]، وَلَكِنْ يُعْجِبُهُ ٱلتَّكَاثُرُ فَيَقْنَعُ[10]، فَبُعْداً لَهُ مِنْ قَانِعٍ[11] مُعْتَرٍّ[12] قَنَعَ غَيْرَ مُضْطَرٍّ فَتَعَرَّضَ بِالْقُنُوعِ فِي دُنْيَاهُ لِلْمَلاَمَةِ، وَأَتَى وَٱلْمَسْأَلَةُ فِي وَجْهِهِ خُدُوشٌ أَوْ خُمُوشٌ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ.

لَبِسْتُ ثَوْبَ ٱلنَّصِيحَةِ زَمَاناً، وَتَعَرَّفْتُ مِنَ ٱلنَّوَائِبِ سَالِفَ عُمْرِي أَمَاناً، ثُمَّ نَضَّتِ[13] ٱلأَيَّامُ ثَوْبَهَا ٱلْمُعَارَ، وَنَقَضَتِ ٱلنَّوَائِبُ أَمَانَهَا ٱلْمُغَارَ[14]، فَهَا أَنَا لاَ أَلْبَسُ إِلاَّ خَلَقَ ٱلأَمْرَاضِ، وَلاَ أَتَعَرَّفُ مِنَ ٱلْخُطُوبِ إِلاَّ خُلُقَ ٱلإِرْمَاضِ[15]، فَصَبْراً لِلطَّارِىءِ ٱلْمُعْتَاضِ، وَاحْتِسَاباً فِي نَصِيحَةِ ٱلنَّاسِ بِهَذِهِ ٱلأَغْرَاضِ. وَٱللَّهِ لاَ لَبَسْتُ[16] عَلَيْهِمْ أَمْراً، وَلاَ أَنْفَقْتُ فِي غَيْرِ هَذِهِ ٱلْمَقَاصِدِ عُمْراً، مَا عُذْرِي يَوْمَ ٱلْفَقْرِ وَٱلإِفْلاَسِ فِي أَنْ أَلْبِسَ ٱلأَمْرَ عَلَى ٱلنَّاسِ، وَهُنَاكَ ٱلْفَضِيحَةُ ٱلَّتِي يَرْتَفِعُ مَعَهَا حِجَابُ ٱلإِلْبَاسِ، «وَٱلدِّينُ ٱلنَّصِيحَةُ»[17]. فَاقْبِسْهَا مُبْتَدِئاً لاَ تَشْتَرِطْ مُقَدِّمَاتِ ٱلإِقْتِبَاسِ. إِذَا أَفَدْتُ ٱلْخَيْرَ قَبْلَ أَنْ أُسْأَلَ فَكَأَنَّمَا لَسِبْتُ[18] ٱلْعَسَلَ، لاَ وَٱللَّهِ بَلْ أَنْ أَسْرُدَ ٱلنَّصَائِحَ هَذّاً[19] أَشْهَى إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْسَبَهُ مُلْتَذّاً، وَهَلْ تَعْدِلُ حَلاَوَتُهُ فِي ٱللَّهَاةِ أَنْ أُجَلِّيَ عَنْ مُسْلِمٍ شُبْهَةً مِنَ ٱلشُّبُهَاتِ أَوْ أَكُونَ لَهُ مِنْ أَسْبَابِ ٱلْخَلاَصِ وَٱلنَّجَاةِ وَذَرَائِعِ ٱلتَّقْرِيبِ إِلَى آمَالِهِ ٱلْمُرْتَجَاةِ، وَأَيْنَ كَسْبُ ٱلشُّهْدِ مِنْ لَذَّةِ بَذْلِ ٱلْجُهْدِ فِي إِفَادَةِ دَقِيقِ ٱلْعِلْمِ وَإِبَانَةِ طَرِيقِ ٱلزُّهْدِ، وَإِنَّهُ لأَقْرَبُ لَوْ

---

(8) المنزور : القليل.

(9) قنع يقنع : بفتح القاف وكسر النون رضي قناعة، والمصدر منه قناعة.

(10) قنع يقنع : بفتح القاف والنون بمعنى سأل عطاءا والمصدر منه قنوع.

(11) قانع : سائل. الذي يسأل عطاءا.

(12) معتر : الذي يتعرض ولا يسأل. وفي التنزيل : ﴿وأطعموا القانع والمعتر﴾ الآية..

(13) نضت : خلعت، أزالت.

(14) المغار : الشديد الأسر كأنه فتل فتلا.

(15) الإرماض : كل ما أوجع.

(16) لبست من اللبس والغموض، مضارعه ألبس بكسر الباء، والمصدر الإلباس.

(17) حديث نبوي، انظر صحيح مسلم : 53/1.

(18) لسبت : بفتح اللام وكسر السين : لعقت.

(19) هذا : سرعة القراءة والسرد.

لَسَبَتْنِي[20] ٱلْعَقْرَبُ أَنْ يُذْهِبَ أَلَمَ لَسْبِهَا عَنِّي سَمَاحَتِي لِلْمُسْتَفِيدِ بِمَا يَطْلُبُ مِنِّي، وَفَضْلُ ٱللَّهِ كَفِيلٌ بِدَفْعِهَا فَلاَ تَلْسِبُ، وَمُنِيلُهَا مِنْ عَوَائِدِ إِحْسَانِهِ فَوْقَ ٱلَّذِي نَحْتَسِبُ.

أَسِيتُ[21] وَكَيْفَ لاَ آسَى وَقَدْ وُكِّلَ بِي مِنَ ٱلْفَنَاءِ رَقِيبٌ لاَ يَنْسَى إِذَا نَسِيتُ وَلاَ يَتَنَاسَى، وَعَسَى أَنْ يَنْفَعَ ٱلأَسَى، وَتُوقِظَ هَذَا ٱلْقَلْبَ ٱلنَّائِمَ ٱلأَمْثَالُ وَٱلأُسَى[22]، وَإِنَّ فِي سُوَيْدَائِهِ مِنْ هَذِهِ ٱلأَحْوَالِ لَجُرْحاً طَالَ مَا أَسَوْتُهُ[23] حَتَّى يَئِسْتُ فِيهِ مِنَ ٱلانْدِمَالِ، وَمَا نَفْعُ ٱلأَسْوِ فِي جُرْحٍ تَمُدُّهُ ٱلأَيَّامُ بِمَوَادِّ ٱلآلاَمِ وَٱلآمَالِ. مَا حَلاَ طَعْمُ ٱلأَرْيِ[24] فِي فَمِي مُنْذُ هَيَّجَ فُقْدَانُ ٱلأَحِبَّةِ أَلَمِي، وَلاَ حَلِيَ بِعَيْنِي مَنْظَرٌ مُنْذُ لَمْ يَسْرَحْ لِي فِيهِمْ نَظَرٌ، وَقَدْ عَمِرْتُ[25] زَمَاناً يَحْلُو لِي بِهِمُ ٱلصَّابُ[26] [وَتَنْجَلِي][27] عَنِّي بِقُرْبِهِمُ ٱلأَوْصَابُ[28]، وَيَحْلَى[29] بِعَيْنِي كُلُّ مَا تَرَاهُ وَيَعْتَادُ جَفْنِي وِفْقَ مُرَادِهِ كَرَاهُ، فَٱبْكِ مَعِي لِلْقَلْبِ وَٱلْعَيْنِ وَقَدْ فَقَدَا ٱلْحَلاَوَتَيْنِ[30]، فَبِٱلرَّغْمِ عَمَرْتُ[31] بَعْدَهُمُ ٱلدِّيَارَ وَمَا يَعْرِفُ ٱلْمَنْزِلُ إِذَا عَمِرَ ٱلضَّرُورَةَ وَلاَ ٱلإِخْتِيَارَ، وَلاَ اعْتِدَادَ بِتِلْكَ ٱلْعِمَارَةِ بَعْدَهُمْ وَلاَ اعْتِبَارَ. مَا تَرَاهَا عَيْنِي إِلاَّ صِفْراً، وَلاَ تَعْتَدُّهَا نَفْسِي إِلاَّ قَفْراً :

---

(20) لسبتني العقرب : لذغتني.

(21) أسيت : خزنت، مضارعه آسى، والمصدر منه أسًى.

(22) الأُسَى : جمع أسوة.

(23) أسوته : أصلحته، مضارعه آسوه، والمصدر أَسْواً.

(24) الأري : العسل.

(25) عَمِرت قرنا : بفتح العين وكسر الميم طال عمري زمانا.

(26) الصاب : شجر مر.

(27) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 82.

(28) الأوصاب : جمع وصب وهو الألم والوجع.

(29) يحلى بعيني : يحسن في عيني.

(30) الحلاوتين : حلاوة النظر وحلاوة القلب.

(31) عمرت : سكنت وأقمت، واللازم منه عمر بكسر الميم، عمر الرجل منزله، وعمر المنزل.

بَانُوا فَمَاتَتْ أَسَفاً بَعْدَهُمْ   وَإِنَّمَا ٱلنَّاسُ نُفُوسُ ٱلدِّيَارْ

[السريع]

بَغَتَتْنِي فِيهِمُ ٱلأَيَّامُ فَمَا نَذَرْتُ[32]، وَنَذَرْتُ[33] بَعْدَهُمُ ٱلنُّذُورَ لاَ سَلَوْتُ عَنْهُمْ أَبداً فَوَفَى لِي ٱلْقَلْبُ بِمَا نَذَرْتُ، وَمَا كَانَ يُغْنِينِي أَنْ أَنْذَرَ وَلاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَحْذَرَ، وَلَعَلّي فِيمَا أَنْذِرُ أَلاَّ أَحْتَاجَ مَعَ ٱلْوَفَاءِ بِهِ أَنْ أَكُونَ بَعْدُ أَعْتَذِرُ، وَٱلْحُرُّ يَفِي بِمَا يَنْذُرُ، فَانْظُرْ مَعِي كَمَا أَنْظُرُ، يَا لِعَيْنٍ سَخِنَتْ[34] بِمَا جَنَى ٱلْبُعْدُ، هَلْ يَدْنُو ٱلْبَعِيدُ فَلاَ تَسْخَنُ بَعْدُ. تَكَدَّرَتْ لِي بَعْدَهُمْ صَافِيَاتُ ٱلْمَوَارِدِ، وَسَخَنَ ٱلْمَاءُ لِبَيْنِهِمْ فَلاَ عَهْدَ لِي بِٱلْمَاءِ ٱلْبَارِدِ، فَكَيْفَ سَخُنَ وَثَخُنَ[35] وَعَهْدِي بِهِ لاَ يَثْخُنُ حِينَ يَسْخُنُ وَجِنَايَاتُ ٱلْبَيْنِ فَوْقَ مَا أَصِفُ، فَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَشْتَفِي مِنْهُ وَأَنْتَصِفُ :

لَوْ وَجَدْنَا إِلَى ٱلْفِرَاقِ سَبِيلاَ   لأَذَقْنَا ٱلْفِرَاقَ طَعْمَ ٱلْفِرَاقِ[36]

[الخفيف]

سَكَّنَتِ ٱلأَيَّامُ ٱلْمخْرَجَ[37]، وَأَعْوَصَتْ عَلَى ٱلْمُنْتَشِبِ[38] ٱلْمخْرَجَ، وَبَثَّتْ نَوَائِبَهَا يَمْنَةً وَيَسْرَةً فَلاَ مَحِيدَ وَلاَ مُعَرَّجَ، فَبَيْنَا ٱلرَّجُلُ يَمْشِي مُسْتَقِيماً عَرِجَ[39] وَلَرُبَّمَا أَصَابَهُ شَيْءٌ فَعَرَجَ[40]، يَعْرَجُ[41] ٱلرَّجُلُ فَلاَ يَدْرِي لِمَ، وَيَعْرُجُ إِذَا أَصَابَهُ شَيْءٌ فَأَلِمَ، وَنَسْأَلُ ٱللَّهَ أَنْ يَقِيَ وَيُسَلِّمَ.

---

(32) نذرت : علمت، مضارعه أنذر بفتح الذال.

(33) نذرت : اتخذت نذرا، مضارعه أنذر بكسر الذال وأنذر بضمها.

(34) سخنت : بكسر الخاء : حميت من الحزن والبكاء، ومضارعه تسخن بفتح الخاء.

(35) ثخن : كثف وغلظ وصلب.

(36) لم أهتد لقائله.

(37) الحرج : غير واضحة في الأصل، الورقة : 83، ومعناها : الضيق.

(38) المنتشب : الذي يقع فيما لا مخلص منه.

(39) عَرِجَ : بكسر الراء، طلع وصعد الأدرجة، مضارعه يَعْرُجُ بضم الراء وكسرها.

(40) عَرَجَ : بفتح الراء : تمايل في مشيته إذا غمز من شيء أصابه.

(41) يَعْرَجُ : يُصَابُ بِٱلْعَرَجِ.

أَمِرَ[42] ٱلْقَوْمُ ثُمَّ نَقَصُوا، وَأَمَرَ[43] عَلَيْهِمْ فُلاَنٌ فَأَحْجَمُوا بَعْدَ ٱلإِقْدَامِ يَزِيدُ ٱلْقَوْمُ وَيَنْقُصُونَ، وَأَمِيرٌ يَبْذُلُ جُنْدَهُ وَآخَرُ يَصُونُ، فَبِحَسَبِ ذَلِكَ يَتَقَدَّمُونَ وَيَنْكِصُونَ.

إِذَا مَلَلْتَ[44] ٱلْخُبْزَ فِي ٱلنَّارِ، فَاذْكُرْ مَآلَ ٱلْعُصَاةِ ٱلْمُعَذَّبِينَ وَٱلْكُفَّارِ، وَتَذَكَّرْ إِذْ تَمُلُّهُ وَسْطَ ٱلْمُضْطَرَمِ أَنَّ [نَارَكُمْ هَذِهِ ٱلَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ][45]. مَلَلْتُ[46] مِنْ صُحْبَةِ ٱلنَّاسِ مَا أَمَلُّ إِلاَّ لِمَا لَحِقَهُمْ مِنَ ٱلتَّبْدِيلِ وَٱلإِنْتِكَاسِ، وَأَنْكَرَتْهُمْ نَفْسِي حَتَّى لأَخْشَى عَلَيْهَا مِنْ فَرْطِ ٱلنَّكِيرِ مِثْلَ ٱلَّذِي يَعْرِضُ لِمَنْ أَسِنَ[47] مِنْ رِيحِ ٱلْبِئْرِ، إِلاَّ أَنَّ هَذَا يَأْسَنُ لأَمْرٍ خَارِجٍ وَأَنَا يَلْحَقُنِي ٱلأَسَنُ لأَمْرٍ بَيْنَ ٱلضُّلُوعِ مَارِجٍ[48]، فَهَلْ لِهَذَا ٱلْخَطْبِ ٱلْمُبْهَمِ مِنْ فَارِجٍ، بَلْ يَفْرُجُهُ ٱللَّهُ إِذَا أَرَادَ وَيَأْتِي مِنَ ٱلْغَيْثِ إِذَا أَسَنَ[49] ٱلْمَاءُ وَأَجْدَبَتِ ٱلأَرْجَاءُ بِمَا يُخْسِبُ ٱلْمَزَادَ وَيُخْصِبُ ٱلْمَرَادَ. ٱلْمَاءُ بِطُولِ ٱلْحَبْسِ يَأْسِنُ، وَٱلْكَرِيمُ سُبْحَانَهُ يُحْسِنُ، وَرُبَّ مَاءٍ يَأْسُنُ فَلاَ تَصْلُحُ ٱلطَّهَارَةُ بِهِ وَلاَ تَحْسُنُ. وَإِذَا وَجَدْتَ ٱلْمَاءَ ٱلْغَمْرَ فَعُمْتَ[50] فِيهِ فَٱعْلَمْ أَنَّ مُبَاحاً لَكَ أَنْ تَعُومَ لِتَبْتَرِدَ كَمَا أُبِيحَ لَكَ أَنْ تَحُومَ لِتَرِدَ وَلَيْسَ مِنَ ٱلْحَرَجِ فِي ٱلْعَوْمِ إِلاَّ مَا يَكُونُ فِي ٱلأَكْلِ وَٱلنَّوْمِ، فَإِنْ عُجْتَ[51] إِلَيْهِ عَنْ طَرِيقِكَ مُنْتَبِذاً مِنْ فَرِيقِكَ فَثِقْ أَنَّكَ حِينَ تَعُوجُ لَمْ تَأْتِ شَيْئاً يَلْحَقُ فِيهِ ٱلتَّحْرِيجُ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يُصَادِفُ عَارِضاً فِي ٱلْبَدَنِ يَهِيجُ فَإِذَا كَانَ

---

(42) أمر القوم : كثروا.

(43) أمر : تولى الإمارة عليهم.

(44) ملت الشيء في النار : دفنته في الملة، وهو الجمر والرماد الحار، مضارعه أمل بفتح الهمزة وضم الميم، والمصدر منه ملا.

(45) حديث نبوي، انظر صحيح مسلم : 149/8.

(46) مللت : سئمت وضجرت، مضارعه أمل بفتح الهمزة والميم والمصدر منه ملالة وملالا.

(47) أسن من ريح البئر يأسن أسنا : بمعنى غشي عليه.

(48) مارج : ملتبس ومختلط.

(49) أسن الماء يأسن أسنا وأسونا : إذا تغير.

(50) عمت : من العوم والسباحة.

(51) عجت إليه : ملت إليه.

ذَلِكَ فَانْتَبِهْ، أَنْ رُبَّ دَوَاءٍ شَرِبْتَهُ فَمَا عِجْتَ[52] بِهِ، وَرُبَّمَا ظَفِرْتَ مِنْ [تَقَمُّسِكَ][53] بِٱلشِّفَاءِ، وَوَجَدْتَ مِصْدَاقَ قَوْلِ خَاتِمِ ٱلأَنْبِيَاءِ، [إِنَّ ٱلْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَٱبْرُدُوهَا عَنْكُمْ بِٱلْمَاءِ][54]. عِمْتَ[55] إِلَى ٱللَّبَنِ وَإِنَّمَا تَعَامُ لأَنْ أَجْدَبَ عَلَيْكَ ٱلْعَامُ، وَلاَ يَيْأَسُ ٱلْمِسْكِينُ حِينَ يَعِيمُ، إِنَّ ٱللَّهَ بِإِرْوَاءِ عَيْمَتِهِ زَعِيمٌ، فَيَا مَعْشَرَ ٱلْمُجْدِبِينَ وَالُوا ضَرَاعَةً إِلَى ٱللَّهِ وَجُؤَاراً[56] ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً، يُرْسِلُ ٱلسَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالَ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[57].

---

(52) عجت به : انتفعت به.

(53) غير واضحة في الأصل، الورقة : 83.

(54) حديث نبوي، انظر صحيح مسلم : 23/7.

(55) عمت : اشتهيت اللبن، والمضارع منه أعيم وأعام، والمصدر عيمة وعيوما.

(56) جؤارا : ارتفاع الصوت في تضرع واستغاثة.

(57) الآيات : 10-11-12 من سورة نوح.

6 ـــ بَابُ فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ بِاخْتِلاَفِ ٱلْمَعْنَى

إِذَا شَرَقَتْ شَمْسُ ٱلنَّهَارِ مِنْ مَطْلَعِهَا ٱلْمَعْهُودِ، فَٱلشُّكْرُ لِلصَّمَدِ ٱلْمَعْبُودِ، وَإِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى ٱلآفَاقِ، فَبُشْرَى لأَهْلِ ٱلإِرْتِفَاقِ[1]، لِمَا قَرَنَ ٱللَّهُ بِهَا مِنْ مَصْلَحَةِ مُعْظَمِ ٱلأَرْزَاقِ، رَبُّنَا ٱلْكَرِيمُ سُبْحَانَهُ يُمْهِلُنَا بِطُلُوعِ ٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ، وَيَنْشُرُ نُورَهَا فِي ٱلآفَاقِ مَعُونَةً لِلْمُرْتَزِقِ، وَنَحْنُ نَنْهَلُ عَنِ ٱلشُّكْرِ، وَنَجْهَلُ عَاقِبَةَ ٱلشُّكْرِ، وَلَوِ ائْتَمَرْنَا لَهُ حَقَّ ٱلإِئْتِمَارِ، وَشَكَرْنَا إِنْعَامَهُ ٱلْمُرْبِيَ عَلَى عَدَدِ ٱلرِّمَالِ وَٱلْقِطَارِ[2]، لأَمْطَرَنَا بِٱللَّيْلِ وَأَطْلَعَ عَلَيْنَا ٱلشَّمْسَ بِٱلنَّهَارِ، وَلاَبُدَّ لِهَذِهِ ٱلْمُشْرِقَةِ[3] ٱلْمُشَرِّقَةِ أَنْ يَجُورَ يَوْماً بِهَا فَتُصْبِحَ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ حِينَ يَأْذَنُ ٱللَّهُ أَنْ يَنْصَرِمَ مِنْ هَذِهِ ٱلْفَانِيَةِ ٱلْحَبْلُ، وَلاَ يَنْفَعُ ٱلإِيمَانُ نَفْساً لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، فَنَسْأَلُ[4] ٱللَّهَ إِيمَاناً دَائِماً، وَعَمَلاً عَلَى طَاعَتِهِ قَائِماً. كَمْ مَشَيْتُ إِلَى ٱلْمَعَاصِي حَتَّى أَعْيَيْتُ وَظَلِلْتُ[5] مُعْيِياً بِمُمَارَسَتِهَا فَمَا ٱسْتَحْيَيْتُ، وَكَمْ عَيِيتُ[6] بِٱلأَمْرِ رُكُوبُهُ سَدَادٌ وَمَا أَنَا عَيِيٌّ وَ[لَكِنْ][7] ضُرِبَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلتَّوْفِيقِ أَسْدَادٌ[8]. وَكَمْ

---

(1) الإرتفاق : يقصد إرفاق الضعفاء وسد خلتهم.

(2) القطار : جمع قطر وهو المطر.

(3) تصويب من الطرة، الورقة : 84.

(4) في الأصل : فنسل، الورقة : 84.

(5) أعييت : تعبت.

(6) عييت بالأمر : حرت فيه، لم أعرف وجهه.

(7) تصويب من طرة الكتاب، الورقة : 84.

(8) أسداد : جمع مفرده سد من الفعل سدت علي الطريق بمعنى عميت علي مذاهبي.

حَبَسْتُ[9] مُتَحَفِّزاً عَنْ حَاجَتِهِ فَلَمْ يَنْتَفِعْ مَعِي بِلَجَاجَتِهِ، وَآخَرَ حَبَسْتُهُ[10] فِي ٱلْحَبْسِ فَظَلَّ مَحْبُوساً يُذْعَرُ مِنَ ٱلنَّبْسِ[11]، وَلَوْ أَحْبَسْتُ[12] فَرَساً فِي سَبِيلِ ٱلْجِهَادِ، لَكَانَ أَوْلَى بِحُسْنِ ٱلإِسْتِعْدَادِ، وَكَمْ فَرَسٍ مُحْبَسٍ فِي ذَلِكَ، يَأْمَنُ مُمْتَطِيهِ ٱلْمَهَالِكَ، وَتَعُودُ عَوَائِدُ ٱلذُّخْرِ ٱلنَّفِيسِ عَلَى ٱلْمُحْبِسِ مِنْ ذَلِكَ ٱلْحَبِيسِ.

إِذَا أَذِنْتَ لِعَبْدِكَ فِي ٱلتَّجْرِ فَقَدِ ارْتَفَعَ عَنْهُ فِيمَا هُوَ مَأْذُونٌ لَهُ فِيهِ حُكْمُ ٱلْحَجْرِ. وَإِذَا آذَنْتُكَ بِٱلصَّلاَةِ فَاغْتَنِمْ بِسُرْعَةِ ٱلإِجَابَةِ جَزِيلَ ٱلأَجْرِ، إِنَّمَا أَنْتَ مُؤْذَنٌ بِٱلسَّعَادَةِ فَكُنْ فِي [ٱلْبِدَارِ][13] حَسَنَ ٱلْعَادَةِ، وَهَلْ أَهْدَيْتُ لَكَ بِهَذَا ٱلإِيذَانِ إِلاَّ هَدِيَّةً لاَ تُعْدَلُ بِأَنْفَسِ ٱلأَثْمَانِ، وَخَيْرُ ٱلإِهْدَاءِ مَا حَمَلَكَ فِي حُقُوقِ ٱللَّهِ عَلَى ٱلأَدَاءِ. إِذَا أَهْدَيْتَ هَدْياً إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْحَرَامِ، فَلاَ يَلْزَمُكَ ٱلتَّلَبُّسُ بِٱلإِحْرَامِ وَلَيْسَ بِتَوْجِيهِ ٱلْهَدْيِ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُحْرِمَ وَأَنْتَ مُقِيمٌ فِي ٱلنَّدِيِّ نَعَمْ إِذَا أَمَّمْتَ بِهَدْيِكَ ٱلْبَيْتَ لَزِمَكَ ٱلإِحْرَامُ وَإِنْ أَبَيْتَ. وَإِذَا هَدَيْتَ[14] ٱلْعَرُوسَ إِلَى ٱلَّذِي مَلَكَ عِصْمَتَهَا بِٱلْعَقْدِ، وَعَمَرَ ذِمَّتَهَا بِٱلنَّقْدِ فَسَلِ ٱللَّهَ أَنْ يُؤْدِمَ بَيْنَهُمَا أَحْسَنَ ٱلأُدْمِ، وَأَنْ يَقِيَهُمَا مَضَاضَةَ ٱلْفُرْقَةِ وَذِلَّةَ ٱلْعُدْمِ عَلَى أَنَّهُ لاَبُدَّ أَنْ يُعْقِبَ ٱلْهِدَاءَ ٱلْفِرَاقُ، فَإِلاَّ طَلاَقٌ فَكَأْسٌ مِنَ ٱلْحَيَاةِ تُرَاقُ، وَإِذَا شَاءَ رَبُّكَ ٱلْوَاحِدُ وَإِنْ رَغِمَ ٱلْمُثَلِّثُ[15] ٱلْجَاحِدُ فَسَحَ لِلزَّوْجَيْنِ ٱلْمَهَلَ، وَأَصْفَى ٱلْمَنْهَلَ، وَأَسْجَحَ[16] ٱلْمُحَاوَلَةَ وَسَهَّلَ. هَدَيْتَ ٱلطَّرِيقَ ضَالاًّ فَاسْتَوْجَبْتَ ثَوَاباً مُدَّخَراً أَوْ حَالاً، فَلاَ تَكُ لأَجْرِ ٱلْهِدَايَةِ مُتَقَالاً، فَإِنْ هَدَيْتَهُ إِلَى طَرِيقِ ٱلْفَوْزِ ٱلأَعْظَمِ فَاعْتَقِدِ انْبِعَاثَكَ لِهُدَاهُ نِعْمَةً لِلَّهِ عَلَيْكَ مِنْ أَفْضَلِ ٱلنِّعَمِ، وَلأَنْ يَهْدِيَ ٱللَّهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ حُمْرُ ٱلنَّعَمِ.

---

(9) حبست : منعت من التصرف.

(10) حبسته : سجنته.

(11) النبس : أقل الكلام والحركة.

(12) أحبست فرسا : جعلتها محبسة في سبيل الله، وقفتها.

(13) غير واضحة في الأصل، الورقة : 84.

(14) هديت العروس : زففتها إلى زوجها ليلة البناء بها.

(15) المثلث : الساعي بأخيه إلى السلطان. وهنا الساعي بين الزوج وزوجه.

(16) أسجع : سهل ورفق.

إذَا سَفَرَتِ[17] ٱلْجَارِيَةُ وَظَهَرَتْ مَحَاسِنُهَا ٱلْمُتَوَارِيَةُ فَـ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[18] وَيَلْزَمُوا هَذِهِ ٱلسُّنَّةَ فِي أَمْصَارِهِمْ، فَإِنَّ شَيْطَانَ ٱلنَّظَرِ مَرِيدٌ، وَعَذَابَ ٱللَّحْظِ شَدِيدٌ، فَسِرْ سَيْرَ ٱلنَّافِرِ[19] وَلاَ تَمُدَّ عَيْنَيْكَ إِلَى ٱلسَّافِرِ، وَاحْذَرْ عُقُوبَةَ رَبِّكَ فَرُبَّمَا كَانَ ٱلنَّقْدُ عِنْدَ ٱلْحَافِرِ[20]. وَإِذَا سَفَرَ[21] ٱلْمُوَقَّرُ ٱلْكَبِيرُ، فَلاَحَ بِٱلْمَفْرِقِ مِنْهُ ٱلْقَتِيرُ[22]، قَالَ لِسَانُ ٱلتَّذْكِرَةِ وَجَاءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ، وَقَارٌ تَمَّ وَضَيْفٌ أَلَمَّ، فَزِدْنَا ٱللَّهُمَّ وَقَاراً وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يُقْطِعُ ٱلضَّيْفَ إِجْلاَلاً وَإِكْبَاراً، أَسْفَرَ[23] وَجْهُكَ لِمُعَايَنَةِ ٱلْوُجُوهِ ٱلْمُسْفِرَةِ[24] كَأَنَّكَ بُشِّرْتَ بِٱلْمَغْفِرَةِ. يَا هَذَا قَدْ أَسْفَرَ ٱلصُّبْحُ وَبَدَا فِي هَذِهِ ٱلْمَقَاصِدِ ٱلْقُبْحُ، فَأَوْلَى بِكَ لَوْ خَنَسْتَ[25] عَنِ ٱلْمُجُونِ وَاعْتَبَرْتَ مَا يَتَّصِلُ بِحَدِيثِهِ مِنَ ٱلشُّجُونِ وَقَدْ أَخْنَسْتَ[26] حُقُوقَ النَّاسِ زَمَاناً فَلْيَجِدُوا بَعْدُ مِنْكَ إِظْهَاراً لَهَا وَإِعْلاَناً.

أَقْبَسْتُكَ[27] عِلْماً هُوَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ ٱلنُّورَ، وَمَا قَبَسْتُكَ[28] نَاراً يُسْجَرُ بِهَا ٱلتَّنُورُ، فَهَلْ وَعَيْتَ مَا أَفَدْتُكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ٱلصَّعْبِ ٱلسَّهْلِ أَمْ أَوْعَيْتَ[29] أَمْتِعَتَكَ

(17) سفرت الجارية : أظهرت جمالها.

(18) الآية 30 من سورة النور.

(19) النافر : الفَرِقُ من الفَرَقِ بتحريك الراء.

(20) من أمثال العرب يضرب للنقد الحاضر في البيع، ورواه الميداني في مجمع الأمثال : 337/2 «النقد عند الحافرة».

(21) سفر : ظهر.

(22) القتير : الشيب أول ما يظهر.

(23) أسفر : أبيض وأضاء.

(24) المسفرة : المنيرة.

(25) خنست عن المجون : تأخرت عنه وتخليت.

(26) أخنست : سترت.

(27) أقبستك : أفدتك.

(28) قبستك : أعطيتك قبسا من النار.

(29) أوعيت : حفظت.

مُسْتَغْنِياً بِٱلْجَهْلِ، أَلاَ رُبَّمَا أَضَاقَ[30] ذُو ٱلْمَالِ فَأَصْبَحَ بَعْدَ ٱلسَّعَةِ مُضِيقاً وَعُدَّ ذُو ٱلْعِلْمِ أَبَداً مِنَ ٱلْمُثْرِينَ، وَإِنْ لَمْ يَجِدِ ٱلشَّرْبَةَ إِلاَّ مُذِيقاً. وَضَاقَ ٱلشَّيْءُ وَمَا كَانَ ضَيِّقاً، وَعَدِمَ ٱلأَشْيَبُ مِنْ شَبَابِهِ رَيِّقاً.

إِذَا حُكِّمَ ٱلرَّجُلُ فَأَقْسَطَ[31] إِنْتَشَرَ ٱلْخَيْرُ وَانْبَسَطَ فَبُشْرَى ٱلْمُقْسِطِ بِٱلْعَدْلِ ٱلْمُنْبَسِطِ، وَإِذَا حُكِّمَ فَقَسَطَ[32] فَمَا تَطَرَّفَ ٱلْخَيْرَ وَلاَ وَسَطَ، إِنَّ ٱلْمُقْسِطِينَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ ٱلرَّحْمَانِ قَدْ أُحْرِزُوا أَرَباً، وَأَمِنُوا عَطَباً. وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً.

إِذَا اِسْتَجَارَ بِكَ ٱبْنُ سَبِيلٍ فَخَفَرْتَهُ[33] فَأَجْرٌ لِنَفْسِكَ وَفَرْتَهُ، وَذُخْرٌ مِنْ أَمْسِكَ لِغَدِكَ ذَخَرْتَهُ، وَسَتَزْدَادُ اغْتِبَاطاً بِخُفْرَتِكَ إِذَا نَزَلْتَ فِي حُفْرَتِكَ. إِنَّ خَفَارَةَ ٱلْخَائِفِ ٱلْمُضْطَرِّ لَمَعْدُودَةٌ فِي أَزْكَى أَعْمَالِ ٱلْبِرِّ كَمَا أَنَّ إِخْفَارَهُ إِذَا أَخْفَرْتَهُ[34] شَيْءٌ سَخَّمْتَ[35] بِهِ وَجْهَ مُرُوءَتِكَ [وَعَفَّرْتَهُ][36]، فَلاَ تَكُنْ مِنَ ٱلْغَادِرِينَ. خَفِرَتِ[37] ٱلْحَصَانُ[38] فَاسْتَوْجَبَتْ حَمْداً لاَ يَلْحَقُ زِيَادَتَهُ ٱلنُّقْصَانُ، وَٱلْخَفَرُ يَحْفَظُ مَا تَحْفَظُ ٱلْخُرْصَانُ[39] تَخْفَرُ وَٱلْغَنَاءُ يَطِيبُ وَٱلثَّوَابُ يُوفَرُ، وَقَدْ حَضَرَنِي[40] قَوْمٌ فَاسْتَحْسَنُوا هَذَا ٱلْمَأْخَذَ جِدّاً، وَحَضَرَنِي شَيْءٌ فَقُلْتُ: لَهُمْ لَنْ تَجِدُوا مِنْ قَبُولِ هَذَا بُدّاً، جَزَاءً بِمَا أَنْصَفْتُمُ ٱلصَّادِقِينَ، وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْخَلَفِ لِلْمُتَّقِينَ.

---

(30) أضاق : أصيب بضيق في رزقه — أعسر.

(31) أقسط : عدل.

(32) قسط : جار وظلم.

(33) خفرته : أجرته.

(34) أخفرته : نقضت عهده.

(35) سخمت : سودت به وجهك.

(36) غير واضحة في الأصل، الورقة : 85.

(37) خفرت : استحيت.

(38) الحصان : المرأة التي تحصن نفسها.

(39) الخرصان : الدروع.

(40) حضرني قوم : شهدني.

أَحْضَرَ[41] ٱلْغُلاَمُ وَٱلْفَرَسُ، فَحَسُنَ مِنَ ٱلْغُلاَمِ ٱلإِحْضَارُ وَأَبَانَ ٱلْفَرَسُ أَنَّهُ لاَ يُشَقُّ لَهُ غُبَارٌ[42].

كَفَأْتُ[43] إِنَائِي فِي ٱللَّيْلِ ٱلْغَاسِقِ اِمْتِثَالاً لأَمْرِ ذِي ٱلْفَضْلِ ٱلْبَاسِقِ وَأَكْفَأْتُ فِي ٱلشِّعْرِ فَلَمْ يَكُنْ بِٱلْمُتَنَاسِقِ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْكَبَ ٱلْيَوْمَ إِكْفَاءٌ فَمَا عَلَى قُبْحِهِ خَفَاءٌ، وَهَلْ جَنَاهُ إِلاَّ أَعْرَابِيٌّ جَاهِلٌ أَوْ ٱلْمَعِيُّ مُتَسَاهِلٌ، وَٱلشِّعْرُ مِيزَانٌ لاَ يَحْسُنُ فِيهِ إِلاَّ أَنْ تَتَنَاسَبَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ قَوَافِيهِ وَإِقْوَاؤُهُ مُنَفِّرٌ لِلآذَانِ، وَدَاعٍ لإِبْطَاءِ ٱلإِذْنِ عِنْدَ ٱلإِسْتِئْذَانِ.

حَصَرْتُ[44] رَجُلاً فِي دَارِهِ فَعَذَّرْتُهُ[45] مِنْ أَوْطَارِهِ، مَا حَصَرْتُهُ إِلاَّ لِجِنَايَةٍ أَوْجَبَتْ حَصْرَهُ، وَلَوْ كَانَ مَظْلُوماً لَخَشِيتُ أَنْ يَتَوَلَّى ٱللَّهُ نَصْرَهُ. رَبِّ فَلاَ تَجْعَلْنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ. وَإِذَا أُحْصِرَ[46] ٱلْحَاجُّ مَرَضٌ فَمَا عَلَيْهِ مُعْتَرِضٌ، يُقِيمُ حَيْثُ أُحْصِرَ حَتَّى يَأْذَنَ ٱللَّهُ وَيُيَسِّرَ. كَمْ أَدْلَجْتُ[47] فِي ٱلْبَاطِلِ وَادَّلَجْتُ[48]، وَتَقَحَّمْتُ عَلَى ٱلْقَبِيحِ وَتَوَلَّجْتُ[49] [فَمَا][50] أَغْنَى عَنِّي فِي رَيِّقِ ٱللَّيْلِ ٱلإِدْلاَجُ، وَلاَ بُورِكَ لِي فِي آخِرِهِ ٱلإِدِّلاَجُ، وَإِنَّمَا ٱلْغَنَاءُ لِلطَّاعَةِ وَٱلْبَرَكَةِ فِي ٱلإِسْتِقَامَةِ عَلَى أَمْرِ ٱللَّهِ جُهْدَ ٱلإِسْتِطَاعَةِ.

---

(41) أحضر : عدا وتسابق.

(42) في **فصيح ثعلب** المطبوع بتحقيق الدكتور عاطف مدكور، ص 274 زيادة خمسة أسطر لم ترد في **جهد النصيح** ولا في **تحفة المجد الصريح**، ص 236 ولم ترد كذلك في **شرح الفصيح** للهروي ولا في النسخة المطبوعة بألمانيا 1876 في ليبزج كما لم ترد في **التصريح بشرح غريب الفصيح** لأبي العباس التدميري، ص 21.

(43) كفأت إنائي : قلبته.

(44) حصرت الرجل : حبسته.

(45) فعذرته : فمنعته.

(46) أحصر : منعه من السير.

(47) أَدْلَجْتُ : سرت في أول الليل.

(48) إِدَّلَجْتُ : سرت في آخره.

(49) تولجت : دخلت.

(50) في الأصل «فمى» الورقة : 85.

ظَاهَرَتْ عَلَيَّ خُطُوبُ ٱلأَيَّامِ ٱلْكَسَلَ، فَأُعْقَدْتُ(51) [لِاسْتِدْفَاعِهِ](52) ٱلْعَسَلَ لِمَكَانِ ٱلِاسْتِئْنَاسِ بِمَا جَعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ مِنَ ٱلشِّفَاءِ لِلنَّاسِ، فَحَلَّ مُعْقَدُهُ عَنِّي ذَلِكَ ٱلْعَارِضَ، وَأَمِنْتُ فِي عَمَلِي ٱلنَّاقِدَ وَٱلْمُعَارِضَ، فَلاَ تُنْكِرْ أَنْ يَكُونَ ٱلشُّهْدُ ٱلْعَقِيدُ(53) يُنْصِفُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ ٱلأَمْرَاضِ وَيُقَيِّدُ. وَإِذَا عَقَدْتَ ٱلْحَبْلَ فَأَبْرِمْهُ، وَإِذَا عَقَدْتَ ٱلْعَهْدَ فَٱلْتَزِمْهُ، فَإِنَّ كَرَمَ ٱلْعَهْدِ مِنَ ٱلإِيمَانِ، وَأَنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ ٱلْعَبْدُ عَمَلاً أَنْ يَسْلُكَ فِيهِ سَبِيلَ ٱلإِتْقَانِ [كِلاَ](54) ٱلْحَبْلَيْنِ مَعْقُودٌ وَٱلْوَهَنُ فِي ذَلِكَ أَوِ ٱلرَّفْضُ مَنْقُودٌ(55). إِذَا أُصْفَدْتَ(56) مُعْدِماً فَلاَ تَبِتْ عَلَى إِصْفَادِهِ مُتَنَدِّماً، فَإِنَّ إِعْطَاءَكَ ذَا ٱلْخَلَّةِ(57) يَدْفَعُ ٱلْبَلاَءَ وَقَدْ هَاجَ مُحْتَدِمًا، وَلاَ عَلَيْكَ بَعْدُ إِنْ تَبَيَّنْتَ أَنَّ ٱلْمُصْفَدَ لاَ يَسْتَحِقُّ ٱلصَّفَدَ، إِذَا كُنْتَ أُخْلَصْتَ ٱلنِّيَّةَ أَوَّلاً، وَلَمْ تَجْعَلْ فِي عَمَلِكَ سِوَى وَجْهِ ٱللَّهِ مُعَوَّلاَ.

صَفَدْتُ(58) ٱلأَسِيرَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ مَصْفُوداً أَنْ يَسِيرَ، إِنَّمَا هُوَ مَالٌ يُحَاطُ وَقَدْ وَقَعَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ هَذَا ٱلإِحْتِيَاطُ، حَتَّى أُسْهَرَ رَسُولَ ٱللَّهِ أَنِينُ ٱلْعَبَّاسِ(59)، وَعَلِمَ ذَلِكَ فَٱبْتَدَرَ ٱلتَّخْفِيفَ عَنْهُ بَعْضُ ٱلنَّاسِ. أُفْصَحَ(60) ٱلأَعْجَمِيُّ وَفَصُحَ(61)

(51) أعقدت العسل : طبخته حتى خثر.
(52) كلمة مطموسة في الأصل، الورقة : 85.
(53) المعقد والعقيد : صفة للعسل المطبوخ.
(54) في الأصل «كلي» الورقة : 85.
(55) منقود : معاب، من نقد الشيء إذا عابه.
(56) أصفدت : أعطيت مالا.
(57) الخلة : الحاجة.
(58) صفدت الأسير : قيدته وأوثقت يده إلى عنقه.
(59) العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ.
(60) أفصح الأعجمي : إذا تكلم اللغة العربية.
(61) فصح اللحان : صار مغربا وحسنت لغته، واللحن أن تريد قولا وتوري عنه بقول آخر.

ٱللَّحَّانُ، تَصْلُحُ بِالأَلْسِنَةِ إِذَا طَالَ بِهَا ٱلإِمْتِحَانُ[62]. لَمَمْتُ[63] شَعَثَ ٱلْخَيْلِ وَقَدْ يُكْتَفَى فِي لَمِّهِ بِٱلْقَلِيلِ. أَلْمَمْتُ[64] بِهِ فَغَمَّنِي غَمُّهُ فَأَقْبَلْتُ أَلُمُّ أَمْرَهُ وَأَرُمُّهُ[65]، حَمِدْتُ[66] جُهْدِي ٱلْمُحْسِنَ، وَرُبَّ فَضْلٍ يُخْرِسُ ٱللَّسِنَ، وَأَحْمَدْتُهُ[67] عَلَى طُولِ ٱلإِخْتِبَارِ، فَأَرْبَى ٱلْخُبْرُ عَلَى ٱلإِخْبَارِ. إِنْ أَصْحَتِ ٱلسَّمَاءُ فَلاَبُدَّ أَنْ تُغَيِّمَ، لاَ غِنَى لِلْمُصْحِيَةِ أَنْ تُمَارِسَ ٱلتَّغْيِيمَ بَيْنَا ٱلسَّمَاءُ مُصْحِيَةً عَنَّتِ ٱلسُّحُبُ مُنْتَحِيَةً، فَتَغَيَّمَ ٱلْجَوُّ بَعْدَمَا أَصْحَى، وَأَظْلَمَ ٱلنَّهَارُ فَتَغَيَّرَتْ بَشَاشَةُ ٱلضُّحَى، وَوَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ رَحْمَةِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ مَا يُزْهِرُ ٱلأَرْضَ بَعْدَ ٱلإِقْشِعْرَارِ وَيُكَثِّرُ ٱلطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ بَعْدَ أَنْ كَثُرَ فِي ٱلنَّاسِ بَنُو آكِلِ ٱلْمُرَارِ. صَحَا ٱلسَّكْرَانُ مِنْ سُكْرِهِ فَنَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نُكْرِهِ، لَعَلَّهُ إِنْ نَدِمَ وَهُوَ صَاحٍ أَنْ لاَ يُسِيءَ بَعْدُ إِلَى نُصَّاحٍ، وَإِذَا أَقَلْتَ[68] ٱلنَّادِمَ بَيْعَتَهُ [تَرَتَّبَ لَكَ][69] أَجْرُ مَا حَفِظْتَ ضَيْعَتَهُ، فَلْتَدُمْ عَلَى إِقَالَةِ ٱلنَّادِمِينَ، وَإِذَا قِلْتَ[70] فِي ٱلْمَصِيفِ أَحْسَنْتَ إِلَى ٱلْبَدَنِ ٱلنَّحِيفِ، فَإِنَّ ٱلْقَيْلُولَةَ تُنْعِشُ ٱلأَجْسَامَ ٱلنَّحِيلَةَ وَتُخَفِّفُ فِي ٱللَّيْلِ ٱلأَوْرَادَ ٱلثَّقِيلَةَ، وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُصْلِحِينَ.

أَكْنَنْتُ[71] سِرِّي خَوْفَ غَائِلَةِ ٱلإِعْلاَنِ، أَيْنَ ٱلَّذِي يَحْفَظُ ٱلسِّرَّ مِنَ ٱلْخُلاَّنِ، لاَ نُكْرَ وَأَنَا بِهِ أَسْمَعُ أَنَّ ٱلَّذِي يَسْتَوْدَعُهُ أَشْهَرُ لَهُ وَأَفْضَحُ وَإِذَا أَكْنَنْتَ ٱلسِّرَّ

---

(62) يشير إلى استعمال العرب للحن في المواقف المحرجة التي يتعرض لها الشخص. ولأبي الربيع مؤلف في هذا الموضوع سماه : «مجاز فتيا اللحن للاحن الممتحن».

(63) لممت شعثه : إذا أصلحت أمره.

(64) ألممت به : إذا أتيته وزرته.

(65) أرم : أصلح ما أفسد منه.

(66) حمدت : شكرت.

(67) أحمدت : رضيت.

(68) أقلت : نقضت وأبطلت.

(69) مطموسة في الأصل، الورقة : 86.

(70) قلت : نمت وقت القيلولة.

(71) أكننت : أخفيت.

[بَذْءاً](72) وَكَنَنتَ(73) مَنْ غَدَوْتَ لَهُ مِنَ ٱلْعِيَالِ رِدْءاً(74)، فَعَسَى أَنْ تَجِدَ مِنْ سَلاَمَةِ ٱلْمَوَارِدِ وَٱلْمَصَادِرِ، مَا لاَ يُوجَدُ ٱلْيَوْمَ إِلاَّ فِي ٱلنَّادِرِ، دَاءُ ٱلنَّاسِ عَيَاءٌ، لَيْتَ شِرَارَهُمْ أَمْوَاتٌ لاَ أَحْيَاء. إِنْ أَدِنْتَ(75) مِنْهُمْ أَحداً، لَمْ يُقْنِعْهُ أَنْ لاَ تَتَقَاضَاهُ مِنْهُ أَبداً، وَإِنْ كُنْتَ ٱلَّذِي دِنْتَ لَمْ يَرْتَقِبْ بِكَ ٱلَّذِي إِلَيْهِ أَدَّنْتَ مَدَى وَرُبَّمَا ضِفْتَهُ(76) فَتَنَمَّرَ وَأَضَفْتَهُ(77) فَاحْتَقَرَ احْتِفَالَكَ [لَهُ](78) وَاسْتَنْزَرَ، وَلَمْ يَسْتَحْيِ وَقَدْ قَطَعَ لَيْلَهُ خَضْماً(79) وَقَضْماً أَنْ يَقُولَ مَا لَحَمْتُ(80) عِنْدَهُ عَظْمَا، وَإِنْ آنَسَ ٱلتَّبْرِيزَ فِي ٱلشَّرِّ مِنْ إِنْسَانٍ قَالَ لَهُ قَدْ أَلْحَمْتُكَ(81) عِرْضَ فُلاَنٍ، فَإِنَّهُ جَهِلَ مِنِّي ٱلْقَدْرَ وَأَمْلَحَ(82) لِي ٱلْقِدْرَ، فَأَوْغَرَ مِنِّي الصَّدْرَ، وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مَلَحْتُهَا(83). فَمَا حِيلَتِي فِي مَنْ يَدَّعِي ٱلإِفْسَادَ وَقَدْ أَصْلَحْتُهَا وَأَقَلُّ [مَا يَلْقَى](84) مِنْ هَذِهِ ٱلطَّائِفَةِ ٱلَّتِي لاَ تُفْلِحُ، أَنْ تَغِثَّ هَذِهِ ٱلْغَثَاثَةَ فَتَقُولَ إِنَّكَ لاَ تُمْلِحُ ٱلْقِدْرَ لِضِيفَانِكَ وَلاَ تُصْلِحُ فَكَيْفَ بِمَا سِوَى هَذَا مِنَ ٱلأَشْيَاءِ ٱلْقَابِلَةِ لِلإِسْرَافِ وَٱلإِغْيَاءِ(85)، وَإِنَّمَا ٱلزَّمَانُ وَأَهْلُهُ بِئْرٌ فِيهَا حَباً(86) كَثِيرٌ فَمَتَى أَدْلَيْتَ(87) دَلْوَكَ لِتَمْلأَهَا لَمْ تَجِدْ فِيهَا

---

(72) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 86.

(73) كننت : سترت بشيء.

(74) ردءا : عونا.

(75) أدنت : بعت بدين.

(76) ضفته : نزلت به ضيفا.

(77) أضفته : أنزلته عليك ضيفا.

(78) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 86.

(79) خضما : الأكل بأقصى الأضراس.

(80) أخذت ما عليه من حلم.

(81) ألحمتك عرض فلان : أمكنتك من شتمه.

(82) أملح القدر : أفسدها بالملح الوائد.

(83) ملحتها : وضعت فيها قدرها من الملح.

(84) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 86.

(85) الإغياء : التضليل والافساد.

(86) حباً : عطاء.

(87) أدليت : أرسلت دلوك في البئر.

إِذَا دَلَوْتَهَا[88] إِلاَّ حَمأَهَا، وَقَدْ نَفَّضْتُ لَكَ يَا هَذَا مَكَامِنَكَ وَمَسَاحِبَكَ، فَهَلْ أَحْسَسْتَ[89] صَاحِبَكَ، خَسَّهُمُ[90] ٱللَّهُ بِطَاعُونٍ جَارِفٍ وَمَسَّهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ جَبَّارٍ بِهِمْ عَارِفٍ، وَأَجْبَرَهُمْ عَلَى ٱلْكَفِّ عَنِ ٱلْقَبِيحِ فَذَلِكَ أَشَدُّ مَا يُكَلَّفُونَ، وَلاَ جَبَرَ[91] مِنْهُمْ فَقِيراً وَلاَ عَظْماً كَسِيرًا، كِفَاءَ مَا يَهِيمُونَ بِهِ مِنَ ٱلشَّرِّ وَيَكْلَفُونَ، فَاعْجَبْ لِمَنْ لاَ يَكُفُّ عَنِ ٱلإِسْتِظْهَارِ بِٱلرَّذَائِلِ إِلاَّ مُجْبَراً وَمَنْ يُضْطَرُّ فِيهِمْ أُولُو ٱلْفَضَائِلِ إِلَى ٱلْجُوَّارِ فِي أَنْ لاَ يُرَى مِنْهُمْ مَجْبُورًا، مَنْ كَانَ فَقِيراً أَوْ مُكَسَّرًا، وَأَلاَّ يُعْدَمُوا مِنَ ٱلأَيَّامِ وَأَهْلِهَا خُلُقاً عَنِيفًا، مَا كَنَفَ[92] أَهْلُ ٱلْوَبَرِ حَوْلَ ٱلْغَنَمِ كَنِيفًا، فَلاَ أَكْنَفَهُمُ[93] ٱلْكَرِيمُ ٱلَّذِي إِلَى كَنَفِهِ نَأْوِي، وَلَدَيْهِ يَجْتَمِعُ ٱلْخُصُومُ وَإِلَيْهِ تَرْتَفِعُ ٱلدَّعَوَاتُ وَٱلدَّعَاوِي، وَإِنِّي لأَرْجُو مِنْ فَضْلِ ٱللَّهِ أَلاَ يُرِيَ مِنْهُمْ مُكْنَفٌ، وَلاَيَزَالُ لَهُمْ فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ شَنَفٌ[94]، فَقَدْ عَجَمْتُ[95] عُودَهُمْ أَزْمَانَا، فَمَا وَجَدْتُ عِنْدَهُمْ طُولَ مَا أَعْجُمُهُ لِمُسْلِمٍ أَمَانَا، فَلِهَذَا أَعْجَمْتُ[96] فِيهِمْ كِتَابِي هَذَا، وَمَا كُنْتُ لأُوذِيَ إِلاَّ مَنْ أَذَى، فَثِقْ بِمَا تَقِفُ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا ٱلْمُعْجَمِ، فَلَيْسَ بِٱلظَّنِّ ٱلْمُرَجَّمِ، وَلَكِنَّهُ ٱلْيَقِينُ أَبَى ٱلْعِذْرَةَ عَنْهُ ٱلْحَقِينُ[97] فَلاَ تَكَرَّرَ عَلَيْهِمْ بَعْدَهَا سَبْتٌ، وَلاَ نَجَمَ[98] لِبَنِيهِمْ سِنٌّ وَلاَ لِمَوَاشِيهِمْ[99] قَرْنٌ وَلاَ

---

(88) دلوتها : أخرجتها من البئر.

(89) أحسست صاحبك : علمت به وأبصرته.

(90) خسهم : قللهم ولم يوفرهم.

(91) جبر : خلاف كسر.

(92) كنف حول الغنمَ : وضع عليها حضيرة.

(93) أكنفهم : أعانهم.

(94) شنف : بغض.

(95) عجمت عودهم : إذا عضضته لاختبره.

(96) أعجم : لم يفصح.

(97) من أمثال العرب «أبى الحقين العذرة» وأصله أن رجلا استسقى انظر مجمع الأمثال : 42/1، فصل المقال، 54، 74.

(98) نجم السن : طلع.

(99) في الأصل : لغواشيهم، الورقة : 87.

فِي أَرَضِيهِمْ نَبْتٌ، وَإِذَا اسْتَقْبَلَهُمْ وَفْدُ ٱلسَّحَابِ فَأَنْجَمَ[100] قَبْلَ ٱلإنْسِكَابِ، فَقَدْ خَانُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَمَعُواْ مِنَ ٱلْمَذَامِّ مَا لاَ تَسْتَطِيعُ ٱلأَقْلاَمُ تَفْصِيلَهُ، فَلْنَكُفَّ عَنْهُمْ بَعْدُ حَتَّى يَقُولَ فِي ذَلِكَ مَنْ شَاءَ قَدْ أَنْجَمَ ٱلْبَرْدُ، ثُمَّ نَعُودَ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ إِلَى نَسَقِ مَا تَقَدَّمَ لَهُ ٱلسَّرْدُ.

أَيُّهَا ٱلْمُولَعُ بِٱلْقَنَصِ يَرْمِيهِ، وَٱلْعَدُوِّ يُدْمِيهِ، إِذَا رَمَيْتَ ٱلصَّيْدَ فَسَمِّ إِلاَهَكَ، وَإِذَا رَمَيْتَ ٱلْعَدُوَّ فَاجْعَلِ ٱلإِسْتِعَانَةَ بِٱللَّهِ تُجَاهَكَ، فَٱلصَّيْدُ لِمَنِ اعْتَادَهُ شَهِيٌّ، وَلَكِنَّهُ مَحْظُورٌ مَا لَمْ تُسَمِّ ٱلْمَوْلَى ٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ سَمِيٌّ، وَثَوَابُ سَهْمٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ عَظِيمٌ وَبِمَعُونَةِ خَالِقِكَ يَسْهُلُ صَعْبٌ وَيَتَيَسَّرُ مَرُومٌ[101]، وَإِذَا نَالَتْ يَدُكَ ٱلْعَدُوَّ فَأَرْمَيْتَهُ فَخَيْرٌ ضَاعَفْتَهُ، وَأَجْرٌ أَنْمَيْتَهُ، صَدَقْتُكَ ٱلْحَدِيثَ فَاعْمَلْ عَلَيْهِ تُحْرِزِ ٱلثَّوَابَ ٱلطَّيِّبَ وَتَقْتُلِ ٱلْخَبِيثَ. إِذَا أَصْدَقْتَ ٱلْمَرْأَةَ فَوَفِّ صَدَاقَهَا، وَوَازِ بِهِ اسْتِحْقَاقَهَا، فَإِنْ بَرِئْتَ بِهِ إِلَيْهَا أَخْلَصَكَ ذَلِكَ وَأَبْرَأَكَ، وَإِنْ طَابَتْ لَكَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلْهُ هَنَاءَكَ يَا هَذَا وَمَرَاءَكَ، وَإِنْ أَنِفْتَ مِنْ قَبُولِ هِبَتِهَا وَأَبَيْتَ إِلاَّ إِعْطَاءَ [ذَهَبِيَتِهَا][102] فَأَنْتَ بِرَأْيِكَ أَمْلَكُ وَيَحْسُنُ بِذِي ٱلْهِمَّةِ هَذَا ٱلْمَسْلَكُ، وَلَيْسَ ٱلْغِنَى شَرْطاً فِي مَا يَقَعُ مِنْ هَذَا ٱلْجِنْسِ، إِنَّمَا ٱلْغِنَى غِنَى ٱلنَّفْسِ، رُبَّمَا تَرِبَ[103] ٱلْغَنِيُّ فَمَا تَغَيَّرَ خُلُقُهُ ٱلسَّنِيُّ وَأَتْرَبَ[104] ٱلْفَقِيرُ فَلَمْ يَرْتَفِعْ قَدْرُهُ ٱلْحَقِيرُ، وَٱلْمَالُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ ٱلْجَمَالُ فَأُبَّهَةُ ٱلْجَلاَلِ إِنَّمَا تَكُونُ مَنُوطَةً بِٱلْخِلاَلِ، فَاجْعَلْنَا ٱللَّهُمَّ مِنَ ٱلأَمْجَدِينَ إِذَا نَظَرْتَ[105] ٱلصَّلاَةَ كُنْتَ فِي عِدَادِ ٱلْمُحَافِظِينَ ٱلْمُتَّقِينَ، وَإِنْ أَنْظَرْتَهَا[106] عَنْ مِيقَاتِهَا فَتِلْكَ صَلاَةُ ٱلْمُنَافِقِينَ فَإِيَّاكَ وَٱلإِنْظَارَ،

---

(100) أنجم : أقلع عن الانسكاب.

(101) مروم : مرام ومقصد.

(102) غير واضحة في الأصل، الورقة : 87.

(103) ترب : افتقر.

(104) أترب : استغنى وكثر ماله.

(105) نظرت : انتظرت.

(106) أنظرتها : أجلتها.

وَانْتَظِرْهَا أَبَداً تَحْمَدِ ٱلإنتِظَارَ، فَلَنْ يَزَالَ ٱلْعَبْدُ فِي صَلاَةٍ مَا كَانَتِ ٱلصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ وَلَنْ يَسْتَوْحِشَ أَبَداً مَنْ كَانَتْ أَعْمَالُهُ ٱلصَّالِحَةُ تُؤَنِّسُهُ، وَٱلصَّلاَةُ هِيَ أُمُّ ٱلأَعْمَالِ ٱلصَّالِحَاتِ، وَرَأْسُ مَالِ ٱلْمَتَاجِرِ ٱلرَّابِحَاتِ أُسُّ ٱلْبَرَكَاتِ ٱلْغَادِيَاتِ ٱلرَّائِحَاتِ، وَقَدْ أَعْجَلْتُكَ(107) فِي أَدَائِهَا وَعَجِلْتُكَ(108) فِي تَجْهِيزِ هَذِهِ ٱلْفَوَائِدِ إِلَيْكَ وَإِهْدَائِهَا، وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا أَقَامَ ٱلنَّاسُ حُقُوقَ خَالِقِهِم ٱلْكَرِيمِ، وَشَكَرُوا إِنْعَامَ رَازِقِهِم ٱلرَّؤُوفِ ٱلرَّحِيمِ إِلاَّ دَرَّتِ ٱلأَمْطَارُ وَمَدَّتِ ٱلأَنْهَارُ، وَمَدَّ بَعْضُهَا بَعْضاً فَزَكَتِ ٱلأَرَضُونَ وَرَخُصَتِ ٱلأَسْعَارُ، وَأَمَدَّ ٱللَّهُ جُيُوشَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِمَدَدٍ مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ مُسَوَّمِينَ يَفُلُّونَ(109) ٱلْحَدَّ وَيَصْدُقُونَ ٱلْجِدَّ، وَمَا انْدَمَلَ لَهُمْ جُرْحٌ فِي ٱلأَعْدَاءِ وَلاَ أَمَدَّ(110)، فَغُلِبَ ٱلْعَدُوُّ فِي أَدْنَى ٱلأَرْضِ وَأَنْآهَا وَلَمْ يَصِلِ ٱلأَمَلُ مِنْ فَضْلِ ٱللَّهِ غَايَةً إِلاَّ تَجَاوَزَهَا إِحْسَانُهُ سُبْحَانَهُ وَشَاءَهَا. مَا آثرت(111) عَلَيْكَ أَحداً وَلاَ أُوثِرُهُ، وَلِذَلِكَ أَثَرْتُ(112) لَكَ هَذَا ٱلْحَدِيثَ وَلاَ أَزَالُ آثُرُهُ، فَاسْمَعْ مِنِّي حَقّاً، وَلَوْ أَثَرْتَ(113) عَنِّي ٱلتُّرَابَ وَقَدْ أَدَارَ ٱللَّهُ عَلَى رِمَّتِي ٱلأَحْقَابَ لَمَا وَجَدْتَ حِينَ تُثِيرُهُ إِلاَّ نُصْحاً لَكَ وَصِدْقاً. وَعَدْتُكَ خَيْراً فَهَلْ وَفَيْتُ وَلَوْ وَعَدْتُكَ خَيْراً وَشَرّاً لَنَكَلْتُ(114) عَنِ ٱلشَّرِّ وَاسْتَعْفَيْتُ غَيْرِي مَنْ أَوْعَدَكَ فَأَنْجَز وَعِيدَهُ وَمَا أَحْتَاجُ أَنْ أُكَرِّرَ عَلَيْكَ هَذَا وَلاَ أُعِيدَهُ، وَإِنَّمَا نَحْنُ إِخْوَانٌ وَٱلإِخْوَةُ فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلْوَانٌ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ أَمِنَتْ مَوَدَّتُهُمْ عَارِضَ ٱلرَّيْبِ ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾(115).

---

(107) أعجلتك : استعجلتك.

(108) عجلتك : سبقتك.

(109) يفلون : يثلمون.

(110) أمد الجرح : فتح عنه مدة بكسر الميم وهو ما يجتمع في الجرح من القيح.

(111) آثرت : فضلت.

(112) أثرت لك الحديث : رويته لك.

(113) أثرت عني التراب : رميته وأزلته.

(114) نكلت : نكصت عن الشر ورجعت عنه.

(115) الآية 49 من سورة الأنبياء.

7 ـ بَابُ أَفْعَلَ

آلَيْتُ لاَزِلْتُ عَلَى فَضْلِ ٱللَّهِ مُتَّكِلاً، مَنْ أَشْكَلَ عَلَيْهِ أَمْرُ ٱلْقَدَرِ فَلَيْسَ عِنْدِي مُشْكِلاً، كُلُّ مَا قُدِّرَ لِي فَهُوَ إِلَيَّ وَاصِلٌ وَمَا مُنِعَ عَنِّي فَلاَ سَبِيلَ لِي إِلَيْهِ وَلَوْ أُرْعِفَتْ[1] عَلَيْهِ ٱلْمَنَاصِلُ[2]، رَضِيتُ بِٱلْقَدَرِ أَمَرَّ أَوْ أَحْلَى، وَمَهْمَا تَمَاثَلَتْ فِي خَاطِرِي ٱلأَشْيَاءُ فَرَبِّي سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلأَعْلَى. إِنْ وَجَدْتُ ٱلشَّيْءَ مُمِرًّا فَسَائِقُ ٱلْقَدَرِ صَيَّرَهُ مُرّاً هَذَا ٱلَّذِي أَغْلَقْتُ عَلَيْهِ فِي شَأْنِ ٱلْقَدَرِ ٱلْبَابَ، وَهَجَرْتِ ٱلإِقْبَالَ عَلَى خِلاَفِهِ وَٱلإِكْبَابَ، وَهَاكَ بَابَهُ مُغْلَقاً فِي وُجُوهِ ٱلشُّكُوكِ فَلاَشَكٌّ وَلاَ ارْتِيَابَ، فَدَعْ مَنْ خَالَفَ هَمَلاً[3] غُفْلاً[4]، قَدْ أَقْفَلَ ٱللَّهُ عَلَى بَصِيرَتِهِ قُفْلاً وَلَعَلَّ ٱللَّهَ يَفْتَحُ مُقْفَلَهُ، وَيَدُلُّهُ بِهِدَايَتِهِ عَلَى مَا أَغْفَلَهُ فَيُصْبِحُ مُؤْمِناً بِٱلْغَيْبِ، وَيَغْدُو وَقَدْ أَعْتَقَتْهُ[5] ٱلْقُدْرَةُ مِنْ رِقِّ ٱلرَّيْبِ، فَيَا لِمُعْتَقٍ لاَ وَلاَءَ عَلَيْهِ لِغَيْرِ ٱلْحَقِّ، عَتَقَ[6] بَعْدَ طُولِ ٱلتَّخَبُّطِ مِنَ ٱلشَّكِّ فِي أَوْثَقِ شَرَكِ ٱلرِّقِّ، أَبْغَضْتُهُ[7] قَبْلُ، فَٱلآنَ لاَ أُبْغِضُهُ. مَنْ هُدِيَ إِلَى سَوَاءِ ٱلصِّرَاطِ ظَلَمَهُ مُبْغِضُهُ، إِنَّمَا اسْتَبَحْتُ ذَلِكَ فِيهِ إِنْ بَغُضَ[8]، وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ يَوْمَ صَدَّ عَنِ ٱلْحَقِّ وَأَعْرَضَ، فَلَمَّا أَقْبَلَ

---

(1) أرعفت : أعجلت.

(2) المناصل : جمع منصل وهو السيف.

(3) هملا : ضالا غير مهتدي.

(4) غفلا : المقيد الذي أغفل فلا يرجى خيره ولا يخشى شره.

(5) أعتقته : حررته.

(6) عتق : صار حرا.

(7) أبغضته : مقته.

(8) بغض : صار بغيضا.

أَقْبَلْتُ، وَحِينَ قَبِلَ ٱلصَّوَابَ رَضِيتُ وَقَبِلْتُ، وَمَنْ أَسَفَّ[9] فِي ٱلدِّينِ لِمِثْلِ ذَاكَ ٱلرَّأْيِ ٱلدَّنِيِّ، فَلاَ يُنْكِرُ ٱلإِنْكَارَ مِنَ ٱلسَّنِيِّ، وَلْيَشُدَّ بَصِيرَتَهُ بِقَوْلِ ٱلأَعْوَرِ ٱلشَّنِّيِّ[10] :

هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنَّ ٱلأُمُورَ بِكَفِّ ٱلإِلٰهِ مَقَادِيرُهَا
فَلَيْسَ بِآتِيكَ مَنْهِيُّهَا وَلاَ قَاصِرٍ عَنْكَ مَأْمُورُهَا

[المتقارب]

وَإِذَا أَسَفَّ[11] ٱلطَّائِرُ، أَسْرَعَتْ إِلَيْهِ ٱلدَّوَائِرُ[12]، فَأَمْكَنَ أَنْ يَظْفَرَ بِهِ ٱلْمُقْعَدُ، وَهَوَى إِلَيْهِ ٱلصَّغِيرُ فَلَمْ يُمْهِلْهُ يَصْعَدُ. أَسْفَفْتَ[13] ٱلْخُوصَ أَيُّهَا ٱلزَّاهِدُ، تَجْهَدُ فِي طَلَبِ ٱلْحَلاَلِ وَتُجَاهِدُ، فَسَعْيُكَ مَقْبُولٌ وَرَعْيُكَ كُلُّ قَلْبٍ عَلَيْهِ مَجْبُولٌ، بَرَزَ ٱلْجُنْدُ إِلَى ٱلْمُغَارِ[14] ثُمَّ قَفَلُوا بِأَشْبَالِ ٱلأَقْتَالِ[15] فِي رِبْقِ ٱلإِسَارِ[16]، وَأَغْلاَلِ ٱلذِّلَّةِ وَٱلصَّغَارِ، أَأَنْتَ أَقْفَلْتَهُمْ[17] بِٱلْغَنَائِمِ أَمْ ذَلِكَ صُنْعُ ٱلْقَائِمِ ٱلدَّائِمِ. إِذَا أَنْشَرَ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَى فَنَشَرُوا، وَجُمِعَ ٱلْخَلاَئِقُ وَحُشِرُوا، يَئِسَ ٱلْمُبْطِلُونَ بِمَا أَشِرُوا[18]،

---

(9) أسف للأمر : إذا دخل فيه.

(10) البيتان للأعور الشني نسبة إلى قبيلة شن بن أقصى بن عبد القيس واسمه بشر بن منقد. كان حيا في عهد علي بن أبي طالب.
الشعر والشعراء، ص 534، والبيتان في : فصل المقال، ص 286، وفي شواهد المغني، ص 873، 255، 930، وفي سيبويه : 31/1 برفع «قاصر» وبين البيتين بيت هو :
فَمِنْهُ إِذَا شَاءَ تَيْسِيرُهَا وَمِنْهُ إِذَا شَاءَ تَعْسِيرُهَا

(11) أسف : دنا.

(12) الدوائر : الدواهي.

(13) أسففت : نسجت.

(14) المغار : موضع الغارة.

(15) الأقتال : الأعداء.

(16) الأسار : الأسر والسجن.

(17) أقفلتهم : أعدتهم.

(18) أشروا : بطروا.

وَفَرِحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِلِقَاءِ ٱللَّهِ وَاسْتَبْشَرُوا. يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ.

أَمْنَى ٱلنَّاكِحُ لَيْلَةَ ٱلزِّفَافِ، مَنَعَهُ أَنْ يُمْنِيَ قَبْلَ ذَلِكَ حُكْمُ ٱلْعَفَافِ، فَأَنْتَجَ ٱللَّهُ بِقُدْرَتِهِ مِنَ ٱلْمَنِيِّ نَسْلاً كَرِيماً، وَأَبْقَى لَهُ فِي ٱلدُّنْيَا بِٱلْعَقِبِ ٱلسَّنِيِّ فَخْراً عَظِيماً. سُبْحَانَ مَنْ وَلَّدَ ذَلِكَ ٱلشَّرَفَ ٱلأَسْنَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ لَيَسِيرُ، وَإِنَّهُ لَعَزِيزٌ قَدِيرٌ.

ضَرَبْتَ بِٱلسَّيْفِ فَمَا أَحَاكَ[19]، ظَلَمَكَ مَنْ بِٱللَّوْمِ انْتَحَاكَ[20]، هَلِ ٱلسَّيْفُ إِلاَّ حَدِيدَةٌ إِنْ خَلَقَ ٱللَّهُ فِيهَا ٱلْقَطْعَ مَضَتْ، وَإِنْ مَنَعَهَا ذَاكَ نَبَتْ عَنْ ضَرِيبَتِهَا وَانْقَبَضَتْ، فَمَا أَمَضَّ[21] لَهَا جُرْحٌ جَسَداً، فَلِمَ أَمَضَّكَ قَوْلُ ذِي غِمْرٍ[22] يَتَفَقَّأُ[23] حَسَداً، وَلَوْ مَضَّنِي قَوْلٌ مِنْ حَاسِدٍ غَبِيٍّ لَمَا وَجَدْتُ حِيناً لَذَّةَ عَيْشٍ مَرْضِيٍّ، وَلَكِنِّي أَلْوِي عَلَى ذَاكَ كَشْحاً[24]، وَأَضْرِبُ عَنِ ٱلْجَاهِلِ صَفْحاً، فَلاَ تَنْسَخْ رَاحَتُكَ أَيْناً أَنْعَمَ ٱللَّهُ بِكَ عَيْناً.

إِذَا أَيْدَيْتَ[25] عِنْدَ رَجُلٍ يَداً فَلاَ تُرِيَنَّ تَعُدُّهَا فَٱلْمِنَّةُ تَهْدِمُ ٱلْعَارِفَةَ[26] وَتَهُدُّهَا، دَعْهُ يَكْفُرُهَا إِنْ شَاءَ، وَخَلِّ وَسْمَهَا فِي عُنُقِهِ لاَ يَزُولُ مَا تَقَدَّمَ ٱلنَّهَارُ ٱلْعِشَاءَ، كَذَلِكَ فَلْتَفْعَلْ لاَ أَعَلَّكَ ٱللَّهُ، وَلاَ تُبَالِ بِمَنْ سَتَرَ ٱلْجَمِيلَ وَأَخْفَاهُ، أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ أَرْخَيْتَ عَلَيْهِ سِتْرَ ٱلإِحْسَانِ فَدَعْهُ مُرْخًى نَسِيئَةَ[27] ٱلزَّمَانِ. فَلَوْ أَغْلَيْتَ

---

(19) أحاك : أثر.

(20) أنتحاك : عرض لك.

(21) أمض : أوجع.

(22) غمر : جاهل.

(23) يتفقأ : ينفلق وينشق.

(24) كشحا : خاصرة وطوى على ذلك كشحا إذا أضمره وستره.

(25) أيديت : قدمت له نعمة أو معروفا.

(26) العارفة : المعروف.

(27) نسئة : مؤجل.

ٱلْمَاءَ وَٱلْقَيْنَةُ عَلَيْهِ مُغْلَى لَكَانَ أَخَفَّ عَلَيْهِ ثِقْلاً، وَأَقَلَّ لِخَاطِرِهِ شُغْلاً، إِنَّمَا هُوَ فِي عِدَادِ ٱلظَّالِمِينَ. وَكَأَنَّكَ وَٱللَّهِ بِمَنَازِلِ ٱلظَّلَمَةِ مُعْرَاةً وَبِدِيَارِهِمْ فِي أَيْدِي غَيْرِهِمْ مُشْتَرَاةً أَوْ مُكْتَرَاةً، وَمَتَى أَكْرَيْتَ دَاراً أَوِ اكْتَرَيْتَ فَأَعِدْ لِهَذَا ٱلْمَعْنَى ذِكْراً، وَلاَ تُنْكِرْ أَنْ يَكُونَ مَنْزِلُكَ بَعْدَكَ مُكْرًى، وَاكْتَفِ بِهَذَا إِنِ اكْتَفَيْتَ وَاطْحَرْ[28] عَنْ عَيْنِكَ عُوَارَ[29] ٱلسِّنَةِ فَقَدْ أَغْفَيْتَ، تُغْفِي قَصْدَ ٱلرَّاحَةِ ٱلْعَيْنُ وَيُحِلُّ بَيْنَ ٱلنَّوْمِ وَٱلْيَقَظَةِ ٱلدَّيْنُ، وَرَبُّنَا سُبْحَانَهُ لاَ يَنَامُ وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ وَقَدْ أَرَيْتُكَ جُهْدِي صِرَاطَ ٱلْحَقِّ وَٱلإِيمَانِ يَنْتَهِجُ بِكَ سَبِيلَهُ وَ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾[30].

(28) طحر : من الفعل طحرت العين قذاها إذا رمت به.

(29) عوار : ذهاب حس العين.

(30) الآية 74 من سورة «المؤمنون».

8 ـــ بَابُ مَا يُقَالُ بِحَرْفِ ٱلْخِفْضِ

سَخِرْتُ مِنْ فَاخِرٍ بِمَا لاَ مَفْخَرَ فِيهِ لِلْفَاخِرِ يَعْتَدُّ بِأَمْنِ ٱلْعَاجِلَةِ وَيَنْسَى مَخَاوِفَ ٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ، إنْ هَزِئْتُ بِهَذَا فَلاَ نُكْرَ، وَإِنْ نَصَحْتُ لَهُ اسْتَوْجَبْتُ ٱلشُّكْرَ، فَإِنْ شَكَرَ لِي صَنِيعِي، فَنَسَأَ[1] ٱللَّهُ فِي أَجَلِهِ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُ غَائِلَةَ اغْتِرَارِهِ بِحَاضِرِ ٱلْعَيْشِ وَمُعْجَلِهِ، وَإِنْ أَنْسَأَ ٱللَّهُ أَجَلَهُ فَلَمْ يَدَعْ حِرْصَهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَلاَ أَمَلَهُ، وَلاَ اسْتَدْرَكَ مَا تَرَكَ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِهِ وَأَهْمَلَهُ، فَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ ٱلنَّسِيءُ زِيَادَةً فِي أَمْرِهِ، وَأَنْ تَتَضَاعَفَ ذُنُوبُهُ بِتَضَاعُفِ عُقُودِ عُمْرِهِ، فَيَا ظَهِيرِي عَلَى نُصْحِ ٱلْمَخْدُوعِ وَسَجِيرِي[2] أَبَداً فِي قَصْدِ ٱلْخَيْرِ وَتَطَلُّبِ ضَالَّةِ ٱلْخُشُوعِ إقْرَأْ عَلَى فُلاَنٍ ٱلسَّلاَمَ إنْ لَقِيتَهُ، وَقُلْ لَهُ أَيَّ مُرْتَقًى صَعْبٍ رَقِيتَهُ، أَجَعَلْتَ طُولَ عُمُرِكَ إِلَى ازْدِيَادِ ٱلذُّنُوبِ سُلَّمًا، وَنَابَذَكَ ٱلتَّوْفِيقُ فَلَمْ تُرَ لِذَلِكَ مُتَأَلِّمًا، فَكَيْفَ تَكُونُ إِنِ انْتَهَيْتَ مُنْتَهَاكَ، وَشَهِدَ عَلَيْكَ ٱلشَّيْبُ بِأَنَّكَ مَا انْتَهَيْتَ حِينَ نَهَاكَ، أَخْشَى أَنْ يَحِيقَ بِكَ مَكْرُكَ ٱلسَّيِّءُ، وَيُورِطُكَ نُكْرُكَ فَيَقْلِّصَ عَنْكَ ظِلَّ ٱلرَّحْمَةِ ٱلْمُتَفَيَّأَ، فَإِذَا زَرَيْتَ[3] عَلَيْهِ جِدّاً وَأَزْرَيْتَ[4] بِهِ إِزْرَاءًا لاَ يَجِدُ مِنَ ٱلتَّأَثُّرِ لَهُ بُدّاً، وَأَحْرَقْتَهُ بِٱلْعِتَابِ وَشَوَّقْتَهُ إِلَى ٱلْمَتَابِ، وَذَهَبْتَ بِهِ فِي هَذِهِ ٱلسَّبِيلِ مُبْعِداً، وَأَذْهَبْتَهُ فِي أَحْوَازِهَا[5] وَأَجْوَازِهَا[6] سُفْلاً وَصُعُداً فَدَعْهُ لَعَلَّهُ إِذَا جَنَّ[7] عَلَيْهِ ٱللَّيْلُ تَعَرَّضَ مُتَضَرِّعاً إِلَى

---

(1) نسأ : أمد الله في عمره وأخر موته، وكذلك أنسأ.

(2) سجيري : صديقي.

(3) زريت عليه : عبت عليه.

(4) أزريت به : قصدت به.

(5) أحوازها : نواحيها.

(6) أجوازها : أوساطها.

(7) جن عليه الليل : خيم عليه.

ٱلْبَابِ ٱلَّذِي يُجْزَلُ لِمُتَعَرِّضِهِ كَذَلِكَ ٱلنَّيْلُ فَبَكَى[8] هُنَاكَ مَا أَجَنَّهُ[9] لَيْلُهُ، وَدَعَا[10] طَوِيلاً حَتَّى أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ وَأُذْهِبَ وَيْلُهُ، فَرَبُّكَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَكَرَمُهُ سُبْحَانَهُ لاَ يَخِيبُ فِيهِ لِلآمِلِ ٱلرَّجَاءُ وَلاَ يُرَدُّ لَدَيْهِ لِلْمُضْطَرِّ ٱلدُّعَاءُ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِي وَلَكَ شِرْكاً فِي هِدَايَتِهِ وَيَضْرِبَ لَنَا بِسَهْمٍ فِيمَا قَسَمَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَعِنَايَتِهِ، فَإِنِّي لَقَنْتُكَ نُصْحَهُ فَلَقِنْتَ، وَعَلَّمْتُكَ وَجْهَ ٱلأَدَاءِ إِلَيْهِ فَأَبْلَغْتَ وَأَحْسَنْتَ، وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ ٱلأَجْرِ مِثْلَ أَجْرِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْرِ ٱلتَّابِعِينَ فَتِيلاً، وَمَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلثَّوَابِ مَا يَكُونُ لِثَوَابِ ٱلْقَابِلِ ٱلْمُنِيبِ مَثِيلاً، وَأَنَا دَخَلْتُ بِهِ وَبِكَ هَذَا ٱلْجَنَابَ ٱلأَسْعَدَ وَلاَ مِنَّةَ، فَأَدْخَلَ ٱللَّهُ جَمِيعَنَا ٱلْجَنَّةَ. رَبِّ إِنْ سَهَوْتُ فَلَهَوْتُ[11] فَأَيْقِظْنِي مِنْ سَهْوِي، وَعِظْنِي فِيمَا وَاقَعْتُ مِنْ لَهْوِي، ٱلْهُو وَٱلأَمْرُ جِدٌّ، إِنَّ هَذَا ٱلشَّيْءَ إِدٌّ[12]، أَمَا لَوْ جَدَدْتُ فِي دَارِ ٱللَّعِبِ لَكَانَ ٱلأَمَ لأَمْرِي ٱلْمُنْشَعِبِ، وَلَوْ لَهِيتُ[13] عَمَّا لاَ يُجْدِي لَكَانَ ذَلِكَ أَحْرَى بِتَخْفِيفِ وَجْدِي، فَاسْتَأْنِفْ يَا قَلْبِ إِيمَاناً وَارْجُ مِنْ خَالِقِكَ عَفْواً وَأَمَاناً. إِذَا زَيَّنَ لَكَ ٱلشَّيْطَانُ تَتَبُّعَ ٱلْفَائِتَاتِ فَالْعَنْهُ، «وَإِذَا اسْتَأْثَرَ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ فَالْهَ عَنْهُ»[14]. وَوَالِ ٱلاِسْتِينَانَ فِي مِضْمَارِ ٱلصَّلاَحِ وَأَدْمِنْهُ وَسَلِّمْ يَا بُنَيَّ قَضَاءَ رَبِّكَ وَارْضَ بِمَا اسْتَقْبَلَكَ مِنْهُ ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلأُمُورِ﴾[15].

---

(8) في الأصل «فبكا» الورقة : 90.

(9) أجنه الليل : ستره.

(10) في الأصل «ودعى» الورقة : 90.

(11) لهوت : من اللهو، عبثت.

(12) إد : الأمر الفضيع والداهية.

(13) لهيت : تركت.

(14) قولة عمر بن عبد العزيز ومعناها إذا أخذ الله مال رجل وولده فيجب أن يتركه ولا يغتم له لأنه مقدر من عند الله.

(15) الآية 16 من سورة لقمان.

9 ـــ بَابُ مَا يُهْمِزُ مِنَ ٱلْفِعْلِ

يَا ذَا ٱلَّذِي أَسْرَفَ[1] عَلَيْهِ رُعَافُهُ[2]، فَظَلَّ يَتَوَقَّعُ ٱلْمَوْتَ وَيَخَافُهُ، إِذَا رَقَأَ[3] لَكَ ٱلدَّمُ فَاشْكُرْ مَنْ بِيَدِهِ ٱلْعَدَمُ وَٱلْوُجُودُ. فَلَوْلاَ لَطَفُهُ مَا كَانَ يَرْقَأُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ هُوَ ٱلْخَطَأُ[4] لَيْسَ لَهُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ رُقُوٌّ. إِنَّ سِرَّ ٱلْقَدَرِ لَمَخْبُوءٌ، يَا عَجَباً لِلْحَيَّيْنِ[5] تَسَاوَرُوا بِٱلرِّمَاحِ، وَتَلاَعَبُوا بِٱلأَرْوَاحِ فَأَجْلَوْا عَنْ أَوْتَارٍ عُقَدُوهَا مُبْرَمَةً، وَحُقُودُهَا مُحْتَدِمَةً، وَآلَى كُلُّ فَرِيقٍ لاَ آلَى لِشَمْلِ ٱلآخَرِ فِي تَضْرِيعٍ وَتَفْرِيقٍ، فَكَسَرَتِ ٱلأَيَّامُ تِلْكَ ٱلشِّرَّةَ، وَأَمِنَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ٱلْغِرَّةَ، وَسَفَرَ بَيْنَهُمْ سَفِيرُ ٱلنَّدَمِ فَنَادَى «لاَ تَسُبُّوا ٱلإِبِلَ فَإِنَّ فِيهَا رُقُوَّ ٱلدَّمِ»[6] فَلَبَّوْا دَعْوَتَهُ بِٱلْقَبُولِ، وَاسْتَحَالَ لَبَناً دَمُ ٱلْقَتِيلِ، فَأَلَّفَ ٱللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ ٱلنِّفَارِ، وَتَكَفَّلَتِ ٱلدِّيَةُ بِإِنْصَالِ[7] تِلْكَ ٱلأَسِنَّةِ وَٱلشِّفَارِ[8]، فَعَادَ ٱلْحَيُّ جَمِيعاً، وَقَرَّتْ تِلْكَ ٱلْعُيُونُ بَعْدَ أَنْ سَخِنَتْ بِمَاءِ ٱلأَكْبَادِ دُمُوعاً، وَطُولُ ٱلزَّمَانِ يُلَيِّنُ ٱلْقَاسِيَ، وَيُنْسِي ٱلذَّاكِرَ فَيُدْعَى بَعْدُ ٱلنَّاسِيَ.

رَقَيْتُ[9] ٱلصَّبِيَّ مَا أَرْقِيهِ إِلاَّ رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ ٱللَّهُ يَقِيهِ. ٱلْوَلَدُ ثَمَرُ ٱلْقُلُوبِ،

---

(1) أسرف : جاوز القدر.

(2) الرعاف : الدم الذي يخرج من الأنف.

(3) رقأ : انقطع.

(4) الخطأ في الأصل، انظر الورقة : 91.

(5) الحيين : يقصد بهما الأوس والخزرج وما كان بينهم من حروب طاحنة توقفت بدخولهم في الإسلام وأصبح ما كان بينهم من حقد وعداوة محبة وإخاء.

(6) حديث نبوي، انظر ابن حنبل : 163/5، الدارمي : 106.

(7) إنصال : إزالة النصل من الرماح.

(8) الشفار : جمع شفرة : وهي السكين الغليظة.

(9) رقيت الصبي : أرقيه رقيا ورقية وهو ما يحجب به الصبي من العين والأمراض.

وَلاَ عِوَضَ لِلنَّفسِ مِنَ ٱلْمَحْبُوبِ فَتَسْتَرِيحُ إِلَى ٱلرُّقْيَةِ نَفسُ ٱلْمَغْلُوبِ، وَعَلَى ٱللَّهِ تَلاَفِي ٱلْمُضْطَرِّ وَغَوْثُ ٱلْمَكْرُوبِ. رَقِيتُ[10] فِي سُلَّمِ ٱلْعُمُرِ صُعُداً كَأَنِّي أَعِيشُ أَبداً، أَرْقَى ثُمَّ أَسْفُلُ، وَإِلَى سِكَّةِ ٱلْمَوْتِ تُشْرَعُ[11] ٱلسُّبُلُ فَهَلْ لِي إِلَى ٱلْمَلإِ [ٱلأَعْلَى][12] رُقِيٌّ، إِنْ حُرِمْتُ ذَاكَ فَأَنَا شَقِيٌّ، دَارَأْتُ[13] ٱلرِّجَالَ وَتَجَاوَزْتُ إِلَى ٱلْغَلَبَةِ ٱلسِّجَالَ[14]، ثُمَّ دَارَيْتُ[15] لَمَّا آنَسْتُ مِنْ مُنَادِي ٱلرَّحِيلِ ٱلإِسْتِعْجَالَ، إِلَى كَمْ أُدَارِي ٱلأَقْرَانَ وَطَائِرُ ٱلرُّوحِ قَدْ شَارَفَ ٱلطَّيَرَانَ، وَقَلَّمَا تَدَارَأَ إِثْنَانِ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمَا سَبِيلٌ لِلشَّيْطَانِ، كُنْ أَبداً عَلَى ذِكْرٍ لِمَلِكِ ٱلْمُلُوكِ، وَإِذَا بَارَأْتَ[16] شَرِيكَكَ فَاعْلَمْ أَنَّ مَوْلاَكَ يَجِلُّ عَنِ [ٱلنَّظِيرِ][17] وَالشَّرِيكِ، فَإِنْ بَارَأْتَ امْرَأَتَكَ إِناً مِنَ ٱلآنَاءِ، فَاذْكُرْ عِنْدَ مُبَارَاتِهَا أَنَّ إِلَهَكَ هُوَ ٱلَّذِي تَقَدَّسَ عَنِ ٱلصَّاحِبَةِ وَٱلأَبْنَاءِ. طُوبَى لِمَنْ بَارَى[18] ٱلرِّيحَ جُوداً، وَقَطَعَ لَيْلَهُ رُكُوعاً وَسُجُوداً يُبَارِي ٱلرِّيَاحَ وَيَمِيحُ[19] مَنْ كَانَ شَأْنُهُ ٱلإِمْتِيَاحَ، وَيُبَارِي جِيرَانَهُ إِذَا آثَرُوا ٱلصَّلاَحَ، وَلاَ يَتَعَدَّى فِي أَطْوَارِ تَوَانِيهِ ٱلْحَسَنَ ٱلْمُبَاحَ. عَبَأْتُ[20] ٱلْمَتَاعَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، أَصُونُهُ عَنْ رَفْعٍ وَخَفْضٍ، لَعَلَّ مَتَاعِي بِهِ حِينَ [أَعْبَأُهُ][21] قَلِيلٌ، إِنَّ ٱلْمَوْتَ [لَنَبَأُهُ][22] ثَقِيلٌ، وَعَبَّيْتُ[23] ٱلْجَيْشَ لِيُفْقِدُوا أَقْرَانَهُمُ ٱلْعَيْشَ فَبَادَرُوا

---

(10) رقيت : صعدت.

(11) تشرع : تفضي، تؤدي.

(12) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 91.

(13) دارأت : دافعت.

(14) السجال : أن ينهزم مرة ويغلب أخرى، ومنه: الحرب سجال.

(15) داريت : لاينت وخاتلت من المداراة.

(16) بارأت : فارقت.

(17) غير واضحة في الأصل، الورقة : 91.

(18) بارى الريح : عارضها بفعله.

(19) يميح : يعطي معروفا.

(20) عبأت : هيأت.

(21) في الأصل «أعبوه» الورقة : 91.

(22) في الأصل «نبوه» الورقة : 91.

(23) عبيت الجيش : أصلحته وهيأته.

ٱلتَّعْبِيَةَ، وَأَعْلَنُوا لِدَاعِيهِمْ ٱلتَّلْبِيَةَ، لَقَدْ رَأَيْتُ إِذْ عَبَأْتُهُ ٱلْعَجَبَ ٱلْعُجَابَ، لَوْ يُدْعَى ٱلْفَتَى لِطَعْنَةٍ لأَجَابَ. أَيُّهَا ٱلْمُقْدِمُ أَمُحْتَسِبٌ أَمْ مُكْتَسِبٌ، إِنْ نَوَيْتَ ٱلإِحْتِسَابَ رَبِحَتْ تِجَارَتُكَ، وَإِنْ أَرَدْتَ ٱلاِكْتِسَابَ فَمَا لَكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ إِلاَّ نَفْلُكَ وَإِجَارَتُكَ، وَهَبْكَ نَكَيْتَ[24] فِي ٱلْعَدُوِّ وَوَاصَلْتَ ٱلرَّوَاحَ بِٱلْغُدُوِّ، فَإِنَّمَا لَكَ مَا نَوَيْتَ رَشَدْتَ فِي ذَلِكَ أَوْ غَوَيْتَ، ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ حِينَ تَنْكِي، فَيَا سَالِكاً بِالنِّكَايَةِ سَبِيلَ ٱلْغِوَايَةِ، لِتَبْكِ عَلَى نَفْسِكَ إِنْ كُنْتَ تَبْكِي، زَلَّتْ يَا هَذَا قَدَمُكَ، وَلَرُبَّمَا ذَهَبَ هَدَراً دَمُكَ، وَنَسَخَ وُجُودَكَ عَدَمُكَ، لاَ تَعُدْ إِلَى هَذَا ٱلْعَمَلِ ٱلْبَرْحِ[25] فَتَكُونَ مِمَّنْ نَكَأَ ٱلْقَرْحَ[26] بِٱلْقَرْحِ[27]، وَنَكْؤُهُ كَذَلِكَ أَوْجَعُ، فَلاَ تُوجَدْ تَنْكَأُهُ مَا بَقِيَ ٱلْحَمَامُ يَسْجَعُ، وَلَسْتُ أَنْهَاكَ أَنْ تُقَاتِلَ أَعْدَاءَ ٱلدِّينِ وَعِدَاكَ، إِنَّمَا أَنْهَاكَ عَنِ ٱلنِّيَّةِ ٱلَّتِي فِيهَا أَذَاكَ، وَأَمَّا أَنْ تَكُونَ تُقَاتِلُ مُسْلِماً، أَوْ تَخْطِرُ فِي مَيْدَانِ ٱلْبَغْيِ مُعْلِماً[28] ، فَأُعِيذُكَ مِنْ أَمْرٍ لَمْ تَأْتِ فِيهِ مِنَ ٱلصَّوَابِ فَتِيلاً، وَمَوْقِفٍ يُرَدِّيكَ إِلَى ٱلنَّارِ قَاتِلاً أَوْ قَتِيلاً، وَلَرُبَّ مُجَدِّلٍ نُسِبَ إِلَيْكَ دَمُهُ ٱلْحَرَامُ، وَرُمْتَ رَحْضَ[29] ذَلِكَ عَنْكَ فَأَعْيَاكَ ٱلْمَرَامُ فَتَقُولُ : «وَٱللَّهِ مَا قَتَلْتُ فُلاَناً وَلاَ مَالأْتُ عَلَى قَتْلِهِ سِرّاً وَلاَ إِعْلاَناً»[30]. وَلَعَلَّ ٱلضَّمَائِرَ وَقَدْ صَدَقَتْ لاَ تَسْتَشْعِرُ فِيمَا تَقُولُ تَصْدِيقاً وَلاَ إِيمَاناً.

رَدُوَ ٱلزَّمَانُ فَرَدُوَتْ أَبْنَاؤُهُ، إِنَّمَا يَجْنِي ٱلرَّدَاءَةَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ أَبْنَاؤُهُ، مَا أَقَلَّ فِيهِمْ غَيْرَ ٱلرَّدِيءِ وَأَقْرَبَ ٱلْبَارِىءَ مِنْهُمْ إِلَى ٱلْمُدِيءِ[31]، نَهْلِكُ وَفِينَا ٱلصَّالِحُونَ إِذَا

---

(24) نكيت في العدو : أحدثت فيه هزيمة.

(25) البرح : الشر والعذاب الشديد والشدة.

(26) القرح : جروح الجسد وما يخرج بالبدن.

(27) القرح : الجرح بفتح الجيم.

(28) معلم : من أعلم الفارس إذا جعل لنفسه علامة الشجعان.

(29) رحض : الغسل.

(30) هذا كان قول سيدنا علي بن أبي طالب في قتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

(31) المديء : المخاتل.

كَثُرَ ٱلْخَبَثُ[32]، وَلاَ يَكُونُ مِنْ قُدْرَةِ ٱللَّهِ ٱلْعَبَثُ. دَفُؤَ يَوْمُكَ أَيُّهَا ٱلْعُرْيَانُ، فَثَارَ بِكَ لأَنْ دَفِئْتَ ٱلْبَطَرُ وَٱلطُّغْيَانُ، وَيْحَكَ أَمَا تَفِيءُ وَتَسْتَحْيِي مِنْ أَنْ يَبْطِرَكَ ٱلْيَوْمُ ٱلدَّفِيءُ. دَعْ ثَوْبَكَ يُرفَأُ، لَعَلَّكَ إِذَا رَفَأْتَهُ لاَ تَدْفَأُ، أَفَلَيْسَ أَوْلَى بِٱلدُّفْءِ وَٱلدَّفْآنِ أَنْ يَشْغَلَهُمَا شُكْرُ ٱللَّهِ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلإِعْلاَنِ، أَوْمَأْتُ إِلَيْكَ فَافْهَمِ ٱلإِيمَاءَ، مَا عُذْرُكَ وَقَدْ رَقَمْتُ لَكَ ٱلْمَاءَ[33]. إِنْ تَثَاءَبَ صَاحِبُكَ فَلاَ تُصَدِّقْ فِي دَعْوَى ٱلْعَدْوَى ٱلثُّؤَبَاءَ، قَدْ هَدَأَ ٱلنَّاسُ فَاقْتَدِ بِهِمْ وَهُمْ هَادِئُونَ، أَتَبْتَدِىءُ بِٱلْجَمِيلِ أَمْ يَبْتَدِئُونَ، فَإِنْ أَرْجَأْتَ ٱلأَمْرَ يَا رَجُلُ، فَأَحْزَمُ مِنْكَ ٱلْمُبَادِرُ ٱلْعَجِلُ[34]، مَا يُدْرِيكَ أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلْمَنِيَّةِ أَمَدًا وَسَيْفُهَا لَيْسَ عَنْكَ مُغْمَدًا. دَعِ ٱلْمُرْجِئَةَ[35] فِي مَكَانِهَا مِنَ ٱلْفِرَقِ، وَافْرَقْ مِنْ أَنْ تَكُونَ مُرْجِئاً كُلَّ ٱلْفَرَقِ، أَوْلَى بِكَ ٱلْفِرْقَةُ ٱلنَّاجِيَةُ، وَأَرْجَى لَكَ إِذَا حَلَّتِ ٱلْمَنِيَّةُ ٱلْمُفَاجِئَةُ. أَعَلِمْتَ كَيْفَ فَقَأَ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ عَيْنَ مَلَكِ ٱلْمَوْتِ فَمَا مَنَعَهُ ذَلِكَ مِنْ تَلْبِيَةِ صَوْتِ ٱلْفَوْتِ، وَلاَ مَنَعَتِ ٱلْمَلَكَ عَيْنُهُ ٱلْمَفْقُودَةُ مِنْ قِبَلِ ٱلْكَلِيمِ عَنْ مُعَاوَدَةِ ٱلإِمْضَاءِ فِيهِ لأَمْرِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ فَاذْعِنْ يَا هَذَا لِلأَقْدَارِ، وَإِذَا وُبِئَتْ أَرْضُكَ فَلاَ تَنْزَعْ إِلَى ٱلْفِرَارِ، وَإِذَا سَمِعْتَ بِبُقْعَةٍ وَبِئَةٍ فَلاَ تَأْتِهَا وَاقْتَدِ بِإِرْشَادِ ٱلنُّبُوءَةِ إِلَى ٱلْقَرَارِ فِي ٱلأَرْضِ ٱلْمَوْبُوءَةِ فَٱلْخَيْرُ أَجْمَعُ فِي مَقَاصِدِهَا وَٱلْتِفَاتَاتِهَا.

---

(32) من الحديث النبوي الشريف، أخرجه البخاري ومسلم وابن حبان عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ وأصله : «لا إله إلا الله، ويل العرب من شر اقترب، فتح اليوم في ردم ياجوج وماجوج مثل هذه، وحلق بأصبعه الابهام والتي تليها فقلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم، إذا كثر الخبث».
انظر الأحاديث الصحيحة : 720/2 محمد ناصر الدين الألباني.

(33) من أمثال العرب يضرب للاستقامة والحذق في الصنعة ومنه قول أوس بن حجر :
سَأَرْقُمُ فِي ٱلْمَاءِ ٱلْقَرَاحِ إِلَيْكُمُ ... عَلَى نَأْيِكُمْ إِنْ كَانَ لِلْمَاءِ رَاقِمُ
انظر **فصل المقال**، ص 306، ومادة رقم في **اللسان**، **ومجمع الأمثال** للميداني : 398/2.

(34) العجل : المسرع.

(35) من الفرق الإسلامية ظهرت أول أمرها كحزب محايد بعد ظهور الشيعة والخوارج، أهم مبادىء هذه الطائفة يرتكز حول الإيمان إذ لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة.

رَوَّأْتُ[36] فِي ٱلْأَمْرِ رَجَاءَ ٱلتَّوْفِيقِ، لَعَلَّ ٱلرَّوِيَّةَ أَدْنَى إِلَى ٱلتَّحْقِيقِ. إِذَا نَاوَأْتَ[37] ٱلرِّجَالَ فَاصْبِرْ، وَإِذَا أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ فَلاَ تَسْتَكْبِرْ، فَإِنَّ ٱلْمُنَاوَأَةَ مُؤَدِّيَةٌ إِلَى قَطِيعَةِ ٱلأَرْحَامِ، وَٱلْكِبْرُ دَاعٍ إِلَى قَطْعِ مَادَّةِ ٱلإِنْعَامِ، وَمُعَرِّضٌ لِخُطَّةِ ٱلْخَسْفِ وَمَنْزِلَةِ ٱلذُّلِّ عِنْدَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ وَٱلإِنْتِقَامِ، فِي أَخَسِّ مَهَاوِي ٱلإِحْتِقَارِ مِنْ دَارِ ٱلصَّغَارِ وَسَوَاءِ ٱلنَّارِ ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[38].

(36) روأت : نظرت في الأمر طويلا ولم أتعجل فيه.

(37) ناوأت : عاديت.

(38) الآية 72 من سورة الزمر.

10 ـ بَابٌ مِنَ ٱلْمَصَادِرِ

رَبِّي إِنْ أَوْجَدْتَنِي[1] ٱلْمَالَ وَجَدْتُ[2]، وَإِنْ مَجَّدْتَنِي فِي عِبَادِكَ مَجَدْتُ. بِكَ يَسْتَغْنِي ٱلْفَقِيرُ وَيَجِلُّ ٱلْحَقِيرُ، لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ، وَلاَ وَجْدَ يُرْتَجَى مِنْ غَيْرِ بَابِكَ، وَلَيْسَتِ ٱلْجِدَةُ كَمَا زَعَمُوا هِيَ ٱلْمُنْجِدَةُ، وَلاَ أَنَا بِٱلَّذِي أَجِدُ[3] بَلْ أَنْتَ ٱلْمُوجِدُ وَٱلْمُنْجِدُ، وَفِي كَنَفِ كِفَايَتِكَ وَوِقَايَتِكَ يَتَقَلَّبُ ٱلْمُتْهِمُ وَٱلْمُنْجِدُ[4]. كَمْ ضَالَّةٍ مِنْ يَدِي أَفَتَّهَا، وَكُنْتَ أَفَدْتَهَا ثُمَّ وَجَدْتُهَا وَأَنْتَ بِلُطْفِكَ أَعَدْتَهَا. وَهَبْنِي [أَنْشُدُ وَٱلْبَاغِي[5] يُحِبُّ ٱلْوِجْدَانَ[6]][7]، هَلْ غَيْرُ قُدْرَتِكَ نَسَخَتْ بِٱلرَّدِّ ٱلْفِقْدَانَ[8]. أَمَا وَٱللَّهِ مَا كُنْتُ أَجِدُهَا أَبَداً، لَوْلاَ فَضْلٌ مِنْكَ لَمْ يَزَلْ مُتَعَوَّداً، كَمْ فَقِيدٍ وَجَدْتُ عَلَيْهِ فَعَوَّضْتَنِي مِنَ ٱلْوَجْدِ رِضًى وَحَمَيْتَنِي أَنْ أَكُونَ عَلَى أَقْدَارِكَ

---

(1) أوجدتني : أعطيتني موجدة أي غنى.

(2) وجدت : اغتنيت.

(3) أجد : أحزن.

(4) المتهم والمنجد : المنتسب إلى تهامة وإلى نجد.

(5) الباغي : الطالب.

(6) الوجدان : مصادر الفعل وجد بمعنى عثر على.

(7) إشارة إلى قول الشاعر :

أَنْشُدُ وَٱلْبَاغِي يُحِبُّ ٱلْوِجْدَان ... قَلائِصًا مُخْتَلِفَاتِ ٱلأَلْوَان

مِنْهَا ثَلاَثٌ قُلُصٍ وَبَكْرَان

[الطويل]

انظر شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص 385 للأنباري، البحر المحيط : 298/1، ومعنى القول أطلب الضالة والطالب يحب الإصابة. وزاد ابن هشام في شرحه ص 27 شطرا رابعا :

كأنني من حبها في بحران

(8) الفقدان : بكسر الفاء مصدر من مصادر الفعل فقد.

مُعْتَرِضاً، فَمَهْمَا أَجِدْ فَإِيَّاكَ أَسْتَعِينُ وَأَسْتَنْجِدُ، وَإِذَا وَجَدْتُ مَوْلاَيَ عَلَى مُسِيءٍ إِلَيَّ فَظَاهِرْ بِسَلِّ ٱلْمَوْجِدَةِ مِنَّتَكَ عَلَيَّ، فَلأَنْ أَفْقِدَ نَفِيساً مِنَ ٱلأَعْلاَقِ[9]، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَجِدَ عَلَى أَحَدٍ فِي حَقِيرٍ مِنْ هَذِهِ ٱلدَّارِ ٱلَّتِي مَا لَهَا مِنْ خَلاَقٍ، دَارٌ رِيُّهَا جُوَادٌ[10] وَمُسْتَقِيمُهَا مُنْآدٌ، سِيَّانِ فِي [نَوَائِبِهَا][11] بَخِيلٌ وَجَوَادٌ، وَرُبَّمَا قَصَّرَ فِي مَضَامِيِنِهَا عَنِ ٱلْهَجِينِ [جَوَادٌ][12] فَلاَ ٱلْكَرِيمُ حَمَاهُ فَيْضُ جُودِهِ، وَلاَ ٱلْعَتِيقُ نَفَذَ بِهِ مَا قُرِنَ مِنَ ٱلْجَوْدَةِ وَٱلْجُودَةِ بِوُجُودِهِ، أَجَلْ إِنَّمَا تَنْفَعُ ٱلْجَيِّدَ جَوْدَتُهُ إِذَا حَانَ انْقِلاَبُهُ إِلَيْكَ وَعَوْدَتُهُ، فَهُنَاكَ تَجُودُهُ سَمَاءُ ٱلإِحْسَانِ جَوْداً[13]، كَمَا جَادَتِ ٱلسَّمَاءُ ٱلأَرْضَ بَدْءاً وَعَوْداً، وَلَيْسَ إِلَى تِلْكَ ٱلآجِلَةِ غَيْرَ ٱلتَّقْوَى مَسْلَكٌ، وَلاَ لِلْمُجْرِمِ غَيْرَ عَمَلِهِ مُهْلِكٌ، وَٱلنَّاسُ فِي هَذِهِ ٱلْعَاجِلَةِ إِنَّمَا يَتَقَارَضُونَ عَلَى حُدُودٍ مَنْصُوبَةٍ، وَيَتَبَايَعُونَ عَلَى أَحْكَامٍ مَكْتُوبَةٍ، كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ، وَرَبُّكَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ، فَإِذَا وَجَبَ ٱلْبَيْعُ بَيْنَ ٱلْمُتَبَايِعَيْنِ، فَلْيَسْتَشْعِرَا تَقْوَى ٱللَّهِ فِيمَا تَبَايَعَاهُ وَتَعَاطَيَاهُ مِنَ ٱلْعَرْضِ وَٱلْعَيْنِ، وَلْيَبْرَإِ ٱلْبَائِعُ مِنْ عُيُوبِ مَبِيعِهِ عِنْدَ ٱلْوُجُوبِ، وَلْيَحْذَرِ ٱلنَّاقِدُ مِنْ إِعْطَاءِ مَا أَخْطَأَتْهُ صِفَتَا ٱلصِّحَّةِ وَٱلطِّيبِ عِنْدَ ٱلنَّقْدِ وَٱلتَّقْلِيبِ، فَلَيْسَتِ ٱلْجِبَةُ[14] فِي ٱلْبُيُوعِ، مِمَّا تُبِيحُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ خِلاَفَ ٱلْمَشْرُوعِ، وَإِنَّمَا هِيَ حَقٌّ وَجَبَ وَعَقْدٌ أَوْجَبَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلإِنْتِهَاءِ إِلَى حُدُودِهِ مَا أَوْجَبَ. ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ﴾[15].

إِنَّ شَأْنَ هَذِهِ ٱلدَّارِ لَعَجِيبٌ، وَلِقَلْبِكَ فِيهَا يَوْماً وَجِيبٌ[16]، فَإِذَا وَجَبَ قَلْبُكَ فَجِدَّ فِي مُفَارَقَةِ ٱلسُّكُونِ، فَتِلْكَ طَلاَئِعُ ٱلْمَنُونِ، فَاصْبِرْ لِمَا جَاءَكَ وَعَلِّقْ بِٱللَّهِ

---

(9) الأعلاق : جمع علق وهي الأشياء الكريمة والنفيسة.

(10) جواد : بضم الجيم شدة العطش.

(11) كلمة مطموسة من أولها في الأصل، الورقة : 93.

(12) كلمة مطموسة في الأصل أكملتها بما تستقيم به السجعة والمعنى الورقة : 93.

(13) الجود : بفتح الجيم وسكون الواو المطر الذي لا مطر بعده. ومنها الفعل جاد يجود بمعنى أمطر.

(14) الجبة : من الفعل وجب، يجب، وجوبا وجبة، بمعنى تم ونفذ.

(15) الآية 229 من سورة البقرة.

(16) وجيب : خفقان القلب.

وَحْدَهُ رَجَاءَكَ، فَإِذَا وَجَبَتْ[17] شَمْسُ ٱلْحَيَاةِ وَمَازَالَ ٱلْوُجُوبُ[18] مُعْتَاداً مِنَ ٱلشَّمْسِ ذَاتِ ٱلإِيَاةِ[19] وَجَدْتَ مَا عَمِلْتَهُ مُحْضَراً، فَأَعِدَّ لِهَذِهِ ٱلْحَالِ حَذَراً، أَوْفِ لِلَّهِ بِعَهْدِهِ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ، وَلاَ تُرَعْ إِنْ [كَنَفَكَ][20] ٱلْحَائِطُ[21]، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ ٱلْوَاقِي وَٱلْحَائِطُ، وَمَا عَلَيْكَ مِنْ [هَذِهِ][22] ٱلدَّارِ، إِذَا وُقِيتَ كَفَالَةَ ٱلأَقْدَارِ. إِنْ حَسَبْتَ[23] لِجَاهِلٍ حِسَابًا، فَتَوَخَّ أَنْ تَحْسُبَ لَهُ احْتِسَاباً، فَرُبَّ إِنْسَانٍ لَيْسَتْ لَهُ بَصِيرَةٌ بِحُسْبَانٍ[24]، فَحَسْبُكَ لَهُ مِنْ بَابِ إِرْشَادِ ٱلضَّالِّ وَهِدَايَةِ ٱلسَّبِيلِ، وَحَسْبُكَ بِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ ٱلأَجْرِ ٱلْجَزِيلِ. حَسِبْتُ[25] زَمَاناً أَنِّي مُصِيبٌ فِي اسْتِشْعَارِي مِنَ ٱلأَيَّامِ وَٱلأَنَامِ أَمَاناً، إِذَا أَنَا أَصْلَحْتُ نَفْسِي، وَأَحْسَنْتُ مُعَامَلَةَ أَبْنَاءِ جِنْسِي، فَإِذَا بِي فِي ٱلَّذِي أَحْسَبُهُ أَصْرَحُ مَنِ انْتَمَى إِلَى ٱلْمُوقِ[26] نَسَبُهُ. يَا عَجَباً لِي كَيْفَ أَحْسِبُنِي نَاجِياً أَوْ أُرَى لِهَذَا رَاجِياً، وَمَازِلْتُ مُشَاهِداً وَبِيلَ ٱلْمَرْعَى وَمُعَايِناً وَسْطَهُ ٱلأَحْرَارَ بِقُبْحِ ٱلسِّعَايَاتِ صَرْعَى، يَا لَكَ مِنْ مَنْسَبَةٍ كَاذِبَةٍ وَصَفْقَةٍ فِي ٱلْحِسْبَانِ خَائِبَةٍ، فَسَأَعْتَاضُ بِتِلْكَ ٱلْمَحْسَبَةِ يَقِيناً بِمَا اسْتَفَدْتُهُ مِنَ ٱلأَيَّامِ مُشَاهَدَةً وَتَلْقِيناً، وَإِذْ لاَ سَبِيلَ إِلَى ٱلإِنْفِكَاكِ مِنْ عَلاَئِقِ هَذِهِ ٱلدَّارِ وَلاَ مَحِيدَ عَنْ مُعَاشَرَةِ سَاكِنِيهَا بِقَسْرِ[27] ٱلإِضْطِرَارِ فَسَأَنْتَقِي فِي أَهْلِيهَا مَنْ يُؤَدِّينِي إِلَيْهِ جُهْدُ ٱلإِجْتِهَادِ فِي ٱلإِنْتِقَاءِ وَٱلإِخْتِيَارِ، وَأَدُلُّ عَلَى مِثْلِهِ مُسْتَشِيراً فِي خُلْطَةِ بَنَاتِهَا وَبَنِيهَا مُؤَدِّياً حَقَّ ٱلأَمَانَةِ ٱلْمُوجِبَةِ عَلَى

---

(17) وجبت : غابت.

(18) الوجوب : الغروب.

(19) الإياة : دائرة الضوء المحيطة بقرص الشمس. يقال إياة الشمس وهالة القمر.

(20) كلمة ممسوحة في الأصل، الورقة : 93.

(21) كنفك الحائط : سترك.

(22) مطموسة في الأصل، الورقة : 93.

(23) حسبت : عددت بالعدد.

(24) حسبان : حساب، عد.

(25) حسبت : ظننت.

(26) الموق : الحمق والغباوة.

(27) القسر : الإكراه على الشيء.

ٱلْمُسْتَشَارِ، فَيَا مُسْتَرْشِدِي فِي ٱلنِّكَاحِ لاَ تَعْدِلْ بِٱلْحُرَّةِ ٱلْحَصَانِ[28]، فَٱلْحَصَانَةُ أَزْيَنُ عَلَى ٱلنِّسْوَانِ، أَمَا وَٱللَّهِ لَصِفَةُ ٱلْحُصْنِ آكَدُ فِيهِنَّ عِنْدَ ٱلدَّيِّنِ ٱلْفَطِنِ مِنْ صِفَةِ ٱلْحُسْنِ، وَمَاذَا يُجْدِي جَمَالُهَا ٱلرَّائِقُ، إِذَا سَاءَتْ مِنْهَا ٱلطَّرَائِقُ، سَوْدَاءُ[29] تَحْفَظُ ٱلْغَيْبَ خَيْرٌ مِنْ حَسْنَاءَ تَغْشَى ٱلْعَارَ وَتَتَخَلَّلُ ٱلْعَيْبَ، إِنَّ ٱلْحُسْنَ مَعَ هَذِهِ ٱلْحَالِ لَمَذِيمٌ، وَإِنَّ اقْتِرَانَهُ بِٱلْحُصْنِ لَعَظِيمٌ، أَحْصَنَتْ ابْنَةُ[30] عِمْرَانَ فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ بِثَنَائِهَا ٱلْقُرْآنَ، وَحَاوَلَتِ امْرَأَةُ[31] ٱلْعَزِيزِ نُكْراً، فَأَجْرَى لَهَا بِذَلِكَ ذِكْراً، وَإِذَا حَصُنَتِ ٱلْعَقِيلَةُ طَابَتْ عَنْهَا ٱلأَنْبَاءُ ٱلْمَنْقُولَةُ، خَيْرُ ٱلْقَرَائِنِ ٱلْحَصَانُ، كَمَا أَنَّ خَيْرَ ٱلْمَرَاكِبِ ٱلْحِصَانُ، فَارْتَبِطْهُ كَرِيمًا ثُمَّ رُمْ بِتَحْصِينِهِ مَرُومًا، يُنْجِزْ لَكَ دَيْنَكَ، وَيُقِرَّ تَحَصُّنُهُ عَيْنَكَ، وَلاَ تَعْدِلْ عَنْ سَوَاءِ ٱلسَّبِيلِ، فَٱلشَّرُّ أَجْمَعُ فِي ذَلِكَ ٱلْعُدُولِ، وَهَلْ أَضَلُّ مِمَّنْ عَدَلَ عَنِ ٱلْحَقِّ فِتْراً[32]، أَوْ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ هَتَكَ عَنْ نَفْسِهِ سِتْراً. أَعْدِلْ إِذَا وَلِيتَ، فَإِنَّ ٱلْعَدْلَ فِي ٱلْوِلاَيَةِ تَعَرُّضٌ لِسَعَادَةِ ٱلْغَايَةِ، وَمَا أَحْرَى مَنْ عَدَلَ فِيهَا، أَنْ يَكُونَ عِنْدَ ٱللَّهِ وَجِيهَا، وَأَجْدَرَ مُؤْثِرَ ٱلْمَعْدَلَةِ فِي ٱلأَحْكَامِ بِٱلنَّجَاةِ مِنَ ٱلآثَامِ، وَٱلْحُظْوَةِ عِنْدَ حَاكِمِ ٱلْحُكَّامِ، فَحَسْبُكَ بِٱلْمَعْدَلَةِ خَيْراً كَثِيراً، وَكَفَاكَ بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِهَا حَظّاً أَثِيراً.

قَرُبْتُ مِنْ ثَنِيَّةِ ٱلْوَدَاعِ، فَجَدَّ بِي جِدُّ ٱلزَّمَاعِ[33]، وَكُلَّمَا أَقْرُبُ يَقُولُ لِي سُوءُ أَعْمَالِي مَا لَكَ لاَ تَهْرُبُ، أَمَا وَٱللَّهِ لَوْ وَجَدْتُ طَرِيقاً لَكُنْتُ بِٱلْهَرَبِ حَقِيقاً، وَلَكِنْ لاَ مَهْرَبَ إِلاَّ إِلَيْهِ وَلاَ مُعَرَّجَ عَنِ ٱلْقُدُومِ عَلَيْهِ، فَأَيْنَ ٱلطَّرِيقُ إِلَى ٱلنَّجَاةِ،

---

(28) الحصان : بفتح الحاء : العفيفة الطاهرة.

(29) سوداء : قبيحة.

(30) الآية 92 من سورة الأنبياء : ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾.
والآية 12 من سورة التحريم : ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتابه وكانت من القانتين﴾.

(31) الآيات من 23 إلى 29 من سورة يوسف.

(32) الفتر : بكسر الفاء ما بين السبابة والابهام مفتوحين وهي أقل من الشبر.

(33) الزماع : الرحيل.

أَمْ كَيْفَ ٱلْعَمَلُ فِي هَذِهِ ٱلْبِضَاعَةِ ٱلْمُزْجَاةِ[34]، إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْ بِرَحْمَتِهِ ٱلْمُرْتَجَاةِ، فَاعْتَمِلْ فِي ٱلْقُرْبِ إِلَيْهِ، وَامْتَثِلْ جُهْدَكَ أَمْرَهُ تَحْظَ بِذَلِكَ لَدَيْهِ، وَثِقْ بِكَرَمِهِ فَهُوَ خَيْرُ مَا وَثِقْتَ بِهِ، وَأَوْلَى مَا عَوَّلْتَ عَلَيْهِ. لاَ تَقْرَبِ ٱلْفَحْشَاءَ فَمَنْ قَرِبَهَا فَقَدْ أَسَاءَ مَا شَاءَ، إِنَّ قِرْبَانَ[35] ٱلْمُنْكَرِ حِرْمَانٌ، وَطَرِيقٌ مَا لِسَالِكِهِ أَمَانٌ، أَوَ لَيْسَ خَيْراً لَكَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ قَرَبَ[36] مَاءَ ٱلتَّوْبَةِ لِيُرْوِيَ ظَمَأَ ٱلْحَوْبَاءِ[37]، وَيَغْسِلَ دَرَنَ ٱلْحَوْبَةِ[38]، وَإِذَا ظَفِرْتَ بِٱلْقَرَبِ فَامْلإِ ٱلدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ ٱلْكَرَبِ[39]، وَاقْرُبْ مَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقْرُبَ، وَسَلِ ٱللَّهَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْكَ نَجْمُ ٱلإِنَابَةِ أَلاَّ يَغْرُبَ. نَفَقَ[40] ٱلْبَيْعُ فِي صَالِحَاتِ ٱلأَعْمَالِ عِنْدَ ذَوِي ٱلإِكْرَامِ وَٱلْجَلاَلِ، فَاغْتَنِمْ نَفَاقَهُ، فَلَمْ يَنْفُقْ إِلاَّ بِأَنْ أَعْمَلَ رَبُّكَ حَنَانَهُ وَإِرْفَاقَهُ، وَلَوْ عَامَلَكَ بِمَا يَقْتَضِيهِ عَمَلُكَ وَمَذْهَبُكَ لَنَفَقَ[41] بِقُدْرَتِهِ فِي ٱلْقَفْرِ ٱلْمُهْلِكِ وَٱلْيَهْمَاءِ[42] ٱلْمُتَعَذِّرَةِ ٱلْمَسْلَكِ مَرْكَبُكَ، وَفِي نُفُوقِهِ[43] هُنَاكَ بِٱلْحَقِيقَةِ عَطَبُكَ، نَفِقَ[44] فِي وُجُوهِ ٱلْبِرِّ إِنْفَاقُكَ، أَمَا تَخْشَى أَنْ تَنْفَقَ أَرْزَاقُكَ وَيَضْعُفَ مِنْ خَزَائِنِ ٱللَّهِ ارْتِفَاقُكَ[45] فَٱلرِّزْقُ نَفِقٌ[46]، إِذَا حُرِمَ لَدَيْهِ مُرْتَفِقٌ[47]، وَمَا تُنْكِرُ أَلاَّ تَتَعَرَّفَ مِنَ ٱللَّهِ شَفَقاً إِذَا تَعَرَّفَ ٱلسَّائِلُ مِنْ

---

(34) البضاعة المزجاة : القليلة.

(35) قِربان : بكسر القاف مصدر للفعل قَرُب بضم الراء، يَقْرَبُ قُرْباً وَقِرْبَاناً وَقُرْبَاناً بمعنى دنا. ويقال في الفعل قَرِبَ بكسر الراء، وقرب بفتحها.

(36) قَرَبَ الماء : سار ليلا لطلب الماء. والقَرَبُ : مسيرة ليلة للوصول إلى الماء.

(37) الحوباء : النفس.

(38) الحوبة : الاثم.

(39) الكرب : الحبل الذي يشد على الدلو.

(40) نفق البيع : راج وربح.

(41) نفقت الدابة : هلكت وماتت.

(42) اليهماء : المفازة لا ماء فيها ولا علم ولا يهتدي إلى طرقها.

(43) نفوق : مصدر نفقت الدابة أي ماتت.

(44) نفق : بكسر الفاء : قل ونقص.

(45) الارتفاق : الانتفاع.

(46) نفق : بكسر الفاء : ناقص ومنقطع.

(47) مرتفق : متكيء على مرفقه.

مَعْرُوفِكَ نَفَقاً، وَهَلْ أَنْتَ إِلاَّ سَائِلٌ مَسْؤُولٌ، وَمُسْتَنِيلٌ تَعَرَّضَ لَهُ مُسْتَنِيلٌ، فَاعْمَلْ فِي بَذْلِ نَاكِلِكَ لِسَائِلِكَ بِمِثْلِ مَا تَرْجُو مِنْ مَوْلاَكَ فِي مَسَائِلِكَ، وَإِذَا قَدَرْتَ[48] فَأَحْسِنِ ٱلْقُدْرَةَ حِينَ تَقْدِرُ، وَاعْلَمْ أَنَّ رَبَّكَ بِٱلْمِرْصَادِ لِمَا تُورِدُ وَتُصْدِرُ فَسُوءُ ٱلْمَقْدِرَةِ صَدْرٌ فِيمَا يُذَمُّ مِنْ نَتَائِجِ ٱلْخِلاَلِ ٱلْمُصْدَرَةِ وَلَوْمُ مَقْدِرَتِكَ مُقَبِّحٌ حُسْنَ مَعْذِرَتِكَ، وَمِنْ مُبَشِّرَاتِكَ بِٱلْوُرُودِ عَلَى ٱلصَّفْوِ ٱلْبَرُودِ[49] أَنْ تَتَغَمَّدَ سَيِّئَاتِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ بِٱلْغُفْرَانِ وَتَسْتَقْبِلَ ٱلْجَانِيَ عَلَيْكَ بِٱلْعَفْوِ عِنْدَ ٱلْقِدْرَانِ، فَلاَ تُغْلَبَنَّ عَلَى حُسْنِ ٱلْمَقْدُرَةِ، وَلاَ تَحْتَقِرَنَّ مِنَ ٱلْجَمِيلِ وَلَوْ مِقْدَارَ ٱلذُّرَةِ، فَلِنَفْسِكَ تَمْهَدُ وَفِي صَلاَحِهَا تَجْهَدُ، وَلَقَدْ [جَدَّ][50] فِي ٱللَّحَاقِ بِٱلأَكْيَاسِ، مَنْ حَرِصَ عَلَى ٱلإِنْتِظَامِ فِي سِلْكِ ٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ، أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ رَبِحَ تَجْرُهُمْ، وَوَجَبَ عَلَى ٱللَّهِ أَجْرُهُمْ، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[51]. رُبَّمَا قَدَرْتُ ٱلشَّيْءَ فَأَخْطَأْتُ ٱلتَّقْدِيرَ، وَقُلْتُ ٱلسَّيْءَ فَأَوْغَرْتُ ٱلصُّدُورَ، فَاجْعَلْنِي ٱللَّهُمَّ فِيمَا أَقْدُرُهُ صَادِقاً، وَلاَ تَجْعَلْنِي مِمَّنْ كَانَ بِٱلْهُجْرِ جَاهِراً وَبِٱلسُّوءِ نَاطِقاً، وَاكْتُبْنِي رَبِّ فِي مَنْ يَقْدِرُ ٱلأُمُورَ قَدَرَهَا، وَإِذَا أَوْرَدَ هِمَمَهُ أَحْسَنَ صَدَرَهَا، وَإِنَّ إِصَابَةَ ٱلْقَدَرِ لَنِعْمَ ٱلْمَعُونَةِ عَلَى مَا يَتَرَدَّدُ مِنْ ذَلِكَ فِي ٱلصَّدْرِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ.

ٱلدُّنْيَا عَرُوسٌ تَفْرَكُ[52] قَرِينَهَا وَتُهْلِكُ خَدِينَهَا[53]، وَتَجْعَلُ دِينَ مُصَافِيهَا دِينَهَا، وَمَا دِينُهَا إِلاَّ ظُلْمٌ عَبْقَرِيٌّ وَغَدْرٌ لاَ يُفْرَى لَهُ فَرِيٌّ[54]، وَهَا أَنَا قَدْ

(48) قدرت : هيأت.

(49) البرود : البارد.

(50) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 95.

(51) الآية 14 من سورة الجاثية.

(52) تفرك : بتغض وتكره.

(53) خدينها : صديقها.

(54) الفري : الأمر العظيم. وفلان يفري الفري إذا كان يأتي بالعجب في عمله.

جَلَوْتُ[55] ٱلْعَرُوسَ[56] فَكَيْفَ تَرَوْنَ جِلْوَتَهَا، وَكَشَفْتُ لَكُمْ عَنْ حَقِيقَةِ ٱلصِّفَةِ بِٱلْمَآخِذِ ٱلْمُنْصِفَةِ فَهَلْ تَسْتَحْسِنُونَ خَلْوَتَهَا، وَجَلَوْتُ[57] سَيْفَ ٱلصَّرَامَةِ صَارِماً لِمَنْ كَانَ عَلَى مُصَارَمَتِهَا عَازِماً، فَبَالَغْتُ لَهُ جِلاَءاً، وَسَلَّطْتُ عَلَيْهِ اِمْتِحَاناً مِمَّنْ شَاءَهُ [مِنَ ٱلْقَوْمِ][58] وَابْتِلاَءاً، فَإِنْ نَهَضُوا أَجْلَوْا[59] عَنْ قَتِيلٍ مِنَ ٱلشَّهْوَةِ إِجْلاَءاً وَإِنْ نَكَصُوا، جَلاَ ٱلْقَوْمُ عَنْ مَنَازِلِ ٱلتَّوْفِيقِ جَلاَءً[60]، وَمَنْ لَهُمْ بَعْدُ بِٱلْعَوْدَةِ عَلَى ٱلإِخْتِيَارِ إِنْ أَجْلَوْا عَنِ ٱلدِّيَارِ، وَتِلْكَ أَدْنَى جِنَايَاتِ ٱلْعَرُوسِ ٱلْمَجْلُوَّةِ وَأَقْرَبُ غَايَاتِ خِلاَلِهَا ٱلْمَبْلُوَّةِ، فَلاَ أُنسِيتُ غُرَرَ[61] ٱلشَّهْرِ إِنْ غِرْتُ عَلَيْهَا يَوْماً مِنَ ٱلدَّهْرِ، وَكَيْفَ أَغَارُ عَلَيْهَا وَهِيَ لاَتَزَالُ تُبِيحُ ٱلأَنْذَالَ مَا فِي يَدَيْهَا، وَتَمْنَعُ ٱلْفُضَلاَءَ مَا لَدَيْهَا، لَعَلَّ غَيْرِي عَلَى مِثْلِهَا غَيْرَانُ، وَإِنْ كَانَتِ ٱلْغَيْرَةُ مِنَ ٱلإِيمَانِ فَرَفْضُهَا هُنَا هُوَ ٱلإِيمَانُ، وَلَوْ أَنَّهَا عَلَى أَوْلِيَائِهَا غَيْرَى، لَمَا اعْتَدَدْتُ ذَلِكَ فِيهَا خَيْرًا، فَكَيْفَ وَهِيَ لَهُمْ «أَخْوَنُ مِنْ ذِئْبٍ وَأَخْدَعُ مِنْ ضَبٍّ، وَأَخَبُّ[62] بِهِمْ مِنْ ثُعَالَةَ[63]»، وَهِيَ ٱلنِّهَايَةُ بَعْدَهَا فِي مَكْرٍ وَخِبٍّ. غَارَ[64] ٱلرَّجُلُ فِي طَلَبِ ٱلرِّزْقِ وَأَنْجَدَ فَغَارَ[65] أَهْلَهُ بِذَلِكَ وَأَنْجَدَ[66]، وَلَوْ أَخْلَدَ إِلَى ٱلأَرْضِ ٱلْمُنْجِدُ ٱلْغَائِرُ

---

(55) جلوت : زينت وأظهرت، والمصدر جَلْوَة.

(56) العروس : المقصود بها هنا الدنيا.

(57) جلوت : جِلاء بمعنى صقلت.

(58) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 95.

(59) أجلوا : أبانوا وأظهروا.

(60) جَلاَ جَلاَءاً : رحل وغادر المكان.

(61) غرر الشهر : ثلاث ليال من أول كل شهر.

(62) أخب : أخدع.

(63) ثعالة : أنثى الثعلب. والجمل الثلاث من أمثال العرب. انظر مجمع الأمثال للميداني : 260/1.

(64) غار الرجل : ذهب، وأغار الرجل وأنجد إذا بلغ تهامة ونجد.

(65) يُغِير غِيَاراً وَغَيْراً إذا مارهم.

(66) أنجد : من النجدة.

لأتَاهُ بِمَضْمُونِ رِزْقِهِ ٱلْقَدَرُ ٱلدَّائِرُ، وَهَلْ يَسْتَطِيعُ ٱلْمَرْءُ لأَهْلِهِ غِيَاراً[67] أَوْ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَهُ ٱلرِّزْقُ اخْتِيَاراً، وَأَقْضِيَةُ رَبِّهِ ٱلسَّابِقَةُ هِيَ ٱلَّتِي يَسَّرَتْ لَهُ غَيْراً، وَجَلَبَتْ إِلَيْهِمْ عَلَى يَدَيْهِ خَيْراً إِنَّمَا يَغِيرُهُمْ مَنْ بِإِذْنِهِ وَقُدْرَتِهِ تَكَوَّنَ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ، وَيُجْزِلُ لَهُمُ ٱلْمِيرَةَ ٱلْكَرِيمُ ٱلَّذِي غَدَا مَوْلَى كُلِّ مَوْلَى وَأَمِيرَهُ، وَهَلْ تَصْدُرُ ٱلْغِيرَةُ إِلاَّ عَنِ ٱلْجَنَابِ ٱلَّذِي مِنْهُ تَصْدُرُ ٱلْخَيْلُ ٱلْمُغِيرَةُ، ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ ٱلْكَفِيلُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِٱلْعُلُوِّ إِذَا أَغَارُوا[68] عَلَى ٱلْعَدُوِّ، وَكَمْ بَاتَ ٱلأَعْدَاءُ فِي كَنَفِ ٱلْهُدُونِ[69] وَٱلْهُدُوِّ فَصَبَّحَتْهُمُ ٱلْغَارَةُ ٱلشَّعْوَاءُ مَعَ ٱلْغُدُوِّ، فَيَا لَهَا إِغَارَةً أَغَارَتْ[70] حَبْلَ ٱلإِيمَانِ إِغَارَةً، وَغَارَتْ[71] عَيْنُ ٱلْكُفْرِ بِهَا غُؤُوراً، فَأَنَّى لَهَا أَنْ تُبْصِرَ نُوراً، وَغَارَ مَاءُ ٱلْبَاطِلِ غَوْراً وَأَنْزَلَ ٱللَّهُ بِٱلْكَافِرِينَ رِجْزَهُ فَاعْتَاضُوا بَعْدَ ٱلْكَوْرِ[72] حَوْراً[73]، فَكَمْ دَمٍ عَلَى ٱلْغَبْرَاءِ مُرَاقٍ، وَكَمْ نَدَمٍ مَا لِدَائِهِ بَيْنَ ٱلضُّلُوعِ مِنْ إِفْرَاقٍ[74]، وَكَمْ سَبِيئَةٍ[75] غَالَهَا[76] يَوْمُهَا وَأَسْلَمَهَا قَوْمُهَا فَأَصْبَحَتْ فِي كَوَاعِبِ أَتْرَابٍ، مُفْتَرِشَاتٍ بَعْدَ لِينِ ٱلْمَهَادِ نَوَاخِسَ[77] قَضَضٍ[78] وَتُرَابٍ، غَابَ عَنْ نَصْرِهَا ٱلشَّاهِدُ، وَحَمَاهَا مِنَ ٱلظُّبَا[79] لَمَا شَفَتَيْهَا وَٱلثُّدِيُّ ٱلنَّوَاهِدُ.

---

(67) غيارا : ميرة.

(68) أغاروا : هجموا وشنوا الغارة.

(69) الهدون : السكون.

(70) أغار الحبل : أحكم فتله.

(71) غارت العين : إذا دخلت في الرأس.

(72) الكور : الزيادة.

(73) الحور : النقصان.

(74) إفراق : شفاء وبرء.

(75) السبيئة : المشتراة.

(76) غالها : أهلكها.

(77) نواخس : جمع ناخس عن الفعل نخس الدابة إذا غرز في جنبها أو مؤخرتها عودا أو نحوه.

(78) قضض : الحصى الصغار.

(79) الظبا : مفردها ظبة، وهي حد السيف السنان والنصل والخنجر وما شابه ذلك. والجملة بيت شعر للمتنبي : =

تُبْكِي عَلَيْهِنَّ ٱلْبَطَارِيقُ[80] فِي ٱلدُّجَى   وَهُنَّ لَدَيْنَا مُلْقَيَاتٌ كَوَاسِدُ

[الطويل]

﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[81].

= فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ حَمَاهَا مِنَ ٱلظُّبَا   لَمَا شَفَتَيْهَا وَٱلثُّدِيُّ ٱلنَّوَاهِدُ
ديوان المتنبي بشرح العكبري : 275/1. والبيتان في يتيمة الدهر للثعالبي : 38/1 و83.

(80) البطاريق : ج. بطريق، القائد العظيم من الروم. والبيت للمتنبي بشرح العكبري : 276/1.

(81) الممتحنة : 10.

11 ـــ بَابٌ مِنْهُ[1]

إِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ إِبْناً وَأَباً، فَجَعَلَ ٱلأَبَ فِي وُجُودِ ٱلإِبنِ سَبَباً، وَكُلٌّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُتَكَوِّنٌ، فَلاَ تُنَازِعْ فِيمَا هُوَ بِنَفْسِهِ بَيِّنٌ، وَلَمَّا ضَايَفَ بِحِكْمَتِهِ بَيْنَ ٱلْبُنُوَّةِ وَٱلأُبُوَّةِ أَكَّدَ حَقَّ ٱلأُبُوَّةِ عَلَى ٱلْبُنُوَّةِ، وَأَحْكَمَ فِي ذَلِكَ مِنْ آيَاتِهِ ٱلْمَتْلُوَّةِ مَا أُحْكِمَ عَلَى لِسَانِ ٱلنُّبُوَّةِ، وَأَمَرَ كُلَّ أَخٍ بِٱلْمُحَافَظَةِ عَلَى حُقُوقِ ٱلأُخُوَّةِ، فَكَبِيرٌ يَرْفِقُ صَغِيرَهُ، وَصَغِيرٌ يُوَقِّرُ بِٱلْوَاجِبِ كَبِيرَهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا. إِنَّ لأُمُومَةِ ٱلأُمِّ حَقّاً عَظِيماً وَإِنَّ لِلْعَمِّ بِعُمُومَتِهِ لَخُصُوصاً مِنَ ٱلْبِرِّ وَعُمُوماً، وَٱلْخَالُ أَحَدُ ٱلأَبَوَيْنِ فَاعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ تَفُزْ بِٱلْحُسْنَيَيْنِ. وَقَدْ بَاهَى رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱلْخَالِ، وَكَسَتِ ٱلْخُؤُولَةُ سَعْدَ[2] ٱبْنَ مَالِكٍ فَخْراً آنَقَ مِنْ بُرُودِ ٱلْعَصْبِ [وَٱلْخَالِ][3] وَقَدْ تَكُونُ ٱلأُمُّ أَمَةً فَلاَ يَعْدَمُ إِبْنُهَا تَكْرِمَةً وَلاَ يُغِبُّ[4] مَكْرُمَةً وَتَشُدُّ أُمُوَّتُهَا لِقَوْمِهَا ظَهْراً، كَمَا أَوْجَبَ مَكَانَ هَاجَرَ وَمَارِيَةَ لِلْقِبْطِ نَسَباً وَصِهْراً، فَتِلْكَ أُمُّ ابْنِ ٱلْخَلِيلِ وَهِيَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَهَذِهِ أُمٌّ لإِبْرَاهِيمَ بْنِ ٱلرَّسُولِ وَخِيرَةُ ٱلْمُصْطَفَى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ٱلْجِيلِ، وَٱلشَّأْنُ بَعْدُ فِيمَا أَنْتَ بِهِ عَامِلٌ فَكُنْ [عَلَى][5] تَقْوَى ٱللَّهِ وَٱلشَّرَفُ

---

(1) الضمير يعود على المصادر أي باب من المصادر يلحق بالباب الذي قبله والفصل بين هذين البابين عند أبي الربيع فقط إذ لا يوجد في **فصيح ثعلب** إلا باب من المصادر.

(2) عنه قال ابن أبي الخصال في قصيدته «معراج المناقب» :

وَلاَ خَالَ إِلاَّ دُونَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ ⁂ وَلَوْ كَانَ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ وَيَعْرُبِ

انظر الاكتفاء : 38/1. وهو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الزهري.

(3) تصحيح من طرة الكتاب، والخال : ضرب من البرود.

(4) غَبَّ : بَعُدَ.

(5) غير واضحة في الأصل، الورقة : 96.

لَكَ شَامِلٌ. أَدِّ حَقَّ ٱلْعُبُودِيَةِ إِلَيْهِ فَإِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ وَخُلِيءَ[6] فِي يَدَيْهِ، وَمِنَ ٱلْمَقَاصِدِ ٱلْمَفْقُودَةِ إِهْمَالُ حَقِّ ٱلْعُبُودَةِ، فَفَارِقْ ذَلِكَ ٱلْفَرِيقَ، وَلاَ تَسْلُكَنْ تِلْكَ ٱلطَّرِيقَ، فَقَدْ قَالَ مَنْ أَتَانَا ٱللَّهُ بِهِ هُدًى وَنُوراً، أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً، وَلَمَا خُيِّرَ سَلَكَ سَبِيلاً قَصْداً فَقَالَ بَلْ نَبِيّاً عَبْداً، فَهَلْ تَجِدُ لِهَذَا ٱلْمَجْدِ نِدّاً أَوْ تَقْدِرُ أَنْ تَتَجَاوَزَ فَوْقَ هَذَا ٱلْحَدِّ حَدّاً ﴿إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ إِلاَّ آتِي ٱلرَّحْمَانَ عَبْداً﴾[7].

إِغْتَنِمْ شَبَابَكَ أَيُّهَا ٱلْغُلاَمُ فَسَتَأْتِي عَلَى غُلُومِيَّتِكَ ٱلأَيَّامُ فَبَادِرْ مَا سَاعَدَتْكَ ٱلْغُلُومَةُ، فَإِنَّ مُدَّتَهَا مَعْلُومَةٌ، وَهِيَ عَنْكَ لاَبُدَّ مَصْرُومَةٌ، ثُمَّ إِنْ فَسَحَ ٱللَّهُ لَكَ أَجَلاً صِرْتَ بَعْدَهَا رَجُلاً، فَاسْتَوْسَعْتَ ٱلْمَجَالَ وَأَصْبَحْتَ تُنَاطِحُ بِرُجُولِيَّتِكَ ٱلرِّجَالَ، وَلَرُبَّمَا نَجَلْتَ[8] ٱلأَنْجَالَ وَكُنْتَ ٱلسَّيِّدَ ٱلْبَجَالَ[9]، وَبَلَغَتْ بِكَ رُجُولَتُكَ، وَإِنْ قَصَّرَتْ قَبِيلَتُكَ ٱلْغَايَةَ وَٱلْكَمَالَ، فَلاَ يُلْهِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَلاَ تَرْجِعَنَّ عَنِ ٱلْيَقِينِ إِلَى حَيْرَةِ ٱلإِشْتِبَاهِ، زِدْهُ خِدْمَةً يَزِدْكَ نِعْمَةً وَاهْجُرْ فِيهِ وَصْمَةً يُخَوِّلْكَ تَوْفِيقاً وَعِصْمَةً، وَرُبَّمَا وَهَبَكَ جَارِيَةً تَنْفِقُ جِرَاءَهَا[10] فِي خَفَرٍ وَصَوْنٍ، وَتُحْرِقُ نُظَرَاءَهَا بِمَا تَجْعَلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُنَّ مِنْ بَوْنٍ، وَلاَ نُكْرَ عَلَى كَرَمِ مَوْلاَكَ ٱلَّذِي وَهَبَهَا لَكَ حَصِيفَةً أَنْ يُخْدِمَهَا وَصِيفَةً وَصَافَتُهَا حَسَنَةٌ، وَحَصَافَتُهَا مُتَمَكِّنَةٌ، فَيَجْتَمِعُ إِلَى تِلْكَ ٱلْحُرَّةِ ٱلْكَرِيمَةِ ٱلأَوْصَافِ هَذِهِ ٱلْوَصِيفَةُ ٱلْحَمِيدَةُ ٱلإِيصَافِ. كَمْ وَلِيدٍ طَمَعَ لَهُ أَبُوهُ فِي تَخْلِيدٍ، فَمَا كَادَتِ ٱلأَقْدَارُ تُتِمُّ لَهُ وِلاَدَةً إِلاَّ وَأَبُوهُ يَسْتَقْرِضُ عَلَى ثُكْلِهِ جَلاَدَةً، وَسِيَّانِ عِنْدَ ٱلْمَنِيَّةِ حَالُ ٱلْهَرَمِ وَٱلْوَلِيدِيَّةِ، وَرُبَّمَا مُتِّعَ ٱلشَّيْخُ بِشَيَخِهِ،

(6) خلئ : من خلأ الإنسان يخلأ خلوءا : إذا لم يبرح مكانه.

(7) الآية 94 من سورة مريم.

(8) نجلت : أنجبت أولادا.

(9) البجال : الرجل الذي يبجله أصحابه ويسودونه.

(10) جراءها : صباها. يقال في الجارية : الفتية من النساء بيّنة الجَراية والجَرّاء والجَرَى والجِرَاء والجَرَائِيَّة، ومنه قول الأعشى :

وَٱلْبِيضُ قَدْ عَنَسَتْ وَطَالَ جِرَاؤُهَا وَنَشَأْنَ فِي قِنٍّ وَفِي أَذْوَادِ

وَبَاعَدَتِ ٱلسِّنُونَ مَا بَيْنَ مُفْتَتَحِ عُمُرِهِ وَمُنْسَلَخِهِ، فَصَحِبَ[11] دَهْراً سَمَلَ[12] ٱلشَّيْخُوخَةِ يُطِيلُ ٱلأَمَلَ كَأَنَّ ٱلْمَنَايَا لَيْسَتْ عَلَيْهِ بِٱلْمُنِيخَةِ، فَخَفَّ عَلَى هَذَا ٱلتَّشْبِيخِ أَنْ لاَ يَكُونَ دَاعِيَةً إِلَى ٱلتَّخْفِيفِ [عَنْهُ][13] فِي أُخْرَاهُ وَٱلتَّشْبِيخِ، بَلْ يَزِيدُهُ ثِقْلاً إِلَى ثِقْلٍ، وَيُبَيِّنُ نَقْصَهُ فِي دِينٍ وَعَقْلٍ، وَمَا أَقْرَبَ هَذَا ٱلْمُتَوَقَّعَ مِنَ ٱلصِّدْقِ عَلَى قَوْلِ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ ٱلْحَقِّ : ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾[14] فَنَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنْ شَيْخُوخِيَّةٍ مَا أَشْبَهَهَا بِحَالَةٍ مُسُوخِيَّةٍ، وَهُوَ — وَإِنْ عُمِّرَ عُمْرَ نَسْرٍ — وَاقِعٌ مِنَ ٱلْمَنَايَا فِي أَوْثَقِ أَسْرٍ، وَلاَبُدَّ لِوَعْدِ ٱلْمَوْتِ مِنَ ٱلتَّنْجِيزِ فِي ٱلشَّيْخِ ٱلْهِمِّ[15] وَٱلْعَجُوزِ ٱلْبَيِّنَةِ ٱلتَّعْجِيزِ. إِنَّ ٱلأَيِّمَ[16] إِذَا أَمَّتْ[17] جَنَابَ ٱلْعَفَافِ لِتُخَيِّمَ خَلِيقَةٌ بِأَنْ يَكْنُفَهَا ٱللَّهُ مِنْ ذُلِّ ٱلأَيْمَةِ وَيَقِيَهَا زَمَانَ ٱلْجَدْبِ مِنَ ٱلْعَيْمَةِ[18]، فَتُصْبِحَ عَلَى وَهْنِ ٱلأُيُومِ[19] غَنِيَّةً عَنِ ٱلْقَيِّمِ[20] بِٱلْقَيُّومِ[21]، إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

إِنْ وَلَدَتْ امْرَأَةُ ٱلْعِنِّينِ[22] فَقَالُوا مَا لِلْوِلاَدَةِ وَٱلتَّعْنِينِ، فَقُلْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً فَلاَ تُنْكِرُوا أَنْ تُخَصَّ ٱلْعِنِّينَةُ

---

(11) وضع فوق الكلمة «معا» وفي طرة الكتاب فسحب وعليها أيضا علامة «معا»، الورقة : 96.

(12) السمل : الثوب الخلق.

(13) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 96.

(14) الآية 67 من سورة يس.

(15) الهم : بكسر الهاء : الشيخ الكبير.

(16) الأيم : الجمع أيامى : الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء.

(17) أمت : اتجهت وقصدت.

(18) العيمة : الشهوة إلى اللبن وقد تقدم شرحها ص 43.

(19) الأيوم : مصدر للفعل أم يئم أيمة وأيوما.

(20) القيم : الزوج الذي يقوم بمصالحها.

(21) القيّوم : من أسماء الله تعالى.

(22) العنّين : الذي لا يأتي النساء. وفي الفصيح : العنين بين العنية والتعني، ص 283. وامرأة عنينة : لا تريد الرجال.

مِنْ هَذَا بِوَصْفٍ يَعْقِبُ بُنُوَّةً، وَهَبْكَ أَنَّ ٱلْعِنِّينَةَ بَائِنَةٌ، فَمَا مِنْ نُفَسَةٍ بِكَائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ إِلاَّ وَهِيَ كَائِنَةٌ، وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ وَبِيَدِهِ سُبْحَانَهُ ٱلإِيجَادُ وَٱلإِنْشَاءُ.

إِنَّ ٱللِّصَّ قَدْ أَحْكَمَ ٱللَّهُ فِي قِطْعِهِ ٱلنَّصَّ، فَلاَ يُنْكِرُ ٱللِّصُّ أَنْ يُقْطَعَ إِذَا عَلِقَ بِهِ ٱلشِّصُّ[23]، مَا أَبْعَدَ ٱللُّصُوصِيَّةَ مِنَ ٱلإِيمَانِ وَأَوْلَى مُوثِرَهَا نَسِيمَةَ أَثَرِهِ بِٱلْحِرْمَانِ، تِلْكَ خَلَّةٌ لاَ يَرْضَى بِهَا حُرٌّ، وَلاَ تَقْتَضِي ٱلْحَرُورِيَّةُ ٱلْمَحْضَةُ أَنْ يُوجَدَ مِنْهَا شَرٌّ، إِنْ خَصَصْتُكَ يَوْماً بِٱلْعِتَابِ فَلاَ تَرْتَبْ، فَتِلْكَ خُصُوصِيَّةُ ٱلأَحْبَابِ، لَوْ لَمْ أُحِبَّكَ لَمْ أُعَاتِبْ، إِنَّ ٱلْوُدَّ مَعَ ٱلْعِتَابِ رَاتِب[24]. وَيَا فَارِساً عَلَى ٱلْخَيْلِ يَخْتَالُ، لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغْتَالُ أَوْ تُغْتَالُ إِذَا لَقِيَكَ ٱلأَقْتَالُ[25]، إِنَّ ٱلْفُرُوسِيَّةَ صَالِحَةٌ لِلإِغْتِيَالِ، وَمَوْقِفُ ٱلْحَرْبِ يُسْتَحْسَنُ فِيهِ قَبِيحُ ٱلإِخْتِيَالِ، وَيَسُوغُ فِيهَا مَحْظُورُ ٱلْخَدِيعَةِ وَمَذْمُومُ ٱلإِحْتِيَالِ، فَإِنِ اغْتَلْتَ فَاهْنَأْ فُرُوسَةً تَظَلُّ بِهَا دُرُوبُ ٱلإِسْلاَمِ مَحْرُوسَةً، وَإِنِ اغْتَالَكَ سِوَاكَ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ مَأْوَاكَ، ﴿وَلاَ تَحْسِبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[26]. إِنَّهُ لَيَقْضِي فِيكَ بَيِّنُ[27] ٱلْفِرَاسَةِ بِصَلاَحِكَ لِلْحِرَاسَةِ هَذَا ٱلَّذِي أَتَفَرَّسُ وَبِمِثْلِكَ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ تُحَاطُ ٱلثُّغُورُ وَتُحْرَسُ.

حَلَمْتُ فِي ٱلنَّوْمِ فَكَتَمْتُ ذَلِكَ عَنِ ٱلْقَوْمِ، أَضَنُّ[28] حِينَ أَحْلُمُ بِٱلإِعْلاَمِ، إِمَّا لأَنَّ ٱلرُّؤْيَا مِنْ أَضْغَاثِ ٱلأَحْلاَمِ، وَإِمَّا لِعَدَمِ ٱلثِّقَةِ بِمَوَدَّاتِ ٱلأَنَامِ، أَوْ عَدَمِ ٱلْفَهْمِ فِيهِمْ وَٱلإِفْهَامِ، وَلاَ تُقَصُّ ٱلرُّؤْيَا إِلاَّ عَلَى حَبِيبٍ أَوْ لَبِيبٍ، وَقَدْ أَوْرَثَنِي فَقْدُ هَذَيْنِ فَيْضَ دَمْعٍ صَبِيبٍ، فَإِنْ أَخْبَرْتُ غَيْرَهُمَا بِمَا أَنَا بِهِ حَالِمٌ فَإِنَّمَا أَنَا لِنَفْسِي ظَالِمٌ، وَلَنْ يُوجَدَ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ مِنِّي ٱلظُّلْمُ، فِيمَا جَرَى بِهِ وَسَنِي ٱلْحُلْمُ.

---

(23) الشص : حديدة عقفاء يصطاد بها السمك.

(24) راتب : دائم.

(25) الاقتال : الأعداء، مفردها قتل بكسر القاف وبسكون العين.

(26) الآية 169 من سورة آل عمران.

(27) بين الفراسة : الذي يتفرس في الأشياء وينظر فيها.

(28) أضن : أبخل.

حَلُمْتُ[29] عَنْ بَاغٍ عَلَيَّ أَحْلُمُ لأَجْلَبَ ٱلأَجْرَ إِلَيَّ، إِنَّ ٱلحِلْمَ لَخُلُقٌ كَرِيمٌ وَفَضْلُ غَرِيزَةٍ يَكْفِي فِيهَا قَوْلُ ٱلْحَكِيمِ ٱلْعَلِيمِ : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[30].

أَيُّهَا ٱلشَّيْخُ ٱلْمُسْتَصْحِبُ لِخِلاَلِهِ ٱلْمُسْتَدِيمُ، «أَدَابِغَةٌ وَقَدْ حَلِمَ[31] ٱلأَدِيمُ»[32] فَهَلاَّ اعْتَمَلْتَ حِينَ يَحْلَمُ فِي أَنْ يَجْرِيَ بِصَالِحَةٍ عَنْكَ ٱلْقَلَمُ، فَإِذْ قَدِ اسْتَهَنْتَ مِنْ أَدِيمِكَ حَلَماً، فَأَخْشَى أَنْ تَرْفَعَ بَعْدُ فِي خَيرٍ عَلَماً، وَلاَ تُرِيحَ ٱلْكَاتِبَيْنِ قَلَمَا فَإِنْ قَذِيَتْ عَيْنُكَ فَأَنْتَ بِسُوءِ عَمَلِكَ أَقْذَيْتَهَا[33]، فَاصْبِرْ لِلْجَنَايَةِ إِذَا جَنَيْتَهَا وَلَعَلَّهَا لَمْ تَكُنْ تَقْذَى[34] قَذىً لَوْ لَمْ يَلْحَقْهَا مِنْ إِقْذَائِكَ أَذىً، فَاسْعَ كَيْفَ تَقْذِي[35]، فَإِنَّهَا إِنْ قَذَتْ زَالَ عَنْهَا بِٱلْقَذْيِ ٱلتَّأَذِّي، وَإِلاَّ فَاسْتَعْمِلْ لَهَا تَقْذِيَةً، إِنْ قَذَّيْتَهَا[36] لَمْ تُوجِدْ أَذِيَّةً، وَإِنَّكَ يَا هَذَا لَبَطَّالٌ[37]، وَفِيكَ بِصَالِحِ ٱلأَعْمَالِ مِطَالٌ، لَقَدْ بَطَلْتَ فَأَزْرَتْ بِكَ ٱلْبَطَالَةُ، فَهَلْ تُجْدِي فِيكَ ٱلإِطَالَةُ، شَتَّانَ مَا بَيْنَ بَطَّالٍ وَبَطَلٍ، أَيْنَ مِنَ ٱلْمُسَدَّدِ ٱلْمُصِيبِ ذُو خَطَلٍ[38]. إِنَّ ٱلْبُطُولَةَ لَنِعْمَ ٱلْخَبِيئَةُ فِي ٱلإِنْسَانِ، وَإِذَا بَطُلَ ٱلرَّجُلُ لَحِقَ بِمَقَامِ ٱلإِحْسَانِ، لاَ تُبَالِ بِسَاعٍ يُحِيلُ[39] وَيُبْطِلُ، فَإِنَّ ٱلْحَقَّ يَحِقُّ وَٱلْبَاطِلَ يَبْطُلُ، وَكَمْ بَطَلَ سَعْيُ أَمْثَالِهِ، وَلَمْ تَحْتَجْ إِلَى

---

(29) حلمت : عفوت.

(30) الآية 115 من سورة التوبة.

(31) حَلِمَ : إذا فسد الجلد وأحدثت الديدان فيه ثقوبا.

(32) من أمثال العرب. انظر فصل المقال، ص 180، 472. ويضرب المثل في الأمر الذي انتهى فساده، ونسبته لخالد بن معاوية الأسدي.

(33) أَقْذَيْتها : ألقيت فيها القذى.

(34) تَقْذى : يصير فيها قذى.

(35) تَقْذي : تلقي ما بها من قذى.

(36) قَذَّيْتها تَقْذِيَةً : إذا أخرجت منها القذى.

(37) بطال : بيّن البطالة.

(38) خطل : الحمق والعجلة.

(39) من الحيلة والقوة.

إِبْطَالِهِ، ٱللَّهُ كَفِيلٌ بِبُطُولِ ٱلْمَيْنِ[40]، يَا وَيْحَ ذِي بُطْلٍ بَعْدَ ٱلْحَيْنِ، خَزِيَ[41] فِي ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلآخِرَةِ أَخْزَى، وَظَفِرَ بِأَخَسِّ نَسَبٍ مَنْ كَانَ إِلَى عَذَابِ ٱلْخِزْيِ يُعْزَى، لاَ كَٱلْكَرِيمِ خَزِيَ[42] أَنْ إِلَى رَذِيلَةٍ عُزِيَ، وَلاَيَزَالُ خُزْيَانَ، حَتَّى يَسْتَوْفِيَ ٱلإِعْرَابَ عَنِ اسْتِحَالَةِ ذَلِكَ وَٱلْبَيَانَ، وَمَنْ كَانَ يَخْزَى مِنْ أَمْثَالِهَا فَحَرَى أَنْ يَبْعُدَ عَنِ ٱنْتِحَالِهَا وَأَمْثَالِهَا، دَلَّتِ ٱلْخَزَايَةُ مِمَّا يُسْتَقْبَحُ مِنْ فَعَالٍ عَلَى خُلُقٍ عَالٍ، وَقَدْ تَبِيتُ ٱلْمَرْأَةُ خَزْيَى سَادِرَةً إِنْ طَلَقَتْ[43] لِرِيبَةٍ وُجِدَتْ عَنْهَا صَادِرَةً، فَإِنْ طَلَقَتْ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ يَلْحَقُ ٱلطَّالِقَ ٱلْوَدُودَ وَٱلْفَارِكَ، رُبَّ حَسْنَاءَ طَالِقٍ وَشَرْهَاءَ لَيْسَ زَوْجُهَا لَهَا بِمُفَارِقٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَضَاءِ ٱلْخَالِقِ، وَرُبَّ امْرَأَةٍ طُلِّقَتْ[44] أَنْ جَاءَتْ بِجَارِيَةٍ لَمَّا طُلِقَتْ[45]، وَإِنَّ رَبَّنَا ٱلْحَلِيمَ ٱلشَّكُورَ هُوَ ٱلَّذِي ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ ٱلذُّكُورَ﴾[46] وَلَكِنَّ ٱلْجَاهِلَ يَسُوءُ مِنْهُ ٱلْخُلُقُ إِذَا تَمَخَّضَ عَنْ أُنْثَى ٱلطَّلْقُ، وَلَوْ وَلَدَتْ مَكَانَ ٱلْجَارِيَةِ غُلاَماً لاَزْدَادَتْ مِنْ قَلْبِهِ عَلاَقَةً، وَطَلُقَ[47] لَهَا وَجْهُهُ طَلاَقَةً، وَلَطَلَّقَ[48] لَهَا يَدَهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ بِمَا يَمْلأُ ٱلْبَيْتَ وَلَمْ يُحْوِجْ إِذْ أَطْلَقَهَا أَنْ يُنْشِدَ هَذَا ٱلْبَيْتَ :

أَطْلِقْ يَدَيْكَ تَنْفَعَاكَ يَا رَجُلْ وَاعْتَضْ مِنَ ٱلرَّيْثِ بِمَحْمُودِ ٱلْعَجَلْ[49]

[الرجـــز]

---

(40) المين : الكذب.

(41) خزي : هان.

(42) خزي : استحيى.

(43) طَلَقَت : من طلق الولادة.

(44) طُلِّقَت : بانت عن زوجها بالطلاق.

(45) طُلِقَت : ولدت.

(46) الآية 49 من سورة الشورى.

(47) طَلُقَ : سمح وجهه وانبسطت أساريره.

(48) طَلَّقَ يده : أرسلها بالنفقة والخيرات.

(49) البيت غير منسوب، رواه ثعلب في **الفصيح**، ص 284.

أطلق يـديك تنفعـاك يـا رجـل بالـرّيث مـا أَرْوَيْتَهَـا لا بالعجـــل=

وَبِقَصْدٍ مَّا غُيِّرَ ٱلشَّطْرُ ٱلأَخِيرُ، فَٱلأَلْيَقُ بِهِ هُنَا هَذَا ٱلتَّغْيِيرُ. وَلَمْ يَزَلْ مُعْتَاداً عَلَى مَرِّ ٱلدُّهُورِ أَنْ يُرَى أَبُو ٱلذَّكَرِ طَلْقَ ٱلْوَجْهِ كَأَنَّمَا بُشِّرَ بِأَنَّ ٱبْنَهُ غُلاَمٌ عَلِيمٌ وَفِي ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبَارَكِ ٱلْمَسْطُورِ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِٱلأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[50]. وَقَدْ يُرَى وَجْهُ ٱلرَّجُلِ طَلِيقاً، وَإِنَّ بَيْنَ ضُلُوعِهِ لَحَرِيقاً، وَٱلْحُرُّ يَتَجَمَّلُ[51] وَيَتَحَمَّلُ مِنْ عِبْءِ [ٱلْغُمُومِ][52] مَا يَتَحَمَّلُ، يُزَجِّي أَيَّامَ ٱلزَّمَانِ كَمَا تَكُونُ، وَيَلْقَى حَرَكَتَهَا كَأَنَّمَا لَقِيَهُ مِنْهَا ٱلسُّكُونُ، وَسُكُونُ ٱلأَيَّامِ عَدِيمٌ، وَدَاءُ ٱلزَّمَانِ وَأَهْلِهِ قَدِيمٌ. مَا أَقَلَّ ٱلْيَوْمَ ٱلطَّلْقَ[53] فِي ٱلأَيَّامِ، وَأَعْدَمَ ٱللَّيْلَةَ ٱلطَّلْقَةَ فِي لَيَالِي ٱلْعَامِ، وَأَقَلَّ مِنْهُمَا ٱلْمُنْجِدُ عَلَى خَيْرٍ مِنَ ٱلأَقْوَامِ، وَمَا أُرِيدُ بِطَلاَقَةِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِلاَّ سَجَاحَةَ[54] ٱلْمَدَارِ وَإِقْشَاعَ سُحُبِ ٱلنَّوَائِبِ عَنْ جَوِّ ٱلإِيرَادِ وَٱلإِصْدَارِ، وَأَمَّا سُكُونُ ٱلْهَوَاءِ، وَصَفَاءُ دِيبَاجَةِ ٱلسَّمَاءِ، وَٱرْتِفَاعُ أَلَمِ ٱلْحَرِّ وَٱلْبَرْدِ عَلَى السَّوَاءِ فَقَدْ يُوجَدُ هَذَا كَثِيراً، فَسُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً، فَمَنْ لِي بِيَوْمٍ طَلْقٍ كَأَنَّمَا يُطْلِقُ ٱلنُّفُوسَ مِنْ عِقَالٍ، وَلَيْلَةٍ طَلْقَةٍ يَجِدُ فِيهَا

= وتصرف أبو الربيع في تغيير شطره الثاني بما يناسب الموضوع وأشار إلى ذلك في العبارة التي تلي البيت.

ونسبه أبو العباس التدميري في **شرح غريب الفصيح**، الورقة : 29 : «لِرَجُل من الاعراب يلوم أخاه على الإساءة في إيراد الإبل والخرق فيه فيقول :

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلْ ... يَا سَعْدُ مَا تُرْوَى بِهَا ذَاكَ ٱلإِبِلْ

أَطْلِقْ يَدَيْكَ تَنْفَعَاكَ يَا رَجُلْ ... بِٱلرَّيْثِ مَا أَرْوَيْتَهَا لاَ بِٱلْعَجَلْ

وَبِٱلْجِبَا سَقَّيْتَهَا لاَ بِٱلْقَبَلْ»

الجبا : الماء المجموع في الحوض، القبل : الماء المصبوب على أفواه الإبل.

وفي **شرح الفصيح** لابن هشام اللخمي، ص 31 :

أطلق يديك تنفعاك يا رجل ... بالريث ما أرويتها لا بالعجل

ويروى بالريث ما أوردتها وهو الصواب لأن بعده : وبالجبا أرويتها لا بالقبل».

(50) الآية 58 من سورة النحل.

(51) يتجمل : يتصبر.

(52) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 98.

(53) اليوم الطلق والليلة الطلقاء اللذان لا حر فيهما. وقصد أبو الربيع إلى معنى خلوهما من الاكدار.

(54) سجاحة : ليونة وسهولة.

ٱلسَّارِي إِلَى ٱللَّهِ حُسْنَ ٱلْمَعُونَةِ عَلَى ٱلإِرْقَالِ[55]، وَلاَ يَخْلُو ٱلْيَوْمُ ٱلْقَارُّ أَنْ يَكُونَ مَأْخُوذاً مِنَ ٱلْقِرَّةِ[56]، وَهُوَ ٱلَّذِي عَنَوْهُ بِٱلْيَوْمِ ٱلْقَرِّ وَٱللَّيْلَةِ ٱلْقَرَّةِ، أَوْ يَكُونَ ذَلِكَ مَأْخُوذاً مِنَ ٱلْقَرَارِ[57]، فَيَكُونَ كَٱلْيَوْمِ ٱلطَّلْقِ وَٱللَّيْلَةِ ٱلطَّلْقَةِ فِي ٱلإِعْتِبَارِ، فَإِنْ كَانَ فِي ٱلْمُؤَوَّلِ مِنَ ٱلأَوَّلِ، فَإِذَا قَرَّ يَوْمُكَ فَأَعِدَّ لَهُ حِينَ يَقِرُّ دِفْئاً، فَقَدْ جَعَلَهُ ٱللَّهُ لِلْقُرِّ[58] كُفْئاً، وَإِنْ كَانَتْ فِي ذَلِكَ ٱلْمَعَانِي بِٱلإِعْتِبَارِ ٱلثَّانِي، فَأَنَّى لِي بِيَوْمٍ قَارٍّ، آمَنُ فِيهِ مِنْ عَدُوٍّ مُضَارٍّ، وَلَيْلَةٍ قَارَّةٍ بِخَفْضِ ٱلأَرَاذِلِ سَارِيَةٍ وَبِرَفْعِ ٱلأَفَاضِلِ سَارَّةٍ، فَكَأَنَّهَا مِنْ لَيْلِ تِهَامَةَ لاَ حَرَّ وَلاَ قَرَّ وَلاَ مَخَافَةَ وَلاَ سَآمَةَ، ٱللَّهُمَّ فَٱجْعَلْ أَيَّامَنَا وَلَيَالِيَنَا بِرِضَاكَ قَرَّةً، وَلاَ تُعْدِمْنَا أُنْساً بِغُفْرَانِكَ وَمَسَرَّةً. إِنْ حَرَّ يَوْمُكَ فِي ٱلْيَهْمَاءِ[59] وَأَنْتَ مِنَ ٱلْمُخْلِصِينَ لِمَالِكِ ٱلأَرْضِ وَٱلسَّمَاءِ، فَلاَ يَطُلْ حَوْمُكَ[60] إِذْ يَحِرُّ يَوْمُكَ، وَاسْتَسْقِ رَبَّكَ بَرْدَ ٱلْمَاءِ فَإِنْ شَاءَ أَنْبَطَهُ لَكَ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ، وَأَوْجَدَكَ ٱلْبَرُودَ ٱلْمَوْرُودَ فِي وَطِيسِ ٱلْحَرَارَةِ فَٱلْقُدْرَةُ ٱلْقَاهِرَةُ تُحِيلُ ٱلْحَرَّ بَرْداً وَٱلْبَرْدَ حَرّاً، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِ ٱللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى ٱللَّهِ لَمَا عَدِمَ مِنْ كَرَمِهِ لِقَسَمِهِ مُبِرّاً.

حَرَّ[61] ٱلْمَمْلُوكُ بِقَصْدِ ٱلْقُرْبَةِ مِنْ مَالِكِهِ فَبُشْرَى [لَهُ][62] بِنَقَاءِ مَسَالِكِهِ وَٱلأَمَانِ مِنْ مَعَاطِبِهِ وَمَهَالِكِهِ، فَٱلْمَمْلُوكُ ٱلْيَوْمَ يَحَرُّ، وَٱلْمَالِكُ غَداً يُسَرُّ، وَإِنْ كَانَ إِعْتَاقُ ٱلْعَبْدِ بِغَيْرِ هَذَا ٱلْقَصْدِ، فَٱلْعَبْدُ يُحْرِزُ حَرَارَهُ[63]، وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِعْلاَنَ ٱلْمُعْتِقِ وَإِسْرَارَهُ، وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ. قُلْ لِمَنْ حَاوَلَ بِٱلْبَاطِلِ أَنْ يَعِزَّ، إِنَّكَ لَمْ تُصِبِ

---

(55) الإرقال : ضرب من عدو الإبل فوق الخبب.

(56) القِرَّة : بكسر القاف ما أصاب الإنسان وغيره من القُرّ أي البرد.

(57) القَرار : بفتح القاف الاستقرار والهدوء.

(58) القُرّ : بضم القاف البرد.

(59) اليهماء : الفلاة لا حياة فيها.

(60) حومك : طوافك حول الماء.

(61) حر المملوك : أصبح حرا.

(62) تصحيح من هامش الكتاب، الورقة : 99.

(63) حراره : حريته.

ٱلْمَحَزَّ[64]، أَنْتَ ٱلذَّلِيلُ وَإِنْ رَغِمْتَ، فَقَدْ نَقَضَ عَلَيْكَ ٱلذُّلُّ مَا أَبْرَمْتَ، ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾[65]، وَٱلذِّلَّةُ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لأَمْرِهِ مُطِيعاً سَمِيعاً، فَإِنْ كَرِهْتَ ٱلْمَذِلَّةَ، فَارْجِعْ إِلَى ٱللَّهِ يَرْفَعْ تِلْكَ ٱلْعِلَّةَ، لاَ تُنَالُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلدَّابَّةِ ٱلذَّلُولِ، وَإِنْ بَانَ ذِلُّهَا، وَإِنَّمَا تُنَالُ بِهِ ٱلدَّارُ ٱلَّتِي أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا، تَظَلُّ مِنَ ٱلشَّرَابِ نَشْوَانَ، وَلِخَبَايَا أَسْرَارِ ٱلْمُسْلِمِينَ نَشْيَانَ[66]، ثُمَّ تَلْتَمِسُ ٱلْعِزَّةَ بَيْنَ ٱلنَّشْوَةِ مِنَ ٱلْمَحْظُورِ، وَٱلنِّشْوَةِ لِلْخَبَرِ ٱلْمَسْتُورِ، إِنَّ ذَلِكَ وَٱللَّهِ لَعَيْنُ ٱلْغُرُورِ، ضَافَكَ ٱلضَّيْفُ فَمَا قَرَيْتَهُ[67]، وَقَرَيْتَ[68] ٱلْمَاءَ فِي ٱلْحَوْضِ ثُمَّ حَمَيْتَهُ، فَإِذَا مَنَعْتَ ابْنَ ٱلسَّبِيلِ وُرُودَ ٱلْمَاءِ وَأَبَيْتَ أَنْ تَقْرِيَ ٱلضَّيْفَ سَدِيفَ[69] ٱلْكَوْمَاءِ، فَمَا أَنْتَ فِي ٱلدَّهْمَاءِ[70]، لَقَدْ جِئْتَ بِعَارِ ٱلنَّهَارِ وَٱلظَّلْمَاءِ، أَنْتَ تُنْزِلُ ٱلضَّيْفَ فَتَقْرِيهِ، أَمْ رَبُّكَ هُوَ ٱلَّذِي أَرَاكَ مَا تُرِيهِ، وَمَاؤُكَ ٱلَّذِي بَخِلْتَ بِهِ عَلَى ٱلْوَارِدِينَ ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[71]. مَا أَوْلاَكَ إِذَا مَنَعْتَ ٱلْقَرَاءَ أَنْ يُخْلِيَ عَلَيْكَ رَبُّكَ ٱلأَهْرَاءَ[72] وَأَقْرَبَكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ لِلْفَرِيقَيْنِ مِنْ صَادٍ[73] وَقُصَّادٍ قِرًى، أَنْ لاَ تَجِدَ بَعْدَهَا لَذَّةَ كَرًى، وَأَنْ يَذُودَكَ ٱللَّهُ عَنْ رِزْقِهِ ٱلْمَعْهُودِ وَمَائِهِ ٱلْمَوْرُودِ :

ذِيَادَ ٱلصَّوَادِي عَنْ قِرَى ٱلْمَاءِ بَعْدَمَا ... أَتَى بِٱلْفَلَى سَبْعٌ لَهَا وَثَمَانِ[74]

[الطويل]

---

(64) المحز : موضع القطع.

(65) الآية 140 من سورة النساء.

(66) النشيان للاخبار : الذي يخبرها.

(67) قريته : أطعمته.

(68) قريت الماء : جمعته.

(69) سديف : لحم السنام، والكوماء : الناقة العظيمة السنان.

(70) الدهماء : من معانيها الجماعة من الناس.

(71) الآية 30 من سورة الملك.

(72) الاهراء : مفردها هري وهو بيت ضخم يجمع فيه طعام السلطان.

(73) صاد : والمؤنث صادية والجمع صَوَادِ : من الفعل صدي. بمعنى اشتد عطشه.

(74) البيت ذكر أبو العباس التدميري في شرح غريب الفصيح أن ثعلبا روى هذا البيت في بعض الروايات و لم ينسبه لقائله. الورقة 30.

أيُّها ٱلْمُلِحُّ عَلَى ٱلأَرْضِ بِٱلْبَذْرِ بَعْدَ ٱلْبَذْرِ، مُسْتَظْهِراً مِنْ قِلَّةِ ذَاتِ ٱلْيَدِ، وَكَثْرَةِ ٱلأَهْلِ وَٱلْوَلَدِ بِأَعْذَرِ ٱلْعُذْرِ، إِنَّكَ مَا قَرَوْتَ[75] ٱلأَرْضَ مُسْتَقْرِضاً جَدْوَاهَا لَمْ تَرْضَ ٱلْقَرْضَ، فَأَجِمَّهَا يَكْرُمْ لَكَ رِيعُهَا وَيَتَيَسَّرْ عَلَيْكَ إِنْ شِئْتَ بَيْعُهَا، فَإِنَّ فِي قَرْوِ ٱلأَشْيَاءِ مَا لاَ يُنْكَرُ مِنَ ٱلإِغْيَاءِ[76]. إِنْ شَفَّكَ[77] ٱلْمَرَضُ فَرَبُّكَ اسْتَشْفِ، فَلَنْ تَجِدَ سِوَاهُ لإِمَاطَةِ ٱلشَّفِّ[78]، يَشُفُّ ٱلسَّقَمُ ٱلصَّحِيحَ، فَيَكُفُّ ذَاكَ عَمَلَهُ ٱلْقَبِيحَ، وَلاَ يَأْلُو بَعْدَ ٱلْبُرْءِ أَنْ يُوَاقِعَ ٱلْمُحَرَّمَ وَيَسْتَبِيحَ، ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. وَيَا ذَا ٱلَّذِي شَفَّتْ[79] عَنْهُ بُرُودُهُ تَرَفاً، إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ سَرَفاً، وَمَنَعَكَ أَنْ تَمْشِيَ فِي ٱلنَّاسِ مُنْكَشِفاً، فَٱلْبَسِ ٱلْمَعْرُوفَ مِنَ ٱللِّبَاسِ، وَخَلِّ مَا يَشِفُّ مِنَ ٱلثِّيَابِ لِلنَّاعِمَاتِ ٱلأَجْسَامِ ٱلْمُنْبَهِرَاتِ ٱلأَنْفَاسِ لَعَلَّهُنَّ فِي إِيثَارِ ٱلشُّفُوفِ أَعْذَرُ، وَٱللَّهُ ٱلْكَفِيلُ بِوِقَايَةِ مَا يُحْذَرُ.

إِنْ زَبَدَكَ[80] ٱلأَمِيرُ نَفِيساً مِنْ عَيْنٍ أَوْ عَرَضٍ، وَزَبَدَكَ جَارُكَ ٱلْمُوَاسِي صُفَاوَةَ لَبَنٍ مَحْضٍ، أَبْرَزَ خَالِصَهَا طُولُ مَخْضٍ، فَاشْكُرْ لِلَّذِي يَزْبُدُكَ ٱلْمَخِيضَ كَمَا تَشْكُرُ لِلَّذِي يَزْبِدُكَ ٱلصُّفْرَ وَٱلْبِيضَ[81]، فَكِلاَهُمَا عَامِلٌ عَلَى شَاكِلَةِ ٱلإِحْسَانِ، وَٱلْقَلِيلُ وَٱلْكَثِيرُ فِي بَابِ ٱلْمَعْرُوفِ سِيَّانِ، وَلَعَلَّ صَاحِبَ ٱلْقَلِيلِ أَوْلَى بِٱلشُّكْرِ ٱلْجَزِيلِ، إِذَا كَانَ مُعْطِياً عَنْ خَلَّةٍ[82]، وَمُقَلِّلاً مَا يُعْطِيهِ بِعِلَّةٍ مَا يُعَانِيهِ مِنْ كَثْرَةِ قِلَّةٍ. إِنْ نَسَبْتَ ٱلرَّجُلَ إِلَى نَسَبٍ كَرِيمٍ أَسْفَرَ — إِذْ تَنْسُبُهُ إِلَيْهِ — وَجْهُهُ، وَإِنْ نَسَبْتَهُ إِلَى أَبٍ لَئِيمٍ نَفَرَ فَاسْتَقْبَلَكَ لأَجْلِ تِلْكَ ٱلنِّسْبَةِ بِسُورِهِ[83]

(75) قروت : تتبعت الأرض من أرض إلى أرض.

(76) الإغياء : الغي.

(77) شفك المرض : إذا بلغ منك وأضمرك وأهزلك.

(78) الشف : بثر يخرج فيروح.

(79) شف الثوب : إذا رق ونم عما تحته.

(80) زبدك : أعطاك مالا، وزبدك جارك : أعطاك زبدة.

(81) الصفر والبيض : الذهب والفضة.

(82) خلة : حاجة وفقر.

(83) بسوره : عبوسه.

وَنَجْهُهُ[84]، وَ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[85]، فَقُلْ لِلْفَاخِرِينَ بِٱلرُّفَاتِ عَلَى مَا تَجَلَّلُوهُ مِنْ مَذْمُومِ ٱلصِّفَاتِ انْزِلُوا عَنْ مُرْتَقَاكُمْ، رُبَّ شَاعِرٍ نَسَبَ[86] بِكَرِيمَةِ قَوْمٍ فَبَاءَ بِمَا لَمْ يَشَأْ وَمَا شَاءَ مِنْ إِثْمٍ وَلَوْمٍ وَرُبَّمَا أَوْرَطَهُ نَسِيبُهُ مَعَ جَرِيءٍ غَيْرَانَ، فَيَظَلُّ خَائِفاً حَيْرَانَ، حَتَّى وَدَّ لَوْ لَمْ يَكُنْ يَنْسِبُ بِهَا وَلَمْ يَصِلْ سَبَبُهُ فِي قَرِيظِهِ بِسَبَبِهَا.

شَبَّ ٱلصَّبِيُّ وَٱلشَّبَابُ شُعْبَةٌ[87] مِنَ ٱلْجُنُونِ، مَا كُلُّ مَنْ يَشِبُّ تُخْطِئُهُ سِهَامُ ٱلْمَنُونِ، كَمْ مِنْ ذِي شَبِيبَةٍ غَضَّةٍ اخْتُرِمَ، وَأَخَّرَتِ ٱلْمَنَايَا ذَا ٱلْفَنَدِ[88] ٱلْهَرِمَ، وَقَدْ فَرَغَ ٱللَّهُ فِي ٱلآجَالِ مِنَ ٱلإِنْظَارِ وَٱلإِعْجَالِ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى. اِمْتَطَى ٱلْفَارِسُ فَرَساً فَشَبَّ[89] مَا أَوْضَعَ[90] فِي [ٱلْمَيْدَانِ][91] وَلاَ خَبَّ، وَلِلْخَيْلِ أَخْلاَقٌ تَنْزُو[92] بِهَا وَتَلِينُ وَتَشِبُّ ثُمَّ يَتَلاَفَا شِبَابُهَا ٱلسُّكُونَ، وَلَيْسَ عِنْدَ ٱلْعَاقِلِ بِحَبِيبٍ أَنْ يَكُونَ ٱلْفَرَسُ ذَا شَبِيبٍ، أَرَأَيْتَ إِنْ شَبَّ[93] قَوْمٌ بَيْنَهُمُ ٱلْحَرْبُ، وَتَصَافُّوا لِيَصْدُقَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ٱلضَّرْبَ، فَشَبَّ بِأَحَدِ ٱلْفَرِيقَيْنِ جَوَادٌ وَقَدْ دَنَا مِنْ سَوَادٍ سَوَادٌ، أَلَيْسَ مُعَرَّضاً أَنْ يَكُونَ قَتِيلَ فَرَسِهِ وَلَمْ يُغْنِ وَخَنِيقَ مَرَسِهِ[94] قَبْلَ ٱلضَّرْبِ وَٱلطَّعْنِ، وَإِنَّمَا شُبُوبُ ٱلْحَرْبِ كَشُبُوبِ ٱلنَّارِ يَشُبُّهَا قَوْمٌ

---

(84) نجهه : قبح رده عليك.

(85) الآية 13 من سورة الحجرات : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾.

(86) نسب : تحدث عنها في شعره.

(87) شعبة : معناها هنا طائفة وقوله شعبة من الجنون من حديث ابن مسعود إذ شبه الشباب بالجنون الذي يزيل العقل لما في الشباب من الميل إلى الشهوات والإقدام على المضار.

(88) الفند : الخطأ في الرأي والقول.

(89) شب الفرس : إذا رفع يديه جميعا من الأرض وهي صفة مذمومة فيه وغير مستحبة.

(90) أوضع : نوع من العدو فوق الخبب.

(91) غير واضحة في الأصل، الورقة : 100.

(92) تنزو : تثبت إلى أعلى.

(93) شبت الحرب : اندلعت.

(94) مرسه : حباله جمع مفرده مرسة وجمع الجمع أمراس.

فَيَنْجُونَ وَيَصْلَى بِشَبِّهَا قَوْمٌ آخَرُونَ، وَعَلَى ذِكْرِ ٱلنَّارِ فَيَا مَنْ شَبَّ شَيْئاً مِنْهَا كُنْ عَلَى ذُكْرٍ مِنْ قَوْلِ ٱلْمُخْتَارِ ٱلَّذِي أَخَذَ بِنَوَاصِينَا عَنْهَا [لاَ تَتْرُكُوا ٱلنَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُوا][95]. جَزَى ٱللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ خَيْراً، فَمَازَالَ جَاهِداً فِي أَنْ يَدْفَعَ عَنَّا فِي ٱلْعَاجِلَةِ وَٱلآجِلَةِ ضَيْراً، وَيُبَاعِدَنَا عَنْ أَدْنَى ٱلنَّارِ فِي تِلْكَ ٱلدَّارِ وَفِي هَذِهِ ٱلدَّارِ.

إِذَا سَحَّتْ[96] سُحُبُ ٱلرَّحْمَةِ فِي ٱلْبِلاَدِ أَصَحَّتْ وَأَصْبَحَتْ شَاةُ ذِي ٱلْعِيَالِ وَقَدْ سَحَّتْ[97]، فَأَسْقَى ٱللَّهُ بِسَحِّ ٱلْعَهْدِ عِبَادَهُ مَاءاً غَدَقاً، وَوَجَدَ ٱلْبَائِسُ ذُو ٱلْجَهْدِ بِسُحُوحَةِ شَاتِهِ مُرْتَفَقاً، وَفِي قُدْرَةِ ٱللَّهِ أَنْ تَكُونَ ٱلشَّاةُ سَاحّاً، وَٱلْمَطَرُ بِإِذْنِهِ مُمَانِعاً مُشَاحّاً[98] وَأَنْ يَكُونَ ٱلْغَمَامُ يَسِحُّ وَٱلشَّاةُ بِفَضْلِ دِرَّتِهَا تَشُحُّ، فَلاَ يُنْكِرُ ٱلنَّاسُ صُنْعَ ٱللَّهِ فِيهَا إِذْ تَجِفُّ أَوْ تَسِحُّ فَـ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[99].

إِنْ أَعْرَضْتَ عَنِ ٱلْمُلْحِدِ تَعَرَّضْتَ لِرِضَى رَبِّكَ ٱلأَحَدِ، فَأَوْلِ ٱلْمُلْحِدِينَ فِي آيَاتِهِ إِعْرَاضاً، وَلاَ تُسَوِّغْ لَهُمْ فِي دِينِ ٱللَّهِ اعْتِرَاضاً، أُولَئِكَ شِرَارُ ٱلْخَلْقِ وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ ٱللَّهِ وَٱلْحَقِّ. أَعْرَضَ[100] لَكَ ٱلصَّوَابُ فِي هَجْرِهِمْ فَٱبْتَدِرْ مُعْرِضَهُ، وَعَرُضَ[101] ٱلثَّوَابُ وَطَالَ فِي زَجْرِهِمْ فَاغْتَنِمْ طُولَهُ وَعَرْضَهُ. أَيُّهَا ٱلْعَارِضُ عَلَى ٱلأَمِيرِ إِنْ عَرَضْتَ كِتَابَ مَظْلُومٍ فَاجْهَدْ لَهُ وَاسْأَلْ أَمِيرَكَ عَدْلَهُ، وَإِنْ عَرَضْتَ ٱلْجُنْدَ عَلَيْهِ فَانْفَعْهُمْ مَا اسْتَطَعْتَ لَدَيْهِ، فَإِنَّهُمْ رِدْءُ[102] ٱلإِسْلاَمِ، وَحُمَاةُ ٱلسُّرُوجِ فِي شَفَقِ ٱلصُّبْحِ وَغَسَقِ ٱلظَّلاَمِ، يَبْذُلُونَ دُونَ أَرْوَاحِ ٱلْمُسْلِمِينَ

---

(95) حديث نبوي شريف، انظر صحيح مسلم : 107/6.

(96) سحت : نزلت الأمطار.

(97) سحت الشاة : امتلأت سمنا.

(98) مشاحا : بخيلا، ضنينا.

(99) الآية 24 من سورة الأنبياء.

(100) أعرض لك : ظهر وبدا.

(101) عرض : اتسع عرضه.

(102) الردء : العون والنصر.

أَرْوَاحَهُمْ، وَيُعْمِلُونَ فِي عُدَاةِ ٱلدِّينِ رِمَاحَهُمْ، وَيَصِلُونَ فِي حِمَايَةِ ٱلذِّمَارِ وَإِذَالَةِ ٱلْكُفَّارِ غُدُوَّهُمْ وَرَوَاحَهُمْ فَالْحَظْ لَهُمْ هَذَا عِنْدَ ٱلْعَرْضِ تُقْرِضْ [مَوْلاَكَ](103) ٱلْكَرِيمَ أَحْسَنَ ٱلْقَرْضِ، وَيَا عَارِضَ ٱلرَّقِيقِ إِنْ عَرَضْتَ ٱلْجَارِيَةَ ذَاتَ ٱلْجَمَالِ ٱلرَّائِحِ وَٱلْمَنْظَرِ ٱلأَنِيقِ فَرَغِّبْ فِيهَا مَنْ آنَسْتَ مِنْهُ خِلاَلَ ٱلتَّوْفِيقِ لَعَلَّ ٱللَّهَ يَصُونُ جَمَالَهَا عَنِ ٱبْتِذَالٍ، وَيُعَرِّفُهَا وَإِيَّاهُ قُرَّةَ ٱلْعَيْنِ فِي حَالٍ وَمَآلٍ، وَيَا ذَا ٱلَّذِي عَرُضَ بَعْدَ أَنْ كَانَ شَخْتاً(104) ، لاَ تَعُدَّ عِرَضَكَ بَخْتاً(105)، فَجَمَالُ ٱلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فِعْلُهُ جَمِيلاً لاَ أَنْ يَكُونَ جِسْمُهُ جَلِيلاً. مَا يَعْرِضُكَ لِهَذَا ٱلأَمْرِ ٱلْمَنْقُومِ، لَئِنْ كُنْتَ سَعَيْتَ فِيهِ بِتَكْثِيرِ ٱلْمَطْعُومِ، لَقَدْ بُؤْتَ بِصِفَةِ ٱللُّؤْمِ وَأَصْبَحْتَ مَوْسُوماً بِسِمَةِ ٱلنَّهِمِ ٱلْمَذْمُومِ، فَانْفُضِ ٱلطُّولَ وَٱلْعَرْضَ، فَإِنْ وَجَدْتَ رَاضِياً مِنْكَ بِهَذِهِ ٱلْخَلَّةِ فَارْضَ. نَزَلَ ٱلْكَرِيمُ بِعِرْضِ(106) وَادِيهِ وَأَنْزَلَ مَالَهُ مَنَالَ يَدِهِ إِعْدَاداً لأَيَادِيهِ، ثُمَّ حَيْعَلَ بِٱلْمَارَّةِ مُنَادِيهِ، فَأَقْبَلُوا يُجَدِّدُونَ زَادَهُمْ، وَيَمْلأُونَ مِنَ ٱلْمَحْضِ(107) وَٱلْحَقِينِ(108) مَزَادَهُمْ فَمَا أَحْرَى عِرْضَهُ(109) بِٱلطِّيبِ، وَأَوْلَى ذِكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مَادَّةَ شِعْرِ ٱلشَّاعِرِ، وَخُطْبَةِ ٱلْخَطِيبِ، وَٱلْكَرِيمُ نَقِيُّ ٱلْعِرْضِ(110) فِي كُلِّ لِسَانٍ، وَحَبِيبٌ إِلَى كُلِّ إِنْسَانٍ، وَلَعَمْرِي لَقَدْ وُفِّقَ ٱلْمُنْفِقُ، بَذَلَ عَرَضاً(111) مِنَ ٱلدُّنْيَا أَبَى لَهُ ٱلْقَدَرُ ٱلْبَقَاءَ وَاعْتَاضَ مِنْ مَحَبَّةِ ٱلنُّفُوسِ مَا صَيَّرَهَا لَهُ أَرِقَّاءَ، فَلاَ يَرَوْنَ كَعُرْضِهِ(112) عُرْضاً، وَلاَ يُؤَدُّونَ كَشُكْرِهِ فَرْضاً. أَيُّهَا

---

(103) مطموسة في الأصل، الورقة : 100.

(104) الشخت : الهزيل الجسم دقيقه أصلا وليس من علة.

(105) بختا : حظا.

(106) عرض الوادي : جانبه أو أثنى منه.

(107) المحض : الحليب الخالص.

(108) الحقين : الحليب المحقون في وطب أو سقاء كان فيه حليب رائب فيأخذ بعض طعمه.

(109) عرضه : ريحه كانت طيبة أو خبيثة.

(110) نقي العرض : بريء من أن يشتم أو يعاب.

(111) عرض الدنيا : طمع الدنيا وما يعرض منها.

(112) عُرْض الشيء ناحيته.

ٱلْمُتَقَزِّزُ أَنْ يَبِيتَ ٱلإِنَاءُ مُنْكَشِفاً، ٱلآبِي أَنْ يُرَى لَهُ لأَجْلِ هَذَا مُرْتَشِفاً، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ أَدَبِ خَاتِمِ ٱلأَنْبِيَاءِ وَإِرْشَادِهِ إِلَى حِفْظِ ٱلْمَاءِ بِعُودٍ يَكُونُ مَعْرُوضاً عَلَى ٱلإِنَاءِ[113]. ٱلسَّيْفُ مَعْرُوضٌ عَلَى فَخِذَيِ ٱلْجَبَّارِ، أَتُرَى ذَلِكَ لأَمْرٍ كُبَارٍ، ٱللَّهُمَّ فَأَمِّنَّا حَيْفَهُ وَاغْمِدْ عَنَّا سَيْفَهُ، وَلاَ تُرِنَا فِي ٱلْيَقَظَةِ شَخْصَهُ، وَلاَ فِي ٱلْمَنَامِ طَيْفَهُ، وَخَفِّفِ ٱللَّهُمَّ فِي كُلِّ أَزْمَةٍ مِنْ بُرَحَائِنَا[114]، وَاجْعَلْ أُمُورَنَا بِأَيْدِي صُلَحَائِنَا.

إِنْ لَحُمَ ٱلرَّجُلُ وَشَحُمَ[115] فَلَمْ يَدُرْ عَلَى مَوْرِدِ ٱلسَّدَادِ وَلَمْ يَحُمْ، مَا لِلْعُقَلاَءِ أُولِي ٱلزَّعَامَةِ وَلِمَمْقُوتِ ٱللَّحَامَةِ وَٱلشَّهَامَةِ، أَرَأَيْتَ شَحِيماً لَحِيماً يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ زَعِيماً، تِلْكَ صِفَةٌ إِنَّمَا يَحْمَدُهَا ٱلنِّسَاءُ، فَكَيْفَ يَحْسُنُ بِهِنَّ لِذِي ٱلإِرْبَةِ[116] ٱلاِئْتِسَاءُ[117]، وَرُبَّمَا شَحَمَ[118] ٱلْكَرِيمُ ضِيفَانَهُ وَلَحَمَهُمْ فَزَيَّنَ بِٱلسَّنَامِ جِفَانَهُ، إِنَّمَا يَشْحَمُهُمْ كَرَماً وَيَلْحَمُهُمْ لِعَادَةٍ لَمْ يَزَلْ وُقُودُهَا مُضْطَرِماً، فَهُوَ لِلضُّعَفَاءِ رَاحِمٌ وَلِلضِّيفَانِ شَاحِمٌ لاَحِمٌ، وَمَا ٱلْعَجَبُ أَنْ يُطْعِمَ وَقَدْ أَشْحَمَ وَأَلْحَمَ[119]، وَإِنَّمَا أَنْ يُرَى لَهُمَا مُطْعِماً وَلَيْسَ مُشْحِماً [وَلاَ][120] مُلْحِماً، وَلَكِنَّهُ يُقِيمُ عَلَى تَكَلُّفِ أَوَدَهُ، وَيَسْأَلُ ٱللَّهَ حِفْظَ مَا عَوَّدَهُ، وَرُبَّ رَجُلٍ شَحِمَ وَلَحِمَ فَدُعِيَ ٱلشَّحِمَ ٱللَّحِمَ، وَلَوْلاَ ٱلْقَرَمُ مَا كَانَ يَشْحَمُ وَلاَ يَلْحَمُ لَعَلَّ قَرَمَهُ

---

(113) حديث نبوي شريف، انظر صحيح مسلم : 105/6. في رواية لمسلم وغيره : «غَطُّوا ٱلإِنَاءَ وَأَوْكُوا ٱلسِّقَاءَ وَأَغْلِقُوا ٱلْبَابَ، وَأَطْفِئُوا ٱلسِّرَاجَ فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لاَ يَحُلُّ سِقَاءً وَلاَ يَفْتَحُ بَاباً وَلاَ يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْرِضَ عَلَى إِنَائِهِ عُوداً وَيَذْكُرَ اِسْمَ ٱللَّهِ فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّ ٱلْفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ ٱلْبَيْتِ بَيْتَهُمْ».
انظر الأحاديث الصحيحة للألباني : 58/1.

(114) برحائنا : من شدتنا ومشقتنا.

(115) لحم وشحم : امتلأ لحما وشحما.

(116) الأربة : الحاجة.

(117) الائتساء : الاقتداء، وفعله إِئْتَسَى، يَأْتَسِي، إِئْتَسِ.

(118) شَحَمَ الكريم ولَحَمَ : أطعم ضيوفه شحما ولحما.

(119) أشحم وألحم : كثر عنده الشحم واللحم.

(120) استدركها الناسخ في طرة الكتاب، الورقة : 101.

عَنْ جَهْدٍ هُوَ بِهِ مَعْذُورٌ، إنَّ مَنْعَ ٱلْجَاهِدِ لَمَحْظُورٌ، إذَا قَرَّبْتَ قَرَابِينَكَ فَأَحِدَّ[121] أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ سِكِّينَكَ، فَإنَّكَ مَا أَحْدَدْتَهَا هَيَّأْتَهَا لإحْسَانِ ٱلذَّبْحِ وَأَعْدَدْتَهَا، أَنْتَ مَأْمُورٌ فِيهَا بِٱلإحْدَادِ، وَفِي ذَبِيحَتِكَ بِٱلإرَاحَةِ بَعْدَ فَرْيِ ٱلأَوْدَاجِ، بِٱلشَّفْرَةِ ٱلْحَدَادِ، إنْ لَمْ [يَكُنْ][122] مِنْكَ فِي ٱلذَّبْحِ تَرْدِيدٌ، فَسِكِّينُكَ حَدِيدٌ. أَحْدَدْتَ[123] ٱلنَّظَرَ إلَى ٱلَّذِي احْتَمَلَ ٱلرَّيْبَ فَكَأَنِّي بِإحْدَادِي اِطَّلَعْتُ ٱلْغَيْبَ، تُخْبِرُ عَنْ مَجْهُولِ ٱلْمَرْءِ مَرْآتُهُ، وَٱلْعَيْنَانِ طَلِيعَةُ ٱلْحَازِمِ ٱللَّبِيبِ وَمِرْآتُهُ، كَمْ نَهَجَ ٱلْيَقِينَ بِٱلنَّظَرِ ظُنُونِي «كَادَ ٱلْمُرِيبُ يَقُولُ خُذُونِي»[124]. حَدُّ ٱلْعَقَارِ[125] مُفْتَقَرٌ إلَيْهِ فِي حِفْظِ عَيْنِهِ وَأَيْنِهِ[126] كُلَّ ٱلإفْتِقَارِ، فَإذَا حَدَدْتَ دَارَكَ فَاسْتَوْفِ حُدُودَهَا إذْ تَحُدُّهَا، وَاجْعَلْ ذَلِكَ مِنْ أَهَمِّ ٱلْوُجُوهِ ٱلَّتِي لِتَوَقِّي ٱلْغَصْبِ يُعِدُّهَا، فَلاَ تَعْدَمِ ٱلْيَوْمَ لَهُ فِي ٱلنَّاسِ مُسْتَسْهِلاً وَلِمُتَوَقِّيهِ مُسْتَضْعِفاً أَوْ مُسْتَجْهِلاً، فَبَشِّرْ أُولَئِكَ إنْ لَمْ يُنِيبُوا إلَى رَبِّهِمْ بِدَارٍ حُدُودُهَا كُلُّهَا مِنْ نَارٍ، فَحَيْثُ مَا رَمَوْا بِٱلأَبْصَارِ لَمْ يَرَوْا إلاَّ نَاراً تُنَادِي بِلِسَانِ ٱلإعْتِبَارِ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. فَقَدَ ٱلرَّجُلُ فَحَدَّتْ[127] عِرْسُهُ، لَزِمَهَا ٱلْحِدَادُ مُنْذُ فَاضَتْ نَفْسُهُ، كُلُّ فَاقِدَةِ زَوْجٍ تَحِدُّ، إنَّ فِرَاقَ ٱلأَلِيفَيْنِ لَهُوَ ٱلأَمْرُ ٱلْجِدُّ، إنْ رَغِبَتْ فِي ٱلإسْتِئْنَافِ لِصُحْبَةِ غَيْرِهِ مِنَ ٱلأُلاَّفِ فَسَتَعُدُّ مِنَ ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي شَرَعَتْ تَحُدُّ، ثُمَّ تَتَجَمَّلُ لِلْخُطَّابِ وَتَرْتَقِبُ ٱلْمُعَرِّضَ بِخِطْبَتِهَا جِدَّ ٱلإرْتِقَابِ وَإنْ لَمْ تُرِدْ ذَاكَ أَبَداً فَهِيَ حَادٌّ إلَى غَيْرِ مَدًى. أَحَدَّتِ ٱلْعَدَدَ ٱلْمَعْلُومَ اِسْتِيعَاباً لِلْمَأْمُورِ بِهِ وَاسْتِيفَاءاً، ثُمَّ بَقِيَتْ بَعْدُ مُحِدّاً وَجْداً بِمَفْقُودِهَا وَوَفَاءاً. حَدَدْتَ[128] عَلَى صَاحِبِكَ أَيُّهَا ٱلْغَضْبَانُ فَكَأَنَّمَا تَنَاوَلْتَ جِسْمَكَ

---

(121) أحد : اجعلها حادة.

(122) زيادة من المصحح في طرة الكتاب، الورقة : 101.

(123) أحددت النظر : إذا أمعنت فيه ودققت.

(124) شطر بيت يضرب مثلا.

(125) حد العقار : تحديد الملكية.

(126) أينه : حينه.

(127) فحدّت : لزمت الحداد على زوجها وكذلك أحدت.

(128) حَدَدْتَ : تماديت في الغضب وحِدَّتِهِ.

ٱلْقُضْبَانُ، لَعَلَّكَ فِي ٱلْحَدِّ عَلَيْهِ ظَالِمٌ، وَٱللَّهُ بِحَقِيقَةِ سِرِّهِ عَالِمٌ، ما كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَحِدَّ حَتَّى تَتَحَقَّقَ جِنَايَتَهُ وَلاَبُدَّ فَتُعْذَرَ حِينَئِذٍ فِي ٱلْحِدَّةِ، وَلاَ يُنْكَرُ مَا تَأْتِي بِهِ مِنَ ٱلشِّدَّةِ أَحَالَ[129] ٱلرَّجُلُ فِي ٱلْمَكَانِ فَأَنِسَ بِهِ مَنْ جَاوَرَهُ مِنَ ٱلسُّكَّانِ، وَٱلْمُؤْمِنُ آلِفٌ مَأْلُوفٌ وَفِي إِقَامَةِ حَوْلٍ مَا يَكْشِفُ عَنِ ٱلْمُعَيَّبِ بِفِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ، ثُمَّ أَحَالَ ٱلْمَنْزِلُ فاضْطُرَّ إِلَى ٱلرَّحِيلِ كُلُّ مُبْرَمٍ فِي دُنْيَاكَ مُعْقَبٌ بِٱلسَّحِيلِ، لاَبُدَّ مِنْ إِحَالَةِ ٱلدِّيَارِ، وَفِرَاقِ ٱلأُلاَّفِ بَيْنَ ٱلإِضْطِرَارِ وَٱلإِخْتِيَارِ، مَا تُنْكِرُ عَلَيَّ مِنْ قِيلٍ وَقَدْ حَالَ ٱلدَّهْرُ بَيْنَ مَالِكٍ وَعَقِيلٍ[130]، وَكَمْ مِنْ عَقِيلٍ قَبْلَهُ وَمَالِكٍ صَدَّعَتْ شَمْلَيْهِمَا مَشِيئَةُ ٱلْقَادِرِ ٱلْمَالِكِ، ٱلْحَوْلُ[131] بَيْنَ ٱلأَحِبَّةِ سُنَّةُ ٱلزَّمَانِ وَمَنْ لَكَ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ بِٱلأَمَانِ، وَلَنْ يَبْقَى عَلَى حَالَةٍ ٱلْقَوْمُ، مَا حَالَ ٱلْحَوْلُ وَدَارَ ٱلشَّهْرُ وَٱلْيَوْمُ، وَلِعَهْدِ ٱلْمَوَدَّاتِ ثُبُوتٌ وَحُؤُولٌ، فَمَنْ حَالَ عَنِ ٱلْعَهْدِ فَمَا أَحُولُ، حَالَتِ[132] ٱلنَّاقَةُ وَٱلنَّخْلَةُ فَلاَ ثَمْرَةَ وَلاَ سَخْلَةَ، وَلَيْسَ فِي ٱلْحِيَالِ مَدْخَلٌ لِلإِحْتِيَالِ، غَيْرَ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ فَرَغَ مِنْ رِزْقِ مَنْ يَعْجِزُ وَيَكْتَسِبُ، وَأَبَى أَنْ يَرْزُقَ عَبْدَهُ ٱلْمُؤْمِنَ إِلاَّ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ، وَمِنْ فَضْلِهِ أَنْ يُعَوِّضَ ذَا ٱلنَّاقَةِ بِغُرِّ ٱلْبَكَرَاتِ وَٱلنِّيبِ[133]، وَيُبَدِّلَ لِذِي ٱلنَّخْلَةِ ٱلْبَائِسِ دَقَلَ[134] ٱلْجَمْعِ[135] بِفَائِقِ ٱلْجَنِيبِ[136]. إِذَا أَحَلْتَ[137] عَلَى غَرِيمِكَ بِدَيْنٍ فَتَوَقَّ ٱلإِحَالَةَ بِعَيْنٍ غَيْرِ حَالَّةٍ فِي مُرْجَدِ عَيْنٍ، فَمِنَ ٱلأُصُولِ عِنْدَ ٱلْمُحْتَنِكِ وَٱلنَّاشِئِ ٱلنَّهْيُ عَنِ ٱلْكَالِئِ بِٱلْكَالِئِ[138]. حَالَ[139]

---

(129) أحال الرجل بالمكان : إذا أقام به حولا أي سنة.

(130) ندمانا جذيمة الأبرش : مالك وعقيل ابنا فارج رجلان من بلقين. انظر خبرهما في مجمع الأمثال للميداني : 138/2.

(131) الحول : من حال بين شخصين إذا منع أحدهما من الآخر.

(132) حالت الناقة والنخلة : إذا لم تحملا.

(133) النيب : جمع ناب ونيوب وهي الناقة المسنة.

(134) دقل التمر : أردأ أنواعه.

(135) الجمع : كل لون من التمر لا يعرف اسمه.

(136) الجنيب : ما حمل على جانب البعير والمقصود هنا وفرة الجني وكثرته.

(137) أحلت بدين : أمرت أن تقتضيه منه.

(138) الكالىء : النسيئة والسلفة.

(139) حال في ظهر دابته : إذا ركبها حؤولا.

فِي ظَهْرِ دَابَّتِهِ رَاكِبٌ، فَإِذَا ٱلأَجَلُ بِهِ نَاكِبٌ، فَحَمَلَتْ سَرِيرَهُ ٱلْمَنَاكِبُ، وَأُفِيضَتْ عَلَيْهِ ٱلدُّمُوعُ ٱلسَّوَاكِبُ، فَمَا كَانَ بَيْنَ حُؤُلِهِ فِي ظَهْرِ مَرْكَبِهِ وَنُزُولِ بَاغِتِ ٱلْمَنِيَّةِ بِهِ :

إِلاَّ بِمِقْدَارِ مَا تَنْدَاحُ دَائِرَةٌ   فِي صَفْحَةِ ٱلْمَاءِ يُرْمَى فِيهِ بِٱلْحَجَرِ[140]

[البسيط]

شَغَلَتِ ٱلنَّوائِبُ خَاطِرِي، لَيْتَ ٱلزَّمَانَ فِي ٱلشُّغْلِ مُشَاطِرِي فَأُصِيبُ مِثْلَ مَا أُخْطِئُ، وَأُسْرِعُ عَلَى قَدْرِ مَا أُبْطِئُ، وَلاَ وَٱللَّهِ مَا رَضِيَ مِنِّي بِهَذَا ٱلْمِقْدَارِ، وَلاَ تَرَكَنِي أَسْتَقِلُّ بِٱلتَّفْرِقَةِ بَيْنَ ٱلإِيرَادِ وَٱلإِصْدَارِ، مَا أُحَاوِلُ مُهِمّاً إِلاَّ أَوْهَمْتُ[141]، وَلاَ أَرُومُ بَيَانَ شَيْءٍ إِلاَّ أَبْهَمْتُ، فَكَيْفَ تَرَانِي أُوهِمُ ٱلْمُهِمَّ وَأُبْهِمُ فِي ٱلشَّيْءِ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يَحْصُلَ بِغَيْرِ ٱلْبَيَانِ وَلَنْ يَتِمَّ، فَلاَ نُكْرَ إِنْ وَهِمْتُ[142] فِي ٱلْحِسَابِ وَسِوَاهُ، أَوْهَمُ ضَرُورَةً وَحَسْبِيَ ٱللَّهُ، وَإِنْ وَهَمْتُ[143] إِلَى ٱلشَّيْءِ فَمَا أَهِمُ إِلاَّ لأُمُورٍ عَلَيَّ تَنْبَهِمُ، فَيَكْذِبُ ٱلْوَهْمُ كَمَا يَصْدِفُ[144] عَنْ هَدَفِهِ ٱلسَّهْمُ، وَٱللَّهُ مَلِيٌّ بِتَنْبِيهِ ٱلذَّاهِلِينَ. إِنْ أَحْذَيْتَ[145] ٱلْفَقِيرَ اِسْتَوْجَبْتَ أَجْراً، وَإِنْ حَذَوْتَ[146] ٱلشِّرِّيرَ اسْتَحْقَقْتَ زَجْراً، وَإِنَّ حُذْيَاكَ ٱلْمُخْتَلَّ عَمَلٌ يَحْمَدُهُ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمُقَارَبَةُ ٱلأَرَاذِلِ بُعْدٌ عَنِ ٱلسُّنَنِ ٱلْفَاضِلِ، فَاحْذَرِ ٱلشِّرِّيرَ لاَ تَقْرَبْهُ. وَإِنْ حَذَا[147]

---

(140) البيت لابن الرومي يصف خبازا، انظر ديوانه : 1110/3 : تحقيق حسين نصار :

مَا أَنْسَ لاَ أَنْسَ خَبَّازاً مَرَرْتُ بِهِ   يَدْحُو ٱلرُّقَاقَةَ وَشْكَ ٱللَّمْحِ بِٱلْبَصَرِ
مَا بَيْنَ رُؤْيَتِهَا فِي كَفِّهِ كُرَةً   وَبَيْنَ رُؤْيَتِهَا قَوْرَاءَ كَٱلْقَمَرِ
إِلاَّ بِمِقْدَارِ مَا تَنْدَاحُ دَائِرَةٌ   فِي صَفْحَةِ ٱلْمَاءِ تَرْمِي فِيهِ بِٱلْحَجَرِ

(141) أوهمت الشيء : إذا تركته كله.

(142) وَهِمْتُ فِي الحساب : غلطت فيه.

(143) وَهَمْتُ إلى الشيء : ذهب قلبي إليه.

(144) يصدف : يعدل عن.

(145) أَحْذَيْتُ : أعطيت.

(146) حَذَوْتُ الشرير : جلست بحذائه أو بجواره.

(147) حَذَا النبيذ لسانك : قرصه وأثر فيه.

ٱلنَّبِيذُ لِسَانَكَ فَلاَ تَشْرَبْهُ فَإِنَّهُ مَا يَحْذِيهِ إِلاَّ لأَمْرٍ يَنْطَوِي فِي حَذْيِهِ يَثْلِمُ ٱلدِّينَ وَيُؤْذِيهِ. وَإِذَا قَضَيْتَ ٱلشَّرْعَ مَا تَقَاضَاكَ بِٱلْفِعْلِ فَاجْهَدْ أَنْ تَكُونَ فِي ذَلِكَ كَأَنَّكَ حَذَوْتَ(148) ٱلنَّعْلَ بِٱلنَّعْلِ، فَإِنْ فَعَلْتَ فَلاَ غَرْوَ أَنْ يَحْمَدَ ٱللَّهُ ذَلِكَ ٱلْحَذْوَ، فَمَوْرِدُ ٱلإِحْسَانِ مِنْ رَبِّكَ عِدٌّ، وَفُنُونُ نِعَمِهِ لاَ يُسْتَطَاعُ لَهَا عَدٌّ، وَٱللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ إِذَا أَخْلَصَ ٱلْمَتَابَ وَتَيَقَّنَ مَا كَانَ فِيهِ ارْتَابَ مِنَ ٱلظَّمْآنِ ٱلْوَارِدِ، وَٱلْعَقِيمِ ٱلْوَالِدِ، وَٱلْمُضِلِّ ٱلْوَاجِدِ، وَقَدْ تَكَفَّلَ بِإِبَانَةِ سُبُلِهِ لِلْجَاهِدِ فِي ٱمْتِثَالِ أَمْرِهِ وَٱلْمُجَاهِدِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ. إِيهِ(149) يَا مَنْ أَفَاضَ فِي مَحَامِدِ مَنْ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلأُولَى وَٱلآخِرَةِ مُخْبِراً عَنْ فَيْضِ ٱلنِّعَمِ مِنْ بِحَارِهِ ٱلزَّاخِرَةِ، قُلْ بِجُهْدِكَ فِي ٱلتَّعْبِيرِ عَنْ فَضْلِهِ ٱلْكَبِيرِ فَمَا جِئْتَ بِحَصَاةٍ مِنْ ثَبِيرٍ وَلاَ وَفَيْتَ بِأَقَلِّ ٱلْقَلِيلِ مِنْ ذَلِكَ ٱلْمَنِّ ٱلْكَثِيرِ. فَسَلِ ٱللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَهُوَ لِسَائِلِهِ مُبَاحٌ، وَلاَ تُبَالِ بِتَقْصِيرِكَ فِي ٱلثَّنَاءِ عَلَيْهِ بَعْدَ ٱلإِجْتِهَادِ فَمَا عَلَى بَاذِلِ جُهْدِهِ جُنَاحٌ، وَتِلْكَ غَايَةٌ تَقْصُرُ عَنْهَا ٱلْخُطَا ٱلْفِسَاحُ، وَٱلأَلْسِنَةُ ٱلْفِصَاحُ، وَعِنْدَ ٱللَّهِ فِي مِثْلِهَا تَجَاوُزٌ وَسَمَاحٌ. وَايْهاً(150) يَا مَنْ شَغَلَ ٱلأَسْمَاعَ بِٱلثَّنَاءِ عَلَى بَعْضِ ٱلْمَخْلُوقِينَ إِشَادَةً بِذِكْرِهِ وَتَنْوِيهاً، مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرُ ٱلنَّاسِ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ ٱللَّهِ وَجِيهاً. وَاهاً(151) لَكَ إِنْ صَرَفْتَ وَجْهَكَ إِلَى وَجْهِ ٱلْكَرِيمِ فَقَبِلَكَ، وَوَيْهاً لَكَ لاَ تَجْعَلْ إِلَى غَيْرِهِ سُبُلَكَ فَتَضِلَّ ٱلطَّرِيقَ، وَتُحْرَمَ ٱلتَّوْفِيقَ وَتَعْدَمَ ٱلْمُسَايِرَ ٱلصَّالِحَ وَٱلرَّفِيقَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ. إِذَا رَأَيْتَ مُؤْمِنَيْنِ قَدْ خَلَصَا نَجِيّاً وَتَنَاشَرَا بَيْنَهُمَا سِرّاً مَطْوِيّاً، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ ثَلَّثْتَهُمَا خَرَجْتَ وَعَنْ سَنَنِ ٱلصَّوَابِ فِي أَنْ تَثْلِثَهُمَا خَرَجْتَ، فَدَعْهُمَا مَا تَسَارَّا وَإِلاَّ كُنْتَ آثِماً مُضَارّاً، وَثَلاَثَةٌ إِنْ رَبَعْتَهُمْ فَقَدْ أَجَدْتَ فِي أَنْ تَرْبَعَهُمْ وَتَعَرَّضْتَ لِثَوَابِ رَبِّكَ بِأَنْ تَتْبَعَهُمْ، عَالِمٌ يُعَلِّمُ مِمَّا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ، وَغَنِيٌّ يُوَاسِي ٱلْمُضْطَرِّينَ بِفَضْلِ مَا آتَاهُ، وَمُؤْمِنٌ خَفِيٌّ أَكَبَّ عَلَى مَا خَصَّهُ وَاقْتَصَرَ عَلَى مَا

---

(148) يضرب مثلا لتشابه الأشياء.

(149) إيه : اسم فعل أمر بمعنى الاستزادة.

(150) وايها : تستعمل للزجر أو للاغراء.

(151) واها : تستعمل للتعجب.

عَنَاهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ ٱلظَّلُومَ وَٱلنَّمُومَ وَٱلْحَقُودَ وَٱلْحَسُودَ لَشَرٌّ إِسْتَارٍ[152]، وَلَوْ كَانُوا بِهَذِهِ ٱلرَّذَائِلِ أُولِي اسْتِتَارٍ، فَإِنْ خَمَسْتَهُمْ مُوَالِياً فَنَاهِيكَ مِنِ ٱسْتِهْتَارٍ، مَا لَكَ تَخْمِسُ مَنْ يَخْطُرُ مُغْتَراً فِي هَذِهِ ٱلْمَلاَبِسِ وَيَمِيسُ فِي خُلْقَانِهَا مُزْوَرّاً عَنْ خُلُقِ ٱلْيَقُظِ[153] ٱلْمُمَارِسِ، دَعْهُمْ وَمَا ٱخْتَارُوا سَيَعْلَمُونَ أَيَّ نَبِيثٍ[154] أَثَارُوا، يَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ نَدَماً، وَيَقُولُ ٱلنَّمُومُ يَالَيْتَنِي لَمْ أَرُعْ بِنَمِيمَتِي مُسْلِماً، وَيَوَدُّ كِلاَ ٱلْبَاغِيَيْنِ : مِنْ ذِي ٱلْحِقْدِ وَذِي ٱلْحَسَدِ، لَوْ لَمْ [يَتَلَبَّسْ][155] رُوحُهُ بِٱلْجَسَدِ، وَلَوَدَّ إِذَا لَمْ يَدِنْ بِٱلْكَفِّ أَنَّهُ سَدَسَ أَوْ ثَمَنَ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ، وَإِنَّكَ إِنْ سَبَعْتَ[156] سِتَّةً أَشْرَاراً، فَكَأَنَّكَ سَبَعْتَ[157] صَالِحِينَ خِيَاراً، فَلاَ تَسْبَعِ ٱلصِّنْفَيْنِ عَلَى كِلاَ ٱلْمَعْنَيَيْنِ، وَإِنْ تَجَرَّدَ لَكَ ٱلْقَصْدُ ٱلأَوَّلُ فَإِيَّاكَ أَنْ تَسْدِسَ أَوْ تَثْمِنَ إِلاَّ مَنْ تَحْسُنُ بِكَ صُحْبَتُهُ وَتَجْمُلُ، وَإِنْ تَسِعْتَ قَوْماً فَلاَ تَحْتَمِلْ بِأَنْ تَتْسَعَهُمْ لَوْماً. تَخَيَّرْ مَنْ تُجَالِسُ وَٱلْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنَ ٱلْجَلِيسِ ٱلسَّوْءِ فَانْتَقِ مَنْ تَزِينُكَ مَعَهُ ٱلْمَجَالِسُ، ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ﴾[158]. فَمَنْ عَشَرَهُمْ فَلَيْسَ حِزْبُهُ يَوْمَ يَعْشُرُهُمُ ٱلْمُوَفَّقُونَ ٱلْمُفْلِحُونَ، فَاعْتَبِرْ يَوْمَكَ وَأَمْسَكَ، وَانْظُرْ بِمَنْ تَجْعَلُ أُنْسَكَ، وَصُنْ مَا اسْتَطَعْتَ عَنْ أَقْوَالِ ٱلنَّاسِ نَفْسَكَ، فَإِنَّمَا هِيَ جَنَّةُ ٱلنَّاكِلِ[159]، أَوْ نَارٌ مُسَعَّرَةٌ لِلآكِلِ. كَانَتِ ٱلْجَاهِلِيَّةُ تَسْتَبِيحُ أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ ظُلْماً وَهَضْماً، وَيَأْكُلُونَهَا خَضْماً وَقَضْماً، وَيَجْعَلُونَ اسْتِبَاحَتَهَا أَجْنَاساً، فَإِلاَّ يَكُونُوا ثَلَثُوا نَاساً فَقَدْ رَبَعُوا نَاساً، يَرْبَعُونَ أَوْ يَثْلِثُونَ إِنَّمَا يَنْقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ وَيَنْكُثُونَ وَفِي نَارِ ٱللَّهِ ٱلْحَامِيَةِ يَمْكُثُونَ، يَا سُوءَ

---

(152) إستار : أربعة.

(153) اليَقُظ : بضم القاف مثل اليقظ بكسرها أي المستيقظ الحذر.

(154) النبيث : ما استخرج من تراب البئر.

(155) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 103.

(156) سبعت : العدد أي أصبحت سابعهم.

(157) سبعت : أفترست وأكلت.

(158) الآية 48 من سورة النمل.

(159) الناكل : الجبان والمنصرف عن الشيء، وهنا عن المحرمات.

مَا عَلَيْهِ يَنْزِلُونَ وَوَيْلٌ لَهُمْ إِذَا ثُوِبَ[160] ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. وَنَسَخَ ٱللَّهُ ذَلِكَ كُلَّهُ بِٱلْمُصْطَفَى ٱلْمُخْتَارِ، فَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالٌ لِلنَّاسِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ بَذْلَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَكَارِمِ عَلَى حَدِّ ٱلإِخْتِيَارِ، فَمَنْ سَدَسَ ٱلْيَوْمَ أَوْ ثَمَنَ أَخَذَتْهُ ٱلأَحْكَامُ بِمَا تَخَوَّنَ وَاحْتَجَنَ[161]، وَأَصْبَحَ كُلُّ ذِي حَقٍّ بِحَقِّهِ أَوْلَى فَشُكْراً لِرَبِّنَا ٱلْعَزِيزِ ٱلْمَوْلَى، وَيَا مَنْ تَسَعَ قَبْلُ أَوْ سَبَعَ إِنَّ ٱلإِيمَانَ ٱلَّذِي يُؤْكِلُ أَهْلِيهِ فِي مِعًى وَاحِدٍ[162] قَدْ حَمَاكَ أَنْ تَشْبَعَ فَحَذَارِ أَنْ تَتْسَعَ أَوْ تَسْبَعَ، نَعَمْ فَرَضَ ٱللَّهُ فِي ٱلْمَغَانِمِ ٱلْخُمُسَ، فَمَنْ خَمَسَهَا مِنْ أَمِيرٍ فَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يَخْمُسَ، وَجَعَلَ فِي أَمْوَالِ ٱلْقَادِمِينَ عَلَيْنَا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ ٱلْعُشْرَ، فَمَنْ عَشَرَهُمْ بِحَقِّهِ فَلاَ نُكْرَ أَنْ يَعْشُرَ، يَا عَجَباً لِلرَّهْطِ أَعْشَرُوا فَأَنِسُوا بِذَلِكَ وَاسْتَبْشَرُوا، يَفْرَحُونَ أَنْ تَكْثُرَ مِنْهُمُ ٱلأَعْدَادُ وَلاَ يُبَالُونَ أَنْ يُقَصِّرَ مِنْهُمْ لِلآخِرَةِ ٱلإِعْدَادُ. سِيَّانِ يَا هَؤُلاَءِ أَعْشَرْتُمْ أَوْ أَثْلَثْتُمْ إِذَا تَأَخَّرْتُمْ عَنْ طَاعَةِ ٱللَّهِ وَتَأَبَّيْتُمْ، وَأَخْمِسُوا إِنْ شِئْتُمْ أَوْ أَسْدِسُوا، وَأَرْبِعُوا أَوْ أَسْبِعُوا أَوْ اِثْمِنُوا أَوِ اتْسِعُوا، واسْتَضِيفُوا إِلَى مَآئِكُمْ[163] ٱلآفَ هَذِهِ ٱلآحَادِ وَأَضْعَافَ هَذِهِ ٱلأَعْدَادِ وَاجْمَعُوا، لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَسَاوَتْ وَاحِدَكُمْ مِئَتُكُمْ. إِنَّ ٱلْمِائَةَ حَادَتْ عَنِ ٱلْجَادَّةِ فَعَثَرَتْ وَلَرُبَّمَا فَازَ ٱلْوَاحِدُ دُونَهَا بِٱلنَّعِيمِ إِنِ اسْتَمَرَّ عَلَى ٱلصِّرَاطِ ٱلْمُسْتَقِيمِ وَتَقَلَّلَ مِنْ هَذِهِ ٱلدَّارِ ٱلَّتِي هِيَ غَائِلَةُ ٱلْمُسَافِرِ وَٱلْمُقِيمِ، فَلاَ يُلْهِيَنَّكُمْ عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلتَّكَاثُرُ، وَاسْمَعُوا مَا أَثُرَ: إِذَا أَمْأَيْتَ[164] يَا أَخِي ٱلدَّرَاهِمَ هَلْ يَدْفَعُ ذَلِكَ عَنْكَ ٱلْمَوْتَ ٱلدَّاهِمَ، وَإِنْ أَنْتَ آلَفْتَهَا[165] فَهَلْ تَنَكَّبْتَ سَبِيلَ ٱلْمَنَايَا أَوْ خَالَفْتَهَا، وَمَا جَدْوَاهَا إِنْ آلَفَتْ أَوْ أَمْأَتْ[166] هِيَ، فَهَلْ لَكَ يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ وَعَدْوَاهَا أَنْ تَنْتَهِيَ، مَا تُغْنِي ٱلْمِائَةُ

(160) ثوب : نال جزاءه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾.

(161) احتجن : اقتطع وسرق.

(162) تقدم شرحها في الصفحة : 5.

(163) مآئكم : مئاتكم.

(164) أمأيت : جعلتها مائة.

(165) آلفتها : جعلتها ألفا.

(166) آلفت أو أمأت : صارت ألفا أو مئة.

وَٱلأَلْف وَلاَ يَجُوزُ عَلَى رَبِّكَ فِي وَعْدِهِ ٱلْخُلْف، أَمَا وَٱللَّهِ لَتَمُوتَنَّ سَرِيعاً وَلَتُحَاسَبَنَّ بَيْنَ يَدَيْ أَسْرَعِ ٱلْحَاسِبِينَ جَمِيعاً، إِنَّمَا نَجَاتُكَ إِنْ كَانَتْ فِي جَمِيلِ مَا عَامَلَتْ بِهِ نَفْسُكَ خَالِقَهَا وَدَانَتْ، فَإِنَّهَا كَمَا تَدِينُ تُدَانُ يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ ٱلأَقْرَبُونَ وَٱلأَخْدَانُ، فَأَنْفِقْ مَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تُنْفِقَ، وَعُدْ بِٱلطَّوْلِ[167] عَلَى عِبَادِ ٱللَّهِ تَكُنِ ٱلْبَرَّ ٱلْمُشْفِقَ، وَسَلِ ٱللَّهَ تَوْفِيقَهُ وَإِرْشَادَهُ عَسَاهُ أَنْ يُرْشِدَ وَيُوَفِّقَ، وَوَجِّهْ إِلَى وَجْهِ ٱلْكَرِيمِ مَسَاعِيَكَ رَجَاءَ أَنْ لاَ تُخْفِقَ، وَلاَ يَغْتَرَّ امْرُؤٌ بِأَنْ طَالَ فِي هَذِهِ ٱلدَّارِ نُظَرَاءَهُ فَإِنَّمَا يَطُولُ فِي ٱلْحَقِيقَةِ أَنْ أَخْلَصَ [لِخِدْمَةِ][168] مَوْلاَهِ ٱلْحَقِّ سَرَائِرَهُ وَآرَاءَهُ، وَلَيَسْتَضِيقَنَّ ٱلطُّولَ وَٱلْعَرْضَ إِنِ ٱللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَرْضَ، فَيَا مَنْ جَهَرَ بِمَعَاصِي ٱللَّهِ كُلَّ ٱلجَهْرِ لاَ أُكَلِّمُكَ طَوَالَ ٱلدَّهْرِ، إِلاَّ أَنْ تُنِيبَ إِلَى خَالِقِكَ، وَتُصْلِحَ مِنْ أَخْلاَقِكَ وَطَرَائِقِكَ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ جَهَدْتُ ٱلْجُهْدَ فِي أَنْ أَحْفَظَ لَكَ مَا حَيِينَا ٱلْعَهْدَ، وَإِنْ أَنْسَأَتْنِي بَعْدَكَ ٱلأَحْوَالَ لَمْ يَلْحَقْنِي فِي حِفْظِ عَهْدِكَ ٱلْمَلاَلُ بَلْ أَرْعَاهُ سِرّاً وَجَهْراً، وَأُنْشِدُ رَبْعَكَ إِنْ مَرَرْنَا عَلَيْهِ سَفْراً مُحْتَمِلاً فِيكَ قَلْباً مُكْتَئِباً وَعَيْناً عَبْرَى:

إِنَّا مُحَيُّوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا ٱلطَّلَـلُ ... وَإِنْ بَلِيتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ ٱلطِّيَلُ[169]

[البسيط]

وَمَنْ لِي بَعْدَكَ بِٱلْبَقَاءِ، وَإِنْ بَقِيتُ فَإِلَى أَمَدٍ لاَ تَدِينُ ٱلأَيَّامُ بَعْدَهُ بِالإِلْتِقَاءِ، وَإِلَى ٱلْمَوْتِ مَصِيرُ ٱلأَحْرَارِ وَٱلأَرِقَّاءِ:

لَعَمْرُكَ إِنَّ ٱلْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ ٱلْفَتَى ... لَكَالطِّوَلِ ٱلْمُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِٱلْيَدِ[170]

[الطويل]

(167) بالطول: بالفضل.

(168) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة: 104.

(169) البيت للشاعر القطامي واسمه عمير بن شييم التغلبي، شاعر إسلامي نشر شعره إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب. والبيت من شواهد الفصيح: الطيل والطول من معانيها العمر والغيبة والأمد.

(170) البيت لطرفة بن العبد في معلقته. انظر ديوانه، ص 53، تحقيق علي الجندي. والشاهد في البيت لفظ: الطول: الحبل.

رُبَّ طُوَالٍ بَخِلَ بِمَا اسْتُنِيلَ مِنْ نَوَالٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ ٱلْمُوَكَّلِينَ مِنَ ٱلنَّاسِ بِإِحْصَاءِ ٱلسَّقَطَاتِ أَقْصَرَ مِنْ إِبْهَامِ ٱلْقَطَاةِ، وَقَصِيرٍ سَمَحَ بِمَا أُوتِيَ مِنْ يَسِيرٍ فَاعْتُقِدَ بِمَا يُؤْثِرُهُ مِنَ ٱلْحَسَنَاتِ أَطْوَلَ مِنْ ظِلِّ ٱلْقَنَاةِ، تُنْشِدُ عَنْهُ أَفْعَالُهُ ٱلْمَلْذُوذَةُ ٱلْجَنَاةِ[171] :

فَإِلاَّ يَكُنْ جِسْمِي طَوِيلاً فَإِنَّنِي ... لَهُ بِٱلْفِعَالِ ٱلصَّالِحَاتِ وَصُولُ[172]
إِذَا كُنْتُ فِي ٱلْقَوْمِ ٱلطِّوَالِ فَضَلْتُهُمْ ... بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ

[الطويل]

إِنَّ ٱللَّهَ شَرَعَ[173] لَنَا دِيناً قَيِّماً وَشَرِيعَةً لاَيَزَالُ مُمْتَثِلُ أَمْرِهَا وَوَارِدُ غَمْرِهَا بِغِنَاءِ ٱلسَّعَادَةِ مُخَيِّماً، فَأَشْرَعَ[174] قَوْمٌ إِلَى طَرِيقِهَا ٱلْمُسْعِدَةِ أَبْوَابَ قَبُولِهِمْ فَوُفِّقُوا فِي ٱلإِشْرَاعِ، وَأَسْرَعَ قَوْمٌ إِلَى تَبْطِئَتِهِمْ عَنْ ذَلِكَ وَتَخْطِئَتِهِمْ فِي انْتِهَاجِ تِلْكَ ٱلْمَسَالِكِ فَأَشْرَعَ[175] ٱلشَّرْعُ إِلَيْهِمْ رُمْحَ ٱلْمُعَاقَبَةِ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ ٱلإِسْرَاعِ. قُلْ لِرَاكِبِ ٱلْيَهْمَاءِ مُمْتَطِياً ظُهُورَ ٱلظَّمَاءِ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلشَّهْبَاءِ، إِضْرَعْ إِلَى خَالِقِ ٱلأَشْيَاءِ وَرَازِقِ ٱلأَحْيَاءِ، فَرُبَّمَا أَرْسَلَ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ وَابِلَ ٱلسَّمَاءِ فَشَرَعَتْ[176] دَوَابُّكَ بِلُطْفِهِ فِي مَعِينِ ٱلْمَاءِ، وَلاَ تُنْكِرْ أَنْ تَشْرَعَ إِذَا لَمْ تَأْلُ أَنْ تَخْضَعَ لَهُ وَتَضْرَعَ، فَهُوَ ٱلَّذِي يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ[177]، وَيُيَسِّرُ لِمَرَاكِبِكَ

---

(171) الجناة : كل ما يجتني.

(172) ينسب البيتان لرجل من فزارة قيل هو مبشر بن هذيل الفزاري والبيتان في حماسة أبي تمام والرواية فيها :

إِلاَّ يَكُنْ عَظْمِي صَغِيراً فَإِنَّنِي ... لَهُ بِٱلْخِلاَلِ ٱلصَّالِحَاتِ وَصُولُ
وَلاَ خَيْرَ فِي حُسْنِ ٱلْجُسُومِ وَنُبْلِهَا ... إِذَا لَمْ يَزِنْ حُسْنَ ٱلْجُسُومِ عُقُولُ
إِذَا كُنْتُ فِي ٱلْقَوْمِ ٱلطِّوَالِ عَلَوْتُهُمْ ... بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ

انظر الحماسة، ص 350، تحقيق : عبد المنعم أحمد صالح.

(173) شرع : سن شريعة.

(174) أشرع الباب : فتحه.

(175) أشرع الرمح : وجهه قبله.

(176) شرعت الدواب : وردت.

(177) الآية 6 من سورة النمل : ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه..﴾.

ٱلشُّروعَ فِي ٱلْقَفْرِ ٱلَّذِي جَفَّ مَاؤُهُ وَصَوَّحَ[178] مَرْعَاهُ، وَمَخْلُوقَاتُ رَبِّكَ فِي مُقْتَضَيَاتِ لَطَفِهِ ٱلْعَاجِلِ شَرَعٌ[179] سَوَاءٌ، وَسِيَّانِ اعْوِجَاجٌ مِنْهُمْ وَاسْتِوَاءٌ، لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ. وَكُلٌّ بِأَثَرِ رَحْمَةِ ٱللَّهِ مَوْسُومٌ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّكَ فَشَرْعُكَ[180] مِنْ رَجُلٍ مَنْ لَمْ يَزَلْ مِنَ ٱللَّهِ وَعِقَابِهِ عَلَى وَجَلٍ، أَعَدَّ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يُعِدَّ، فَوَرَدَ مِنْ جَمِيلِ مُجَازَاتِهِ ٱلْمَوْرِدَ ٱلْعِدَّ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[181].

---

(178) صوح : يبس وجف.

(179) شرع سواء : متماثلون.

(180) شرعك : حسبك.

(181) الآية 40 من سورة النساء.

12 ـ بَابُ مَا جَاءَ وَصْفاً مِنَ ٱلْمَصَادِرِ

إِنَّ ٱلدَّهْرَ خَصْمٌ[1] أَلْوَى، وَٱلشَّهْوَةُ خَصْمُ عَقْلِكَ فِيمَا تَهْوَى، وَهَلِ ٱلْيَوْمُ وَٱللَّيْلَةُ إِلاَّ خَصْمٌ لَكَ فِي آمَالِكَ فَاجْهَدْ أَنْ تَفْلُجَ[2] عَلَيْهَا [بِسَعَادَةٍ][3] مَآلِكَ، ٱلأَيَّامُ كُلُّهَا لَكَ خَصْمٌ تَنْفَهِقُ[4] مِنْ نَوَائِبِهَا خُصَمٌ كُلَّمَا سُدَّ خُصْمٌ[5]، فَالْزَمْ يَا هَذَا شَأْنَكَ وَاعْرِفْ حَقِيقَةَ عِرْفَانِ زَمَانِكَ وَلاَيَزَالُ ٱلْمُؤْمِنُ فِي هَذِهِ ٱلدَّارِ دَنَفاً[6] بِخُطُوبٍ جَمَعَتْ عَلَيْهِ حَاضِراً مِنْ شَرِّهَا وَمُؤْتَنَفاً، وَرُبَّ امْرَأَيْنِ دَنَفٍ وَبَيْنَ غَرَضَيْهِمَا عَرْضُ نَفْنَفٍ[7]، وَٱلأَمْرَاضُ تُصِيبُ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ٱلْبَرَّ وَٱلْفَاجِرَ، وَتَعُمُّ ٱلْعَوَاقِبَ[8] وَٱلْمَحَاجِرَ[9] وَمَعَ أَنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلنَّاسِ دَنَفٌ فَكُلُّهُمْ بِوِقَايَةِ ٱللَّهِ مُكْتَنَفٌ، إِلاَّ أَنَّ ٱلْمَرْأَةَ إِنْ أَصْبَحَتْ دَنَفاً أَوْلَى صَاحِبُهَا ٱلِاسْتِينَاسَ جَنَفاً، حَتَّى إِذَا آنَسَ مِنْ شَكَاتِهَا ٱلأَمَانَ عَاوَدَ أُنْسَهُ كَمَا كَانَ، وَضَاهَتْ أَجْزَاءُ حَالِهِ بِحُسْنِ انْتِظَامِهَا ٱلْجُمَانَ، وَإِنَّ ٱلنِّسْوَةَ ٱلدَّنَفَ لَيُضْجِرُ تَمْرِيضُهُنَّ ٱلأَحْنَفَ، لاَسِيَّمَا إِنْ مَرَّضَ ٱلدَّنِفُ دَنِفَةً وَقَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلأَمْرَاضَ لِلصَّابِرِ مُضْجِرَةً وَلِلْمُحْتَمِلِ مُعَنِّفَةً

(1) جاء في فصيح ثعلب، ص 288 : «نقول و خَصْمٌ وهي خَصْمُ وهي خَصْمٌ للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث على حال واحدة» واستعمل أبو الربيع سائر هذه الأوجه في هذه الفقرة، مع العلم أن لفظ خصم يثنى خصمان ويجمع خصوم.

(2) تفلج : تفوز.

(3) زيادة من الهامش، الورقة : 105.

(4) تنفهق : تتسع.

(5) خُصْم : بضم الخاء الجانب والطرف من الشيء.

(6) دنف : الذي نهكه المرض.

(7) نفنف : ما بين السماء والأرض.

(8) العواقب : الإبل.

(9) المحاجر : الحدائق.

وَٱلْمُؤْمِنُ فِي أَمْثَالِهَا حرىً بِٱلصَّبْرِ فَإِمَّا إِلَى ٱلْبُرْءِ وَإِمَّا إِلَى ٱلْقَبْرِ. فَمَا كُنْتَ صَانِعاً لِهَذِهِ ٱلْغَايَةِ فَاصْنَعْهُ فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَتَى يَنْزِلُ بِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَإِذَا نَزَلَ لَمْ يَعُقْهُ عَائِقٌ وَلَمْ يَمْنَعْهُ وَإِنْ تَهَجَّدْتَ لِرَبِّكَ مِنَ ٱللَّيْلِ فَقَدْ تَعَرَّضْتَ لِجَزِيلِ ٱلنَّيْلِ، وَإِنْ تَقْنُتْ لَهُ بِسَحَرٍ فَأَنْتَ بِجَمِيلِ جَزَائِهِ حَرٍ[10]، إِنَّ ٱلإِحْسَانَ بِٱلإِحْسَانِ قَمَنٌ[11]، وَلِكُلِّ صَالِحَةٍ عِنْدَ ٱللَّهِ ثَمَنٌ، وَلاَ يُسْرِفُ ٱلْمُؤْمِنُ فِي طُمَأْنِينَتِهِ وَأُنْسِهِ فَيَظُنَّ ذَلِكَ وَاجِباً عَلَى ٱللَّهِ أَلاَ إِنَّ فَضْلَهُ أَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ. وَيْلُ ٱلإِنْسَانِ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ ٱللَّهُ لَهُ وَبُرُودُ ٱلأَعْمَالِ إِنْ لَمْ يُكَثِّفْهَا قَبُولُهُ مُهَلْهَلَه، مَا أَحَدٌ مِنَ ٱلذَّنْبِ عَرِيّاً، وَلَيْسَ خُلُقٌ بِٱلإِحْسَانِ حَرِيّاً، إِنَّمَا هُوَ فَضْلُ ٱللَّهِ يَسْبِلُهُ حَيْثُ شَاءَ سَحّاً وَيُرْسِلُهُ فِي ٱلْمَوَاقِفِ ٱلْمُسْتَصْعَبَةِ سَهْلاً سَمْحاً، وَٱلدُّعَاءُ مِنْ أَفْضَلِ ٱلْوَسَائِلِ وَأَوْلاَهَا عِنْدَ ٱلْكَرِيمِ ٱلْمَسْؤُولِ بِإِسْعَافِ ٱلْوَسَائِلِ، وَإِنَّ ٱلْمُؤْمِنَيْنِ أَحَدُهُمَا دَاعٍ وَٱلآخَرُ مُؤَمِّنٌ كِلاَهُمَا بِإِجَابَةِ مَوْلاَهُمَا قَمِنٌ، وَلاَ تَعْجَبْ أَنَّهُمَا بِٱلإِجَابَةِ قَمِنَانِ إِذْ يَدْعُوَانِ أَوْ يُؤَمِّنَانِ، فَقَدْ سَبَقَ ٱلْوَعْدُ بِإِجَابَةِ ٱلدَّاعِينَ، وَشَهِدَتْ دَلاَئِلُ ٱلْوُجُودِ بِعَادَةٍ لِذِي ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدِ أَنْ يُنْجِدَ ٱلْمُسْتَنْجِدَ وَيُعِينَ ٱلْمُسْتَعِينَ، فَعَلَى هَذَا ٱلْحَدِّ يَصْدُقُ أَنَّ ٱلدَّاعِينَ بِٱلإِجَابَةِ حَرَّى وَلاَ تُبْقِي ٱلْمَغْفِرَةُ فِي صَدْرِ مُخْلِصٍ وَحَراً[12]، فَإِنْ أَلَمَّ زَوْرُهَا بِفِنَائِكَ فَذَلِكَ أَسْعَدُ آنَائِكَ، وَرُبَّمَا نَزَلَ عَلَيْكَ ٱلْعَفْوُ وَٱلإِحْسَانُ زَوْراً[13] فَغَشَّيَاكَ نُوراً، وَأَجْنَيَاكَ نَوْراً[14]، أَهُمَا خَيْرٌ أَمْ زَوْرٌ أَمُّوكَ يَسُومُونَكَ جَوْراً وَيَهْبِطُونَ بِكَ غَوْراً، فَاشْكُرْ لِمَوْلاَكَ سَابِغَ إِنْعَامِهِ ٱلَّذِي لاَ يُفِيقُ[15] لَهُ قَطْرٌ وَأَنْتَ وَكُلُّ ٱلنَّاسِ بِهِ فِطْرٌ[16]، وَإِنْ غَدَوْتَ عَنِ ٱلْحَرَامِ صَوْماً[17] فَطِبْ نَفْساً وَطِبْ نَوْماً، وَمِثْلُكَ

---

(10) حر : حَرَى، وحَرٍ، وحَرِيّ : خليق.

(11) قمن : وقمن وقمين : جدير، وخليق.

(12) الوحر : الغيظ والحقد وبلابل الصدر ووساوسه.

(13) زورا : زائرا.

(14) نَوْراً : نوارا، زهورا.

(15) يفيق : أفاقت الناقة تفيق : إذا أرسلت درتها، وفيقتها هي ما رجع إلى ضرعها من لبن بعد حلبها.

(16) فطر : مفطر.

(17) صوما : صائما.

يَا هَذَا قَوْمٌ غَدَوْا وَهُمْ عَنْ مِثْلِهِ صَوْمٌ مَا فَعَلُوهُ إلاَّ وَلِلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ سِتْرِهِ سَدْلٌ وَبُشْرَى لَهُمْ إنْ قَبِلُوهُ فَهُمْ رِضىً[18] وَهُمْ عَدْلٌ، وَكَذَلِكَ أَنْتَ عَدْلٌ رِضىً إنْ لَمْ تَكُنْ لِخِلاَفِهِمْ مُتَعَرِّضاً، أَلاَ إنَّمَا ٱلصِّحَّةُ وَٱلشَّبَابُ ضَيْفٌ تَنصَرِمُ مِنْ كِلَيْهِمَا ٱلأَسْبَابُ، وَٱلْمَرْءُ فِي ٱلدُّنْيَا ضَيْفٌ بَلْ كَأَنَّهُ فِيهَا طَيْفٌ، لَيْسَ لَهُ مِنْ حُطَامِهَا إلاَّ مَا بِهِ أَنْعَمَ، وَلاَ مِنْ طَعَامِهَا إلاَّ مَا طَعِمَ أَوْ أَطْعَمَ، فَإنْ نَزَلَ بِكَ جِلَّةُ قَوْمِكَ ضَيْفاً فَمِنَ ٱلْعَدْلِ أَنْ تَحِيفَ[19] عَلَى جَزَرَاتِ مَالِكَ حَيْفاً، ٱلْجِلَّةُ[20] مَبْذُولَةٌ لِلْجِلَّةِ[21]، وَفِي حَوَاشِي[22] ٱلْمَالِ ٱلْحَوَاشِي[23]، ٱلرِّجَالُ مَتَاعٌ لاَ يُنْسَبُ إلَى ٱلْقِلَّةِ، لأَنْ يَنْصَرِفَ ٱلضِّيفَانُ يُثْنُونَ بِمَا حَمَلَتِ ٱلْجِفَانُ خَيْرٌ مِنْ قَوْلِ ٱللَّفِيفِ[24] فُلاَنٌ لاَ يُحْسِنُ قِرَى ٱلضُّيُوفِ وَٱلْسِنَةُ ٱلشَّاكِرِينَ مِنَ ٱلأَضْيَافِ نِعْمَ ٱلتُّرْجُمَانُ عَنْ خُلُقِ ٱلأَشْرَافِ، وَقَدْ تَكُونُ ٱلْمَرْأَةُ ضَيْفاً فَيَقْصُرُ عَنِ ٱسْتِقْلاَلِهَا بِٱلشُّكْرِ ٱلرِّجَالُ، وَلاَ يَضِيقُ بِهَا فِي ٱلثَّنَاءِ ٱلْمَجَالُ وَلَيْسَ حُسْنُ ٱلإدْرَاكِ مِمَّا يَخْتَصُّ بِهِ ٱلذُّكُورُ بَلْ مَنْ شَاءَ ٱللَّهُ لَهُ أَنْ يَكُونَ شَكُوراً فَهُوَ شَكُورٌ. مَاءُ ٱلْمَكَارِمِ رَوَاءٌ وَمَا أَفْئِدَةُ ٱلْبَاخِلِينَ إلاَّ هَوَاءٌ، فَإنْ تَوَخَّيْتَ بِمَائِكَ ٱلرِّوَى[25] لأُولِي ٱلْخَلَّةِ إرْوَاءاً حَتَّى يَظَلَّ ٱلْقَوْمُ رِوَاءاً فَقَدْ بَهَرَ بَهَاؤُكَ وَتَظَاهَرَ خَبَرُكَ وَرُوَاؤُكَ، وَلاَ تَفْعَلْ ذَلِكَ رِئَاءَ[26] ٱلنَّاسِ فَبِئْسَ رَأْيُ ٱلْعَاجِزِينَ وَٱلأَكْيَاسِ، إنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ قَعَدُوا رِئَاءاً[27] يَرْقُبُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ تَقْصِيراً أَوْ إعْيَاءاً، وَإنَّ ٱلْمُغْنِيَ فِي ٱلْخَيْرِ لاَ يَجِدُ مِنْ

---

(18) في الأصل رضا، الورقة : 106.

(19) تحيف : من تحيف ماله إذا أخذ من أطرافه ونقصه.

(20) الجلة : المسان من الإبل وكبارها.

(21) الجلة : كبار القوم ومشايخهم.

(22) حواشي المال : جوانبه.

(23) الحواشي : جمع حاشية وهي الصغيرة من الإبل.

(24) اللفيف : القوم يجتمعون من قبائل شتى.

(25) الروى : الغزير الذي يروي الواردين.

(26) رئاء : مراءة.

(27) رئاءا : مفردها رَءَّاءٌ : الرجل الكثير الرؤية.

ذَمِّهِمْ لَجَاءاً، فَكَيْفَ يُعَلِّقُ ٱلْمُقَصِّرُ بِٱلنَّجَاةِ رَجَاءاً. بُيُوتُ ٱلْقَوْمِ رِئَاءٌ[28] فَهَلْ قُلُوبُهُمْ فِي تَعَاطِي ٱلصَّفَاءِ سَوَاءٌ، هَيْهَاتَ هَذِهِ مِنْ رُؤَى ٱلْمَنَامِ ٱلْمَعْدُودَةِ فِي أَضْغَاثِ ٱلأَحْلاَمِ. أَيْنَ ٱلْمُتَنَاصِفُونَ فِي صَوْنِ ٱلأَعْرَاضِ ؟ أَيْنَ ٱلْمُتَوَاصِفُونَ مَا يَنْطَوُونَ عَلَيْهِ مِنْ سَلاَمَةِ ٱلأَغْرَاضِ :

قَدْ صَرَّحَ ٱلدَّهْرُ لِي بِٱلْمَنْعِ وَٱلْيَأْسِ ... لِمَنْ أُخَاطِبُ مَا لِي أَيْنَ يُذْهَبُ بِي
كَأَنَّنِي جَاهِلٌ بِٱلدَّهْرِ وَٱلنَّاسِ[29] ... أَبْغِي ٱلْوَفَاءَ بِدَهْرٍ لاَ وَفَاءَ بِهِ

[البسيط]

يَا مَنْ دَلَعَ[30] لِسَانُهُ فِي ٱلأَعْرَاضِ فَدَلَعَ، وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ ٱلنَّصَائِحُ فَمَا أَقْلَعَ، لَعَمْرِي لَوْ شَحَا[31] فُوكَ بِذَمِّ مَنْ يَجْفُوكَ لَمَا كُنْتَ حِينَ شَحَوْتَهُ بِذَلِكَ مَعْذُوراً، وَلَئِنْ فَغَرَ عَدُوُّكَ فَاهُ مُسْتَوْعِباً مِنَ ٱلتَّنَقُّصِ أَوْ فَاهُ لَكَانَ ٱلْكَفُّ أَجْمَلَ ظَاهِراً وَأَعَزَّ ظَهِيراً، إِنَّ أَمْرَأً فَغَرَ بِٱلْقَبِيحِ فُوهُ لأَمْقَتُ مَوْصُوفٍ عِنْدَ ٱلنَّاسِ إِنْ وَصَفُوهُ فَأَنْصَفُوهُ، فَذَرْ هَذَا يَا هَذَا وَدَعْهُ، وَازْجُرْ لِسَانَكَ عَنْ هَذِهِ ٱلْمَآخِذِ وَارْدَعْهُ، وَلاَ تَعْتَلَّ مُخَادِعاً بِأَنَّهُ لاَ يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ وَذَرْتُ وَلاَ وَدَعْتُ، وَمَا أَنَا وَاذِراً وَلاَ وَادِعاً فَإِنِّي إِنَّمَا أَطْلُبُكَ أَنْ تَصْدَعَ بِٱلْمَعْنَى وَإِنْ لَمْ تَكُنْ بِٱللَّفْظِ صَادِعاً، وَلَكَ فِي ٱلتَّرْكِ وَمَا اشْتُقَّ مِنْهُ مَنْدُوحَةٌ عَنِ ٱللَّفْظِ ٱلَّذِي رُسِمَ لَكَ أَنْ تَحِيدَ عَنْهُ فَقُلْ لِي : تَرَكْتُ وَأَنَا تَارِكٌ، وَنَهَجْتَ لِي مَسْلَكاً فَأَنَا لَهُ سَالِكٌ، وَإِنَّهُ لَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَذَرَ كُلَّ مَا أَكَّدَ ٱلشَّرْعُ مِنْهُ ٱلْحَذَرَ، وَمَالَكَ لاَ تَدَعُ مَا يُعِيدُ ٱلأَنْفَ ٱلأَشَمَّ وَهُوَ أَجْدَعُ، إِنَّ فَاعِلَ ذَلِكَ لَمُلِيمٌ، وَإِنَّ ٱلسَّمْحَ بِهِ لَلَئِيمٌ ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[32].

---

(28) رئاء : يقابل بعضها بعضا.

(29) لم أعثر على قائلهما.

(30) دلع : أخرج لسانه.

(31) شحا : انفتح.

(32) الآية 12 من سورة الحجرات.

13 ـ بَابُ ٱلْمَفْتُوحِ أَوَّلُهُ مِنَ ٱلأَسْمَاء

يَا أَيُّهَا ٱلإِنْسَانُ ٱلَّذِي عَمَلُهُ ٱلإِسَاءَةُ وَأَمَلُهُ ٱلإِحْسَانُ، إِنَّكَ مُرْتَهَنٌ بِعَمَلِكَ فَاجْعَلْ فَكَاكَ ٱلرَّهْنِ قِصَرَ أَمَلِكَ وَمُجَازًى بِمُضْمَرِكَ فَاجْعَلْ إِصْلاَحَهُ فَائِدَةَ عُمُرِكَ، إِنَّكَ لاَ تَظْفَرُ مِنَ ٱلشَّوْكِ بِجَنَى[1] ٱلْعِنَبِ وَلاَ يَفِي بِتَعْفِيَةِ ٱلأَثَرِ مِمَّا تَحْمِلُهُ ٱلسَّرِيرَةُ ٱلْخَبِيثَةُ مِنَ ٱلدَّفَرِ[2] فَائِقُ ٱلْمِسْكِ وَٱلْعَنْبَرِ، فَضْلاً عَنْ وَرَقِ ٱلْغَارِ وَحَبِّ ٱلْمَحْلَبِ[3]، لَيْسَ إِلاَّ ٱلْجِدُّ فِي ٱلطَّلَبِ وَحُسْنُ ٱلإِعْدَادِ لِلْمُنْقَلَبِ وَتَطْهِيرُ ٱلْقَلْبِ مِنْ مَذْمُومِ ٱلتَّقَلُّبِ، فَجِدَّ يَا هَذَا عَسَى، وَلاَ تَسِرْ فِي طُرُقِ ٱلصَّلاَحِ سَيْرَ مَنْ يَشْكُو عِرْقَ ٱلنَّسَا. إِنَّ ٱلأَيَّامَ بِكَ سَائِرَةٌ وَرَحَى[4] ٱلْمَنُونِ عَلَيْكَ دَائِرَةٌ، فَاغْتَنِمْ مَا سَاعَدَكَ رَخَاءُ ٱلْعَيْشِ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَوْلَى بِكَ مِنَ ٱلتَّوَانِي [فِي عَمَلِ ٱلآخِرَةِ][5] ٱلتَّشْمِيرُ ٱلشَّبِيهُ بِٱلطَّيْشِ، هَلْ لَكَ مَحِيدٌ عَنْ يَوْمِ ٱلْقِصَاصِ فَأَعِدَّ لِلنَّجَاةِ مِنْ نَارٍ يَذُوبُ صَالِيهَا ذَوْبَ ٱلرَّصَاصِ، أَصِخْ سَمْعاً إِلَى ٱلنَّبَأَةِ وَلاَ يُلْهِيَنْكَ صَدَاقُ ٱلْمَرْأَةِ تَنْظُرُ مِنْ أَيْنَ تُؤَدِّيهِ وَتَرْتَئِي لإِفْرَاطِ ٱلْفَرَاغِ هَلْ يُقَالُ صَدُقَةٌ وَصُدْقَةٌ فِيهِ. وَيْحَكَ مَا يُجْدِيكَ كَيْفَ يُقَالُ وَقَدْ آدَتْ ظَهْرَكَ ٱلذُّنُوبُ ٱلثِّقَالُ وَأَسْلَمَكَ ٱلْوَخْدُ[6] وَٱلإِرْقَالُ[7]، فَهَلْ عَثَرَاتُكَ تُقَالُ، ٱلْمَوْتُ نَازِلٌ بِرَغْمِ ٱلأَنْفِ عَلَى ذِي ٱلتَّاجِ

---

(1) في الأصل جنا، الورقة : 107.

(2) الدفر : قوة وذكاء الرائحة طيبة كانت أو خبيثة.

(3) حب المحلب : شجر صغير يسمى العُتُم يستعمل حبه في الأدوية والطيب لذكاء رائحته.

(4) في الأصل رحا، الورقة : 107.

(5) تصحيح في طرة الكتاب بخط الناسخ، الورقة : 107.

(6) الوخد : نوع من سير الإبل وهو سعة الخطو في المشي.

(7) الارقال : ضرب من العدو في سير الإبل.

وَذَاتِ ٱلشَّنْفِ[8]، وَهُوَ غَايَةُ ٱلْمُرْقِلِينَ وَأَوَّلُ مَنَازِلِ ٱلْمُنْتَقِلِينَ، لاَ يُنْجِي ٱلْمُتَوَّجَ مِنْهُ تَاجُهُ، وَلاَ بَيْنَ ٱلْمُشَنَّفَةِ وَبَيْنَهُ بَابٌ يَمْنَعُهَا إِرْتَاجُهُ، وَٱلشَّأْنُ كُلُّهُ فِيمَا بَعْدُ مِنْ هَوْلٍ تَرُوعُ أَمْوَاجُهُ، وَبَحْرٍ تَغُولُ[9] ٱلسَّابِحِينَ أَثْبَاجُهُ[10]، فَهَالِكٌ بِعَمَلِهِ فِي ٱلْهَوَالِكِ، وَنَاجٍ بِمَا أَزْلَفَهُ[11] مِنْ سَدِيدِ ٱلْمَنَاحِي وَحَمِيدِ ٱلْمَسَالِكِ، وَرُبَّمَا تَدَارَكَتِ ٱلْمُسِيءَ رَحْمَةُ رَبِّهِ فَتَجَاوَزَ مُتَفَضِّلاً عَنْ ذَنْبِهِ فَوَجَدَ مِنْ مُتَضَايِقِ ٱلأَمْرِ مُنْفَرَجاً، وَنُسِخَتْ[12] لَهُ ٱلشِّدَّةُ فَرَجاً، وَنَجَا مِنْ مَا كَانَ يَخَافُهُ، وَلَكِنْ سَلْهُ كَيْفَ نَجَا، فَلاَ تَيْأَسْ يَا أَخِي مِنْ رَحْمَةِ ٱلْكَرِيمِ وَلاَ تَتَعَرَّضْ بِٱلتَّقْصِيرِ لِهَذَا ٱلْخَطَرِ ٱلْعَظِيمِ. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[13].

وَهَذَا فَصُّ ٱلْخَاتَمِ مِنَ ٱلنَّبَإِ ٱلْيَقِينِ قَدْ فَرَغْتُ لَكَ مِنْ قَصِّهِ وَأَتَيْتُكَ بِٱلأَمْرِ مِنْ فَصِّهِ[14] فَاقْبَلْ مَا أَتَاكَ مِنْ صَادِقِ ٱلنَّقْلِ وَلاَ تَتَّبِعِ ٱلْهَوَى فَمَازَالَ وَهُوَ خَصْمُ ٱلْعَقْلِ، أَفَمَا آنَ لَكَ أَنْ تَفْطِمَهُ عَنْ ثَدْيِ ٱلشَّهَوَاتِ وَتَخْطِمَهُ[15] عَنْ هَذِهِ ٱلْهَنَوَاتِ حَتَّى يَسْتَقِرَّ عَلَى ٱلصَّلاَحِيَّةِ اعْتِيَادُهُ وَيُسْمِحَ لِلإِنَابَةِ قِيَادُهُ، وَيَسْهُلَ إِلَى أَنْحَاءِ ٱلْخَيْرَاتِ انْقِيَادُهُ، وَيَحْسُنَ إِصْدَارُهُ فِي ٱلصَّالِحَاتِ وَإِيرَادُهُ، وَيَبِينَ لِلْمُخَاصِمِ إِلَيْهِ سَدَادُهُ، فَلاَ يَحْتَاجُ أَنْ يُؤَنِّبَهُ مُتَأَلِّماً وَيَشْكُوَهُ إِلَيْهِ مُتَظَلِّماً، مَا لَكَ إِلَيَّ، قَدْ خَاصَمْتَ فُلاَناً فَكَانَ ضِلْعُكَ[16] عَلَيَّ، هَلْ أَظْلَمُ مِمَّنْ نَصَبَ إِلَى ٱلْحَقِّ فَأَبْطَلَ وَمَالَ عَلَى ٱلْمُحِقِّ، فَخُذْ أَيُّهَا ٱلْبَاغِي مِنْ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ، وَتَطَلَّبِ ٱلْعَدْلَ

---

(8) الشَّنْف : القرط الذي تضعه المرأة في أذنها حلية.

(9) تغول : تهلكه وتأخذه من حيث لم يدر.

(10) أثباج : ثَبَجُ كل شيء معظمه ووسطه وأعلاه.

(11) أزلفه : قربه.

(12) نسخت : أبطلت الشدة وأقيم مكانها الفرج.

(13) الآية 165 من سورة الأنعام.

(14) فصه : من أصله ومفصله.

(15) تخطمه : تضع له خطاما.

(16) كان ضلعك علي : أي ميلك وهواك ضدي.

فَجِيءْ بِهِ مِنْ حَسِّكَ وَبَسِّكَ[17]، وَلاَ يُزْهِكَ ثَوْبُكَ ٱلْمُعَافِرِيُّ[18] فَعَنْ قَرِيبٍ تُعَفَّرَانِ[19]، وَلاَ يُونِقْ مُبْصِرَ إِنْسَانِكَ نَقَاءُ أَسْنَانِكَ فَإِلَى ٱلتُّرَابِ وَٱللَّهِ مَصِيرُ تِلْكَ ٱلأَسْنَانِ فَهُنَالِكَ لاَ يُغْنِي عَنْكَ ٱلْجِدَةُ [وَٱلْيَسَارُ][20] وَتُسْلِمُ مَكْسُوبَهَا ٱلْيَمِينُ وَٱلْيَسَارُ، فَيَا لَهُ مِنْ مَصْرَعٍ لاَبُدَّ لِكَأْسِهِ مِنْ مُتَجَرِّعٍ، سِيَّانِ فِي تَجَرُّعِ صَابِهِ[21] ٱلسَّيِّدُ ٱلسَّمَيْدَعُ[22] وَٱلْعَبْدُ ٱلْمُجَدَّعُ[23]، كِلاَ[24] ٱلْقَلْبَيْنِ يُصْدَعُ[25] وَكِلاَ[24] ٱلشَّمْلَيْنِ بِٱلْمَوْتِ يُصَدَّعُ، وَذَائِقٌ مَا ذَاقَاهُ ٱلأَعْمَمُ ٱلصَّدَعُ. أَجْدِيهِ[26] لاَبُدَّ أَيْتَامٌ، ثُمَّ لِلْمَنِيَّةِ بِذَهَابِ كُلِّ ٱلْجِدَاءِ ٱنْخِتَامٌ، هَيْهَاتَ إِنَّ جَدْيَ ٱلْفَرَاقِدِ لَيْسَ بِنَاجٍ مِنْ حَتْفٍ لَهُ مُنَاجٍ، فَكَيْفَ يَنْجُو جَدْيُ ٱلأَعْنُزِ مِنْ وَعِيدٍ يُغْنِي نَجَازَهُ عَنِ ٱلتَّنَجُّزِ. آهِ مِنْ سَيْفٍ لِلْمَنِيَّةِ عَضْبٍ[27] يَقْضِي عَلَى أُسُودٍ وَأُظُبٍ[28]، فَيَا لِلظِّبَاءِ وَلِلأُسُودِ مِنَ ٱلْمَنَايَا ٱلسُّودِ، وَحَبْلٍ لِلنَّوَائِبِ مَمْسُودٍ[29]، وَيَا بُعْدَ أَجْرِي[30] ٱلْقِثَّاءِ مِنْ أَجْرِي ٱلْكِلاَبِ ٱلضِّرَاءِ، هَذِهِ يُنْسِلُهَا جَارِحٌ، وَتِلْكَ تَحْمِلُهَا أُمٌّ[31]

---

(17) من حسك وبسك : من حركتك ومن سكونك.

(18) المعافري : نسبة إلى معافر اسم قبيلة وقرى باليمن.

(19) تعفران : تمرغان في التراب وخطاب المثنى موجه إلى الباغي وثوبه.

(20) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 108.

(21) صابه : الصاب عصارة شجر مر.

(22) السميدع : السيد الشجاع الكريم الذي توفرت فيه كل الخصال الحميدة.

(23) مجدع : مقطوع الإذن.

(24) كلي في الأصل، الورقة : 108.

(25) يصدع ويصدع : يشق نصفين.

(26) أجدي : جمع جدي ويقال أيضا الجداء. والمقصود هنا صِغَارُهُ.

(27) عضب : قاطع.

(28) أظب : ثلاثة ظباء، وظباء جمع ظبي.

(29) ممسود : مفتول.

(30) أجرى : جمع جرو وهو الصغير من كل شيء حيوان أو نبات.

(31) أم النبات : الأرض.

ٱلنَّبَاتِ ٱلَّذِي يَجُودُهُ سَافِحٌ[32] وَيَرُودُهُ سَارِحٌ[33] ثُمَّ يَجْمَعُهُمَا ٱلْفَنَاءُ فَلاَ بَنَاتُ ٱلأَرْضِ تَبْقَى وَلاَ ٱلْجِرَاءُ أَبْنَاءِ تِلْكَ ٱلضَّرَّاءِ تُمْنَعُ مِنَ ٱلْمَكْرُوهِ وَتُوقَّى، إِنَّ ٱلثُّرَيَّا وَإِنْ شُدَّتْ بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ فِي مَصَامِهَا[34] فَلاَبُدَّ مِنَ انْفِصَامِهَا، وَلاَ مَطْمَعَ فِي نَجَاتِهَا مِنَ ٱلإِنْتِشَارِ وَاعْتِصَامِهَا، وَإِنَّ ٱلسِّمَاكَ ٱلرَّامِحَ[35] نَحْبُهُ مَقْضِيٌّ وَلَوْ أَنَّ رُمْحَهُ خَطِّيٌّ[36]، وَمَا تُغْنِي ٱلرِّمَاحُ ٱلْخَطِّيَّةُ إِذَا جَاءَ أَمْرُ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لاَ تَعُوقُ عَجْلَتَهُ ٱلتَّئِيَّةُ.

مَا أَكَلْتُ أُكْلاً فَلَذَّ لِي مُنْذُ اعْتَبَرْتُ آخِرِي وَأَوَّلِي، وَلاَ ذُقْتُ غَمَاضاً فَهَدَأَتْ عَلَيْهِ ٱلْعَيْنُ مُنْذُ طَالَعَنِي مِنْ مُرْتَبَإٍ[37] ٱلسِّتِّينَ ٱلْحَيْنُ وَمَا جَعَلْتُ فِي عَيْنِي حِثَاثاً[38]، مِنْ [حِينَ][39] اسْتَشْعَرْتُ مِنَ ٱلأَجَلِ اسْتِحْثَاثاً، وَمَاذَا يُسَوِّغُ مُقْلَتِي ٱلْحَثَاثُ إِذَا نَادَتْنِي ٱلدَّلاَئِلُ ٱلصَّادِقَةُ لاَ لَبَاثَ وَلاَ إِلْبَاثَ، يَا دُنْيَا لَقَدْ جَمَعْتِ أَشْتَاتَ ٱلرَّذَائِلِ جَمْعاً، وَأَجْمَعْتِ عَلَى بَوَارِ مَنْ جَمَعَ طَاعَةً لأَمْرِكِ ٱلْمَشْؤُومِ وَسَمْعاً. وَإِنَّ ٱلَّذِي حَوَيْتِ مِنَ ٱلْقُبْحِ لأَبْيَنُ مِنْ فَلَقٍ[40] أَوْ فَرَقِ ٱلصُّبْحِ، وَلَكِنْ، أَعْمَى ٱللَّهُ أَبْصَارَ ٱلْبَصَائِرِ مِنْ ذَوِيكِ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئاً مِنْ مَسَاوِئِكِ، فَشُكْراً لِمَاقِتِكِ وَلاَحِيكِ، بَلْ شُكْراً لِمَنْ بَصَّرَنِي بِمَذْمُومِ مَنَاحِيكِ، هَذَا لَكِ عِنْدِي، وَبِعِلْمِ ذَا مِنْ أَنْبَائِكِ وَرِيَتْ زَنْدِي، وَمَازِلْتُ أُبْغِضُكِ كَمَا تَعْلَمِينَ، وَأَعْتَقِدُ ضَرَّتَكِ ٱلآخِرَةَ

---

(32) سافح : مطر.

(33) سارح : ماشية.

(34) يشير أبو الربيع إلى بيت امرىء القيس :

كَأَنَّ ٱلثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا ... بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ

(35) السماك سماكان وهما نجمان نيران. سماك أعزل وسماك رامح وهو الذي لا نور له وهو إلى جهة الشمال.

(36) خطية : نسبة إلى الخط ميناء قرية باليمن ترفأ فيها الرماح من جزائر الهند ثم تحمل إلى سائر البلدان.

(37) مرتبأ : مرقبة ومطلع.

(38) الحثاث : بفتح الحاء وكسرها : القليل من النوم والقليل من الكحل.

(39) تصحيح من الهامش، الورقة : 108.

(40) فلق أو فرق الصبح : ضياؤه.

خَيْراً لِمَنْ صَرَمَكِ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ، فَإِنْ تُسْأَلِي عَنِّي مَا ٱلَّذِي عَرَفْتِ مِنِّي :

أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتِ فَإِنَّنِي أُثْنِي عَلَيْكِ بِمِثْلِ رِيحِ ٱلْجَوْرَبِ[41]

[الكـامـل]

يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا عَارِضُ ٱلْخَبَالِ ٱلَّذِي حَمَلَ ٱلنَّاسَ عَلَى ٱلنَّهْيِ عَنْ صُحْبَةِ ٱلْكَوْسَجِ[42] دُونَ ٱلْوَافِي ٱلسِّبَالِ[43]، كَأَنْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ٱلْخُطَى[44] مُتَقَارِبَةٌ فِي هَذَا ٱلْمَجَالِ، وَلَيْسَتِ ٱلْكَوْسَجَةُ مِمَّا تَقْتَضِي ٱلشَّرَّ فِي ٱلرِّجَالِ ذُو ٱلشَّرِّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ عَلَى ٱلشَّرِّ مَطْبُوعٌ، وَٱلْخَيْرُ حَيْثُ شَاءَ رَبُّكَ مَوْضُوعٌ فَلاَ يَصِلْ بِكَ إِلَى ٱلتَّحَامُلِ هَوىً، وَالْجَأْ إِلَى رَبِّكَ إِنْ كَانَ بِصَبِيِّكَ لَوىً[45] فَهُوَ إِنْ شَاءَ لَوَى عَنْهُ عِنَانَ لَوَاهُ، فَطَابَقَ أُمْنِيَّةَ قَلْبِكَ وَهَوَاهُ، وَهُوَ ٱلَّذِي يُغْنِي عِبَادَهُ مِنَ ٱلْفَقْرِ، وَيَتَكَفَّلُ فِي أَعْلَى ٱلنِّيقِ[46] بِرِزْقِ فِرَاخِ ٱلصَّقْرِ، إِنَّ ٱلْبُخْلَ عَنْ صِفَاتِ رَبِّنَا ٱلْكَرِيمِ مُخْتَزَلٌ، وَكُلُّ طَعَامِهِ لَهُ نَزَلٌ[47]، إِلاَّ أَنْ تَبْخَلَ مِنْهُ بِٱلْيَسِيرِ عَلَى ٱلْمِسْكِينِ وَٱلْيَتِيمِ وَٱلأَسِيرِ فَتَكُونَ آفَةَ نَفْسِكَ، وَمَا آفَتُكَ إِلاَّ أَنْ تُمْسِكَ فَاضْرِبْ فِي طَعَامِكَ لِلضُّعَفَاءِ بِشِقْصٍ[48] تَأْمَنْ فِيمَا[49] أَطْعَمَكَ مِنْ نَقْصٍ وَٱللَّهُ يُجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ.

يَا مَعْشَرَ ٱلْمِعْرِضِينَ عَنِ ٱلآيَاتِ أَلاَ تَعْجَبُونَ لِلشَّمْعِ مَا يَنْفَكُّ عِنْدَ لِقَاءِ ٱلنَّارِ هَامِي

---

(41) كذا ورد هذا البيت في «المثلث» لابن السيد البطليوسي، تحقيق صلاح مهدي علي الفرطوسي : 387/1، حكاه عن بعض اللغويين، وصرح في كتابه **«الاقتضاب في شرح أدب الكتاب»** تحقيق : مصطفى السقا والدكتور حامل عبد المجيد : 34/1 بقوله : «أنشد أبو عمر المطرز عن ثعلب».

(42) الكوسج : الاثط، ذو اللحية الصغيرة وليس على عارضيه شعر.

(43) السبال : مفردها سبلة وهي الشعر على الشارب واللحية.

(44) الخطأ في الأصل، الورقة : 108.

(45) لوى : وجع يصيب البطن.

(46) النيق : النخيل.

(47) نزل : بَرَكَةٌ.

(48) شقص : نصيب معلوم.

(49) [في ما] في الأصل، الورقة : 108.

ٱلْمَدْمَعِ، لَعَلَّهُ إِنَّمَا يَبْكِي لِمَضَاضَةِ أُوَارِهَا مُضْطَرّاً، فَنَحْنُ وَٱللَّهِ أَوْلَى بِٱلْبُكَاءِ وَنَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً، تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلَّتِي يَقِفُّ(50) لِذِكْرَاهَا ٱلشَّعَرُ، وَلاَ يَنِي جَاحِمُهَا يُسَعَّرُ، إِنَّ خَيْراً مِنْهَا لَلْجَنَّاتُ وَٱلنَّهَرُ وَٱلْجَنَابُ ٱلَّذِي خَصَّهُ بِٱلرَّحْمَةِ ٱلْمَلِيكُ ٱلْمُقْتَدِرُ، فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُ عَلَى هَذَا يَفُزْ بِخَيْرِ ٱلْعَوَضِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ ٱلَّذِي يَبْذُلُ فِيهِ مِنْ نَفَائِسِ ٱلْمَالِ أَجْدَى عَلَيْهِ فِي ٱلْمَآلِ مِمَّا حَصَلَ لَدَيْهِ فِي ٱلْقَبَضِ(51)، وَإِنَّ ٱلذُّنُوبَ لَتَحَاتُّ بِٱلصَّدَقَةِ وَٱلذَّخَائِرِ ٱلْمُنْفَقَةِ تَحَاتَّ ٱلنَّفَضِ(52) وَإِنْ كَانَ فِي سَيْرِكَ أَيُّهَا ٱلْمُقَصِّرُ إِبْطَاءٌ فَمَا يُغْنِي عَنْكَ ٱلْقَبْضُ وَإِنَّمَا يَنْفَعُكَ ٱلْعَطَاءُ وَلَيُوشِكَنَّ إِنْ بَخِلْتَ بِمَالِكَ فِي سَبِيلِ ٱلإِئْتِجَارِ(53) أَنْ تَنْفُضَهُ ٱلنَّوَائِبُ عَنْكَ نَفْضَ وَرَقِ ٱلأَشْجَارِ، فَتُصْبِحَ لاَ ثَوَابَ ٱلْجُودِ أَحْرَزْتَ وَلاَ بَقِيَ لَكَ ٱلَّذِي كُنْتَ كَنَزْتَ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ. إِنَّ ٱلْجَوَادَ لَقَلِيلُ ٱلدَّخَلِ(54)، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ذُو ٱلْبَخَلِ(55) فَجُدْ يَجُدْ عَلَيْكَ وَيَزْدَدْ فِي فَضْلِ ٱللَّهِ وُجُودِهِ أَمَلُكَ، وَصِلْ إِخْوَانَكَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ ٱلْبِرَّ وَٱلصِّلَةَ يَزِيدَانِ فِي ٱلأَعْمَارِ، وَيَذُودَانِ عَنْ مَصَارِعِ ٱلْبَوَارِ، وَيُفِيدَانِ مُؤْثِرَهُمَا كُلَّ ٱلإِيثَارِ بِكَرَمِ ٱلثَّنَاءِ وَأَفْضَلِ ٱلآثَارِ، وَلاَ يَحْمِلَنَّكَ تِيهُ ٱلشَّبَابِ ٱلْمُقْتَبَلِ عَلَى أَنْ تَقُولَ لِمُسْلِمٍ لاَ أُكَلِّمُكَ إِلَى عَشْرٍ مِنْ ذِي قَبْلٍ، إِلاَّ أَنْ تُفَارِقَ حَبِيباً إِلَى هَذَا ٱلْمِقْدَارِ فَتَقُولَهَا مُتَفَجِّعاً لِمَا دَارَتْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهِ دَوَائِرُ ٱلأَقْدَارِ، وَعَلَى سَبِيلِ ٱلإِسْتِطَالَةِ لِمَسَافَةِ بَيْنِهِ وَٱلإِسْتِكْثَارِ، فَهَذَا عَسَى إِذَا أَنْطَقَ بِهِ ٱللِّسَانَ مُضْمَرُ ٱلأَسَى، وَأَمَّا إِرْسَالُ هَذَا ٱلْكَلاَمِ بِقَصْدِ ٱلْقَطِيعَةِ لِقَسِيمِكَ فِي ٱلإِسْلاَمِ، فَمَجْلَبَةٌ لِلآثَامِ وَمُخَالَفَةٌ لِلْقَبَائِلِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلسَّلاَمِ : «لاَ يَحِلُّ

(50) يقف : من الفعل قَفَّ بمعنى وقف شعر رأسه من الفزع.

(51) القبض : ما جمع وقبض من الأموال.

(52) النفض : ما يتساقط من الشيء عند نفضه.

(53) الائتجار : شراء الثواب بالأعمال الحسنة.

(54) الدخل : الغش والعيب والفساد والريبة.

(55) البخل : بفتح الباء والخاء لغة في البخل.

لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ»[56] فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، وَلْيَحْذَرْ مَنْ أُوتِيَ فِي تَنْمِيقِ ٱلْكَلاَمِ بَاعاً، وَأَنِسَ مِنْ نَفْسِهِ فِي ٱلنَّظْمِ أَوِ ٱلنَّثْرِ انْطِبَاعاً أَنْ يَغْتَنِمَ لَهُ فِي سُوقِ ٱلدُّنْيَا نَفَاقاً، فَيَسْتَجْلِبَ بِهِ مِنْ غَيْرِ خَزَائِنِ رَبِّهِ رِزْقاً وَاتِّفَاقاً، فَيَجْعَلَ شُكْرَ مَوْلاَهُ عَمَّا أَوْلاَهُ مِنْ إِبْدَاعٍ وَإِحْسَانٍ ٱلتَّعَرُّضَ بِنَتَائِجِ إِحْسَانِهِ لإِنْسَانٍ، أَفَهَذَا جَزَاءُ ٱلْمُحْسِنِينَ، وَحَقُّ مَنْ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ مِنَ ٱلْخُرْسِ إِذْ جَعَلَهُ مِنَ ٱللَّسِنِينَ، وَلَعَمْرِي لَقَدْ رَخُصَ سِعْرُ ٱلْهِمَّةِ عَلَى مَنْ كَانَ ٱلشِّعْرُ لَهُ رَأْسَ ٱلذِّمَّةِ، إِذَا أَنْفَقَهُ فِي ابْتِغَاءِ ٱلنَّفَقَةِ وَأَطْلَقَهُ فِي مَسْرَحِ ٱلْغُلْوَاءِ[57] ٱلْمُوبِقَةِ[58] يَشْتَمِلُ لَبُوسَ[59] ٱلنَّعِيمِ أَوِ ٱلْبُؤْسِ، وَيَمْتَطِي ذَاتَ ٱلْقِبَالِ[60] أَوْ ذَا ٱلْقَرَبُوسِ[61] مِنْ طَرَسُوسَ[62] إِلَى أَقْصَى بِلاَدِ ٱلسُّوسِ[63] يَخْبِطُ أَرْضاً فَأَرْضاً، وَيَتَعَرَّضُ لِلْمُسْتَنِيلِ بِسَرَفِ[64] ٱلْقَالِ وَٱلْقِيلِ، فَيَرْضَى ذَاكَ مِنْهُ أَوْ لاَ يَرْضَى فَيَسْتَقْصِرُهُ وَقَدْ أَغْيَى[65]، وَيَقْتُلُهُ بِٱلْمَنْعِ وَإِنَّمَا تَعَرَّضَ ٱلْبَائِسُ لِيَحْيَى، كَذَلِكَ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ غَيْرِ ٱللَّهِ يَبُؤْ بِصَفْقَةِ ٱلْخَسَارِ فِي ٱلْمَمَاتِ وَٱلْمَحْيَى، فَيَا لَهُ مَغْبُوناً تَعَجَّلَ مِنَ ٱلْحِرْمَانِ عَرَبُوناً، وَلَوَدَّ أَنَّهُ اقْتُصِرَ بِهِ فِي هَذِهِ ٱلدَّارِ عَلَى ٱلْعُرْبَانِ[66] إِذَا شَاهَدَ فِي ٱلآخِرَةِ ضِيقَ ٱلْمُحَاسَبَةِ عَلَى جِنَايَاتِ ٱلْيَدِ وَٱللِّسَانِ، بُؤْسَاهُ وَٱللَّهِ بُؤْسَاهُ، إِذَا اشْتَدَّ أَسَاهُ عِنْدَ ٱلتَّقْرِيرِ عَلَى مَا كَتَبَتْ وَاكْتَسَبَتْ يَدَاهُ، وَنَسَبَتْ مِنَ ٱلْكَرَمِ وَٱلأَمْرِ ٱلأَضْخَمِ إِلَى غَيْرِ وَلِيِّهِ

---

(56) حديث نبوي شريف. انظر صحيح مسلم : 9/8.

(57) الغلواء : المغالاة في الشيء.

(58) الموبقة : المهلكة.

(59) لبوس : ثياب.

(60) القبال : الزمام.

(61) القربوس : حِنْوُ السرج.

(62) طرسوس : مدينة ببلاد الشام تقع بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، معجم البلدان : 28/4.

(63) السوس : بلد بالمغرب. معجم البلدان : 280/3.

(64) سرف : مجاوزة القصد.

(65) أغيا في الأصل، الورقة : 109.

(66) العُربان : لغة في العربون.

وَمَوْلاَهُ، وَتِلْكَ خَصَائِصُ ٱلإِلَهِيَّةِ[67] وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلاَّ ٱللَّهُ وَإِنَّ ذَا ٱلْعِزَّةِ وَٱلْجَبَرُوتِ لَمْ يَرْضَ بِإِسْرَافِ ٱلْجَبْرِيَّةِ[68] فِي ٱلْقُدْرَةِ وَٱلْمَلَكُوتِ، فَكَيْفَ يَسُوِّغُهُ لِعَبْدٍ فِي عَبْدٍ عَلَى تَعَمُّلٍ وَعَمْدٍ، يَتَعَرَّضُ لِقَوْمٍ فِيهِمْ جَبَرِيَّةٌ[69] فَيَقُولُ لَهُمْ أَنْتُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ وَخِلاَلُكُمْ مِنْ كُلِّ ذَيْمٍ[70] بَرِيَّةٌ، مَا أَدْرَاهُ أَنَّهُمْ كَذَلِكَ أَوْ مَا ٱلَّذِي سَلَكَ بِهِ هَذِهِ ٱلْمَسَالِكَ ٱلَّتِي لَعَلَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلسَّدَادِ فِي ٱلْقَوْلِ وَٱلْعَمَلِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ فَلْكَةِ ٱلْمِغْزَلِ وَٱلسِّمَاكِ[71] ٱلأَعْزَلِ هَذَا فِي ٱلسَّمَاءِ يَتَرَدَّدُ، وَتِلْكَ تَمْنَعُ غَزْلَ ذَاتِ جَهْدٍ أَنْ يَتَبَدَّدَ، عَمَرَكَ ٱللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ وَفَضْلُ رَبِّنَا كَفِيلٌ بِإِرْشَادِ ٱلضَّالِّ وَهِدَايَةِ ٱلْحَيْرَانِ وَإِذَا وَجَدَ ٱلْمَرْءُ فَضْلاً مِنَ ٱلْقَوْلِ فَإِمَّا أَنْ يُصَرِّفَهُ فِي عَظَمَةِ رَبِّنَا ذِي ٱلْجَلاَلِ وَٱلطَّوْلِ، وَإِمَّا أَنْ يَقْتَصِدَ خَوْفاً مِمَّا فِي ٱلْغُلُوِّ مِنَ ٱلْغَوْلِ[72]، وَلَقَدْ كَانَتِ ٱلْجَاهِلِيَّةُ عَلَى عِلاَّتِهَا وَخِلاَّتِهَا يَتَجَنَّبُونَ فِي ذَلِكَ مَسَالِكَ ٱلأَنْذَالِ وَيَصُونُونَ هِمَمَهُمْ وَأَحْسَابَهُمْ عَنِ ٱلإِبْتِذَالِ، وَيَصْرِفُونَ أَقْوَالَهُمْ فِيمَا يَحْضُرُ لَدَيْهِمْ وَيَكْثُرُ دَوْرُهُ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلإِبِلِ وَٱلْخَيْلِ وَمَا يَرْكَبُونَهُ مِنَ ٱلأَخْطَارِ فِي رُكُوبِ ٱللَّيْلِ إِلَى مَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ مِنَ ٱلسُّرُوجِ وَٱلأَقْتَابِ[73]، وَخَبْطِ ٱلْقَفْرِ ٱلْيَبَابِ، وَٱلتَّشَوُّفِ إِلَى ٱلطَّارِقِ ٱلْمُنْتَابِ، وَمَا هُمْ بِهِ مُتَحَقِّقُونَ مِنْ حِمَايَةِ ٱلذِّمَارِ وَرِعَايَةِ ٱلْجَارِ وَٱلْخِلاَلِ ٱلدَّالَّةِ عَلَى طِيبِ ٱلْمُحْتِدِ وَكَرَمِ ٱلنِّجَارِ قَدْ أَعْرَضُوا عَلَى جَاهِلِيَّتِهِمْ عَنِ ٱلإِبْتِذَالِ لِوُجُوهِهِمْ وَٱلإِخْلاَقِ، وَرَضُوا خَوْفَ ٱلذُّلِّ بِحُرْقَةِ ٱلإِمْلاَقِ، وَإِنْ وُجِدَ مِنْهُمْ مَنْ يُخَالِفُ هَذِهِ ٱلْمَقَاصِدَ فَيَجْعَلُ ٱلْقَصَائِدَ لأَغْرَاضِهِ وَصَائِدَ[74] وَلآمَالِهِ مَصَائِدَ

---

(67) الإلاهية في الأصل 109.

(68) الْجَبْرية : بسكون الباء، قوم يعتقدون أن الإنسان مجبر على المعاصي وعلى الطاعات.

(69) جَبَرية : بفتح الباء، كبر وتغطرف.

(70) الذيم : العيب.

(71) السماك الأعزل : نجم من منازل القمر وسمي أعزل لأنه لاشيء بين يديه من الكواكب، أو لأنه إذا طلع لا يكون في أيامه ريح ولا برد فهو أعزل منها.

(72) الغول : الهلاك.

(73) الأقتاب : جمع قتب وهو إكاف البعير أي رحله.

(74) وصائد : حظائر تتخذ من الحجارة في الجبال للمال.

فَأُولَئِكَ بِالإِضَافَةِ إِلَى جَمَاهِيرِهِمْ قَلِيلٌ وَفِي أَوْصَافِهِمْ إِذَا ذُكِرَتْ عَلَى ٱلْوَهْنِ دَلِيلٌ، وَإِنَّ ٱلشِّعْرَ لَحِلْيَةٌ زَائِنَةٌ إِذَا كَانَتْ لِتِلْكَ ٱلْمَآخِذِ مُبَايِنَةٌ، وَحُلَّةٌ أَنِيقَةٌ مَا لَمْ تُسْلَكْ بِهَا تِلْكَ ٱلطَّرِيقَةُ، فَإِنْ سُلِكَتْ فَإِنَّمَا ٱلشِّعْرُ فِي ٱلْحَقِيقَةِ :

زَخَارِفٌ وَأَكَاذِيبٌ يَبِيتُ بِهَا ... ذُو ٱللُّبِّ رَهْنَ وَسَاوِيسٍ وَأَفْكَارِ
وَرُبَّمَا لَقِيَ ٱلْمَمْدُوحُ مَادِحَهُ ... بِمِثْلِهَا مِنْ مَوَاعِيدٍ وَأَعْذَارِ
فَلاَ يُطِعْنِي لِسَانِي إِنْ مَلأْتُ بِهِ ... مِنِّي غَدَاةَ احْتِفَالٍ شِدْقَ مِهْذَارِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ غَيْرُ حَوْبَاءِ[75] مُكَرَّمَةٍ ... فَمَا إِذَالَتُهَا[76] بِٱلْمَوْقِفِ ٱلزَّارِي[77]
صَوْنُ ٱلْفَتَى وَجْهَهُ أَوْقَى[78] لِهِمَّتِهِ ... وَٱلرِّزْقُ جَارٍ عَلَى حَدٍّ وَمِقْدَارِ
قَنِعْتُ وَامْتَدَّ مَا لِي فَٱلسَّمَاءُ يَدِي ... وَنَجْمُهَا دِرْهَمِي وَٱلشَّمْسُ دِينَارِي[79][80]

[البسيط]

ٱلتَّذْكِرَةُ نِعْمَ ٱلأَسْيَانِ[81]، وَأَضَرُّ شَيْءٍ بِكَ أَيُّهَا ٱلْغَافِلُ عَارِضُ ٱلنِّسْيَانِ، يُذْهِلُكَ عَنِ ٱلْمُنْقَلَبِ، وَيُنْهِلُكَ مِنَ ٱلْغَفْلَةِ فِي دَلْوٍ عَرْقُوَتُهَا[82] مَشْدُودَةٌ فِي عُرْوَتَي ٱلْعَطَبِ، فَفَكِّرْ دَائِباً فِي انْقِرَاضِ ٱلْعُمُرِ، وَاذْكُرِ ٱلأَمْرَ أَبَداً بِٱلأَمْرِ، وَإِذَا لَمَسْتَ تَرْقُوَتَكَ فَاذْكُرْ بُلُوغَ ٱلنَّفْسِ ٱلتَّرَاقِي وَعَدَمَهَا فِي تِلْكَ ٱلْحَالِ ٱلأَوَاقِي، وَاسْتِشْعَارَهَا ٱلْيَقِينَ بِأَنَّهَا لاَ تَجِدُ إِلاَّ ٱلْكَرِيمَ ٱلْبَاقِي، وَقَدِّمْ لِذَلِكَ ٱلْهَوْلِ مَا اسْتَطَعْتَهُ مِنْ صَالِحِ ٱلْعَمَلِ وَمَعْرُوفِ ٱلْقَوْلِ، وَإِذَا قَرَأْتَ سُورَةَ ٱلسَّجْدَةِ فَتَدَبَّرْ قَوْلَهُ :

---

(75) حوباء : نفس. تقدم شرحها ص 69.

(76) إذالتها : إهانتها.

(77) في الأصل الزار، الورقة : 110.

(78) في ديوان الرصافي الرفاء ص 94 أبقى وكذا في زاد المسافر 132.

(79) في الأصل دينار، الورقة : 110.

(80) البيتان الأخيران منسوبان للرصافي الرفاء في ديوانه، ص 94. تحقيق د. إحسان عباس، وكذلك وردا في زاد المسافر، ص 132.

(81) الأسيان : الحزين.

(82) عرقوتها : العرقوة خشبة توضع على فم الدلو يشد فيها الحبل ولكل دلو عرقوتان.

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾[83]، وَازْدَدْ مِنَ ٱلذُّهُولِ وَٱلنِّسْيَانِ تَبَرُّؤاً إِنِ اسْتَطَعْتَ وَانْتِبَاذاً وَاجْهَدْ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ يُورِدُونَ بِأَمْرِ ٱللَّهِ وَيُصْدِرُونَ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِهِ خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[84].

وَإِذَا وَضَعْتَ جَفْنَتَكَ أَوْ قَصْعَتَكَ لِتَطْعَمَ فَلاَ تَنْسَ جَارَكَ ٱلَّذِي لاَ يَجِدُ ٱلطُّعَمَ فَلاَ يَشْبَعُ ٱلْمُؤْمِنُ وَجَارُهُ طَاوٍ، وَلاَ يُؤْثِرُ هَذِهِ ٱلرَّذِيلَةَ إِلاَّ غَاوٍ، وَٱللَّهِ إِنَّ قَبِيحاً أَنْ يُعَامَلَ بِهَا كَلْبٌ عَاوٍ، فَكَيْفَ بِمُسْلِمٍ لَهُ فِي ٱلإِسْلاَمِ مَا لَكَ مِنْ دَعَاوٍ، وَرُبَّمَا كَانَ لَهُ صِبْيَةٌ يَتَضَاغَوْنَ[85] مِنَ ٱلْجُوعِ حَوْلَهُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ حِيلَةَ إِلاَّ أَنْ يَسْأَلَ ٱللَّهَ لَهُمْ طَوْلَهُ، فَبَادِرْ لَعَلَّ قَبُولَ ذِي ٱلْفَضْلِ ٱلْجَزِيلِ قَدْ جَعَلَ إِحْسَانَكَ إِلَيْهِمْ جَوَابَ ذَلِكَ ٱلدُّعَاءِ، وَبَاعَدَكَ عَنْ تَضَاغِي أَهْلِ ٱلنَّارِ فِي ٱلنَّارِ بِمَا أَسْكَتَّ مِنْ ذَلِكَ ٱلضُّغَاءِ، وَإِنَّ فِي بَعْضِ ٱلأَلْيَةِ[86] مِنْ نَعْجَتِكَ ٱلأَلْيَانَةِ أَوْ كَبْشِكَ ٱلأَلْيَانِ[87] مَا فِيهِ كِفَايَتُهُ وَكِفَايَةُ ٱلصِّبْيَانِ، وَلإِحْسَانُكَ ٱلْمُوَالَى أَوْلَى بِكَ مِنْ أَنْ تُرَى بِأَثَرِ ٱلْبِطْنَةِ آلَى[88]، ولأَنْ يُهْزَلَ جِسْمُكَ فِي ٱلثِّيَابِ وَتَسْمَنَ بِمَا يُوجِبُهُ لَكَ خَالِقُكَ مِنَ ٱلثَّوَابِ، أَجْمَلُ لَكَ فِي ٱلْعُيُونِ مَنْظَراً وَأَفْضَلُ لِمَا بَعْدَ وَقْعِ ٱلْمَنُونِ مُدَّخَراً، وَإِنَّ ٱلْمَرْأَةَ ٱلْعَجْزَاءَ لَوْ آثَرَتِ ٱلإِجْتِزَاءَ وَٱلْتَمَسَتْ عِنْدَ ٱللَّهِ بِشَطْرِ طِعْمَتِهَا ٱلْجَزَاءَ لَكَانَ لَهَا فِي أُخْرَاهَا أَصْلَحَ وَلَوْ أَوْلاَهَا ذَاكَ فِي أُولاَهَا ٱلرَّسَحَ[89]، هُنَاكَ ٱلشَّأْنُ أَيَّتُهَا ٱلْمُتْرَفَةُ هُنَاكِ، فَابْذُلِي غِنَاكِ فِي ٱلإِعْدَادِ لِمَغْنَاكِ، وَلاَ تَغْنِيكِ إِلاَّ هَذِهِ ٱلأَشْيَاءُ،

---

(83) آلآية 35 من سورة الجاثية. وقد وهم أبو الربيع فيها إذ الآية 15 من سورة السجدة هي : ﴿وذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾.

(84) الآية 26 من سورة السجدة.

(85) يتضاغون : يتصايحون ويتباكون.

(86) ألية النعجة : مؤخرتها.

(87) الأليانة والأليان : العظيم المؤخرة.

(88) آلى : عظيم العجز.

(89) الرسح : خفة الاليتين ولصوقهما.

مَا قَوْلُهُمْ(90) إنَّ كَلاَمَ ٱلْعَرَبِ عَجْزَاءُ وَٱلْقِيَاسُ أَلْيَاءُ، ذَلِكَ جَهْلٌ لاَ يَضُرُّ وَعِلْمٌ لاَ يَنْفَعُ، وَوَسِيلَةٌ لاَ تَشْفَعُ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَلاَ تُشَفَّعُ، وَيَا هَذَا إِنَّ أَعْدَى(91) ٱلأَعْدَاءِ عَلَيْكَ نَفْسُكَ بَيْنَ جَنْبَيْكَ، هِيَ ٱلَّتِي تُحَارِبُكَ وَتُضَارِبُكَ، وَتُرَاجِيكَ أَحْيَاناً وَتُوَارِبُكَ(92) وَتُبَاعِدُكَ فِي حَقِّ هَوَاهَا أَكْثَرَ مِمَّا تُقَارِبُكَ فَلاَ تَكُنْ مِنْكَ لَهَا بِٱلْحَقِّ صَدْعَةٌ، وَخَادِعْهَا جُهْدَكَ فَإِنَّ ٱلْحَرْبَ خَدْعَةٌ، لَعَلَّكَ إِذَا أَنِسْتَ أَوْثَقْتَهَا، إِنَّكَ إِنْ أَخَذْتَهَا بِٱلْمُنَفِّرَاتِ أَوْبَقْتَهَا، أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْمُوَقَّفَةَ(93) ٱلْحَرُونَ. إِنْ رَامَ لَحَاقَهَا ٱلْمُجْرُونَ بَعُدَ عَلَيْهِمُ ٱلْمَدَى وَتَعَذَّرَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهَا ٱلْمُدَى(94)، فَإِنْ رَامُوهَا بِٱلْحِيَلِ سَرَتْ إِلَيْهَا فِي طَيِّ ٱلْحِيلَةِ سُمُومُ ٱلْغِيلِ، فَمَا بَيْنَ شُرُودِهَا فِي ٱلْقَفْرِ ٱلْقَوَاءِ وَبَيْنَ انْتِظَامِ لَحْمِهَا فِي سَفُّودِ ٱلشِّوَاءِ، إِلاَّ بِمِقْدَارِ مَا يَلْتَقِي وَحْيُ ٱلْحِيلَةِ بِمَقْدُورِ ٱلْحَيْنِ فَإِذَا بِهَا مَصْرُوعَةٌ لِلْفَمِ وَٱلْيَدَيْنِ، وَإِنَّ ٱلنَّفْسَ ٱلْمُعْتَادَةَ رُكُوبَ هَوَاهَا لأَشْرَدُ مِنَ ٱلنَّعَامِ، وَأَبْعَدُ عَنْ فَهْمِ ٱلصَّوَابِ مِنَ ٱلأَنْعَامِ فَإِذَا لاَيَنْتَهَا فِي لَطَفٍ وَدَرَجْتَهَا إِلَى ٱلْغَايَةِ ٱلْمَقْصُودَةِ فِي مُنْعَرَجٍ مِنْ طَرِيقِهَا وَمُنْعَطَفٍ، فَرُبَّمَا انْقَادَتْ بِٱلتَّدْرِيجِ وَقَرُبَ عَلَيْكَ مَا كُنْتَ اسْتَبْعَدْتَهُ مِنْ إِصْلاَحِ أَمْرِهَا ٱلْمَرِيجِ، وَيَحْسُنُ ٱلصَّبْرُ عَلَى تَدْرِيجِهَا زَمَاناً، وَإِنْ تَلَوَّنَتْ لَكَ أَلْوَاناً، حَتَّى تَسْمَحَ انْقِيَاداً لِلْمُرَادِ وَإِذْعَاناً، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسُكَ لاَ تَسْتَطِيعُ بِهَا تَنْدِيداً، وَلاَ تَزَالُ فِي ارْتِيَادِ ٱلأَصْلَحِ لَهَا مُبْدِئاً وَمُعِيداً :

وَمَنْ تَكُنْ قُرْحَةٌ بِفِيهِ ... يَصْبِرْ عَلَى مَصِّهِ ٱلصَّدِيدَا(95)

[مخلع البسيط]

---

(90) هذا قول ثعلب في الفصيح «وامرأة عجزاء كذلك كلام العرب والقياس : ألياء». انظر **فصيح ثعلب**، تحقيق الدكتور عاطف مدكور، ص 291-292.

(91) في الأصل أعدا، الورقة : 111.

(92) توازبك : تداهيك.

(93) الموقفة : الدابة التي في قوائمها خطوط سود.

(94) المدى : جمع مدية وهي السكين.

(95) البيت لأبي القاسم خلف بن فرج الألبيري المعروف بالسميسر والبيت موصولا قبله :

أَقَارِبُ ٱلسُّوءِ دَاءُ سُوءٍ ... فَاحْمِلْ أَذَاهُمْ تَعِشْ حَمِيداً =

إِنَّ ٱلْقَنَاعَةَ لِذِي ٱلإِقْلاَلِ لَنِعْمَ ٱلْعَوْنُ عَلَى ٱلْعِيَالِ، تُغْنِيهِ ٱلدَّجَاجَةُ ٱلْبَيُوضُ إِذَا أَعْذَرَهُ ٱلنَّشِيلُ[96] وَٱلْغَرِيضُ[97]، وَإِنَّ فِي ٱلدَّجَاجِ ٱلْبُيَّضِ لَكِفَايَةً كَافِيَةً فِي هَذَا ٱلْغَرَضِ، فَلاَ تَخْرُجْ عَنْ مُحِيطِ ٱلْقَنَاعَةِ إِلَى مُنْفَسَحِ ٱلْكَثْرَةِ مِقْدَارَ أُنْمَلَةٍ[98]، وَاجْعَلِ ٱلإِقْتِصَادَ غَايَتَكَ ٱلْمَقْصُودَةَ وَبُغْيَتَكَ ٱلْمُؤَمَّلَةَ، ثُمَّ سِرْ إِلَيْهَا أَبَداً فِي رِفْقٍ، فَلَنْ يُخْطِئَكَ مَا قُدِّرَ لَكَ مِنْ رِزْقٍ هُوَ آتِيكَ وَلَوْ كُنْتَ بِرَأْسِ[99] عَيْنٍ أَوْ قَفَا أَسْنُمَةٍ[100] وَقَدْ فَرَغَ ٱللَّهُ مِنْهُ لِلْفِئَتَيْنِ فِئَةٍ كَافِرَةٍ، وَأُخْرَى تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ مُسْلِمَةٍ، فَاشْكُرْهُ أَصِيلاً وَغُدْوَةً، وَاخْدُمْهُ صَيْفَةً وَشَتْوَةً، حَذَارِ أَنْ يَصُدَّكَ عَارِضُ ٱلْبَرْدِ عَنْ خِدْمَةِ ٱلصَّمَدِ ٱلْفَرْدِ، أَوْ يَكْسِرَ نَشَاطَكَ كَرَبُ ٱلْحَرِّ عَنِ ٱلْعَمَلِ لَهُ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْجَهْرِ، هُوَ ٱلْمُخِيفُ وَٱلْمُؤْمِنُ وَهُوَ ٱلسُّبُوحُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلاَمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ بِإِذْنِهِ تَسْرِي إِلَى ٱلرُّوحِ غَائِلَةُ ٱلذُّرُّوحِ[101] وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَ ٱلشِّفَاءَ فِي ٱلذَّرَارِيحِ وَرُبَّ دَاءٍ لَيْسَ غَيْرَهَا شِفَاؤُهُ، وَرَبُّكَ يَفْعَلُ فِي مُلْكِهِ مَا يَشَاؤُهُ، فَسُبْحَانَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ٱلْمُدِيرُ كَيْفَ شَاءَ مِنْ طَرْدٍ أَوْ عَكْسٍ زِمَامَ ٱلْمَقَادِيرِ، فَإِذَا أَرَادَ [وَلاَ رَادَّ][102] لِمَا يُمْضِيهِ مِنَ ٱلأُمُورِ أَدْفَأَ فِي ٱلشُّفَّانِ[103] بِٱلشُّفُوفِ[104]،

= فَمَـــنْ تَكُـــنْ قُرْحَـــةٌ بِفِيـــهِ ... يَصْبِـــرْ عَلَـــى مَصِّهِ ٱلصَّدِيـــدَا

انظر الذخيرة ق 884/2/1 تحقيق د. إحسان عباس.

(96) النشيل : قطعة اللحم تنتشل من القدر باليد.

(97) الغريض : اللحم الطري، والطري من اللبن والماء والتمر أيضا يسمى الغريض.

(98) أنملة : مفرد أنامل.

(99) رأس عين : اسم موضع في جزيرة العرب بين حران ونصيبين ودنيس. انظر معجم البلدان : 13/3، 14. ورد في شعر المخبل يهجو الزبرقان. انظر اللسان : رأس.

(100) أسنمه : اسم لرملة معروفة، وقفا أسنمة اسم موضع ورد في بيت لزهير :

ضَحَّوْا قَلِيلاً قَفَا كُثْبَانِ أَسْنُمَةٍ ... وَمِنْهُـــمُ بِٱلْقَسُومِيَّـــاتِ مُعْتَـــرَكُ

اللسان : سنم، شرح غريب الفصيح للتدميري، الورقة : 40.

(101) الذروح : دويبة طيارة تشبه الزنبور مجزعة مبرقشة بحمرة وسواد وصفرة لها جناحان تطير بهما. وهو سم قاتل، كان العرب إذا أرادوا أن يكسروا حد سمه خلطوه بالعدس واستعملوه كدواء لمن عضه الكَلْبُ الكَلِبُ، جمعها ذراح وذراريح.

(102) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 112.

(103) الشفان : القر والمطر.

(104) الشفوف : جمع شف وهو الثوب الرقيق أو الستر الرقيق يري ما وراءه.

وَأَصْرَدَ(105) عِنْدَ غَلَيَانِ ٱلْمَصِيفِ بِٱلسُّمُّورِ(106) وَجَمَعَ بَيْنَ ضَبٍّ وَشَبُّوطٍ(107) عَلَى ٱلْحَيَاةِ فِي صُعُودٍ أَوْ هُبُوطٍ، أَوْ عَلَى ٱلْحَيْنِ فِي مُضْطَرَمِ ٱلتَّنُّورِ، فَلاَ تَرْتَبْ مِنْ رَبِّكَ بِمَقْدُورٍ، فَيُوثِقَكَ فِي أَنْكَاءِ كَلُّوبٍ(108) مِنْ قَدَرٍ لَهُ غَلُوبٍ، ثُمَّ يُرْهِقَكَ بَعْدُ صُعُوداً ثُمَّ يُعْكِسَكَ فِي حَذُورٍ يَنْتَهِي بِكَ إِلَى نَارٍ تُصْبِحُ لَهَا وَقُوداً وَتَفْقِدُ بُرُوداً ضَافِيَةً مِنْ رَحْمَتِهِ وَبُرُوداً، فَتَعَوَّذْ بِكَرَمِهِ مِنْ هَذَا ٱلْمَقَامِ وَاعْمَلْ جُهْدَكَ لِوَجْهِ ذِي ٱلْجَلاَلِ وَٱلإِكْرَامِ، وَاظِبْ وُضُوءاً لَهُ وَطُهُوراً، وَاجْعَلْ حَظَّكَ مِنْ رِزْقِهِ فُطُوراً وَسُحُوراً، وَكُنْ أَبَداً شَدِيدَ ٱلْوُلُوعِ بِٱلسُّجُودِ لَهُ وَٱلرُّكُوعِ، وَكَثِيرَ ٱلْقِيَامِ بِمَفْرُوضٍ أَوْ مُتَنَقِّلٍ مِنَ ٱلصِّيَامِ تَجِدْهُ حَسَنَ ٱلْقَبُولِ لأَعْمَالِ ٱلْعَامِلِينَ جَمِيلَ ٱلإِسْعَافِ لآمَالِ ٱلآمِلِينَ، يَا بَرْدَ مَغْفِرَتِهِ إِنْ صَحَّتْ عَلَى ٱلْكَبِدِ، وَيَا بُشْرَى ٱلسَّعِيدِ بِهَا إِلَى ٱلأَبَدِ وَلِلصَّدَقَةِ فِي حُصُولِهَا تَأْثِيرٌ وَثَوَابُ ٱللَّهِ بِإِزَاءِ قَلِيلِهَا كَثِيرٌ، فَتَعَرَّضْ بِجَزِيلِهَا لِكَرَمِهِ ٱلْمُسْعِفِ وَأَكْثِرْ لِلضُّعَفَاءِ تُضْعِفْ(109)، إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُضْعِفِينَ(110)، وَإِذَا نَحَرْتَ ٱلْجَزُورَ، فَلاَ تَجْعَلْ حَظَّ جَارِكَ ٱلْفَقِيرِ فِي ٱلْمُسْتَرْذَلِ مِنْهَا وَٱلْحَقِيرِ، إِبْعَثْ إِلَيْهِ مِنْهَا بِٱلْفَخِذِ وَاعْلَمْ أَنَّ عَادَةَ ٱلإِحْسَانِ أَحْسَنُ مَا يَتَوَجَّهُ إِلَى اتِّخَاذِهِ رَأْيُ ٱلْمُتَّخِذِ، وَدَعْ فَحِثَ(111) ٱلْكَرِشِ فَمَا تَبْعُدُ فِي ٱلْقَدَرِ وَٱلْقَذَرِ عَنْ مَصِيرِ ٱلْمُحْتَرِشِ(112)، وَهَلْ يَعْتَدُّ مُعْطِي ٱلْقِبَةِ(113) بِكَرَمٍ، أَوْ مَاذَا غَنَاؤُهَا عَنْ مَسَاكِينِ أُولِي قَرَمٍ، وَلَعَلَّهُمْ عَلَى ٱلْخَلَّةِ أُولُو هِمَمٍ، فَيَرَوْنَ صَبِرَ(114)

---

(105) أصرد : من الصرد أي شدة البرد.

(106) السّمّور : حيوان يشبه النمس منه ما هو أسود وما هو أشقر لامع تسوى من جلوده فراء غالية.

(107) شبوط : اسم نوع من السمك. (الشابل).

(108) كلوب : مهماز وخطاف ومنشال يأخذ به الحداد الحديد الحامي.

(109) تضعف : من أضعف الرجل إذا فشت صنيعته وكثرت.

(110) المضعفين : الذين لهم أضعاف في الحسنات.

(111) فحث الكرش : ذات الأطباق من الكرش.

(112) المحترش : الضب.

(113) القبة : فحث الكرش.

(114) صبر : عصارة الصبر وهو مر المذاق.

ٱلصَّبْرِ عَنْهَا أَحْلَى وَأَوْلَى بِحُسْنِ ٱلْعَوَضِ مِنْ كَرَمِ ٱلْمَوْلَى، أَفَلَيْسَ رَدُّ ذَلِكَ عَلَى ٱلْمُتَنَفِّلِ غَيْرِ ٱلْمُحْتَفِلِ أَخْجَلَ لَهُ مِنَ ٱلضَّرْطِ(115) فِي ٱلْمَحْفَلِ، وَهَلْ فِي ٱلْحَبَقِ سِوَى ٱلْحَيَاءِ مِنْ مَخْلُوقٍ مِثْلِكَ مَيْتاً فِي ٱلأَمْوَاتِ أَوْ حَيّاً فِي ٱلأَحْيَاءِ وَفِي إِيلاَمِكَ نَفْسَ ٱلْفَقِيرِ ٱلْمَجْهُودِ إِسْخَاطُ رَبِّكَ ٱلْغَنِيِّ ٱلْحَمِيدِ، فَهَلْ أَنْتَ لِهَذَا مُقْرِنٌ أَوْ تَسْتَطِيعُ قَطْعَ أَخِيَّةٍ(116) مِنْ أَوَاخِيِّهِ مُهْرُكَ ٱلأَرِنُ(117)، لِيَحْسُنْ مِنْكَ ٱلْفِعْلُ، وَلْتَتْرُكْ خُلُقَ ٱلسَّفِلَةِ تَعُلْ، وَاحْذَرْ أَنْ تَخْبُثَ كَلِمَتُكَ فَتَزِلَّ بِكَ ٱلنَّعْلُ، فَتَبِعَةُ ٱلْكَلِمَةِ عَظِيمَةٌ، وَعُقُوبَةُ ٱلآخِرَةِ أَلِيمَةٌ، وَلاَ تَكُنْ مِمَّنْ تَهُونُ عَلَيْهِ عِدَتُهُ(118) وَمَنْ يَكُونُ أَعْظَمَ هَمِّهِ مَعِدَتُهُ، يَهُشُّ سَرِيعاً إِلَى ٱلْقَطِنَةِ(119) هَشَاشَةَ نَفْسٍ غَيْرِ فَطِنَةٍ أَنْجَزَتِ ٱلْقَبِيحَ نَقْداً، وَعَجَزَتْ عَنِ ٱلْجَمِيلِ قَوْلاً وَعَقْداً فَبَايَعَتْ عَلَيْهِ بِأَخِرَةٍ(120)، وَبَنَتْ عَلَى طُولِ ٱلإِمْهَالِ وَٱلنَّظِرَةِ فَانْبَعَثَتْ لَهَا ٱلْمَنِيَّةُ مُبْتَدِرَةً وَلَمْ تَجِدْ إِلاَّ أَنْ تَقُولَ مَا عَرَفْتُكَ إِلاَّ بِأَخَرَةٍ(121)، فَهَلْ مِنْ تَئِيَّةٍ أَسْتَدْرِكُ فِيهَا مَا أَفَتُّ، وَأَمْحُو مِنْ نُدُوبِ ٱلذُّنُوبِ مَا اسْتَفَدْتُ وَٱللَّهِ لَئِنْ أُخِّرْتُ لأُنْفِذَنَّ فِي مُقْتَضَيَاتِ ٱلإِنَابَةِ بَاقِي ٱلآنَاءِ، ولأَجْعَلَنَّ ٱلتَّوْبَةَ لَبِنَةَ ٱلتَّمَامِ فِي هَذَا ٱلْبِنَاءِ، هَيْهَاتَ أَيُّهَا ٱلْمُنْهَمِكُ ٱلَّذِي لَمْ يَزَلْ شَأْنُهُ ٱللَّعِبُ وَٱلضَّحِكُ، هَذَا مَوْقِفٌ لاَ يُنْجِيكَ فِيهِ ٱلْحَلِفُ وَٱلْكَذِبُ وَمَهْوًى لاَ تَجِدُ مَنْ يَصْرِفُكَ عَنْهُ وَيَجْتَذِبُ، هُوَ ٱلْمَوْتُ فَالْقِ يَداً وَٱلْجَزَاءُ فَارْتَقِبْ عَنْ كُلِّ جِنَايَةٍ قَوَداً ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ ٱلظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلاَئِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾(122).

---

(115) الضرط والحبق بمعنى واحد وهو خروج الريح من جسم الإنسان.

(116) أخية : حبل يدفن طرفاه في الأرض وفيه عود يظهر منه مثل عروة تشد إليه الدابة.

(117) الارن : المرح، النشيط.

(118) عدته : وعده.

(119) القطنة، فحث الكرش، القبة : كلها بمعنى واحد.

(120) أخرة ونظرة : بنسيئة وتأخير.

(121) أخرة : بفتح الخاء في آخر الأمر وعقبه.

(122) آية 93 من سورة الأنعام.

14 ـ بَابُ ٱلْمَكْسُورِ أَوَّلُهُ مِنَ ٱلأَسْمَاءِ

حَبْلُ ٱلْبَطَالَةِ رِخْوٌ فَلاَ تَجْعَلْ سَبَبَكَ إِلَى ٱللَّهِ رِخْواً، وَلِكُلِّ كَلْبٍ جِرْوٌ فَلاَ تَقْتَنِ مِنْ كَلْبِ سُوءٍ جِرْواً، وَنَقِّ مَكَاسِبَكَ مِنَ ٱلْحَرَامِ فَعَشِيرُ[1] رِطْلٍ مِنْ مُغْتَصَبِ ٱلذَّهَبِ كَفِيلٌ بِٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ مِنَ ٱلنَّارِ ٱلْحَامِيَةِ ٱللَّهَبِ وَٱلإِضْطِرَامِ ذَلِكَ مَالٌ لاَ يَأْمَنُ ٱلْمُقَصِّرُ أَخْذَهُ، وَلاَ يَنْجُو مِنْهُ ٱلْمُؤَمَّرُ وَلَوِ ٱسْتُعْمِلَ عَلَى ٱلشَّامِ وَمَا أُخَذَ إِخذَهُ[2]، بَلْ رُبَّمَا زَادَهُ ذَلِكَ وَبَالاً، وَلَمْ تَأْلُهُ ٱلْوِلاَيَةُ خَبَالاً، أَفَمَا آنَ لِلأَسْيَانِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لاَ حُجَّةَ لَهُ فِي دَعْوَى ٱلنِّسْيَانِ، وَلاَ يُجْدِيهِ أَنْ يُنْكِرَ وَٱلْبَيِّنَاتُ صَادِعَةٌ بِٱلْبَيَانِ، دِيوَانُ أَعْمَالِهِ حَاضِرٌ إِنْ أَنْكَرَ وَأَيُّ شَيْءٍ لَهُ فِي ٱلنِّسْيَانِ عَاذِرٌ مَعَ قَوْلِ ٱلْحَقِّ سُبْحَانَهُ : ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾[3].

إِنَّ كِسْرَى وَإِنْ حَمَلَ ٱلتَّاجَ، وَتَجَلَّلَ ٱلدِّيبَاجَ، لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ يَوَدُّ فِيهِ لَوْ كَانَ لاَبِسَ مِعْوَزٍ[4]، وَمُمَارِسَ عَيْشٍ إِنَّمَا هُوَ سِدَادٌ مِنْ عَوَزٍ[5]، وَإِنَّ خِصْبَ ٱلْخِوَانِ وَكَثْرَةَ ٱلصَّنَائِعِ وَٱلإِخْوَانِ لاَ يَمْنَعَانِ مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ وَلاَ يَقِيَانِ، إِنَّمَا تُقْتَنَصُ نَتِيجَةُ ٱلأَمَانِ عَنْ مُقَدِّمَتَيْ جِدِّ ٱلْعَمَلِ وَصِدْقِ ٱلإِيمَانِ، فَيَا رَبِّ أَجِرْنِي مِنْ مَذْمُومِ ٱلْمَجَارِي، وَإِذَا عُرِضْتُ عَلَيْكَ فَتَفَضَّلْ عَلَى عَبْدِكَ ٱلْفَقِيرِ إِلَيْكَ بِأَنْ تَقُولَ هُوَ فِي جِوَارِي، فَأَنْتَ ٱلَّذِي لاَ يُخْفَرُ لَكَ جَارٌ، وَلاَ يَكُونُ مَآلُ ٱلْمُخْلِصِينَ لَكَ ٱلنَّارُ، هَذَا ٱلطَّرِيقُ فَأَيْنَ سُلاَّكُهُ، وَٱلتَّوْفِيقُ قَرِيبٌ مِمَّنْ قَرُبَ عَلَيْهِ إِدْرَاكُهُ وَهَذَا

---

(1) العشير : الجزء من العدد عشرة.

(2) استعمل على الشام وما أخذ إخذه : استعمل على الشام ونواحيها.

(3) الآية 37 من سورة فاطر.

(4) معوز : ثوب خلق بالي.

(5) سداد من عوز : بلغة من العيش يسد بها حاجته. **مجمع الأمثال** : 338/1.

قِوَامُ ٱلأَمْرِ وَمِلاَكُهُ وَلَيْسَ مَعَ رَبِّكَ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ يَلْبِسُ عَلَيْكَ ٱلأَمْرَ اشْتِرَاكُهُ، وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ. ٱلْمَالُ[6] فِي ٱلرِّعْيِ نُهْبَةٌ لِلْخُطُوبِ إِنْ لَمْ يَتَكَفَّلِ ٱللَّهُ لَهُ بِالرِّعْيِ، وَكَمْ سِقْيُ[7] أَرْضِكَ أَيُّهَا ٱلإِنْسَانُ لَعَلَّكَ تَظُنُّ أَنَّهُ يَضِيرُهَا تَمُوزٌ أَوْ يَنْفَعُهَا نِيسَانُ، وَٱللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَتَوَلَّ سَقْيَهَا ٱلَّذِي أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ ٱلْمَاءَ وَقَدَّرَ ٱلإِرْوَاءَ وَٱلإِظْمَاءَ، لَيُصْبِحَنَّ نَبْتُهَا هَشِيماً تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ، وَلَيَسْتَأْصِلَنَّ مَا أَخْرَجَتْ مِنْ بَرَكَاتِهَا ٱلاِجْتِيَاحُ فَتُصْبِحَ وَمَا فِي مَالِكَ نِقْيٌ[8] وَلاَ لَكَ مِنَ ٱلطَّعَامِ غِذْيٌ[9] وَلاَ سِقْيٌ[10] وَرَبُّكَ عَزَّ شَأْنُهُ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ. وَسِيَّانِ أَنْ تَنْزِلَ ٱلْعُلُوَّ أَوِ ٱلسُّفْلَ رِزْقُكَ حَيْثُ كُنْتَ آتِيكَ وَٱلْقَدَرُ بِإِرَادَتِهِ مُوَاتِيكَ، فَلاَ تَكُنْ مِنَ ٱلْقَانِطِينَ. أَبْطَرَ قَوْماً ٱلإِقْتِدَارُ وَغَرَّتْهُمْ هَذِهِ ٱلدَّارُ، فَبَنَوْا فِيهَا بِٱلْجِصِّ وَٱلشِّيدِ[11]، كَأَنَّ ٱلْمَنِيَّةَ مَعُوقَةٌ بِالتَّشْيِيدِ، أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَحَيْثُمَا سِرْتُمْ فَإِنَّمَا تَخْطُوْنَ فِي مَسَارِحِ ٱلْمَنَايَا بِأَرْجُلٍ مُقَيَّدَةٍ، وَيَا مُسْتَجِدَّ ٱلثَّوْبِ ٱلْمُزَأْبَرِ[12]، لاَ يَبْقَى ٱلثَّوْبُ وَلاَ زِئْبِرُهُ، وَأَنْتَ يَا مُحَبِّرَ ٱلْكَلاَمِ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ يُودِي ٱلْكَلاَمُ وَمُحَبِّرُهُ، أَنْتَ مُنْحَدِرٌ عَنْ مَنَازِلِ هَذِهِ ٱلدَّارِ انْحِدَارَ ٱلزِّئْبِقِ، وَمُسْتَقْبِلٌ نَاقِداً بَصِيراً بِدِرْهَمِكَ ٱلْمُزَأْبِقِ فَإِنْ كَانَ لَكَ فِكْرٌ فَقِسْ أَنْ لَيْسَ لَكَ يَدَانِ بِالْقِرْقِسِ[13] عَلَى أَنَّ وَهْنَهَا يُبْصَرُ بَيِّناً، وَمَرَامَهَا يُحْسَبُ هَيِّناً، وَعَلَى ذَلِكَ فَهِيَ مِنْ شَرِّ أَذَاكَ، يُبْعِدُ ٱلْغُمْضَ إِدْنَاؤُهَا، وَيُشَرِّدُ ٱلأُنْسَ غِنَاؤُهَا، وَرُبَّمَا أَهْلَكَ ٱلْجَبَّارِينَ اعْتِدَاؤُهَا، وَإِلاَّ فَسَلْ نُمْرُوذاً[14] مَاذَا [كَانَ][15] سَبَبُ حَتْفِهِ وَهَلْ

---

(6) المال في الرعي : الابل وما شاكلها.

(7) سقي أرضك : النصيب من الماء لسقيها.

(8) نقي : كل عظم فيه مخ.

(9) الغذي : الزرع البعيد من المياه، فهو إما يسقى بماء المطر أو بماء السيول.

(10) السقي : الزرع الذي يسقى دون الاعتماد على مياه الأمطار.

(11) الشيد : بكسر الشين كل ما طلي به الحائط من جص أو بلاط.

(12) المزأبر : ما يظهر على وجه الثوب من زغب أو صوف بعد نسجه.

(13) القرقس : البعوض والبق.

(14) النمروذ : ملك معروف كان على عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام.

(15) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 112.

تَوَصَّلَتْ إِلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْفِهِ عَلَى رَغْمِ أَنْفِهِ، وَهِيَ ٱلدُّنْيَا مَا أَمْرُهَا عَلَى ٱللَّبِيبِ بِمُشْكِلٍ فَمِنْ هَذَا ٱلْجِرَابِ فَكِلْ، وَقَدْ صَدَعْتُ لَكَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمُؤْمِنُ يَصْدَعُ وَلاَ يُخْدَعُ، وَمَا أَوْطَأْتُكَ[16] عِشْوَةً فِي ٱلنُّصْحِ ٱلْمَبْذُولِ فَلاَ تُوطِئْنِيهَا فِي ٱلتَّظَاهُرِ بِٱلْقَبُولِ، وَلاَ يُنْسِكَ وَصِيَّتِي عَارِضُ ٱلأَمَلِ ٱلْخَسِيسِ، فَتُسِفَّ إِلَى ٱلدَّنِيَّةِ إِسْفَافَ ٱلْحَدَأَةِ إِلَى ٱلْفَلاَلِيسِ، وَإِنَّ شَرَّ ٱلْمَلإِ فِي ٱلْمُنْتَهَى وَٱلْمُبْتَدَإِ ٱلْعَامِلُونَ عَلَى شَاكِلَةِ ٱلْحِدَاءِ، فَوَٱللَّهِ لأَنْ يُصْبِحَ ٱلْحُرُّ جِنَازَةً خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُرَى نَفْسُهُ إِلَى ٱلرَّذِيلَةِ مُنْحَازَةً، إِنَّ ٱلتَّوْبَةَ لَغِسْلَةٌ[17] مِنْ دَرَنِ ٱلْحُوبِ مُنْقِيَةٌ، وَٱلسَّمَاحَةُ خَصْلَةٌ إِلَى أَعَالِي ٱلْمَعَالِي مُرْقِيَةٌ فَاسْمَحْ يُسْمَحْ لَكَ، وَحُطَّ بِأَكْنَافِ ٱلإِنَابَةِ رَحْلَكَ يَرْجَحْ مِيزَانُكَ، يَوْمَ تُشْفِقُ مِنْ خِفَّتِهِ وَتَخَافُ مِمَّا يُوضَعُ فِي أَعْمَالِكَ فِي كِفَّتِهِ، لاَ تَحْتَقِرَنَّ عَدُوّاً، وَلاَ تَأْمَنَنَّ رَوَاحاً وَلاَ غُدُوّاً فَلَرُبَّمَا بَلَغَتْ صِنَّارَةُ ٱلْمِغْزَلِ مِنَ ٱلإِغْتِيَالِ مَا يُقَصِّرُ عَنْهُ شَأْوُ ٱلسُّيُوفِ ٱلْمَوَاضِي وَٱلرِّمَاحِ ٱلطِّوَالِ، وَكَمْ آمِنٍ لَيْلَتَهُ هَذَا عَلَيْهِ ٱلصَّبَاحُ، وَمُصْبِحٍ فِي كَنَفِ ٱلْعَافِيَةِ ٱلْوَاقِيَةِ غَالَ رُوحَهُ ٱلرَّوَاحُ، وَإِنَّمَا هِيَ ٱلأَقْدَارُ تَدُورُ بِإِذْنِ ٱللَّهِ كَيْفَ تُدَارُ، وَٱلْمَنَايَا تَسْتَخْرِجُ خَبَايَا ٱلزَّوَايَا بِأَيْدِي ٱلرَّزَايَا، فِي بَنِي كُلِّ فُلاَنٍ لَهَا بِغْيَةٌ[18]، وَإِلَى كُلِّ ٱلآذَانِ لَهَا نَغْيَةٌ[19]، فَافْهَمْ عَنْهَا فَقَدْ أَبَانَتْ وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا ٱلْمِسْكِينُ فَكَأَنْ قَدْ بَانَتْ، فَلاَ يَغْتَرُّ ٱلْمَوْلُودُ لِرِشْدَةٍ[20] [بِطِيبِ][21] مَوْلِدِهِ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ لِغَيَّةٍ[22] أَوْ زِنْيَةٍ شَرِيكُهُ فِي مَوْرِدِهِ وَإِنْ بَايَنَهُ فِي كَرَمِ مَحْتِدِهِ، يَالَيْتَ عَذَبَةَ ٱللِّسَانِ كَانَتْ كَٱلإِصْبَعِ مِنَ ٱلإِنْسَانِ، لاَ تَنْتَشِلُ لُحُومَ ٱلأَعْرَاضِ، وَلاَ تَخِفُّ إِلَى ٱلْهُجْرِ خُفُوفَ ٱلسِّهَامِ إِلَى ٱلأَغْرَاضِ، فَمَرِّنْ لِسَانَكَ

---

(16) أوطأتني عشوة : حملتني على غير هداية.

(17) غسلة : ما يغسل به الرأس.

(18) بغية : مبتغى ومراد.

(19) نغية : نغمة.

(20) المولود لرشدة : المولود إذا كان لحلال.

(21) بطبب في الأصل، الورقة : 114.

(22) لِغَيّة : لغير الحلال.

عَنِ ٱلْكَفِّ عَنْ ذَلِكَ وَٱلإِعْرَاضِ، وَاعْلَمْ أَنَّ ذَرَبَ[23] ٱللِّسَانِ شَرٌّ مِنْ شَرِّ ٱلأَمْرَاضِ، فَاسْتَشْفِ رَبَّكَ فَهُوَ ٱلشَّافِي، وَاذْكُرْ كَمْ لَيْلَةٍ أَبَاتَتْكَ جِنَايَاتُ لِسَانِكَ عَلَى مِثْلِ وَخْزِ ٱلأَشَافِي[24]، لاَ بَلِ ٱلأَشْفَى أَخَفُّ وَخْزاً وَٱلأَفْعَى أَسْلَمُ نَكْزاً[25]، وَقَدْ تَحْدُثُ ٱلْمِحْنَةُ، وَتَنْشَأُ بَيْنَ ٱلصَّفِيَّيْنِ ٱلإِحْنَةُ، وَلَكِنِ ٱلْكَرِيمُ يَخْزُنُ لِسَانَهُ وَيَحْفَظُ مَا اسْتَطَاعَ إِيمَانَهُ، يَا لَهَذِهِ ٱلْغَائِلَةِ ٱلْمُتَرَدِّدَةِ إِنِّي لأَذْكُرُهَا فَأَجِدُ إِبْرِدَةً[26]، وَمَا أَقَلَّ مَنْ خَلَصَ بِهَا مِنَ ٱلإِمْتِحَانِ أَنِّي وَأَنْتَ فِي دَارٍ تَقَلَّبُ فِيهَا بَيْنَ صِلٍّ[27] وَعَقْرَبٍ أَوْ بَيْنَ كَلْبٍ وَسِرْحَانٍ. أَعِنْ جُهْدَكَ ٱلْمُسْتَعِينَ وَابْذُلْ لِجَارِكَ إِذَا طَلَبَ إِلَيْكَ ٱلْمَاعُونَ واحْذَرْ أَنْ تَمْنَعَهُ فِي ٱلنَّهَارِ أَوِ ٱللَّيْلِ، فَقَدْ أَوْعَدَ ٱللَّهُ مَانِعِيهِ بِٱلْوَيْلِ[28]، وَإِنْفَحَّةُ[29] ٱلْجَدْيِ مِنْ هَذَا ٱلْقَبِيلِ فَابْذُلْهَا رَطْبَةً وَمُجَفَّفَةً وَقُلْهَا مُثَقَّلَةً وَمُخَفَّفَةً[30]، وَلاَ تَسْتَقِلَّ مَعْرُوفاً فَرَبُّكَ يُكْثِرُ قَلِيلَهُ وَيُرَبِّيهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ، وَالْتَمِسْ أَبَداً مِنَ ٱلْعَمَلِ أَنْفَعَهُ، وَتَوَاضَعْ لِلَّهِ فَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ، وَإِيَّاكَ وَخُلُقَ ٱلإِسْتِنْكَافِ مِنْ رُكُوبِ ٱلإِكَافِ[31]، فَقَدْ رَكِبَ ٱلْوِكَافَ خَيْرُ ٱلْبَشَرِ وَفِيهِ أَكْرَمُ إِسْوَةٍ فِي اطِّرَاحِ ٱلزَّهْوِ وَٱلأَشَرِ، وَكَمْ إِسْوَارٍ[32] مِنْ أَسَاوِرَةِ ٱلْفُرْسِ أُولِي ٱلْمَجْدِ ٱلْخَطِيبِ وَٱلأَلْسِنَةِ ٱلْخُرْسِ اِمْتَطَوا ٱلسُّرُوجَ يُغْشِي وَمِيضُهَا عَيْنَ ٱلشَّمْسِ، وَاسْتَشْعَرُوا مِنْ لَيِّنِ ٱللِّبَاسِ مَا لاَ يَكَادُ يُوجَدُ بِٱللَّمْسِ، فَسَرَتْ إِلَيْهِمُ ٱلْخُطُوبُ بَيْنَ ٱلْجَهْرِ وَٱلْهَمْسِ فَصَدَّتْهُمْ عَنِ ٱلْوِرْدِ وَٱلْخِمْسِ[33] .

---

(23) ذَرَبَ : حِدَّة.

(24) الأشافي : جمع أشفى، الابرة التي تخرز بها النعال.

(25) نكز : طعن الحية بأنفها.

(26) إبردة : برد في الجوف.

(27) الصل : السيف القاطع.

(28) الآيات 4، 5، 6 و7 من سورة الماعون.

(29) إنفحة : شيء يخرج من بطنه أصفر اللون يستعمل في تغليظ الجبن.

(30) يستعمل لفظ إنفحة بالتشديد وبغيره، انظر الفصيح، ص 294.

(31) الإكاف : ويقال أيضا الوكاف وهو ما يكون فوق بردعة الحمار والبغل.

(32) إسوار : الفارس والرامي وقائد الفرس، عجمي معرب، وجمعه أساورة.

(33) الخمس : من أظماء الابل وهو أن ترد الماء في اليوم الخامس.

وَعَاقَهُمُ ٱلْهَوْلُ عَنِ ٱلْكَفْرِ[34] وَٱلرَّمْسِ، وَأَتَتْ عَلَى مُلْكِهِمُ ٱلْعَظِيمِ قُدْرَةُ ٱلْمَلَكُوتِ وَٱلْقُدْسِ فَأَصْبَحَتْ مَنَازِلُهُمْ كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِٱلأَمْسِ جَشَّمَتْهُمْ عِزَّةُ ٱلإِسْلاَمِ أَذَلَّ تَجَشُّمٍ وَنَقَلَتْ سِوَارَ كِسْرَى إِلَى زَنْدِ سُرَاقَةَ[35] بْنِ [مَالِكٍ][36] بْنِ جُعْشُمٍ، فَاعْتَبِرْ لِمَا تَأْتِي بِهِ ٱلأَقْدَارُ وَاعْتَبِرْ فَرُبَّمَا نَفَعَكَ ٱلإِعْتِبَارُ، وَكَمْ إِضْبَارَةٍ[37] مِنَ ٱلْكُتُبِ دَبَرْتَ[38] فَهَلْ بِمُضَمَّنِهَا اعْتَبَرْتَ، وَكَمْ إِضْمَامَةٍ مِنْهَا ضَمَمْتَ فَكَيْفَ بَعْدُ بِٱلذَّنْبِ ٱلْمَمْتَ، أَرَاكَ طَلَبْتَ ٱلْعِلْمَ لِلْبَهَاءِ، وَجَهِلْتَ أَنَّ أَحْسَنَ ثَمَرَاتِهِ حُسْنُ ٱلإِزْدِجَارِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَٱلإِنْتِهَاءِ. أَيُّ وَادٍ وَٱللَّهِ فِيهِ هِمْتَ فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَ، مَا أَخْشَانِي أَنْ يَغْشَاكَ يَوْمٌ تَوَدُّ فِيهِ لَوْ كَانَ شُغْلُكَ فِي ٱلدُّنْيَا رَعْيَ ٱلْبَهَائِمِ، أَوْ لَوْ قُنِعَ مِنْكَ بِقَطْعِ مَا بَيْنَ ٱلْخِنْصِرِ إِلَى ٱلإِبْهَامِ، لاَ بَلْ وَدِدْتَ أَنْ يُقْطَعَ مِنْكَ عُضْوٌ رَئِيسِيٌّ وَلَوْ تَقْطَعْ زَمَانَكَ بِأَنْ يُجْلَبَ إِلَيْكَ إِهْلِيلَجٌ[39] هِنْدِيٌّ أَوْ رُمَّانٌ إِمْلِيسِيٌّ[40] أَوْ تَقْصُرَ عَقْلَكَ عَلَى تَدْبِيرِ الإِوَزَّةِ تَتَّخِذُ لَحْمَهَا صَفِيفاً وَقَدِيراً وَشَكِيرَهَا[41] مِهَاداً وَثِيراً، فَهَلْ تَجِدُ مَنْفَعَةً لِذَاكَ ٱلصَّفِيفِ وَٱلْقَدِيرِ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلاَئِكَةُ صَفّاً بَيْنَ يَدَي ٱلْعَزِيزِ ٱلْقَدِيرِ، أَوْ هَلْ تَدْفَعُ عَنْكَ وَثَارَةُ ٱلشَّكِيرِ مَضَاضَةَ ٱلْوَقْعِ مِنْ إِرْزَبَّةِ[42] مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، كَمْ شَهِدْتَ مِنْ

---

(34) الكفر : من معانيها ظلمة الليل وسواده ــ القبر ــ القرية ولعل هذا المعنى الذي قصده أبو الربيع.

(35) سراقة بن مالك بن جعشم : هو الذي خرج في إثر رسول الله ﷺ طمعا في المائة ناقة التي وعدت بها قريش كل من يرد سيدنا محمد ﷺ، وقصته وفرسه مشهورة.
انظر **سيرة ابن هشام** : 134/2 و135.

(36) ملك في الأصل، الورقة : 114.

(37) إضبارة : مجموعة كتب مضمومة مشدودة.

(38) دبرت : خلفتها بعدك، بقيت بعدك.

(39) إهليلج : ثمر شجر يستعمل في الأدوية، ونسبته الهندي لأنه يأتي من الهند.

(40) رمان إمليسي : حلو طيب لا عجم له في حبه وإنما هو ماء منعقد أملس منسوب إلى الامليس وهو الناعم اللين.

(41) شكيرها : الشكير من الشعر والريش والعفا والنبت : ما نبت من صغاره بين كباره.

(42) إرزبة : المعول والمطرقة.

إِمْلاَكٍ[43] مَنجُوٌّ مُفْتَخِرٍ ثُمَّ شَاهَدْتَ اسْتِعْمَالَ ٱلسِّدْرِ[44] فِيهِ وَٱلإِذْخِرِ[45]، رَاقَكَ مُتَحَرِّكاً كَأَنَّهُ لاَ يَسْكُنُ، ثُمَّ رَاعَكَ مُهْلَكاً كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ، فَطَفِقْتَ تُنْكِرُ صِفَتَهُ لَمَّا نَشَرَ ٱلْفَنَاءُ عَلَيْهِ مِلْحَفَتَهُ، وَتُضْرِبُ عَنْ مَعْهُودِ بِرِّهِ وَإِلْطَافِهِ لَمَّا سَلَبَتِ ٱلْمَنُونُ مِلْحَفَ ٱلْعَيْشِ ٱلأَنِيقِ عَنْ أَعْطَافِهِ، إِنَّ نَفْسَكَ فِي ٱلْمَوْتِ لَمُغْرِقَةٌ، وَكُلُّ حَيٍّ لاَبُدَّ وَأَنْ تَقَعَ بِرَأْسِهِ لِلْمَنَايَا مِطْرَقَةٌ، فَأَعِدَّ لِوَقْعِ ٱلْمِطْرَقِ، وَجِدَّ فَلاَبُدَّ مِنْ سُلُوكِ تِلْكَ ٱلطُّرُقِ، وَلاَبُدَّ لِهَذِهِ ٱلرِّيحِ أَنْ تَهُبَّ سَمُومُهَا[46] وَلِذَرَارِيحِ هَذِهِ ٱلْقَبَائِحِ أَنْ تَغُولَكَ سُمُومُهَا، ثُمَّ لاَ تُسْتَدْفَعُ بِٱلْمِرْوَحَةِ تِلْكَ ٱلأَرْوَاحُ وَتَنْجُو بِحِيلَةٍ مِنَ ٱلْهَلاَكِ هَذِهِ ٱلأَرْوَاحُ. إِنْ تَفَقَّدْتَ مَرَّةً فِي ٱلْمِرْآةِ ظَاهِرَ شَيْبِكَ، فَتَفَقَّدْ مِرَاراً فِي مَرَائِي ٱلنَّظَرِ ٱلْجِدِّ وَٱلْعَقْلِ ٱلأَسَدِّ بَاطِنَ غَيْبِكَ وَعَيْبِكَ، ثُمَّ طَهِّرْ قَلْبَكَ وَمِئْزَرَكَ، وَحَسِّنْ مَا اسْتَطَعْتَ فِي ٱلدُّنْيَا أَثَرَكَ، وَجُدْ عَلَى ذِي ٱلْعَيْمَةِ وَٱلْعَيْلَةِ ٱلضَّعِيفِ بِمَخْلَبٍ يُرْوِيهِ، وَصَدِّقْ بِعَمَلِكَ صَادِقَ ٱلْعِلْمِ ٱلَّذِي فِي فَضْلِ ٱلصَّدَقَةِ تَرْوِيهِ، فَٱلصَّدَقَةُ لِمَصَارِعِ ٱلسُّوءِ كَٱلْمِقْطَعِ، وَٱلدِّيَارُ إِذَا لَمْ تُعْمَرْ بِحُسْنِ ٱلصِّلَةِ وَٱلْمُوَاسَاةِ فِي حُكْمِ ٱلْقَوَاءِ ٱلْبَلْقَعِ، أَدِّ ٱلأَمَانَةَ حَتَّى فِي مِخْيَطٍ [وَمِلْ][47] أَبَداً فِي أَفْعَالِكَ وَأَقْوَالِكَ إِلَى ٱلأَحْوَطِ، وَاحْذَرْ أَنْ تَكُونَ لأَقْضِيَةِ رَبِّكَ ذَا تَسَخُّطٍ، أَوْ تَلْقَى أَقْدَارَهُ كَأَنَّمَا تُسْعَطُهَا بِمُسْعَطٍ[48] فَإِنَّ ذَلِكَ لاَ يَصْرِفُ قَدَراً وَلاَ يُفِيدُكَ إِلاَّ كَرْباً نَاجِزاً وَعِقَاباً مُوجِزاً. إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلأَيَّامُ لِلأَعْمَارِ مُدُقٌّ تَدُقُّهَا وَٱللَّهِ دَقَّ ٱلْمِنْحَازِ[49] [حَبَّ][50] ٱلْفُلْفُلِ، وَتَأْتِي رَزَايَا مَنَايَاهَا عَلَى ٱلْيَقِظِ وَٱلْمُغَفَّلِ :

---

(43) إملاك : زواج.

(44) السدر : شجر النبق ومنه نوع حلو طيب الرائحة يفوح فم آكله وثيابه كما يفوح العطر.

(45) الإذخر : حشيش طيب الرائحة يطحن ويستعمل في الطيب.

(46) سموم : الريح الحارة.

(47) غير واضحة في الأصل، الورقة : 115.

(48) مسعط : آلة ينفخ بها السعوط في أنوف الدواب للتعطيس.

(49) المنحاز : الهاون، والنحز : الدق، والعبارة من أمثال العرب «دقك بالمنحاز حب الفلفل». فصل المقال، ص 434، وفي مجمع الأمثال للميداني : «دقك بالمنحاز حب الفلفل». والفلفل شجيرة خضراء لها حب حلو طيب والمثل يضرب للاذلال والحمل عليه.
انظر مجمع الأمثال : 265/1.

يَمُوتُ رَاعِي ٱلضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ   كَمَوْتِ جَالِينُوسَ فِي طِبِّهِ
وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى عُمْرِهِ   وَزَادَ فِي ٱلأَمْنِ عَلَى سِرْبِهِ[51]

[البسيط]

تَمَعْدَدُوا[52] وَاخْشَوْشَنُوا مَعْشَرَ ٱلرِّجَالِ وَدَعُوا ٱلْمُدْهُنَ وَٱلْمُكْحُلَةَ لِرَبَّاتِ ٱلْحِجَالِ، مَا اتَّخَذَ نَبِيُّكُمْ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْخُلاً وَلاَ آثَرَ غَيْرَ خِدْمَةِ ٱللَّهِ شُغُلاً، فَجِدُّوا فَإِنَّ ٱلأَمْرَ جِدٌّ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَنْفَاسَكُمْ سَيُفْنِيهَا عَدٌّ وَمَنْ سَالَ عَلَيْهِ سَيْلُ ٱلسِّتِّينَ مِنْ نُقَطِ ٱلإِنَاءِ فَقَدْ حَصَلَ فِي دِهْلِيزِ ٱلْفَنَاءِ، فَلْيُعِدَّ لِلدَّارِ ٱلَّتِي هَذَا دِهْلِيزُهَا، وَلْيَقْتَدِ بِٱلْفِرْقَةِ ٱلَّتِي إِذَا جَنَّ عَلَيْهَا ٱللَّيْلُ ضَاهَى أَزِيزَ ٱلْمِرْجَلِ وَحَنِينَ ٱلْبَازِلِ مِنَ ٱلإِبِلِ حَنِينُ صُدُورِهِمْ وَأَزِيزُهَا، تُخْضِلُ مِنْدِيلَ ٱلْبُكَاءِ، وَتُعَطِّلُ مَنَادِيلَ ٱلْغَذَاءِ وَٱلْعَشَاءِ اِسْتِهَانَةً لِعَاجِلِ ٱلشِّفَاءِ، وَطَلَباً لِلأَعْلَى فِي دَارِ ٱلْبَقَاءِ، فَيَا لِهَذَا ٱلْفَرِيقِ مَا أَجْدَاهُمْ عَلَى مَنْ وَالاَهُمْ يَوْمَ ٱلشَّرَقِ بِٱلرِّيقِ، وَيَا شُفُوفَ أَنْوَارِ هَذَا ٱلْخَلِيطِ عَلَى نُورِ كُلِّ قِنْدِيلٍ أُمِدَّ بِمُحْكَمِ ٱلْفُتُلِ وَمُهَانِ ٱلسَّلِيطِ[53]، يَا عَجَباً لِبَعْضِ ٱلنَّاسِ تَنَكَّبُوا فِي أَعْمَالِهِمْ سُبُلَ ٱلتَّحْسِينِ وَاقْتَصَرُوا عَلَى أَنَّ ٱلتَّمْرَ ٱلشَّهْرِيزَ[54] يُقَالُ بِٱلشِّينِ وَبِٱلسِّينِ. دَعْهُ يُقَالُ بِمَا قِيلَ وَانْظُرْ بِمَ تُخَفِّفُ عَنْكَ ٱلْعِبْءَ ٱلثَّقِيلَ، وَإِنْ قَدَّمْتَ ٱلنَّظَرَ لِعَثَرَاتِكَ كَيْفَ تُقَالُ، فَحَسَنٌ أَنْ تَعْلَمَ بَعْدُ كَيْفَ

---

(50) مطموسة في الأصل، الورقة : 115.

(51) البيتان لأبي الطيب المتنبي من قصيدة يعزي أبا شجاع في موت عمته، مطلعها :

آخِرُ مَا المَلِكُ مُعَزًّى بِهِ   هَذَا ٱلَّذِي أَثَّرَ فِي قَلْبِهِ

الديوان، ص 212 بشرح أبي البقاء العكبري. وتعقب ابن بسام في الذخيرة هذه الأبيات فعدها من المعاني التي أخذها أبو الطيب من قول أبي غسان المتطبب. انظر **الذخيرة**، القسم الثاني، المجلد الأول، ص 481، تحقيق الدكتور إحسان عباس. وانظر الأبيات في كتاب أستاذنا الكبير الدكتور محمد بنشريفة، **أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة**، ص 134.

(52) قول سيدنا عمر بن الخطاب : «اخشوشنوا وتمعددوا». وفي تمعدد قولان : أن تكون بمعنى الغلظ أو بمعنى تشبهوا بعيش معد وهو الأرجح لأنهم كانوا أهل تقشف وغلظ في المعاش.

(53) السليط : الزيت.

(54) تمر شهريز : تمر لونه أحمر وهو اسم فارسي وقد وضع فوق الكلمة لفظ «معا» أي أنها تكتب بالفتح والكسر وكذلك تكتب بالشين والسين وهذا ما وضحه أبو الربيع في الجملة التي تليها.

يُقَالُ، إِنَّ ٱللَّهَ جَعَلَ نَبِيَّنَا عَرَبِيّاً وَكِتَابَنَا عَرَبِيّاً [وَلِسَانَنَا عَرَبِيّاً](55) فَكَٱلضَّرُورِيِّ بِحَسَبِ هَذَا لِلإِنْسَانِ إِذَا كَانَ مِمَّنْ زَيَّنَهُ ٱللَّهُ بِٱلْعِلْمِ وَشَرَّفَهُ بِٱلإِيمَانِ أَنْ يَعْلَمَ كَيْفَ مَجَارِي هَذِهِ ٱلأَلْفَاظِ فِي أَصْلِ ٱللِّسَانِ، [فَبِعِلْمِهَا](56) نَرْفَعُ فِي كَثِيرٍ مِنَ ٱلْقَضَايَا عَارِضَ ٱلإِرْتِيَابِ وَنَفْهَمُ مُقْتَضَيَاتِ ٱلسُّنَّةِ وَٱلْكِتَابِ وَإِنَّمَا ٱلْجَهْلُ كُلُّ ٱلْجَهْلِ أَنْ يُطْلَبَ عِلْمٌ مِثْلُ هَذَا لِنَفْسِهِ، وَيُتَّخَذَ عِلْماً بِرَأْسِهِ، فَيَفْنَى ٱلزَّمَانُ فِي مُحَاوَلَةِ هَذَيَانِهِ، وَيُضْرَبَ عَنْ أَثَرِ ٱلْحَقِّ وَعِيَانِهِ، وَإِنَّ آكَدَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ وَأَوْلَى أَنْ نَعْتَنِيَ جُهْدَنَا بِخِدْمَةِ ٱلْمَوْلَى عَسَاهُ يُولِينَا حَظّاً مِنَ ٱلأُثُرِ(57) ٱلَّتِي فَاوَتَ بِهَا بَيْنَ ٱلسِّرْجِينِ(58) وَٱلْعَنْبَرِ، فَجَعَلَ ذَلِكَ نَجِساً وَجَعَلَ هَذَا طَيِّباً مُنْفِساً. إِنَّ ٱلسِّكِّيرَ وَٱلْخِمِّيرَ وَٱلشِّرِّيبَ كُلُّهُمْ مُرِيبٌ وَبَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ قَرِيبٌ، وَإِنَّ شَاهِرَ ٱلسِّكِّينِ لَلاَحِقٌ بِهَؤُلاَءِ ٱلْمَسَاكِينِ، فَلاَ تَكُنْ وَاحِداً مِنَ ٱلأَرْبَعَةِ فَتَجْلُوكَ ٱلأَلْسِنَةُ فِي صُورَةٍ مِنَ ٱلذِّكْرِ مُسْتَشْنِعَةٍ، أَمَا وَٱللَّهِ لَئِنْ رَكِبْتَ سَنَنَ ٱلإِسْتِقَامَةِ لَتَعُدَّنَّ حَسَنَ ٱلرِّكْبَةِ، وَلَئِنْ تَنَكَّبْتَ سَنَنَ ٱلسَّلاَمَةِ لَيُؤَدِّيَنَّكَ سَيْرُكَ إِلَى ٱلنَّكْبَةِ، كُنْ مِنَ ٱلشَّرِّ جِدَّ مُنْتَبِذٍ، وَإِنْ مَشَيْتَ إِلَى طَمَعٍ فَلَسْتَ حَسَنَ ٱلْمِشْيَةِ يَوْمَئِذٍ فَاخْلَعْ تِلْكَ ٱللِّبْسَةَ عَنْ أَعْطَافِكَ تَأْمَنِ ٱلْعَيْبَ فِي مَطَافِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ ٱلْقِعْدَةَ فِي هُوَّةِ ٱلإِقْلاَلِ خَيْرٌ مِنْ حُصُولِكَ عَلَى عُلُوِّ ٱلرُّتْبَةِ بِٱلثَّرْوَةِ مِنْ غَيْرِ ٱلْحَلاَلِ، فَٱلْوَرِعُ ٱلْمُفْلِسُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ مِنَ ٱلْغَنِيِّ ٱلَّذِي لاَ يُبَالِي مِنْ [أَيْنَ](59) يَجْمَعُ ٱلْحُطَامَ وَيَلْتَمِسُ، وَيَسْتَلِبُ ٱلْحَرَامَ وَيَخْتَلِسُ وَكَانَ نَبِيُّكَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَخَشِّعاً فِي جِلْسَتِهِ، فَاعْتَمِدْ تِلْكَ ٱلْجِلْسَةَ حِينَ تَجْلِسُ وَلِلصَّدَقَةِ فِي رِضَى(60) ٱللَّهِ تَأْثِيرٌ وَٱلْقَلِيلُ مِنْهَا عِنْدَ فَضْلِهِ كَثِيرٌ، فَلاَ تَحْتَقِرَنَّ قِطْعَةَ بِطِّيخٍ تُعْطِيهَا مُعْتَفِياً(61) أَوْ عَافِياً(62) وَلاَ حِذَاءَ

(55) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 116.

(56) في الأصل [فبعنمها]، الورقة : 116.

(57) الأثر : جمع أثر مصدر للفعل آثر الحديث إذا ذكره عن غيره وحدث به.

(58) السرجين : روث الدواب.

(59) في الأصل [أن] الورقة : 116.

(60) في الأصل [رضا] نفس الورقة.

(61) معتفيا : طالب معروف.

(62) عافيا : ضيفا.

حَلْفَاءَ تُمْطِيهِ[63] فِي ٱلْحَزْنِ وَقِعاً[64] حَافِياً، فَرَبُّكَ ٱلْكَرِيمُ كَفِيلٌ بِٱلتَّسْبِيخِ[65] عَنِ ٱلْمُتَصَدِّقِ بِحُزَّةٍ[66] ٱلطَّبِيخِ وَ«فِي كُلِّ ذِي كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[67] وَفِي اعْتِيَادِ أَعْمَالِ ٱلْبِرِّ عَنِ ٱلشَّرِّ زَجْرٌ، وَإِنَّ وَجْهَ ٱلْمَعْرُوفِ لَجَمِيلُ ٱلرُّوَاءِ، وَمَاؤُهُ شَدِيدُ ٱلْجِرْيَةِ نَجِيعُ[68] ٱلإِرْوَاءِ، فَاعْمَلْ أَبَداً أَنْ تَرِدَ تِلْكَ ٱلْمَوَارِدَ، وَاجْهَدْ فِي أَنْ تَتَأَلَّفَ ٱلنَّافِرَ وَتَرُدَّ ٱلشَّارِدَ، وَمِنْ مُحْكَمِ أَحْكَامِ ٱلرَّجَاحَةِ إِيثَارُ ٱلسَّجَاحَةِ، فَٱلطِّبَاعُ فِي ٱلْغَالِبِ لَهَا أَطْوَعُ وَلِمَقَاصِدِهَا أَتْبَعُ، وَفِي ٱلنَّاسِ مَنْ [يُطْغِيهِ ٱلرِّيُّ][69] وَٱلشِّبَعُ وَلاَ يُغْنِي فِيهِ ٱلسَّيْفُ وَٱلنِّطَعُ، وَٱلْمَرْأَةُ مِنْ هَذَا ٱلْقَبِيلِ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ فَإِنْ ذَهَبْتَ أَنْ تُقِيمَهُ تَصَدَّعَ وَحُسْنُ ٱلْخُلُقِ عِلاَجُ هَذِهِ ٱلأَدْوَاءِ وَٱلسَّمَاحَةُ وَلَوْ بِٱلْقِمَعِ تُذْهِبُ وَحَرَ ٱلصُّدُورِ وَتُسَكِّنُ نَازِيَاتِ ٱلأَهْوَاءِ، فَرَحِمَ ٱللَّهُ ٱلْمُتَخَلِّقِينَ، وَأَحْسَنَ ٱلْخَلَفَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴿ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً﴾[70]، وَيُؤْثِرُونَ بَاقِيَةً وَيَرْفُضُونَ فَانِيَةً ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾[71].

---

(63) تمطيه : من الفعل مطأ بمعنى وطىء.

(64) وقعا تصحيح من طرة الكتاب الورقة : 116. والوقع : الذي حفي من الحجارة أو الشوك واشتكى لحم قدميه.

(65) التسبيخ : التخفيف.

(66) حزة : قطعة اللحم أو الكبد.

(67) حديث نبوي أصله : «بينما رجل يمشي بطريق إذ اشتد عليه العطش، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب وخرج فإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسك بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، فقالوا : يا رسول الله وإن لنا في البهائم لاجرا، فقال : في كل ذات كبد رطبة أجر» الأحاديث الصحيحة : 34/1.

(68) نجيع : ماء نجيع أي ماء نمير.

(69) غير واضحة في الأصل، الورقة : 116.

(70) الآية 275 من سورة البقرة : ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

(71) الآية 38 من سورة سبأ : ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾.

15 ـ بَابُ ٱلْمَكْسُور أَوَّلُهُ وَٱلْمَفْتُوحِ بِٱخْتِلاَفِ ٱلْمَعْنَى

سُبْحَانَ مَنْ أَرْسَلَ إِحْسَانَهُ ٱلصَّيِّبَ، فَعَمَّ بِهِ ٱلْبِكْرَ وَٱلثَّيِّبَ وَغَمَرَ بِطَيِّبَاتِهِ ٱلْخَبِيثَ وَٱلطَّيِّبَ، اِتِّسَاعاً فِي ٱلرَّحْمَةِ ٱلَّتِي تَأَخَّرَ عَنْهَا ٱلْغَضَبُ وَبَسْطاً لِرِزْقِهِ ٱلَّذِي يَكْفِي مِنْهُ أَهْلَ ٱلْبَسِيطَةِ ٱلْيَسِيرُ ٱلْمُقْتَضَبُ، وَسُبْحَانَ ٱلَّذِي اسْتَأْثَرَ دُونَ خَلْقِهِ بِعِلْمِ ٱلْغُيُوبِ، وَطَوَى لَهُمْ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ٱلْمَحْبُوبَ فِي ٱلْمَكْرُوهِ، وَٱلْمَكْرُوهَ فِي ٱلْمَحْبُوبِ، فَإِذَا وُلِدَ لِلْبِكْرِ بِكْرٌ تَظَاهَرَ لَدَيْهِ حَمْدٌ لِلَّهِ وَشُكْرٌ سُرُوراً بِٱلْمَزِيدِ فِي عَدَدِهِ، وَرَجَاءً فِي هَذَا ٱلْوَلِيدِ أَنْ تَكُونَ بِهِ حِيلَةُ يَدِهِ وَإِقَامَةُ أَوَدِهِ، وَرُبَّمَا أَعْجَلَتْ مَنِيَّتُهُ عَنْ ذَلِكَ، وَكُلُّ شَيْءٍ غَيْرُ وَجْهِ رَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ هَالِكٌ، وَكَذَلِكَ لِلأُمِّ ٱلْبِكْرِ بِبِكْرِهَا سُرُورٌ، وَٱلدُّنْيَا وَبَنُوهَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَغُرُورٌ، فَانْظُرْ إِلَيْهَا تُرَقِّصُهُ لاَهِيَةً، وَتُنْشِدُهُ مُغْيِيَةً[1] فِي ٱلأُنْسِ بِهِ مُتَنَاهِيَةً:

يَا بِكْرَ بِكْرَيْنِ وَيَا خِلْبَ ٱلْكَبِدْ   أَصْبَحْتَ مِنِّي كَذِرَاعٍ مِنْ عَضُدْ[2]

[الرجز]

وَٱلْقَدَرُ يَضْحَكُ مِنْ سُرْعَةِ ذَهَابِ ذَلِكَ ٱلْمَتَاعِ، وَوَشِيكِ انْفِصَالِ ٱلْعَضُدِ عَنْ هَذِهِ ٱلذِّرَاعِ، وَإِنَّ ٱلبَكْرَ[3] ٱلْمُؤَيَّدَ إِذَا أَمْكَنَتِ ٱلنَّوَائِبُ مِنْهُ ٱلْيَدَ لَرَهِينُ ٱلإِبْدَاعِ[4]، وَلِلْخُطُوبِ سُنَّةٌ لاَ تَبْقَى عَلَيْهَا بَكْرَةٌ وَلاَ مُسِنَّةٌ، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ

(1) مغيية : اسم فاعل من غيت إذا بلغت الغاية والنهاية.
(2) الرجز للكميت بن زيد الأسدي. [الديوان : 166/1].
(3) البكر : بفتح الباء : الفتي من الابل والشاب من الانس.
(4) الإبداع : من أبدع به إذا كلت راحلته وعطبت وبقي منقطعا به.

ٱللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[5]. إِنَّ ٱلْخَيْطَ ٱلْوَاهِيَ مِنَ ٱلْكَتَّانِ نَظِيرُ ٱلْمُكْرَبِ ٱلْمُوَثَّقِ مِنَ ٱلأَشْطَانِ[6]، كِلاَهُمَا لاَ يَبْقَى عَلَى ٱلْحَدَثَانِ، وَكَذَلِكَ ٱلْخِيطُ[7] مِنَ ٱلنَّعَامِ مُغْتَالٌ بَيْنَ ٱلشَّهْرِ وَٱلْعَامِ، وَأَرْوَاحُ ٱلأَنَامِ مُخْتَطَفَةٌ بَيْنَ ٱلْيَقَظَةِ وَٱلْمَنَامِ، جَرَى بِذَلِكَ قَلَمٌ لَمْ يَخْضِبْهُ حِبْرٌ، فَسِيَّانِ جُهُولٌ وَحَبْرٌ. إِذَا عَيَّنَتْ لَكَ ٱلأَقْدَارُ قِسْماً فَارْضَ، فَمَا ٱلْقَسْمُ إِلاَّ قَسْمُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ، ثُمَّ لِيَكُنْ عَزْمُكَ صَدْفاً[8] وَقَوْلُكَ صِدْقاً، فَصَلاَبَةُ ٱلرَّأْيِ نَجَاحٌ وَيُمْنٌ، وَالصِّدْقُ فِي مَوَاطِنِ ٱلْخَوْفِ نَجَاةٌ وَأَمْنٌ، وَأَخْلِقْ بِٱلصَّادِقِ أَنْ يَغْدُوَ وَيَرُوحَ وَهْوَ آمِنٌ فِي سِرْبِهِ[9]، وَخَلِّ سَرْبَ[10] ٱلْمَائِنِ[11] فَلَشَدَّ مَا ظَلَّ مَائِنٌ فِي سَرْبِهِ. كَمْ حَلَّ بِجِزْعِ[12] ٱلْوَادِي عَاطِشٌ فَعَاقَهُ عَنِ ٱلْوُرُودِ أَجَلٌ بَاطِشٌ، نَزَعَ إِلَى ٱلْمَاءِ فَعَالَجَهُ ٱلنَّزْعُ وَوَاصَلَتْهُ ٱلْمَنِيَّةُ فَتَقَطَّعَ مِنْ أَجْيَادِ فَتَيَاتِهِ ٱلْجَزْعُ[13]، كُشِفَ ٱلشُّفُّ[14] عَنْهُنَّ وَكَانَ لَهُنَّ شِفٌّ[15] عَلَى ٱلنَّظَائِرِ فَهُنَّ، فَلاَ تَحْفِلْ فِي هَذِهِ ٱلْعَاجِلَةِ بِشُفُوفٍ، وَلاَ تُكَاثِرْ بِٱلدَّعْوَةِ إِلَى نَسَبٍ شَرِيفٍ، فَٱلْمَوْتُ عَلَى كُلِّ هَذَا آتٍ، وَلَنْ تَجِدَ إِلاَّ ٱلَّذِي قَدَّمْتَ مِنْ حَسَنَاتٍ أَوْ سَيِّئَاتٍ. وَإِذَا دُعِيتَ إِلَى مُكَاثَرَةِ طَغَامٍ[16] فَاحْتَجِبْ، وَإِنْ دَعَاكَ أُخُوكَ إِلَى مُشَاهَدَةِ طَعَامٍ فَأَجِبْ، فَمُشَارَكَةُ ٱلطَّغَامِ رَذِيلَةٌ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ ٱلدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ. لَعَمْرِي لَحِمْلٌ مِنَ ٱلرَّصَاصِ أَخَفُّ

---

(5) الآية 43 من سورة فاطر.

(6) الأشطان : الحبال.

(7) الخيط : القطعة من النعام.

(8) صدفا : عدلا.

(9) آمن من سِرْبه : آمن في نفسه.

(10) سَرْب : بفتح السين : طريق.

(11) المائن : الكاذب.

(12) جزع الوادي : جانبه وما انثنى منه.

(13) الجزع : حبات الخرز تضعها المرأة قلادة على عنقها.

(14) الشف : الفضل، والدعوة في النسب.

(15) شف : ستر رقيق.

(16) طغام : أرذال الناس وأوغادهم.

عَلَى ٱلظُّهُورِ وَٱلْجُنُوبِ مِنْ [يَسِيرِ][17] ٱلذُّنُوبِ، فَاجْهَدْ أَنْ لاَ تَكُونَ مِنَ ٱلْمُذْنِبِينَ، وَاعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَيْكَ إِنْ أَخْلَلْتَ أَوْ ضَلَلْتَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلضَّالِّينَ، وَلَيْسَ لأَحَدٍ فِي قُدْرَةِ ٱللَّهِ اشْتِرَاكٌ وَلاَ دُونَ إِذْنِهِ لِذَاتِ ٱلْحَمْلِ تَطْرِيقٌ[18]، وَلاَ لِحَمْلِ ٱلنَّخْلَةِ وَٱلشَّجَرَةِ إِدْرَاكٌ هُوَ ٱلَّذِي أَنْعَمَ عَلَى ٱلْجَافِي بِلَطَفِهِ ٱلْخَفِيِّ أَنْ يَهْتَصِرَهُ وَأَطْلَقَ لِسَانَ ٱلْعَرَبِيِّ بِأَنْ يَفْتَحَهُ وَيَكْسِرَهُ، فَلْيَقُدْكَ إِلَى إِكْبَارِ أَمْرِهِ ٱلنُّسْكُ، وَانْفُضْ أَبَداً يَدَيْكَ مِنْ عَمَلٍ يَقُولُ سَامِعُهُ مُشِيراً إِلَيْكَ : «لاَ يَعْجِزُ عَنْ عَرْفِ ٱلسَّوْءِ هَذَا ٱلْمَسْكُ[19]»[20]، وَاعْلَمْ أَنَّ حُسْنَ ٱلأُحْدُوثَةِ يُقَصِّرُ عَنْ طِيبِهَا ٱلْمِسْكُ. كَمْ ظَفِرَ بِقِرْنِهِ[21] فِي ٱلْقِتَالِ شَهْمٌ، ثُمَّ صَرَعَهُ مِنَ ٱلْمَنَايَا سَهْمٌ فَٱلْتَقَى مَظْفُورٌ بِهِ وَظَافِرٌ، وَكُلُّ حَيٍّ إِلَى غَايَاتِ ٱلْمَنَايَا مُسَافِرٌ، وَسِيَّانِ شَكْلٌ لَكَ مُلاَئِمٌ وَضِدٌّ مُنَافِرٌ لاَ يُنْجِي ذَاتَ ٱلشِّكْلِ[22] ٱلدَّلُّ[23]، وَلاَ يَبْقَى لَكَ وَلَوْ حَرِصْتَ ٱلْخِلُّ أَيْنَ مَنْ كَانَ عَلَى قَرْنِكَ مِنْ لِدَاتِكَ، وَأَيْنَ مَنْ وَاصَلَكَ مِنْ أُوِدَّائِكَ أَوْ قَاطَعَكَ مِنْ عُدَاتِكَ، أَصْبَحُوا وَمَا بِدِيَارِهِمْ أَرِمٌ[24]، وَلاَ مِنْ آثَارِهِمْ إِرَمٌ[25] ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾[26]، فَٱلْجِدَّ يَا هَذَا ٱلْجِدَّ، فَلَيْسَ ٱلْجَدُّ يُبْقِيكَ وَلاَ مَحِيدَ لَكَ عَنْ مَصْرَعِ جَدِّكَ وَأَبِيكَ، أَجِدَّكَ طَمِعْتَ فِي خِلاَفِ ذَلِكَ، وَجِدِّكَ[27] لَقَدْ تَعَدَّيْتَ ٱلْمَآخِذَ ٱلسَّدِيدَةَ وَٱلْمَسَالِكَ، لَعَلَّ بِكَ وَقْراً[28]

---

(17) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 117.

(18) تطريق : من الفعل طرقت المرأة إذا نشب ولدها في بطنها وصعب خروجه.

(19) المسك : الجلد.

(20) من أمثال العرب يضرب يضرب للرجل يكتم لؤمه فيظهر عليه انظر مجمع الأمثال للميداني : 231/2. وفيه المثال : «لا يعجز مسك السوء من عرف السوء».

(21) قرنه : مثله.

(22) الشكل : بكسر الشين : الدلال وغنج المرأة.

(23) الدلّ : الدلال. والمقصود بالعبارة «لا ينجي المرأة دلالها».

(24) أرم : أحد.

(25) إرم : علم، وهي حجارة توضع فوق بعضها البعض لتعلم بها الطريق.

(26) الآية 98 من سورة مريم.

(27) وجدك : وحقك.

(28) وَقر : ثقل السمع بفتح الواو.

عَمَّا يُوجِبُهُ نَاصِحٌ، أَوْ هَلْ ذَهَلْتَ أَنَّ وِقْرَ[29] ٱلذُّنُوبِ لِحَامِلِهِ فَادِحٌ، خَفِّفْ بِذِكْرِ ٱللَّهِ لَحْيَكَ[30] فَيَا سَعَادَةَ ٱلْحٍ بِهِ تَخِفُّ، وَاسْتَشْفِ بِمُدَاوَمَتِهِ فَذِكْرُهُ سُبْحَانَهُ يَشْفِي وَيُشِفُّ[31]، وَكَمْ بَيْنَ أَنْ تَخِفَّ بِذَلِكَ ٱللُّحِيُّ أَوْ يُقَاوِلَ ٱللاَّحِيُّ[32] بِٱلْهُجْرِ ٱلْمَلْحِيِّ. كَلاَّ لاَ سَوَاءَ، وَعَلَى فَضْلِ ٱللَّهِ أَنْ يَقِينَا ٱلأَهْوَاءَ. بَيْنَا شَبِيبَةُ ٱلْمَرْءِ غَضَّةٌ أُصْبِحَتْ لِحْيَتُهُ مُبْيَضَّةً، فَيَا سَوَادَ ذَاكَ ٱلْبَيَاضِ فِي بَاطِنِهِ، وَيَا بَرْحَ إِشْفَاقِهِ مِنْ فِرَاقِ أَخْدَانِهِ وَمُوَاطِنِهِ خَفِّضْ عَلَيْكَ أَيُّهَا ٱلْمُشْفِقُ، فَكُلُّ أَخْدَانِكَ بِكَ لاَحِقٌ، وَبَيَاضُ ٱلشَّيْبِ لِسَوَادِ ٱللُّحَى مَاحِقٌ، وَرُبَّمَا أُعْجِلَتْ عَنْ ذَلِكَ ٱللُّحَى ٱلْمُسْوَدَّةُ، فَاسْتَقَلَّ حَامِلُوهَا وَلَمْ تَطُلْ بِهِمِ ٱلْمُدَّةُ، كُلُّ مُبْقِلَةٍ مِنَ ٱلأَرْضِ سَتُصْبِحُ فِلاَءً[33]، وَلاَبُدَّ لِلْمُظَفَّرِينَ فِي ٱلدُّنْيَا بِأَقْتَالِهِمْ[34] أَنْ يَكُونُوا لِلْمَنَايَا عِنْدَ انْصِرَامِ آجَالِهِمْ فَلاَءً[35]، فَأَعِدَّ مِنْ صَالِحِ ٱلْعَمَلِ مِرْفَقاً[36]، وَلاَ تَعْتَقِدْ غَيْرَ ٱلتَّقْوَى سَاعِداً وَغَيْرَ ٱلْبِرِّ مَرْفِقاً، لاَ تُعَامِلْ مَا لِلَّهِ عَلَيْكَ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ[37] مُعَامَلَةَ ٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ[38] فَتَبُوءَ بِٱلْخُسْرَانِ وَتَسْتَوْجِبَ مِنْ وُقُوعِ وَعِيدِهِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ يَدَانِ، ثُمَّ تُغْلَقُ عَنْكَ جَنَّتُهُ[39]، وَكَمْ جَنَّةٍ[40] مُفَتَّحَةٍ لَكَ فِي

---

(29) وِقر : بكسر الواو : الحمل كان على الظهر أو على غيره.

(30) لحيك : اللحي نظم الفك الذي به الأضراس والأسنان وجمع الثلاثة ألح، وجمعه اللحي.

(31) يشف : ينحل، يهزل.

(32) اللاحي : اسم الفاعل والملحي اسم المفعول من لحا بمعنى شاتم.

(33) فلاء : بفتح الفاء وكسرها مصدر للفعل فلا، يفلو، فلوا، وفلاء، بمعنى عزلا وفصلا. وفلاء هنا بمعنى الأرض القاحلة التي لا نبات فيها.

(34) أقتالهم : أعداؤهم.

(35) فلاء : منهزمين.

(36) مرفقا : بكسر الميم ما ارتفقت به، وبفتحها مرفق الإنسان : ملتقى العضد والذراع.

(37) النعمة : ما أنعم الله عليك به.

(38) النعمة : التنعم.

(39) جنته : بفتح الجيم : التي وعد بها الله المؤمنين من عباده.

(40) جنة : حديقة.

أُولاَكَ وَتُسْلِمُكَ جُنَّتُهُ[41] فَأَيُّ جُنَّةٍ[42] تَعْصِمُكَ إِذَا أَسْلَمَكَ مَوْلاَكَ هُوَ ٱلْمُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ، وَٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي أَمْرُ ٱلإِنْسِ وَٱلْجِنَّةُ[43] إِلَيْهِ، فَكَيْفَ إِنْ ضَايَقَكَ تَجِدُ ٱلْمَخْلَصَ أَوْ أَيُّ ظِلٍّ يَكْنُفُكَ إِنْ ظِلُّ رَحْمَتِهِ عَنْكَ قَلَصَ، وَٱللَّهِ لَمُلْقَى عِلاَقَةِ[44] سَوْطِكَ فِي جَنَّتِهِ خَيْرٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَغَدْوَةٌ عَلَى رِضَاهُ أَوْ رَوْحَةٌ أَفْضَلُ مَا تَلْتَقِي عَلَيْهِ [مَقَاصِدُ][45] ٱلنُّفُوسِ ٱلْمُوَفَّقَةِ وَمَنَاحِيهَا، فَلاَ تُعَلِّقْ بِغَيْرِ ٱللَّهِ عَلاَقَةَ قَلْبِكَ، وَاحْرِصْ أَبَداً عَلَى إِرْضَاءِ رَبِّكَ فَٱلْخَيْرُ أَجْمَعُ فِي إِرْضَائِهِ، وَٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةُ لاَ تُنَالاَنَ إِلاَّ مِنْ تِلْقَائِهِ، وَعَلَيْكَ فِي ٱلسَّعْيِ لِذَلِكَ وَظَائِفُ جِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ وَاجْتِهَادٍ، وَلَيْسَ غَيْرُهُ مِنْ مُرْشِدٍ إِلَى ذَلِكَ وَلاَ هَادٍ، وَلاَ تُنَالُ ٱلْغَايَاتُ [بِٱلْهُوَيْنَى][46]، وَلاَ يَقَرُّ ٱلْكَسِلُ ٱلنَّوْمَانُ بِآمَالِهِ عَيْناً، مَا خُلِقْتَ لِلتَّقْصِيرِ أَيُّهَا ٱلإِنْسَانُ تَأْلَفُهُ مُعْتَمِلاً وَتَتَّخِذُهُ مُعْتَمِداً، وَلاَ حَمَلَ عَاتِقُكَ حِمَالَةَ سَيْفِ ٱلإِيمَانِ لِيَكُونَ مُغْمَداً، بَلِ انْتَضِهْ حَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ يُنْتَضَى. وَإِذَا تَحَمَّلْتَ حَمَالَةً[47] فَاقْضِهَا قَبْلَ أَنْ تُقْتَضَى، وَيَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ ذَلِكَ لِمَ كَسَرُوا حِمَالَةَ ٱلسَّيْفِ وَفَتَحُوا حَمَالَةَ ٱلدِّيَةِ وَهَلْ لِذَلِكَ عِنْدَهُمْ عِلَّةٌ قَاصِرَةٌ أَوْ مُتَعَدِّيَةٌ، أَلاَ لاَ ذَا وَلاَ ذَاكَ وَلَكِنِ ٱلْقَيُّومُ ٱلَّذِي لاَ يُمَارِسُ كَمَالَهُ ٱلنَّوْمُ وَلاَ ٱلسِّنَةُ يُطْلِقُ كَيْفَ شَاءَ ٱلأَلْسِنَةَ. فَطَوْراً بِمُتَّفِقٍ فَيَقَعُ ٱلإِشْتِرَاكُ وَطَوْراً بِمُخْتَلِفٍ فَتَحْصُلُ ٱلتَّفْرِقَةُ ٱلَّتِي يُؤْمَنُ مَعَهَا ٱلإِشْتِبَاهُ وَٱلإِرْتِبَاكُ.

أَيُّهَا ٱلأَمِيرُ مَا أَحْسَنَ حَالَكَ إِنْ حَسُنَ مِنْكَ فِي رَعِيَّتِكَ ٱلضَّمِيرُ، وَمَا أَضْعَفَ مَجَالَكَ إِنْ سَاءَ فِيهَا مُغَيَّبُ نِيَّتِكَ يَوْمَ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلأُمُورُ. إِنَّ ٱلإِمَارَةَ[48]

---

(41) جنته : بضم الجيم : وقايته.

(42) جنة : سلاح.

(43) الجنة : الجن.

(44) علاقة السوط : شراك في مقبضه يتعلق منه.

(45) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 118.

(46) في الأصل الهوينا، الورقة : 118.

(47) حمالة : بفتح الحاء : ما لزم الإنسان من غرم في دية.

(48) إمارة : بكسر الهمزة : الولاية.

شَأْنُهَا شَدِيدٌ وَعَقَبَتُهَا [كَؤُودٌ][49] وَٱلْعَدْلُ فِيهَا أَمَارَةٌ[50] غِبُّهَا مَحْمُودٌ، فَلْيَكُنْ عَلَيْكَ فِي إِمْرَتِكَ[51] لِلْعَدْلِ أَمْرَةٌ[52] مُطَاعَةٌ وَحَذَارِ وَفَّقَكَ ٱللَّهُ حَذَارِ مِنْ أَنْ تَكُونَ مِنْكَ لِبَضَائِعِهِ إِضَاعَةٌ، فَيُوشِكُ إِنْ فَعَلْتَ أَنْ تَرَى جُزْءَ ٱلْبَضْعَةِ[53] مِنْ جَسَدِكَ ٱلْبَضُّ ٱلْغَضُّ وَقَدْ عَادَ بِضْعَةَ عَشَرَ أَوْ أَكْثَرَ بِأَلِيمِ ٱلرَّضِّ، فَلاَ تَظُنَّ ٱلأَمْرَ مُهْمَلاً، وَاعْتَبِرْ قَوْلَ ٱلصَّادِقِ ٱلْمَصْدُوقِ: «لَيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَنَّ نَوَاصِيَهُمْ مُعَلَّقَةٌ بِٱلثُّرَيَّا يَتَجَلْجَلُونَ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ وَإِنَّهُمْ لَمْ يَلُوا عَمَلاً»[54] فَكَيْفَ تَجِدُكَ يَا مَنْ فِي أَمْرِهِ وَدِينِهِ عِوَجٌ[55] وَمَنْ ذَا يُنْجِدُكَ وَلِلزَّجْرِ مِنْكَ مَوْقِعُ ٱلنُّصْحِ مِنْ ذِي هَوَجٍ، وَمَنْ لَمْ يَعْصِ ٱللَّهَ لَمْ يَضُرَّهُ أَنْ يَكُونَ فِي عَصَاهُ عَوَجٌ[56]، فَفِي كُلِّ عَصاً سَيْرٌ، وَكُلُّ شَرٍّ مَعَ عَدَمِ ٱلْمَعْصِيَةِ لِلَّهِ خَيْرٌ. عَجِبْتُ لِذِي ٱلْهَرَمِ بَعِيرُ عَمَلِهِ ثَفَالٌ[57]، وَلِمَطَايَا حِرْصِهِ وَأَمَلِهِ كَرٌّ وَإِجْفَالٌ، وَلِلْمَنَايَا رَحًى لاَ تَحْتَاجُ إِلَى ثِفَالٍ[58]، وَلاَ تُغْفِلُ ذَا تَيَقُّظٍ وَلاَ ذَا إِغْفَالٍ يُؤَمِّلُ لَقَاحَ[59] نَاقَتِهِ وَيَسْتَشْرِفُ إِذَا لَقُحَتْ لِاصْطِبَاحَةِ رِسْلِهَا وَاغْتِبَاقِتِهِ. وَرُبَّمَا عَرَضَ مَا يَعُوقُ فَتَعَطَّلَ ٱلصَّبُوحُ وَٱلْغَبُوقُ فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ ضَرِيبُ ٱللِّقَاحِ، وَلاَ أَجْدَى عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُنْتَمِياً إِلَى ٱلْحَيِّ ٱللَّقَاحِ[60]، وَهَلْ لأَحَدٍ عَنِ ٱللَّهِ مِنْ مُلْتَحِدٍ فَلِوَجْهِهِ ٱلْكَرِيمِ

---

(49) في الأصل كوُد، الورقة : 118.

(50) أمارة : بفتح الهمزة : علامة.

(51) إمرة : اسم هيئة على وزن فعلة.

(52) أمرة : اسم مرة على وزن فعلة.

(53) البضعة : بفتح الباء : القطعة من اللحم.

(54) حديث نبوي شريف، انظر ابن حنبل : 2/352-530-521-536.

(55) عِوج : بكسر العين : كل ما لا يرى ولا يلمس.

(56) عوج : بفتح العين : كل ما يرى منتصبا كالعصا والحائط والأرض.

(57) ثفال : بفتح الثاء : البعير البطيء.

(58) ثفال : بكسر الثاء : قطعة جلد توضع تحت الرحى حتى يقع عليها الدقيق.

(59) لقاح : بفتح اللام : من لقحت الانق إذا حملت.

(60) الحي اللقاح : إذا لم يدينوا لاحد ولم يصبهم سباء في الجاهلية.

فَامْنَحْ لِقْحَتَكَ[61] تَفُزْ بِسَهْمٍ مِنَ ٱلثَّوَابِ غَيْرِ مَنِيحٍ، وَتُحْرِزْ مَا هُوَ أَجْدَى فِي ٱلْمُنْقَلَبِ عَلَيْكَ مِنْ لَبُونٍ وَلَقُوحٍ. إِنَّ ٱلْخِرْقَ[62] مِنَ ٱلرِّجَالِ إِذَا قَصَدَ بِمَا يَبْذُلُهُ وَجْهَ ذِي ٱلْعِزَّةِ وَٱلْجَلاَلِ، تَكَفَّلَ ٱللَّهُ لَهُ فِي ٱلآجِلَةِ بِٱلإِرْضَاءِ، وَسَرَى ذِكْرُهُ ٱلْجَمِيلُ فِي ٱلْعَاجِلَةِ مَسْرَى ٱلرِّيحِ، فِي ٱلْخَرْقِ[63] ٱلْفَضَاءِ، وَمَا لإِحْسَانِ رَبِّكَ عِدْل[64] وَلاَ عَدْلٌ[65]، وَلَوْ شَاءَ لَسَاءَكَ كُلُّ مَا أَحْسَنْتَ وَذَلِكَ مِنْهُ عَدْلٌ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾[66].

(61) لقحة ولقوح : هي التي نتجت حديثا.

(62) الخرق : بكسر الخاء الرجل الكريم الذي يتخرق في العطاء أي يتوسع فيه.

(63) الخرق : الصحراء الواسعة المترامية الأطراف.

(64) عدل : بكسر العين : مثل.

(65) عدل : بفتح العين : قيمة.

(66) الآية 49 من سورة فصلت.

16 ـــ بَابُ ٱلْمَضْمُومِ أَوَّلُهُ

لِمَنِ ٱللُّعْبَةُ أَيُّهَا ٱلْمُتَقَاضِي مِنْهُ ٱلْجِدُّ، دَعِ ٱللَّعِبَ فَإِنَّهُ ٱلأَمْرُ ٱلإِدُّ[1]، مَا عُذْرُكَ وَقَدْ مُدَّتْ لَكَ ٱلْمُدَّةُ وَضُوعِفَتْ قَبْلُ مِنْكَ بِٱلشَّبَابِ وَٱلْجِدَةِ ٱلنَّجْدَةُ، أَمْ مَا هَذَا ٱلْجَهْلُ ٱلَّذِي يَأْبَاهُ مَنْ لَمْ تُقْطَعْ مِنْهُ ٱلْقُلْفَةُ[2] وَٱلْجُلْدَةُ، ٱلأَمْرُ ضَيِّقٌ فَاحْذَرْ عَاقِبَةَ ٱلضِّيقِ، وَٱلْمَشْرَبُ رَنَقٌ[3] فَتَوَقَّ مَغَبَّةَ ٱلزِّيقِ[4]، أَخْلِصْ فَمَا يَنْفَعُكَ إِلاَّ ٱلإِخْلاَصُ، وَجِدَّ فَلاَ يَتَأَتَّى لَكَ بِغَيْرِ ٱلْجِدِّ ٱلْخَلاَصُ، ٱللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنَّا هَذِهِ ٱلضُّغْطَةَ[5] ٱلَّتِي هَالَنَا اسْتِقْبَالُهَا، وَعَلِقَتْنَا حِبَالُهَا، وَاجْعَلْ لِي رَبِّي مِنْ تَوْفِيقِكَ كَنَفاً أَغْدُو فِيهِ وَأَرُوحُ وَأَنَا عَلَى طُمَأْنِينَةٍ، وَاحْمِلْنِي مِنْ عِنَايَتِكَ وَوِقَايَتِكَ عَلَى أَعَزِّ مَرْكَبٍ وَفِي آمَنِ سَفِينَةٍ. إِنِّي لأَذْكُرُ أَعْمَالِي فَأَجِدُ قُشَعْرِيرَةً، وَأَعْتَبِرُ مَآلِي فَتَعُودُ لِي ٱلْحَيَاةُ ٱلْحُلْوَةُ مَرِيرَةً، وَإِذَا شِئْتَ رَبِّ أَحْلَيْتَ لِيَ ٱلْمُرَّ، وَأَصْلَحْتَ مِنِّي ٱلْعَلاَنِيَةَ وَالسِّرَّ، وَلَوْلاَ لُطْفُكَ إِلَهِي مَا كَانَتِ ٱلأَمَانِي ٱلنَّوَافِرُ مُدْرَكَاتٍ وَلاَ قَدَرَ ٱلطَّبِيبُ ٱلْمَاهِرُ عَلَى إِبْرَاءِ أَقَلِّ شَكَاةٍ، وَلاَ أَغْنَى عُودُ ٱلأُسْرِ[6] فِي اسْتِدْفَاعِ ٱلأَسْرِ[7]، وَلاَ وَجَدَ طَلِيحُ[8] ٱلْحُصْرِ[9] مَخْلَصاً [سَهْلاً][10] إِلَى ٱلْيُسْرِ، وَلَكِنْ

---

(1) الإد : الفظيع.

(2) القلفة والجلدة : الجليدة التي تغطي رأس الذكر قبل الختانة.

(3) رنق : كدر.

(4) الزيق : ما كف من جانب الجيب، وزيق القميص ما أحاط بالعنق. والمعنى المقصود الخناق.

(5) الضغطة : الشدة.

(6) عود الأسر : بضم الهمزة عود يمسكه المريض على بطنه حتى يدر بوله.

(7) الأسر : بفتح الهمزة : احتباس البول.

(8) طليح : متعب.

(9) الحصر : احتباس البطن.

(10) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 119.

قُدْرَتُكَ هِيَ ٱلَّتِي تُقَرِّبُ ٱلْبَعِيدَ، وَرَحْمَتُكَ هِيَ ٱلَّتِي تُسْعِدُ مَنْ شِئْتَ، وَلَوْلاَهَا لَمْ يَكُنِ ٱلسَّعِيدَ، فَيَا أَيُّهَا ٱلْمَغْمُورُ مِنْ آثَارِهَا بِمَا لاَ يَسْتَقِلُّ لَهُ بِشُكْرٍ، اِجْعَلْهُ مِنْكَ عَلَى ذُكْرٍ[11]، فَرُبَّمَا نَظَمَكَ ٱلذِّكْرُ فِي نِظَامِ ٱلشَّاكِرِينَ، وَمَتَى رَاقَتْكَ [ثِيَابٌ][12] جُدُدٌ فَاذْكُرْ إِنَّ ٱلْجَدِيدَ إِلَى بِلًى، وَإِنَّ لِلْمَنَايَا إِلَى رُوحِكَ سُبُلاً، فَإِذَا أَفْضَتْ إِلَيْكَ ٱلسُّبُلُ وَفَاضَتْ عَلَيْكَ دُمُوعُ ٱلأَحِبَّةِ كَمَا سِيطَ[13] بِهَا ٱلْفُلْفُلُ، لَمْ تَنْتَفِعْ بِمَالٍ مِنْ مَلْبُوسِكَ وَلاَ جَدِيدٍ، وَلاَ وَجَدْتَ إِلاَّ مَا قَدَّمْتَهُ مِنْ أَثَرِ بِرٍّ وَعَمَلٍ سَدِيدٍ، وَمَا ذَاكَ مِنْكَ يَا طَوِيلَ ٱلْغَفْلَةِ بِبَعِيدٍ، فَكَمْ آيِبٍ أَتَى أَهْلَهُ طَرُوقاً[14]، فَأَتَتْهُ مَنِيَّتُهُ شُرُوقاً، وَقَادِمٍ عَلَى قَوْمِهِ وَٱلشَّمْسُ صَفْرَاءُ ٱلإِهَابِ أَدْرَكَهُ ٱلْمَوْتُ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ تَتَوَارَى بِٱلْحِجَابِ. فَلِهَذَا فَلْتَخْضَعْ ٱلْعُنُقُ، وَلِمِثْلِهَا فَلْيَطُلِ ٱلشَّفَقُ، وَلِمَا بَعْدَهُ فَلْيَعْمَلِ ٱلسَّعِيدُ ٱلْمُوَفَّقُ، وَهَذَا عُنْوَانُ كِتَابِ ٱلأَقْدَارِ عَنْوَنْتُهُ لَكَ تَطْرِيقاً[15] لِلإِسْتِبْصَارِ ﴿فَاقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[16]، إِذَا طُفْتَ بِٱلْبَيْتِ أَسَابِيعَ[17]، أَوْ أُسْبُوعاً فَلاَ تَنْوِ إِلاَّ خِدْمَةَ مَنْ فَجَّرَ لَكَ مِنَ ٱلأَرْضِ يَنْبُوعاً، وَأَقْطَعَكَ مِنْهَا حَيْثُ تَشَاءُ حِلاَلاً[18] وَرُبُوعاً، وَعَقَدَ لَكَ حَبْلَ إِحْسَانِهِ بِأُنْشُوطَةٍ فَصَيَّرَكَ بِأَيْسَرِ ٱلضَّرَاعَةِ إِلَيْهِ ذَا حَالٍ مَغْبُوطَةٍ، وَجِدَّةٍ مَبْسُوطَةٍ، قَدَحُكَ نُضَارٌ[19]، وَلَيْلُكَ بِفَضْلِ نِعْمَتِهِ نَهَارٌ، وَهَلْ بَعْدَ قَدَحِ ٱلنُّضَارِ[20] فِي ٱلتَّرْفِيهِ مَدًى يَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ ٱلْمُسْرِفُ أَوْ يَطْمَعُ فِيهِ، سُبْحَانَ[21] مَنْ أَخْرَجَ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ

---

(11) على ذكر : بضم الذال المعجمة : على بال.

(12) تصحيح فوق السطر، الورقة : 119.

(13) سيط : خلط.

(14) طروقا : ليلا.

(15) تطريقا : ابتغاء طريق.

(16) الآية 14 من سورة الأنبياء.

(17) أسابيع : جمع أسبوع، أي سبع مرات.

(18) حِلالا : الحلال جمع بيوت الناس وقيل مائة بيت مفردها حِلّة.

(19) نضار : بضم النون : ضرب من الشجر تصنع منه الأقداح.

(20) النضار : الذهب.

(21) في الأصل سبحن، الورقة : 120.

وَدَم مَادَّةَ ٱلْجُبْنِ ٱلَّذِي يَلَذُّهُ ٱلآكِلُ، وَغَرَزَ فِي ٱلطِّبَاعِ مِنَ ٱلْجُرْأَةِ وَٱلْجُبْنِ مَا يُحْمَدُ بِهِ ٱلْمُقْدِمُ أَوْ يُذَمُّ لَهُ ٱلنَّاكِلُ. فَيَا لأَثَرِ ٱلْقُدْرَةِ فِي شَأْنِ ٱلإِلْبَانِ مَا أَطْوَلَ وَأَعْرَضَ، فَيَا لِسِرِّ ٱلتَّفْرِقَةِ بَيْنَ ٱلشُّجَاعِ وَٱلْجَبَانِ مَا أَدَقَّ وَأَغْمَضَ. رُبَّ رُفْقَةٍ عَظِيمَةٍ تَعَرَّضَهَا بُغَاةٌ لِهَضِيمَةٍ[22] فَنَدَرَ مِنْ أَهْلِهَا كَمِيٌّ[23] عَادَ بِهِ سِرْبُهَا وَهُوَ عَنْمِيٌّ[24] ثُمَّ طَرَقَهَا ٱلْهِرْمَاسُ[25] وَقَدْ هَجَعَ ٱلنَّاسُ فَوَفَى ذَلِكَ ٱلذِّمْرُ[26] بِحِمَايَةِ سَرْحِهَا ٱلْبَدَدِ[27] فَمَا اغْتِيلَ مِنْهَا كَبْشٌ عُوسِيٌّ[28] وَلاَ كَلْبٌ أَسْوَدُ، وَرُبَّ وَاحِدٍ يُقَصِّرُ عَنْهُ أَمْثَالُهُ فِي جِنْسِهِ وَإِنْ كَثُرُوا فِي ٱلْعَدَدِ، وَشَهْمٌ مِنَ ٱلنَّاسِ تُؤْمَنُ بِمَكَانِهِ غَائِلَةُ ٱلأَسَدِ، فَأَطْيِبْ بِذَا ثَنَاءً، وَأَكْرِمْ بِهَذَا ٱلشَّخْصِ سَنَاءً فِي ظُلُمَاتِ ٱلْمُلِمَّاتِ وَسَنَاءً ثُمَّ أَكْرِمْ مَعَهُ بِكُلِّ سَمْحِ ٱلْيَدَيْنِ مَتَى اجْتُدِيَ ٱلْمَعْرُوفَ قَالَ نَعَمْ، وَنُعْمَةُ عَيْنٍ وَنُعْمَى[29] عَيْنٍ، لاَ يَقْنَعُ بِجَوَابٍ وَاحِدٍ فِي ٱلإِسْعَافِ وَلاَ يَرْضَى إِلاَّ بِٱلْغَايَةِ مِنْ خُلُقِ ٱلأَشْرَافِ، إِنْ أَلَمَّ بِهِ ضَيْفٌ بَالَغَ فِي قَضَاءِ حَقِّ ٱلإِلْمَامِ، وَإِنِ اسْتَأْجَرَ أَحَداً فِي عَمَلٍ أَعْطَاهُ إِجْرَتَهُ[30] قَبْلَ ٱلإِتْمَامِ، لِكُلِّ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِ حَلاَوَةٌ، وَمِنْ كُلِّ أَثَرٍ جَمِيلٍ عَلَيْهِ طُلاَوَةٌ[31] وَحُجْزَةُ[32] سَرَاوِيلِهِ مِنْ كُلِّ عَابٍ فَالِجُ[33] بْنُ

---

(22) هضيمة : القهر والظلم والغصب.

(23) كمي : الشجاع الذي تكمن في سلاحه أي تستر بالدرع والبيضة.

(24) عنمي : حسن الوجه مشرب بحمرة.

(25) هرماس : من أسماء الأسد.

(26) الذمر : الشجاع.

(27) سرحها البدد : السرح : المال الذي يسام في المرعى من الانعام. البدد : المتفرق.

(28) عوسي : ضخم كبير، وقيل أبيض وملتوي القرنين، والنسبة إلى عوسة قرية بناحية البحرين.

(29) نعم، ونعمة عين، ونعمى عين : بمعنى واحد.

(30) إجرته : بكسر الهمزة : عملته وما يستحق من مال في عمله.

(31) طلاوة : بضم الطاء : البهاء والرونق.

(32) حجزة السراويل : تكتها.

(33) فالج بن خلاوة : يقال : «أنا من هذا الأمر فالج بن خلاوة أي أنا بريء منه». انظر **إصلاح المنطق**، ص 336. وأصل المثل أن فالج بن خلاوة الاشجعي قيل له يوم قتل أنس الايسري : أتنصر أنيسا ؟ فقال : أنا منه بريء فصار مثلا لكل من كان بمعزل عن أمر. انظر **مجمع الأمثال** : 46/1.

خلاوَة، فلْيُرسِلْ زَهْواً بِهَذِهِ ٱلْخِلاَلِ خَيْرَ ذُؤَابَةٍ مِنْ [خَيْرِ][34] عِلاَوَةٍ، وَلْيَسْأَلِ ٱللَّهَ بِمَزَايَاهُ ٱلْبَرَّةِ حُسْنَ ٱلإمْتَاعِ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ لُؤْمَ ٱلْخِلاَلِ شَرٌّ مِنْ نُفَايَةِ[35] ٱلْمَتَاعِ، فَقَدْ يَكُونُ فِي ٱلنُّفَايَةِ بَلاَغٌ وَلَيْسَ لِلْبَذْلِ فِي أَنْحَاءِ مِنْ أَنْحَاءِ ٱلْفَضْلِ مَسَاغٌ، وَخَيْرُ مَا انْتَهَزَ ٱلْعَاقِلُ فُرْصَتَهُ صِحَّةٌ وَفَرَاغٌ، فَإِنَّهُ لاَ يَعْلَمُ كَمِ ٱلنَّسَأُ وَلاَ يَدْرِي وَقَدْ أَصْبَحَ بِمَاذَا يَؤُولُ ٱلْمَسَاءُ، كَمْ عَمِرَ ٱلْقَوْمُ فِي مَسَرَّةٍ ثُمَّ وَقَعُوا فِي أُفَرَّةٍ[36] فَكَأَنَّ ٱلسُّرُورَ مَا كَانَ وَكَأَنَّ ٱلشَّرَّ لَمْ يَرِمِ ٱلْمَكَانَ، وَشِيَمُ ٱلأَيَّامِ غَيْرُ مُنْكَرٍ مِنْهَا اخْتِلاَفُ حَالِ ٱلأَقْوَامِ، ٱلصَّحِيحُ فِيهَا مُرْتَقِبٌ لِلْعِلَّةِ وَٱلْكَثِيرُ بِصَدَدِ ٱلْقِلَّةِ، وَلاَ قَرَارَ فِيهَا بِحَالٍ إِلاَّ بِمِقْدَارِ مَا يَقِرُّ بَحْرُ ٱلأُبُلَّةِ[37] دَوَائِرُهَا نَكَالٌ، وَمَآكِلُهَا وَبَالٌ، وَإِقْبَالُهَا إِدْبَارٌ، وَإِدْبَارُهَا إِقْبَالٌ، وَفَوْقَ قَدْرِهَا عِنْدَ ٱللَّبِيبِ شِسْعٌ[38] أَوْ قِبَالٌ[39]، فَمَا أَسْعَدَ مَنْ سَلِمَ فِيهَا مِنَ ٱلتُّخْمَةِ وَلَمْ يَعْدِلْ عِنْدَهُ زُخْرُفُهَا قَدْرَ ٱلنُّخَامَةِ ٱلْمُتَنَخَّمَةِ، فَعَلَيْكَ بِٱلتُّؤَدَةِ فِي شَأْنِهَا وَمَزِيدِ ٱلاِسْتِبْصَارِ فِي هَذَيَانِهَا، وَنِعْمَتِ ٱلتُّكَأَةُ[40] قَنَاعَةٌ تُؤْوِيكَ ظِلاَلُهَا ٱلْمُتَفَيَّأَةُ، فَدَعِ ٱللُّقَطَةَ[41] بِسَبِيلِهَا، وَسَوِّ فِي قِلَّةِ ٱلْمُبَالاَةِ بَيْنَ كَثِيرِهَا وَقَلِيلِهَا، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا إِلاَّ حِفْظُهَا لَكَانَ فِي أَدْنَاهُ مَا يَتَأَكَّدُ بِهِ اطِّرَاحُهَا وَرَفْضُهَا، فَكَيْفَ بِمَا يُمْكِنُ أَنْ تُحَرِّكَهُ مِنَ ٱلطَّمَعِ وَتَجُرَّهُ مِنَ ٱلطَّبَعِ، وَنَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشُّحِّ ٱلْمُطَاعِ وَٱلْهَوَى ٱلْمُتَّبَعِ. إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ لُعَنَةً[42] لِلنَّاسِ فَتَفْقِدَ مِنْهُمْ لَحْظَ ٱلاِسْتِينَاسِ، وَرُبَّمَا لَمْ يُعَامِلُوكَ فِيهَا

---

(34) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 20.

(35) نفاية المتاع بضم النون : رديئه.

(36) أُفَرَّة : بضم الهمزة وبفتح الفاء وراء مشددة : الاختلاط والشدة.

(37) الأُبُلَّة : بضم الهمزة والباء وفتح اللام المشددة : اسم بلدة تقع في زاوية الخليج عند مدخل البصرة وهي أقدم من البصرة. معجم البلدان : 77/1.

(38) شسع : أحد سيور النعل.

(39) قبال : زمام.

(40) التكأة : العصا التي يتوكأ عليها.

(41) اللقطة : بضم اللام وفتح القاف : المال الضائع الملقوط من الأرض. انظر كتاب اللقطة، صحيح مسلم : 134/5.

(42) اللعنة : بضم اللام وبفتح العين والنون : الرجل الذي يكثر من لعن الناس.

بِٱلدَّيْنِ وَعَاجَلُوكَ بِتَسْكِينِ ٱلْعَيْنِ فَأَصْبَحْتَ لُعْنَةً(43) عِنْدَ ٱلْجَمِيعِ وَصِرْتَ أُحْدُوثَةً تُصِمُّ أَخْبَارَكَ أُذُنَ ٱلسَّمِيعِ، وَلاَ تَكُنْ ضُحَكَةً فَإِنَّ كَثْرَةَ ٱلضَّحِكِ تُمِيتُ، وَلاَ هُزَأَةً، فَالِاسْتِهْزَاءُ يُغَيِّرُ ٱلصَّفْوَ، وَيَحْجُزُ ٱلْعَفْوَ، وَيَسْتَلِبُ ٱلْحُبَّ، وَيُبْعِدُ ٱلْقُرْبَ، وَمَا أَوْلَى ذَا ٱلرَّأْيِ وَٱلْحُنْكَةِ أَنْ يَبْعَدَ عَنِ ٱلِارْتِسَامِ بِٱلْهُزَأَةِ وَٱلضُّحْكَةِ، هَذَا إِذَا كَانَ لَهُ [فِي ذَلِكَ](44) كَسْبٌ وَاعْتِمَالٌ، وَأَمَّا إِذَا ظُلِمَ فِي ٱلْمُعَامَلَةِ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَا يَتَّسِعُ لَهُ احْتِمَالٌ، فَثَوَابٌ سَاقَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ يَرْتَجِيهِ، وَبَابٌ فَتَحَهُ عَلَيْهِ لِيَبْلُوَ مَا يَكُونُ مِنْهُ فِيهِ، وَلَوْ كَانَ ٱلْمُؤْمِنُ فِي جُحْرِ فَأْرَةٍ [لَقَيَّضَ](45) ٱللَّهُ لَهُ فِيهِ مَنْ يُؤْذِيهِ، وَهِيَ ٱلأَقْدَارُ لاَ يُنْجِي مِنْهَا ٱلْحَذَرُ وَٱلْفِرَارُ، وَلَوْ أَنْجَى مِنْ دَرَكِ ٱلأَذَى نُفُورٌ لَنَجَا مِنَ ٱلشَّرَكِ عُصْفُورٌ، رُبَّ ذَاتِ مُحَيّاً جَمِيلٍ أُصِيبَتْ فِي صَفْحَتِهِ ٱلْقَمَرِيَّةِ بِثُؤْلُولٍ(46) فَانْصَرَفَتْ عَنْهَا ٱلْعُيُونُ مُهَانَةً وَقَدْ كَانَتْ تُقَيِّدُ ٱلطَّرْفَ وَٱلْقَلْبَ صَبَابَةً وَضَنَانَةً، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرٍ مِنْ رَبِّكَ مَقْدُورٍ، فَخَفْ مَنْ بِقُدْرَتِهِ تَتَسَلَّطُ ٱلثَّآلِيلُ عَلَى صَفَحَاتِ ٱلْبُدُورِ، وَارْجُ مَنْ أَدْنَى مَسْحَةٍ مِنْ صِفَاتِ كَرَمِهِ يُصْبِحُ مَنْ خَلَعَهَا عَلَيْهِ وَهُوَ مَأْمُولٌ وَيَظَلُّ مَنْ تُنْسَبُ إِلَيْهِ وَاسْمُهُ فِي ٱلْسِنَةِ ٱلْحَيِّ ٱلسَّيِّدُ ٱلْبُهْلُولُ(47)، وَدِنْ لِلَّذِي جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ أَناً فَلاَ مُتَقَدِّمَ لَهُ وَلاَ مُتَأَخَّرَ عَنْ مِيقَاتِهِ، وَغَايَرَ بَيْنَ ٱلْمَنَاظِرِ وَٱلْمَخَابِرِ فِي [مَا شَاءَ مِنْ](48) مَخْلُوقَاتِهِ، فَانْظُرْ إِلَى ٱلزُّنْبُورِ تَرَهُ وَقَدِ اشْتَمَلَ بُرْدَيْ حَبَرَةٍ(49) ثُمَّ سَلْ مَنْ أَبَرَهُ(50) يُعَرِّفْكَ مُخْتَبَرَهُ، فَلاَ تَثِقْ بِذِي ظَاهِرٍ حَسَنٍ حَتَّى تَخْبُرَهُ وَلاَ يَفْقِدْ قَلْبُكَ عِنْدَ حُلُولِ ٱلنَّوَائِبِ مُصْطَبَرَهُ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْدُوَ مَا خَطَّهُ ٱلْقَلَمُ وَسَطَّرَهُ وَلَنْ يُخْلِفَكَ مَا شَاءَ لَكَ خَالِقُكَ وَقَدَّرَهُ،

---

(43) اللعنة : بضم اللام وسكون العين وفتح النون : الذي يلعنه الناس.

(44) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 121.

(45) في الأصل [الفيض] الورقة : 121.

(46) ثؤلول : خراج صلب مستدير يحدث بجسم الإنسان.

(47) البهلول : يقال للمذكر والمؤنث ومعناه الجامع لكل خير.

(48) تكملة من طرة الكتاب، الورقة : 121.

(49) حبرة : ضرب من البرود اليمانية الموشاة.

(50) أبره : من معانيها : أبر بمعنى آذى واغتاب، ولقح وأصلح.

مَقْدُورَاتُهُ إِلَيْكَ وَاصِلَةٌ وَخَيْرَاتُهُ أَوْ مَعَرَّاتُهُ لَدَيْكَ حَاصِلَةٌ، وَسِيَّانِ كُنْتَ فِي جَوْفِ قُرْقُورٍ[51] أَوْ كَهْفٍ مِنْ صُمِّ ٱلصَّفَا مَنْقُورٍ، وَٱلدُّنْيَا أُرْجُوحَةٌ تَلْعَبُ بِبَنِيهَا فَمَنِ اسْتَطَاعَ ٱلتَّثَبُّتَ عَلَى تَدَاعِي مَبَانِيهَا فَهُوَ ٱلْوَقُورَ وَلَنْ يُطِيقَ ٱلْمَرْءُ إِلاَّ مَا طَوَّقَتْهُ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ٱلْغَرِيزَةُ، كَمَا لَمْ تُسَاعِدِ ٱلْعَجَّاجَ[52] وَرُؤْبَتَهُ مِنْ أَنْوَاعِ ٱلْقَرِيضِ إِلاَّ ٱلأُرْجُوزَةُ، وَٱللَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ. يَا ذَا ٱلأُضْحِيَةِ ٱلَّتِي عَنَّتْهُ زَمَناً، حَتَّى رَاقَتْهُ سِمَناً، خَيْرُ ٱلأَضَاحِي مَا عَمَّ ٱلإِحْسَانُ بِفَضْلِهَا فُقَرَاءَ ٱلْحَيِّ، فَلاَ تَكُنْ لَكَ أُمْنِيَّةٌ إِلاَّ فِي ٱلإِحْسَانِ، وَسَائِرُ ٱلأَمَانِي ٱلدُّنْيَوِيَّةِ عَيْنُ ٱلْهَذَيَانِ، وَاعْلَمْ أَنَّ ٱلصَّدَقَةَ بِأُوْقِيَةِ ٱلذُّرَةِ تَدْفَعُ عَنْكَ مِنَ ٱلذُّنُوبِ أَعْبَاءَ ٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ، فَكَثِّرْ مِنَ ٱلأَوَاقِي ٱلْمُنْفَقَةِ فِي سَبِيلِ ٱلصَّدَقَةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾[53].

---

(51) قرقور : السفينة العظيمة، وهو لفظ فارسي معرب، وجمعه قراقير.

(52) العجاج بن رؤبة السعدي من سعد تميم، قيل سمي كذلك لقوله :

حَتَّى يَعِجَّ ثَخْناً مَنْ عَجْعَجَا   وَيُودِي ٱلْمُودِي وَيَنْجُو مَنْ نَجَا

(53) الآية 88 من سورة يوسف.

17 ـ بَابُ ٱلْمَضْمُومِ أَوَّلُهُ وَٱلْمَفْتُوحِ بِاخْتِلاَفِ ٱلْمَعْنَى

يَا مُطِيلَ ٱلِاشْتِغَالِ بِلَحْمَةِ[1] ٱلثَّوْبِ أَوْلَى بِكَ لَوِ ٱشْتَغَلْتَ بِخِدْمَةِ غَافِرِ ٱلذَّنْبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ، فَرَحْمَتُهُ أَجْدَى عَلَيْكَ فِي ٱلْمُنْقَلَبِ مِنْ لُحْمَةِ ٱلنَّسَبِ[2]، فَدَعْ لَحْمَةَ ثَوْبِكَ وَسَدَاهُ، وَسَلْ رَبَّكَ تَوْفِيقَهُ وَهُدَاهُ وَارْفَضِ ٱلِاعْتِدَادَ بِقَوْمِكَ وَمَا يَعْمَلُونَ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ﴾[3]. إِنَّمَا أَنْتَ مَعَ ٱلْحَدِيثِ ٱلرَّازِىء وَٱلْقَدَرِ ٱلنَّازِىءِ[4] كَلُحْمَةِ[5] ٱلصَّقْرِ أَوِ ٱلْبَازِي إِنْ أَنْشَبَ فِيكَ مَخَالِبَهُ ضَعُفْتَ عَنْ أَنْ تُغَالِبَهُ، فَأَعِدَّ لِلنَّجَاةِ وَتَحَفَّظْ مِنَ ٱلْبِضَاعَةِ ٱلْمُزْجَاةِ، إِنَّمَا لَكَ مِنَ ٱلزَّمَانِ أَكْلَةُ ٱلْغَدَاءِ وَٱلْعَشَاءِ، وَأَنْتَ أُكْلَةٌ مِنْ أُكْلِ ٱلْمَنَايَا، وَإِنْ أَرْخَتْ لَكَ فِي ٱلطِّوَلِ[6] وَمَدَّتْ لَكَ فِي ٱلرِّشَاءِ[7]، فَاعْمَلْ لِجَنَّةٍ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا، وَاسْعَ لِغَايَةٍ كَأَنْ قَدْ آنَ مَحِلُّهَا، وَكُنْ مِنَ ٱلنَّاسِ أَبَداً جَانِباً وَلاَ [تَأْلُ][8] أَنْ تَكُونَ لَهُمْ فِي ٱلظَّاهِرِ مُوَاصِلاً وَفِي ٱلْبَاطِنِ مُجَانِباً، فَهُمْ وَٱللَّهُ عَلَى ذَلِكَ شَهِيدٌ،

---

(1) لحمة : بفتح اللام : خيوط السدى الأساس التي ينسج عليها الثوب.

(2) لحمة : بضم اللام : قرابة النسب.

(3) الآية 101 من سورة «المؤمنون».

(4) النازىء : من نزأ بمعنى أفسد.

(5) لحمة : بضم اللام أيضا : صيد البازي.

(6) الطِّوَل : الحبل، نثر معنى بيت طرفة بن العبد :

لَعَمْرُكَ إِنَّ ٱلْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ ٱلْفَتَى ... لَكَالطِّوَلِ ٱلْمُرْخَى وَثِنْيَاهُ فِي ٱلْيَدِ

(7) الرشاء : الحبل.

(8) في الأصل [قال]، الورقة : 122.

دَاءٌ مُعْضِلُ ٱلْعِلاَجِ. وَلِشَرِّهِمْ ٱلَّذِي هُوَ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ[9]، بَحْرٌ مُتَلاَطِمُ ٱلأَمْوَاجِ، فَإِذَا عَايَنْتَ لُجَّةَ[10] مَائِهِ فَزُلْ عَنْ طَرِيقِهَا، وَإِذَا سَمِعْتَ لَجَّةَ ٱلنَّاسِ[11] فَحِدْ عَنْ فَرِيقِهَا، وَلاَ تَنْسَ مَا آدَكَ[12] مِنْ خَطِيَّةٍ[13] وَأَنْ لَيْسَ لَكَ غَيْرُ نَفْسِكَ مِنْ مَطِيَّةٍ، فَاشْفِقْ عَلَى حَمُولَتِكَ مِنْ حُمُولَتِكَ[14]، وَلاَ وَسِيلَةَ إِلَى مَرُومِ ٱلْخَلاَصِ كَعَظِيمِ ٱلإِخْلاَصِ، فَخُذْ فِي إِعْدَادِ وَسِيلَتِكَ، لَيْسَتْ دَارُكَ بِدَارِ مُقَامَةٍ إِنَّمَا إِقَامَتُكَ فِيهَا مَا أَمْهَلَتْكَ ٱلْمَنَايَا مِنَ التِهَامَةِ وَالتِقَامَةِ فَاسْتَظْهِرْ لَهَا بِاسْتِقَامَةٍ، وَظَاهِرْ أَبَداً خَيْرَ فِرْقَةٍ وَأَفْضَلَ مَقَامَةٍ، وَلَيْسُوا إِلاَّ ٱلَّذِينَ أَخْلَصُوا لِلَّهِ دِينَهُمْ، وَاتَّخَذُوا خَوْفَ ٱللَّهِ خَدِينَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ ٱلآمِنُونَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، وَٱلْمُتَلَقَّوْنَ بِمَا شَاءُوا مِنَ ٱلْحُظْوَةِ وَٱلْكَرَامَةِ، كَمْ مِنْهُمْ مِنْ طَرِيحٍ فِي ٱلسِّكَكِ[15] مَحْنِيِّ ٱلضُّلُوعِ عَلَى مِثْلِ إِخْلاَصِ ٱلْمَلَكِ، مَنْ رَآهُ إِذَا اعْتَبَرَ عِزَّةَ رَبِّهِ وَمَلَكُوتَهُ قَالَ: «أَخَذَتْ فُلاَناً ٱلْمُوتَةُ»[16]، وَإِنَّمَا أَخَذَتْ فِي ٱلْحَقِيقَةِ ٱلْقَائِلَ فَسَلَبَتْهُ ٱلْبَصِيرَةَ ٱلْمُسْتَنِيرَةَ وَأَقْطَعَتْهُ ٱلرَّأْيَ ٱلْفَائِلَ. إِنَّ ذَا ٱلْجَنَاحَيْنِ[17] دَعَتْهُ إِلَى مُؤْتَةَ[18] دَوَاعِي ٱلْحَيْنِ فَفَازَ بِمَوْتَةٍ

---

(9) من قول جميل بن معمر:

إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُثَيْنَةَ قَاتِلِي مِنَ ٱلْحبِّ قَالَتْ: ثَابِتٌ وَيَزِيدُ

(10) لجة الماء: معظمه.

(11) لجة الناس: أصواتهم وجلبتهم.

(12) آدك: أثقلك.

(13) خطية، كذا في الأصل، الورقة: 122، ولعل الصواب خطيئة.

(14) حمولتك: بفتح الحاء: الدابة التي يحمل عليها المتاع وبضم الحاء: مفرد أحمال.

(15) السكك: جمع سكة، وهي الطريق، وأصلها ما يحفر في الأرض بين كل نخلة ونخلة.

(16) الموتة: ضرب من الجنون.

(17) ذو الجناحين هو جعفر بن أبي طالب، وسمي بذلك لأنه أخذ لواء رسول الله ﷺ بيمينه حتى قطعت فأخذه بشماله حتى قطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وعنه قال الرسول ﷺ قبل أن يأتيه نعيه: «مر علي جعفر بن أبي طالب في الملائكة يطير كما يطيرون له جناحان». انظر **الاكتفاء**: 281/2.

(18) مؤتة: قرية من قرى البلقاء على حدود الشام وإليها تنسب غزوة مؤتة التي بعث إليها الرسول ﷺ جيشا سنة ثمان للهجرة وجعل زيد بن حارثة أميرا عليها وفيها توفي زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة.
انظر **سيرة ابن هشام**: 21/4.

أَفَادَتْهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَأَحْضَرَتْهُ نَفَائِسَ ٱلرَّحْمَةِ وَٱلرِّضْوَانِ وَمَا هِيَ عَنْ مِثْلِهِ مُتَغَيِّبَةً. فَيَا لِصِدْقِ ٱلْخُلَّةِ[19] بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلرَّسُولِ وَيَا لِعَظِيمِ لَوْعَتِهِ يَوْمَ شَمَّ ٱلصِّبْيَةَ[20] فَأَذِنَتْ عَيْنَاهُ بِٱلْهُمُولِ، وَٱلْبُكَاءُ [نَصْرُ][21] ٱلْخَلِيلِ عِنْدَ فُقْدَانِ ٱلْخَلِيلِ، فَلَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَاداً مِنَ ٱلْخَلَّةِ[22] تَرْتَعُ فِي ٱلْحِمْضِ وَٱلْخُلَّةِ، نَلْهُو[23] وَنَلْعَبُ وَغِرْبَانُ ٱلْمَنِيَّةِ بِنَا تَنْعَبُ وَنَجِيءُ فِي سُبُلِ ٱلْغِوَايَةِ وَنَذْهَبُ وَأَنْفُسُنَا بَيْنَ ذَلِكَ تُسْتَلَبُ وَتُنْتَهَبُ، فَهَلْ إِلَى خَلَّةٍ[24] مَحْمُودَةٍ سَبِيلٌ أَوْ هَلْ مِنَ ٱلْخَلَّةِ[25] ٱلْفَادِحَةِ لِفُقْدَانِ ٱلْخِلاَلِ ٱلصَّالِحَةِ مُدِيلٌ[26]، ذَاكَ لَوْ كَانَ لأَكْثَبَ[27] الأَمَلَ، وَلَرَجَوْنَا أَنْ يَحْسُنَ ٱلْجَزَاءُ إِذَا حَسُنَ ٱلْعَمَلُ، وَنَحْنُ فِي دَارٍ لَيْسَ لَهَا عَلَى حَالٍ بَقَاءٌ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ إِبْقَاءٌ، وَحَظُّ ٱلْعَامِلِ فِيهَا خَيْبَةٌ وَشَقَاءٌ، دَفُّ[28] سَاكِنِهَا عَلَى كُلِّ فِرَاشٍ نَابٍ، وَدُفُّ[29] لَهْوِهَا مُؤَدٍ بِٱلْمُسْتَأْنِسِ بِهِ إِلَى اكْتِئَابٍ وَتَبَابٍ[30]، وَٱلرَّزَايَا دَاخِلَةٌ عَلَى ٱلْمُغْتَرِّينَ بِهَا مِنْ كُلِّ بَابٍ فَطُوبَى لِمَنْ قَدَرَهَا قَدْرَهَا، وَرَأَى ٱلسَّعَادَةَ بِعَيْنِ ٱلْيَقِينِ فَٱبْتَدَرَهَا، عَالِماً أَنَّ مَا يُعِينُ بِهِ ٱلْجُمَّةَ[31] ٱلسَّائِلَةَ أَنْفَعُ لَهُ فِي ٱلْمَآلِ مِمَّا يُلِينُ بِهِ

---

(19) الخلة : بضم الخاء المودة وهي أيضا بمعنى ما كان خلوا من المرعى.

(20) الصبية : هم أبناء جعفر بن أبي طالب.
انظر سيرة ابن هشام : 22/4، والاكتفاء : 282/2.

(21) تصر في الأصل، الورقة : 122.

(22) الخلة : انثى الابل. ابنة المخاض. في الأصل الجلة، الورقة : 122.

(23) في الأصل تلهو وتلعب، الورقة : 122.

(24) الخلة : بفتح الخاء أيضا : الحاجة.

(25) الخلة : بفتح الخاء : الخصلة الحسنة.

(26) مديل : غلبة. من الفعل أديل بمعنى غلب بعد هزيمة.

(27) أكثب : أدنى وقرّب.

(28) الدف : الجنب بفتح الدال.

(29) الدف : آلة الطرب بضم الدال.

(30) تباب : الخسران والهلاك.

(31) الجمة السائلة : بضم الجيم : القوم يسألون الدية.

ٱلْجَمَّةَ[32] ٱلطَّائِلَةَ، وَمُعِدّاً لِلنَّوَائِبِ ٱلَّتِي لاَ طَاقَةَ لأَحَدٍ بِجَمَّتِهَا[33] ٱلسَّائِلَةِ، وَمُعْتَبِراً مِنْهَا بِدَارٍ نَامَتْ عَنْهَا [حِيناً][34] نَوَائِبُ ٱلدَّهْرِ وَلَمْ يَأْتِ عَلَيْهَا بِالسُّرُورِ عَقِبُ[35] شَهْرٍ إِلاَّ جَاءَتْ أَضْعَافُهُ فِي عُقْبِ[36] ٱلشَّهْرِ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ لَهُمُ ٱلزَّمَانُ وَخَذَلَهُمُ ٱلأَمَانُ فَوَقَعَ فِيهِمْ مُوَاتٌ[37] لاَ يُشْبِهُهُ مُوتَانٌ فَأَصْبَحُوا أَحْيَاؤُهُمْ أَمْوَاتٌ وَأَرْضُهُمُ ٱلْغَدَاةَ بَعْدَ حَيَاةِ ٱلْعِمَارَةِ وَٱلْخِصْبِ مَوَاتٌ[38] وَدِيَارُهُمْ مَا بِهَا شَفْرٌ[39] وَلاَ يَطْرِفُ بِفَنَائِهَا مِنْ أَبْنَائِهَا شُفْرٌ، تُنَادِي فِيهَا لِسَانُ ٱلاِعْتِبَارِ بِجَنَبَتَي ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَيْنَ سُكَّانُ ٱلدِّيَارِ، أَيْنَ ٱلْجِيرَةُ ٱلَّتِي طَالَ مَا قَرَّتْ عُيُوناً بِحُسْنِ ٱلْجِوَارِ، وَارْتَضَعَتْ أَفَاوِيقَ ٱللَّذَّاتِ وَفْقَ ٱلاِخْتِيَارِ، أَيْنَ ٱلْوُجُوهُ ٱلْكَاسِفَاتُ أَنْوَارُهَا أَضْوَاءَ ٱلأَقْمَارِ، أَيْنَ ٱلأَيْدِي ٱلْكَاشِفَاتُ أَنْوَاؤُهَا أَزَمَاتِ ٱلْمُلِمَّاتِ ٱلْكِبَارِ، أَيْنَ ٱلْمُلُوكُ ٱلَّذِينَ خَضَعَتْ لَهُمْ أَعْنَاقُ ٱلْجَبَابِرَةِ بِعِزِّ ٱلإِجْبَارِ، وَأَوَتْ مِنْهُمُ ٱلآمَالُ إِلَى رُبَى ذَوَاتِ مَعِينٍ وَقَرَارٍ، ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[40].

---

(32) الجمة : بفتح الجيم : الشعر وما اجتمع منه على الرأس.

(33) جمة : بفتح الجيم أيضا : بمعنى ما اجتمع من الماء.

(34) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 122.

(35) عقب : بفتح العين وكسر القاف : ما بقي منه.

(36) عقب : بضم العين وسكون القاف : نهايته.

(37) موات : بضم الميم : الوباء وكثرة الموت وكذلك موتان بضم الميم.

(38) موات : بفتح الميم تقال لكل شيء غير الحيوان.

(39) ما بها شفر : ما بها أحد.

(40) الآية 16 من سورة المؤمنون.

18 ـ بَابُ ٱلْمَكْسُورِ أَوَّلُهُ وَٱلْمَضْمُومِ بِاخْتِلاَفِ ٱلْمَعْنَى

كَمْ لِلَّهِ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ إِمَّةٍ[1] طَالَتْ بِهَا لِلْقَصِيرِ ٱلأُمَّةُ[2] وَحَسَدَتْهُ عَلَى أَدَانِيهَا ٱلأُمَّةُ[3] وَأَذْهَلَتْهُ أَفَانِينُهَا ٱلْجَمَّةُ، فَمَا اذَّكَرَ لِشُكْرِهَا إِلاَّ بَعْدَ أُمَّةٍ[4]، أَمَا وَمَوْلاَهَا فَلَوْلاَهَا مَا أُسْعِفَتْ لِخَاطِبٍ خِطْبَةٌ[5] وَلاَ اسْتُحْسِنَتْ لِخَطِيبٍ نَادٍ ـ وَلَوْ كَانَ قُسَّ إِيَّادٍ ـ خُطْبَةٌ، وَلاَ جَدَّ بِرَاحِلٍ جِدُّ رِحْلَةٍ، فَنَهَضَ بِهَا بَعِيرٌ ذُو رُحْلَةٍ[6] وَإِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ بِفَضْلِ ٱللَّهِ مُقْتَنَى، وَمِنْ غَرْسِ إِحْسَانِهِ مُجْتَنَى، فَإِنْ أُبْدِعَ بِكَ فِي طَرِيقِ خِدْمَتِهِ، وَتَحَمَّلْتَ خَجْلَةً بِتَقْصِيرِكَ مُضْطَرّاً فِي شُكْرِ نِعْمَتِهِ، فَحَمَّلَ ٱللَّهُ يَا هَذَا رُجْلَتَكَ[7]، وَرَفَعَ بِكَرَمِ تَجَاوُزِهِ خَجْلَتَكَ وَجَعَلَكَ مِنَ

---

(1) الأمة : بكسر الهمزة : النعمة. وقد ذكر أبو العباس التدميري في التصريح بشرح غريب الفصيح، الورقة : 55 ثمانية معان لهذه اللفظة.

(2) الأمة : بضم الهمزة : القامة.

(3) الأمة : بضم الهمزة أيضا بمعنى القرن من الجماعة ومن الناس.

(4) أمة : بضم الهمزة أيضا بمعنى حين ومنها قوله تعالى في الآية 45 من سورة يوسف : ﴿وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتاويله فأرسلون﴾. ذكر أبو العباس التدميري في التصريح بشرح غريب الفصيح ثمانية معان لهذه اللفظة وهي : الجماعة / أتباع الأنبياء / الرجل الجامع للخير / الدين والملة / الحين / القامة / الرجل المنفرد بدينه وحده لا يشركه فيه أحد / الأم.
انظر الورقة : 55. وانظر المثلث لابن السيد البطليوسي 327/1.

(5) خطبة : مصدر للفعل خطبت المرأة.

(6) ذو رحلة : بضم الراء : إذا كان قويا على السفر. والرحلة بكسر الراء : الارتحال، وبضمها : السفر.

(7) حمل الله رجلتك : جملة دعائية للراجل بمعنى أعانك الله على المشي أو رزقك دابة تحملك. =

ٱلْعَامِلِينَ عَلَى أَسْعَدِ ٱلْغَايَاتِ وَٱلْمُعْتَبِرِينَ بِمَا بَثَّ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ مِنْ عَجَائِبِ ٱلآيَاتِ، تِلْكَ آيَاتُ ٱللَّهِ مَنْ لَحَظَهَا حَقَّ لَحْظِهَا كَاسَ[8]، وَمَنِ اعْتَبَرَ بِهَا عَرَفَ ٱلدَّهْرَ وَٱلنَّاسَ. أَوَ لَمْ تَرَ إِلَى ٱلرِّجْلَةِ[9] لَمَّا تَخَيَّرَتِ ٱلرِّجْلَةَ[10] لِمَنْبِتِهَا قَدَحَ ٱلْجَاهِلُونَ فِي تَثَبُّتِهَا فَقَالُوا لَهَا ٱلْبَقْلَةُ ٱلْحَمْقَاءُ[11] مَا قَالُوهَا ــ زَعَمُوا ــ إِلاَّ لِنُزُولِهَا مَنْزِلاً يَتَعَذَّرُ فِيهِ ٱلْبَقَاءُ، فَاعْجَبْ لَهُمْ أَلْزَمُوا ٱلْبَقْلَ ٱلْعَقْلَ وَنَسُوا أَنْفُسَهُمْ إِذْ سَكَنُوا فِي دَارٍ تَيَقَّنُوا ٱلزَّحْزَحَةَ عَنْهَا وَٱلنُّقْلَ، فَكَيْفَ يُفْلِحُ مَنْ عَقَدَ عَلَى هَذَا ٱلرَّأْيِ ٱلْفَائِلِ حِبْوَتَهُ[12]، وَمَنَعَ عَنِ ٱلْمُعِيلِ ٱلْعَائِلِ حُبْوَتَهُ[13]، أَخْلِقْ بِهِ أَنْ تَحُلَّ بَوَائِقُ ٱلرَّزَايَا حِبْيَتَهُ[14]، وَتُعَذِّرَ [طَوَارِقُ][15] ٱلْمَنَايَا بِغْيَتَهُ، فَتُصْبِحُ دَارُهُ مِنْهُ صِفْراً[16]، وَلاَ يُغْنِي عَنْهُ فِي مَرُومِ مَذْهَبِهِ كَثْرَةُ فِضَّتِهِ وَذَهَبِهِ، كَأَنَّمَا جَمَعَ آنُكاً[17] وَصُفْراً[18]، يَوْمَئِذٍ يَجِدُ عُشْرَ ٱلدِّرْهَمِ ٱلَّذِي تَصَدَّقَ بِهِ أَجْدَى عَلَيْهِ مُثَقَّلاً أَوْ مُخَفَّفاً[19] مِنْ قَنَاطِيرِ ٱلْحُطَامِ ٱلَّذِي أَنْفَذَ قُوتَهُ وَوَقْتَهُ فِي جَمْعِهِ مُقَدَّماً

= وقد وردت الكلمة في فصيح ثعلب بتحقيق الدكتور عاطف مدكور بالحاء المهملة وهو تصحيف بين إذ أورد في إحالة الشروح شرح الكلمة ذاكرا أن الرحلة مصدر الراحل. انظر **الفصيح**، ص 302.

(8) كاس : أصبح كيسا أي عاقلا.

(9) الرجلة : بكسر الراء : بقلة، ضرب من الحمض سميت بذلك لأنها تنبت في مجار السيول.

(10) الرجلة أيضا بكسر الراء : المطمئن من الأرض، والطرق التي يسير عليها الناس بأرجلهم.

(11) البقلة الحمقاء : يقال لها كذلك لأنها تنبت في مسالك الطرق فتداس بالأرجل، وعلى مسائل الماء فيقلعها السيل، ويقال في الأمثال «أحمق من رجلة».

(12) حبوته : من الاحتباء وهو أن يشد الرجل ثوبه حول الظهر ويجمعه حول ساقيه وهو جالس على إيالته. وهذه الجلسة خاصة بالعرب.

(13) الحبوة : بضم الحاء : العطية.

(14) تستعمل العرب هذا القول : «فلان لا يحل حبوته وحبيبته» للدلالة على الرجل الحليم الرزين الذي لا طيش ولا خفة له، والعكس بالعكس فلان يحل حبيته إذا كان طائشا.

(15) في الأصل طرارق، الورقة : 123.

(16) صفرا : بكسر الصاد : الذي خلا بيته من كل آنية.

(17) آنكا : الرصاص.

(18) صفرا : بضم الصاد : النحاس.

(19) مثقلا أو مخففا أي عشر : بضم العين وسكون الشين مخفف، وبضم العين والشين مثقل.

ثُمَّ تَرَكَ سُحْتَهُ[20] مُخَلَّفاً، فَيَا بَرْحَ ظَمَائِهِ[21] إِلَى ٱلْعَذْبِ ٱلْبَارِدِ وَيَا لَقَنَاعَتِهِ بِٱلتِّسْعِ وَٱلْعِشْرِ[22]، وَمَنْ لَهُ بِهِ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَوَارِدِ عَلَى أَنَّ فَضْلَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ وَوَعْدَهُ بِٱلرَّحْمَةِ لِعِبَادِهِ كَرِيمٌ، وَلَيْسَ لِوَعْدِهِ سُبْحَانَهُ خُلْفٌ، وَطَالَ مَا دَرَّ بِرَحْمَتِهِ لِلْحُوَارِ مِنْ أُمِّهِ خِلْفٌ[23]، وَتَمَتَّعَ بِحُسْنِ ٱلْجِوَارِ مِنْ إِلْفِهِ إِلْفٌ، وَمَا أَحَدٌ بِإِحْسَانِ ٱللَّهِ حَقِيقاً، وَإِنَّمَا هُوَ فَضْلُهُ بِهِ يَجِدُ ٱلظَّمْآنُ جِمَامَ[24] ٱلْقَدَحِ مَاءاً وَٱلسَّغْبَانُ[25] جُمَامَ[26] ٱلْمَكُّوكِ دَقِيقاً، فَاقْعُدْ فِي عُلاَوَةِ[27] ٱلرِّيحِ أَوْ سُفَالَتِهَا وَٱبْعُدْ عَنِ ٱلتَّعْوِيلِ عَلَى كِفَايَةِ هَذِهِ ٱلْخَلِيقَةِ وَكَفَالَتِهَا فَرَبُّكَ كَافِيكَ، وَرِزْقُكَ حَيْثُ كُنْتَ مُوَافِيكَ، وَعِنْدَكَ بِذَلِكَ ٱلْخَبَرُ ٱلْيَقِينُ، فَمَازَالَ يُيَسِّرُ لَكَ ٱلْمَآرِبَ وَيُعْذِبُ لَكَ ٱلْمَشْرَبَ وَيَمْنَعُ عِلاَوَتَكَ[28] أَنْ تُضْرَبَ، وَيُنْجِدُ عَلَى حَمْلِ ٱلْعِلاَوَةِ[29] بَعِيرَكَ ٱلأَجْرَبَ، وَلَوْلاَ لُطْفُهُ مَا تَيَسَّرَتْ هَذِهِ ٱلآمَالُ وَلاَ حُمِلَتِ ٱلْعَلاَوَى وَلاَ ٱلأَحْمَالُ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِياً رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾[30].

---

(20) سحته : الحرام الذي لا يحل كسبه.

(21) ظمائه : من الظمى وهو الوقت بين الشربين أي المدة التي تبقى فيها الابل بلا شرب.

(22) من أظمأ الابل، وهي أن ترعى تسعة أيام أو عشرة قبل الورد.

(23) خلف : جمعها أخلاف وهي أطراف الضروع للناقة.

(24) جمام القدح : إذا ملأه إلى حرفه.

(25) السغبان : الجوعان.

(26) جمام المكوك : المكوك، كأس وقدح يشرب به أعلاه ضيق ووسطه واسع ويستعمل في الكيل كالمد.
وجمام المكوك : ملؤه إلى أعاليه.

(27) علاوة الريح : بضم العين أن يكون فوق الصيد، وسفالتها أن يكون تحته لئلا يجد الوحش رائحته.

(28) علاوتك : بكسر العين : رأسك.

(29) العلاوة بكسر العين أيضا : ما علق على البعير بعد حمله، وجمعها علاوى.

(30) الآيتان 64-65 من سورة مريم.

19 ـ بَابُ مَا يُثَقَّلُ وَيُخَفَّفُ[1]

بِاخْتِلاَفِ ٱلْمَعْنَى

يَا هَذَا اِعْمَلْ عَلَى حَسَبِ مَا أُمِرْتَ بِهِ مِنَ ٱلاِسْتِقَامَةِ، وَحَسْبُكَ مَا أَعْطَيْتُكَ مِنْ دِلاَلَةٍ عَلَى ٱلسَّعَادَةِ وَعَلاَمَةٍ، إِذَا جَلَسْتَ وَسْطَ[2] [ٱلْقَوْمِ][3] فَبِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَأَوْصِهِمْ ، وَإِذَا اقْتَرَبَ إِلَيْكَ ذَوُو ٱلْحَاجَاتِ فَلاَ تُقْصِهِمْ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُزَيِّنَ بِالأَمْرَيْنِ عَمَلَكَ فَوَسَطُ دَارِكَ أَحْمَلُ لَكَ، رُبَّ مُلاَقٍ بَرْحاً مِنْ يَأْسِهِ لِعِلْمِهِ بِجِنَايَاتِ نَفْسِهِ، لَمْ يُغْنِ عَنْهُ إِنِ احْتَجَمَ وَسَطَ رَأْسِهِ وَعِلَّةُ ٱلذُّنُوبِ لاَ تُقَاوِمُهَا حِجَامَةُ مَنِ ٱحْتَجَمَ وَلاَ يُلاَئِمُهَا ٱلاِغْتِذَاءُ بِنَقِيِّ ٱلْحَبِّ ذِي ٱلْعَصْفِ وَمُنَقَّى ٱلزَّبِيبِ ذِي ٱلْعَجَمِ[4]، إِنَّمَا وَجْهُ عِلاَجِهَا ٱلْقَرِيبِ ٱلتَّضَرُّعُ إِلَى ٱلسَّمِيعِ ٱلْمُجِيبِ وَإِخْلاَصُ ٱللَّجَاءِ إِلَى ٱلْمَوْلَى ٱلْكَفِيلِ بِمُعْضِلِ ٱلأَدْوَاءِ، فَبَادِرْ قَبْلَ عَجْمِ[5] ٱلْعُقُوبَاتِ عُودَكَ وَهَجْمِ مُقَدِّمَاتِهَا مُقْتَحِمَةً عَلَيْكَ وَصِيدَكَ[6]، وَيَوْمُ عَرَفَةَ مَظِنَّةٌ لِلْقَبُولِ، وَمَوْطِنٌ لِلإِسْعَافِ مِنَ ٱلْكَرِيمِ ٱلْمَسْؤُولِ، فَمُدَّ إِلَيْهِ فِيهِ يَدَكَ فَطَالَمَا أَخَذَ بِهَا فَأَنْهَضَكَ وَأَيَّدَكَ وَأَحْسَنَ بِهِ ظَنَّكَ فَمَازَالَ يُصَدِّقُهُ عَلَى أَنَّكَ[7] وَأَنَّكَ، كَمْ

---

(1) يثقل بالفتح ويخفف بالسكون.

(2) وسط : بتسكين السين : بينهم.

(3) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 123.

(4) العجم : بفتح العين والجيم : حب الزبيب والنوى.

(5) عجم : بفتح العين وسكون الجيم : عضٌّ، مصدر للفعل عجم العود إذا عضه ليعرف مدى صلابته.

(6) وصيدك : فناء دارك أو بيتك.

(7) كذا في الأصل مكررة، الورقة : 124.

تَكَفَّفْتَهُ طَالِباً فَأَعْطَاكَ مَا أَغْنَاكَ عَنِ ٱلِازْدِيَادِ وَاسْتَكْفَيْتَهُ ظَالِماً فَكَفَاكَ كَمَا كَفى بِٱلْعَرْفَةِ[8] شِمَالَ زِيَادٍ[9]، وَلَوِ اسْتَحْيَيْتَ مِنْهُ حَقَّ ٱلْحَيَاءِ لَمَا كَانَ لَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ نَبسٌ، فَلاَزِلْتَ تَعْصِيهِ مُذْ غُصْنُكَ لَدْنٌ حَتَّى عَادَ وَهُوَ حَطْبٌ يَبْسٌ[10]، وَلَكِنَّهُ عَوَّادٌ عَلَى مَنْ عَادَ، مُسْعِدٌ لِمَنِ ٱلتَمَسَ مِنْ بَابِهِ ٱلِإسْعَادُ، فَلاَ تُنْكِرْ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ كُنْتَ مُلْتَمِساً أَنْ يُفَجِّرَ لَكَ مِنَ ٱلصَّخْرِ زُلاَلاً غَدِقاً، وَيَضْرِبَ لَكَ فِي ٱلْبَحْرِ طَرِيقاً يَبَساً فَأَلِنْ لِلطَّاعَةِ عِنَان تَأَبِّيكَ، وَكُنْ خَلَفَ[11] صِدْقٍ مِنْ أَبِيكَ، فَخَلْفُ ٱلسَّوْءِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ مَهْجُورٌ، وَبِكُلِّ لِسَانٍ كَزَجْرِ ٱلْكَلْبِ مَزْجُورٌ، وَكَمْ جَاءَ بَعْدَ ٱلْمَاضِي خَلْفٌ اِسْتَقْبَلَ ٱلْخِبْرَةَ مِنْهُ جَافٍ جِلْفٌ، كَلاَمُهُ كَذَلِكَ خَلْفٌ[12] وَوَعْدُهُ خُلْفٌ، إِنْ غَابَ آمَاداً بَعْدَ آمَادٍ لَمْ يَشُقْ إِلْفاً، وَإِنْ حَضَرَ فِي نَادٍ سَكَتَ أَلْفاً وَنَطَقَ خَلْفاً[13] يَقُولُ وَلِيُّهُ وَقَدْ أَعْيَتْهُ قَسَاوَتُهُ أَنْ تَلِينَ وَأَبَتْ عَلَيْهِ غَبَاوَتُهُ أَنْ يَدِينَ ﴿إِنَّكَ لاَ [تَهْدِي][14] مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ [وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ][15]﴾[16].

---

(8) العرفة : قرحة.

(9) زياد : لم أهتد إليه.

(10) يبس : بمعنى يابس وكذلك يبس بفتح الباء.

(11) خَلَفَ صدق من أبيه وخَلْفُ سوء بفتح اللام وخَلْفُ بسكون اللام من يأتي بعد.

(12) خلف بسكون اللام أيضا بمعنى الخطأ من الكلام.

(13) من أمثال العرب يقال للرجل يطيل الصمت فإذا نطق تفوه بالزلل والخطأ. **مجمع الأمثال** : 230/1.

(14) في الأصل تهتدي وهو خطأ، الورقة : 124.

(15) كتبت على جانب الهامش أفقيا، الورقة : 124.

(16) الآية 56 من سورة القصص.

20 ـــ بَابُ ٱلْمُشَدَّدُ

فِيكَ أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ زَعَارَّةٌ[1]، وَحَالَةُ ٱلإِفْرَاطِ بِرَاكِبِهَا ضَارَّةٌ وَلِصَاحِبِهَا عَارَّةٌ[2]، وَيَثْقُلُ ٱلْمَرْءُ إِذَا احْتَدَّتْ [مِنْهُ][3] مُمَارَاةٌ وَمُشَارَّةٌ كَمَا يَثْقُلُ ٱلْقَيْظُ إِذَا اشْتَدَّتْ مِنْهُ حَمَارَّةٌ[4]. لاَ تَكُنْ كَمَنْ تَشَوَّقَ ٱلْقَنْصَ وَمَدَّ حِبَالَةَ ٱلْكَيْدِ لِتَحْصِيلِ ٱلْفَرَاءِ ٱلَّذِي فِي جَوْفِهِ كُلُّ ٱلصَّيْدِ[5]، فَلَمْ يَظْفَرْ إِلاَّ بِسَامٍّ أَبْرَصَ[6] وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِقَدَرِ ٱللَّهِ وَلَكِنْ، أَحْسِنِ ٱلإِخْلاَصَ وَٱلتَّوَكُّلَ ثُمَّ تَعَرَّضْ لِرِزْقِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ. إِنَّ ٱلْمُغْتَابَ بِسُوءِ مَا قَرَضَ وَقَرَصَ[7]، وَٱلْحَاسِدَ ٱلَّذِي عَلَى ذَهَابِ نِعْمَتِكَ حَرِصَ خَيْرٌ مِنْهُمَا سَامّاً أَبْرَصَ، وَشِرَارُ ٱلنَّاسِ أَمْتَنُ مِنْ سَوَامِّ أَبْرَصَ شَرّاً وَأَقْتَلُ غَائِلَةً وَأَكْثَرُ ضَرّاً، ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْحَقِيقَةِ فَخٌّ، وَٱلْمَرْءُ فِيهَا سَكْرَانُ مُلْتَخٌّ[8]، فَمَا أَحْرَاهُ أَنْ يَعْلَقَ بِفَخِّهَا، وَأَنْ تَتَلَقَّاهُ سَكْرَانَ مُلَطَّخاً بِزِيْنَتِهَا وَزَخِّهَا[9]، وَٱلْبَائِسُ فِيهَا مَنْ إِذَا طَالَ عُمُرُهْ إِلْتَخَّ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فَلَمْ يَهْتَدِ سَبِيلاً إِلَى ٱلصَّلاَحِ، وَلاَ أَجْدَى

---

(1) زعارة : شراسة وسوء خلق.

(2) عارة : من العد ومن معانيه الجرب والعيب والاثم.

(3) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 124.

(4) حمارة : شدة القيظ أو شدة البرد.

(5) من المثل العربي المعروف : «كل الصيد في جوف الفرإ ويقال أيضا الفراء» ومنه قول الرسول ﷺ لأبي سفيان : «أنت يا أبا سفيان كما قيل : كل الصيد في جوف الفرإ».
انظر اللسان مادة : فرأ.

(6) سام أبرص : الوزغ، وجمعه سوام أبرص.

(7) قرص : قال كلمة مؤذية.

(8) ملتخ وملطخ أي مختلط.

(9) زخها : دفعها.

عَلَيْهِ سِوَى ٱلسَّفَاهِ كَرُّ ٱلْمَسَاءِ وَٱلصَّبَاحِ، قَدْ جَعَلَ دَيْدَنَهُ أَنْ يَشْرَبَ مَشِيّاً[10] مَتَى اشْتَكَى بَدَنَهُ، فَإِذَا كَانَتْ بِدِينِهِ ٱلشَّكَاةُ لَمْ يَسْتَعْمِلْ لَهُ مَشُوّاً وَلَوْ أَنَّهُ ٱلْحَيَاةُ، وَهَذِهِ عَلاَمَاتٌ [رَدِيَّةٌ][11] وَدِلاَلاَتٌ إِنْ لَمْ تَتَدَارَكْهُ رَحْمَةُ مَوْلاَهُ عَلَى ٱلشَّقَاوَةِ ٱلأَبَدِيَّةِ، فَمَا أَرَاهُ زَادَتْهُ ٱلسِّنُّ إِلاَّ عَرّاً وَضَيْراً وَإِنَّ ٱلْمُؤْمِنَ لاَ يَزِيدُهُ عُمُرُهُ إِلاَّ خَيْراً، ٱلْحَسُوُّ[12] نِعْمَ ٱلْغِذَاءُ فَلاَ يُغِبُّكَ ٱلْحَسَاءُ فَتَغْذِيَتُهُ كَافِيَةٌ، وَمَغَبَّتُهُ بُرْءٌ وَعَافِيَةٌ، وَبِيَدِ خَالِقِكَ هُوَ ٱلْمَرَضُ وَٱلشِّفَاءُ، وَنِعْمَتِ ٱلْفَاكِهَةُ ٱلإِجَّاصُ، وَٱلأُتْرُجُّ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ ٱلإِسْتِعْمَالُ وَٱلإِخْتِصَاصُ، فَمَنَادِيحُ[13] ٱلإِنْتِفَاعِ بِهِ أَفْسَحُ مَجَالاً، وَعَوَاقِبُ مُرَكَّبَاتِهِ أَصْلَحُ مَآلاً وَأَنْجَحُ اسْتِعْمَالاً. لَوْ جِئْتَ يَا رَبَّ ٱلْمَنْزِلِ بِالضِّحِّ[14] لَمَا كُنْتَ مِنْ هَمِّ إِجَّانَةِ[15] ٱلْعَجِينِ بِٱلْمُسْتَرِيحِ، وَلَوْ قَعَدْتَ طَوَالَ ٱلدَّهْرِ عَلَى فُوَّهَةِ[16] ٱلطَّرِيقِ وَٱلنَّهْرِ لِتَلْقَى لِلدُّنْيَا مُبْغِضاً وَعَنْ شَأْنِهَا مُعْرِضاً وَلِفُضُولِهَا مُخْتَصِراً، وَعَلَى مَا يَعْنِيهِ مِنْهَا مُنْتَصِراً لأَوْشَكَ أَنْ لاَ تَرَاهُ وَلَوِ اسْتَضَفْتَ إِلَى عُمُرِكَ ٱلطَّوِيلِ عُمُراً.

أَمَا يَسْتَحِي ذُو ٱلْبِطْنَةِ ٱلْعَاوِيَةِ أَنْ يُرَى بَطِيناً وَغُلاَمُهُ ضَاوِي وَجَارِيَتُهُ ضَاوِيَةٌ، أَيْنَ حَظُّ ٱلنَّفْسِ، بَلْ أَيْنَ لَحْظُ ٱلإِيثَارِ ٱلَّذِي هُوَ أَعْلَى وَأَنْفَسُ، وَكَلاَّ لَيْسَ بِٱلإِيثَارِ وَلَكِنْ عَلَيْهِ ٱلْقِيَامُ بِشِبْعِ هَذَيْنِ، فَكَيْفَ يَسْمَحُ لِنَفْسِهِ فِي ٱلإِكْثَارِ فَبُعْداً لِمِثْلِهِ مِنْ سَمِينٍ، فَلَيْسَ وَقَدْ ضَيَّعَ مَنْ يَقُوتُهُ بِمَأْمُونٍ وَلاَ أَمِينٍ، وَقَدْ صَحَّ بِالِاخْتِبَارِ وَٱلْمِحْنَةِ تَنَافِي ٱلْبِطْنَةِ وَٱلْفِطْنَةِ فَأَحْرِ بِهِ إِنْ تَحَمَّلَ عَارِيَةً[17] أَلاَ يُؤَدِّيَ، وَإِنْ عَرَضَتْ غَايَةٌ

---

(10) مَشِياً : الدواء المسهل وكذلك مَشُوّاً كما سيأتي.

(11) كذا في الأصل، الورقة : 124.

(12) الحسو والحساء بمعنى واحد : كل ما يحتسي.

(13) مناديح جمع مندوحة : سعة.

(14) الضح والريح : تقال لرجل إذا قدم بمال كثير وغنائم. والضح : الشمس وقيل نورها فوق الأرض، والمعنى كل ما سطعت عليه الشمس وهبت عليه الريح.

(15) إجانة : جفنة يعجن فيها العجين وهي أيضا الإناء الذي تغسل فيه الثياب.

(16) فوهة الطريق والنهر : المدخل إليهما.

(17) العارية : ما يستعار من الماعون.

سَدَادٍ لاَ يَهْتَدِي لَهَا وَلاَ يُهْدِي، أَيُّهَا ٱلْقَارِحُ[18] مَا هَذَا ٱلْغُلُوُّ أَتَظُنُّ أَنَّكَ حَتَّى ٱلآنَ فَلُوٌّ[19]، ذَهَبَ ٱلزَّمَانُ فَأَيْقِظْ نَظَرَكَ يَا نَوْمَانُ، مَا يَنفَعُكَ ٱلْحُوَّارَى[20] وَٱلأُرُزُّ إِذَا خَفَتَ ٱلأَنِينُ وَانْقَطَعَ ٱلرِّزُّ[21]، هَلْ تَجِدُ لَهُمَا حِينَئِذٍ طَعْماً أَوْ هَلْ يُوفِيكَ اِغْتِرَارُكَ عِنْدَ ذَاكَ زَعْماً، هُنَاكَ اسْتَوَى نَقِيُّ ٱلْبُرِّ وَجَشِبُ[22] ٱلْبَاقِلاَ[23]، وَفَازَ بِٱلسَّبْقِ مَنْ كَانَ مِنَ ٱلذُّنُوبِ مُقِلاًّ، وَلَيْسَ بِنَافِعِكَ وَلاَ ضَائِرِكَ يَوْمَ إِلَى ٱللَّهِ تُرَدُّ أَنْ تَعْلَمَ أَوْ تَجْهَلَ أَنَّ ٱلْبَاقِلاَءَ تُخَفَّفُ لاَمُهَا ٱلْمُشَدَّدَةُ حِينَ تُمَدُّ، فَاقْتَنِ بِٱلطَّاعَةِ عِزّاً، وَلاَ تَحْفَلْ بِٱلسَّرَقِ[24] وَلاَ ٱلْمِرْعِزّي[25]، فَسَتُعَوَّضُ مِنْ ذَلِكَ ٱلْمِرْعِزَاءِ وَٱلسَّرَقِ بِٱلسُّنْدُسِ [فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ][26] وَٱلإِسْتَبْرَقِ، وَتَجِدُ ثَوَابَ مَا رَفَضْتَ فِي هَذِهِ ٱلدَّارِ مِنْ أَسْبَابِ ٱلرَّفَاهِيَّةِ مُوَفًّى فِي ٱلدَّارِ ٱلْمَحْفُوفَةِ بِكُلِّ مَخْصُوصٍ مِنَ ٱلنُّفُوسِ بِٱلْكَرَاهِيَّةِ. إِنْ عَلِمْتَ جَمَاعَةَ خَيْرٍ فَاشْهَدْهَا، وَإِنْ كَانَتْ لَكَ ضَيْعَةٌ فَتَعَهَّدْهَا، فَإِنَّ ٱلْجَمَاعَةَ بَرَكَةٌ وَلِلَّذِي يَتَعَهَّدُ ضَيْعَتَهُ أَجْرُ مُوجِبَاتِهِ مُشْتَرَكَةٌ، فَعَظَّمَ ٱللَّهُ أَجْرَكَ أَيُّهَا ٱلْمُحْتَسِبُ بِفَعَالِهِ، ٱلْمُنْتَسِبُ إِلَى ٱلْبِرِّ وَٱلصِّلَةِ بِانْتِحَالِهِ، قَدْ وَعَّزْتُ[27] إِلَيْكَ فِي ٱلأَمْرِ ٱلْمُهِمِّ رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ بِمَا أَوْعَزْتُ مُثَاباً، وَإِلَى أَحْسَنِ مَا دَعَوْتُ إِلَيْهِ مُجَاباً، فَإِنَّ مَنْ أَحْسَنَ بِٱلنُّصْحِ عَوْنَ أَخِيهِ كَانَ ٱللَّهُ مَعَهُ وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ ٱلأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، وَٱلَّذِينَ يُهْدُونَ ٱلسَّبِيلَ فَيَنْتَهِجُونَ سَنَنَهُ، وَ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا ٱلأَلْبَابِ﴾[28].

---

(18) القارح : الناقة أول ما تحمل.

(19) فلو : بفتح الفاء وضم اللام : مهر.

(20) الحواري : لباب الدقيق الجيد الناصع البياض.

(21) الرز : بكسر الراء : الصوت.

(22) جشب : غليظ خشن.

(23) الباقلا : الفول.

(24) السرق : بفتح السين والراء جمع مفرده سرقة : وهي القطعة من جيد الحرير.

(25) المرعزى : أو المرعزاء : ثياب تنسج من الصوف تكون لينة ناعمة.

(26) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 125.

(27) وعزت : بتشديد العين : بمعنى أوعزت.

(28) الآية 18 من سورة الزمر.

21 ــ بَابُ ٱلْمُخَفَّفُ

إنْ نَقِيتَ يَا هَذَا مِنَ ٱلأَدْنَاسِ، فَأَنْتَ مِنْ عِلْيَةِ ٱلنَّاسِ، إنَّكَ فِي دَارٍ لاَ تَحْتَاجُ فِي ٱلنَّقْلَةِ عَنْهَا إلَى مُكَارٍ[1]، فَإنْ كُنْتَ مُخِفّاً فُزْتَ يَوْمَ يَفْرَحُ ٱلْمُخِفُّونَ، وَإنْ كُنْتَ مُثْقِلاً لَمْ يَسْتَقِلَّ بِإثْقَالِكَ ٱلْمُكَارُونَ، فَاعْمَلْ لِيَوْمٍ إلَيْهِ يَنْتَهِي ٱلْغَادِي وَٱلسَّارِي وَغَايَةٍ تَنْتَظِمُ ٱلْمُكَارَى وَٱلْمُكَارِي.

كَمْ عَمِرَ فِي نَادِيهِ عَامِرٌ أَرْضُهُ نَدِيَّةٌ وَنَفْسُهُ عَلَى سَنَنِ ٱلْهَوَى مُسْتَوِيَةٌ وَمَذْهَبُهُ مُزَاجِيٌّ وَعِنَبُهُ مُلاَحِيٌّ[2]، فَأَرْسَلَ ٱلدَّهْرُ عَلَى صَفْوِهِ بَعْضَ شَآبِيبِهِ، وَرَمَاهُ بِقُلاَعَةٍ[3] مِنْ نَوَائِبِهِ، فَإذَا ٱلأَبُ يَأْبَاهُ كَأَنَّهُ مَا كَانَ أَبَاهُ، وَإذَا ٱلأَخُ بِإعْرَاضِهِ يَتَوَخَّاهُ وَيَوَدُّ لَوْ لَمْ يَكُنْ أَخَاهُ، فَلاَ تَغْتَرَّ يَا هَذَا مِنْ عَيْشِكَ بِرَفَاهِيَةٍ، وَلاَ تُخْدَعْ مِنْ زَمَنِكَ بِأَنْ يَكُونَ لَكَ طَلْقَ ٱلْبِشْرِ حَسَنَ ٱلطَّوَاعِيَةِ فَيُوشِكُ أَنْ تَعْرِفَ يَوْماً فِي وَجْهِهِ ٱلْكَرَاهِيَةَ وَيَنْتَهِي بِكَ ٱلْعَيْشُ ٱلرَّفِيعُ وَٱلْمَشْرَبُ ٱلَّذِي يَلَذُّ صَفْوُهُ ٱلْمُسْتَسِيغُ إلَى مَذِيقٍ لاَ مَسَاغَ لَهُ فِي لَهَوَاتِ ٱلْفِئَةِ ٱللاَّهِيَةِ، وَمَضِيقٍ لاَ مَجَالَ فِيهِ لِلطَّاهِي وَلاَ لِلطَّاهِيَةِ، وَلِلأَقْدَارِ حَرْبٌ رُبَاعِيَةٌ[4] بِوُدِّكَ لَوْ تَنْجُو مِنْهَا بِسُقُوطِ ٱلثَّنِيَةِ وَٱلرُّبَاعِيَةِ فَفَكِّرْ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي يُطَلُّ فِيهِ ٱلدَّمُ وَلاَ يُجْدِي فِيهِ ٱلنَّدَمُ، وَيَخْرَسُ ٱلْفَمُ فَمَا يَجِدُ بِمَا يَتَكَلَّمُ، فَمَا ٱلسُّمَانَاةُ[5] وَقَدْ عَلِقَتْ شَرَكٌ مُصَمِّمٍ

---

(1) المكاري : الذي يكري دابته، جمعها مكارون.

(2) ملاحي : نسبة إلى الملحة وهي البياض، ويطلق على ضرب من العنب طويل الحب.

(3) قلاعة : المدرة المقتلعة أو الحجر يقتلع من الأرض ويرمى به والمقصود بالنص رماه الدهر بنائبة من نوائبه.

(4) رباعية : الأصل في معناها السن التي تلي الثنية. ويقال للابل إذا طلعت رباعيتها رباع وللأنثى رباعية بالتخفيف وذلك إذا دخلا في السنة السابعة، وهذا المعنى الأخير الذي هدف إليه أبو الربيع من حرب رباعية أي حرب قد تستمر سبع سنوات.

(5) السماناة : جمع مفرده سماني وهو طائر معروف، وهو السلوى الذي أنزل الله على بني إسرائيل.

التصريح بشرح غريب الفصيح، الورقة : 61.

فِيهَا عَلَى ٱلذَّبْحِ مُرْتَقِبٍ لَهَا بَيْنَ ٱلْمَسَاءِ وَٱلصُّبْحِ بِأَسْوَأَ مِنْكَ حَالاً، إِنْ أَسَأْتَ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ مِحَالاً(6)، وَوَجَدْتَ دَعَاوِيكَ [فِي ٱلْمَقَاصِدِ ٱلْمُنْجِيَةِ](7) مُحَالاً(8)، فَإِنَّ صِنْفَ ٱلسُّمَانَاةِ مُسْتَشْعِرٌ مِنْ هَذِهِ ٱلْمُنَاقَشَةِ أَمَاناً، وَأَنْتَ مِنْ نَوْعٍ مَرْضِيَّةٍ أَشْخَاصُهُ مِنْ هَذَا بِكُلِّ رَوْعٍ، وَمَسُوقَةٍ إِلَيْهِ بِكُرْهٍ أَوْ طَوْعٍ، فَهَلْ هَمٌّ أَرْدَى مِنْ هَذَا ٱلْهَمِّ، أَوْ أَيْنَ حُمَةُ(9) ٱلْعَقْرَبِ مِنْ غَائِلَةِ هَذَا ٱلسُّمِّ عَسَى [رَحْمَةُ](10) ٱللَّهِ تَقِينَا، وَلَعَلَّ وِقَايَتَهُ خَيْرٌ مِنْ تَوَقِّينَا، وَيَا ذَا ٱلَّذِي يَشُدُّ بِٱلسِّوَاكِ ٱللِّثَةَ وَيُنَقِّيهَا، هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْصِمُهَا مِنْ عَفَرِ ٱلْقَبْرِ وَتَقِيهَا، هَيْهَاتَ لاَ مَطْمَعَ فِي هَذَا، وَكُلُّ حَيٍّ مِنَ ٱلنَّاسِ مُغِذٌّ(11) إِلَى غَايَةِ ٱلْفَنَاءِ إِغْذَاذاً، فَكُنْ مِنْ هَذَا ٱلنَّبَإِ عَلَى يَقِينٍ، وَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ وَلَيْسَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ بِدُخَانٍ وَلَكِنَّهُ هَوْلٌ تَرَى بِهِ مَا لاَ تَرَى ٱلْعَيْنَانِ وَرُبَّمَا أَرَاهُ ٱللَّهُ بَعْضَ ٱلنَّاسِ حَقِيقَةً كَشَفَ لَهُ بِهَا مِنْ مُغَيَّبِ ٱلأَمْرِ مَا كَشَفَ، فَهُنَالِكَ إِنْ فَاجَأَتِ ٱلْقَارِىءَ أُرْتِجَ(12) عَلَيْهِ فَوَقَفَ، وَإِنْ بَغَتَتِ ٱلرَّضِيعَ ٱلنَّاشِىءَ صَدَّ عَنِ ٱلثَّدْيِ وَصَدَفَ، سَوَاءٌ فِي ٱلتَّأَثُّرِ لِهَوْلِهَا ٱلْهَائِلِ، وَغَوْلِهَا ٱلْغَائِلِ ٱلْهِمُّ(13) ٱلَّذِي قَيَّدَهُ ٱلْهَرَمُ وَاعْتَقَلَ، وَٱلْغُلاَمُ ٱلَّذِي وَجْهُهُ بَقَلَ(14)، وَٱلْوَلِيدُ ٱلَّذِي لَمْ يُفْطَمْ عَنِ ٱلرَّضَاعِ وَلاَ انْتَقَلَ، فَسُبْحَانَ مَنْ كَتَبَ ٱلْفَنَاءَ عَلَى ٱلْجَمِيعِ، وَأَصَمَّ بِدَاعِي ٱلْمَوْتِ كُلَّ سَمِيعٍ ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(15).

---

(6) مِحَالاً : جمع محل : المكان الذي يحل به.

(7) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 125.

(8) مُحَالاً : المحال من الكلام ما عدل به عن وجهه.

(9) حمة العقرب : سمها.

(10) في الأصل رحمت، الورقة : 126.

(11) مغذ : اسم فاعل من الفعل أغذ السير إذا أسرع فيه، والمصدر إغذاذ.

(12) أرتج : أغلق عليه الكلام مأخوذ من الرتاج وهو غلق الباب.

(13) الهم : بكسر الهاء : الشيخ الكبير.

(14) بقل : من بقلت الأرض إذا أخرجت نبتها، وبقل الغلام إذا بدأ شعر لحيته في الخروج.

(15) الآية 88 من سورة القصص.

22 ــ بَابُ ٱلْمَهْمُوزِ

إنَّ ٱلشَّرَّ لَمَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ، وَمَمْقُوتٌ عِنْدَ ٱلأَمَاثِلِ ٱلأَفَاضِلِ مِنْ عَالَمِ ٱلإِنْسَانِ، فَاسْتَأْصَلَ ٱللَّهُ شَأْفَةَ[1] كُلِّ ذِي شَرٍّ وَأَسْكَتَ نَأْمَةَ[2] كُلِّ ذِي ضَرٍّ وَعَرٍّ، وَجَعَلَنَا مَتَى أَرْسَلَتِ ٱلنَّوَائِبُ جَيْشاً مِمَّنْ يَرْبطُ لِذَلِكَ ٱلأَمْرِ جَأْشاً، فَبُنْيَانُ ٱلْجَزَعِ أَبَداً مُتَدَاعٍ وَٱلصَّبْرُ عَلَى ٱلْمَكْرُوهِ إِلَى ٱلظَّفَرِ دَاعٍ، وَتَنَاسُبُ ٱلأَخْلاَقِ وَٱلأَحْوَالِ حِلْيَةُ ٱلْعُقَلاَءِ مِنَ ٱلرِّجَالِ فَاجْعَلْهَا بَأْجاً[3] وَاحِداً إِنِ اسْتَطَعْتَ وَأَطِعْ رَبَّكَ فَهُوَ أَوْلَى مَنْ أَطَعْتَ، هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكَ مِنْ حُطَامٍ رِزْقاً حَسَناً، وَيُخْرِجُ لَكَ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ [لِبَاءً][4] وَلَبَناً وَيُرْقِيكَ وَأَنْتَ ٱلْعَبْدُ قِنّاً[5] بِٱلْعَمَلِ ٱلسَّنِيِّ مَرَاقِيَ ٱلشَّرَفِ ٱلسَّنِيِّ، وَيَقِيكَ عَادِيَةَ ٱللَّبُؤَةِ ٱلْعَظِيمَةِ بِٱلْكَلْبِ ٱلزِّئْنِيِّ[6] وَهُوَ ٱلَّذِي إِذَا شَاءَ قَطَعَ لَكَ مِنْ قَلِيبٍ[7] كُلَّ خَيْرٍ ٱلرِّشَاءَ وَحَيَّرَكَ وَتَدْبِيرُكَ يُصْلِحُ ٱلأَمْصَارَ، وَغَيْرُكَ وَنُورُكَ يَلْتَمِعُ ٱلأَبْصَارَ، وَشِيمَةُ ٱلأَيَّامِ بِإِذْنِ ٱلْمَلِكِ

---

(1) في الأصل شافة دون همزة، ومعنى شأفة : قُرْحَة أو دمل تخرج في القدح فتقطع أو تكوى فتذهب. واستأصل الله شأفته : جملة دعائية معناها أهلكه الله وقطعه من أصله.

(2) نأمة : الصوت الضعيف وقيل الحركة. والجملة دعئية معناها أماته الله.

(3) بأجا واحدا : شيئا واحدا وهي فارسية معربة قيل أول من استعملها عثمان بن عفان وقيل عمر بن الخطاب عندما عرضت عليه صحاف الأطعمة مختلفة الألوان والمذاق فأمر بها فخلطت في صحفة واحدة وقال : اجعلوها بأجا واحدا. انظر التصريح بشرح غريب الفصيح للتدميري، الورقة : 62.

(4) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 126.
ومعنى اللباء بكسر اللام : أول اللبن في النتاج.

(5) القن بكسر القاف : العبد الذي ملك هو وأبوه، يستعمل للمفرد والمثنى والجمع وللمؤنث والمذكر.

(6) الزئني : الكلب القصير اليدين والرجلين.

(7) قليب : بئر.

ٱلْعَلاَّمِ تَغْيِيرٌ وَإِحَالَةٌ، وَحَالَةٌ تَنْسَخُهَا حَالَةٌ، فَسُبْحَانَ رَبُّكَ رَبُّ ٱلْعِزَّةِ ٱلْمَتِينَةِ ٱلأَسْبَابِ، مَا أَضْعَفَ أَسْبَابَ ٱلشُّبَّابِ وَأَقَلَّ أَيَّامَهُ عِنْدَ تَحْقِيقِ ٱلْحِسَابِ، بَيْنَا ٱلْمَرْءُ يَخْطِرُ فِي لَبْسَتِهِ ٱلْفَيْنَانَةِ وَهَيْأَتِهِ ٱلْفَتَّانَةِ كَرَّ عَلَيْهِ ٱلنَّهَارُ وَٱللَّيْلُ وَمَالَتْ عَلَيْهِ ٱلْخُطُوبُ وَمَنْ ذَا يُقِيمُهَا إِذَا كَانَ ٱلْمَيْلُ فَأَصْبَحَ شَعَرُهُ ٱلْحُلْكُوكُ وَكَأَنَّ ٱلْمِلْحَ ٱلذَّرْآنِيَّ[8] عَلَيْهِ مَحْكُوكٌ، فَحَالَ بَعْدَ ٱلْبَهَاءِ رُؤَاؤُهُ[9]، وَخَفَّ بِشَبَابِهِ شَبِيبُهُ، هَذَا ٱلْمِلْحُ ٱلَّذِي تُخَفَّفُ وَتُثَقَّلُ رَاؤُهُ[10]، ثُمَّ يَسْتَوْلِي ٱلْفَنَاءُ عَلَى سَاكِنِي ٱلْفِنَاءِ فَيُقْفِرُ ٱلْجَنَابُ، وَيَذْهَبُ ٱلشَّيِّبُ وَٱلشُّبَّابُ، فَيُوْدِي ٱلْهَرِمُ بِهَرَمِهِ، وَلاَ يَبْقَى ٱلتَّوْأَمُ عَلَى تَمَكُّنِ شَبَابِهِ وَاشْتِعَالِ ضَرَمِهِ، يَمُوتُ ٱلسَّيِّدُ وَأَمَتُهُ، وَيَفْنَى تَوْأَمُ ٱلْمَرْءِ وَتَوْأَمَتُهُ، وَمَنْ ذَا يَبِيتُ مِنَ ٱلطَّوَارِقِ فِي أَمَانٍ، حَتَّى يَأْمَنَهَا ٱلتَّوْأَمَتَانِ أَوِ ٱلتَّوْأَمَانِ. مَرِيءُ[11] ٱلْجَزُورِ[12] لاَبُدَّ مَفْرِيٌّ[13]، يَتَمَثَّلُ لَكَ مَرْئِيّاً كَأَنْ لَمْ يَكُنْ وَهُوَ مَرِيٌّ[14].

رُؤْبَةُ[15] بْنُ ٱلْعَجَّاجِ يَخْتَارُ فِي إِسْمِهِ ٱلْهَمْزَ، فَدَعِ امْرَأً وَمَا اخْتَارَ، وَأَبَى ٱلسَّمَوْأَلُ[16] إِلاَّ ٱلْوَفَاءَ عَلَى ٱلثُّكْلِ فَطَابَ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ وَطَارَ. فَازَ بِفَضْلِ ٱلْبِدَارِ

---

(8) الذرآني : الشديد البياض.

(9) رؤاوه : حسن المنظر في البهاء والجمال.

(10) يشير أبو الربيع إلى استعمال اللفظ الدرآني بسكون الراء وفتحها.

(11) مريء : مستساغ.

(12) الجزور : الذبائح.

(13) مفري : مقطوع، من الفعل فرى يفري بمعنى قطع.

(14) مري : ناقة تدر لبنها على من يمسح ضرعها.

(15) رؤبة بن العجاج : رؤبة بن عبد الله بن رؤبة من بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم، اشتهر والده العجاج بالرجز وعاشا في الدولة الأموية، لكل منهما ديوان شعر، قام بنشرهما آلورد (برلين 1903) ترجمته في **الشعر والشعراء** : 495/2، **والأغاني** ج 14 ص 98.

(16) السموأل بن عادياء اليهودي ملك تيماء وهي مدينة بين الشام والحجاز، عاش في الجاهلية على عهد امرىء القيس، وأبو الربيع يشير إلى وفائه لامرىء القيس. انظر **القصة في الشعر والشعراء** 60/1 و61. وفي ذلك يقول السموأل :

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ ٱلْكِنْدِيِّ إِنِّي ... إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ

إِلَى ٱلْهِجْرَةِ وَٱلإِيعَابِ[17] بَنُو جَحْشٍ[18] بْنِ رِئَابٍ وَتَبِعَهُمْ آخَرُونَ فَطُوبَى لَهُمْ جَمِيعاً وَحُسْنُ مَآبٍ، فَأُولَئِكَ ٱلسُّعَدَاءُ بِمَا عَقَلُوا، [ٱلْمُهَنَّأُونَ][19] بِمَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا، لاَ ٱلَّذِي يُسَمَّى مُهَنَّأً إِسْماً لاَ يُنْبِىءُ عَنْ حَقِيقَةِ ٱلاِشْتِقَاقِ، وَلاَ عِنْدَ ٱلْمُسَمَّى بِهِ مِنَ ٱلْهَنَاءِ غَيْرُ ٱلْعَنَاءِ بِٱلنِّزَاعِ إِلَيْهِ وَٱلاِشْتِيَاقِ، رُبَّ أَشْعَثَ ذِي صُؤَابٍ[20] فِي رَأْسِهِ وَصَوَابٍ فِي رَأْيِهِ وَبَأْسِهِ، رُفِعَ ٱللِّوَاءُ فَبَانَتْ رِئَاسَتُهُ، وَكَثُرَ ٱلاِلْتِوَاءُ فَظَهَرَتْ نَفَاسَتُهُ وَحَسُنَتْ سِيَاسَتُهُ فَلاَ تَحْقِرْ حَامِلَ ٱلصُّؤَابَةِ، فَلَرُبَّمَا كَانَ أَجْدَى عَلَى ٱلْمَجْدِ مِنْ حَامِلِ ٱلذُّؤَابَةِ. يَا كِلاَبَ ٱلْحَوْءَبِ[21] هَلْ أَصْبَحَتِ إِذْ نَبَحْتِ أَمْ غَالَكِ ٱلْحَيْنُ ٱلْمَطْوِيُّ بَيْنَ ٱلْفَوْقِ وَٱلتَّحْتِ لاَبُدَّ لأَثْلَةِ ٱلْعُمْرِ مِنَ ٱلنَّحْتِ فَصَبْراً يَا نَفْسُ عَلَى ٱلْمَوْتِ ٱلْبَحْتِ، سِيَّانِ مَا كَتَمْتِ وَبُحْتِ :

مَا هِيَ إِلاَّ شَرْبَةٌ بِٱلْحَـوْءَبِ[22] فَصَعِّدِي مِنْ بَعْدِهَا أَوْ [صَوِّبِي[23]][24]

[الرجـــز]

---

(17) الإيعاب : إيعاب القوم إذا نفروا جميعا.

(18) بنو جحش بن رئاب هم : عبد الله بن جحش ابن رئاب بن يعمر ابن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة وأخوه أبو أحمد بن جحش وابنه محمد بن عبد الله بن جحش وأهله : زينب بنت جحش، وأم حبيب بنت جحش، وحمنة بنت جحش. وكانوا أول من قدم المدينة من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة وأغلقت دارهم هجرة فعدا عليها أبو سفيان فباعها. انظر سيرة ابن هشام : 1/114-115، والاكتفاء : 1/432.

(19) في الأصل المهنون، الورقة : 126.

(20) صؤاب : بياض القمل، مفردها : صئبان.

(21) اسم ماء يقع بين البصرة ومكة وسمي باسم امرأة هي الحوءب بنت كلب بن وبرة، وكلاب الحوءب إشارة إلى حديث الرسول ﷺ لعائشة رضي الله عنها : «إذا نبحتك كلاب الحوأب فارجعي». معجم البلدان : 2/314.

(22) بالحاء وكذا في الفصيح، وفي شرح غريب الفصيح للتدميري الجوءب بالجيم.

(23) في الأصل صوب، الورقة : 127.

(24) الرجز لدكين بن سعيد الدارمي (ت 109هـ) عاش بالمدينة وكان منقطعا إلى عمر بن عبد العزيز أيام كان واليا عليها. ترجم له ابن قتيبة في الشعر والشعراء : 2/508 وخلط بينه وبين دكين ابن رجاء من بني فقيم. البيت في الاصلاح : 146، والتصريح، الورقة : 64، معجم البلدان : 2/314، معجم الأدباء : 11/117 واللسان (حأب).

لِلْمَنَايَا [جَيْأَةٌ][25] مُنْكَرَةٌ، وَلِلْمَوْتَى فَيْأَةٌ يَنْبَغِي أَلاَ تَزَالَ مُدَّكَرَةً، مَنْ زَعَمَ غَيْرَ ذَلِكَ عَنْ سُوءِ ٱلدَّخْلَةِ وَخِبْثَةِ ٱلسَّجِيَّةِ، وَأَتَى بِأَنْكَأَ نَتْناً مِنْ عَرْفِ ٱلْجِيَّةِ[26]، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَ بِهَا نَتْنُ ٱلرَّائِحَةِ مِنْ نَتْنٍ مَا صَدَرَ عَنْ هَذِهِ ٱلطَّائِفَةِ ٱلْغَادِيَةِ فِي ٱلْغَيِّ ٱلرَّائِحَةِ، أُولَئِكَ سُؤْرُهُمْ[27] [نَجِسٌ][28] وَرَأْيُهُمْ مُرْتَكِسٌ، وَمَدِينَةُ ٱلإِسْلاَمِ أَعْلَى سُوراً وَأَعَزُّ نَصِيراً مِنْ أَنْ يَحْصُلُوا تَحْتَ حَائِطِهَا ٱلْمَنِيعِ، أَوْ يَأْوُوا إِلَى مَرْتَعِهَا ٱلْمَرِيعِ، فَحَذَارِ مِنَ ٱلْحُنُوِّ عَلَيْهِمْ وَٱلإِشْفَاقِ، وَٱنْظُرْ إِلَيْهِمْ فَسِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ ٱلنِّفَاقِ، فَمَتَى سَمِعُوا بِمَسَرَّةٍ لأَهْلِ ٱلإِخْلاَصِ وَٱلإِيقَانِ خَرُّوا حَسَداً لِلأَذْقَانِ، وَمَرُّوا كَأَنَّمَا كُسُوا مِسْحَ ٱلأَرْقَانِ[29]، فَلاَ أَغَبَّهُمُ ٱلْيَرَقَانُ ٱنْتِكَاساً وَلاَ عَدِمُوا ٱلأَرَنْدَجَ[30] أَوْ شِبْهَ ٱلْيَرَنْدَجِ لِبَاساً، فَهُوَ أَوْلَى بِهِمْ مِنَ ٱلْحِبَرَاتِ ٱلَّتِي أَلْبَسَهُمْ جَمَالَهَا وَأَجَرَّهُمْ أَذْيَالَهَا ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي بِنِعْمَتِهِ يَكْفُرُونَ وَإِلَى رَحْمَتِهِ يَلْجَأُ ٱلْمُسْتَغْفِرُونَ فَلاَ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلاَدِ، وَتَخَوُّلُهُمْ نَفَائِسَ ٱلطَّرِيفِ وَٱلتِّلاَدِ، فَعَنْ قَرِيبٍ تَرْفُضُهُمُ ٱلْبِقَاعُ، وَتَلْفِظُهُمُ ٱلأَصْقَاعُ، وَتَقْذِفُهُمُ ٱلْهِضَابُ وَٱلتِّلاَعُ، فَبَشِّرْهُمْ مِنَ ٱلْعَذَابِ بِمَا لاَ يُسْتَطَاعُ، ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلأَزِفَةِ[31] إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[32].

---

(25) في الأصل جيئة، الورقة : 127، وهو اسم مرة من جاء.

(26) الجية : ماء المستنقع إذا طال تغير لونه وطعمه ورائحته.

(27) السؤر : ما يقي في الإناء من الشراب وغيره.

(28) في الأصل بحس، الورقة : 127.

(29) الأرقان واليرقان : آفة تصيب الزرع فيصفر، وداء يصيب الإنسان في كبده فيصفر بياض عينيه.

(30) الأرندج واليرندج : نوع من الجلود السود تصنع منها الخفاف.

(31) الأزفة : يوم القيامة من أزف الرحيل إذا حان.

(32) الآية 18 من سورة المؤمنون.

23 ــ بَابُ مَا يُقَالُ لِلْمُؤَنَّثِ[1] بِغَيْرِ هَاءٍ

لاَ تَعْجَبَنَّ لِلْحَسْنَاءِ ٱلطَّالِقِ فَكَثِيراً مَا يُقْذَفُ بِٱلْبَرِّ مِنْ حَالِقٍ، ٱلدُّنْيَا دَارٌ عَمَّ جَهْلُهَا وَعَدَلَ عَنِ ٱلْعَدْلِ أَهْلُهَا، فَلاَ نُكْرَ أَنْ يُعَاقَبَ فِيهَا ٱلْبَرِيءُ، وَيُسْتَعْمَلَ ٱلْجَبَانُ حَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ ٱلْجَرِيءُ، وَإِنَّمَا ٱلْعَدْلُ فِي ٱلآخِرَةِ عِنْدَ رَبِّكَ، فَلاَ يَطُلْ بِكَ أَنْ تَلْتَوِيَ فِي هَذِهِ ٱلْعَاجِلَةِ وَتَرْتَبِكَ، فَعَنْ قَرِيبٍ تُرْحَلُ عَلَى ٱلأَعْنَاقِ ظَاهِراً وَتُخَلِّفُ قَعِيدَةَ بَيْتِكَ حَائِضاً أَوْ طَاهِراً، تَبْكِي مِنْكَ مَنْ لاَ يَرْجِعُ، وَيُذْكِي لَوْعَتَهَا ٱلْخَطْبُ ٱلْمُوجِعُ، فَلِذَلِكَ ٱلْمَصْرَعِ فَلْيَتَفَجَّعِ ٱلْمُتَفَجِّعُ، أَمَا وَٱللَّهِ لَيَذْهَبَنَّ ٱلْبَرُّ وَٱلْحَانِثُ، وَيَهْلِكَنَّ ٱلطَّاهِرُ وَٱلطَّامِثُ، فَكَمْ مِنْ ذِي لِحْيَةٍ دَهِينٍ بِمُعَجَّلِ ٱلْمَوْتِ رَهِينٍ، وَرُبَّ امْرَأَةٍ قَتِيلٍ ذَاتِ كَفٍّ خَضِيبٍ وَعَيْنٍ كَحِيلٍ، وَلَوْ أَخْطَأَهَا ٱلْقَتْلُ لَمَا أَخْطَأَهَا مِنَ ٱلزَّمَنِ ٱلْخَتْلُ[2]، بَلْ مِنَ ٱلْمَوْتِ ٱلْحُكْمُ ٱلْبَتْلُ، فَسَلِّمْ لِرَبِّكَ فِي أَقْضِيَتِهِ وَإِنْ أَمَرَّتْ[3]، وَمَيِّزْ أَحْكَامَ ٱلأَيَّامِ فِي ٱلأَنَامِ فَعَلَى هَذَا ٱلنَّحْوِ اسْتَمَرَّتْ، وَإِذَا فَجَعَتْكَ قَتِيلَةُ قَوْمٍ فَاعْلَمْ أَنَّهَا لَمْ تُقَصِّرْ عَنْ مِيقَاتِهَا ٱلْمَعْلُومِ بِمِقْدَارِ لَخْصِهَةٍ فَضْلاً عَنْ مَسَافَةِ يَوْمٍ، وَإِذَا عَايَنْتَ عَنْزاً رَمِيّاً فَبِقَدَرٍ لَمْ يَكُنْ دَمُهَا لِيُرَى عَنْهُ مَحْمِيّاً، وَٱلدُّنْيَا مَجَالٌ يَهْلِكُ فِيهَا نِسَاءٌ وَرِجَالٌ، [كِلاَ][4] ٱلصِّنْفَيْنِ يَذْهَبُ، وَكِلْتَا ٱلْحَالَتَيْنِ تُنْتَهَبُ، فَإِنْ تَقَدَّمَ ٱلرَّجُلُ وَتَمَلَّكَ ٱلْمَرْأَةَ ٱلْجَزَعُ لِفَقْدِهِ وَٱلْوَجَلُ، فَخَيْرٌ لَهَا أَنْ تُرَى صَبُوراً إِذَا عَايَنَتْ قَيِّمَهَا مَقْبُوراً، وَأَوْلَى بِهَا أَنْ تَكُونَ شَكُوراً لِكُلِّ مَا جَزَّتْهُ[5] ٱلأَقْدَارُ رَوَاحاً وَبُكُوراً، فَإِنَّ فَقِيدَهَا لاَ يَرْجِعُ أَبَداً، فَلْتَقْتَنِ ثَوَابَ

---

(1) في الفصيح : «باب ما يقال للأنثى بغير هاء».

(2) الختل : من ختله بمعنى خدعه عن غفلة ــ غدر.

(3) أمرت : جعلتها مرة.

(4) في الأصل كلي، الورقة : 127.

(5) جزته : قطعته.

ٱلصَّبْرِ وَٱلشُّكْرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَقْتَنِيَ كَمَداً، وَرُبَّمَا أُنْسِيءَ ٱلرَّجُلُ فَفَقَدَهَا مِذْكَاراً[6] يَضِيقُ عَنْهَا ٱلزَّمَانُ، مِعْطَاراً يَتَضَوَّعُ بِمَشْيِهَا خِلاَلُ أَرَاكَةِ[7] نَعْمَانَ، فَأَتَتْهُ ٱلرَّزِيَّةُ فِيهَا مِنْ فَوْقِهِ وَحُمِّلَ مِنَ ٱلْفَجِيعَةِ بِهَا [مَا لَيْسَ فِي][8] طَوْقِهِ، ثُمَّ أَنْسَاهُ ٱلزَّمَنُ، وَاسْتَمَرَّ مَرِيرُهُ فَارْعَوَى ٱلْوَسَنُ[9]، فَرَجَعَ فِي ٱلنِّكَاحِ عَلَى بَدْئِهِ عَوْداً، وَاعْتَاضَ مِنْ أُولاَهُ ضِنَاكاً[10] أَوْ خَوْداً[11]، فَبَيْنَا هُوَ لِزِيَادَةِ ٱلنَّسْلِ آمِلٌ إِذَا هِيَ حَامِلٌ، فَأَصْبَحَتْ لاِنْقِضَاءِ أَمَدِهَا مُطْفِلاً[12] مُرْضِعاً وَغَدَتْ لِمَزِيدِ ٱلْغِبْطَةِ مِنْهُ مَوْضِعاً يُقِرُّ عَيْنَهُ وَيَسُرُّ خَلَدَهُ، أَنْ يَرَاهَا تَحْمِلُ وَلَدَهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقُدْرَةِ ٱلْقَادِرِ حَائِلٌ وَإِلَى ٱلْفَنَاءِ وَٱلرِّحْلَةِ عَنْ هَذَا ٱلْفِنَاءِ آيِلٌ لاَ تَبْقَى ٱلْمِذْكَارُ وَلاَ ٱلْمِئْنَاثُ وَلاَ ٱلذُّكُورُ وَلاَ ٱلإِنَاثُ وَلاَ ٱلْوَالِدَةُ وَلاَ مَا تَلِدُ، وَلاَ ٱلْوَالِدُ وَلاَ مَا يَطْرِفُهُ أَوْ يُتْلِدُهُ، وَلاَ ٱلْحَسْنَاءُ ٱلشَّابَّةُ وَلاَ ٱلْعَجُوزُ ٱلدَّابَّةُ[13] وَلاَ ٱلْمَرْبُوبُ وَلاَ ٱلرَّابَّةُ، وَلاَ ٱلرِّخْلُ[14] وَإِنْ صَغُرَتْ وَلاَ ٱلأَتَانُ وَإِنِ احْتُقِرَتْ وَلاَ ٱلأُتُنُ وَلَوْ كَثُرَتْ، وَحَبْلُ ٱلْمَنِيَّةِ أَمْتَنُ مِنْ أَنْ تُفْلِتَهُ ٱلأُتُنُ[15]، تِلْكَ غَايَةٌ يَنْتَهِي كُلُّ ذِي رُوحٍ إِلَيْهَا، وَهَذِهِ ٱلدَّارُ يَفْنَى كُلُّ

---

(6) مذكار : صفة للمرأة تلد الذكور، ومئناث للتي تلد الإناث.

(7) أراكة: مفرد أراك وهو شجر معروف يستاك بفروعه. وأراكة نعمان نسبة إلى نعمان وادي عرفة بين مكة والطائف ويقال له نعمان الأكبر تمييزا له على نعمان الغرقد بالمدينة الذي يقال له نعمان الأصغر، واستعمال أبي الربيع للجملة : «يتضوع بمشيها خلال أراكة نعمان». يشير إلى قول الشاعر عبد الله بن نمير الثقفي :

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ ... بِهِ زَيْنَبٌ فِي نِسْوَةٍ عَطِرَاتِ

اللسان [نعم] والبيت في الاصلاح غير منسوب، ص 258.

(8) تصحيح من هامش الكتاب، الورقة : 128.

(9) الوسن : النعاس، وهو أول النوم.

(10) الضناك : ثقيلة العجيزة ضخمتها.

(11) خود : المرأة الناعمة البدن الحسنة الخلق.

(12) مطفلا : ذات طفل وكذلك مرضع ذات رضيع.

(13) الدابة : التي تسير على هينة.

(14) الرخل : الأنثى من أولاد الضأن.

(15) الأتن : جمع أتان وهي الحمارة.

مَنْ عَلَيْهَا فَإِنْ ظَنَنْتَ يَا مُمْتَطِيَ ٱلنَّاقَةِ ٱلسُّرُحِ[16] أَوْ رَاكِبَ ٱلْفَرَسِ ٱلدُّهْمَاءِ[17] فِي ٱلْقَفْرِ ٱلأَفْيَحِ[18] أَنَّ مُمْتَطَاكَ يُنْجِيكَ، وَمَرْكُوبَكَ إِلَى حَيِّزِ ٱلسَّلاَمَةِ يُؤَدِّيكَ، فَقَدْ ظَنَنْتَ مَا لاَ يُظَنُّ، وَقَدَّرْتَ مَا لاَ يَجُوزُ تَقْدِيرُهُ عَلَى ٱلْمَجْنُونِ حِينَ يُجَنُّ، بَلْ وَٱللَّهِ مُمْتَطَاكَ يَقْصُرُ عَلَى مَصْرَعِ ٱلرَّدَى خُطَاكَ وَتَعُمُّ ٱلْقَاصِمَةُ مَطَاهُ وَمَطَاكَ، وَٱلْمَرْكُوبُ مَعَكَ قَبْلُ أَوْ بَعْدُ مَنْكُوبٌ، فَأَيْنَ دَمْعُكَ ٱلْمَسْكُوبُ، كُلُّ مِلْحَفَةِ جَدِيدٍ خَلَقٌ، وَلِكُلٍّ فِي مَيْدَانِ ٱلْمَنَايَا مُسْتَبَقٌ وَٱلْجَزَاءُ لِلأَعْمَالِ طَبَقٌ[19]، وَإِلَى ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ ٱلْمَرْجِعُ وَٱلْمُنْطَلَقُ، وَقَدْ سَبَقَ قَضَاؤُهُ فِي ٱلْجَمِيعِ بِمَا سَبَقَ، ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾[20].

---

(16) السرح : بضم السين والراء : السريعة في مشيها.

(17) الدهماء : من الدهمة أي السواد.

(18) الأفيح : الواسع.

(19) طبق : طبق الشيء كل ما ساواه، والمقصود هنا أن الجزاء يكون مساويا ومطابقا للأعمال.

(20) الآية 20 من سورة العنكبوت.

24 ـ بَابُ مَا أُدْخِلَتْ فِيهِ ٱلْهَاءُ مِنْ وَصْفِ المُذَكَّرِ

ٱلرَّاوِيَةُ أَحَدُ ٱلشَّاتِمَيْنِ، فَتَوخَّ رِوَايَةَ ٱلْخَيْرِ تَفُزْ بِخَيْرِ ٱلصَّفْقَتَيْنِ، وَٱلسَّلاَمَةُ أَوْلَى مَا اعْتَمَدَهُ ٱلْعَلاَّمَةُ، فَإِنَّ زَلَّةَ ٱلْجَاهِلِ خَفِيفَةٌ، وَمَعْذِرَةَ ٱلْعَالِمِ ضَعِيفَةٌ، بَلْ لاَ مَعْذِرَةَ لِذِي ٱلْعِلْمِ وَلاَ مَطْمَعَ لَهُ فِي ٱلْعَذْلِ، وَإِنَّمَا طَمَعُهُ فِي ٱلْحِلْمِ، فَحَذَارِ يَا مَنْ يَرَى ذَلِكَ مِنَ ٱلإِشْتِبَاهِ وَإِيَّاكَ وَٱلْعِزَّةَ بِحِلْمِ ٱللَّهِ، بَلِ اعْمَلْ عَلَى شَاكِلَةِ ٱلْخَلاَصِ، وَحَلِّ نَفِيسَ ٱلْعِلْمِ بِنَفَائِسِ ٱلإِخْلاَصِ. إِنَّ ٱلنَّسَّابَةَ لَخَلِيقٌ أَنْ يَزِلَّ بِمَا يَتَقَلَّدُهُ مِنْ نِسْبَةِ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ لَعَلَّهُمْ لاَ نَسَبَ بَيْنَهُمْ وَلاَ إِلَّ[1]، وَمَنْ لَهُ أَنْ يُنْجِيَهُ مِنْ تِلْكَ ٱلتَّبِعَةِ تَقَيُّدُهُ بِٱلْمَشْهُورِ وَتَقَلُّدُهُ مِنْهُ بِمَا يَتَقَلَّدُهُ رَأْيُ ٱلْجُمْهُورِ، وَلَعَلَّهُمْ فِي ذَلِكَ يَظْلِمُونَ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ [مَا لاَ][2] يَعْلَمُونَ، كُنْ مِخْذَامَةً[3] إِذَا اشْتَبَهَ ٱلأَمْرُ، وَيَا أَيُّهَا ٱلْمِطْرَابَةُ كَأَنْ قَدْ [نَفِذَ][4] ٱلْعُمُرُ، فَدَعِ ٱلْمِعْزَابَةَ[5] لِمَا شَاءَ، وَاضْمُمْ إِلَيْكَ قَوَاصِيَكَ وَلاَ تُبَالِ ٱلإِبِلَ وَٱلشَّاءَ، وَإِذَا أَقَمْتَ إِعْرَابَ أَعْمَالِكَ فَلاَ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ لَحَّانَةً فِي مَقَالِكَ، فَلأَنْ تَلْحَنَ فِي ٱلْفَاظٍ تُحَرِّفُهَا نُطْقاً، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَلْحَنَ فِي

---

(1) الإلّ : الحلف والعهد.

(2) ممحو في الأصل، الورقة : 128.

(3) مخذامة : كذا بالأصل، الورقة : 128، بينما وردت في الفصيح ص 308 مجذامة، بحرف الجيم، وكذا في التصريح بشرح غريب الفصيح، الورقة : 67. ومعناها من الجذم بمعنى القطع. وكذلك الخذم بمعنى القطع. وفي شرح ابن هشام مجذامة من الجذم.

(4) في الأصل نفد بدون تنقيط، الورقة : 128.

(5) المعزابة : الرجل يبتعد بإبله في الرعي، وصفة أيضا للعازب غير المتزوج.

أَعْمَالٍ تَسْلُبُهَا جِدّاً وَصِدْقاً. وَلاَ يُؤْثِرُ إِقَامَةَ ٱلْقَوْلِ دُونَ ٱلْعَمَلِ غَيْرُ ٱلْهِلْبَاجَةِ[6] ٱلْمُخْتَبِلِ أَوِ ٱلْفَقَاقَةِ[7] ٱلَّذِي لاَ يَفْقَهُ ٱلْمَاضِيَ مِنَ ٱلْمُسْتَقْبَلِ. وَإِنَّ مَنْ أَتَاهُ ٱللَّهُ نَجَابَةً لَيَسْرِعُ إِلَى ٱلْجَمِيلِ إِنَابَةً وَإِجَابَةً، وَيَأْنَفُ أَنْ يَكُونَ فَقَاقَةً أَوْ خَجَابَةً[8]، وَكَمْ فِي ٱلنَّاسِ مِنْ هَذِهِ ٱلطَّائِفَةِ ٱلَّتِي لاَ تَعْلَمُ شَيْئاً وَلاَ تَفْهَمُ قِيلاً أُولَئِكَ ﴿كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[9].

(6) الهلباجة : الرجل الذي جمع شر الصفات كالحمق والعجز والكسل وغيرها.

(7) الفقاقة : الأحمق المذرة.

(8) خجابة : أحمق، وردت الكلمة في الفصيح، ص 309 تحقيق عاطف مدكور جخابة بالجيم قبل الخاء. وهي عند أبي الربيع بالخاء قبل الجيم وكذا وردت في شرح غريب الفصيح للتدميري بخاء قبل الجيم، الورقة : 67. بينما وردت في **شرح الفصيح** لابن هشام اللخمي، ص 78 : خجابة بالجيم قبل الخاء.

(9) الآية 44 من سورة الفرقان.

25 ــ بَابُ مَا يُقَالُ لِلْمُذَكَّرِ وَٱلْمُؤَنَّثِ بِٱلْهَاءِ

رُبَّ رَبْعَةٍ[1] مِنَ ٱلرِّجَالِ يُقَصِّرُ عَنْهُ ٱلطُّوَالُ عِنْدَ ٱلسِّجَالِ، فَلاَ تَزْدَرِ ٱلْمَرْءَ لِقِصَرِهِ فَإِنَّمَا ٱلشَّأْنُ فِي أَثَرِهِ وَٱلِاعْتِبَارُ بِمُخْتَبَرِهِ، وَرُبَّ بَالِغٍ بِإِبَرِهِ[2] مَا لَمْ يَبْلُغْهُ بِبِيضِهِ وَسُمُرِهِ. وَكَمْ رَبْعَةٍ مِنَ ٱلنِّسَاءِ تَحْظَى عِنْدَ ٱلرُّؤَسَاءِ وَطَوِيلَةٍ صُحْبَتُهَا وَإِنْ قَصُرَتْ جِدُّ مَمْلُولَةٍ، إِنَّمَا هَذِهِ ٱلْقُلُوبُ بِيَدِ ٱللَّهِ وَٱلْأَرْوَاحُ جُنْدٌ مِنْ جُنْدِ ٱللَّهِ تَنَاكَرُ بِإِذْنِهِ وَتَعَارَفُ، وَتَنَافَرُ بِأَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ وَتَآلَفُ[3]، وَرَبُّكَ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ. وَرُبَّ مَلُولَةٍ[4] تَزَوَّجَ مَلُولَةً فَأَصْبَحَتِ ٱلْعُقْدَةُ بَيْنَهُمَا مَحْلُولَةً. لاَ تَدُومُ صُحْبَةُ اثْنَيْنِ إِلاَّ بِوَاسِطَةِ حُسْنِ ٱلِاحْتِمَالِ، وَلاَ يَطَّرِدُ هَذَا مَعَ ٱلْمَلاَلِ، عَيْبٌ بِٱلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فَرُوقَةً[5] وَطُرْقَةً لأَنْ تَكُونَ سَاحَتُهُ مَطْرُوقَةً، وَأَمَّا ٱلْمَرْأَةُ ٱلْفَرُوقَةُ فَمَحْمُودٌ

---

(1) ربعة : رجل ليس بالطويل ولا بالقصير.

(2) الإبر : النمائم جمع نميمة.

(3) إشارة إلى حديث الرسول ﷺ : «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».
وعلى هذا المعنى أيضا يدل بيت طرفة :
تَعَارَفُ أَرْوَاحُ ٱلرِّجَالِ إِذَا ٱلْتَقَوْا ... فَمِنْهُمْ عَدُوٌّ يُتَّقَى وَخَلِيلُ
ديوانه : 121. انظر الحديث في فصل المقال، ص 261 وفي صحيح مسلم : 4/8.

(4) ملولة : تقال للمذكر والمؤنث وهي بمعنى السريع الملل ومنه المثل : «أليس الملول صديق» **مجمع الأمثال** : 195/2.

(5) فروقة : صفة للرجل الشديد الفرق ــ بفتح الفاء والراء ــ أي شديد الفزع والخوف، ومن أمثال العرب : «رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا وَرُبَّ فَرُوقَةٍ يُدْعَى لَيْثًا وَرُبَّ غَيْثٍ لَمْ يَكُنْ غَيْثًا». مجمع الأمثال : 294/1، **فصل المقال**، ص 336.

فَرَقُهَا وَمَكْرُوهٌ مِنَ ٱلْمَرْأَةِ اِجْتِرَاؤُهَا وَتَحَذْلُقُهَا، إِنَّمَا هُنَّ رَبَّاتُ ٱلْبُيُوتِ وَٱلْخَفِرَاتُ ٱلْحَقَائِقُ بِجَمِيلِ ٱلاِنْقِبَاضِ وَطَوِيلِ ٱلسُّكُوتِ، حَسْبُهُنَّ جَرُّ ٱلذُّيُولِ وَعَلَى ٱلرِّجَالِ حِمَايَةُ ٱلذِّمَارِ وَعِمَارَةُ ٱلْمِضْمَارِ بِإِجْرَاءِ ٱلْخُيُولِ. لَعَلَّ ٱلصَّرُورَةَ ٱلَّذِي لَمْ يَحُجَّ مِنَ ٱلرِّجَالِ مَعْذُورٌ فِي ٱلتَّقْصِيرِ عَنِ ٱلتَّبْرِيزِ فِي ذَلِكَ ٱلْمَجَالِ، وَقَعِيدَتُهُ[6] إِذَا كَانَتْ صَرُورَةً أَوْلَى بِأَنْ تَكُونَ مَعْذُورَةً، وَعَسَى أَنْ تَكُونَ لَهُمَا فِيمَا تَرَكَاهُ ضَرُورَةً نِيَّةٌ عَلَى فَضْلِهَا اِنْطَوَيَا، وَمِنْ مَعِينِهَا تَرَوَّيَا فَلَهُمَا مَا نَوَيَا، وَخَلِّ مَا يَقُولُ هُذَرَةٌ[7] إِنَّ رَحْمَةَ ٱللَّهِ بِمِثْلِ هَذَا ٱلْفِعْلِ مُتَعَذِّرَةٌ، فَلاَ وَٱلَّذِي سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ لَقَدْ كَتَبَ عَلَى نَفسِهِ ٱلإِحْسَانَ وَأَوْجَبَهُ، فَلاَ تُصْغِ إِلَى هَذَا ٱلْقَائِلِ فَقَدْ أَسَاءَ وَإِنْ سَاعَدَتْهُ هُذَرَةٌ مِنَ ٱلنِّسَاءِ فَلاَ بَالَةَ[8] فِي هَذَا بِٱلرِّجَالِ بَلْهَ ٱلنِّسَاءَ، لِيُجِدَّ ٱلْعَبْدُ فِي حُقُوقِ مَوْلاَهُ فَإِنْ قَصَّرَ مُضْطَرّاً فَلاَ يَيْأَسْ أَنْ يَتَغَمَّدَهُ بِمَغْفِرَتِهِ ٱللَّهُ، وَعِنْدَ ٱلنَّاسِ إِلَى ٱلشَّرِّ احْتِثَاثٌ[9] سَوَاءٌ ذُكُورُهُمْ وَٱلإِنَاثُ، فَكَمْ فِي ٱلصِّنْفَيْنِ مِنْ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ مَتَى ظَفِرَ بِفَضْلٍ غَمَزَهُ، فَلاَ يَزَالُ يَغْتَابُ، وَلاَ يَنْهَاهُ مَا صَدَعَ بِهِ فِي شَأْنِهِ ٱلْكِتَابُ[10]، أَتُرَاهُ فِي صِدْقِهِ يَرْتَابُ أَوْ يَنْتَابُ، خَاطِرُهُ فِيمَا يَنْتَابُ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَعْدُودٍ فِي ٱلظَّلَمَةِ أَوْ أَنَّهُ نَاجٍ إِنْ زُوِيَتْ عَنْهُ ٱلْمَغْفِرَةُ مِنْ هَذِهِ ٱلْمَلْحَمَةِ، ﴿كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ، نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلأَفْئِدَةِ، إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُوصَدَةٌ فِي عَمَدٍ [مُمَدَّدَةٍ[11]]﴾[12].

---

(6) قعيدته : زوجته، واستعمال أبي الربيع لها يؤكد على أخذه معنى اللفظ صرورة الذي لم يحج كما جاء في الفصيح، ص 309، بينما الشائع في معنى هذا اللفظ للذي لم يتزوج.

(7) هذرة : كثير الكلام.

(8) بالة : من المبالاة.

(9) احتثات : استعجال، مصدر من الفعل أحتث.

(10) إشارة إلى سورة الهمزة.

(11) تكملة من طرة الكتاب لاستيفاء السطر، الورقة : 129.

(12) سورة الهمزة من الآية 4 إلى الآية 9.

26 ـ بَابُ مَا ٱلْهَاءُ فِيهِ أَصْلِيَّةٌ

سُبْحَانَ مَنْ دَرَّتْ بِلُطْفِهِ فِي ٱلْحِجَارَةِ ٱلْمِيَاهُ، وَسَبَّحَتْ لَهُ مِنْ كُلِّ ٱلأَفْوَاهِ ٱلشِّفَاهُ، تَتَفَجَّرُ ٱلأَمْوَاهُ مِنَ ٱلصَّلْدِ بِقُدْرَةِ ٱلصَّمَدِ، وَتَسْمَنُ ٱلشِّيَاهُ بِإِرَادَتِهِ فِي عَارِي ٱلْقَرْدَدِ[1]، وَٱلْعِضَاهُ[2] مَرْعَى مَا دَاوَمَهُ جَمَلٌ قَطُّ فَأَنْضَاهُ، ٱللَّهُ يَرْزُقُ ٱلأَنْعَامَ مِنْ عِضَةٍ وَاهِنَةِ ٱلشَّكِيرِ[3] وَيُسَدِّدُ ٱلأَفْهَامَ بِعِظَةٍ بَالِغَةٍ فِي ٱلتَّذْكِيرِ دَامِغَةٍ بِٱلنَّكِيرِ، وَعَيْشُكَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ أَحْلاَمٌ جَمَّةُ ٱلسَّمَادِيرِ[4]، وَإِلَى ٱلْمَنِيَّةِ مَصِيرُ كُلِّ حَيٍّ جَفَّتْ بِذَلِكَ أَقْلاَمُ ٱلْمَقَادِيرِ :

وَلَيْسَ لِعَيْشِنَا هَذَا مَهَاهٌ[5] وَلَيْسَتْ دَارُنَا ٱلدُّنْيَا بِدَارِ[6]

[الوافر]

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ ٱلآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾[7].

---

(1) القردد : ما ارتفع من الأرض وغلظ.

(2) العضاه : بكسر العين جمع عضة وهو كل شجر له شوك.

(3) الشكير : لحاء الشجر.

(4) السمادير : ما يتراءى للإنسان من ضعف بصره ورؤيته عند السكر من الشراب وغشي النعاس.

(5) مهاه : حسن ورواء.

(6) البيت لعمران بن حطان السدوسي من شعراء الخوارج، ذكر ابن هشام في شرحه، ص 80 بيتا بعده هو :

وَمَا أَمْوَالُنَا إِلاَّ عَوَارٍ سَيَأْخُذُهَا ٱلْمُعِيرُ مِنَ ٱلْمُعَارِ

وفي شرح التدميري ذكر البيت موصولا بعده، ص 69 :

وَلَيْسَ لِعَيْشِنَا هَذَا مَهَاهٌ وَلَيْسَتْ دَارُنَا ٱلدُّنْيَا بِدَارِ

لَنَا إِلاَّ لَيَالٍ هَيِّنَاتٍ وَبُلْغَتُنَا بِأَيَّامٍ قِصَارِ

أَرَانَا لاَ نَمَلُّ ٱلْعَيْشَ فِيهَا وَأُولِعْنَا بِحِرْصٍ وَانْتِظَارِ

البيت في كتاب سيبويه : 132/2، مجمع الأمثال : 139/2، المغني ص 818 في حذف الصفة، شعراء الخوارج، ص 18 تحقيق إحسان عباس.

(7) الآية 39 من سورة المؤمنون.

27 ــ بَابٌ[1]

طِبْ يَا أَخِي نَفْساً لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِذَا نَزَلَتِ ٱلأَقْدَارُ فَسَلِّمْ لِرَبِّكَ وَاسْتَسْلِمْ، وَٱللَّهِ لأَنْ يَكُونَ فِي صَدْرِي جَمرٌ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِ غِمْرٌ[2]. ٱلْمُوجِدَةُ[3] مُنْجِدَةٌ لِلذُّنُوبِ وَمُوجِدَةٌ لِلْعُيُوبِ وَمُفْسِدَةٌ لِلْبَوَاطِنِ وَٱلْغُيُوبِ، فَإِيَّاكَ وَإِيَّاهَا فَإِنَّمَا هِيَ شَأْنُ ٱلْغُمْرِ[4] ٱلَّذِي لَمْ يُجَرِّبِ ٱلأُمُورَ وَلاَ عَرَفَ مَأْتَاهَا، وَٱلْحَظُّ ٱلدُّنْيَا لَحْظُ مَنْ يَعْلَمُ سُخْفَ مَدَارِهَا وَخِسَّةَ مِقْدَارِهَا، وَاخْتِلاَلَ مَجَارِيهَا فِي إِيرَادِهَا وَإِصْدَارِهَا وَٱللَّهُ جَعَلَهَا كَذَلِكَ لِهَوَانِهَا عَلَيْهِ، وَبَيَّنَ سِرَّ حَالِهَا لَوْ أَنَّ مُهْتَدِياً إِلَيْهِ، كَثِيراً مَا يُوجَدَ ٱلْمُغَمَّرُ[5] مُؤَمَّراً فِيهَا وَٱلْفَهِمُ لاَ يَجِدُ بُلْغَةً فَضْلاً أَنْ يَجِدَ تَرْفِيهاً وَمَاءُ ٱلأَرْزَاقِ مِنَ ٱلْمُفْضِلِ ٱلْخَلاَّقِ غَمْرٌ[6]، لَكِنْ حَجَرَ فَيْضَهُ عَلَى بَعْضِ ٱلنَّاسِ أَمْرٌ، فَيَا مَنْ ظَفِرَ بِشَيْءٍ مِنْ حُطَامِهَا، وَوَضَعَتْ فِي يَدِهِ طَرَفاً مِنْ خُطَامِهَا، أَعِدَّ فِيهَا لِحُسْنِ ٱلْمَعُوضَةِ وَاعْلَمْ أَنَّهَا لاَ تَعْدِلُ عِنْدَ ٱللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلْتَجِدْكَ فِيهَا نَوَائِبُ ٱلزَّمَانِ عَلَى ٱلإِخْوَانِ غَمْرَ[7] ٱلرِّدَاءِ سَمْحَ ٱلإِعَادَةِ وَٱلإِبْدَاءِ

---

(1) كذا ورد عند أبي الربيع، وفي فصيح ثعلب «باب منه آخر» بعد باب ما الهاء فيه أصلية. والملاحظ أن هذا الباب تخلو ألفاظه من حروف الهاء.

(2) غِمر : بكسر الغين : حقد.

(3) الموجدة : من وجد بمعنى غضب.

(4) الغُمر : بضم الغين : الجاهل.

(5) المُغمر : الجاهل الذي لم يجرب الأمور.

(6) غَمْر : بفتح الغين الماء الكثير ومنه الحديث : «أعوذ بك من موت الغمر» أي الغرق في الماء الغمر.

(7) غَمْر الرداء وغمر الخلق بمعنى سخي واسع الخلق كثير المعروف.

طَبّاً[8] بِمَوَاقِعِ ٱلدَّاءِ، حَرِيصاً عَلَى اصْطِنَاعِ ٱلْبُعَدَاءِ وَٱلأَوِدَّاءِ وَحَيْثُ يَحْسُنُ ٱلرِّفْقُ فَخُذْ بِٱلرِّفْقِ وَخُضْ مَعَ ذَلِكَ ٱلْغَمَرَاتِ[9] إِلَى ٱلْحَقِّ، فَٱلْمُغَامِرُ[10] فِي تِلْكَ ٱلسَّبِيلِ خَلِيقٌ بِٱلْحُصُولِ تَحْتَ قَوْلِ مَوْلاَنَا ٱلْحَقِّ فِي مُحْكَمِ ٱلتَّنْزِيلِ : ﴿وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[11].

---

(8) [طَبّا] في الأصل، الورقة : 130 ولا معنى لها. أما الطب فهو المأثور والحاذق ومنه الطبيب.

(9) الغمرات : الشدائد.

(10) المغامر : الذي يغامر بنفسه فيلقيها في المهالك.

(11) الآية 69 من سورة العنكبوت.

28 ـ بَابُ مَا جَرَى مَثَلاً أَوْ كَٱلْمَثَلِ

(عِنْدَ جُهَيْنَةَ ٱلْخَبَرُ ٱلْيَقِينُ)[1] فَسَلْنِي إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَسْأَلَ ٱلْمُحِقِّينَ، وَجُفَيْنَةُ أَيْضاً عِوَضَ جُهَيْنَةَ مَقُولٌ، فَإِنْ يَكُونَا شَخْصَيْنِ فَخَيِّرٌ لَكَ أَنَّ ٱلأَمْرَ عَنِ اثْنَيْنِ مَنْقُولٌ، (إِذَا عَزَّ أَخُوكَ فَهُنْ)[2] وَٱلأَيَّامُ لِمَنْ سَاعَدَتْهُ مُهُنٌ[3] (فَافْعَلْ ذَلِكَ وَخَلاَكَ ذَمٌّ)[4] وَٱلْعَامِلُ بِدَهْرِهِ فِيمَا يَحْسُنُ مُؤْتَمٌ[5]، ٱللَّهُمَّ إِلاَّ أَنْ تَرَى غَضَاضَةً

---

(1) من أمثال العرب يضرب لمعرفة الشيء حقيقة وفيه ثلاث روايات : جهينة وجفينة وحفينة، وعند ابن السيد البطليوسي «جهينة بالجيم والهاء وهو الصحيح» انظر الاقتضاب في شرح أدب الكتاب : 238/2. وكما اختلف في الاسم اختلف في أصل المثل، والشائع أن رجلا من جهينة خرج مع رجل يدعى الحصين فتعاهدا على السلب فلقيا رجلا فسلباه فدلهما على رجل من لخم قدم بغنم وفير فنزلا عليه فدعاهما إلى الطعام، ثم إن الأخنس الجهني ذهب لبعض شأنه وعندما عاد وجد صاحبه قتل الرجل فسل سيفه وقتل الحصين قائلا له كيف فتكت برجل تحرمنا بطعامه. وعند عودته وجد ضخرة زوجة الحصين تسأل عنه في حيي مراح وأنمار فأنشد في ذلك :

كَصَخْرَةٍ إِذْ تُسَائِلُ فِي مَرَاحٍ ... وَأَنْمَارٍ وَعِلْمُهُمَا ظُنُونُ
تُسَائِلُ عَنْ حُصَيْنٍ كُلَّ رَكْبٍ ... وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ ٱلْخَبَرُ ٱلْيَقِينُ

ويروي جفينة بالجيم اسم لشخص خمار كان عنده خبر رجل مقتول وفيه يقول الشاعر :

تُسَائِلُ عَنْ أَبِيهَا كُلَّ رَكْبٍ ... وَعِنْدَ جُفَيْنَةَ ٱلْخَبَرُ ٱلْيَقِينُ

انظر **مجمع الأمثال** : 3/2، 4، 5 ـ **فصل المقال**، ص 295.

(2) من أمثال العرب ومعناه إذا صلب أخوك فلن له وإذا عاسرك فياسره، وأصل المثل قاله هذيل ابن هبيرة التغلبي عندما عاد من إغارة على بني ضبة بغنائم فطلب أصحابه أن يقسمها بينهم فرفض في بادىء الأمر خوفا من تشاغلهم بالاقتسام عن أن يدركهم الطلب، فأبوا وعندما نزل عند رغبتهم وقال : إذا عز أخوك فهن. والمثل في **فصل المقال** : 235 ـ **ومجمع الأمثال** : 22/1.

(3) مهن : من الفعل مهن بمعنى خدم.

(4) معنى المثل : عليك بالاجتهاد في الطلب، لكي لا تذم، وإن لم تقض الحاجة، والمثل لقصير=

لاَ تَحْتَمِلُ ٱلنَّفْسُ ٱلأَبِيَّةُ لَهَا مَضَاضَةً، فَانْفُضْ يَدَيْكَ مِنْ يَدَيْهَا وَارْفِضْهَا وَلَوِ اضْطَرَّتْكَ ٱلْحَالُ إِلَيْهَا (فَقَدْ تَجُوعُ ٱلْحُرَّةُ وَلاَ تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا)[6]. وَٱلدَّهْرُ لِلْحُرِّ مُشَاكِسٌ، وَلَهُ خُدَعٌ فِي طَيِّهَا مَنَاخِسٌ (وَتَحْسِبُهَا حَمْقَاءَ وَهِيَ بَاخِسٌ)[7]، وَبَنُو ٱلدُّنْيَا أَشْبَهُ شَيْءٍ بِهَا شِيَماً[8] عُوجاً[9]، وَمَوَارِدَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ٱلأَبِيُّ مُحَلأً[10] عَنْهَا مَعُوجاً، فَإِذَا رَأَيْتَهُمْ يَتَهَارَشُونَ كَدَأْبِهِمْ فِي ٱلشَّيْءِ ٱلْمُحْتَقَرِ (فَٱلْكِلاَبُ عَلَى ٱلْبَقَرِ)[11] فَكُلُّهُمْ (أَحْمَقُ مِنْ رِجْلَةٍ)[12] وَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يَحْفِلُ بِٱلتَّوَرُّطِ فِي خَجْلَةٍ، يَا جَامِعِينَ لُؤْمَ ٱلسَّعْيِ وَخِسَّةَ ٱلأُكِيلَةِ (أَحَشَفاً وَسُوءَ كِيْلَةٍ)[13]، يَا هَذَا

= بن سعد اللخمي قاله لعمرو بن عدي عندما طلب منه أن يجدع أنفه في قصة الزباء مع جذيمة الأبرش ذكره الميداني في موضعين في حرف الخاء وأورد القصة كاملة وكذلك في حرف الفاء ج 233/1 وج 80/2.

(5) مؤتم : من المأتم وهو الاجتماع في فرح أو حزن.

(6) يضرب المثل في صيانة النفس عن خسيس المكاسب، وأصل المثل للحارث الأسدي قاله لزوجته الزباء بنت علقمة بن خَصَفَة الطائي. والقصة كاملة في **مجمع الأمثال** : 122/1 و123، وفي **فصل المقال** : 331.

(7) يضرب المثل لمن يتباله ويتظاهر بالحمق ليبخس الناس حقوقهم والمثل لرجل من بني العنبر من تميم طمع في مال امرأة جاورته وأعتقد أنها حمقاء فعقد العزم على خلط متاعه وماله بمتاعها وما لها ليأخذ أحسن وأجود ما عندها، إلا أنها عند المقاسمة طالبت بمتاعها ونازعته حتى افتدى منها بما أرادت فقيل له : أخدعتك امرأة وليس ذلك بحسن، فقال : تحسبها حمقاء وهي باخس. انظر **مجمع الأمثال** : 123/1 وفصل المقال : 168.

(8) شيما : جمع شيمة وهي كل علامة ظاهرة.

(9) عوج : جمع أعوج وعوجاء وعوج الشيء فساده وميله.

(10) محلأ : من حلأ الابل إذا منعها أن ترد الماء ومنها قول الشاعر : اسحاق بن إبراهيم الموصلي :

يَا سَرْحَةَ ٱلْمَاءِ قَدْ سُدَّتْ مَوَارِدُهُ ... أَمَا إِلَيْكَ سَبِيلٌ غَيْرُ مَسْدُودِ

لِحَائِمٍ حَامَ حَتَّى لاَ حَوَامَ بِهِ ... مُحَلإٍ عَنْ سَبِيلِ ٱلْمَاءِ مَطْرُودِ

انظر اللسان (حلأ).

(11) يضرب المثل عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مبالاة بما يقع بينهم، كما يضرب في ترك الأمر الذي لا يهمك ولا تباليه وأصله أنه يخلى بين الكلاب وبقر الوحش. **مجمع الأمثال** : 142/2 **وفصل المقال** : 400.

(12) تقدم المثل في الصفحة 145 وانظر **مجمع الأمثال** : 226/1.

(13) الحشف : أردأ أنواع التمر، والكلية اسم هيئة من الكيل. والمثل يضرب لاجتماع الخلتين من الإساءة على الرجل. انظر **فصل المقال** : 374، **ومجمع الأمثال** : 207/1.

مَا اسْمُكَ أُذْكُرْ، وَقَدْ نَخَلْتُ لَكَ ٱلنَّصِيحَةَ فَلْتَشْكُرْ، غَالِبْ مَا اسْتَطَعْتَ هَمَّكَ، أَرَاكَ قَدْ (هَمَّكَ مَا أَهَمَّكَ)[14] لاَ تُعَلِّقْ بِغَيْرِ ٱللَّهِ مُهِمَّكَ، وَلاَ تَجْعَلْ إِلَى سِوَاهُ مَأَمَّكَ، كَمْ هَمَّنِي أَمْرٌ مِثْلُهُ يُذِيبُ وَأَهَمَّنِي آخَرُ صَدَقْتُ ٱللَّهَ فِي احْتِمَالِهِ فَعَادَ وَكَأَنَّ صَادِقَهُ كَذُوبٌ، ثُمَّ لاَ أَغُرُّكَ مِنِّي وَلاَ أُخْبِرُكَ إِلاَّ عَنِّي، فَرُبَّمَا زَيَّنَ لَكَ ٱلنَّقْلُ مَا يَفْضَحُهُ بِٱلْمُشَاهَدَةِ ٱلْعَقْلُ، (تَسْمَعُ بِٱلْمُعَيْدِي لاَ أَنْ تَرَاهُ)[15] فَدَعِ ٱلْقَطَا لِكَرَاهُ، وَلاَ يَغُرَّنَّكَ مَا سَمِعْتَ مِنْ ذِكْرَاهُ، (فَلأَنْ تَسْمَعُ بِٱلْمُعَيْدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ) وَيَا نَفْسِي ٱلَّتِي أَفْنَتْ فِي غَيْرِ طَائِلٍ ٱلزَّمَنَ، (الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ ٱللَّبَنَ)[16]. وَهَيْهَاتَ يَجِدُ مِنَ ٱلتَّوْفِيقِ رِدْءاً، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَوْداً وَبَدْءاً، فَعُوجِي عَنْ تِلْكَ ٱلْغَايَةِ عِنَانَ ٱلْحَافِرَةِ[17]، وَاحْذَرِي أَنْ تَرْجِعِي فِي ٱلْحَافِرَةِ[18]، فَإِنَّ مَنْ رَجَعَ فِي ٱلْبَاطِلِ عَوْدُهُ عَلَى بَدْئِهِ، فَأَخَرَ بِبُعْدِهِ عَنِ ٱلصَّوَابِ وَبُطْئِهِ، وَشَتَّانَ ٱلصَّوَابُ [وَ][19] ٱلْخَطَأُ، ثُمَّ شَتَّانَ مَا ٱلسَّرِيعُ وَٱلْمُسْتَبْطَأُ، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ ٱلْمُسْتَقِيمِ عَلَى ٱلسَّنَنِ وَٱلْمُنَكِّبُ عَنِ ٱلْمَنْهَجِ ٱلأَحْسَنِ، نَتَصَرَّفُ كَمَا يَقْتَضِي

(14) يروى المثل أيضا (همك ما همك) ومعنى المثل أذابك ما أحزنك. على أساس أن هم بمعنى أذاب، وأهم بمعنى أحزن. ويضرب المثل لمن لا يهتم بشأن صاحبه. انظر **فصل المقال** : 399، **ومجمع الأمثال** : 402/2، وأمالي القالي : 114/1.

(15) ويقال أيضا : (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) والمثل قاله المنذر بن ماء السماء لشقة بن ضمرة إذ كان حسن الصيت قبيح الصورة. والمثل يضرب لمن خبره خير من مرآه. انظر المثل والاختلاف في روايته : **فصل المقال** : 136، **ومجمع الأمثال** : 129/1.

(16) من الأمثال التي تضرب في التفريط في الحاجة وقت الامكان ثم طلبها بعد فوات الأوان. والمثل لعمرو بن عمرو بن عدس التميمي قاله لدختنوس بنت لقيط لما كرهت عشرته وكان على غناه رجلا كبير السن فطلبت الطلاق ثم تزوجت ابن عم لها عمير بن بن معبد بن زرارة وكان شابا جميل الوجه إلا أنه معدم، وذات يوم مرت بها إبل عمرو فبعثت تسأله لبنا فقال لها : في الصيف ضيعت اللبن، لأنها طلبت الطلاق في الصيف، وعندما بلغها رده قالت : «هذا ومذمة خير» تشير إلى زوجها، فأرسلتها مثلا. **فصل المقال** : 357، **ومجمع الأمثال** : 68/2.

(17) الحافرة : الفرس ذات الحافر.

(18) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿أإنا لمردودون في الحافرة﴾ الآية 10 من سورة النازعات.

(19) بياض في الأصل، الورقة : 130.

ٱلأَمْرُ فَدَعْنَا مِنْ شَتَّانَ زَيْدٌ وَعَمْرٌو، مَا اتِّبَاعُ ثَعْلَبٍ[20] فِي هَذَا بِضَرْبَةِ لاَزِبٍ[21]، وَلَوْ تَشَيَّعَ وَشَنَّعَ ٱلْمُتَحَازِبُ، وَإِنَّمَا يَقْتَضِبُ مِنْ مَعْنَى ٱلْكَلاَمِ أَوْ لَفْظِهِ نَظَرُ ٱللَّبِيبِ ٱلْحَازِمُ مَا يَرَاهُ ضَرْبَةً لاَزِمٍ. لِيَفْرُغِ ٱلْمَرْءُ مِنْ هَمِّهِ، وَلْيَثِقْ بِٱللَّهِ فِي تَفْرِيجِ غَمِّهِ، وَعَلَيْهِ بِٱلصِّدْقِ فِي مَقْصَدِهِ وَمَأَمِّهِ، وَلْيَحْذَرْ مِنَ ٱلْكَذِبِ وَغَائِلَةِ سُمِّهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ ٱلْفُجُورَ (فَهُوَ أَخُوهُ بِلِبَانِ أُمِّهِ)[22]، مَاذَا يُجْدِي عَلَيْكَ تَشْرِيقُكَ وَتَغْرِيبُكَ، أَمْ مَاذَا يُفِيدُكَ تَبْعِيدُكَ وَتَقْرِيبُكَ (دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ)[23] وَمَا رَابَكَ[24] مِنْ فُلاَنٍ وَهُوَ قَرِيبُكَ، أَجَلْ إِنَّ بَعْضَ ٱلْقَرَابَةِ أَدْعَى إِلَى ٱلاِسْتِرَابَةِ، وَمَا أَرَبُكَ إِلَى هَذَا، مَنْ رَابَكَ فَدَعْهُ وَمَنْ أَرَابَ[25] فَاقْطَعْهُ وَإِنْ كَانَ أَنْفَكَ فَاجْدَعْهُ. أَلاَمَ[26] ٱلنَّاسُ وَلَؤُمُوا، وَاشْتَمَلُوا عَلَى ٱلرَّذَائِلِ وَٱلْتَأَمُوا، وَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ لَمْ يُمْتَحَنْ بِٱلنَّاسِ وَإِنْ عُدَّ فِي ٱلأَكْيَاسِ يَنْقُدُ عَلَيْهَا هَذَا ٱلْمَسْلَكَ،

---

(20) ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني بالولاء (200-291هـ) صاحب كتاب الفصيح. وأبو الربيع يشير بهذا القول إلى ما جاء في كتاب الفصيح حول شتان بفتح النون وبكسرها على قول الفراء : «وتقول : شتان زيد وعمرو، وشتان ما هما»، والفراء يخفض نون شتان، وإن شئت قلت شتان ما بينهما» **الفصيح** : 312.

(21) ويقال أيضا ما هذا بضربة لازم بالميم، والأزب معناه الثابت ومنه قول النابغة :

لاَ يَحْسِبُونَ ٱلْخَيْرَ لاَ شَرَّ بَعْدَهُ ... وَلاَ يَحْسِبُونَ ٱلشَّرَّ ضَرْبَةَ لاَزِبِ

واستعملها ابن الآبار [لازم] في رثائه لأبي الربيع :

بَعِيدٌ مَدَاهُ لاَ يُشَقُّ غُبَارُهُ ... إِذَا فَاهَ فَاضَ ٱلسِّحْرُ ضَرْبَةَ لاَزِمِ

(22) معنى المثل هو أخوه شقيقه أو أخوه من الرضاعة. ولفظ لبان مصدر للفعل لاَبَنَهُ يُلاَبِنُهُ مُلاَبَنَةً وَلِبَاناً إذا شاركه الرضاعة. ومنه قول أبي الأسود الدؤلي يصف الزبيب :

دَعِ ٱلْخَمْرَ يَشْرَبُهَا ٱلْغُوَاةُ فَإِنَّنِي ... رَأَيْتُ أَخَاهَا مُغْنِياً لِمَكَانِهَا

فَإِلاَّ يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ ... أَخُوهَا غَذَتْهُ أُمُّهُ بِلِبَانِهَا

الاقتضاب في شرح أدب الكتاب : 252/3.

(23) يريب : من الريب وهو الشك والظن. معنى المثل : دع ما يحدث لك شكا إلى غيره، قال أبو العباس التدميري في شرحه : «والمعنى دع مواضع التهم والباطل واتبع مسالك الحق والسلامة» الورقة : 76.

(24) رابك : أوقع في نفسك ريبة.

(25) أراب : صار صاحب ريبة.

(26) ألام : إذا فعل ما يلام عليه.

وَيقُولُ : مَنْ ظَنَّ أَنَّ ٱلنَّاسَ هَلَكُوا كَانَ أَهْلَكَ[27]، وَلَعَمْرِي لَقَدْ صَدَعَ بِٱلأَمْرِ ٱلْجَلِيِّ وَلَكِنْ (وَيْلٌ لِلشَّجِيِّ مِنَ ٱلْخَلِيِّ)[28]، أَمَا وَٱللَّهِ لَوْ رُمِيَ مِنْ شِرَارِهِمْ بِبَعْضِ مَا رُمِيتُ أَوْ أُشِيرَ إِلَيْهِ بِأَحْقَرِ ٱلسِّهَامِ ٱلَّتِي بِهَا أُدْمِيتُ، لَمَا ٱكْتَفَى فِيهِمْ بِهَذَا ٱلْقَوْلِ، وَلَتَعَقَّبَ فَرِيضَةَ ٱلْوُقُوعِ فِي ذَمِّ مَنَاحِيهِمْ بِٱلْعَوْلِ بَعْدَ ٱلْعَوْلِ، وَفِي ٱلنَّاسِ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَوْقَ مَا ظَنَّ هَذَا ٱلْمُنْصِفُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَإِنْ رُمِيتُ مِنْ جِنْسِهِمْ بِأَعْظَمَ مَا ٱسْتَطَاعُوا مِنَ ٱلضَّيْرِ، فَلَعَلَّ أُولَئِكَ بِٱلإِضَافَةِ إِلَى جُمْهُورِ ٱلنَّاسِ إِنَّمَا (هُمْ أَكَلَةُ رَأْسٍ)[29]، وَقَدْ أَعْدَدْتُ لِبَأْسِهِمْ بَعْضَ مَا لِلَّهِ ٱلْقَوِيِّ ٱلْعَزِيزِ مِنْ بَأْسٍ، وَإِنَّ ٱلْقَرْعَةَ مِنْهُ (لأَحَرُّ مِنَ ٱلْقَرَعِ)[30]، وَأَمْرُ ٱللَّهِ أَعْظَمُ وَأَعْلَى مِنْ أَنْ يَنْزِعَ فِيهِ مِثْلَ هَذَا ٱلْمَنْزَعِ، وَمَعَ ثِقَتِي بِهَذَا ٱلْمُعْتَقَدِ وَعِلْمِي بِمَا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ مِنْ قِلَّةِ ٱلْعَدَدِ، فَمَا أَتَقَلَّدُ ٱلتَّعْيِينَ وَلاَ أَلْتَزِمُ ٱلتَّبْيِينَ، فَلَعَلِّي أَعْنِتُ[31] بَرِيّاً، وَأَجِيءُ فِي نِسْبَةِ ٱلشَّرِّ إِلَى غَيْرِ جَانِبِهِ شَيْئاً فَرِيّاً[32]، وَفِي ٱشْتِجَارِ[33] الشُّرَّارِ مَا يُودِعُ فِيهِمْ عَنِ ٱلتَّعْيِينِ وَيَزَعُ[34]، وَيَعْدِلُ بِٱلْعِبَارَةِ عَنِ ٱلتَّخْصِيصِ إِلَى ٱلتَّعْمِيمِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ

---

(27) «إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم» حديث نبوي شريف. انظر **صحيح مسلم** : 36/8.

(28) يضرب المثل في باب سوء المشاركة في اهتمام الرجل بأمر صاحبه ومعناه ويل لمن شجي بالهم ممن خلا منه. وذكر الميداني في أصل هذا المثل روايتين : الأولى ذكرها في المثل «صغراهن شراهن» وأسند المثل إلى لقمان بن عاد في حكاية المرأة التي كان لها زوج اسمه الشجي وعشيق اسمه الخلي؛ والرواية الثانية في المثل نفسه، وسبب القول رواية عن المدائني وابن سلام الجمحي أن أول من قاله أكثم بن صيفي التميمي عندما جمع بني تميم ونصحهم باتباع سيدنا محمد ﷺ أول ظهور الرسالة فقال عنه مالك بن نويرة قد خرف شيخكم، فقال أكثم : ويل للشجي من الخلي. **جمع الأمثال** : 398/1 و369/2.

(29) مثل يضرب في الكناية عن قلة العدد. انظر **مجمع الأمثال** : 49/1.

(30) أحر من القرع : القرع بفتح الراء والقاف : قرح يصيب أعناق صغار الإبل، والقرع — بفتح القاف وسكون الراء — يعني قرع الميسم بالنار. انظر المثل في **فصل المقال** : 403، **ومجمع الأمثال** : 227/1.

(31) أعنت : أصيب بمشقة. ومن معاني العنت : المشقة والفساد والخطأ والإثم والغلط.

(32) فريا : أمرا عظيما.

(33) اشتجار : مجافاة.

(34) يزع : يكف.

لِلْمُدَاجِي[35] فِي ذَلِكَ مَقْنَعٌ، وَمِنَ ٱلشَّرِّ أَنَّكَ إِذَا رُمْتَ ٱلتَّشَكِّي مِنَ ٱلشَّرِّ بُؤْتَ مِنْهُ بِٱلْحَظِّ ٱلْمُشْبِعِ، ٱللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ، وَاحْمِهِمْ مَوَارِدَ ٱلظُّلْمِ فَكَثِيراً مَا يَظْلِمُونَ، وَشُكْراً بَعْدُ لِهَذَا ٱلْمُتَعَقِّبِ فَقَدْ أَوْجَبَ بِتَنْبِيهِهِ شُكْراً جَمّاً، وَذِكْراً بِالأَوْلَى مِنَ ٱلصَّبْرِ وَٱلإِحْتِمَالِ، فَافْعَلْ ذَلِكَ يَا قَلْبِ أَثِراً[36] مَّا وَاقْتَدِ بِأَحْسَنَ مَا عَنْهُ صَدَرَ، وَخُذْ مَا صَفَا[37] وَدَعْ مَا[38] كَدَرَ[39]، وَأَفِضْ فِي فَنٍّ مِنَ ٱلْخَيْرِ عَلَيْهِ تَسْتَمِرُّ، وَأَحْلِ أَبَداً فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ (لاَ يُحْلِي وَلاَ يُمِرُّ)[40]، وَأَظْهِرْ بِالْعَمَلِ إِلَى مَا تَسْمَعُ مِنَ ٱلصَّوَابِ إِنَابَةً وَلاَ تَكُنْ مِمَّنْ (أَسَاءَ سَمْعاً فَأَسَاءَ جَابَةً)[41] أَوْ مِنَ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[42].

---

(35) المداجي : المداري لما في نفسه.

(36) أثراما : مفضلا له.

(37) خذ ما صفا : ما أتاك صفوا بلا تعب.

(38) دع ما كدر : اترك ما صعب.

(39) كدر : بفتح الدال وضمها وكسرها، وقد كتب في الأصل فوق الكلمة [جميعا]، الورقة : 131.

(40) يضرب مثلا للرجل لا يصلح لخير ولا لشر.

(41) يضرب المثل للمسيء في الإجابة على غير فهم، وأصل المثل لسهيل بن عمرو قاله عن ابنه أنس لما سأله الأخنس ابن شريق الثقفي عنه فقال : ابني. فقال الأخنس حياك الله يا فتى. فقال أنس : لا والله ما أمي في البيت... فقال أبوه : أساء سمعا فأساء إجابة. مجمع الأمثال : 330/1.

(42) الآية 21 من سورة الأنفال.

29 ـــ بَابُ مَا يُقَالُ بِلُغَتَيْنِ

يَا ذَا ٱلَّذِي يَشُوقُهُ ٱلْمَكَانُ أَنْ يُعْظِمَ أَمْرَهُ ٱللِّسَانُ، إِنَّمَا يَشُوقُ فِي ٱلْحَقِيقَةِ ٱلسُّكَّانُ، وَخَيْرُ أَوْطَانِكَ وَإِنْ تَفَاوَتَتِ ٱلْبُلْدَانُ حَيْثُ سَاعَدَكَ ٱلزَّمَانُ وَٱلأَخْدَانُ[1]، فَمَا مِصْرٌ بَغْدُ وَمَا بَغْدَانُ[2]، بَغْدَادُ كَمَا عُلِمَ مَوْضِعُ ٱلنَّقْصِ وَٱلإِزْدِيَادِ، وَمَحَلٌّ كَمَا قِيلَ لِلْقَارِئِ[3] ٱلصَّيَّادِ، وَمَاذَا عَلَيْكَ إِذَا نِلْتَ كِفَايَةَ رَبِّكَ ٱلْمُنْعِمِ ٱلْمُنِيلِ، أَلاَّ تَشْرَبَ مِنَ ٱلْفُرَاتِ وَلاَ ٱلنِّيلِ، إِنَّ ٱلنَّاسَ لاَ يُعْرَضُونَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِبِلاَدِهِمْ وَإِنَّمَا يُطْلَبُونَ بِتَقْصِيرِهِمْ أَوِ اجْتِهَادِهِمْ، وَلاَ تَبِعَةَ عَلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ وَٱلتَّغَابُنِ مِنْ أَوْطَانِهِمْ، وَقَدْ تَلْحَقُهُمُ ٱلْبَائِقَةُ مِنْ أَخْدَانِهِمْ فَتَمَاسَكْ فِي هَذَا ٱلْبَابِ قَلِيلاً وَلاَ تُحْوِجْ نَفْسَكَ أَنْ تَقُولَ يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً. إِنَّ أَقَلَّ لِعَابِي[4] أَنْ يَكُونَ ٱلْفُضَلاَءُ ٱلْعُقَلاَءُ صِحَابِي، أُولَئِكَ خَيْرُ ٱلصِّحَابِ فَاطْلُبْهُمْ وَلَوْ تَعَلَّقُوا بِٱلسَّحَابِ، هُمْ يُرْشِدُونَ ٱلضَّالَّ، وَيَعْضُدُونَ ٱلْمُخَالَّ، وَيُنَشِّطُونَ إِلَى فِعْلِ ٱلْخَيْرَاتِ مَنْ تَكَاسَلَ أَوْ تَعَالَ، فَإِنْ فَقَدْتَ أَمْثَالَ هَؤُلاَءِ فِي ٱلصَّحَابَةِ فَكِتَابُ ٱللَّهِ أَنْفَعُ لَكَ مِنْ حَيَا[5] ٱلسَّحَابَةِ، وَلاَ تَنْسَ وَلِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ ٱلْمَثَلُ ٱلأَعْلَى مَا شَاكَلَ مِنَ ٱلشِّعْرِ أَبْيَاتَ عَمْرِو بْنِ[6] ٱلإِطْنَابَةِ مِمَّا يُؤْنِسُ بِمَكَارِمِ ٱلْخِلاَلِ وَيَحْمِلُ عَلَى

---

(1) الأخدان : جمع خدن وهو الصاحب.

(2) بغدان : وبغداد، وبعداذ.

(3) القاري : الذي يقرو الأرض قروا أي يتتبعها أرضا أرضا ينظر فيها حالها وأمرها.

(4) لعابي : لعاب مصدر من الفعل لاعب يلاعب ملاعبة ولعاب.

(5) حيا : مطر.

(6) عمرو بن عامر بن زيد مناة الخزرجي شاعر جاهلي. انظر **حماسة أبي تمام**، ص 533، **ومعجم المرزباني** : 203.
الأبيات التي أشار إليها أبو الربيع هي : =

أَخْلاَقِ ٱلرِّجَالِ، فَمِنَ ٱلشِّعْرِ[7] حِكْمَةٌ وَكَلِمَةُ ٱلْحِكْمَةِ ضَالَّةُ[8] ٱلْمُؤْمِنِ، وَرُبَّمَا كَانَ لَهُ فِيهَا رَحْمَةٌ وَبِهَا عِصْمَةٌ، وَقَدْ بَذَلْتُ لَكَ صَفْوَ مَا عِنْدِي، وَذَلَّلْتُ بِبَذْلِ ٱلصُّفْوَةِ[9] عَلَى صِدْقِ وُدِّي، إِنَّ ٱلْجَلِيسَ ٱلصَّالِحَ يُبَيِّنُ لَكَ ٱلْمَصَالِحَ وَجَلِيسَ ٱلسُّوءِ يَطْمِسُ لَكَ بِٱلظُّلْمَةِ وَجْهَ ٱلضَّوْءِ، فَٱلأَوَّلُ فِي مَا يُفِيدُكَ مِنْ مَقَاصِدِ ٱلنُّسْكِ صَيْدَلاَنِي يُحْذِيكَ[10] ٱلْمِسْكَ أَوْ عَرْفَ ٱلْمِسْكِ، وَٱلثَّانِي فِي مَا يُعَذِّرُ عَلَيْكَ مِنْ مَآخِذِ ٱلسَّدَادِ حَدَّادٌ إِنْ لَمْ يُحْرِقْكَ بِشَرَرِهِ أَتَاكَ دُخَانُهُ بِسِرِّ ضَرَرِهِ، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ ٱلصَّيْدَلاَنِي وَٱلْحَدَّادِ. رَاعِي ٱلأَظِلَّةَ مُحَافَظَةً عَلَى ٱلْفَرْضِ ٱلْمُؤَكَّدِ وَاذْكُرْ طِنْفَسَةَ[11] عَقِيلٍ[12] إِذْ كَانَتْ تُطْرَحُ إِلَى جِدَارِ ٱلْمَسْجِدِ فَخِيَارُ عِبَادِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ

= إِنِّي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱنْتَدَوْا[1] ... بَدَأُوا بِحَقِّ ٱللَّهِ ثُمَّ ٱلنَّائِلِ[2](أ)
ٱلْمَانِعِينَ مِنَ ٱلْخَنَا[1] جَارَاتِهِمْ ... وَٱلْحَاشِدِينَ عَلَى طَعَامِ ٱلنَّازِلِ[2](ب)
وَٱلْخَالِطِينَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ ... وَٱلْبَاذِلِينَ عَطَاءَهُمْ لِلسَّائِلِ
وَٱلضَّارِبِينَ ٱلْكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ ... ضَرْبَ ٱلْمُهَجْهِجِ[1] عَنْ حِيَاضِ ٱلآبِلِ[2](ج)
وَٱلْقَاتِلِينَ لَدَى ٱلْوَغَى أَقْرَانَهُمْ ... إِنَّ ٱلْمَنِيَّةَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْوَائِلِ[1](د)
وَٱلْقَائِلِينَ فَلاَ يُعَابُ كَلاَمُهُمْ ... يَوْمَ ٱلْمَقَامَةِ بِٱلْقَضَاءِ ٱلْفَاصِلِ
خُزْرٌ عُيُونُهُمُ إِلَى أَعْدَائِهِمْ ... يَمْشُونَ مَشْيَ ٱلأُسْدِ تَحْتَ ٱلْوَابِلِ
لَيْسُوا بِأَنْكَاسٍ وَلاَ مِيلٍ[1] إِذَا ... مَا ٱلْحَرْبُ شُبَّتْ أَشْعَلُوا بِٱلشَّاعِلِ(هـ)

(أ) اجتمعوا في ناديهم ـــ من النوال أي العطاء.
(ب) الفحش ـــ الضيف.
(ج) الذي يرد الإبل عن الحوض إذا رويت ـــ صاحب الإبل.
(د) الهارب من الحرب يطلب النجدة.
(هـ) جمع أميل : الذي لا يثبت على فرسه.

(7) حديث نبوي. قال الرسول ﷺ : «إن من البيان سحرا، وإن من الشعر حكما». الأحاديث الصحيحة : 309/4.

(8) حديث نبوي. انظر الترميذي : 19 وابن ماجة : 15.

(9) الصفوة : صفو الشيء.

(10) يحذيك : يعطيك.

(11) الطنفسة : بكسر الطاء وفتحها وهي البساط له خمل رقيق يكون من صوف أو خز ملون.

(12) عقيل : هو عقيل بن أبي طالب، أسر يوم بدر مع من أسر من المشركين من قريش ثم أسلم =

يُرَاعُونَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ وَٱلأَظِلَّةَ لِذِكْرِ ٱللَّهِ، وَإِنْ يَكُنْ هَذَا هُوَ بِإِخْرَاجِ ٱلطُّنْفَسَةِ ٱلْمُرَادُ، فَلاَ يُنْكَرُ [عَلَى][13] آلِ أَبِي طَالِبِ ٱلْجِدُّ فِي فَرَائِضِ ٱللَّهِ وَٱلاِجْتِهَادُ، وَإِنْ تَكُنْ مَجْلِساً لِنَشْرِ ٱلْعِلْمِ وَإِفَادَتِهِ فَاقْتَدِ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنَ ٱلْخَيْرِ بِقَادَتِهِ، إِنَّ ٱلْقَلَنْسُوَةَ مِنْ شَعَائِرِ ٱلسَّمْتِ ٱلْحَسَنِ، وَرُبَّمَا كَانَ ٱلْفَضْلُ فِيهَا لِلأَخْشَنِ، وَقَدْ [جِئْتُكَ][14] بِفَصِّ ٱلْخَاتَمِ وَفَصْلِ ٱلْخِطَابِ، فَأَيُّمَا أَفْضَلُ عِنْدَكَ قُلَنْسِيَةُ هُرْمُزَ[15] أَمْ قُلَنْسِيَةُ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ، إِنَّ ٱلشَّرَفَ لَيْسَ فِي لآلِيءَ تُنْتَظَمُ، إِنَّمَا ٱلشَّرَفُ أَنْ يُمَجِّدَ ٱلْعَبْدُ بِطَاعَةِ ٱللَّهِ وَيُعَظِّمَ، فَاجْهَدْ أَبَداً [لِنَفْسِكَ][16] أَنْ تَكُونَ بِطَاعَةِ مَوْلاَكَ مِنْ خَيْرِ جِنْسِكَ، فَقَدْ يَتَفَاوَتُ ٱلنَّاسُ فِي ٱلْفَضْلِ وَإِنِ اشْتَرَكُوا فِي ٱلأَصْلِ وَاتَّفَقُوا فِي ٱلشَّكْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلنَّخْلَ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَيَفْضُلُ بَعْضُهَا بَعْضاً فِي ٱلأُكُلِ، وَمَعْرُوفٌ مِنَ ٱلأَمْرِ أَنَّهُ قَدْ يَفْضُلُ ٱلصَّغِيرُ مَنْ سَاوَاهُ أَوْ تَقَدَّمَهُ فِي ٱلْعُمْرِ، كَمَا يَفْضُلُ بُسْرٌ[17] قَرِيثَاءُ كَثِيراً مِنَ ٱلْبُسْرِ وَٱلتَّمْرِ وَمِنْ خَيْرِ مَا تُنْبِتُ ٱلرَّمْلَةُ ٱلْمَيْثَاءُ[18] بُسْرٌ كَرِيثَاءُ. إِذَا قَدَّمْتَ لِضَيْفِكَ بُسْراً قَرَاثَاءَ أَوْجَبْتَ عَلَيْهِ أَنْ يُحْسِنَ ٱلثَّنَاءَ، فَاحْمَدِ ٱللَّهَ عَلَى ٱلْيُسْرِ، وَابْذُلْ لِضِيفَانِكَ ٱلْكَرَاثَاءَ مِنَ ٱلْبُسْرِ وَلاَ تَظُنَّ تَأَكُّدَ ٱلْقَرَابَةِ قَاطِعاً [حُكْمَ][19] ٱلظِّنَّةِ وَٱلاِسْتِرَابَةِ فَرُبَّ بَعِيدٍ يُصَافِيكَ، وَقَرِيبٍ مُلْتَاثِ ٱلرَّأْيِ فِيكَ، وَرُبَّ أَجْنَبِيٍّ مِنْ بَنِي ٱلدُّنْيَا أَحْسَنُ غَيْباً لَكَ مِنِ ابْنِ

= عام الحديبية وحسن إسلامه. وقال له النبي ﷺ : يا أبا يزيد إني أحبك حبين، حبا لقرابتك مني وحبا لما أعلم من حب عمي إياك. وقد سكن عقيل بالبصرة، ومات بالشام في خلافة معاوية. سيرة ابن هشام : 3/3.

(13) أهملها الناسخ وكتبها المصحح على هامش الكتاب، الورقة : 132.

(14) أهملها الناسخ وكتبها المصحح على هامش الكتاب، الورقة : 132.

(15) هرمز والهرمزان والهارموز : الكبير من ملوك العجم.

(16) أهملها الناسخ وكتبها في هامش الكتاب، الورقة : 132.

(17) بسعر قريثاء : ويقال له أيضا كريثاء وقراثاء وكراثاء : وهو تمر أسود سريع النقض لقشرة من لحائه إذا أرطب.

(18) الميثاء : الأرض اللينة السهلة والرابية الطيبة.

(19) كتبها الناسخ في هامش الكتاب، الورقة : 132.

عَمِّكَ دُنْيَا[20]، يَا عَجَباً لِغَرِيبٍ لاَ يَنَامُ عَنْ نُصْحِكَ إِنْيَا[21]، وَقَدْ نَامَ عَنْ ذَلِكَ مِلْءَ جُفُونِهِ اِبْنُ عَمِّكَ دِنْيَا، وَنَزِيعٍ يَزَعُ عَنْكَ كَأَنَّهُ ٱلسَّيْفُ ذُو ٱلشُّطَبِ، وَلَصِيقٍ يَلَذُّ عِرْضَكَ كَأَنَّمَا هُوَ جَنِيُّ ٱلرُّطَبِ، مَا ٱلْقَوْمُ إِذَا اعْتَبَرْتَ إِلاَّ امْرَآنِ فَامْرُؤٌ تَبِيتُ مِنْهُ عَلَى أَمَانٍ، وَآخَرُ يَفْرِيكَ[22] بِأَمْضَى مِنْ ذِي شُطُبٍ يَمَانٍ. قُلْ لِلْمُسْتَكْثِرِ مِنَ ٱلنِّسْوَةِ لَكَ فِي مَنْ تَقَلَّلَ مِنْهُنَّ أَحْسَنُ الإِسْوَةِ بِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ يَحْصُلُ لِلْمَرْءِ ٱلاِعْتِصَامُ وَيَسْهُلُ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ تُرْضِهِ ٱلاِنْفِكَاكُ مِنْ عُقْدَتِهَا وَٱلاِنْفِصَامُ. وَأَمَّا امْرَأَتَانِ فَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ٱلْمِحَنِ ٱلْمِتَانِ فَلَيْتَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ وَقَدْ تَكُونُ ٱلْمَرْأَةُ ٱلْوَاحِدَةُ غُلاًّ[23] فَكَيْفَ بِاثْنَتَيْنِ تَتَبَارَيَانِ حَسَداً وَغِلاًّ[24] إِنْ أَتَاهُمَا طَوَالَ ٱلدَّهْرِ بِجِفَانٍ رُذُمٍ[25] تَسِيلُ قَالَتِ ٱلأُولَى: مَا كُنْتُ لأَظْفَرَ بِهَا مِنْكَ لَوْلاَ هَذِهِ وَخَدُّهَا ٱلأَسِيلُ، وَقَالَتِ ٱلأُخْرَى: لاَ بَلْ رَغْبُهُ فِيكَ بِحَقِّ ٱلْقِدَمِ، أَتَانَا بِهَذِهِ ٱلْجِفَانِ ٱلرُّذُمِ، فَلاَ يَطِيبُ لَهُ بَيْنَهُمَا عَيْشٌ وَلاَ يَغِبُّهُ بَيْنَهُمَا سَفَهٌ وَطَيْشٌ، وَإِنَّمَا ٱلنِّسَاءُ حَبَائِلُ[26] ٱلشَّيْطَانِ فَانْتَبِذْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنْ تِلْكَ ٱلأَشْطَانِ، وَإِلاَّ فَلَيْلُكَ وَٱللَّهِ لَيْلُ ٱلتِّمَامِ[27] وَٱلْمَوْلُودُ مِنْهُمَا لاَ يَسُرُّكَ لِتَمَامٍ كَانَ أَوْ لِغَيْرِ تَمَامٍ، وَرُبَّمَا اتَّفَقَتَا عَلَى ٱلتَّنْدِيدِ بِهِ وَٱلْوُقُوعِ فِيهِ فَأَنْشَدَتْ إِحْدَاهُمَا تَعْنِيهِ بِمَا تُغَنِّيهِ:

كَأَنَّ خُصْيَيْهِ مِنَ ٱلتَّدَلْدُلِ ... ظَرْفُ[28] عَجُوزٍ فِيهِ ثِنْتَا حَنْظَلِ[29]

[الرجز]

---

(20) دنيا: بضم الدال وبكسرها أيضا ومعناها ابن عمك لحا أي رحما أدنى إليك من غيره.

(21) الإني: لحظة، مفرد آناء.

(22) يفريك: يقطعك.

(23) غلا: بضم العين والغلة والغلل والغليل كلها تعني شدة العطش وحرارته.

(24) الغل: بكسر العين: الحسد.

(25) رذم: بضم الراء والذال ويقال أيضا بضم الراء وفتح الذال: يعني الجفان المملوءة حتى تسيل.

(26) حبائل: جمع حبالة وهي المصيدة.

(27) ليل التمام: بكسر التاء: أطول ليل في ليالي السنة.

(28) ظرف عجوز: مزودها.

(29) في فصيح ثعلب بتحقيق عاطف مذكور: 314: «ظرف جراب» وكذا في التلويح في شرح الفصيح: 85 وكذا في حماسة أبي تمام: 622. =

فَتُجِيبُهَا ٱلأُخْرَى تُهِيجُهَا وَتُرِيهَا أَنْ قَدْ وَقَعَ صَغْوُهَا(30) إِلَيْهِ وَتَعْرِيجُهَا :

لَسْتُ أُبَالِي أَنْ أَكُونَ مُحْمِقَه(31) إِذَا رَأَيْتُ خُصْيَةً مُعَلَّقَه(32)

[الرجز]

وَهَذَا كُلُّهُ ذَرْءٌ مِنَ ٱلْقَوْلِ قَبِيحٌ، وَمَذْهَبٌ عَسَى أَنْ يُذْهِبَ حُوبَهُ اسْتِغْفَارٌ وَتَسْبِيحٌ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ، وَمَرِّغْ وَجْهَكَ فِي ٱلرَّغَامِ(33) لِوَجْهِهِ ٱلْكَرِيمِ وَعَفْرُهُ، عَسَاهُ يَمْحُو عَنْكَ مَا اكْتَتَبْتَهُ، وَيُعْتِبُكَ بِكَرَمِهِ إِذَا اسْتَعْتَبْتَهُ، وَشَرْطُ الإِسْتِيفَاءِ حَمْلٌ عَلَى هَذَا ٱلْجَفَاءِ، فَنَسْأَلُ ٱللَّهَ لِهَذِهِ ٱلْعَثْرَةِ حُسْنَ ٱلإِقَالَةِ، وَنَسْتَوْهِبُهُ سُبْحَانَهُ جَمِيلَ ٱلتَّجَاوُزِ عَنْ طُغْيَانِ ٱلْقَلَمِ فِي هَذِهِ ٱلْمَقَالَةِ. إِنَّ مَوْلاَكَ ٱلْكَرِيمَ ٱلْحَفِيظَ ٱلرَّفِيقَ خَوَّلَكَ(34) غُلاَماً يَخْبِزُ ٱلرَّقِيقَ(35) وَٱلْغَلِيظَ وَمَا وَٱللَّهِ بِالإِسْتِحْقَاقِ

= بينما ورد الرجز في اللسان [خصا] :

تَقُولُ يَا رَبَّاهُ، يَا رَبِّ هَلِ إِنْ كُنْتَ مِنْ هَذَا مُنَجِّي أَجَلِي

إِمَّا بِتَطْلِيقٍ وَإِمَّا بَارْحَلِي كَأَنَّ خُصْيَيْهِ مِنَ ٱلتَّدَلْدُلِ

ظَرْفُ عَجُوزٍ فِيهِ ثِنْتَا حَنْظَلِ

ونسب البيت في التصريح بشرح غريب الفصيح للتدميري لسلمى الهذلية مع فارق في رواية الشعر، الورقة : 79 :

تَقُولُ يَا رَبِّي وَيَا رَبِّي هَلِ هَلْ أَنْتَ مِنْ هَذَا مُحَلٌّ أَحْبُلِي

إِمَّا بِتَطْلِيقٍ وَإِلاَّ فَاقْتُلِ أَوِ ارْمِ فِي وَجْعَائِهِ بِدُمَّلِ

كَأَنَّ خُصْيَيْهِ مِنَ ٱلتَّدَلْدُلِ ظَرْفُ عَجُوزٍ فِيهِ ثِنْتَا حَنْظَلِ

ووقع اختلاف في نسبة البيت فقيل : هو لجندل، ونسب لدكين ونسب أيضا إلى خطام المجاشعي، ونسبه سيبويه إلى بعض السعديين : 177/2 و202.

(30) صغوها : الصغو بفتح الصاد وسكون الغين من الفعل صغا إليه يصغى ويصغو صغوا، بمعنى مال.

(31) محمقة : المرأة التي تلد أولادا حمقى.

(32) البيت منسوب إلى امرأة من الأعراب في الفصيح : 315، وفي التلويح : 85، واللسان [خصا]، وفي التصريح بشرح غريب الفصيح، الورقة : 80، ويعني البيت : أنها حملت ولدا صغيرا لها وقالت لا أبالي أن ألد الحمقى ماداموا ذكورا.

(33) الرغام : التراب.

(34) خولك : أعطاك.

(35) الغليظ والرقيق : صفتان للخبز.

وَجَدْتَ ٱلسَّبِيلَ إِلَى ٱلْجَرْدَقِ[36] وَٱلرُّقَاقِ[37] وَلَكِنَّهُ سَيْبُ ٱلإِلٰهِ وَفَيْضُ ٱلْجُودِ مِمَّنْ لاَ يُبَالِي بِٱلرُّشْدِ مِنْكَ وَلاَ ٱلسَّفَاهِ، فَجِدَّ فِي خِدْمَتِهِ أَيُّهَا ٱلْحَدَثُ، وَبَادِرْ فَرُبَّمَا عَاجَلَكَ ٱلْمَوْتُ وَٱلْجَدَثُ. لاَ يَغُرَّنَّكَ أَنَّكَ حَدِيثُ ٱلسِّنِّ، فَقَدْ يَذْهَبُ ذُو ٱلشَّبَابِ وَٱلْمَيْعَةِ وَيَبْقَى ٱلْيَفَنُ[38] ذُو ٱلأَدِيمِ ٱلْمُسْتَشِنِّ، وَرُبَّمَا لَحِقَتِ ٱلآفَةُ نُقَاوَةَ[39] ٱلْمَتَاعِ وَبَقِيَتْ بَعْدَ ٱلنَّقَايَةِ ٱلْعَبَايَةُ ٱلَّتِي مَلَّتِ ٱلْقُرُونَ مِنَ ٱلاِنْتِفَاعِ بِهَا وَٱلاِسْتِمْتَاعِ ثُمَّ لاَبُدَّ لِكُلٍّ أَنْ تُؤَدِّيهِ إِلَى ٱلْفَنَاءِ مَعْدُودَاتُ ٱلأَنْفَاسِ وَٱلآنَاءِ، فَكُنْ لِذَلِكَ عَلَى وَفَزٍ[40]، فَفِي سَيْرِ ٱللَّيَالِي أَيُّ مُنْحَفَزٍ، وَلأَنْ تَكُونَ عَلَى أَوْفَازٍ[41] خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَبْغَتَكَ ٱلْمَنَايَا بِاسْتِلاَبٍ وَٱبْتِزَازٍ، وَلَنْ تُوجَدَ ذَا تَحَرُّكٍ لِلإِعْدَادِ وَاهْتِزَازٍ حَتَّى تَكُونَ عَلَى وِفَازٍ، لَكِنِّي وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ بِعَيْبِ نَفْسِي بَصِيرٌ أَرُوضُهَا فَلاَ تَرْتَاضُ وَأَرُوصُهَا لِتَعْتَاضَ مِنْ سُوءِ حَالِهَا بِالإِعْدَادِ لاِرْتِحَالِهَا فَلاَ تَعْتَاضُ، فَكَأَنِّي بِمَا يَعْنِينِي مِنْ مُعَانَاةِ صَلاَحِهَا وَيُعْيِينِي مِنْ مُدَانَاةِ اسْتِصْلاَحِهَا :

أَسُوقُ عَيْراً مَائِلَ ٱلْجِهَازِ[42] صَعْباً يُنَزِّينِي[43] عَلَى أَوْفَازِ[44]

[الرجــز]

إِنْ كُنْتَ يَا هَذَا ذَا حِسٍّ فَلاَ تُقِمْ حَائِطَكَ إِلاَّ عَلَى أُسٍّ، فَلاَ ثَبَاتَ لِلْحَائِطِ إِلاَّ بِٱلأَسَاسِ، وَإِنَّمَا ٱلْحَائِطُ دِينُكَ وَٱلأَسَاسُ جِدُّكَ وَصِدْقُكَ وَيَقِينُكَ، لَيْسَ اصْطِلاَحِي فِي هَذَا مِنَ اصْطِلاَحِ ٱلنَّاسِ فَإِنَّهُمْ يَعْنُونَ بِٱلأَسَاسِ ٱلْحِجَارَةَ وَٱلشِّيدَ،

---

(36) الجردق : فارسي معرب يطلق على الخبز المدور الغليظ.

(37) الرقاق : الخبز الرقيق.

(38) اليفن : بفتح الياء والفاء : الشيخ المسن.

(39) نقاوة : بضم النون وكذلك النقاية : خيار المتاع.

(40) وفز : عجلة.

(41) على أوفاز : على غير طمأنينة.

(42) الجهاز : بكسر الجيم وفتحها : متاع البيت والعروس والميت.

(43) ينزيني : يحركني ويرقصني.

(44) البيت لرؤبة بن العجاج كما في التلويح، ص 86، وفي اللسان [وفز] وفي التصريح، الورقة : 81.

وَأنَا [أرَى](45) خَيْرَ ٱلأُسُسِ ٱلْمُعْتَقَدَ ٱلسَّدِيدَ وَأوْثَقَ ٱلْحِيطَانِ ٱلْعَمَلَ ٱلرَّشِيدَ. فَإذَا سَمِعْتَ دَاعِياً [يَسْأَلُ](46) ٱللَّهَ ٱلدِّينَ ٱلْمَتِينَ فَقُلْ يَا رَبِّ آمِينَ لَهُ وَلِكَافَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ، فَتَأْمِينُكَ هَذَا أهْدَى مِنْ تَأْمِينِ ٱلْقَائِلِ وَقَدْ جَدَّتْ بِهِ ٱلْقَطِيعَةُ جِدّاً :

تَبَاعَدَ مِنِّي فَطْحَلٌ أنْ سَألْتُهُ ... أمِينَ فَزَادَ ٱللَّهُ مَا بَيْنَنَا بُعْدَا(47)

[الطويل]

وَإذَا أُشْرِبَ قَلْبُكَ حُبَّ ٱلطَّاعَةِ فَلاَ تَعْدِلْ بِهَا عِلْقاً ثَمِيناً، وَادْعُ فِي ذَلِكَ رَبَّكَ خَاضِعاً مُسْتَكِيناً :

يَا رَبِّ لاَ تَسْلُبَنِّي حُبَّهَا أبَداً ... وَيَرْحَمُ ٱللَّهُ عَبْداً قَالَ آمِينَا(48)

[البسيط]

ثُمَّ اِحْمَدْهُ كَثِيراً حِينَ عَدَلَ بِكَ إلَى هَذَا ٱلسَّبِيلِ، وَجَعَلَ دَعَوَاتِكَ وَرَغَبَاتِكَ مِنْ هَذَا ٱلْقَبِيلِ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ لِحُبِّ امْرَأةٍ مُسْتَدِيمَا، وَلَعَلَّ فِي ذَلِكَ حُوباً كَبِيراً وَإثْماً عَظِيماً، وَلْيُقَدَّرْ أنَّ تِيكَ(49) ٱلْمَرْأةَ ٱلَّتِي عَنَاهَا ٱلشَّاعِرُ لَمْ تَكُنْ إلاَّ إحْدَى امْرَأتَيْنِ : إمَّا حَلاَلٌ لَهُ قُرْبُهَا، وَإمَّا مَنْ لاَ يُحْجَزُ عَلَيْهِ مِنْ مَحَارِمِهِ حُبُّهَا، وَأيَّةً

---

(45) تصحيح فوق السطر، الورقة : 123.

(46) في الأصل [يسل]، الورقة : 123.

(47) ورد الشطر الأول من البيت في الفصيح : 316 «تباعد في فطحل إذ دعوته» وفي اللسان :
مادة [فحطل] بدل من فطحل «تباعد مني فحطل إذ دعوته».
مادة [أمين] «تباعد مني فطحل إذ سألته».
وكذلك في شرح الأشموني : 485/2، الشاهد : 931، وفي التلويح للهروي، ص 86 ورد هكذا : «تباعد مني فحطل وابن أمه». وفي المحكم والصحاح : «تباعد مني فطحل إذ سألته». وفي التصريح للتدميري أشار إلى مختلف هذه الروايات بقوله : «ويروى تباعد مني فطحل وابن أمه ويروى إذ سألته ويروى إذ رأيته»، الورقة : 82 والبيت غير منسوب في الفصيح واللسان وكذلك في التصريح. بينما نسبه الهروي في التلويح إلى «جبير بن الاضبط وكان سأل الأسدي في حمالة فحرمه» وكذا في شرح اللخمي، ص 98.

(48) البيت في اللسان مادة [أمن] منسوب لعمر بن أبي ربيعة وهو غير موجود في ديوانه، ونسبه الهروي في التلويح، ص 86 لقيس العامري قاله في ليلى والبيت في ديوانه، ص 283، وكذلك نسبه ابن هشام اللخمي في شرحه، ص 100 ونسبه أيضا التدميري في التصريح لقيس المجنون، الورقة : 83.

(49) تيك : اسم إشارة للمرأة.

هَاتَيْنِ كَانَتْ فَمَحْبُوبَتُكَ أَزْكَى لَكَ عِنْدَ ٱللَّهِ أَثْراً، وَأَقَرُّ لِعَيْنِكَ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً، فَسُبْحَانَ مُصَرِّفِ ٱلْقُلُوبِ كَيْفَ يَشَاءُ وَمُخْلِي ثُنْدُوَةٍ[50] ٱلرَّجُلِ مِنْ دَرٍّ يَحْسُنُ بِهِ لِلرَّضِيعِ ٱلِاغْتِذَاءُ، وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ثُنْدُوَتَهُ لِذَلِكَ مَحَلاً وَأَسْرَارُ ٱلْحِكْمَةِ لاَ تَسْتَطِيعُ ٱلْعُقُولُ لِعُقُودِهَا حَلاً. إِذَا جِئْتَ مَجْمَعاً فِي إِثْرِ[51] دَاعٍ إِلَى خَيْرٍ فَعَلَى أَثَرِهِ فَامْشِ فَإِنَّ ٱلتَّذْكِرَةَ عَلَى ٱلتَّذْكِرَةِ مُقَوِّيَةٌ نُورَ ٱلْبَصَائِرِ ٱلْعُمْشِ، وَإِنِ اسْتَحْسَنْتَ مِنْ سَيْفِكَ أَثْراً[52] فَلاَ تَجْعَلْ لَهُ فِي غَيْرِ هَامِ ٱلْعِدَى عَثْراً، وَإِنْ فَعَلْتَ اِسْتَفَدْتَ أُثْرَةً مِنْ ذَلِكَ ٱلأُثْرِ، فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ عَنْ حَالِ ٱلْغُثَاءِ[53] وَٱلْغُثْرِ[54]، وَاسْمَحْ بِمَا أُوتِيتَ مِنَ ٱلْوَفْرِ، فَإِنَّهُ يَزِينُ ٱلْمَرْءَ مَا يَبْذُلُ مِنْ مَوْجُودِهِ وَيَنْثُرُ، كَمَا يَزِينُ ٱلسَّيْفَ ٱلأُثْرُ، وَإِذَا كَانَ ٱلْقَوْمُ لَكَ فِي ٱلدِّينِ أَعْدَاءً فَلاَ تُغِبَّهُمْ رَوَاحاً بِالْمَكْرُوهِ وَاغْتِدَاءً، مَا قُعُودُكَ عَنْ عِدَاكَ وَقَدْ أَضَلَّهُمُ ٱللَّهُ وَهَدَاكَ، عُدَاتُكَ أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُ كَثِيرٌ، وَٱلإِيمَانُ لِعَدَاوَةِ ٱلْمُنَافِقِينَ مُثِيرٌ، فَلاَزَالَ بِأَسْنَانِهِمْ حَفْرٌ[55] وَلاَ آلَى ٱلزَّمَانُ فِي أَنْ لاَ يَبْقَى لَهُمْ وَفْرٌ، لاَ بَلْ عَجَّلَ ٱللَّهُ بِهِمْ إِلَى ٱلْحُفَرِ فَهُوَ أَشْفَى فِيهِمْ مِنَ ٱلْحَفَرِ[56]، وَأَفْوَاهُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ هِيَ أَعْضَاءُ ٱلذُّنُوبِ، فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ ٱلْعُقُوبَةَ ٱلْقَاضِيَةَ مِنَ ٱلْمَحَلَّيْنِ حَيْثُ يَكُونُ أَرْضَى لِلْقُلُوبِ وَأَقْضَى لِلْمَطْلُوبِ. دِرْهَمُكَ أَيُّهَا ٱلْمُنَافِقُ زَائِفٌ وَتَحَكُّمُكَ أَيُّهَا ٱلْمَائِقُ[57] حَائِفٌ[58]، وَقَلْبُكَ مَسَّهُ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ طَائِفٌ، وَلِلَّهِ فِي أَمْرِهِ لَطَائِفُ، لاَ أَمَانَ لَكَ أَيُّهَا ٱلْخَائِفُ، وَقَدْ ضَاقَتْ عَنْ جُرْمِكَ ٱلصَّحَائِفُ فَبِحَقٍّ مَّا يَعَافُكَ ٱلْعَائِفُ،

---

(50) ثندؤة : وثندوة كلاهما بمعنى مغرز الثدي وأصله، وقيل هما للرجل بمنزلة الثدي للمرأة.

(51) إثر : بكسر الهمزة وسكون الثاء وبفتحهما يعني ما يؤثره الماشي وجاء على إثره : جاء بعده.

(52) أثرا : بفتح الهمزة وسكون الثاء : فرند السيف وماء صقالته وكذلك الأثر بضم الهمزة والثاء.

(53) الغثاء : ما يحمله السيل من الزبد والوسخ.

(54) الغثر : جمع مفرده أغثر ومعناها سفلة الناس.

(55) حفر : تآكل الأسنان.

(56) الحفر : أيضا بنفس المعنى ما يحدث من تآكل الأسنان.

(57) المائق : الغادر الناكث للعهد.

(58) حائف : جائر ظالم.

دِرْهَمُكَ ٱلزَّيْفُ أَصْلَحُ مَا عِنْدَكَ، فَلاَ أَوْرَى ٱللَّهُ بِخَيْرٍ زَنْدَكَ لَوْ عُرِضْتَ فِي ٱلسُّوقِ عَلَى مَنْ لاَ يَعْرِفُ مَا تَسْتَبْطِنُهُ مِنَ ٱلْعِصْيَانِ وَٱلْفُسُوقِ لَمَا ٱلْفَيْتَ نَافِقاً وَلاَ وَجَدْتَ مَنْ يَبْذُلُ فِيكَ دَانِقاً[59]، وَبِأَيِّ شَيْءٍ مِنْكَ يَأْنَقُ[60] حَتَّى يَهُونَ عَلَيْهِ فِي حَقِّكَ ٱلدَّانِقُ. لِلشَّيْطَانِ عَلَيْكَ خَاتِمٌ بِأَنَّ لَيْلَ ظَلاَلِكَ عَاتِمٌ، ثُمَّ لاَ فَكَّ لِذَلِكَ ٱلْخَاتِمِ إِلَى سَاعَةِ ٱلْمَأْتَمِ، وَشَرُّ طَابِعٍ يُوضَعُ عَلَى ٱلْمَرْءِ طَابَعٌ يَدُلُّ عَلَى سُوءِ ٱلْحَالِ وَاسْتِحَالَةِ ٱلْبُرْءِ، فَلَوْ جَزَرَكَ[61] سَيْفُ ٱلْحَقِّ طَابِقاً[62] طَابِقاً لَكَانَ ذَلِكَ لآمَالِ أُولِي ٱلإِيمَانِ مُطَابِقاً وَلِلَّذِي يَفْصِلُ ذَلِكَ ٱلطَّابَقَ فَضِيلَةُ ٱلسَّبْقِ إِنْ سَابَقَ. رُمْتَ ٱلرُّقِيَّ أَيُّهَا ٱلنَّازِلُ وَلاَ مَرْقَى لَكَ فَكَيْفَ وَجَدْتَ وَخْدَكَ وَإِرْقَالَكَ، وَهَلْ أَحْمَدْتَ مُعْتَقَدَكَ فِي ٱلضَّلاَلِ وَمَقَالَكَ، فَلاَ أَقَالَ ٱللَّهُ مَنْ أَقَالَكَ، مَثَلُكَ مَثَلُ ٱلْخُنْفَسَاءِ خِسَّةً وَلَجَاجاً، لاَ بَلِ ٱلْخُنْفَسَةُ فَوْقَكَ قَوْلاً لاَ يَعْدِمُ نَائِلَهُ احْتِجَاجاً. بِفِيكَ ٱلإِثْلِبُ[63]، يَا مَنْ حَاوَلَ مُغَالَبَةَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي يَغْلِبُ، وَحَظُّكَ ٱلأَثْلَبُ مِنْ كُلِّ مَا تَسَامَى بِكَ إِلَيْهِ ٱلطَّلَبُ، تَفْرِيعُ مِثْلِكَ جِهَادٌ فَلَمْ يُدْخَرْ عَنْهُ اجْتِهَادٌ، وَتَوْبِيخُكَ مُتَأَكِّدُ ٱلْوُجُوبِ، يَا ذَا ٱلْبَصِيرَةِ ٱلْعَمْيَاءِ وَٱلْقَلْبِ ٱلْمَحْجُوبِ، وَأُحَرِّجُ أَعْظَمَ ٱلتَّحْرِيجِ عَلَى مَنْ سَمِعَ كَلاَمِي أَنْ يَعْتَقِدَ فِيهِ بِذَمِيمِ ٱلتَّأْوِيلِ وَٱلتَّخْرِيجِ مَا يَتَسَبَّبُ بِهِ إِلَى مَلاَمِي فَإِنَّمَا أُخَاطِبُ كُلَّ مَنْ عَدَّ هَذِهِ ٱلصِّفَاتِ ٱلْمَنْقُومَةِ فِي عِدَادِ زَيْنِهِ وَمَا أَقْصِدُ قَصْدَ وَاحِدٍ بِعَيْنِهِ، لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَصَدَعْتُ بِهِ تَصْرِيحاً وَلَتَرَكْتُ ٱلْقِرْطَاسَ بِاسْمِهِ جَرِيحاً، وَقَدْ أَطْلَقَ ٱلرَّسُولُ صَلَوَاتُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ هَذَا ٱلْمُتَصَرَّفَ وَأَمَرَ أَنْ يُصَرَّحَ بِذِكْرِ

---

(59) دانقا : بكسر النون وفتحها عملة تساوي سدس الدرهم.

(60) يأنق : يعجب به.

(61) جزرك : قطعك.

(62) طابق وطابق بكسر الباء وفتحها من معانيها : ظرف يطبخ فيه، والآجر الكبير وبهذا شرحها الهروي في التلويح، ص 87، وشرحها التدميري «الطابق لِنِصْفِ البَدَنِ»، الورقة : 85، وهذا المعنى هو الذي ذهب إليه أبو الربيع الكلاعي بقوله : «فلو جزرك سيف الحق طابقا..».

(63) الأثلب : بكسر الهمزة وفتحها وسكون الباء وكسر اللام : التراب والحجارة. وبفيك الاثلب : كناية عن الخيبة.

ٱلْفَاجِرِ لِيُعْرَفَ، وَمَا هُنَا غُرْتُ[64] وَلاَ بِهِ فَغَرْتُ[65]، وَإِنَّمَا جَعلْتُ هَذَا ٱلْكَلاَمَ وَشِبْهَهُ مِمَّا يُسِيءُ ٱلإِيهَامَ وَيُحَرِّكُ ٱلأَوْهَامَ، حَظُّ ٱللِّسَانِ مِنْ جِهَادِ أَقْوَامٍ قَبُحَتْ صِفَاتُهُمْ وَعَظُمَتْ فِي ٱلدِّينِ آفَاتُهُمْ لِتَشْقَى بِوَخْزِهِ بَوَاطِنَهُمْ وَيَبْلُغَهُمْ حَيْثُ كَانَتْ مَوَاطِنُهُمْ فَمَنْ مَيَّزَ مِنْ نَفْسِهِ مُطَابَقَةَ ٱلصِّفَةِ فَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَتَعَيَّنْ لِي مِمَّنْ عُنِيَ بِهَذِهِ ٱلْمَقَالَةِ ٱلْمُنْصِفَةِ. ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى مَا كُنَّا بِسَبِيلِهِ بَعْدَ أَنْ قَضَيْنَا فِيهِمْ مَا أَمْكَنَ مِنْ حَقِّ ٱللَّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ فَنَقُولُ لِمَنْ يَحْرِصُ أَنْ يَكُونَ جَارِياً فِي كَافَّةِ أُمُورِهِ عَلَى مَشْرُوعِ ٱلْمَذْهَبِ، لاَ يَجُوزُ لَكَ اتِّخَاذُ ٱلطَّسِّ[66] مِنَ ٱلذَّهَبِ وَإِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ ٱلسَّرَفِ ٱلَّذِي أَبَاهُ خِيَارُ ٱلسَّلَفِ وَٱلنَّهْيُ عَنِ اتِّخَاذِ آنِيَةِ ٱلذَّهَبِ مَعْلُومٌ، فَمُتَّخِذُ ٱلطَّسَّةِ مِنْهُ لاَ مَحَالَةَ مَلُومٌ، بِحَسْبِنَا ٱلشَّبَهُ[67] وَٱلصُّفْرُ[68] وَلَوْ كَثُرَتِ ٱلْجِدَةُ وَعَظُمَ ٱلْوَفْرُ وَٱللَّهِ لَوِ اتَّخَذْنَاهُ مِنَ ٱلْفَخَّارِ لَكَانَ أَدْخَلَ فِي بَابِ ٱلْفَخَارِ، فَلاَ فَخْرَ إِلاَّ بِمَا كَانَ أَجْرَى عَلَى سَنَنِ ٱلْمُصْطَفَى ٱلْمُخْتَارِ، وَلاَ خَيْرَ بِخَيْرٍ يُؤَدِّي بِمُؤْثِرِهِ إِلَى ٱلنَّارِ [فَحَذَارِ][69] عِبَادَ ٱللَّهِ مِنْ تَنَكُّبِ سُبُلِ ٱللَّهِ، وَتَعَدِّي حُدُودَ ٱللَّهِ حَذَارِ. وَيَا أَيُّهَا ٱلْمُغْتَرُّونَ بِهَذِهِ ٱلدَّارِ ٱلْعَامِلُونَ عَلَى شَاكِلَةِ ٱلتَّأْخِيرِ وَٱلإِنْظَارِ[70]، ٱلآمِلُونَ آمَالَ ٱلأَغْمَارِ[71]، وَقَدْ مَضَتْ أَطَايِبُ ٱلأَعْمَارِ، مَا عُذْرُكُمْ وَعِمَامَةُ ٱلْمَشِيبِ نَاصِعَةُ ٱلْبَيَاضِ وَعَلاَمَةُ ٱلرَّحِيلِ ظَاهِرَةُ ٱلأَعْرَاضِ، وَإِلْمَامَةُ ٱلْمَنُونِ مُتَيَقَّنَةُ ٱلإِعْتِرَاضِ، هَلْ عِنْدَكُمْ فِي ٱلْفَنَاءِ مِرْيَةٌ[72] أَوْ هَلْ وَرَاءَ عَبَّادَانِ[73] قَرْيَةٌ،

(64) غرت : من الفعل غار يغور إذا بلغ غور الشيء أي عمقه.

(65) فغرت : فتحت فمي.

(66) الطس : بمعنى الطست، الآنية.

(67) الشبه : ضرب من النحاس يلقى عليه دواء فيصفر فسمي بالشبه لشبهه بالذهب. ويطلق أيضا على نوع من الشجر.

(68) الصفر : نوع من النحاس.

(69) في الأصل مطموسة الفاء والحاء، الورقة : 135.

(70) الإنظار : التأجيل.

(71) الأغمار : جمع غمر بضم الغين : الجاهلون الذين لم تحنكهم التجارب.

(72) مرية : شك وريبة.

(73) عبادان : في جزيرة بين النهرين المنقسمين من دجلة تحت البصرة، معجم البلدان : 74/4.

عَذَرْتُكُمْ إِذْ عُذْرُكُمْ أَشَدُّ سَوَاداً مِنْ حَلَكِ ٱلْغُرَابِ أَوْ لَمْ تَفْقِدُوا فِي مَاضِي أَعْمَارِكُمْ أَحَداً مِنَ ٱلأَتْرَابِ وَأَمَّا وَٱلأَمْرُ بِخِلاَفِ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَعُدُّوا كَمْ شَاهَدْتُمْ مِنْ هَالِكٍ عِذَارُهُ أَسْوَدُ حَالِكٌ، فَمَاذَا ٱلَّذِي يَغُرُّكُمْ فِي ٱلإِهْمَالِ، أَوْ مَاذَا ٱلَّذِي يَحْمِلُكُمْ عَلَى مَدِّ ظِلاَلِ ٱلآمَالِ، وَقَدْ ذَهَبَتِ ٱلسِّنُونَ وَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ وَعَلَيْهِ وَسْمُ ٱلْمَنُونِ وَلَعَلَّ نُونَهُ[74] هِيَ ٱلْعَاقِبَةُ لِلاَمِ حَلَكٍ وَحَالِكٍ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَهُ أَيْضاً بِٱلنُّونِ، سَلِّمُوا ٱلأَمْرَ وَاسْتَسْلِمُوا وَاعْلَمُوا حَقِيقَةَ مَا قُلْتُ لَكُمْ وَأَعْلِمُوا وَارْتَقِبُوا وَقْعَ ٱلْقَدَرِ فَلاَ تَدْرُونَ مَتَى يَكُونُ وَلاَ يَكُنْ لَكُمْ إِلَى ٱلْفِرْقَةِ ٱلْقَدَرِيَّةِ[75] رُكُونٌ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَعُمَّ أَحَدَكُمُ ٱلْجُذَرِيُّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُرَى وَهُوَ قَدَرِيٌّ، فَإِنَّ ٱلْجَدَرِيَّ يُوشِكُ أَنْ يَبْرَأَ وَٱلْقَدَرِيَّ لاَبُدَّ أَنْ يُؤَاخَذَ عِنْدَ ٱللَّهِ بِمَا افْتَرَى وَاجْتَرَأَ، فَمَا لِعِلَّتِهِ إِفَاقَةٌ، وَلاَ لأَحَدٍ بِأَخْذَةِ ٱلْقَوِيِّ ٱلْعَزِيزِ طَاقَةٌ.

تَعَلَّمْتُ ٱلْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يُقْطَعَ سُرُّكَ[76]، فَلاَ يَزِغْ عَنْ حُسْنِ ٱلْقَبُولِ مِنِّي سِرُّكَ، وَلَوْ تَذْكُرُ مَنْ حَضَرَكَ يَوْمَ قُطِعَتْ سِرَرُكَ لأَجْدَى عَلَيْكَ اعْتِبَارُكَ بِفَنَائِهِمْ وَتَذَكُّرُكَ، وَكَمْ ذِي سُرَّةٍ سِوَاكَ مَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهُمُ ٱلرَّضَاعَ فَضْلاً أَنْ يَبْلُغَ ٱلاِحْتِنَاكَ[77]، سَيْفُ ٱلْمَنَايَا ضَارِبٌ أَمَامَكَ وَخَلْفَكَ فَكَيْفَ تَأْمَنُ حَتْفَكَ، وَلاَبُدَّ يَوْماً مِنْ وَقْعِ ذَلِكَ ٱلسَّيْفِ حُكْماً لِرَبِّكَ لَيْسَ بِٱلْحَيْفِ، تَاللَّهِ يَبْقَى عَلَى ٱلأَرْضِ مُتَنَفِّسٌ[78]، وَمَا يَسُرُّنِي بِمَا أَعْلَمُ مِنْ هَذَا ٱلأَمْرِ مُنْفِسٌ[79] رَجَاءَ أَنْ آمَنَ بِٱلْعِلْمِ غَائِلَةَ ٱلْغُرُورِ، فَلاَ أُسَرُّ بِمَا لاَ نِسْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلسُّرُورِ، وَمَا سُرُورِي بِعِلْقٍ

---

(74) نون : ويقصد حرف النون لأنه يقال حلك الغرب وحنك الغراب وهو أسود حالك وحانك. الفصيح : 317، التلويح : 88، التصريح، الورقة : 85.

(75) القدرية : بفتح الدال هم الذين ينكرون أن الله قدر على عباده الطاعات والمعاصي والأعمال، ويعتقدون أنهم هم الذين قدروها وفعلوها كما أحبوا، فأضافوا القدر إلى أنفسهم فنسبوا إليه.

(76) سرك : بضم السين والراء المضعفة : ما تقطعه المولدة من الحبل السري، وكذلك سررك بكسر السين وفتح الراء. والسرة بضم السين المضعفة وفتح الراء ما يبقى في بطن الوليد.

(77) الاحتناك : من حنكته التجارب إذا هذبته.

(78) متنفس : كل ما فيه نفس.

(79) منفس : مال كثير.

نَفِيسٍ[80] مَعَ عِلْمِي أَنْ لاَ بَقَاءَ لِمَنْفُوسٍ[81] أَوْ مَا ارْتِيَاحِي لِمُفْرَحٍ وَكُلُّ مَفْرُوحٍ بِهِ بَيْنَ غَادٍ وَمُتَرَوِّحٍ، ٱلْمَاءُ ٱلْعَذْبُ مَتَى ذَكَرْتَ هَذَا شِرِّيبٌ[82]، هَلْ بَقِيَ لَكَ فِي حَالِ دُنْيَاكَ شَكٌّ مُرِيبٌ وَقَدْ كَانَ يُقْنِعُنَا وَيَنْقَعُنَا[83] ٱلشَّرُوبُ، لَوْ لَمْ يَغُلَّ[84] شُرُوقَنَا ٱلْغُرُوبُ. كَمْ ذَاهِلٍ عَنْ هَذِهِ ٱلْغَايَةِ ٱلَّتِي حَقُّ ٱللَّبِيبِ أَنْ يَحْذَرَهَا، يَأْكُلُ خِلَلَهُ[85] مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْذَرَهَا[86]، وَلَوْ أَنَّهُ عَلِيمٌ لَرَأَى أَنَّ ٱلَّذِي يَأْكُلُ خُلاَلَتَهُ لَئِيمٌ، وَقَدْ أَمْلَيْتُ ٱلْكِتَابَ وَمَنْ لِي أَنْ أُمْلِيَ ٱلصَّوَابَ أَمْلَلْتُ[87] فَهَلْ أَخْلَلْتُ وَلاَ نُكْرَ حِينَ أَمِلُّ أَنْ أَكُونَ أُخِلُّ وَلَيْتَ ٱلْخَطَأَ مِنِّي يَقِلُّ، وَإِنِّي لأَكْتُبُ أَحْيَاناً فَأُسْقِطُ، وَلاَ تَعْدَمُ ٱلسَّقْطَةُ مَنْ يَنْتَقِدُ، كَمَا لاَ تَعْدَمُ ٱلسَّاقِطَةُ مَنْ يَلْتَقِطُ، وَأَعُوذُ بِٱللَّهِ بَعْدُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ﴿ٱلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[88].

---

(80) نفيس : غال.

(81) منفوس : مولود.

(82) شريب : وشروب بمعنى واحد.

(83) ينقعنا : يروينا.

(84) يغل : يعطي غلة.

(85) خلله : وخلالته وهي ما يخرج من بين أسنانه إذا تخلل.

(86) يقذرها : يجدها قذرة.

(87) أمللت وأمليت لغتان جيدتان جاء بهما القرآن في قوله تعالى في الآية 5 من سورة الفرقان : ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾. والشاهد الثاني في قوله تعالى في الآية 282 من سورة البقرة : ﴿وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِٱلْعَدْلِ﴾.

(88) الآية 78 من سورة البقرة.

30 ـــ بَابُ حُرُوفٍ مُنْفَرِدَةٍ

إِنَّمَا ٱلنَّاسُ لِلْمَنَايَا نُهبٌ، وَلَيْسَ لِحَيٍّ عَنِ ٱلْمَوْتِ مَذْهَبٌ، إِنَّهُ لاَبُدَّ آخِذٌ مِنْكَ نُهْبَتَهُ، فَهَلْ أَخَذْتَ لِذَلِكَ ٱلأَمْرِ أُهْبَتَهُ، وَادِّخَارُ صَالِحِ ٱلأَعْمَالِ مِنْ خَيْرِ مَا يُعَدُّ لِلْمَآلِ، فَإِنْ أَبَيْتَ يَا هَذَا أَنْ تَدَّخِرَ فَأَبْعَدَ ٱللَّهُ ٱلأَخِرَ[1]، ٱلْجَوُّ مُنْتِنٌ بِدَفَرٍ مَا تَأْتِيهِ فَمَا هَذَا ٱلإِيعَادُ فِي بَيْدَاءِ ٱلتِّيهِ، إِحْذَرْ أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ كَحَلْقَةِ ٱلْحَدِيدِ لاَ يُذِيبُهَا إِلاَّ ٱلنَّارُ، وَاحْضُرْ حَلْقَةَ ٱلذِّكْرِ فَرُبَّمَا أَلاَنَ ٱلْقُلُوبَ ٱلْقَاسِيَةَ ٱلتَّذْكَارُ، وَتَرَدَّدْ عَلَى ٱلْمَقَابِرِ زَائِراً فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ ٱلآخِرَةَ، وَانْظُرْ يَمْنَةً وَشَأْمَةً[2] هَلْ تَسْمَعُ رِكْزاً[3] أَوْ نَأْمَةً[4] لِتِلْكَ ٱلْعِظَامِ ٱلنَّاخِرَةِ، فَإِنْ وَجَدْتَ ٱلْقَسَاوَةَ بَعْدَ ٱلتَّرَدُّدِ بَاقِيَةً فَأَيْقِنْ أَنَّ دِرْهَمَكَ بَهْرَجٌ[5]، وَأَشْفِقْ مِنْ أَنْ لَيْسَ لِلْخَيْرِ عَلَيْكَ مُعَرَّجٌ، وَذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاكَ، وَإِهْمَالُكَ رَوَاحَكَ وَمَغْدَاكَ، تَرْفِضُ مُهِمَّ أَمْرِكَ وَتَقْطَعُ فِي غَيْرِ طَائِلٍ مَسَافَةَ عُمْرِكَ، فَوَيْلٌ لَكَ مِنْ هِمَّةٍ عَلَيْكَ جَانِيَةٍ مُقْتَصِرَةٍ عَلَى مَثَلٍ: إِنَّ ٱلثَّوْبَ سَبْعٌ فِي ثَمَانِيَةٍ[6] تَنْظُرُ هَلْ يَتَأَتَّى مِنْهُ لِظَعِينَتِكَ دِرْعٌ كَاسٍ يُجَمِّلُهَا فِي خِلْعٍ وَلِبَاسٍ، وَدِرْعُ ٱلْحَدِيدِ ٱلْمُعَدَّةِ عِنْدَكَ لِيَوْمِ بَأْسٍ مَا عَلَيْكَ فِي إِهْمَالِهَا مِنْ بَأْسٍ وَأَهَمُّ

---

(1) الأَخِر : بفتح الهمزة وَقصرها مع كسر الخاء : كلمة تقال عند حكاية قول أحد المتلاعنين للآخر أبعده الله.

(2) شأمة : من اليد الشؤمى وهي اليسار، ويكنة وشأمة تعني يمينا وشمالا.

(3) رِكزا : بكسر الراء : الصوت الخفي.

(4) نأمة : الصوت.

(5) بهرج : رديء.

(6) إن الثوب سبع في ثمانية : يعني أن طول الثوب سبع أذرع ـــ لأن الذراع مؤنث ـــ وعرضه ثمانية أشبار، لأن الشبر مذكر.

مِنْ ذَلِكَ ٱلْجُنَّةُ[7] ٱلحصِينَةُ مِنَ ٱلأَعْمَالِ، لاَ تَخْطِرُ لَكَ بِبَالٍ وَتَقُولُ لاَهِياً عِنْدِي زَوْجَانِ مِنَ ٱلْحَمَامِ وَلاَ تُفكِّرُ فِيمَا تَرْتَقِبُهُ مِنْ [جَائِي][8] ٱلْحِمَامِ، فَمَذَا وَيْحَكَ تَنْتَظِرُ أَمْ بِأَيِّ عُذْرٍ تَعْتَذِرُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ٱلْعَجْزَ لاَ يَقُودُ خَيْراً وَلاَ يَذُودُ ضَيْراً، لَوْ جَثَمَتْ بِوَكْرِهَا ٱلْقَارِيَةُ[9] لأَوْشَكَ أَنْ تَمُوتَ سَغَباً[10]، وَلَوْ لَمْ تَسِرْ طَائِرَةً لَمَا تَيَمَّنَتِ ٱلْعَرَبُ بِٱلْقَوَارِي إِذَا اسْتَقْبَلَتْ مَذْهَبَهَا، لاَ يَبْقَى أَحَدٌ عَلَى حَالٍ، أَيْنَ ٱلْمُسَوِّدَةُ[11] وَٱلْمُبَيِّضَةُ[12] جَدَّ بِهِمْ مَعَ ٱلْمُحَمِّرَةِ[13] جِدُّ ٱلتَّرْحَالِ، مَضَى عَامٌ أَوَّلُ وَجَاءَكَ ثَانٍ فَعَلاَمَ ٱلْمُعَوَّلُ، وَمَنْ لَكَ عَاماً قَائِلاً أَنْ يَكُونَ عَامَ ٱلأَوَّلِ قَائِلاً، نِعْمَ ٱلْمَكَانُ ٱلْمُعَسْكَرُ إِنْ تُجُنِّبَ فِيهِ مَا يُنْكَرُ، فَإِذَا كُنْتَ فِيهِ فَوَفِّ ٱلْجِهَادَ حَقَّهُ فَلاَ جِهَادَ لِمَنْ لاَ يُوَفِّيهِ، وَاجْهَدْ أَبداً أَنْ تَشْكُرَ ٱلْمَعْرُوفَ لأَهْلِيهِ، وَلاَ تَكُنْ لِشُكْرِ ٱلْمُنْعِمِ ذَا مَلَّةٍ[14] وَلَوْ لَمْ يُطْعِمْكَ إِلاَّ خُبْزَ مَلَّةٍ[15]، فَمَا أَوْلاَكَ قَلِيلاً مَنْ أَطْعَمَكَ عَلَى سَغَبٍ خُبْزَةً مَلِيلاً، وَتَعَوَّذْ بِٱللَّهِ مِنْ سُوءِ أَثَرِ ٱلْخُلَّةِ وَاعْلَمْ أَنَّهَا تُسِفُّ حَامِلَهَا مِثْلَ ٱلْمَلَّةِ، وَلاَ تُبَالِ بِمَا يَقُولُ ذُو ٱلإِحَنِ فَٱلْحُرُّ بِٱلأَرْذَالِ مُمْتَحَنٌ، قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ[16] آدَرُ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا، وَكَمِ افْتَرَى

---

(7) الجُنة : بضم الجيم : ما وارى الشخص من السلاح، وتطلق في معناها العام على السترة.

(8) في الأصل (جاي]، الورقة : 136.

(9) القارية : بتخفيف الراء والياء طائر قصير الرجل طويل المنقار أخضر الظهر، والعرب تتيمن به وتتشاءم، فالأول قول النابغة :

فَلاَزَالَ يَسْقِيهَا وَيَسْقِي بِلاَدَهَا ... مِنَ ٱلْمُزْنِ رَجَّافٌ يَسُوقُ ٱلْقَوَارِيَا

وأما تشاؤمهم بها فمن قول الشاعر :

أَمِنْ تَرْجِيعِ قَارِيَةٍ رَمَيْتُمْ ... سَبَايَاكُمْ وَأُبْتُمْ بِٱلْعَنَاقِ

(10) سغبا : جوعا.

(11)(12)(13) المسودة والمبيضة والمحمرة هم الذين يرتدون هذه الألوان من الأمراء والجند وأعوان الشرطة، وقيل هم المحاربون يتخذون هذه الألوان شعارا لهم وعلامة مميزة.

(14) ملة : اسم مرة من الفعل مل بمعنى سئم.

(15) خبز ملة : الملة هي الرماد والتراب الحار، وخبز ملة خبز طبخ على هذا الرماد الحار ويقال له أيضا مليلا.

(16) آدر : صفة للرجل يكون عظيم الخصية. وقد أشار أبو الربيع إلى ما ورد في الحديث : «إن=

ٱلْمُبْطِلُونَ عَلَى أَنْبِيَاءِ ٱللَّهِ وَأَحَالُوا، فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ، وَمَا يَنْبَغِي لِلَّبِيبِ أَنْ يُبَالِي بِٱلْأَغْبِيَاءِ، إِنَّ قَازُوزَةَ[17] ٱلشَّرَابِ وَإِنْ تَكَفَّلَتْ بِعَاجِلِ ٱلْإِطْرَابِ فَعَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرٌ، وَسَبِيلُ مُدْمِنِهَا عُدْمٌ وَعُسْرٌ، فَحَذَارِ مِنْ تِلْكَ ٱلطَّرِيقِ وَاعْتَبِرْ بِمَا جَنَتِ ٱلْقَاقُوزَةُ عَلَى ٱلْقَائِلِ مِنْ أُولَئِكَ ٱلْفَرِيقِ :

أَفْنَى تِلَادِي وَمَا جَمَّعْتُ مِنْ نَشَبٍ ... قَرْعُ ٱلْقَوَاقِيزِ أَفْوَاهَ ٱلْأَبَارِيقِ[18]

[البسيط]

هَذِهِ جِنَايَتُهَا فِي ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْمَالِ، فَكَيْفَ غَايَتُهَا فِي ٱلْمَآلِ وَكِلَا ٱلْأَمْرَيْنِ شَدِيدٌ، وَلَكِنْ بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ، لَا تَنْظُرْ إِلَى أَخِيكَ ٱلْمُسْلِمِ بِمُؤَخَّرِ عَيْنِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ دَوَاعِي شَيْنِكَ، إِنَّمَا هُوَ أَخُوكَ حَقُّهُ وَاجِبٌ عَلَيْكَ فَانْظُرْ إِلَيْهِ بِٱلْعَيْنِ ٱلَّتِي تُحِبُّ أَنْ يَنْظُرَ بِهَا إِلَيْكَ، آثِرِ ٱلْعَاطِشَ بِجَرْعَةِ ٱلْمَاءِ فَإِنَّ ٱلْأَجْرَ عَظِيمٌ فِي إِرْوَاءِ ٱلظَّمَاءِ، فَبَادِرْ بِهَا إِلَيْهِ بِسُرْعَةٍ وَلَوْ لَمْ تَمْلِكْ غَيْرَ تِلْكَ ٱلْجَرْعَةِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ ٱلْحُبُّ[19] مَلْآنَ مَاءً وَٱلْجَرَّةُ مَلْأَى فَاحْذَرْ أَنْ تَمْنَعَهُ[20] فَإِنَّ ذَلِكَ أَبْعَدُ لَكَ

= بني إسرائيل كانوا يقولون إن موسى آدر من أجل أنه كان لا يغتسل إلا وحده». وقد برأه الله تعالى في قوله الآية 69 من سورة الأحزاب : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها﴾.

(17) قازوزة : ويقال لها أيضا القاقوزة : وهي إناء لشرب الخمر.

(18) البيت للأقيشر الأسدي وهو المغيرة بن الأسود بن وهب، أحد بني أسد بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر. شاعر إسلامي كنيته : أبو معرض. أما الاقيشر فلقب غلب عليه، كان صاحب شراب وتتمة البيت :

كَأَنَّهُنَّ وَأَيْدِي ٱلْقَوْمِ مُعْمِلَةٌ ... إِذَا تَلَأْلَأْنَ فِي أَيْدِي ٱلْغَرَانِيقِ

بَنَاتُ مَاءٍ مَعاً بِيضٌ جَنَاجِنُهَا ... حُمْرٌ مَنَاقِرُهَا صُفْرُ ٱلْحَمَالِيقِ

هِيَّ ٱللَّذَاذَةُ مَا لَمْ تَأْتِ مَنْقَصَةً ... أَوْ تَرْمِ فِيهَا بِسَهْمِ ٱلسَّاقِطِ ٱلْفُوقِ

الشعر والشعراء، ص 465، وفي **إصلاح المنطق** غير منسوب، ص 338، وفي **شواهد المغني** : 936 روى أفواه بالرفع على أنها فاعل للمصدر مع التمكن من النصب على المفعولية. انظر أيضا **أوضح المسالك**، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد : 244/2، **والتصريح** للتدميري، الورقة : 89.

(19) الحُب : بضم الحاء : الجرة العظيمة. ووردت الكلمة في الفصيح الجب بالجيم وكذا في التلويح، ص 92. أما في التصريح للتدميري فهي بالحاء، الورقة : 89. وكذا في شرح ابن هشام بالحاء، ص 111.

(20) هكذا وردت في المخطوط بالسكون فوق العين وَكَتَبَ الناسخ فوقها كذا، الورقة : 136.

عَنِ ٱللَّهِ وَأَنْأَى، وَإِذَا كَانَ فَضْلُ ٱلْمَاءِ مَحْظُوراً مَنْعُهُ لِتَمْنَعَ بِهِ ٱلْكَلأَ فَكَيْفَ تَرَاهُ يَكُونُ إِذْ تُرْوِي بِهِ ٱلظَّمَاءَ، فَاغْتَنِمْ فُرَصَ ٱلإِمْكَانِ، فَمَا كُلَّ حِينٍ تَجِدُ ٱلسَّبِيلَ إِلَى [ٱلإِحْسَانِ][21] وَنَوَائِبُ ٱلأَيَّامِ عَلَى ذِي ٱلْمَقْدِرَةِ أَعْدَى[22] مِنَ ٱلصَّوْلَجَانِ عَلَى ٱلْكُرَةِ يَضْرِبُهَا فَلاَ يَتْرُكُ وَيُنَزِّيهَا فَلاَ تَسْتَمْسِكُ، كَذَلِكَ عَوَارِضُ ٱلأَقْدَارِ إِذَا أَرْسَلَهَا ٱللَّهُ عَلَى ذِي ٱلْمَقْدُرَةِ أَوْ ذِي ٱلْمِقْدَارِ تَرَكَتْهُ كَأَنْ لَيْسَ إِنْسَاناً وَلَمْ تَدَعْ لَهُ مِعْوَزاً[23] وَلاَ طَيْلَسَاناً[24] وَرُبَّمَا اِضْطَرَّهُ أَثَرُ حَرْبِهَا ٱلزَّبُونِ[25] وَرَحَاهَا ٱلطَّحُونِ مِنْ صَالِحَةِ ٱلْمَغْرِبِ إِلَى ٱلسَّيْلَحُونِ[26] إِنَّ لِلَّهِ فِي خَلِيقَتِهِ أَسْبَاباً عَجِيبَةَ ٱلتَّأْثِيرِ، أَوَ لَمْ تَرَ ٱلتُّوتَ مَادَّةً لِلْحَرِيرِ، فَسُبْحَانَ مَنْ كَسَا فِي ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْوَرَقِ نَفِيسَ ٱلسُّنْدُسِ وَٱلإِسْتَبْرَقِ إِنَّ رَبَّنَا لَحَكِيمٌ قَدِيرٌ، جَهِلَ ٱلنَّاسُ أَنْ قَدْ أُحْكِمَ ٱلْمَقْدُورُ، فَكَرِهُوا يَوْمَ ٱلأَرْبِعَاءِ[27] وَخُصُوصاً مَا لاَ يَدُورُ، وَإِنَّمَا ٱلأَيَّامُ كُلُّهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ فَرَغَ سُبْحَانَهُ مِمَّا دَقَّ مِنَ ٱلأَقْدَارِ وَجَلَّ فَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ، وَلاَ تَسْمَعْ كُلَّ أَقْوَالِ ٱلْقَائِلِينَ. أُسْرُ[28] عَنْ قَلْبِكَ بِٱلتَّذْكِرَةِ حِجَابَ ٱلرَّيْنِ[29] وَٱنْظُرْ كَيْفَ أَجْرَى رَبُّكَ عَلَى ٱلْبَسِيطَةِ بَحْرَيْنِ مِنْهُمَا سَاكِنٌ وَمُهْتَاجٌ، ﴿هَذَا عَذْبٌ

---

(21) الإحسان تصحيح من هامش الورقة : 136.

(22) وردت الكلمة مكررة مرتين في الأصل، الورقة : 136 : «ونوائب الأيام أعدى على ذي المقدرة أعدى من الصولجان».

(23) معوز : خرقة يلف بها الصبي، جمعها معاوز.

(24) طيلسان : ضرب من الأكسية.

(25) الزبون : الحرب الزبون التي تزبن الناس أي تصدمهم وتدفعهم.

(26) السيلحون : مدينة تقع بين الكوفة والقادسية تبعد عن بغداد بثلاثة فراسخ كان بها قوم مسلحون تابعون لكسرى، **معجم البلدان** : 298/3.

(27) في الحديث النبوي : «.. واحتجموا يوم الاثنين فإنه اليوم الذي عافى الله فيه أيوب من البلاء، وضربه بالبلاء يوم الأربعاء، فإنه لا يبدو جذام ولا برص إلا يوم الأربعاء أو ليلة الأربعاء». أنظر **سلسلة الأحاديث الصحيحة** لمحمد ناصر الدين الألباني : 404/2.

(28) أسر : فعل أمر من سرى بمعنى كشف ونزع.

(29) الرين : ما يسودّ منه القلب من الذنوب.

فُرَاتٌ [سَائِغٌ شَرَابُهُ][30] وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[31]، وَمِنْ مَطَاعِمِهِ ٱلسَّمَكُ ٱلْمَمْلُوحُ وَفِيهِ لِبَعْضِ ٱلطَّاعِمِينَ صُلُوحٌ، وَنِعْمَ غِذَاءُ ٱلصَّحِيحِ حَدِيثُ ٱلسَّمَكِ ٱلْمَلِيحِ، فَفِيهِ لِلشَّهْوَةِ تَنْبِيهٌ، وَمَا لَهُ فِي ٱلْمَطَاعِمِ شَبِيهٌ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ. قُلْ لِشَآمٍ[32] وَيَمَانٍ لَسْتُمَا مِنَ ٱلْحَوَادِثِ فِي أَمَانٍ، كَمْ لِقَوْسِ ٱلْمَنِيَّةِ مِنْ سِهَامٍ لاَ يَنْجُو مِنْهَا نَجْدِيٌّ وَلاَ تَهَامٍ[33] فَكُنْ مِنَ ٱلْفِرَاقِ عَلَى يَقِينٍ أَجَلُّكَ مَنْ فَعَلَ ٱلْخَيْرَ مِنْ أَجْلِكَ فَأَنْعِمْ لَهُ مِنْ سَجْلِكَ لَوْ لَمْ يَكُنْ بِعَيْنِ ٱلتَّجِلَّةِ يَرَاكَ لَمَا تَكَلَّفَ ٱلْخَيْرَ مِنْ جَرَّاكَ، وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ، رُبَّ مُقْبِلٍ مِنْ رَأْسِ عَيْنٍ[34] أَتَاهُ وَقَدْ عَبَرَ دِجْلَةَ مَقْدُورُ ٱلْحَيْنِ بِأَسْوَدَ[35] سَالِخٍ[36] يَسْتَتْبِعُ أَسْوَدَةً[37] أَفَاتَ نَفْسَهُ بِمَا لَمْ تَكُنْ مُتَعَوِّدَةً وَكُلُّ ذَلِكَ لاَ يَكُفُّ غُلْوَاءَ ٱلْبَاقِي وَلاَ يُبَالِي بِمَنْ أُصِيبَ إِذَا وَقَتْهُ ٱلأَوَاقِي، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ ذُهُولُهُ عَنِ ٱلأَمَدِ وَاسْتِقْصَارُهُ فِي كَنَفِ ٱلْعَافِيَةِ طَوَائِلَ ٱلْمُدَدِ وَاعْتِدَادُهُ أَيَّاماً مَا مَرَّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّنِينِ ذَوَاتِ ٱلْعَدَدِ كَأَنَّ ٱلْمَوْتَ مَا آنَ أَوْ كَأَنَّمَا قَدَّ سَيْرَهُ ٱلآنَ، فَلَوْ سُئِلْتَ أَيُّهَا ٱلذَّاهِلُ وَقَدِ اضْطَرَّتْكَ إِلَى ٱلْوِرْدِ ٱلْمَنَاهِلُ. مَتَى جَاءَكَ ٱلنَّذِيرُ وَمُنْذُ كَمْ ذَوَى غُصْنُ شَبَابِكَ ٱلنَّضِيرُ لَقُلْتَ بِمَا اسْتَوْلَى عَلَيْكَ مِنْ ذُهُولِ ٱلنَّفْسِ لَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ أَمْسِ أَوْ أَوَّلَ [مِنْ][38] أَمْسِ، فَإِذَا ضُيِّقَتْ عَلَيْكَ

(30) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 137.

(31) الآية 12 من سورة فاطر.

(32) لشآم ويمان : لرجل أو شخص من الشام ومن اليمن.

(33) نجدي : نسبة إلى نجد، وتهام نسبة إلى تهامة.

(34) رأس عين : تقدم تعريفها ص ، مدينة كبيرة ومشهورة من مدن الجزيرة. معجم البلدان : 13/3. وجاءت في الشعر معرفة بالألف واللام. قال المخبل السعدي يهجو الزبرقان ابن بدر لما أهدر دم هزّال ثم عاد فزوجه أخته خليدة :

وَأَنْكَحْتَ هَزَّالاً خُلَيْدَةَ بَعْدَمَا زَعَمْتَ بِرَأْسِ ٱلْعَيْنِ أَنَّكَ قَاتِلُهُ

التصريح للتدميري، الورقة : 95.

(35) أسود : نوع من الحيات يطلق على المذكر منها.

(36) سالخ : صفة للحية.

(37) أسودة : مؤنث أسود : ضرب من الحيات.

(38) [من] تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 137.

بِٱلإِنْكَارِ ٱلْمَسَالِكُ قُلْتَ مُذْ أَوَّلِ مِنْ أَوَّلِ مِنْ أَمْسِ وَلاَ تُجَاوِزْ[39] ذَلِكَ، هَيْهَاتَ طَابَ لَكَ ٱلْمَقِيلُ فِي ظِلِّ دَوْحَةِ ٱلْحَيَاةِ وَأَذْهَلَكَ اسْتِصْحَابُ أَحْوَالِكَ ٱلْمَاضِيَاتِ فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا أُخْرِجْتَ عَنْ ذَلِكَ ٱلْمَقِيلِ وَأُسْلِمْتَ لِحُفْرَةٍ يَؤُودُكَ وَقْعُ رَدْمِهَا ٱلثَّقِيلِ :

فَلاَ ٱلظِّلُّ مِنْ بَرْدِ ٱلضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ وَلاَ ٱلْفَيْءَ مِنْ بَرْدِ ٱلْعَشِيِّ تَذُوقُ[40]

[الطويــل]

فَكِّرْ فِي أَحْوَالِكَ وَاعْتَبِرْ أَبَداً مُسْتَعْمَلاَتِ أَقْوَالِكَ، فَإِذَا قُلْتَ لِلأَمَةِ تَشْتِمُهَا يَا لَكَاعِ[41] يَا غَدَارِ، فَاعْلَمْ أَنَّ نَفْسَكَ أَوْلَى بِٱلتَّعْنِيفِ وَٱلإِنْكَارِ، وَأَحَقُّ بِٱلْفُحْشِ عَلَيْهَا وَٱلإِهْجَارِ، وَإِذَا نَادَيْتَهَا يَا خَبَاثِ[42] يَا فَجَارِ، فَأَشْعِرْ نَفْسَكَ حُسْنَ ٱلإِنْتِهَاءِ وَٱلإِزْدِجَارِ، فَتِلْكَ خِلاَلٌ مَوْجُودَةٌ فِيكَ فَاسْتَحْيِ مِنْ أَنْ تَقُولَهَا لِغَيْرِكَ بِفِيكَ، يَا لُكَعُ يَا غُدَرُ ٱللَّهُ عَلَيْكَ أَقْدَرُ يَا فُسَقُ يَا خُبَثُ أُذْكُرْ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ ٱلضُّلُوعُ وَتَضُمُّهُ هَذِهِ ٱلْجُثَتُ إِذَا قِيلَ لَكَ أُدْنُ فَتَغَدَّ أَوْ تَعَشَّ وَشعَرْتَ فِي ٱلطَّعَامِ بِغِشٍّ فَقُلْ مَا بِي تَغَدٍّ أَوْ مَا بِي تَعَشٍّ، فَمِنَ ٱلْحَزْمِ أَنْ تَنْكُلَ وَتَقُولَ مَا بِي أَكْلٌ إِذَا أُمِرْتَ أَنْ تَأْكُلَ. كَمْ مُودٍ بِأَنْ قِيلَ لَهُ اِطْعَمْ فَطَعِمَ أَوِ اشْرَبْ، فَشَرِبَ، طَاوَعَ فِي ذَلِكَ أَجَلَهُ ٱلْمُقْتَرِبَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِمَنِيَّتِهِ قُرْبٌ لَيَسَّرَ إِلَى أَنْ يَقُولَ

---

(39) يقصد أبو الربيع أن هذا التعبير [أول من أول من أمس] يستعمل للدلالة على يومين قبل إمس ولا يتجاوز هذا الحد.

(40) البيت لحميد بن ثور الهلالي، وهو شاعر مخضرم أسلم ومات في خلافة عثمان. والبيت من قصيده مطلعها : الديوان 40

نَـأَتْ أُمُّ عَمْـرٍو فَالْفُـؤَادُ مَشُوقُ يَحِــنُّ إِلَيْهَـا وَالِهـاً وَيَتُـوقُ

والبيت موصول قبله وهو في الغزل. كنى عن المرأة بالشجرة لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى عن ذكر النساء في الشعر :

وَهَلْ أَنَا إِنْ عَلَّلْتُ نَفْسِي بِسَرْحَةٍ مِنَ ٱلسَّرْحِ مَوْجُودٌ عَلَيَّ طَرِيقُ

أَبَى ٱللَّهُ إِلاَّ أَنَّ سَرْحَةَ مَالِكٍ عَلَى كُلِّ أَفْنَانِ ٱلْعِضَاهِ تَـرُوقُ

فَلاَ ٱلظِّلُّ مِنْ بَرْدِ ٱلضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ وَلاَ ٱلْفَيْءَ مِنْ بَرْدِ ٱلْعَشِيِّ تَذُوقُ

(41) اسم مؤنث معدول في حال النداء عن اللكعاء وهي صفة للوسخ واللؤم والذل.

(42) غدار وخباث، فجار أسماء معدولة في حال النداء عن الغادرة والخبيثة والفاجرة.

مَا بِي طُعْمٌ أَوْ مَا بِي شُرْبٌ. لاَ تَغْتَرَّ بِفَسَادِ ٱلْعَمَلِ وَنَجَاحِ ٱلأَمَلِ، فَقَدْ تُسْلَكُ ٱلْمَحَجَّةُ وَٱلْعَصَا مُعْوَجَّةٌ، وَرُبَّمَا صَادَفَ صَاحِبُهَا مَغْوَاةً فَخَرَّ لِفِيهِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ نَجَاةً، وَقَدْ يَكُونُ ٱلزَّلَلُ بِقَدَرِ ٱللَّهِ مَعَ اسْتِقَامَةِ ٱلْعَصَا، وَلَكِنْ ظَنُّ مَنْ أَحْسَنَ وَأَطَاعَ أَحْسَنُ مِنْ ظَنِّ مَنْ أَسَاءَ وَعَصَا، فَقَيِّدْهَا[43] وَتَوَكَّلْ، وَانْكُلْ عَنِ ٱلْمَأْثَمِ فَلَعَلَّ ٱلأَنْجَى هُوَ ٱلأَنْكَلُ، وَأَنْتَ رَجُلٌ صَنَعُ[44] ٱلْيَدِ وَٱللِّسَانِ فَأَحْسِنِ ٱلْعَمَلَ لِلَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ تَمَامَ ٱلإِحْسَانِ، وَٱلْمَرْأَةُ ٱلصَّنَاعُ ٱلْيَدِ مَعُونَةٌ لِلْقَرِينِ عَلَى دَهْرِهِ ٱلأَنْكَدِ، وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَعَاوِنِينَ، لِيَكُنْ سَيْرُكَ[45] [مَضْفُوراً][46] لِلْمَسِيرِ، وَجِدَّ أَيُّهَا ٱلْعَافِي فَٱلْجِدُّ جُهْدُ ٱلأَسِيرِ، وَاعْمَلْ لِرَبِّكَ رَجَاءَ مَغْفِرَتِهِ فَذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ أَيَّتُهَا ٱلْمَرْأَةُ ٱلَّتِي لَهَا ضَفِيرَتَانِ، أَعَلِمْتِ أَنَّهُمَا يَوْماً مِنَ ٱلدَّهْرِ مُتَمَرِّطَتَانِ[47]، فَإِذَا ضَفَرْتِ رَأْسَكِ فَاسْتَشْعِرِي مِنْ طُولِ ٱلْبَقَاءِ يَأْسَكِ، فَيَحْسُنُ بِٱلْمُؤْمِنَةِ أَنْ تَذْكُرَ ٱلْمَوْتَ أَبَداً، وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ حَيَاتَهَا إِلَى مَدَى، وَنِعْمَ مَا أَعَدَّ ٱللَّهُ لِلذَّاكِرَاتِ وَٱلذَّاكِرِينَ. رُبَّ حَبِيبٍ لَقِيتَهُ لَقْيَةً آنَسْتَ أُنْسَكَ عِنْدَهَا وَلَمْ تَعْلَمْ أَنْ لاَ لِقَاءَةَ بَعْدَهَا، وَهِيَ ٱلْمَنَايَا لاَ تُخْلِفُ وَعْدَهَا، وَٱلدُّنْيَا خُصَّتْ بِٱلْغَدْرِ وَحْدَهَا :

لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَكُلُّ ٱلَّذِي دُونَ ٱلْمَمَاتِ قَلِيلُ
وَإِنَّ افْتِقَادِي وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لاَ يَدُومَ خَلِيلُ[48]

[الطويـل]

---

(43) حديث نبوي، الترمذي : 60.

(44) صنع اليد : ماهرها وحاذقها.

(45) سيرك : السير : الشراك.

(46) في الأصل [مصفورا] بصاد، الورقة : 138، والتصويب من الفصيح : 320، والتصريح، الورقة : 93.

(47) متمرطتان : من الفعل تمرط شعره إذا تحات وسقط.

(48) البيتان لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه في رثاء زوجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ والبيتان موصولان قبلهما :

أَرَى عِلَلَ ٱلدُّنْيَا عَلَيَّ كَثِيرَة وَصَاحِبُهَا حَتَّى ٱلْمَمَاتِ عَلِيلُ

انظر **ديوان الإمام علي**، ص 243، وانظر **الامتاع والانتفاع** لابن الدراج السبتي، ص 52، تحقيق : د. محمد بنشقرون.

نِعْمَتِ الْعُدة لِلْمُنْقَلِبَ الصَّدَقَةُ وَلَوْ بِحَبَّةِ الْعِنَبِ، تَقُولُ عَائِشَةُ الصِّدِّيقَةُ البَرَّةُ، كَمْ تَرَيْنَ فِيهَا مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، وَإِذَا كَثُرَتِ الاجْزَاءُ وَصَحِبَ ٱلصَّدَقَةَ مِنْ حُسْنِ ٱلنِّيَّةِ مَا يَحْصُلُ بِهِ ٱلإِجْزَاءُ عَظُمَ بِحَسَبِ ذَلِكَ ٱلْجَزَاءُ. إِنَّ أَبَا ٱلدَّحْدَاحِ[49] لَمَّا كَمُلَ إِيمَانُهُ وَتَمَكَّنَ تَحْتَ حَائِطِ ٱلإِسْلاَمِ مَكَانُهُ، وَسَمِعَ قَوْلَ ٱللَّهِ ٱلَّذِي ضَمَّنَهُ تَنْزِيلَهُ ﴿مَنْ ذَا ٱلَّذِي يَقْرِضُ ٱللَّهَ [قَرْضاً][50] حَسَناً فَيُضَاعِفُهُ لَهُ﴾[51]. هَجَرَ فِي مَرْضَاةِ مَوْلاَهُ ٱلْعَيْنَ[52] وَٱلْعَرْضَ[53]، وَاحْتَقَرَ فِي جَنْبِ مَا تَقَاضَاهُ ٱلنَّخْلَ وَٱلأَرْضَ، وَقَالَ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ أَوَ أَنَّ رَبَّنَا يُحِبُّ مِنَّا ٱلْقَرْضَ، ثُمَّ تَصَدَّقَ لِلَّهِ بِحَائِطٍ فِيهِ سِتُّ مِائَةِ نَخْلَةٍ قَدِ اكْتَمَلْنَ فِي ٱلصَّلاَحِ، فَأَسْمَعَهُ دَاعِي ٱلْمُجَازَاةِ مِنَ ٱلْكَرِيمِ ٱلْفَتَّاحِ عَلَى لِسَانِ خَيْرِ مَنْ وَلَدَتْهُ قُرَيْشُ ٱلْبِطَاحِ، «كَمْ عِذْقٍ مُذَلَّلٍ فِي ٱلْجَنَّةِ لأَبِي ٱلدَّحْدَاحِ»[54] وَزَادَهُ فِي ٱلإِحْسَانِ أَمَلاً أَنَّا ﴿لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[55] لِيَحْذَرِ ٱلْعَزَبُ قُرْبَ ٱلْعَزَبَةِ فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ طَوِيلُ ٱلْعَذَبَةِ[56] يَعْمَلُ بِكِلْتَيْ يَدَيْهِ، وَكُلُّ ٱلشَّرِّ حَاضِرٌ لَدَيْهِ، فَكَأَنَّهُ أَعْسَرُ[57] يَسَرُ إِلاَّ أَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يُيَسِّرْهُ

---

(49) أبو الدحداح : رجل من الصحابة توفي في حياة رسول الله ﷺ، ويقال له أبو الدحداحة وابن الدحداح في صحيح مسلم : وأبو الدحداح هو الذي اشترى نخلة لأبي لبابة فخاصمه من أجلها غلام يتيم فقال النبي ﷺ لأبي لبابة اعطه إياها ولك بها عذق في الجنة فأبى أبو لبابة فسمع بذلك أبو الدحداح فاشتراها من أبي لبابة بحديقة له ثم قال للنبي ﷺ أيكون لي بها عذق في الجنة إن أعطيتها لليتيم قال : نعم. فأعطاها اليتيم. فلما توفي أبو الدحداح وصلى عليه الرسول وهو عائد من جنازته قال : «كم عذق معلق أو مدلى لابن الدحداح أو قال شعبة لأبي الدحداح». **صحيح مسلم** : 61/3.

(50) تصحيح فوق السطر، الورقة : 138.

(51) الآية 11 من سورة الحديد.

(52) العين : انظر ص 36.

(53) العرض : انظر ص 36.

(54) حديث نبوي شريف، انظر **صحيح مسلم** : 61/3.

(55) سورة الكهف، الآية : 30.

(56) العذبة : طرف اللسان الأمامي.

(57) أعسر يسر : الذي يعمل بيديه جميعا.

لِلْيُسْرَى[58] فِي مَا يَسَّرَ، أَشْعَرْتَ لِرَيْطَةَ[59] ٱلْكَعَابِ إِنَّهَا بِمَنْزِلَةِ ٱلرَّيْطَةِ[60] مِنَ ٱلثِّيَابِ كِلْتَاهُمَا لاَ تَبْقَى عَلَى [ٱلأَحْقَابِ][61] فَٱلْعَاقِلُ مِنْهُمَا يَذْهَبُ كَهْلاً أَوْ يَفَنًا[62]، وَرُبَّمَا كَانَتِ ٱلثَّانِيَةُ لِلأُولَى كَفَناً، فَاشْتَرَكَتَا فِي ٱلْفَنَاءِ وَخَلَتْ مِنْهُمَا سَاحَةُ ٱلْفِنَاءِ، يَأْتِي مِنْ أَمْرِ رَبِّكَ عَلَى ٱلْمِرْطِ[63] نَحْوُ ٱلَّذِي يَأْتِي عَلَى رَبَّةِ ٱلْقُرْطِ[64]، وَمَا غَنَاءُ ٱلْقِرَطَةِ عَلَى ٱلْمُقَرَّطَةِ حَيَاتُهَا لاَبُدَّ حَائِلَةٌ وَمَا لِلْمَوْتِ مِنْ عُقَابِ ٱلْقُرْطِ غَائِلَةٌ، أَمَا وَٱللَّهِ لَوْ كَانَتْ فِي جُحْرٍ أَوْ بَحْرٍ لَغَاضَ ٱلْعُبَابَ وَخَرَقَ ٱلتُّرَابَ حَتَّى يَفْجَعَ بِهَا ٱلأَتْرَابَ، وَيَنْفِذَ أَمْرَ ٱللَّهِ لاَ تَرَدُّدَ وَلاَ ارْتِيَابَ، وَلَوْ أَنْجَى مِنَ ٱلْمَوْتِ جُحْرٌ لاَتَّخِذَتِ ٱلأَرْضُ [كُلُّهَا][65] جِحَرَةً[66] أَوْ لَوْ دَفَعَ عَادِيَتَهُ بَحْرٌ لَسُعِيَ[67] بِٱلصَّنْعَةِ فِي أَنْ تَكُونَ ٱلْبَسِيطَةُ كُلُّهَا مُسْتَبْحَرَةً، وَلَكِنَّهُ أَمْرُ ٱللَّهِ لاَ مَرَدَّ لَهُ وَٱلدُّنْيَا مُدَالَةٌ مِنْ سَاكِنِيهَا مُبَدَّلَةٌ، ذَلِكَ دَأْبُهَا إِلَى يَوْمِ ٱلْعَرْضِ وَشَأْنُهَا حَتَّى يُبَدِّلَ ٱللَّهُ أَرْضَهَا غَيْرَ ٱلأَرْضِ، وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً. أَعِدَّ لِلأَعْدَاءِ حَدَّ ٱلسِّلاَحِ، وَاجْعَلِ ٱلْجُرْزَ[68] فِي عِدَادِ ٱلسُّيُوفِ وَٱلرِّمَاحِ [فَمَقَامُ ٱلْجِرْزَةِ مَحْمُودٌ[69] وَقَدْ تُجْدِي حَيْثُ][70] لاَ يُجْدِي ٱلرُّمْحُ وَهُوَ مَوْجُودٌ، وَأَعْقِدْ نِيَّتَكَ عَلَى أَنَّ مَا تَفْعَلُهُ

---

(58) اقتباس من الآية 8 من سورة الأعلى.

(59) ريطة : اسم علم للمرأة والكعاب صفة لها.

(60) الريطة من الثياب : كلا ملاءة واسعة.

(61) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 138.

(62) اليفن : الشيخ الكبير.

(63) المرط : بكسر الميم وسكون الراء : كساء من خز أو كتان.

(64) القرط : الحلية التي تضعها المرأة في أذنها وربة القرط كناية عن المرأة، جمعها قرطة بكسر القاف وفتح الراء والطاء.

(65) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 138.

(66) حجرة : جمع جحر.

(67) لسغي في الأصل بغين، الورقة : 138.

(68) الجرز : نوع من الأسلحة عبارة عن عمود من حديد أو عصا في رأسها حديدة كالدبوس.

(69) غير واضحة في الكتاب وهي تكملة تستقيم بها الجملة، الورقة : 139.

(70) الجملة استدركها الناسخ فكتبها في طرة الكتاب فوق السطر الورقة : 139.

مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ لِلَّهِ خَالِصٌ وَظِلُّ ذُلِّ ٱلرِّيَاءِ عَنْهُ قَالِصٌ، وَتَقَيَّدْ بِحَقَائِقِ ٱلدِّينِ فَنِعْمَ ٱلْقَيْدُ وَأَظْهِرْ شَعَائِرَهُ فَبِهَا يَهِنُ مِنَ ٱلْعَدُوِّ ٱلْكَيْدُ، وَفِي ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ آيَاتٌ يَزْدَادُ بِاحْتِسَابِ ٱلسَّعْيِ لِمُشَاهَدَتِهَا ٱلإِيمَانُ وَتَقْوَى ٱلْمُنَّةُ[71] مِنَ ٱلتَّقْوَى وَٱلأَيْدُ[72]، وَلَنْ يَزَالَ ٱلنَّاسُ مِنْهُ بِخَيْرٍ مَا غَصَّتْ بِٱلْحُجَّاجِ فَيْدٌ[73]، وَلِلإِسْلاَمِ دَعَائِمٌ مَا أَقَامَهَا ٱلنَّاسُ فَٱلدِّينُ قَائِمٌ، وَلاَتَزَالُ ٱلصَّحَارِي خِصْباً فِي حُكْمِ ٱلرِّيفِ مَا عَمِلُوا بِٱلْمَعْرُوفِ، وَإِذَا جَاهَرُوا بِٱلْمُنْكَرِ اِسْتَقْبَلَهُمُ ٱلزَّمَنُ بِوَجْهِهِ ٱلْمُتَنَكِّرِ فَتُصْبِحُ أَحْوَالُ ٱلْخَيْرِ حَائِلَةً، وَتُرَى لَبُونُ ٱلْقَوْمِ أَمْسِ وَهِيَ ٱلْيَوْمَ شَائِلَةٌ[74] وَبِيَدِ ٱللَّهِ زِمَامُ ٱلْقُوَّةِ وَٱلْحَوْلِ، وَهُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَى أَنْ يُدِرَّ بِٱلرِّسْلِ ٱلْغَزِيرِ أَخْلاَفَ ٱلشَّوْلِ[75]، وَإِذَا رَأَيْتَ نِيَاقَكَ بِأَذْنَابِهَا شُوَّلاً[76] فَارْتَقِبْ أَنْ تُنْتِجَ كُلُّ شَائِلٍ نَاقَةً أَوْ جَمَلاً، وَٱللَّهُ يَقِي سَرْحَ مَالِكَ أَفْذَاذاً[77] أَوْ جُمَلاً، مِنْ أَنْ تَكُونَ فِيهِ لِلسَّبُعِ أَكِيلَةٌ أَوْ تُصْبِحَ أَكُولَةَ ٱلرَّاعِي وَهِيَ نَبِيلَةٌ، إِذْ تَنَاهَتْ بَقَرَتُكَ سِمَناً لَمْ تَعْدَمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ ٱلسَّمْنِ مَنَّاً[78]، وَإِذَا بَارَكَ عَلَيْهَا رَبُّكَ فَمَا ٱلْمَنَوَانِ[79] وَٱلأَمْنَاءِ حَسْبُكَ قَصُّ[80] ٱلشَّاةِ إِذَا نَشَرَ ٱلْخِصْبُ رِينَتَهُ[81] خَيْرٌ مِنْ جَمِيعِهَا إِذَا حَجَّرَ ٱلْجَدْبُ طِينَتَهُ، وَمَا تَفِي لِسَانُ ٱلْقَصَصِ بِجُزْءٍ مِنْ أَثَرِ رَحْمَةِ ٱللَّهِ زَمَانَ ٱلْخِصْبِ فِي ٱلْقَصَصِ، أُبْذُلْ

---

(71) المنة بضم الميم : القوة وخصت بها قوة القلب.

(72) الأيد : القوة وجمعها الآد.

(73) فيد : قرية في منتصف الطريق بين الكوفة ومكة في طريق الحجاج، **معجم البلدان** : 228/4.

(74) شائلة : صفة للناقة إذا ارتفع لبنها أي قل وجف ضرعها.

(75) الشول : جمع شائلة.

(76) شولا : مفردها شائل : صفة للناقة إذا رفعت ذنبها تري الفحل أنها لاقح.

(77) أفذاذا : مفردها فذ بمعنى فرادى، وجملا بمعنى جماعات.

(78) منا : عطاء، ويقصد به الكيل أيضا وهو رطلان.

(79) الأمناء : جمع مفرده مَناً مُخفف النون مقصور والمثنى منوان وهو وحدة لقياس الكيل.

(80) قص الشاة : رأسها وصدرها.

(81) رينته : غطاؤه.

صَقْرَ[82] ٱلنَّخْلَةِ لِزَائِرِكَ وَاحْذَرْ صَقْرَ ٱلْجَوِّ عَلَى طَوَائِرِكَ، وَأَنَّ تَفْرِيقَ مَالِكَ بَيْنَ ٱلصَّدَقَةِ وَٱلصَّدِيقِ لأَجْدَى عَلَى آمَالِكَ مِنِ احْتِجَانِهِ[83] فِي ٱلصُّنْدُوقِ، هَلْ يَرُدُّ عَنْكَ كَنْزُكَ مَنِيَّةً أَوْ تَنَالُ بِهِ وَقَدْ مَنَعْتَ مِنْهُ ٱلْحُقُوقَ حَالاً سَنِيَّةً لَقَدْ حَكَّ[84] مِنَ ٱلأَمْرِ فِي صَدْرِي أَنِّي كُلَّ يَوْمٍ يُذْهَبُ بِي وَمَا أَدْرِي فَمَا لِي أَشُحُّ مَعَ هَذَا بِمَالِي وَمَا شَأْنِي أَبْخَلُ وَلاَ أَبْذُلُ مَجْهُودِي مَتَى مَرَرْتُ عَلَى رَجُلٍ يَسْأَلُ[85]، وَقَدْ أَوْرَثَنِي ٱلْكِتَابُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْيَقِينَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ، وَهَلاَّ أَصْلَحْتُ دَائِباً ٱلْقَلْبَ خَيْراً مِنْ أَنْ أَكُونَ أَشْلَيْتُ[86] ٱلْكَلْبَ، أَمَا هَذَا مِنَ ٱلْعَبَثِ، وَلَوْ كُنْتُ أَسَدْتُهُ[87] عَلَى ٱلصَّيْدِ لَكَانَ أَبْعَدَ مِنَ ٱلْعَمَلِ ٱلْمُسْتَخْبَثِ، وَلَعَلِّي إِنْ أَوْسَدْتُهُ[88] بِنِيَّةِ أَنْ أُشْبِعَ جَائِعاً أَوْ يَكُونَ ذَلِكَ لِي عِنْدَ ٱللَّهِ نَافِعاً. يَا عَجَباً لَكَ يَوْمَ يَصْدُرُ ٱلْقَبِيحُ عَنْكَ فَتَتَوَارَى عَنْ صَدِيقِكَ وَتَقُولُ اسْتَخْفَيْتُ[89] مِنْكَ، أَمَا وَعَظَكَ قَوْمٌ عَلَّقُوا بِالْكِتَامِ مِثْلِ هَذَا طَمَعَهُمْ فَأُنْزِلَ فِيهِمْ ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾[90] سِيَّانِ فِي حَقِّ ٱللَّهِ مَا اسْتَخْفَيْتَ وَاخْتَفَيْتَ[91] فَلَيْتَكَ بِهَذَا ٱلْقَدْرِ اكْتَفَيْتَ. كُنْ مِمَّنْ يَأْلَفُ وَيُؤْلِفُ، وَأَنْفِقْ فَعَلَى ٱللَّهِ ٱلْخَلَفُ، وَٱلإِمْسَاكُ مَقْرُونٌ بِهِ ٱلتَّلَفُ، وَإِنَّ مَثَلَ ٱلَّذِي لاَ يُؤَالِفُ مَثَلُ ٱلدَّابَّةِ ٱلَّتِي لاَ تُرَادِفُ[92]، فَفِرَّ عَنْ هَذَا ٱلشَّبَهِ، وَارْبَأْ عَنْهُ بِقَدْرِكَ ٱلأَنْبَهِ، إِنْ بَذَلْتَ بِمَا

---

(82) صقر الدبس عند أهل المدينة، وما تحلب من الرطب.

(83) احتجانه : ادخاره.

(84) حك الأمر في صدري : أثر فيه، وأوقع فيه شكا وهو على يقين.

(85) يسأل : يطلب صدقة.

(86) شليت الكلب : دعوته باسمه.

(87) أسدته : أغريته على الصيد.

(88) أوسدته : بمعنى أسدته أي غريته على الصيد.

(89) استخفيت : تواريت.

(90) الآية 108 من سورة النساء.

(91) اختفيت : ظهرت.

(92) ترادف : تحمل رديفا، والرديف الذي يركب وراء الراكب.

يُسَاوِي أَلْفاً مِنَ ٱلدَّنَانِيرِ أَفَمَا يَسُرُّكَ أَنَّ لَكَ بِكُلِّ ذَرَّةٍ مَا لاَ يَقْلِصُ مِنَ ٱلظِّلِّ وَلاَ يُطْفَأُ مِنَ ٱلنُّورِ، أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ يُقَالَ فِيكَ فُلاَنٌ يَتَنَدَّى(93) عَلَى أُصْحَابِهِ، وَيُسَاجِلُ [هَاطِلاَتِ](94) ٱلسُّحُبِ بِسَحَابِهِ، أَوْ يُقَالَ إِنَّ فُلاَناً لَشَدَّ مَا خَبُثَ، سُئِلَ مَعْرُوفاً فَأَخَذَهُ مَا قَدُمَ(95) وَمَا حَدُثَ، فَهَذَا ٱلَّذِي لَكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلدِّينِ، وَقَدْ بَيَّنْتَ لَكَ ٱلنَّهْجَيْنِ، فَلاَ تَكُنْ مِنَ ٱلْمُعْتَدِينَ، إِذَا كَسَفَتِ ٱلشَّمْسُ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ فَلْيَحْسُنْ مِنْكَ ٱلْمُظْهَرُ وَٱلْمُضْمَرُ فَإِنَّمَا هِيَ مَزْجَرَةٌ عَنِ [ٱلْخِيَانَاتِ](96) وَتَذْكِرَةٌ بِٱلْغَايَاتِ، وَيُخَوِّفُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ بِمَا شَاءَ مِنْ هَذِهِ ٱلآيَاتِ. وَمَتَى شَوَيْتَ ٱللَّحْمَ فَانْشَوَى فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ أُنْضَجَهُ ٱلْمُشْتَوِي لاَ يَسْتَقِيمُ شَيْءٌ بِغَيْرِ إِذْنِهِ وَلاَ يَسْتَوِي، فَإِنْ قَلَيْتَ ٱللَّحْمَ وَٱلسَّوِيقَ فَكِلاَهُمَا مَقْلِيٌّ بِمَا رِيءَ ٱللَّحْمُ بِهِ وَهُوَ مَشْوِيٌّ [لاَ خِلاَفَ](97) وَلاَ تَفْرِيقَ، وَرُبَّمَا قَلَوْتَ ٱلسَّوِيقَ(98) وَٱلْبُسْرَ فَتَعَرَّفْتَ فِي [ٱلْمَقْلُوَيْنِ](99) ٱلْعُسْرَ أَوِ ٱلْيُسْرَ وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ ٱللَّهِ لاَ يُخَالِجَنَّكَ فِيهِ عَارِضُ ٱلشَّكِّ وَٱلإِشْتِبَاهِ. إِنَّ مِنْ أَدَبِ ٱلْعَرَبِ إِذَا عُرِضَ [عَلَيْهِمَا](100) ٱلصَّفَدُ(101) أَوِ ٱلشَّيْءُ يَسْخُو بِهِ ٱلْيَدُ أَنْ يَقُولُوا لِلْعَارِضِ تُوفَرُ وَتُحْمَدُ، فَإِنْ عَرَضَ مِثْلَ هَذَا أَحَدٌ فَالْقَوْلُ حَسَنٌ فَقُلْهُ، وَٱلْقَبُولُ مَصْرُوفٌ إِلَى اِخْتِيَارِكَ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَقْبَلَهُ فَاقْبَلْهُ، إِنْ قَبِلْتَ فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَإِنْ نَازَعَتْكَ هِمَّةٌ فِي ٱلْقَبُولِ فَٱلْقَنَاعَةُ خَيْرُ مَا بِهِ ٱلنَّفْسُ هَمَّتْ. أَرِعْنِي سَمْعَكَ فَلَنْ أَعْمُرَهُ إِلاَّ بِنُصْحٍ وَلاَ أَدُلُّكَ إِلاَّ

(93) يتندى : يعطى الندى، العطاء، يتسخى.

(94) في الأصل [هاطات]، الورقة : 139.

(95) أخذه ما قدم وما حدث بضم الدال : أصابه من الهم والحيرة ما قد طال عهده.

(96) مطموسة في الأصل، الورقة : 140.

(97) مطموسة في الأصل، الورقة : 140.

(98) السويق : دقيق الحنطة أو الشعير المقلوين.

(99) مطموسة في الأصل، الورقة : 140.

(100) كذا في الأصل، الورقة : 140، وربما كان الضمير «هما» يعود على الشك والاشتباه.

(101) الصفد : بفتح الفاء وسكونها : العطاء.

عَلَى مَا يُؤَدِّيكَ إِلَى نُجحٍ، إِنْ بَخصْتَ[102] عَيْنَ رَجُلٍ فَكُنْ مِنَ ٱللَّهِ عَلَى وَجَلٍ مَعَ اعْتِقَادِ ٱلإِسْتِحْقَاقِ لِحُكْمِهِ ٱلْمُعْجَلِ، وَإِنْ بَخَسْتَهُ[103] حَقَّهُ أُلْزِمْتَ [لَه][104] مَغْرَماً، يَوْمَ لاَ تَجِدُ دِيناراً وَلاَ دِرْهَماً فَيُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِكَ مَا لَعَلَّهُ يُجْحِفُ بِكَ كُلَّ ٱلإِجْحَافِ، فَإِنْ قَصَّرَتْ طُرِحَ عَلَيْكَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ مَا يَنْتَهِي بِهِ إِلَى ٱلإِنْتِصَافِ، فَتُصْبِحُ صِفْرَ ٱلْيَدَيْنِ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ مُثْقَلَ ٱلظَّهْرِ بِمَا جَنَى غَيْرُكَ مِنَ ٱلتَّبِعَاتِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ. اِقْتَنِ مَعَالِيَ ٱلأُمُورِ لِتَغْلُوَ وَاغْلِ فِيهَا مَا اسْتَطَعْتَ فَخَيْراً تَزْدَادُ بِأَنْ تَغْلُوَ يَحْمَدُكَ ٱلشَّاهِدُ وَٱلْغَائِبُ وَيَنْصَرِفُ عَنْكَ بِغُصَّتِهِ ٱلْعَائِبُ. إِنَّ ٱلنَّخْلَ إِذَا بَسَقَ[105] لَمْ يَضُرَّهُ أَنَّ أَحَداً نَحْوَ ٱلْعَالِيَةِ بَصَقَ، مَا يَضُرُّ ٱلنَّخْلَ ٱلْبُصَاقُ إِذَا طَالَ ٱلسَّاقُ، كَذَلِكَ ٱلْفَعَالُ ٱلْجَمِيلُ لاَ يُؤَثِّرُ فِيهِ ٱلْقَالُ وَلاَ ٱلْقِيلُ، إِنْ لَصِقْتَ[106] بِعَالِمٍ أَفَادَكَ [عِلْماً][107]، وَإِنْ لَصِقْتَ بِظَالِمٍ لَمْ تَأْمَنْ هَضْماً وَلاَ ظُلْماً فَاخْتَرْ بَيْنَ [ ][108] وَإِنَّ ٱلْخِيرَةَ لَبَيِّنَةٌ، وَاسْعَ فِي ٱلسَّعَادَةِ ٱلدَّائِمَةِ وَإِنَّهَا [ ][109] ٱللَّهُ عَلَيْهِ لَهَيِّنَةٌ، وَاحْذِ[110] مِنْ لَبَنِكَ ٱلْقَارِصَ وَٱلْحَلِيبَ فَإِنَّ [ٱلْحُذْيَا][111] حَسَنَةٌ، وَإِذَا رَأَيْتَ جَرِيحَ ٱلنَّوَائِبِ فَاجْهَدْ أَنْ [تَأْسُوَهَ][112] وَإِذَا اسْتَكْسَاكَ عَارٍ بَائِسٌ وَٱلْبَرْدُ قَارِسٌ فَلاَ تَأْلُ أَنْ تَكْسُوَهُ وَلاَ تَكُنْ مِمَّنْ صَفَقَ

(102) بخصت : فقأتها وخلعتها.

(103) بخسته : نقصته حقه.

(104) مما استدركه الناسخ فكتبها فوق السطر، الورقة : 140.

(105) بسق : إذا ارتفع وطال.

(106) لصقت : اتصلت به على بعض الوجوه.

(107) غير واضحة في الأصل، الورقة : 140.

(108)(109) ممسوحة في الأصل، الورقة : 140. وتقدير الكلام عالم وظالم.

(110) احذ : اعط.

(111) الحذيا : بسكون الذال وفتحها : العطية. وهي مطموسة أتممتها بما يليق بمعنى الفعل : احذ.

(112) غير واضحة في الأخير. وجاءت الألفاظ في هذا الجانب من الورقة مطموسة، الورقة : 140. حاولت إكمالها بما يفهم به المعنى ويستقيم به السجع.

ٱلْبَابَ فِي وَجْهِ مَنِ ٱنْتَابَ، فَذَلِكَ مِنَ [ٱلنَّجْهِ](113) وَلاَ [يَصْفَقُهُ](114) إِلاَّ صَفِيقُ ٱلْوَجْهِ فَارْفِضْ مِثْلَ هَذَا ٱلْعَمَلِ، وَكُنْ أَبَداً مَعَ [ٱلْمَقْصَدِ](115) ٱلأَجْمَلِ ﴿وَابْتَغِ فِي مَا آتَاكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(116).

---

(113) النجه مصححة في هامش الكتاب، الورقة : 140. ومعناها : الزجر والردع.

(114) مطموسة في الأصل في نفس الورقة، وأكملتها استنادا على الفعل صفق.

(115) غير واضحة في الأصل، نفس الورقة.

(116) الآية 77 من سورة القصص.

31 ـــ بَابٌ مِنَ ٱلْفَرْقِ[1]

أَلاَ إِنَّ شَرَّ بَنَاتِ ٱلزَّمَانِ بِنْتُ ٱلشَّفَةِ[2] مِنَ ٱلإِنْسَانِ إِنْ حَسُنَتْ غَرَّتْ وَإِنْ قَبُحَتْ ضَرَّتْ، وَقَادَتْ نَحْوَ ٱلْمَكْرُوهِ وَجَرَّتْ، فَجِدْ جُهْدَكَ عَنْ هَذِهِ ٱلصِّفَةِ وَأَقْلِلْ مَا اسْتَطَعْتَ نَسْلَ ٱلشَّفَةِ وَإِنَّ ٱلْمِشْفَرَ لِذَوَاتِ ٱلْخُفِّ لأَجْدَى بِهَذَا ٱلإِعْتِبَارِ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّفَةِ عَلَى مَنْ تُعْزَى إِلَيْهِ أَوْ يُعْزَى إِلَيْهَا، إِنَّمَا تَلُسُّ بِهِ ٱلْكَلأَ، وَلاَ تُحْسِنُ أَنْ تَنْقُلَ بِهِ ٱلنَّبَأَ، فَقَدْ سَلِمَتْ مِنَ ٱلنَّمِّ[3] ٱلْمَلْحِيِّ[4]، وَوُقِيَتْ غَائِلَةَ هَذَا ٱلسَّمِّ[5] ٱلْوَحِيِّ[6]. يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَمْنَعَ دَابَّتَهُ مِنْ إِعْمَالِ ٱلْجَحْفَلَةِ[7] فِي شَيْءٍ لَيْسَ لَهُ، فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَ عَمَلُهَا جُبَاراً[8] فَإِنَّمَا تَأْكُلُ فِي بَطْنِهَا نَاراً إِلَيْهِ مَصْرِفُ شَرَرِهَا وَعَلَيْهِ عَائِدُ ضَرَرِهَا وَهُوَ ٱلْمَطْلُوبُ دُونَهَا بِمَا عَرَّضَهَا لَهُ مِنْ سُوءِ أَثَرِهَا، لَوْ عَلِمَتْ ذَوَاتُ ٱلأَظْلاَفِ إِذَا أَرْسَلَتْ مِقَمَّتَهَا[9] أَوْ مَرَمَّتَهَا فِي مَنَابِتِ ٱلْقَضْبِ[10] وَٱلْخِلاَفِ[11] أَنَّ رُبَّ قِمَمٍ تَحْتَ مَرْعَاهَا كَانَتْ [تُقِيمُ][12] ٱلدَّهْرَ

---

(1) المقصود بالفرق الاختلاف في مُسميات لأعضاء تشترك فيها كل الحيوانات.

(2) بنت الشفة : الكلمة.

(3) النم : النميمة.

(4) الملحي : من اللحاء، الملعون.

(5) السم : فيه ثلاث لغات بفتح السين وضمها وكسرها.

(6) الوحي : المسرع العاجل.

(7) الجحفلة : الشفة بالنسبة للدواب والمقصود بـ«إعمال الجحفلة في شيء ليس له» : ترك الدابة تأكل في مرعى غير مرعاها.

(8) جبارا : بضم الجيم هدرا، أي لا تؤخذ به.

(9) المقمة والمرمة : الشفة بالنسبة لذوات الاظلاف وتكون بفتح الميم وكسرها.

(10) القضب : شجر سهلي له ورق كورق الكمثرى إلا أنه أرق وأنعم ترعى الإبل ورقه وأطرافه.

(11) الخلاف : شجر الصفصاف، وسمي أيضا السوجر.

(12) مكملة من الهامش، الورقة : 141.

وَتُقْعِدُهُ، وَرِمَم ما رَامَ مَدىً مَسْعَاهَا إِلاَّ دَنَا عَلَيْهَا أَبْعَدُهُ، لأَلِمَتْ إِذْ عَلِمَتْ فَمَا لَنَا نَعْلَمُ وَلاَ نَأْلَمُ، كَأَنَّ مِنْ تِلْكَ ٱلدَّائِرَةِ نَسْلَمُ، إِنَّا إِذاً لَمِنَ ٱلْجَاهِلِينَ. ٱلأَقْدَارُ تَدُورُ كَمَا تُدَارُ لاَ يُنْجِي مِنْهَا ذَا ٱلْمَقْدُرَةِ ٱلإِقْتِدَارُ، وَفِي وُسْعِ ٱلْقَدَرِ ٱلْحَطُومِ أَنْ يُسَلِّطَ ٱلنَّمْلَ عَلَى ٱلْخَطْمِ[13] مِنَ ٱلأَسَدِ وَٱلْخُرْطُومِ فَلاَ يَسْتَطِيعُ لَهَا دِفَاعاً وَلاَ يَطِيقُ مِنْهَا امْتِنَاعاً، وَاهاً لِلْقَدَرِ كَمْ ثَبَّطَ شَهْماً عَنِ ٱلإِنْبِعَاثِ، وَأَنْهَضَ ٱلضَّعِيفَ بِأَقْوَى ٱلأَيْدِ[14] وَأَحَثَّ الاحْتِثَاثِ حَتَّى قَصَّرَ مِنْسَرُ ٱلْجَارِحِ عَنْ مِنْقَارِ ٱلْبُغَاثِ، تَمَامُ حِكْمَةِ ٱللَّهِ أَيَّدَتْ يَدَ ٱلإِنْسَانِ بِٱلظُّفْرِ وَزَيَّنَتِ ٱلْعَيْنَيْنِ بِٱلشُّفْرِ فَانْظُرْ إِلَى أَثَرِ رَحْمَةِ ٱللَّهِ، وَاعْجَبْ لِتَمَامِ حِكْمَةِ ٱللَّهِ، وَكَلاًّ لاَ عَجَبَ فَٱلْكَمَالُ إِنَّمَا حُقَّ لِجَلاَلِهِ وَوَجَبَ، يَا مُمْتَطِينَ ٱلرَّوَاحِلَ فِي ٱلأَسْفَارِ رِفْقاً بِهِنَّ فِي ٱلْقِفَارِ، سُومُوهُنَّ ٱلْبُطْءَ لِيُخَفِّفْنَ ٱلْوَطْءَ، فَلَعَلَّ[15] أَدِيمَ ٱلأَرْضِ مِنْ هَذِهِ ٱلْجُسُومِ وَلاَ نَكْرَ أَنْ يُصَادِفَ وَقْعُ ٱلْمَنْسِمِ مَوْضِعَ ٱلْمَبْسَمِ مِنَ ٱلْوَجْهِ ٱلْوَسِيمِ، فَيَا رَحْمَةً لِلْجَمَالِ وَيَا غَفْلَةَ ٱلْقُلُوبِ عَنْ هَذَا ٱلْمَآلِ حَافِرُ ٱلدَّابَّةِ إِذَا صَلُبَ أَدْرَكَ رَاكِبُهَا مَا طَلَبَ وَظِلْفُ ٱلْوَحْشِيَّةِ إِذَا نُكِبَ اسْتَبْشَرَ ٱلصَّائِدُ بِدَمِهَا أَنْ يَنْسَكِبَ، إِذَا نَشِبَ مَخْلَبُ ٱلسَّبُعِ فِي ٱلنَّسَا[16] مِنْ ذَوَاتِ ٱلأَرْبَعِ فَلاَ نَظِرَةَ وَلاَ نِسَاءَ وَلاَ صَبَاحَ لِلطَّرِيدَةِ وَلاَ مَسَاءَ، وَإِذَا ضَبَثَ[17] بِبُرْثُنِ[18] ٱلْحَمَامَةِ مِخْلَبُ ٱلصَّقْرِ أَوْشَكَ أَلاَّ تَعُودَ إِلَى ٱلْوَكْرِ، كَذَلِكَ ٱلْمَنِيَّةُ إِذَا أَنْشَبَتْ[19] أَظْفَارَهَا تَعَرَّفَتِ ٱلتَّمَائِمُ خِذْلاَنَ ٱلْعَوَائِدِ

---

(13) الخطم والخرطوم : الشفة للسباع.

(14) الأيد : القوة.

(15) نثر قول أبي العلاء المعري :

خَفِّفِ ٱلْوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيـ ـمَ ٱلأَرْضِ إِلاَّ مِنْ هَذِهِ ٱلأَجْسَادِ

(16) النسا : عرق من الورك إلى الكعب.

(17) ضبث : قبض على الشيء بقوة.

(18) برثن : المخلب بالنسبة للطير ويجوز في السباع.

(19) نثر قول أبي ذؤيب الهُذَلي :

وَإِذَا ٱلْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لاَ تَنْفَعُ

وَإِخْفَارَهَا. وَإِذَا أَتَى عَلَى بُرْثُنِ ٱلْكَلْبِ بُرْثُنُ ٱلسَّبُعِ عَادِياً، فَلَعَلَّ ٱللَّهَ أَذِنَ لَهُ فِي ٱلشِّبَعِ مَا كَانَ لَهُ ٱلْكَلْبُ رَاعِياً.

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ ثَدْيَ ٱلْمَرْأَةِ مُتَكَفِّلاً بِرِزْقِ وَلِيدِهَا وَقَضَى فِي كِلْتَيِ ٱلنَّسَمَتَيْنِ أَلاَّ سَبِيلَ إِلَى خُلُودِهَا، وَخَصَّ بِٱلأَخْلاَفِ[20] ذَوَاتِ ٱلأَخْفَافِ[21] ثُمَّ هَدَى ٱلْحُوَارَ[22] إِلَى ٱلْخِلْفِ كَأَنَّمَا أَلِفَهُ قَبْلَ ذَلِكَ أَطْوَلَ الإِلْفِ :

فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ   تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ[23]

[المتقارب]

أَيُّهَا ٱلْعَائِلُ ٱلْمُعِيلُ لاَ يَغُرَّنْكَ أَنْ يُخِيلَ لَكَ ٱلْقَاسِي ٱلْبَخِيلُ فَلاَ تَصِلُ مِنْهُ إِلَى ٱلْحِبَاءِ[24] أَوْ تَصِلَ إِلَى دَرِّ أَطْبَاءِ[25] ٱلسِّبَاعِ ٱلْعَادِيَةِ بِٱلأَطِبَّاءِ، وَإِنَّ وُصُولَكَ مِنْ طُبْيِ ٱللَّبُوَةِ إِلَى قَطْرَةٍ مُسْتَدَرَّةٍ أَقْرَبُ مِنْ ظَفَرِكَ مِنْ هَذَا ٱلْبَخِيلِ بِذَرَّةٍ، فَصُنْ مَاءَ وَجْهِكَ عَنِ ٱلْبَاخِلِينَ، إِذَا دَرَّتْ أَطْبَاءُ ٱلْخَيْلِ فَبُشْرَى ٱلْغَازِينَ بِمِهَارٍ[26] تَقْطَعُ أَجْوَازَ ٱللَّيْلِ وَإِذَا سَمَحَ بِقَطْرَةٍ ضِرْعُ ٱلشَّاةِ، قَنِعَ ٱلْفَقِيرُ مِنْ دَهْرِهِ بِهَذِهِ ٱلْمُمَاشَاةِ،

---

(20) الاخلاف : مفردها خلف بكسر الخاء وسكون اللام وهو الثدي عند الإبل.

(21) الأخفاف : مفردها خف بضم الخاء وهو الجلدة الغليظة التي تلي الأرض من باطن قدم البعير.

(22) الحوار : ولد الناقة.

(23) البيت لأبي العتاهية وهو من مقطوعة هي :

أَلاَ إِنَّنَا كُلُّنَا بَائِدُ   وَأَيُّ بَنِي آدَمَ خَالِدُ

وَبَدْؤُهُمْ كَانَ مِنْ رَبِّهِمْ   وَكُلٌّ إِلَى رَبِّهِ عَائِدُ

فَيَا عَجَباً كَيْفَ يُعْصَى ٱلإِلَـ   ـهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ ٱلْجَاحِدُ

وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ   عَلَيْنَا وَتَسْكِينَةٍ شَاهِدُ

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ   تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تحقيق : الدكتور شكري فيصل، ص 102. ونسبه ابن كثير في تفسير القرآن لابن المعتز، المجلد 44/1.

(24) الحباء : بكسر الحاء : العطاء.

(25) الأطباء : مفرده طبي بضم الطاء وكسرها وهي الثدي بالنسبة للسباع.

(26) مهار : جمع مهر بضم الميم صغير الفرس.

وَٱللَّهُ بِعِبَادِهِ لَطِيفٌ، وَإِحْسَانُهُ بِهِمْ فِي كُلِّ حَالٍ مُطِيفٌ، لَعَلَّهُ مَا ضَبِعَتِ[27] ٱلنَّاقَةُ ٱلضَّبِعَةُ فَاشْتَدَّتْ ضَبَعَتُهَا إِلاَّ لِتَعْظُمَ لِعِيَالِ ٱلْعَائِلِ مَنْفَعَتُهَا، وَمَا اسْتَوْدَقَتِ[28] ٱلْخَيْلُ إِلاَّ لِيَكْثُرَ لِمُنْتِجِهَا ٱلنَّيْلُ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِلُطْفِ ٱللَّهِ ٱلْكَرِيمِ وَفَضْلِهِ ٱلَّذِي يَنْعَشُ عَثْرَةَ ٱلْبَائِسِ وَيُحْسِنُ حَالَةَ ٱلْعَدِيمِ. أَوْدَقَتِ ٱلْفَرَسُ فَتَأَلَّقَتِ ٱلْخِرْصَانُ[29] لِعَدُوٍّ يُفْتَرَسُ وَظَهَرَ بِٱلْحِجْرِ وِداقٌ[30] فَكَانَ لِسُوقِهَا نَفَاقٌ، وَإِذَا رَأَى ٱلضَّعِيفُ أَتَانَهُ وَدِيقاً رَجَا لأَثَرِ ذَلِكَ تَصْدِيقاً وَلاَ رَجَاءَ لَهُ فِي ٱلْوَدُوقِ مِنَ ٱلْبِغَالِ إِذْ لَمْ يَأْذَنِ ٱللَّهُ [لَهَا][31] بِشَهَادَةِ ٱلْعَادَةِ فِي ٱلإِنْسَالِ، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُخْرِقَ ذَلِكَ ٱلْمُعْتَادَ خَرَقَهُ وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمَا يَخْلُقُهُ وَبِمَا خَلَقَهُ، ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ ٱلأَرْحَامُ﴾[32] وَمَا تَزْدَادُ، إِسْتَحْرَمَتِ[33] ٱلْمَاعِزَةُ وَحَنَّتِ ٱلنَّعْجَةُ فَلَعَلَّ ٱلْحَرْمَى[34] إِنَّمَا هَاجَ بِهَا ٱلْحِرَامُ[35] لِتَكْثُرَ لِمَالِكِهَا ٱلْبَائِسِ ٱلْبِهَامُ[36] وَلَعَلَّ [ٱلْحَانِيَ][37] إِنَّمَا لَجَّ بِهَا ٱلْحِنَاءُ لِيَتْأَقَ[38] لِلْمُقْفِرِ ٱلْعَيْمَانِ[39] بِٱلرِّسْلِ الإِنَاءُ، حِكْمَةٌ مَا لِمَرِيرِهَا ٱلْمُبْرَمِ مِنْ نَقْضٍ، وَٱللَّهُ يَرْزُقُ بَعْضَ ٱلْحَيَوَانِ مِنْ بَعْضٍ. إِذَا

(27) ضبعت الناقة : إذا اشتهت الفحل.

(28) استودقت الخيل : بمعنى اشتهت وكذلك أودقت.

(29) الخرصان : بكسر الخاء مفردها خرص بضم الخاء من معانيها : الرماح وبالأخص القسم الأعلى من الرمح الذي يسمى خرصا.

(30) وداق : اسم للفعل ودق.

(31) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 142.

(32) الآية 8 من سورة الرعد.

(33) استحرمت الماعزة : إذا اشتهت.

(34) حرمى : صفة للمؤنث من استحرمت.

(35) الحرام : الاسم.

(36) البهام : مفرده بهمة وهي كل صغير من أولاد الغنم.

(37) الحاني : صفة للنعجة إذا حنت أي اشتهت.

(38) ليتأق : ليمتلىء.

(39) العيمان : صفة للإنسان الذي اشتدت به العمية وهي الشهوة إلى اللبن.

صَرَفَتِ[40] ٱلْكَلْبَةُ فَلاَبَأْسَ أَنْ يُرْتَادَ لِلصَّارِفِ غَاشٍ مِنَ ٱلضُّرَّاءِ[41] لِتَأْتِيَ بِجُرَآءِ ٱلْجِرَاءِ، وَيَحِقُّ أَنْ يُبْذَلَ فِي ارْتِيَادِ نَجَابَةِ ٱلنَّسْلِ جِدُّ ٱلطِّلاَبِ حَتَّى فِي ٱلْكِلاَبِ، وَأَحَقُّ مَنْ يُرْتَادُ ذَلِكَ لَهُ مَنْ يُعَدُّ لِلْحِرَاسَةِ وَٱلْغِلاَبِ، وَإِذَا أُجْعِلَتِ[42] ٱلْكَلْبَةُ وَٱلذِّئْبَةُ فَلَعَلَّ ٱللَّهَ إِنَّمَا جَعَلَهُمَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ مُجْعِلَيْنِ لِلْمُعْتَادِ كَثِيراً فِي حِكْمَتِهِ مِنْ مُرَاعَاةِ ٱلتَّمَاثُلِ بَيْنَ ٱلشَّيْئَيْنِ وَمُقَابَلَةِ ٱلشَّدِيدِ بِٱلشَّدِيدِ وَٱللَّيِّنِ بِٱللَّيِّنِ، فَإِذَا وَلَدَتِ ٱلذِّئْبَةُ نِكَايَةً لِلنَّقَدِ[43] وَأَذَاةً، وَلَدَتِ ٱلْكَلْبَةُ حَفَظَةً لَهَا فِي ٱلْمَسْرَحِ وَٱلْمَرْقَدِ وَرُعَاةً، وَٱللَّهُ يَحْرُسُ ٱلْكُلَّ وَيُفْنِيهِ وَيُفْقِرُ مَنْ شَاءَ أَوْ يُغْنِيهِ، وَإِنْ بَعَثَ خَاطِراً إِلَى تَمَامِ ٱلتَّعْلِيمِ بَاعِثُ ٱلاِرْتِيَاحِ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ ٱلْوَحْشِيَّةَ كَٱلنَّعْجَةِ وَٱلظَّبْيَةَ كَٱلْمَاعِزَةِ فِي هَذَا ٱلإِصْطِلاَحِ[44]، وَهَذِهِ كُلُّهَا فُنُونُ مُلَحٍ مَالِي [بِهَا][45] عِلْمَ ٱللَّهُ كَبِيرَ فَرَحٍ، فَمَنْ ذَا يَبِيعُنِي بِهَا فَضْلَ عَمَلٍ مُصْلِحٍ، فَلاَ ذُخْرَ كَصَالِحِ ٱلأَعْمَالِ، وَدَعْ عَنْكَ ذَخَائِرَ ٱلْمَالِ فَمَا جَدْوَاهَا فِي ٱلْمَآلِ، وَمَا هَذِهِ ٱلْحَيَاةُ إِلاَّ خَطْفَةٌ لَيْسَ لَهَا بَقَاءٌ، وَخُلَّةٌ لَيْسَ لَهَا عَلَى أَحَدٍ إِبْقَاءٌ، سُرُورُهَا يَغُمُّ وَنَوَائِبُهَا تَعُمُّ، فَبَيْنَا زَخَارِفُهَا تَغُرُّ وَأَحْلاَمُهَا تَسُرُّ، مَاتَ ٱلإِنْسَانُ فَسُبْحَانَ ٱلْمُحْيِي ٱلْمُمِيتُ أَوْ نَفَقَتْ[46] دَابَّتُهُ فَأُبْدِعَ[47] بِهِ فِي ٱلْقَفْرِ ٱلسَّبَارِيتِ[48]، أَوْ تَنَبَّلَ[49] ٱلْبَعِيرُ بَعْدَمَا تَنَبَّلَ ٱلإِنْسَانُ وَٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ هِيَ ٱلْحَيَوَانُ، فَكَمْ بَعِيرٍ أُصْبَحَ نَبِيلَةً[50] وَطَالَ مَا عَالَ قَبِيلَةً

---

(40) صرفت الكلبة : إذا اشتهت.

(41) الضراء : جمع ضار، وهو صفة للكلب الذي عوده صاحبه على الصيد.

(42) أجعلت : بمعنى صرفت.

(43) النَّقَد : بفتح النون والقاف : صغار الغنم.

(44) الاصطلاح : يقصد به أبو الربيع أن الضائنة والظبية عند العرب ماعزة والبقرة التي كنى عنها بالوحشية كالنعجة. انظر الفصيح : 322.

(45) تصحيح من طرة الكتاب، الورقة : 142.

(46) نفقت : ماتت.

(47) أبدع به : كلّت راحلته أو عطبت وبقي منقطعا به.

(48) السباريت : مجموع سبريت وسبروتة ومعناها القفر والأرض لا نبات فيها.

(49) تنبل : مات.

(50) نبيلة : جيفة.

فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ تَتَأَذَّى بِمَكَانِهِ وَبِالأَمْسِ كَانَتْ تَأْنَسُ بِمُلْقَى جِرَانِهِ(51)، وَاسْمَعْ يَا مَنْ أُوتِيَ لَسَناً وَخُوِّلَ مِنَ ٱلإِبْدَاعِ حَظّاً حَسَناً، مَتَى اضْطُرِرْتَ إِلَى مُسْتَقْبَحِ ٱلأَلْفَاظِ فَأَغْمِضْ قُبْحَهَا بِالْكُنَا، وَاقْتَدِ بِالْمَسْؤُولِ عَنْ مَوْضِعِ قَرْحَةٍ مِنْ جَسَدِهِ إِذْ قَالَ لِسَائِلِهِ بَيْنَ ٱلرَّانِفَةِ(52) وَٱلصَّفَنِ(53) فَأَعْجَبَهُ حُسْنُ مَا كَنَا(54)، وَحَسْبُنَا بَعْدُ [غُنْيَةً](55) عَنْ ذِكْرِ ٱلْقُنْبِ(56) وَٱلثِّيلِ(57) بِمَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ ٱلتَّمْثِيلِ، وَلَيْسَ لِلدُّنْيَا عِنْدَ تَحْقِيقِ ٱلْمَذْهَبِ فِي رَكَاكَةِ ٱلْحَاضِرِ وَٱلْمُغَيَّبِ مَثِيلٌ، أَنْقَى أَوْصَافِهَا أَنَّهَا عِقْيٌ(58) وَرَدَجٌ(59) وَسُخْتٌ(60) هُوَ إِلَى سُحْتِهَا(61) دَرَجٌ، جِدُّهَا لِمَنْ أَبْصَرَ لَعِبٌ، وَمُحَاوِلُ ٱلرَّاحَةِ فِيهَا إِذَا اعْتَبَرَ تَعِبٌ، وَجَمَالُهَا إِلَى

---

(51) جِرَانه : بكسر الجيم : مقدم العنق من مذبح البعير إلى منحره. وإذا برك البعير ومد عنقه على الأرض قيل : ألقى جرانه بالأرض.

(52) الرَّانِفَة : أسفل الالية وطرفها الذي يلي الأرض من الإنسان إذا كان قائما.

(53) الصَّفَن : بصاد مشددة مفتوحة وفاء مفتوحة تقال لجلد بيضة الإنسان ــ وعاء الخصية ــ ووردت في كتاب الفصيح بتحقيق عاطف مدكور بالضاد ــ الضفن ــ وهو خطأ والصواب ما أثبته أبو الربيع. وقد جاء في التلويح للهروي الصفن. وزاد الشارح «بفتح الصاد والفاء» : التلويح ص 103. وكذا جاء في لباب تحفة المجد الصريح للفهري اللبلي ص 244 : ولم ترد هذه الكلمة في شرح ابن هشام اللخمي.

(54) من حديث عبد الملك : «أن رجلا قال له خرجت في قرحة فقال له : في أي موضع من جسدك ؟ فقال : بين الرانفة والصفن، فأعجبني حسن مكنى». اللسان [رنف].

(55) استدركها الناسخ في طرة الكتاب، الورقة : 142.

(56) القُنْب : بضم القاف وسكون النون : وعاء قضيب الفرس وغيره من ذي الحافر وقد وردت الكلمة في كتاب الفصيح بتحقيق عاطف مدكور القنت ــ بتاء ــ وهو تحريف. ووردت في التلويح قنب بالباء ص 103 وكذلك في اللسان [قنب] وكذلك وردت في التصريح للتدميري قنب، الورقة : 98.

(57) الثِّيل : وعاء قضيب البعير بكسر الثاء.

(58) عِقْي : بكسر العين وسكون القاف : يقال لما يخرج من بطن المولود من الناس قبل أن يأكل شيئا.

(59) رَدَج : بفتح الراء والدال : ما يخرج من بطن كل ذي حافر إذا ولد وذلك قبل أن يأكل شيئا.

(60) سُخْت : بضم السين وسكون الخاء : أول ما يخرج من بطن ذي الخف ساعة تضعه أمه قبل أن يأكل شيئا.

(61) سحتها : بضم السين وسكون الحاء : وهو ما خبث وحرم من المكاسب.

ٱلسَّمَاجَةِ مَا يَؤُولُ، وَٱلْمُفْتَخِرُ بِحَظِّهِ مِنْهَا بِمَا يَقُولُ ٱلسُّفَهَاءُ قَؤُولٌ وَٱلْمُكَاثِرُ فِيهَا بِٱلْبَنِينِ وَٱلْمَالِ سَبِيلُ ٱلذِّلَّةِ وَٱلإِقْلاَلِ، وَقَدْ صَدَعْتُ لَكُمْ بِحَالِهَا قَبْلَ ٱلسُّؤَالِ، وَكَشَفْتُ لَكُمْ عَنْ وَبَالِ أَمْرِهَا فِي ٱلْمَآلِ وَسَأَزِيدُكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ بِعُيُوبِهَا تَبْصِيراً، وَآتِيكُمْ فِيهَا مِنْ كِتَابِ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنِ تَفْسِيراً ﴿إِعْلَمُوا أَنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلأَمْوَالِ وَٱلأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي ٱلآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ﴾[62].

تم الكتاب بحول الله وقوته والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد خاتم النبيئين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما.

---

(62) الآية 19 من سورة الحديد.

الفهارس العامة

فهرس المصادر والمراجع

المخطوطة :

1. أزهار البستان لابن عجيبة، الخزانة الحسنية بالرباط رقم : $\frac{417}{5}$.
2. اقتطاف الزهور من حدائق الأفكار للأمير عبد السلام العلوي، الخزانة الحسنية رقم : 9353ج.
3. الاكتفاء لأبي الربيع سليمان الكلاعي، الخزانة الحسنية رقم : 3301.
4. الاكليل والتاج لمحمد بن الطيب القادري الحسني، مخطوط الخزانة الحسنية رقم : 1897.
5. تحفة الظرفاء لمحمد بن أحمد بن الحسن اليحمدي، قسم الوثائق، الرباط رقم : 4165.
6. تحفة المجد الصريح لأبي جعفر الفهري اللبلي، المكتبة الحمزاوية رقم : 131.
7. التصريح بشرح غريب الفصيح لأبي العباس التدميري، مكتبة نور عثمانية تركيا رقم : 3992.
8. جهد النصيح لأبي الربيع سليمان الكلاعي، مخطوط الخزانة الوطنية بتونس رقم : 15053.
9. رسائل أبي المطرف بن عميرة المخزومي، قسم الوثائق بالرباط رقم : 332 و333.
10. سبك المقال لابن الطواح، الخزانة الحسنية الرباط رقم : 105.
11. شرح الفصيح لابن هشام اللخمي، الخزانة الحسنية رقم : 1944.
12. لباب تحفة المجد لأبي جعفر اللبلي، قسم الوثائق بالرباط رقم : 100ج.
13. المسلسلات لأبي الربيع الكلاعي، مخطوط خزانة شهيد باشا باستمبول رقم : 562.

14. مغاني الوفاء لمحمد بن عبد السلام بناني، قسم الوثائق بالرباط رقم : 2570د.
15. الموطأة لمالك بن المرحل السبتي، قسم الوثائق بالرباط رقم :
16. نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال لأبي الربيع الكلاعي، الخزانة الوطنية بتونس رقم : 15053.

المطبوعة :

ابن الأبار القضاعي :
1. التكملة، طبعة مجريط، وكذا طبعة القاهرة والزيادات لأركون وبالثنيا.
2. الحلة السيراء، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت 1967.
الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، طبعة القاهرة 1963.
3. المقتضب من تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية 1957.
4. اعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتر، دمشق 1961.
5. دراسة حول ابن الأبار، لعبد العزيز عبد المجيد، معهد مولاي الحسن للأبحاث 1951.
6. المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي، طبعة مجريط 1886.
7. الديوان، تحقيق الدكتور الهراس، الدار التونسية 1985.
8. درر السمط في خبر السبط، تحقيق عز الدين عمر موسى، طبعة دار الغرب الإسلامي.

إحسان عباس :
9. تاريخ الأدب الأندلسي ــ عصر قرطبة وعصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت 1969.

ابن الأحمر :
10. بيوتات فاس الكبرى.

أدولف زلهايم :
11. الأمثال العربية القدية، ترجمة : د. رمضان عبد التواب 1971.
أسامة بن منقد :
12. المنازل والديار، تحقيق مصطفى حجازي، القاهرة 1968.
إسماعيل الخطيب :
13. الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع الهجري، منشورات جمعية البعث الإسلامي، تطوان / المغرب.
أشباخ يوسف :
14. تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة : عبد الله عنان 1958.
الاشـمـونـي :
15. شرح ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب، بيروت 1955.
الاصبهاني أبو الفرج :
16. الأغاني، الدار التونسية للنشر، تونس 1983.
الأصـمـعـي :
17. ثلاثة كتب في الأضداد للأصمعي والسجستاني وابن السكيت. دار الكتب العلمية، بيروت.
الأعـشـى :
18. الديوان، تحقيق وشرح محمد محمد حسين، القاهرة 1974.
الاعلم الشنتمري :
19. شرح ديوان طرفة بن العبد، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق 1975.
الألباني، محمد ناصر الدين :
20. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي بدمشق.

ألبير حبيب مطلق :
21. الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، صيدا 1967.

الأنبـــاري :
22. شرح القصائد السبع الجاهليات، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر.
23. الأضداد في اللغة، المطبعة الحسينية المصرية بكفر الطماعين مصر.

أنخيل جنثالث بلنسيا :
24. تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة الدكتور حسين مؤنس، ط 2/ 1945.

الأنصاري السبتي :
25. اختصار الاخبار، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، ط 2/ 1983.

الأنصاري ابن هشام :
26. المغني اللبيب، تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد على حمد الله، راجعه : سعيد الأفغاني، طبعة دار الكتب.

أبو بحر صفوان التجيبي :
27. زاد المسافر، تحقيق عبد القادر محداد، بيروت 1980.

بـروكـلـمـــان :
28. تاريخ الأدب العربي، ترجمة : عبد الحميد النجار، القاهرة 1962.

ابن بسام الشنتريني :
29. الذخيرة، تحقيق إحسان عباس، ط 1، دار الثقافة 1979.

ابـن بـشــكـــوال :
30. الصلة، سلسلة تراثنا، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

أبو البقاء العكبري :
31. شرح ديوان المتنبي، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة 1978.

البغدادي :
32. إيضاح المكنون.
البلوي :
33. تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق العلامة الحسن السايح، مطبعة فضالة، المغرب.
ابن البناء المراكشي :
34. الروض المريع في صناعة البديع، تحقيق رضوان بنشقرون، دار النشر المغربية 1985.
التجاني :
35. رحلته، طبعة تونس 1958.
التجيبي :
36. برنامجه، تحقيق عبد الحفيظ منصور، ليبيا ــ تونس 1981.
37. مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق وإعداد : عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب.
التطيلي الأعمى :
38. الديوان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
ابن تغري بردي :
39. النجوم الزاهرة.
أبو تمام :
40. ديوان الحماسة، تحقيق الدكتور عبد المنعم أحمد صالح، العراق 1980.
41. الديوان، تحقيق الدكتور عبد المنعم أحمد صالح، سلسلة كتب التراث 1980.
ثابت بن أبي ثابت :
42. الفرق، حققه وعلق عليه محمد الفاسي، مطبوعات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب / الرباط.

الثعالبي :
43. فقه اللغة.
44. يتيمة الدهر، تحقيق محمد محي الدين، دار الفكر، بيروت.
45. التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح أحمد الحلو، القاهرة 1961.

ثعلب :
46. الفصيح، تحقيق ودراسة عاطف مدكور، القاهرة 1984.

جرير :
47. الديوان، شرح محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، بيروت، دار مكتبة الحياة.

الجراري، عباس :
48. أبو الربيع سليمان الموحدي، طبعة دار الثقافة، يونيو 1974.

الجزري :
49. غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج. برجستراسر، بغداد.

أبو جعفر الفهر اللبلي :
50. فهرسته، تحقيق ياسين يوسف عياش وعواد عبد ربه أبو زينة، دار الغرب الإسلامي.

أبو جندار :
51. الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الكريم كريم، المغرب 1987.

الجندي محمد سليم :
52. الجامع في أخبار أبي العلاء، دمشق، المجمع العلمي 1962/ 1964.

حاجي خليفة :
53. كشف الظنون، 1941.

حازم القرطاجني :
54. الديوان، تحقيق عثمان الكعاك، بيروت، دار الثقافة.

55. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق الحبيب بلخوجة.
ابـن حـجـر :
56. لسان الميزان، ط 2 / بريوت، نؤسسة الاعلى للمطبوعات 1972.
57. الدرر الكامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة 1966.
ابن حجة الحموي :
58. خزانة الأدب وغاية الارب، مصر 1304هـ.
ابـن حــزم :
59. جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1962.
حميد بن ثور الهلالي :
60. الديوان، جمع الأستاذ الميمني، طبعة دار الكتب، القاهرة 1951.
الحـمـيــري :
61. الروض المعاطار، تحقيق الدكتور إحسان عباس 1975.
الحسن اليوسي :
62. زهر الأكم في الامثال والحكم، تحقيق محمد حجي والأخضر غزال، الطبعة الأولى 1981.
أبو حيان الغرناطي :
63. البحر المحيط، طبعة الرياض.
الحنبلي ابن العماد :
64. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مصر 1351هـ.
ابـن خـاقــان :
65. قلائد العقيان، الطبعة الأولى 1320هـ، المعارف، الاسكندرية 1979.
ابـن خـفـاجــة :
66. الديوان، تحقيق السيد غازي، الطبعة الثانية.

ابـن الخـطـيــب :
67. الإحاطة، تحقيق عبد الله عنان، الطبعة الثانية 1973.

ابـن خـلـدون :
68. كتاب العبر، منشبورات الأعلى للمطبوعات 1971.

ابـن خـلـكـان :
69. وفيات الأعيان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة 1968.

ابـن خـيــر :
70. الفهرسة، تحقيق قدارة وطرغوه، الطبعة الثانية 1963.

رؤبة بن العجاج :
71. مجموع أشعار العرب، تحقيق وليم بن ألورد، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

ابـن دحـيــة :
72. المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي 1955.

ابن الدراج السبتي :
73. الامتاع والانتفاع، تحقيق د. محمد بنشقرون 1982.

ابن درستويه :
74. تصحيح الفصيح، الجبوري، مطبعة العاني، بغداد 1974.

ابـن رشـيـد :
75. ملء العيبة، الجزء 5 : تحقيق الحبيب بلخوجة، دار الغرب الإسلامي 1988، والجزء 3 : الشركة التونسية للتوزيع 1981.

الرصافي الرفاء :
76. الديوان، تحقيق إحسان عباس، دار الشرق، ط 2 / 1983.

رضا عبد الجليل الطيار :
77. الدراسات اللغوية في الأندلس، دار الرشيد، العراق 1980.

رضوان الداية :
78. تاريخ النقد الأدبي بالأندلس، مؤسسة الرسالة 1981.
الرعيني :
79. برنامج شيوخه، تحقيق إبراهيم شبوح، دمشق 1962.
ابن الرومي :
80. الديوان، تحقيق حسين نصار، طبعة دار الكتب 1976.
الذهبي :
81. تذكرة الحفاظ، طبعة حيدر آباد 1955.
الزبيدي :
82. طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية 1984.
ابن الزبير :
83. صلة الصلة، تحقيق : ليفي بروفنصال 1937.
الزجالي :
84. أمثال العوام، تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن شريفة، طبعة فاس 1971.
ابن أبي زرع :
85. الأنيس المطرب، طبعة الرباط 1972.
الزركشي :
86. تاريخ الدولتين، تونس 1289هـ.
الزركلي :
87. الأعلام، الطبعة الثالثة، بيروت 1969.
ابن الزقاق البلنسي :
88. الديوان، تحقيق عفيفة محمود ديراني، دار الثقافة، بيروت.
الزوزني :
89. المعلقات السبع.

أبو زيد بن أبي الخطاب القرشي :
90. جمهرة أشعار العرب، طبعة مصر 1330هـ.

أبو زيد الطائي :
91. الديوان، تحقيق نوزي حمودي القيسي، بغداد، مطبعة المعارف 1967.

زهير بن أبي سلمى :
92. الديوان، حققه فخر الدين قباوة، حلب، دار القلم العربي 1973.

ابـن الســراج
93. الحلل السندسية في ذكر الأخبار التونسية.

السـجـلـمـاسـي :
94. المنزع البديع، تحقيق الدكتور علال الغازي، دار المعارف 1980.

ابن سعيد المغربي :
95. المُغرب في حلى المغرب، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، ط 2/ 1964.
96. رايات المبرزين، نشر غارسيا غومس، مدريد.
97. الغصون اليانعة، تحقيق الأبياري، دار المعارف، مصر.

ابن السكيت :
98. إصلاح المنطق، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، بغداد.

السلفي أبو الطاهر :
99. معجم السفر، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى 1963.

السـهـيـلـي :
100. الروض الانف، طبعة الجمالية 1914.

سـيـبـويـه :
101. الكتاب، طبعة بولاق 1216هـ.

ابن السيد البطليوسي :
102. الاقتضاب، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، القاهرة 1981.
103. المثلث، تحقيق ودراسة صلاح مهدي علي الفرطوسي، دار الرشيد 1981.
104. الحلل في إصلاح الخلل، تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي، العراق، بغداد 1980.
105. الحلل في شرح أبيات الجمل، تحقيق مهداوي لطيفة، كلية آداب الرباط سنة
ابن سيدة المرسي :
106. المخصص، طبعة بيروت، من سلسلة ذخائر التراث العربي.
سيد غازي :
107. الموشحات الأندلسية، تحقيق، الاسكندرية 1979.
السيوطي :
108. المزهر، تحقيق أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية.
109. بغية الوعاة، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى 1326.
110. المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، تحقيق الدكتور التهامي الراجي، نشر إحياء التراث الإسلامي.
ابن شاكر الكتبي :
111. فوات الوفيات، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة 1951.
ابن شريفة محمد :
112. أبو المطرف بن عميرة المخزومي، منشورات المركز الجامعي.
113. أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986.
الشريف الغرناطي :

114. رفع الحجب المستورة، تحقيق وشرح محمد الحجوي، كلية الآداب بالرباط 85-1986.

شكيب أرسلان :

115. الحلل السندسية في الاخبار والآثار اندلسية، بيروت 1965.

ابن صاحب الصلاة :

116. المن بالإمامة، تحقيق د. عبد الهادي التازي، دار الأندلس 1964.

ابن الصباغ الجذامي :

117. الديوان، تقديم وتحقيق نور الهدى الكتاني، كلية آداب الرباط 84-1985.

طرفة بن العبد :

118. الديوان، تحقيق علي الجندي، القاهرة 1958.

العبـــدري :

119. الرحلة، تحقيق محمد الفاسي.

عبد الحميد عبد الله :

120. الأعمى التطيلي حياته وأدبه، طرابلس، ليبيا، ط 1 / 1983.

عبد القاهر الجرجاني :

121. دلائل الاعجاز، دار المعرفة، بيروت 1978.

عبد العزيز عتيق :

122. علم العروض والقافية، دار النهضة العربية، بيروت 1985.

عبد العلي الودغيري :

123. ابن الطيب الشرقي، حلقة من تاريخ الفكر اللغوي بالمغرب، نسخة كلية الآداب 85-1986.

124. المعجم في الأندلس، مكتبة المعارف 1984.

ابن عبد الملك :

125. الذيل والتكملة، السفر الأول : تحقيق الدكتور محمد بن شريفة،

دار الثقافة، بيروت؛ والسفر الثامن : مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية 1984؛ السفر 4، 5، 6 : تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت.

عبد الواحد المراكشي :

126. المعجب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة، الطبعة الأولى 1949.

أبو عبيدة البكري :

127. فصل المقال، تحقيق إحسان عباس وعبد الحميد عابدين، ط 3 / 1983.

أبو العتاهية :

128. الديوان، تحقيق شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق 1965.

ابن عذاري :

129. البيان المغرب، طبعة دار الثقافة، بيروت، وطبعة تطوان 1960.

عصمت دندش :

130. الأندلس في عصر الطوائف الثاني، دار الغرب الإسلامي 1988.

ابن عقيل :

131. شرح ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

علي بن أبي طالب :

132. الديوان، تحقيق عبد المنعم خفاجي، دار ابن زيدون، بيروت.

أبو علي القالي :

133. الأمالي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

العماد الصفهاني :

134. خريدة القصر، شعراء المغرب، الدار التونسية.

عمر رضا كحالة :
135. معجم المؤلفين، دمشق 1959.
عمر بن أبي ربيعة :
136. الديوان، شرح محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الأندلس.
الغبريني :
137. عنوان الدراية، تحقيق عادل نويهض، ط 1 / 1969.
ابن القاضي :
138. جذوة الاقتباس، طبعة فاس 1309هـ.
ابن قتيبة :
139. الشعر والشعراء، تحقيق مصطفى أفندي السقا، القاهرة، المكتبة التجارية 1932.
ابن قزمان :
140. الديوان، تحقيق د.ف. كرينطي، المعهد الاسباني العربي، مدريد 1980.
القفطي :
141. إنباه الرواة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم 1981.
القطامي :
142. شعره، جمعه إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب.
قطرب :
143. مثلثات، تحقيق ودراسة آسية رضا السوسي، طبعة الدار العربية للكتاب.
ابن قنفذ :
144. الوفيات، تحقيق عادل نويهض.
قيس بن الملوح :
145. الديوان، تحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، مكتبة مصر.

ابن قيس الرقيات :
146. تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، بيروت، دار صادر 1958.
أبو الفداء ابن كثير :
147. تفسير القرآن العظيم، الطبعة الثانية 1970.
ابن فرحون :
148. الديباج المذهب، مصر 1351.
ابن الفرضي :
149. تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية 1966.
فوزي سعد عيسى :
150. الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، الاسكندرية 1979.
الكتاني :
151. الرسالة المستطرفة.
152. فهرس الفهارس، طبعة فاس 1346هـ.
كريم عجيل حسين :
153. الحياة العلمية في بلنسية، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت 1976.
الكلاعي أبو الربيع :
154. الاكتفاء، ج 1 : تحقيق هنري ماسه، طبعة الجزائر.
155. الاكتفاء، تحقيق مصطفى عبد الواحد، القاهرة 1970 (ج 1، 2).
الكلاعي أبو القاسم :
156. إحكام صنعة الكلام، تحقيق محمد رضوان الداية، لبنان 1966.
كنون عبد الله :
157. النبوغ المغربي، الطبعة الثانية، بيروت 1968.
لبيد بن ربيعة :
158. الديوان، بيروت، دار صادر 1966.

لطفي عبد البديع :
159. فهرس المخطوطات المصورة.

المبـــرد :
160. الكامل، طبعة دار الفكر.

المتنبـــي :
161. الديوان، شرح العكبري، دار المعرفة 1978.
شرح البرقوقي، القاهرة 1938.
شرح العلامة الأوحدي، برلين 1861م.

ابن مخلوف :
162. شجرة النور الزكية، القاهرة 1931.

امرؤ القيس :
163. الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف 1964.

مســلــم :
164. الصحيح، الموسوعات الإسلامية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

مفتاح محمد :
165. التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن 8هـ، نسخة مرقونة بكلية آداب الرباط 80-1981.

المفضل الضبي :
166. المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، الطبعة السادسة، بيروت.

المـقــري :
167. أزهار الرياض، تحقيق عبد السلام الهراس، سعيد أحمد أعراب ومحمد بن تاويت، مطبعة فضالة، المغرب.
168. نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1968.

ابن المعتز :

169. الديوان، تحقيق محمد بديع شريف.

ابن منظور :

170. لسان العرب، إعداد يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، لبنان.

المنوني :

171. المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح إلى نهاية العصر الحديث، منشورات كلية آداب الرباط 1983.

172. الفنون والعلوم على عهد الموحدين، تطوان 1950.

173. فهرس المخطوطات الحسنية، الرباط 1983.

174. ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، منشورات كلية آداب الرباط.

الميداني :

175. مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين 1955.

ميشال عاصي :

176. الشعر والبيئة في الأندلس، بيروت 1970.

النابغة الذبياني :

177. الديوان، شرح ابن السكيت، تحقيق شكري فيصل، بيروت، دار الفكر 1968.

النباهي :

178. المرقبة العليا، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، بيروت 1980.

النبهاني :

179. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية.

ابن النديم :

180. الفهرست.

النــويـــري :
181. نهاية الارب في فنون الأدب، تحقيق حسين نصار، مراجعة عبد العزيز الأهواني، القاهرة 1983.

هدى شوكت بهنام :
182. النقد الأدبي في نفح الطيب، الطبعة الأولى 1977.

الهــروي :
183. التلويح في شرح الفصيح، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي.

ابن هـشــام :
184. السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث، لبنان.

الوادي آشي :
185. برنامجه، تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، ط 1 / 1980.

اليـافـعــي :
186. مرآة الجنان.

ياقوت الحموي :
187. معجم الأدباء، القاهرة 1938.
188. معجم البلدان، مصر 1325هـ.

يوسف العش :
189. فهرس مخطوطات الظاهرية.

المجـلات :

ـ المناهل، أعداد 11، 12، 14، 16، 18، 22.
ـ معهد المخطوطات العربية، م 1 / 1950 وج 2 / 120.
ـ دعوة الحق، العدد 9، سنة 1966.
ـ المورد 1981، الجزء 1، 2.
ـ المجمع العربي، المجلد 35 و37.

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــة	رقمها	السورة	الصفحة
ـ لا يضيع أجر المحسنين.	120	التوبة	274
ـ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.	2	الحج	277
ـ إنا لقادرون.	40	المعراج	278
ـ وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم.	34	فصلت	281
ـ سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون.	82	يس	287
ـ إني إذن لفي ظلال مبين.	24	يس	293
ـ فإذا جاء آجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.	32	الأعراف	296
ـ ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.	262	البقرة	303
ـ استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا.	10-11-12	نـوح	309
ـ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم.	30	النور	312
ـ الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون.	49	الأنبياء	320
ـ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون.	74	المؤمنون	324
ـ يا بني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور.	16	لقمان	326
ـ فبئس مثوى المتكبرين.	72	الزمر	331
ـ ومن يتعدى حدود الله فأولئك هم الظالمون.	229	البقرة	333
ـ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون.	14	الجاثية	337
ـ ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم.	10	الممتحنة	340
ـ إن كل من في السماوات والأرض إلا آت الرحمان عبدا.	94	مريم	342
ـ ومن نعمره ننكسه في الخلق.	67	يس	343
ـ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون.	169	آل عمران	344
ـ إن إبراهيم لأواه حليم.	115	التوبة	345
ـ يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور.	49	الشورى	346

فهرس الأحاديث

فهرس الأشعار

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
(ب)			
الكتائب	الطويل	النابغة الذبياني	279
مغرب	الطويل	قيس بن الملوح	286
الجورب	الكامل	ثعلب	374
طبه	البسيط	المتنبي	388
سربه	البسيط	المتنبي	388
صوبي	الرجز	دكين بن سعيد الدارمي	420
(د)			
أبردها	البسيط		
واحد	المتقارب	أبو العتاهية	466
بعدا	الطويل	جبير بن الاضبط	444
عضد	الرجز	الكميت بن زيد الأسدي	391
الصديدا	الرجز	السميسر	378
باليد	الطويل	طرفة بن العبد	361
كواسد	الطويل	المتنبي	340
قد	الطويل	المتنبي	296
(ر)			
بضائر	م. الكامل	الكميت بن زيد الأسدي	290
بالحجر	الطويل	ابن الرومي	357
أفكار	البسيط	الرصافي البلنسي	376
أعذار	البسيط	الرصافي البلنسي	376
مهذار	البسيط	الرصافي البلنسي	376
الزار	البسيط	الرصافي البلنسي	376
مقدار	البسيط	الرصافي البلنسي	376
دينار	البسيط	الرصافي البلنسي	376

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
مقاديرها	المتقارب	الأعور الشني	322
مأمورها	المتقارب	الأعور الشتي	322
بدار	الوافر	عمران بن حطان الدوسي	429
الديار	الخفيف	عمران بن حطان الدوسي	307
(ز)			
أوفاز	الرجز	رؤبة بن العجاج	443
(س)			
اليأس	البسيط	—	367
الناس	البسيط	—	367
القناعيس	البسيط	جرير	367
(ق)			
معلقة	الرجز	امرأة من الأعراب	442
الأباريق	البسيط	الاقيشر الأسدي	452
تـذوق	الطويل	حميد بن ثور الهلالي	455
الفـراق	الخفيف	—	308
(ل)			
النسل	الطويل	المتنبي	300
العجـل	الرجـز	—	347
قليـل	الطويل	علي بن أبي طالب	456
خليل	الطويل	علي بن أبي طالب	456
الطيـل	البسيط	القطامي	361
طويـل	الطويل	مبشر بن هذيل الفزاري	362
وصول	الطويل	مبشر بن هذيل الفزاري	362
حنظل	المرجز	سلمى الهذلية	441

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
	(م)		
لائما	الطويل	المرقش الأصغر	275
دما	المنسرح	الكميت بن زيد الأسدي	280
تهدما	الطويل	النمر بن تولب	299
المآتم	الطويل	—	301
عظيم	الكامل	المتوكل الليثي	277
	(ن)		
ثمان	الطويل	رواه ثعلب	349
زكنوا	البسيط	ابن أم صاحب الغطفاني	283
آمينا	البسيط	عمر بن أبي ربيعة	444
	(و)		
أغوى	الطويل	—	293
لغوا	الطويل	—	293
	(ي)		
تلاقيا	الطويل	مالك بن الريب	295
بواكيا	الطويل	مالك بن الريب	296

فهرس الأمثال

فهرس الأعلام

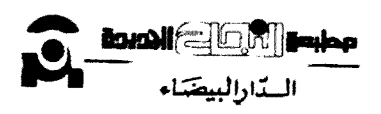
فهرس الأعلام الجغرافية

فهرس المحتويات

القسم الأول : الدراسة

القسم الثاني : التحقيق

الفهارس


مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

هذا الكتاب

تكشف هذه الدراسة عن جانب من جوانب النشاط العلمي في الأندلس وهو اهتمام الأندلسيين بكتاب "الفصيح" لثعلب، هذا الكتاب الذي كان ضمن الكتب المقررة في برامج التعليم عندهم، ونشطت حوله حركة تأليف واسعة - عبر العصور التاريخية لهذه المنطقة من العالم الإسلامي - تمخضت عن ألوان من الإنتاجات الأدبية اتخذت أشكالاً ثلاثة : الشرح والنظم والتأليف.

كذلك، تظهر هذه الدراسة أن "جهد النصيح" هو النموذج الوحيد للخطب والرسائل التي ألفت موشحة بألفاظ "الفصيح" الباقية من غابر الأزمان. فخطبة "الفصيح" لأبي العلاء المعري تعتبر في عداد المفقود من الآثار اليوم، وكذا معارضة أبي القاسم الكلاعي، ولم يسلم من هذه النماذج إلا هذا الكتاب الذي حقق ووضعت حوله هذه الدراسة.

وتعتبر رسالة "جهد النصيح" نموذجاً بلاغياً عالياً من نماذج النثر الفني الأندلسي في القرن الهجري السابع، وهو نثر يعتمد على السجع دون الإغراق فيه، وعلى المحسنات البديعية والبيانية دون الإغراب فيها، ويبتعد عن الأساليب التي أغرقت النثر في كثير من الصنعة والتي عرفها هذا القرن على يد عدد من المترسلين أمثال ابن الأبار وأبي المطرف بن عميرة وابن الجنان وغيرهم.